الدار العربية المؤثم للمؤيون
Ands Senuntihe Plattfarme, inc.

سِرّ الأسرار

The Secret of Secrets

دان براون
DAN BROWN

مؤام رواية ميغرة دافنثي



THE SECRET OF SECRETS

A NOVEL

DAN BROWN

DOUBLEDAY NEW YORK

الرواية من ترجمة : كاميليا وليد

إلى مُحرّري وصديقي الحميم، جيسون كوفمان،

الذي لولاه لكانَ نسْجُ خيوطِ هذه الرواياتِ ضربًا منَ المُحال...

وأقلَّ بهجةً ومُتعَة.

"مَا إِنْ يشرِعُ العلمُ في دراسةِ الظواهرِ غيرِ المادية، حتى يُحرزَ في عقدٍ واحدٍ منَ الزمانِ تقدمًا يفوقُ ما أحرزَهُ في قرونٍ سالفةٍ بِأَسْرِهَا".

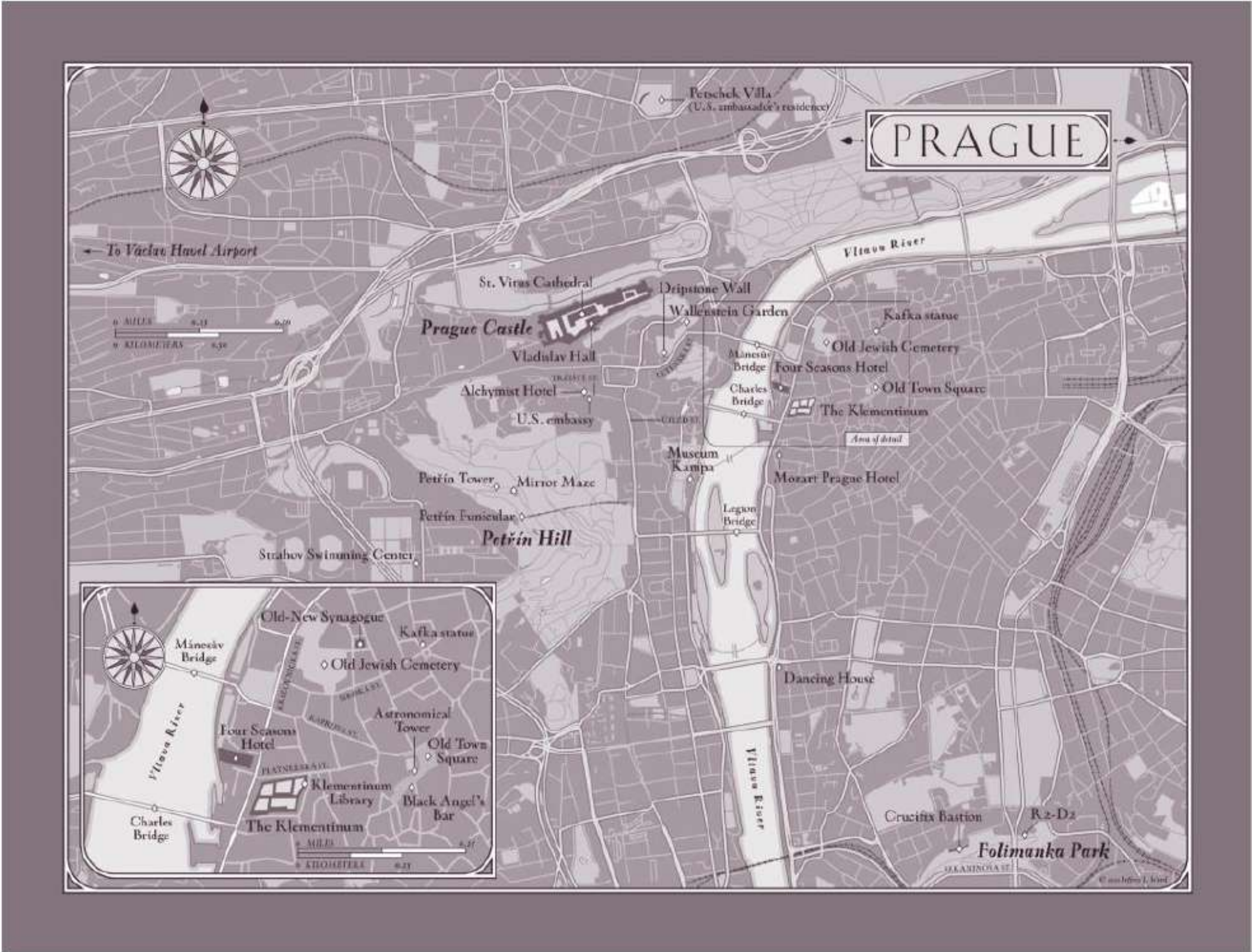
—نيكولا تسلا

حقيقةٌ ثابتة:

إنَّ جميعَ الأعمالِ الفنيةِ والآثارِ والرموزِ والوثائقِ الواردةَ في هذه الروايةِ هي حقيقيةٌ لا ريبَ فيها.

وإنَّ جميعَ التجاربِ والتقنياتِ والنتائجِ العلميةِ المذكورةَ هي وقائعُ صادقةٌ تُطابقُ الحقيقةَ.

وإنَّ جميعَ المُنظّماتِ التي وردَ ذكرُها في هذه الروايةِ هي هيئاتٌ قائمةٌ في عالمِنا الواقعِ.


PRAGUE
Petschek Villa
(U.S. ambassador's residence)
To Václav Havel Airport
Vltava River
St. Vitus Cathedral
Dripstone Wall
Wallenstein Garden
Kafka statue
Prague Castle
Vladislav Hall
Old Jewish Cemetery
Mánesův Bridge
Four Seasons Hotel
Alchymist Hotel
Old Town Square
Charles Bridge
The Klementinum
U.S. embassy
Area of detail
Museum Kampa
Mozart Prague Hotel
Petřín Tower
Mirror Maze
Petřín Funicular
Legion Bridge
Petřín Hill
Strahov Swimming Center
Dancing House
Vltava River
Crucifix Bastion
R2-D2
Folimanka Park
Old-New Synagogue
Kafka statue
Mánesův Bridge
Old Jewish Cemetery
Astronomical Tower
Four Seasons Hotel
Old Town Square
Vltava River
Klementinum Library
Black Angel's Bar
Charles Bridge
The Klementinum

تَمْهِيد

لا بدَّ أنَّ المنيَّة قد وافتني، هكذا حدَّثتِ المرأةُ نفسَها.

كانت تهيمُ عاليًا فوقَ أبراجِ المدينةِ العتيقةِ وأَسِنَّتِها الشَّاهقة. ومن تحتِها، كانت أبراجُ كاتدرائية القديس فيتوس المضيئةُ تتلألأُ فوق بحرٍ من الأنوارِ المتوهجة. وراحت تتتبَّعُ ببصرِها، إن كان ما يزالُ لها بصر، ذلك الانحدارَ الوديعَ لتلِّ القلعة، وصولًا إلى قلبِ العاصمةِ البوهيمية، مُقتفيةً أثرَ تلك المتاهةِ من الدروبِ المتعرجةِ التي يلتحفُها رداءٌ ناصعٌ من الثلج.

براغ.

وفي غمرةِ حيرتِها وقد استبدَّ بها الذهول، راحت تجهدُ فكرَها عساها تفقهُ كنهَ مأزقِها ذاك.

إنني لعالمةُ أعصاب، هكذا طمأنت نفسَها. وما برحَ عقلي سويًّا لم يعترِه خلل.

بيد أنها أيقنت أن عبارتها الثانية هذه كانت موضعَ شكٍّ وريبة.

فكلُّ ما كانت توقنُ به الدكتورة بريجيتا جيسنر في تلك اللحظة، هو أنها عالقةٌ في الفضاءِ فوقَ مدينتِها براغ .لم يكن جسدُها يصحبُها، وقد تجرَّدت من كلِّ كتلةٍ وشكل. ورغم ذلك، فإنَّ ما تبقَّى منها – حقيقتَها الخالصة،

وجوهرَها، ووعيَها – كان يبدو سليمًا لم يمسَسْه سوء، متوقدًا لم يغشَهُ وَهَن، يسبحُ وئيدًا في الفضاءِ قاصدًا وجهةَ نهر فلتافا.

عجزت جيسنر عن استحضارِ أيِّ شيءٍ من ماضيها القريب، خلا ذكرى واهنةٍ لألمٍ جسديٍّ عابر، أما الآن، فقد خُيِّلَ إليها أنَّ جسدَها ما هو إلا ذاك الأثيرُ الذي كانت تسبحُ فيه. لقد كان شعورًا فريدًا لم تعهدْ له مثيلًا قط. ورغم أنفِ كلِّ ما تمليه عليها قناعاتُها العقلية، لم تجد جيسنر لما هي فيه إلا تفسيرًا واحدًا.

لقد فارقتُ الحياة. وهذا هو العالمُ الآخر.

وما كادت هذه الفكرةُ تتجسَّدُ في خيالِها، حتى أسرعت إلى نبذِها واصفةً إياها بالسُّخفِ والهُراء.

فما الحياةُ الآخرةُ إلا وهمٌ جماعيٌّ... ابتدعَهُ البشرُ ليجعلوا حياتَهم الدنيويةَ قابلةً للاحتمال.

وبحكم مهنتِها كطبيبة، كانت لجيسنر معرفةٌ حميمةٌ بالموت، وبحتميَّتِه التي لا مفرَّ منها. فقد أدركت، وهي تشرحُ أدمغةَ البشر، أنَّ كلَّ تلك الخصائصِ الذاتيةِ التي تصنعُ كيانَنا – آمالَنا، ومخاوفَنا، وأحلامَنا، وذكرياتِنا – ليست في حقيقتِها إلا مركَّباتٍ كيميائيةً عالقةً بفعلِ شحناتٍ كهربائيةٍ في أدمغتِنا. فإذا مات المرء، انقطعَ عن الدماغِ مصدرُ طاقتِه، وما تلبثُ تلك

الكيماوياتُ أن تذوبَ وتتحوَّل إلى بركةٍ سائلةٍ لا معنى لها، فتمحوَ بذلك كلَّ أثرٍ يدلُّ على ما كان عليه صاحبُها في يومٍ من الأيام.

إذا حلَّ الأجل، فقد انقضى الأمر.

أما الآن، وهي تهيمُ فوق حدائقِ قصر والنستاين المتناظرة، فقد أحسَّت أنها تنبضُ بالحياةِ أشدَّ ما يكونُ النبض. وراحت تراقبُ ندفَ الثلجِ وهي تتهاوى حولَها – أم تُرَاها تخترقُها؟ – والعجيبُ أنها لم تحسَّ بقرصةِ بردٍ البتة. كان الأمرُ كأنما عقلُها وحدَهُ يسبحُ في الفضاء، وقد احتفظَ بكاملِ قدرتِه على التفكيرِ المنطقيِّ السليم.

إنَّ دماغي ليعمل، هكذا حدَّثت نفسَها. إذن، لا مناصَ من أنني ما زلتُ على قيدِ الحياة.

لم يكن في وسعِ جيسنر أن تستنتجَ شيئًا سوى أنها تعيشُ الآن في غمرةِ ما تُطلِقُ عليه المصنَّفاتُ الطبيةُ مصطلح OBE – أي "تجربة الخروج من الجسد" – وهي ضربٌ من الهلوسةِ يدهمُ المرضى المصابين بجروحٍ بالغةٍ عند إنعاشِهم بعد موتِهم السريري.

وتكادُ هذه التجاربُ تتجلَّى دائمًا في صورةٍ واحدة – وهي توهُّمُ المرءِ بأنَّ عقلَهُ قد انفصلَ مؤقتًا عن جسدِه المادي، ليأخذَ في الصعودِ والتحليقِ عاليًا بلا هيئةٍ أو شكل. ورغم أنها تبدو وكأنها تجاربُ حقيقية، إلا أنها ليست في

جوهرِها سوى رحلاتٍ وهميةٍ، تنطلقُ شرارتُها عادةً بفعلِ تأثيراتِ الإجهادِ المفرطِ ونقصِ الأكسجة (**hypoxia**) على الدماغ، وقد يقترنُ ذلك أحيانًا بتأثيرِ العقاقيرِ المخدِّرةِ المستخدمةِ في غرفِ الطوارئ، مثل الكيتامين (**ketamine**).

إنني لأهذي بهذه الصور، هكذا أكَّدت جيسنر لنفسِها، وهي ترمي ببصرِها إلى المنحنى الداكنِ لنهر فلتافا الذي يشقُّ المدينةَ كالأفعوان. ولكن، إن كانت هذه حقًا "تجربةَ خروجٍ من الجسد"... فمعنى ذلك أنني أحتضرُ الآن.

وعجبت جيسنر لرباطةِ جأشِها، وراحت تحاولُ استجماعَ ذاكرتِها لتعرفَ ما الذي أصابَها.

إنني امرأةٌ في التاسعةِ والأربعين من عمري، أتمتعُ بكاملِ صحتي... فأيُّ شيءٍ عساهُ يودي بحياتي؟

وفي ومضةٍ باهرةٍ، تجسَّدت في وعي جيسنر ذكرى مروِّعة. لقد أدركت الآن أين يرقدُ جسدُها الماديُّ في هذه اللحظةِ عينِها... بل وأدركت ما هو أشدُّ ترويعًا من ذلك: ما الذي كان يُصنعُ بها.

كانت مسجاةً على ظهرِها، موثوقةً بأحزمةٍ مشدودةٍ إلى آلةٍ هي نفسُها التي ابتكرتْها. وقد انتصبَ فوقَها وحشٌ آدمي. كان ذاك الكائنُ يبدو وكأنه

رجلٌ من غابرِ الأزمان، قد انبثقَ لتوّه من جوفِ الأرض. فقد غطَّى وجهَهُ وجمجمتَهُ الصلعاءَ ستارٌ كثيفٌ من طينٍ قذر، قد تشقَّقَ وتصدَّعَ حتى غدا كأنه صفحةُ القمر. ولم يكن يبدو من خلفِ قناعِه الطينيّ ذاك سوى عينين تقدحانِ بالحقد. وقد نُقِشت على جبهتِه نقشًا غليظًا ثلاثةُ أحرفٍ من لغةٍ قديمة.

"لمَ تفعلُ بي هذا؟ "!صاحت جيسنر وقد أخذَ منها الهلعُ كلَّ مأخذ" .مَنْ أنت؟! بل ما أنت؟"!

"أنا حاميها"، أجابَ الوحشُ بصوتٍ أجوفَ ولكنةٍ سلافيةٍ مبهمة" .لقد أولَتْكِ ثقتَها... فغدرتِ بها".

"مَنْ هي؟ "!صاحت جيسنر في حدة.

فما إن نطقَ الوحشُ باسمِ امرأة، حتى أحسَّت جيسنر بنصلٍ من الفزعِ يخترقُ فؤادَها.

كيف له أن يعلمَ بما صنعتُ؟!

ثم أحسَّت بثقلٍ جليديٍّ يسري في ذراعيها، فأدركت جيسنر أنَّ الوحشَ قد شرعَ في عمليَّتِه. وما هي إلا برهة، حتى تفتَّحت في ذراعِها اليسرى بؤرةُ ألمٍ لا يُطاق، راح ينتشرُ على طولِ وريدِها المرفقيِّ الأوسط (median

(cubital vein، ويشقُّ طريقَهُ بعنفٍ نحو كتفِها" .أرجوك... توقَّف"!، شهقت لاهثةً.

"أخبريني بكلِّ شيء"، هكذا أمرَها بلهجةٍ قاطعة، بينما بلغَ الألمُ المبرِّحُ إبطَها.

"سأخبرُك"!، أجابت جيسنر في جزعٍ، فأوقفَ الوحشُ الآلة، ليتجمَّدَ الألمُ عند كتفِها، وإن ظلَّ الوجعُ اللاسعُ مستعرًا.

وقد اعتصرَها الرعب، راحت جيسنر تتكلَّمُ بأسرعَ ما تستطيعُ من بين أسنانٍ مطبقة، وتُفشي في هلعٍ تلك الأسرارَ التي أقسمت على كتمانِها. فأجابت عن أسئلتِه، وأماطتِ اللثامَ عن الحقيقةِ المقلقةِ لما ابتكرتْهُ هي وشركاؤها في جوفِ مدينةِ براغ.

ورمقَها الوحشُ بنظراتِه من خلفِ قناعِه الطينيِّ الغليظ، وقد لمعت عيناه الباردتان فهمًا... وحقدًا.

"لقد شيَّدتِ بيتًا من الأهوالِ في جوفِ الأرض"، همسَ بصوتٍ خفيض . "وإنكم جميعًا لجديرون بالموت ".ودونَما تردُّد، أعاد تشغيلَ الآلة، ومضى قاصدًا الباب.

"لا"!...، صرخت صرخةً مدويَّةً وقد عاودَها الألمُ المبرِّح، فاكتسحَ كتفَها واندفعَ إلى صدرِها" .أرجوكَ لا تذهب... إنَّ هذا لقاتِلي"!

"بلى"، قال وهو يلتفتُ إليها من فوقِ كتفِه" .ولكنَّ الموتَ ليس النهاية. فلقد ذقتُ الموتَ مرارًا".

وعند هذا القول، تلاشى الوحشُ كأنه لم يكن، وعادت جيسنر فجأةً لتجدَ نفسَها تحلِّقُ في الفضاءِ من جديد. حاولت أن تطلقَ صرخةَ استرحام، لكنَّ صوتَها تلاشى في دويِّ رعدٍ أصمّ، فيما انفرجتِ السماءُ فوقَها عن آخرِها. وأحسَّت بقوةٍ خفيةٍ تقبضُ عليها –كأنها جاذبيةٌ معكوسة – فترفعُها إلى أعلى، وتجذبُها صعودًا.

لطالما سخرت الدكتورة بريجيتا جيسنر طوالَ سنواتٍ من مزاعمِ مرضاها بأنهم عادوا من شفيرِ الموت. أما الآن، فقد وجدت نفسَها تتضرَّعُ عساها تلحقُ بركبِ تلك الأرواحِ النادرةِ التي دانت من غياهبِ الفناء، وأشرفت على الهاوية، ثم قُدِّرَ لها أن تتراجعَ عن حافتِها.

لا يسعُني أن أموتَ الآن... لا بدَّ لي من تحذيرِ الآخرين!

لكنها كانت تعلمُ أنَّ الأوانَ قد فات.

لقد انقضت فصولُ هذه الحياة.

الفصل الأول

أفاق روبرت لانغدون من نومه في سكينة وادعة، تداعب أذنيه ألحان الموسيقى الكلاسيكية العذبة المنبعثة من منبه هاتفه الموضوع على منضدة الفراش. ولئن كانت مقطوعة "مزاج الصباح" للموسيقار غريغ خيارا يكاد يكون مبتذلا، إلا أنه طالما رأى فيها خير فاتحة ليومه بما تحمله من أنغام تملأ النفس صفاء لأربع دقائق هي مدتها. وفيما كانت آلات النفخ الخشبية تصدح بألحانها المتصاعدة، استعذب لانغدون تلك الحيرة اللذيذة التي تكتنفه حين لا يدري للوهلة الأولى أين يكون.

آه، أجل، تذكر الآن، وارتسمت على شفتيه بسمة خفيفة. إنه في مدينة المئة برج.

وفي النور الخافت الذي ملأ الحجرة، أرسل لانغدون نظرة متأملة إلى نافذتها المقوسة الشاسعة، التي اكتنفتها خزانة عتيقة من الطراز الإدواردي ومصباح من المرمر. أما السجادة الوثيرة المعقودة يدويا، فما زالت بتلات الورد من خدمة المساء ليلة أمس متناثرة على صفحتها.

كان لانغدون قد حل بمدينة براغ قبل ثلاثة أيام، وكعادته في زياراته السابقة، نزل في فندق فور سيزونز .وحين أصر المدير على ترقية حجزه إلى الجناح الملكي ذي الغرف الثلاث، تساءل في نفسه إن كان ذلك راجعا

لولائه المعهود للفندق، أم أنه –وهو الأرجح– يعود إلى المكانة المرموقة التي تحظى بها السيدة التي ترافقه.

"إن ضيوفنا الأفخم قدرا يستحقون أفخم ما لدينا من غرف"، هكذا كان المدير قد قال في إصرار.

وكان الجناح يضم ثلاث غرف نوم منفصلة بحماماتها، وغرفة معيشة، وقاعة طعام، وبيانو كبيرا، ونافذة مركزية ناتئة تزينها باقة فخمة من زهور الخزامى الحمراء والبيضاء والزرقاء، هدية ترحيب من سفارة الولايات المتحدة. وفي غرفة ملابسه الخاصة، وجد لانغدون زوجا من النعال الصوفية المصقولة، مطرزا عليه الحرفان الأولان من اسمه .RL :وخاطب نفسه قائلا إن هذين الحرفين لا يرمزان إلى رالف لورين، وقد أعجبته تلك اللمسة الشخصية أيما إعجاب.

والآن، وفيما هو مستلق في فراشه الوثير يتملى أنغام المنبه، أحس بيد حانية تلمس كتفه.

"روبرت؟ "هكذا همس صوت ناعم.

استدار لانغدون فشعر بنبضه يتسارع. كانت هي، ترنو إليه باسمة، وعيناها الرماديتان الضبابيتان ما زالتا نصف ناعستين، وشعرها الأسود الطويل ينسدل مبعثرا حول كتفيها.

"صباح الخير يا حسنائي"، أجابها.

فمدت يدها ومسحت على خده، وما زال شذا عطر Balade Sauvageيفوح من معصميها.

وتملى لانغدون رقة تقاسيمها. فعلى الرغم من أنها تكبره بأربع سنوات، كانت تزداد فتنة كلما رآها؛ فتلك الخطوط الرقيقة التي ترسمها الضحكات حول عينيها، وخصلات الشيب الخفيفة التي بدأت تغزو شعرها الداكن، وعيناها المرحتان، وذلك الذكاء الآسر الذي يسلب الألباب.

لقد عرف لانغدون هذه المرأة الفذة منذ أيامه في جامعة برينستون، حيث كانت أستاذة مساعدة شابة وهو لم يزل طالبا في المرحلة الجامعية الأولى. وقد ظل إعجابه الصامت الذي يضمره لها في تلك الأيام إما خفيا عنها أو غير مجاب، لكنهما احتفظا منذ ذلك الحين بصداقة أفلاطونية تمازجها مداعبة رقيقة. وحتى بعد أن حلقت مسيرتها المهنية في الأعالي، وأضحى لانغدون أستاذا مرموقا ذاع صيته في أرجاء العالم، ظل الاثنان على تواصل متقطع.

وأدرك لانغدون الآن أن للتوقيت سلطانا على كل شيء، وهو لا يزال يتعجب من سرعة وقوع أحدهما في حب الآخر خلال رحلة العمل العفوية هذه.

وفيما كانت مقطوعة "مزاج الصباح" تبلغ ذروتها بتناغم أوركسترالي كامل، جذبها إليه بذراعٍ قوية، فدفنت رأسها في صدره. وهمس في أذنها" :هل نمتِ هانئة؟ هل انقشعت عنك الأحلام المزعجة؟."

هزت رأسها وتنهدت" .أنا في غاية الخجل. لقد كان ذلك فظيعا."

ففي ساعة متقدمة من الليل، كانت قد استيقظت في رعب من كابوس شديد الوطأة، وظل لانغدون يواسيها قرابة الساعة حتى استطاعت أن تعود إلى النوم. وقد أكد لها أن تلك الحدة غير المألوفة التي اتسم بها حلمها لم تكن إلا نتيجة لجرعة شراب الأفسنتين البوهيمي التي تناولتها قبل النوم ولم تكن موفقة في اختيارها، وهو الشراب الذي طالما اعتقد لانغدون أنه يجب أن يقدم مصحوبا بملحوظة تحذيرية: "اشتهر في حقبة "الحقبة الجميلة" لخصائصه المهلوسة."

"لن أعود إلى ذلك أبدا"، أكدت له.

مد لانغدون يده وأوقف الموسيقى" .أغمضي عينيك. سأعود في الوقت المناسب لتناول الفطور."

"ابق معي"، قالت في دلال وهي تتشبث به" .يمكنك أن تفوت يوما واحدا من السباحة."

"ليس إن أردتِ لي أن أظل ذلك الشاب الممشوق القوام"، قالها وهو ينهض جالسا وعلى وجهه ابتسامة جانبية. ففي كل صباح، كان لانغدون يهرول مسافة ثلاثة كيلومترات إلى مركز ستراهوف للسباحة ليؤدي تمارينه الصباحية.

"الظلام لا يزال مخيما في الخارج"، أصرت" .ألا يمكنك السباحة هنا؟."

"في مسبح الفندق؟."

"ولم لا؟ إنه ماء في نهاية المطاف."

"إنه صغير جدا. ضربتا ذراع وأنتهي."

"في كلامك هذا موضع لدعابة يا روبرت، ولكني سأكون رحيمة بك."

ابتسم لانغدون" .فتاة ظريفة. عودي إلى نومك، وسألقاك على الفطور."

تجهمت، ورمته بوسادة، ثم استدارت إلى الجانب الآخر.

ارتدى لانغدون بذلته الرياضية الخاصة بهيئة التدريس في جامعة هارفارد واتجه نحو الباب، مؤثرا أن يسلك الدرج على أن يستخدم المصعد الخاص الضيق الملحق بالجناح.

وفي الطابق السفلي، خطا عبر الردهة الأنيقة التي تصل بين ملحق الفندق الباروكي المطل على النهر وبهو المبنى الرئيسي. وفي طريقه، مر بخزانة عرض

زجاجية أنيقة كُتب عليها *"فعاليات الأسبوع في براغ"* ، عُرضت فيها سلسلة من الملصقات المؤطرة التي تعلن عن حفلات هذا الأسبوع وجولاته ومحاضراته. وجعله الملصق اللامع في المنتصف يبتسم.

سلسلة محاضرات جامعة

تشارلز ترحب بكم في قلعة

براغ

عالِمة ذهنية مشهورة عالميًا

الدكتورة كاثرين سولومون.

"صباح الخير يا حسنائي"، ناجى نفسه وهو يتأمل الصورة الشخصية للمرأة التي كان يقبلها قبل لحظات في الطابق العلوي.

كانت محاضرة كاثرين ليلة أمس قد اكتظت بالحضور حتى لم يبق فيها موطئ قدم، وهو إنجاز لا يستهان به بالنظر إلى أنها كانت تتحدث في قاعة فلاديسلاف الأسطورية بقلعة براغ، تلك القاعة الكهفية الشاسعة ذات السقف المقبب التي كانت تستخدم في عصر النهضة لاستضافة مسابقات المبارزة بالرماح بين الفرسان وهم يمتطون جيادهم بكامل زينتهم.

كانت سلسلة المحاضرات هذه من أكثر السلاسل احتراما في أوروبا، ودائما ما كانت تستقطب متحدثين بارعين وجمهورا متحمسا من جميع أنحاء العالم.

ولم تكن ليلة أمس استثناء، فقد ضجت القاعة المكتظة بالتصفيق الحار حين تم تقديم كاثرين.

"شكرا لكم جميعا"، قالت كاثرين وهي تعتلي المنصة بهدوء وواثقة الخطى. كانت ترتدي سترة بيضاء من الكشمير وبنطالا أنيقا يناسبها تماما" .أود أن أبدأ هذه الليلة بالإجابة عن السؤال الوحيد الذي أُسأله كل يوم تقريبا ." ابتسمت وسحبت الميكروفون من حامله" .ما هو بحق السماء علم النو إتك؟."!

علت موجة من الضحك في القاعة بينما استقر الجمهور في مقاعده.

"ببساطة"، بدأت كاثرين، "علم النو إتك هو دراسة الوعي البشري. وخلافا لما يعتقده الكثيرون، فإن أبحاث الوعي ليست علما جديدا، بل هي في الحقيقة أقدم علم على وجه الأرض. فمنذ فجر التاريخ، ونحن نسعى إلى إجابات عن أسرار العقل البشري الخالدة... طبيعة الوعي والروح. ولقرون طويلة، استكشفنا هذه الأسئلة في المقام الأول من خلال... منظور الدين."

نزلت كاثرين عن المنصة، واتجهت نحو الصف الأمامي من الحضور . "وبمناسبة الحديث عن الدين، يا سيداتي وسادتي، لم يسعني إلا أن ألاحظ

أن بيننا في الجمهور هذه الليلة عالما مشهورا على مستوى العالم في مجال الرموز الدينية، البروفيسور روبرت لانغدون."

سمع لانغدون همهمات الإعجاب تنتشر بين الحشود. وتساءل في نفسه: ما الذي تفعله بحق الجحيم؟!

"بروفيسور"، قالت وهي تصل أمامه مبتسمة، "أتساءل إن كان بإمكاننا الاستفادة من خبرتكم للحظة؟ هل تمانع في الوقوف؟."

وقف لانغدون بأدب، وهو يرمقها في هدوء بابتسامة تقول لها "ستدفعين ثمن هذا."

"يُثير فضولي يا بروفيسور... ما هو الرمز الديني الأكثر شيوعا على وجه الأرض؟."

كان الجواب بسيطا، وإما أن كاثرين قد قرأت مقال لانغدون حول هذا الموضوع وعرفت ما سيأتي، أو أنها على وشك أن تصاب بخيبة أمل كبيرة.

أخذ لانغدون الميكروفون والتفت ليواجه بحر الوجوه المتلهفة، التي أضاءتها ثريات تتدلى من سلاسل حديدية عتيقة" .مساء الخير جميعا"، قال بصوته الجهوري العميق الذي دوى عبر مكبرات الصوت" .وأشكر الدكتورة سولومون على وضعي في هذا الموقف دون سابق إنذار على الإطلاق."

صفق الجمهور.

"حسنا إذن"، قال، "الرمز الديني الأكثر شيوعا في العالم؟ هل لدى أي أحد تخمين؟."

ارتفعت عشرات الأيدي.

"ممتاز"، قال لانغدون" .هل هناك أي تخمينات ليست الصليب؟."

نزلت كل الأيدي.

ضحك لانغدون ضحكة خافتة" .صحيح أن الصليب شائع للغاية، ولكنه أيضا رمز مسيحي فريد. في الحقيقة، هناك رمز عالمي واحد يظهر في الأعمال الفنية لكل دين في التاريخ."

تبادل الجمهور نظرات حائرة.

"لقد رأيتموه جميعا مرات عديدة"، قال لانغدون محفزا" .ربما على لوحة حور اختي المصرية؟."

توقف للحظة.

"ماذا عن نعش كانيشكا البوذي؟ أو أيقونة المسيح الضابط الكل الشهيرة؟."

صمت. ونظرات جامدة.

"يا إلهي"، فكر لانغدون" .من الواضح أنهم جمهور من العلماء."

"يظهر أيضا في مئات من أشهر لوحات عصر النهضة – لوحة ليوناردو دافنشي الثانية "عذراء الصخور"، و"البشارة" لفرا أنجيليكو، و"الرثاء" لجوتو، و"إغواء المسيح" لتيتيان، وتصاوير لا حصر لها للسيدة العذراء والطفل...؟."

لا شيء بعد.

"الرمز الذي أشير إليه"، قال، "هو الهالة."

ابتسمت كاثرين، ويبدو أنها كانت تعلم أن هذا سيكون جوابه.

"الهالة"، واصل لانغدون، "هي قرص النور الذي يظهر فوق رأس الكائن المستنير. في المسيحية، تحوم الهالات فوق يسوع ومريم والقديسين. وبالعودة إلى الوراء، كان قرص الشمس يحوم فوق الإله المصري القديم رع، وفي الديانات الشرقية ظهرت هالة من النور فوق بوذا والآلهة الهندوسية."

"رائع، شكرا لك يا بروفيسور"، قالت كاثرين وهي تمد يدها لتأخذ الميكروفون، لكن لانغدون تجاهلها وابتعد عنها بمرح – لمسة من رد الصاع صاعين. لا تسأل مؤرخا سؤالا لا تريد إجابته كاملة.

"يجب أن أضيف"، قال لانغدون بينما ضحك الجمهور تقديرا، "أن الهالات تأتي بجميع الأشكال والأحجام والتمثيلات الفنية. بعضها أقراص ذهبية صلبة، وبعضها شفاف، وبعضها مربع حتى. تصف الكتب اليهودية القديمة رأس موسى بأنه محاط بـ 'هيلا' – وهي الكلمة العبرية التي تعني 'هالة' أو 'انبثاق النور'. ولبعض أشكال الهالات المتخصصة أشعة من الضوء تنبعث منها... أشواك متوهجة تشع إلى الخارج في جميع الاتجاهات."

التفت لانغدون مرة أخرى إلى كاثرين بابتسامة ماكرة" .ربما تعرف الدكتورة سولومون ماذا يسمى هذا النوع من الهالات؟ ."وقدم الميكروفون إليها.

"التاج المشع"، قالت دون أن تفوت لحظة.

يبدو أن أحدهم قد أعد واجبه. أعاد لانغدون الميكروفون إلى شفتيه .

"أجل، التاج المشع هو رمز ذو أهمية خاصة. يظهر عبر التاريخ مزينا رؤوس حورس، وهيليوس، وبطليموس، وقيصر... وحتى تمثال رودس الشاهق."

أعطى لانغدون الجمهور ابتسامة متواطئة" .قليل من الناس يدركون هذا، ولكن أكثر شيء تم تصويره في مدينة نيويورك بأكملها هو... تاج مشع."

نظرات حائرة، حتى من كاثرين.

"هل من تخمينات؟ "سأل" .لم يصور أي منكم قط التاج المشع الذي يحوم على ارتفاع ثلاثمئة قدم فوق ميناء نيويورك؟."

انتظر لانغدون بينما نمت همهمة الإدراك بين الحشود.

"تمثال الحرية "!صاح أحدهم.

"بالضبط"، قال لانغدون" .تمثال الحرية يرتدي تاجا مشعا – هالة قديمة – تلك الأيقونة العالمية التي استخدمناها عبر التاريخ لتمييز الأفراد المميزين الذين نعتقد أنهم يمتلكون استنارة إلهية... أو حالة متقدمة من... الوعي."

بينما كان لانغدون يعيد الميكروفون إلى كاثرين، كانت تبتسم بإشراق. "شكرا لك"، قالت له بحركة من شفتيها وهو يعود إلى مقعده وسط تصفيق حار.

عادت كاثرين إلى المنصة" .كما تفضل البروفيسور لانغدون بالبيان البليغ، فإن البشر يتأملون في الوعي منذ أمد بعيد. ولكن حتى الآن، مع تقدم العلم، نجد صعوبة في تعريفه. والواقع أن كثيرا من العلماء يخشون حتى مجرد الخوض في مسألة الوعي ."ألقت كاثرين نظرة حولها وهمست" :إنهم يسمونه 'الكلمة الممنوعة."'

تطايرت ضحكات متفرقة في القاعة مرة أخرى.

أومأت كاثرين إلى امرأة ترتدي نظارة في الصف الأمامي" .سيدتي، كيف تعرفين الوعي؟."

فكرت المرأة للحظة" .أفترض... أنه إدراك لوجودي؟."

"ممتاز"، قالت كاثرين " .ومن أين يأتي هذا الإدراك؟."

"من دماغي، على ما أعتقد"، قالت" .أفكاري، تصوراتي، خيالاتي... نشاط الدماغ الذي يجعلني ما أنا عليه."

"أحسنتِ قولا، شكرا لك ."رفعت كاثرين بصرها مرة أخرى إلى الجمهور . "إذن هل يمكننا جميعا أن نبدأ بالاتفاق على الأساسيات؟ الوعي مخلوق من دماغكم – تلك الكتلة التي تزن ثلاثة أرطال من ستة وثمانين مليار خلية عصبية داخل جمجمتكم – وبالتالي فإن الوعي يقع داخل رؤوسنا."

إيماءات بالموافقة من كل مكان.

"رائع"، قالت كاثرين" .لقد اتفقنا جميعا للتو على النموذج المقبول حاليا للوعي البشري ."بعد وقفة، تنهدت بعمق" .المشكلة هي... أن النموذج المقبول حاليا خاطئ تماما. إن وعيكم ليس من صنع أدمغتكم. وفي الحقيقة، إن وعيكم ليس موجودا داخل رؤوسكم أصلا."

تلا ذلك صمت مطبق سادته الدهشة.

قالت المرأة ذات النظارة في الصف الأمامي" :ولكن... إذا لم يكن وعيي موجودا داخل رأسي... فأين هو؟."

"يسعدني جدا أنك سألتِ"، قالت كاثرين، مبتسمة للحشد المجتمع .

"استعدوا يا رفاق. نحن على موعد مع رحلة غير عادية هذه الليلة."

"نجمة متألقة بحق"، فكر لانغدون وهو يسير نحو بهو الفندق، وما زالت أصداء تصفيق الجمهور الحار لكاثرين تتردد في أذنيه. لقد كان عرضها جولة مذهلة من البراعة تركت الحشد مذهولا ومتعطشا للمزيد. وعندما سألها أحدهم عن عملها الحالي، كشفت كاثرين أنها وضعت اللمسات الأخيرة على كتاب تأمل أن يساعد في إعادة تعريف النموذج الحالي للوعي.

كان لانغدون قد ساعد كاثرين في تأمين صفقة نشر، على الرغم من أنه لم يقرأ مخطوطتها بعد. لقد كشفت له ما يكفي من محتوياتها لجعله مفتونا ومتلهفا للقراءة، لكنه شعر بأنها احتفظت بكل الاكتشافات الأكثر إثارة للصدمة لنفسها. إن كاثرين سولومون لا تنقصها المفاجآت أبدا.

الآن، وبينما كان يقترب من بهو الفندق، تذكر لانغدون فجأة أن كاثرين كان من المقرر أن تجتمع في الساعة الثامنة صباحا مع الدكتورة بريغيتا غيسنر –عالمة الأعصاب التشيكية البارزة التي دعت كاثرين شخصيا للتحدث في سلسلة المحاضرات. كانت دعوة غيسنر كريمة، ولكن بعد أن

التقى بالمرأة الليلة الماضية عقب الحدث ووجدها لا تطاق، كان لانغدون يأمل الآن سرا أن تنام كاثرين وتختار تناول الإفطار معه بدلا من ذلك.

أبعد الفكرة عن رأسه ودخل البهو، مستمتعا بعطر باقات الورود الفخمة التي تزين المدخل الرئيسي دائما.

لكن المشهد الذي استقبله في البهو كان أقل ترحيبا بكثير.

كان ضابطا شرطة يرتديان ملابس سوداء يجوبان المكان المفتوح في ترقب وحذر، ومعهما كلبان من فصيلة الراعي الألماني. كان كلا الكلبين يرتدي سترة واقية من الرصاص تحمل علامة **POLICIE** وكانا يشمشمان الأرجاء كما لو كانا يبحثان عن... شيء ما.

لا يبدو هذا المنظر مبشرا بالخير. توجه لانغدون إلى مكتب الاستقبال" .هل كل شيء على ما يرام؟."

"أوه، أجل بالطبع، سيد لانغدون ."!كاد المدير الأنيق المظهر أن ينحني وهو يهرع للترحيب بلانغدون" .كل شيء على أتم ما يرام، يا بروفيسور. مشكلة بسيطة الليلة الماضية، لكنه كان إنذارا كاذبا"، أكد له وهو يهز رأسه باستخفاف" .مجرد اتخاذ احتياطات. كما تعلم، الأمن هو أولوية قصوى هنا في فندق فور سيزونز براغ."

نظر لانغدون إلى رجلي الشرطة. مشكلة بسيطة؟ لا يبدو هؤلاء الرجال "بسيطين" على الإطلاق.

"هل أنت ذاهب إلى نادي السباحة يا سيدي؟ "سأل المدير" .هل أطلب لك سيارة؟."

"لا شكرا"، أجاب لانغدون وهو يتجه نحو الباب" .سأذهب مهرولا. أحب الهواء النقي."

"لكن الثلج يتساقط."!

ألقى ابن نيو إنجلاند الأصيل نظرة إلى الخارج على ندفات الثلج الخفيفة المتطايرة في الهواء وابتسم للمدير" .إذا لم أعد في غضون ساعة، فأرسلوا أحد هذين الكلبين لينبش عني الثلج."

الفصل الثاني

كان الجولم يخب سيره متعثرا في الثلج، وقد جرجر ذيل عباءته السوداء المسدلة فوق الوحل الموحل الذي كسا شارع كابروفا .وتوارى تحت تلك العباءة حذاء ضخم ذو نعل غليظ، بلغ من ثقله أنه كان بالكاد يقوى على رفع ساقيه. وعلى وجهه وجمجمته، تقبضت طبقة كثيفة من الطين بفعل الهواء القارس.

لا بد لي من العودة إلى الديار.

ها هو الأثير يحتشد.

وإذ تملكه الخوف من أن يطغى عليه الأثير، دس الجولم يده في جيبه، وقبض على قضيب معدني صغير كان لا يفارقه أبدا. رفعه إلى رأسه وضغطه بقوة على قمة جمجمته، محركا إياه في دوائر صغيرة فوق الطين اليابس.

رتل في صمت وقد أغمض عينيه" :ليس بعد."

تبدد الأثير، للحظة على الأقل، فأعاد القضيب إلى جيبه ومضى قُدُمًا.

بضع بنايات أخرى، وأستطيع أن أتحرر.

أما ساحة البلدة القديمة——والتي تعرف في براغ باسم ستاروماك——فقد كانت موحشة في ذلك الصباح المظلم، إلا من زوج من السائحين كانا

يتشبثان بفطائر السكر المحروق، وقد رفعا بصريهما نحو الساعة الفلكية الشهيرة التي تعود إلى العصور الوسطى .وفي كل ساعة، كان هذا الأثر الزمني العتيق يقدم "مسيرة الرسل"، وهي موكب مرتعش من القديسين تتناوب على الظهور والاختفاء في حركة آلية من خلال نافذتين صغيرتين في وجه الساعة.

تدور على غير هدى منذ القرن الخامس عشر، وما زالت تجتذب قطعان السذج لمشاهدة هذا المشهد المكرور، هكذا حدث الجولم نفسه.

وحين مر الجولم بالزوجين، لمحاه فشهقا في دهشة لا إرادية وتراجعا إلى الوراء. لقد ألف ردة الفعل هذه من الغرباء، فقد كانت تذكره بأن له كيانا ماديا، حتى وإن كانوا لا يبصرون حقيقته.

أنا الجولم. لست من عالمكم.

كان الجولم يشعر أحيانا وكأنه منفلت من كل قيد، كأنه يوشك أن يسبح في الفضاء، ولذا كان يجد متعة في أن يسدل على هيكله الفاني أردية ثقيلة. فوزن العباءة والحذاء ذي النعل الغليظ كان يؤكد على قوة الجاذبية، ويشده إلى الأرض وتدا. لقد جعله رأسه الملطخ بالطين وعباءته ذات القلنسوة كيانًا غريبًا يبعث على الرهبة، حتى في مدينة مثل براغ اعتاد أهلها رؤية الأزياء التنكرية في الليل.

بيد أن ما جعل من الجولم مشهدًا يأسر الأبصار حقًا، هي تلك الأحرف العتيقة الثلاثة المنقوشة على جبهته... محفورة في الطين بسكين معجون .

אמת

تلك الأحرف العبرية الثلاثة—آلف، ميم، تاف—والتي تُقرأ من اليمين إلى اليسار، تهجئ كلمة إيميت.

الحقيقة.

الحقيقة هي ما أتت بالجولم إلى براغ .والحقيقة هي ما كشفته له الدكتورة جيسنر في هذه الليلة—اعتراف مفصل بالفظائع التي ارتكبتها هي وشركاؤها في أغوار الأرض تحت براغ .لقد كانت جرائمهم بغيضة، ومع ذلك فقد تضاءلت فظاعتها أمام ما كانوا يخططون له في المستقبل القريب.

سأدمر كل شيء*، قال لنفسه *.سأحيله إلى ركام.

وتخيل الجولم صنيعهم الأسود ...وقد مُحي عن بكرة أبيه... ولم يبق منه سوى فجوة مدخنة في جوف الأرض. ورغم أنها كانت مهمة عسيرة، إلا أنه كان على ثقة من قدرته على إنجازها. فقد كشفت له الدكتورة جيسنر كل ما كان بحاجة إلى معرفته.

علي أن أتصرف بسرعة، فنافذة الفرصة ضيقة، هكذا قال لنفسه، والفكرة بدأت تتبلور في ذهنه.

انعطف الجولم الآن إلى الجنوب الشرقي، مبتعدا عن الساحة، باحثا عن الزقاق الضيق الذي يلتوي نحو شقته. كان حي البلدة القديمة أشبه بمتاهة من الممرات التي اشتهرت بحياتها الليلية الصاخبة وحاناتها المميزة—مقهى تينسكا الأدبي للكتاب والمثقفين، وحانة أنونيموس للقراصنة ومحبي الألغاز، وحانة هيمنجواي للطبقة الراقية وخبراء الكوكتيل. وبالطبع، كان متحف آلات الجنس يظل مفتوحا حتى وقت متأخر، جاذبا حشود المتلصصين حتى الساعات المتأخرة من الليل.

وبينما كان الجولم يشق طريقه عبر شبكة الأزقة، لم يجد نفسه يفكر في الأهوال التي أنزلها قبل قليل بالدكتورة بريجيتا جيسنر، ولا في المعلومات المروعة التي انتزعها منها—بل وجد نفسه يفكر فيها هي.

كان يفكر فيها على الدوام.

أنا حاميها.

أنا وهي جسيمان متشابكان، متضافران إلى الأبد.

كانت غايته الوحيدة على هذه الأرض هي حمايتها، ومع ذلك لم تكن هي تعلم شيئا عن وجوده. ورغم ذلك، كان زمن خدمته لها شرفا عظيما.

فحمل أعباء الآخرين هو أنبل الدعوات؛ أما أن يفعل المرء ذلك في الخفاء، دون أي تقدير على الإطلاق... فتلك لعمري ذروة الحب الخالص الذي ينكر الذات.

إن الملائكة الحارسة تتخذ أشكالا شتى.

لقد كانت امرأة واثقة غافلة، علقت دون أن تدري في عالم من العلوم المظلمة. لم تكن ترى أسماك القرش تحوم من حولها. وقد قتل الجولم واحدا من تلك القروش هذه الليلة، لكن رائحة الدماء قد انتشرت في الماء. فقوى جبارة ستنبثق قريبا من الأعماق لتعرف ما الذي جرى... ولتضمن سرية صنيعهم.

سيفوتكم الأوان*، فكر في نفسه .*فبيت الأهوال الذي شيدوه تحت الأرض سينهار قريبا تحت وطأة خطاياه... ضحية لبراعته ذاتها.

وبينما كان يواصل السير في الشوارع التي كساها الثلج، شعر الجولم بالأثير يعود، ويتكاثف من حوله. مرة أخرى، دلك القضيب المعدني برأسه.

***قريبا*، وعد نفسه.**

في لندن، كان أمريكي يدعى السيد فينش يلمع نظارة من طراز كارتييه بانثر، ويمشي جيئة وذهابا في مكتبه الفاخر. لقد تحول نفاد صبره إلى قلق عميق.

"أين جيسنر بحق الجحيم؟ لمَ لا أستطيع الوصول إليها؟"

كان يعلم أن عالمة الأعصاب التشيكية قد حضرت محاضرة كاثرين سولومون الليلة الماضية في قلعة براغ، وأنها أرسلت له بعدها رسالة مقلقة بشأن الكتاب الذي ستنشره سولومون قريبا. لم تكن أخبارا سارة. وقد وعدت جيسنر بالاتصال بفينش لاطلاعه على آخر المستجدات.

حتى الآن، لم يتلق فينش منها أي خبر، وقد قارب الفجر على البزوغ.

لقد راسلها واتصل بها مرارا وتكرارا دون جدوى.

لقد مرت ست ساعات ...جيسنر دقيقة في عملها—وهذا أمر لا يشبهها على الإطلاق.

وبما أن السيد فينش قد ارتقى إلى قمة مهنته باتباعه لحدثه، فقد تعلم أن يصغي إلى بصيرته. ولسوء الحظ، كانت غرائزه تخبره الآن أن أمرا ما في براغ قد انحرف انحرافا خطيرا عن مساره.

الفصل الثالث

كان هواء الشتاء يلفح الوجوه ببرده المنعش، فيبث في الأبدان نشاطًا وفتوة، حينما انطلق روبرت لانغدون يعدو جنوبًا في شارع كريزوفنيكا، وقد ترك خلفه على الغطاء الثلجي الرقيق الذي يكسو الرصيف أثرًا وحيدًا لخطواته الواسعة.

لطالما سحرت مدينة براغ فؤاده، فكانت في عينيه لحظة من الزمان قد تجمدت. لمّا كانت الأضرار التي لحقت بها في الحرب العالمية الثانية أقل بكثير مما أصاب غيرها من مدن أوروبا، فقد احتفظت عاصمة بوهيميا التاريخية بأفق سماوي أخّاذ، ما يزال يتلألأ بكل روائع عمائره الأصلية، في مزيج فريد منيف، ونماذج لم تمسسها يد الحدثان من الطرز الرومانسكية والقوطية والباروكية، وفن "الآرت نوفو"، والكلاسيكية المحدثة.

أما لقب المدينة" —— ستوفيزاتا —— "فمعناه الحرفي "ذات المئة برج"، على الرغم من أن عدد أبراجها المستدقة والمخروطية في حقيقة الأمر يناهز السبعمئة. وفي فصل الصيف، كانت المدينة تضيئها أحيانًا ببحر من الأضواء الكاشفة الخضراء؛ في تأثير مهيب يُقال إنه هو الذي أوحى إلى صُنّاع هوليوود بتصويرهم "مدينة الزمرد" في فيلم "ساحر أوز" —— تلك

الوجهة الأسطورية التي، شأنها شأن براغ، كان يُعتقد أنها موطن الإمكانات السحرية.

وبينما كان لانغدون يهرول عابرًا شارع بلاتنيرسكا، تملّكه شعور بأنه يعدو بين صفحات كتاب من كتب التاريخ. فها هي ذي واجهة كلمنتينوم براغ الضخمة تلوح عن يساره، وهي مجمّع يمتد على مساحة هكتارين، ويضم برج المراقبة الذي استخدمه عالما الفلك تيكو براهي ويوهانس كيبلر، فضلاً عن مكتبة باروكية بديعة تحتضن بين جنباتها ما يربو على عشرين ألف مجلد من أدبيات اللاهوت القديمة. كانت هذه المكتبة أحب غرفة إلى نفس لانغدون في براغ، بل لعلها أحب الغرف إليه في أوروبا قاطبة، وقد زار هو وكاثرين أحدث معارضها بالأمس القريب.

والآن، إذ انعطف يمينًا عند كنيسة القديس فرنسيس الأسيزي، استطاع أن يرى أمامه مباشرة المدخل الشرقي لأحد أشهر معالم المدينة، وقد غمرته هالة كهرمانية من ضوء مصابيح الغاز النادرة التي تنفرد بها شوارع براغ.

إنه كارلوف موست —أو جسر تشارلز —الذي أشاد به الكثيرون بوصفه أكثر جسور العالم رومانسية. بُني هذا الجسر من الحجر الرملي البوهيمي، واصطفت على جانبيه ثلاثون تمثالًا لقديسين مسيحيين.

وبامتداده الذي يزيد على نصف كيلومتر فوق نهر فلتافا الهادئ، محميًا عند

طرفيه ببرجي حراسة ضخمين، كان الجسر في يوم من الأيام طريقًا تجاريًا حيويًا يصل بين شرق أوروبا وغربها.

اندفع لانغدون راكضًا عبر القنطرة الكائنة في البرِج الشرقي، ليجد نفسه فجأة أمام بساط من الثلج لم تطأه قدم، يمتد أمامه ناصع البياض. لقد كان الجسر مخصصًا للمشاة وحدهم، ولكن في هذه الساعة، لم يكن عليه أثرٌ لخطوة واحدة.

وخاطب لانغدون نفسه في سرّه: "ها أنا ذا أقف وحدي على جسر تشارلز .يا لها من لحظة فارقة في العمر!". لقد سبق له أن انفرد على هذا النحو في متحف اللوفر بلوحة الموناليزا، ولكن الظروف آنذاك كانت أقل صفاءً من هذه اللحظة بكثير.

اتسعت خطوات لانغدون بعد أن استقر على وتيرة عدوه، وما إن بلغ الضفة الأخرى من النهر حتى كان يجري دونما عناء. وإلى يمينه، متألقةً في الأعالي على خلفية الأفق المعتم، كانت تلمع جوهرة المدينة المتلألئة الأثيرة إلى النفوس.

قلعة براغ.

لقد كانت أكبر مجمّع للقلاع في العالم، تمتد لأكثر من نصف كيلومتر من بوابتها الغربية إلى طرفها الشرقي، وتشغل مساحة تقارب خمسة ملايين قدم

مربعة. وقد ضمت أسوارها الخارجية ست حدائق رسمية، وأربعة قصور منفصلة، وأربع كنائس مسيحية، بما في ذلك كاتدرائية القديس فيتوس العظيمة، التي تُحفظ فيها جواهر تاج بوهيميا، إلى جانب تاج القديس وينسيسلاس، الحاكم المحبوب الذي خُلّدت ذكراه في ترنيمة عيد الميلاد الشهيرة.

وبينما كان لانغدون يمر تحت البرج الغربي لجسر تشارلز، ضحك لنفسه وهو يسترجع ذكرى حدث الأمسية الماضية في قلعة براغ.

حقًا، إن كاثرين لتكون عنيدة حينما تريد.

"تعالَ إلى محاضرتي يا روبرت"!، هكذا قالت له حينما اتصلت به قبل أسبوعين تحثه على المجيء إلى براغ" .إنها فرصة مثالية، ستكون في عطلة الشتاء. والرحلة على حسابي."

تأمل لانغدون عرضها الذي تخللته دعابة. لطالما استمتعا بمغازلة أفلاطونية واحترام متبادل، وكان يميل إلى أن يطلق لنفسه العنان ويقبل دعوتها العفوية.

"لقد أغريتني يا كاثرين، فمدينة براغ مدينة ساحرة، ولكن في الحقيقة"...

فقاطعته قائلة" :دعني أبلغك الزبدة. أنا بحاجة إلى مرافق، حسنًا؟ ها قد قلتها. أحتاج إلى من يرافقني في محاضرتي."

فانفجر لانغدون ضاحكًا" :ألهذا اتصلتِ؟ عالمة ذات شهرة عالمية... وبحاجة إلى من يصحبها؟"

"مجرد زينة لذراعي يا روبرت. فهناك عشاء رسمي للمانحين، ثم سأتحدث في قاعة شهيرة... فلاد... شيء من هذا القبيل."

"قاعة فلاديسلاف؟! في قلعة براغ؟"

"هي بعينها."

أُعجب لانغدون بذلك. ف "سلسلة محاضرات جامعة تشارلز "الفصلية كانت واحدة من أرقى الملتقيات في أوروبا، ولكن يبدو أنها كانت أكثر نخبوية مما تخيل.

"وهل أنتِ واثقة من أنكِ تريدين خبيرًا في الرموز يزين ذراعكِ في عشاء رسمي؟"

"لقد سألتُ كلوني، لكن بزّته الرسمية في المصبغة."

تأوه لانغدون" :أكل علماء **noeticists** بهذه المثابرة؟"

"البارعون منهم فقط"، قالت" .وسأعتبر هذا موافقة منك."

"يا لتغير الأحوال في أسبوعين!"، هكذا جال في خاطر لانغدون، والبسمة لا تزال مرتسمة على شفتيه وهو يصل إلى الطرف الآخر من جسر تشارلز .

لقد كانت براغ بحق عند حسن الظن بها كمدينة ساحرة... محفز ذي قوى عتيقة. لقد حدث شيء ما هنا...

لن ينسى لانغدون أبدًا يومه الأول مع كاثرين في هذا المكان الأسطوري —— حين تاهَا في متاهة من الشوارعِ المرصوفة بالحصى... وانطلقا يعدوان يدًا بيد تحت رذاذ مطر خفيف... ثم احتميا تحت قنطرة في قصر كينسكي بساحة البلدة القديمة... وهناك، لاهثين، في ظلال برج الساعة... كانت قبلتهما الأولى، التي بدت طبيعية بشكل مدهش بعد عقود من الصداقة.

وسواء أكان ذلك بسبب سحر براغ، أم توقيت مثالي، أم بتوجيه من يد خفية، لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة، لكن شرارة قد انقدحت بينهما، فأشعلت كيمياء غير متوقعة، كانت تزداد قوة مع مرور كل يوم.

على الجانب الآخر من المدينة، انعطف "الغولم "منعطفه الأخير ووصل واهنًا إلى مبناه. فتح الباب الخارجي ودلف إلى الردهة المتواضعة لمسكنه.

كان المدخل مظلمًا، لكنه آثر ألا يشعل النور. وبدلًا من ذلك، انساب عبر ممر ضيق إلى درجٍ خفي، صعده في عتمة، متشبثًا بالدرابزين ليهتدي به. كانت ساقاه تؤلمانه، تتمردان عليه وهو يصعد، فحمد الله حين بلغ أخيرًا باب شقته.

وبعد أن نفض الثلج عن حذائه بعناية، فتح "الغولم "الباب ودخل.

كانت شقته محتجبة في ظلام دامس.

تمامًا كما أبدعتُها.

جدرانها الداخلية وسقوفها مطلية بالأسود الخالص، ونوافذها مسدلة بستائر ثقيلة. أما أرضياتها المصقولة فكانت باهتة معتمة لا تعكس ضوءًا، ولم يكن بها من الأثاث إلا النزر اليسير.

ضغط "الغولم "على مفتاح رئيسي، فأضاءت عشرات من الأضواء السوداء في جميع أنحاء الشقة، باعثة توهجًا أرجوانيًا ناعمًا على تلك الأشياء ذات الألوان الشاحبة. كان منزله يبدو كعالم من عوالم أخرى — أثيري ومضيء — فأحس بالسكينة تفيض على نفسه في الحال. كان التحرك في هذا الفضاء يمنحه إحساسًا بأنه ينجرف في فراغ سحيق... يطفو من شيء متلألئ إلى آخر.

إن غياب الضوء واسع الطيف يخلق بيئة "محايدة زمنيًا" — عالمًا لا زمانيًّا لا يتلقى فيه شكله المادي أي إشارات .circadian cues كانت واجبات "الغولم "تقتضي منه العمل في ساعات غير منتظمة، وقد حرر غياب الضوء إيقاعاته الحيوية من تأثيرات الزمن التقليدي. فالجداول الزمنية

المتوقعة كانت ترفًا ينعم به أصحاب النفوس البسيطة... النفوس التي لا تثقلها الأعباء.

إن خدماتي مطلوبة من قبلها في أوقات غير متوقعة —— ليلًا ونهارًا.

شق طريقه عبر الظلمة الشبحيّة، ودخل غرفة ملابسه، حيث خلع عباءته وحذاءه. والآن، وقد تعرى جسده من الرقبة إلى ما دونها، أخذ جلده يتوهج شاحبًا في الضوء الأسود، لكنه تحاشى النظر إليه. كان ملاذه خاليًا من المرايا عن قصد، باستثناء مرآة اليد الصغيرة التي كان يستخدمها لوضع الطين على وجهه.

كانت رؤية قوقعته المادية دائمًا ما تثير قلقه.

هذا الجسد ليس لي.

لقد تجليتُ فيه ببساطة.

خطا "الغولم "حافي القدمين إلى الحمام، حيث فتح صنبور الدش ودلف تحته. وبعد أن نزع قلنسوته المتيبسة بالطين، أغمض عينيه، ورفع وجهه إلى تيار الماء الدافئ. أحس بالماء يطهره إذ كان الطين الجاف يذوب في جداول داكنة تسيل على جسده وتلتف في طريقها إلى البالوعة.

وحين اطمأن "الغولم "إلى أنه قد أزال كل أثر من آثار أنشطته الليلة الماضية، خرج من الدش وجفف نفسه.

كان الأثير يجذبه إليه الآن بقوة أكبر، لكنه لم يمد يده إلى صولجانه.

لقد حان الوقت.

لا يزال عاريًا، شق "الغولم "طريقه عبر الظلام إلى "سفاتينه" —— الغرفة الخاصة التي أنشأها لتلقي هذه الهدية.

في عتمة مطبقة، سار إلى فراش القنب الذي وضعه في منتصف الأرضية. وبكل احترام، استلقى عليه، واضعًا نفسه عاريًا مستويًا على ظهره في مركز الحصيرة تمامًا.

ثم أحكم كرة السيليكون المثقبة chengbaobaby في فمه... وتحرر.

الفصل الرابع

خيّل إليه أنه أول الواصلين إلى هذا المكان أيضًا، هكذا حدّث لانغدون نفسه وهو يبلغ مركز ستراهوف للسباحة في اللحظة التي كان فيها الحاجب يفتح أقفال المبنى. ما عرف لانغدون في حياته ترفًا يفوق متعة أن يخلو له مسبح فسيح، يبلغ طوله خمسة وعشرين مترًا، وحده دون سواه. اهتدى إلى خزانته التي استأجرها، وانسل في ثوب سباحته من طراز**Speedo** ، ثم اغتسل على عجل، وتناول نظارتي الغوص من طراز**Vanquisher** ، وشق طريقه إلى حوض السباحة.

كانت مصابيح الفلورسنت العلوية قد بدأت بالكاد تبث ضوءها، ولا تزال ظلمة غالبة على القاعة. وقف لانغدون وقد لامست أصابع قدميه حافة المسبح، وأرسل بصره إلى صفحة الماء الصقيلة الممتدة أمامه، والتي بدت كمرآة سوداء مترامية الأطراف.

"معبد أثينا"، هكذا جال في خاطره، مستدعيًا ذكرى الإغريق القدماء الذين كانوا يمارسون ضربًا من الكهانة يُدعى "الكاتوبترومانسي"، وذلك بالنظر في أحواض الماء الداكنة لاستجلاء أقدارهم. ثم استدعى في ذهنه صورة كاثرين وهي غارقة في نومها في غرفتهما بالفندق، وتساءل في قرارة نفسه: "أتراها

قد تكون مستقبله؟". كانت فكرة تثير في نفسه، وهو العازب القانع بعزلته، مزيجًا من الرهبة والإثارة.

أحكم لانغدون نظارتي الغوص على عينيه، واستجمع نفسًا عميقًا، ثم ألقى بجسده فوق الماء، فشق سطحه كما يشق النصل الحرير. ومضى تحت الماء منسابًا ثانيتين، ثم اندفع لعشرة أمتار بحركة الدولفين المتموجة قبل أن يطفو على السطح ويشرع في السباحة الحرة.

ألقى لانغدون بتركيزه كله على إيقاع أنفاسه، فغاص في تلك الحالة شبه التأملية التي كانت السباحة تمنحه إياها على الدوام. استرخت عضلاته المفتولة، وغدا جسده انسيابيًا رشيقًا، يشق الظلام إلى الأمام بخفة وقوة تثير الإعجاب في رجل قد جاوز الخمسين.

عادةً ما كانت السباحة تفرغ عقل لانغدون من كل شواغله، بيد أن عقله هذا الصباح، حتى بعد أن قطع أربعة أشواط، كان يموج بالخواطر...
مسترجعًا لحظات من محاضرة كاثرين الآسرة في الليلة الفائتة.

"إن وعيكم ليس من صنع أدمغتكم. بل إن وعيكم ليس قابعًا داخل رؤوسكم أصلًا".

أثارت تلك الكلمات فضول كل من كان حاضرًا، ومع ذلك، كان لانغدون يدرك أن محاضرتها لم تلامس إلا قشور ما سيحويه كتابها المرتقب.

"إنها تزعم أنها توصلت إلى كشف مذهل".

لقد كان كشف كاثرين –أيًا كانت ماهيته – سرًا مكتومًا. لم تبح به لأحد بعد، ولا حتى للانغدون نفسه، وإن كانت قد ألمحت إليه مرارًا في الأيام الأخيرة، وأفضت إليه بأن بحثها الذي أجرته من أجل كتابها قد قادها إلى إنجاز علمي باهر. وبعد محاضرتها ليلة أمس، شعر لانغدون بشعور متنامٍ بأن كتاب كاثرين قد يحمل في طياته إمكانات تفجيرية هائلة.

"إنها لا تخشى إثارة الجدل"، هكذا فكر لانغدون، وقد استمتع بمشاهدتها وهي تستفز مشاعر التقليديين في جمهور الحاضرين.

"للعلم تاريخ طويل من النماذج المعيبة"، هكذا أعلنت بصوت دوى في أرجاء قاعة فلاديسلاف" .نظرية الأرض المسطحة، والنظام الشمسي الذي تتوسطه الأرض، والكون في حالته الثابتة... كل هذه نظريات زائفة، وإن كانت في وقت من الأوقات تُعتبر حقائق مسلمًا بها ويُعتقد في صحتها. ولحسن الحظ، فإن منظوماتنا الفكرية تتطور حين تواجه ما يكفي من التناقضات التي لا تجد لها تفسيرًا".

أمسكت كاثرين بجهاز تحكم عن بعد، فدبت الحياة في الشاشة خلفها، عارضةً نموذجًا فلكيًا من القرون الوسطى، يصور الأرض في مركز النظام الشمسي" .لقرون عديدة، كان هذا النموذج الذي تتوسطه الأرض مقبولًا

كحقيقة مطلقة. ولكن مع مرور الزمن، لاحظ الفلكيون حركة كوكبية لا تتسق مع ذلك النموذج. ثم تكاثرت الشذوذات وأصبحت من الوضوح والجلاء بمكان حتى إننا "...نقرت على الزر مرة أخرى" .بنينا نموذجًا مختلفًا ".عرضت الشاشة الآن رسمًا حديثًا للنظام الشمسي تتوسطه الشمس" .هذا النموذج الجديد فسر جميع الظواهر الشاذة، وأصبحت مركزية الشمس الآن هي حقيقتنا المقبولة".

جلس الجمهور صامتًا بينما كانت كاثرين تتقدم إلى مقدمة المسرح.

"وبالمثل، "قالت، "كان هناك زمن يُقابل فيه طرح كروية الأرض بالضحك والسخرية، بل وبالهرطقة العلمية. ففي نهاية المطاف، لو كانت الأرض كروية، ألن تفيض المحيطات؟ ألن يكون الكثير منا معلقين رأسًا على عقب؟ ولكن، شيئًا فشيئًا، بدأنا نرى ظواهر لا تتفق مع نموذج الأرض المسطحة — ظل الأرض المنحني في خسوف القمر، والسفن التي تبتعد في الأفق فتختفي من أسفلها إلى أعلاها، ثم بالطبع، دوران ماجلان حول الكرة الأرضية ". ابتسمت وقالت" :عفوًا. لقد حان وقت نموذج جديد".

أومأ الحاضرون برؤوسهم مشاركين إياها في تلك الدعابة الخفية.

"سيداتي وسادتي، "قالت بنبرة رزينة، "أعتقد أن تطورًا مماثلًا يحدث الآن في مجال الوعي البشري. إننا على وشك أن نشهد تغيرًا جذريًا في فهمنا لكيفية عمل الدماغ، ولطبيعة الوعي، وفي الحقيقة... لطبيعة الواقع نفسه".

"ليس كمثل الطموح إلى المعالي طموح"، هكذا فكر لانغدون.

"وكما هي الحال مع كل المعتقدات البالية، "قالت، "يجد نموذج الوعي البشري المقبول اليوم نفسه في مواجهة مد متصاعد من الظواهر التي يعجز ببساطة عن تفسيرها... ظواهر وثّقتها مختبرات العلوم العقلية حول العالم بدقة متناهية، وشهدها البشر لقرون. ورغم ذلك، لا يزال العلم التقليدي يرفض التعامل مع وجود هذه الظواهر أو حتى قبول حقيقتها. وبدلًا من ذلك، فإنه يهونها بوصفها مجرد مصادفات وشذوذات، ويصنفها تحت عنوان استخفافي هو 'الظواهر الخارقة'، والذي أصبح اختصارًا لعبارة 'ليست من العلم في شيء".'

أثار التعليق عدة همهمات من مؤخرة القاعة، لكن كاثرين واصلت حديثها دون أن يزعجها ذلك" .في الواقع، أنتم جميعًا على دراية تامة بهذه الظواهر الخارقة، "أعلنت" .إنها تحمل أسماء مثل ...ESP التنبؤ بالمستقبل... التخاطر... الاستبصار... تجارب الخروج من الجسد. وعلى الرغم من وصفها بأنها 'خارقة' للطبيعة، إلا أنها في الحقيقة طبيعية تمامًا. إنها تحدث

كل يوم، سواء في مختبرات العلوم ضمن تجارب مضبوطة بعناية... أو في العالم الواقعي أيضًا".

خيم على القاعة الآن صمت مطبق.

"السؤال ليس ما إذا كانت هذه الظواهر حقيقية، "قالت كاثرين . "فالعلم قد أثبت أنها كذلك. السؤال هو... لماذا يظل الكثير منا أعمى عنها؟"

ضغطت على زر، فظهرت صورة على الشاشة خلفها. شبكة هيرمان. تعرف لانغدون على ذلك الوهم البصري الشهير الذي تبدو فيه نقاط سوداء تظهر وتختفي اعتمادًا على الموضع الذي تركز فيه نظرك في الرسم.

بدأ الجمهور يختبر التأثير، وسرت همهمة دهشة في أنحاء القاعة.

"

أريكم هذا لسبب بسيط – لأذكرنا بأن الإدراك البشري مليء بالبقع العمياء، "اختتمت كاثرين" .أحياناً نكون مشغولين جدًا بالنظر في الاتجاه الخاطئ... حتى إننا لا نرى ما هو ماثل أمام أعيننا".

كانت سماء الصباح لا تزال حالكة السواد حين غادر لانغدون مركز السباحة وعاد أدراجه منحدرًا من التل. لقد تركته خلوته المائية التي دامت ثلاثين دقيقة في حالة من السكينة، وسرعان ما أصبحت مسيرته المنفردة عائدًا إلى الفندق جزءًا من أحب أوقاته في اليوم. وعندما اقترب من النهر، كانت الساعة الرقمية على مركز المعلومات السياحية تشير إلى 6:52 صباحًا.

"لا يزال في الوقت متسع"، هكذا قال لانغدون لنفسه، وما زال يأمل أن يعود إلى الفراش مع كاثرين ويقنعها بإلغاء اجتماعها في الساعة الثامنة صباحًا مع بريغيتا غيسنر .لقد ضغطت عالمة الأعصاب تلك على كاثرين بقوة لتأتي إلى مختبرها في جولة هذا الصباح، وكانت كاثرين من التهذيب بحيث لم تستطع الرفض.

عندما وصل لانغدون إلى جسر تشارلز، رأى أن غطاء الثلج الناعم لم يعد ناصعًا، بل تناثرت عليه آثار أقدام آخرين من المبكرين. وعندما ولج الجسر، ارتفع برج جوديث على يمينه، وهو الجزء الوحيد المتبقي من البناء الأصلي الذي يعود إلى القرون الوسطى .وعلى مسافة، كان يقف برج الحراسة "الجديد" الذي يعود إلى القرن الرابع عشر، حيث كانت الرؤوس المقطوعة تُعرض في يوم من الأيام على الرماح تذكيرًا لكل من تسول له نفسه تحدي حكم آل هابسبورغ.

"يقولون إنك لا تزال تسمع أنين آلامهم وأنت تمر من هنا".

كانت كلمة" براغ "تعني حرفيًا "العتبة"، ولطالما شعر لانغدون بأنه يعبر عتبة ما في كل مرة يأتي فيها إلى هنا. فلقرون، كانت هذه المدينة الساحرة غارقة في التصوف والأشباح والأرواح. وحتى اليوم، تدعي الكتيبات الإرشادية أن للمدينة هالة خارقة للطبيعة يمكن أن يشعر بها كل من يفتح لها قلبه.

"لست منهم على الأرجح"، هكذا كان لانغدون يعلم، مع أنه كان عليه أن يعترف بأن جسر تشارلز بدا هذا الصباح وكأنه من عالم آخر، حيث كان الثلج المتساقط يلقي بهالات شبحية حول مصابيح الغاز.

لقرون، كانت هذه المدينة مركز أوروبا للسحر والتنجيم. فقد كان ملك براغ رودولف الثاني يمارس سرًا علوم التحويل في مختبره تحت الأرض المسمى

Speculum Alchemiae وسافر إليها المستبصران جون دي وإدوارد كيلي لعقد جلسات استحضار للأرواح ومحادثة الملائكة. وُلد وعمل هنا الكاتب اليهودي الغامض فرانز كافكا، وكتب رائعته السريالية المظلمة "المسخ."

وبينما واصل لانغدون سيره عبر الجسر، وقعت عينه على فندق فور سيزونز في الأفق، جاثمًا على ضفة النهر مباشرة، ومياه نهر فلتافا العميقة تلامس أساساته وفوق السطح المتلألئ، كانت نوافذ جناحهما في الطابق الثاني لا تزال مظلمة.

"لا تزال كاثرين نائمة"، فكر، ولم يفاجئه ذلك على الإطلاق بالنظر إلى الكابوس الذي أبقاها مستيقظة معظم الليل.

بعد أن قطع نحو ثلث الجسر الضخم، مر لانغدون بتمثال القديس جون نيبوموك البرونزي. "لقد قُتل في هذا المكان ذاته"، فكر وهو يشعر بقشعريرة .بعد أن أمره الملك بكسر نذر سرية الاعتراف والكشف عن اعترافات الملكة الخاصة، رفض الكاهن، فأمر الملك بتعذيبه وإلقائه من فوق الجسر.

كان لانغدون غارقًا في أفكاره عندما لفت انتباهه مشهد غير مألوف أمامه. في منتصف الجسر تقريبًا، كانت امرأة ترتدي السواد بالكامل تقترب منه.

خمن لانغدون أنها عائدة من حفلة تنكرية لأنها كانت ترتدي غطاء رأس غريبًا – نوعًا من التاج ذي ستة أشواك سوداء رفيعة تنبعث مباشرة من جمجمتها، وتنتشر إلى الأعلى والخارج، وتحيط برأسها، مثل...

شعر لانغدون بقشعريرة. "تاج مشع؟"

كانت المصادفة الغريبة لرؤية تاج مشع هذا الصباح مدهشة ومقلقة بعض الشيء، لكن لانغدون ذكّر نفسه بأن التنكر بأزياء غريبة أمر شائع في براغ.

ولكن كلما اقتربت، ازداد المشهد غرابة. بدت المرأة ذات الهالة الشائكة وكأنها في غشية، تمشي مشية الموتى، وعيناها الواسعتان كعيني ظبية تحدقان في الفراغ بلا هدى. كان لانغدون على وشك أن يسألها إن كانت بخير عندما لاحظ ما كانت تحمله في يدها.

توقف فجأة عند رؤيته.

"لكن هذا... مستحيل"!

كانت المرأة تقبض على رمح فضي.

"تمامًا كما في كابوس كاثرين"...

حدق لانغدون في السلاح المدبب، متسائلًا في الحال عما إذا كان هو الآن يحلم. وعندما أصبحت المرأة بمحاذاته، أدرك لانغدون أنه قد توقف عن

المشي، وقد شلّه ارتباكه. استعاد رباطة جأشه، واستدار ونادى على المرأة، محاولًا لفت انتباهها.

"عفوًا "!قال فجأة" .يا آنسة؟"!

لم تتوقف خطوتها، وكأنها لا تسمعه.

"مرحبًا "!صاح لانغدون، واقفًا في مكانه، لكن المرأة مرت بجواره كطيف... كروح عمياء تجرها قوة خفية عبر الجسر.

استدار لانغدون ليلحق بها، لكنه لم يتقدم سوى خطوتين قبل أن يتجمد في مكانه، وهذه المرة، أوقفته رائحة نتنة.

كانت تفوح في أعقاب ذلك الطيف رائحة لا تخطئها حاسة الشم.

رائحة... الموت.

كان للرائحة الكريهة تأثير فوري على لانغدون .غمره الخوف.

"يا إلهي، لا ...كاثرين"!

مدفوعًا بغريزة لا سبيل إلى كبحها، استدار لانغدون مبتعدًا، وأخذ يبحث بجنون عن هاتفه في جيبه بينما انطلق يعدو بأقصى سرعة على امتداد جسر تشارلز .وبينما كان يركض باتجاه الفندق، وضع الهاتف على فمه وصاح :

"مرحبًاSiri ، اتصلي برقم واحد واحد اثنان"!

بحلول الوقت الذي تم فيه الاتصال، كان لانغدون قد عبر الجسر ووصل إلى شارع كريزوفنيكا" .واحد واحد اثنان،" أعلن صوت" .ما هي حالة الطوارئ لديكم؟"

"فندق فور سيزونز براغ "!صاح لانغدون وهو ينعطف يسارًا ويسرع على الرصيف المظلم نحو الفندق" .عليكم إخلاء المبنى! الآن"!

"عفوًا، ما اسمك من فضلك؟"

"روبرت لانغدون، أنا أم"...

برزت سيارة أجرة من مرآب أمامه، فاصطدم بجانبها بقوة، وسقط هاتفه على الشارع المكسو بالثلج. التقطه وواصل الركض، لكن المكالمة كانت قد انقطعت. لم يكن ذلك مهمًا؛ فمدخل الفندق كان أمامه مباشرة.

اندفع إلى الردهة لاهثًا، ولمح المدير فناداه" :يجب على الجميع الخروج"!

كان ضباط الشرطة قد غادروا، لكن حفنة من النزلاء الذين كانوا يستمتعون بقهوة الصباح نظروا إليه في دهشة.

"الجميع في خطر "!صاح لانغدون مرة أخرى للمدير" .اخرجوا"!

هرع الرجل نحوه، وقد بدا عليه الرعب" .بروفيسور، أرجوك! ما الخطب؟"!

كان لانغدون يركض بالفعل نحو جرس إنذار الحريق على الحائط. وبدون تردد، حطم الزجاج وسحب الذراع.

على الفور، دوت أجراس الإنذار.

اندفع لانغدون خارج الردهة وركض في الممر الطويل المؤدي إلى الملحق حيث يقع جناحهما. وعندما وصل إلى الجزء الخلفي من الفندق، تخطى المصعد وصعد درجين إلى البهو الخاص، وفتح قفل الجناح الملكي، واقتحم المكان، ونادى بهياج في الظلام.

"كاثرين! استيقظي! الحلم الذي رأيته "!...ضغط على مفتاح الإضاءة الرئيسي وركض إلى غرفة النوم. كان السرير خاليًا. "أين هي؟!" ركض إلى الحمام. لا شيء. وفي يأس، بحث في بقية الجناح.

"ليست هنا؟"!

في تلك اللحظة، بدأ جرس كنيسة قريب يدق بحزن.

ملأ الصوت لانغدون برعب طاغٍ. أخبره شيء ما بأنه لن ينجح أبدًا في الخروج من الفندق في الوقت المناسب. وخوفًا على حياته، وتحت تأثير الأدرينالين، ركض إلى النافذة الكبيرة ونظر إلى مياه نهر فلتافا العميقة.

كان سطح النهر الناعم الداكن يقع تحته مباشرة.

دق الجرس بصوت أعلى.

حاول أن يفكر، لكن لم يكن هناك تفكير، بل غريزة بشرية جارفة – غريزة البقاء.

دون تردد، فتح لانغدون النافذة بقوة وصعد إلى عتبتها. لم تفلح صفعة الهواء القارس وذرات الثلج المتطايرة التي لسعته في تهدئة ذعره.

"إنه خيارك الوحيد".

خطا إلى حافة عتبة النافذة.

ثم، أخذ نفسًا عميقًا، وألقى بنفسه في الظلام.

الفصل الخامس

شهق روبرت لانغدون شهقةً كادت تزهق معها أنفاسه.

لقد صعقت مياه نهر فلتافا الجليدية كيانه كله حتى كاد يصيبه الشلل، وبينما هو يجاهد ليظل طافيا على السطح، أحس بثقل ثيابه المبتلة يتهدده بالغرق ويهوي به إلى القاع السحيق.

كاثرين...

رفع لانغدون بصره إلى نافذة الطابق الثاني التي قفز منها، فالانفجار الذي كان يخشاه ويترقب وقوعه... لم يقع. لقد ظل فندق فور سيزونز شامخا في مكانه، قائما على حاله لم يمسه سوء.

وعلى الوهج القاسي لأضواء الطوارئ، كان نزلاء الفندق يتدفقون الآن من المخرج الجانبي إلى شرفة فسيحة تطل على أرصفة رسوّ القوارب الخاصة بالفندق، والتي كانت تبرز ممتدة في قلب النهر.

وبينما كان يصارع الأمواج ليضرب الماء بقدميه ويديه، أدرك لانغدون فجأة أن التيار يسحبه بعيدا، وأن رصيف الفندق هو فرصته الوحيدة للنجاة والخروج من الماء قبل أن يجرفه التيار إلى مصيره المحتوم.

حاول جاهدا أن يطرد عن نفسه نوازع الهلع، وشرع يسبح سباحة حرة نحو الرصيف، ولكنه لم يكد يقوى على رفع ذراعيه، فقد كانت سترته المبللة كالمرساة التي تشده إلى الأسفل. وبدأت برودة الماء القارسة تقبض شراايينه، فشعر لانغدون بأولى نذائر انخفاض حرارة جسده في ذلك الألم الذي سرى في أوصاله، نافذا إلى كاحليه ورسغيه.

اسبح يا روبرت...

لجأ إلى سباحة الصدر المتعثرة، وراح يصارع التيار العاتي، محاولا شق طريقه نحو رصيف الفندق. ألقى نظرة إلى ما ورائه، فتملكه الخوف من أن يُسحب إلى الشلال الذي لا يبعد كثيرا عن مجرى النهر، على الرغم من أنه كان يعلم أنه سيفقد وعيه ويغوص في الأعماق قبل أن يصل إلى حافته بوقت طويل.

ادفع، عليك اللعنة!

وبينما كانت ذراعاه تمزقان صفحة الماء، اشتعلت في ذهنه صورة تلك المرأة الشبحية التي كانت تعتمر هالة سوداء مشعة. لقد كان غطاء الرأس ذاك مجرد مصادفة مذهلة... ولكن ماذا عن رمحها؟ ورائحة الموت تلك؟

محال.

أمر يستعصي على التفسير.

وللحظة خاطفة، تساءل لانغدون عما إذا كان لا يزال نائما، غارقا في كابوس حي كهذا الذي راود كاثرين الليلة الماضية. كلا. إن هذا البرد القارس الذي ينهش لحمه، وخفقان قلبه المذعور، يؤكدان له أنه مستيقظ تماما. وكما يشهد كل من سقط في بركة متجمدة، فإن الانخفاض الحاد في حرارة الجسم يجلب معه تتابعا فريدا من الحالات الذهنية: الصدمة، ثم الذعر، ثم التأمل، وأخيرا، التسليم والقبول.

همس لنفسه: استغل هذا الذعر. اسبح بقوة أكبر.

مال لانغدون بزاوية مع التيار، وسبح سباحة متعثرة في اتجاه الرصيف، محاولا أن يتجاهل ألمه الذي كان يزداد شدة وقسوة. ومع كل دفعة، كان الألم يشتد، على الرغم من أن صوت إنذار الفندق كان يبدو أعلى فأعلى.

أقرب. لقد آلمت المياه المتجمدة عينيه، وبدأ بصره يخبو ويتلاشى.

لقد اقترب الرصيف الآن، كتلة داكنة في وهج أضواء الأمن، فحث لانغدون نفسه على المضي قدما، مستجمعا آخر ما تبقى من قوته. وعندما تحسست يده شيئا صلبا، كادت أنامله المخدرة لا تشعر بالخشب الخشن، فضلا عن أن تقبض عليه. سحب نفسه متشبثا بيديه على امتداد الرصيف حتى وصل إلى السلم المعدني الصغير المثبت هناك. وباستنفاد آخر ذرة من

قوته، رفع نفسه إلى أعلى، وسقط كجثة هامدة على سطح الرصيف، وثيابه المبللة تنضح الماء من حوله في كل مكان.

استلقى لانغدون بلا حراك، يرتجف من البرد وقد خارت قواه، وهو يعلم أنه لا يزال في خطر محدق.

سأتجمد سريعا هنا. يجب أن أجد الدفء.

زحف على ركبتيه ورفع بصره إلى الفندق. كانت الشرفة قد غصت بالنزلاء، وكثير منهم يرتدون أردية الحمام، واقفين في الثلج. استدار ونظر إلى الخلف نحو جسر تشارلز، الذي بدا كبطاقة بريدية، بمصابيحه الغازية التي تتوهج بدفء في الثلج المتساقط.

لقد رأيت ما رأيت.

سمع لانغدون وقع أقدام تقترب مسرعة على الرصيف.

صاح مدير الفندق وقد وصل إليه بعينين زائغتين" :السيد لانغدون "!انزلق متوقفا على السطح المغطى بالثلج" .هل أنت بخير يا سيدي؟! ماذا حدث هنا؟"!

أومأ لانغدون برأسه" .لقد... ظننت... أن هناك"...

"حريقا؟"!

هز لانغدون رأسه نافيا وهو يرتعش من البرد" .لا"...

"إذن لماذا أطلقت جرس الإنذار؟ "!لقد كانت نبرة الرجل التي تتسم باللطف عادة، حادة غاضبة.

"ظننت... أن هناك خطرا".

"من ماذا؟"!

جاهد لانغدون لينهض ويجلس. كان رأسه يخفق بشدة، وشعر بأن برودة جسده قد بدأت تستفحل.

أسرع حارس أمن الفندق بالنزول إلى الرصيف وانضم إليهما. انحنى الرجل المفتول العضلات وجذب لانغدون بقسوة ليوقفه على قدميه، رافعا إياه بقبضة قوية من تحت إبطيه. لم يكن لانغدون متأكدا مما إذا كان الحارس يساعده على النهوض أم يقيده.

كرر المدير سؤاله وهو يحدق فيه باهتمام" :لماذا أطلقت جرس الإنذار يا سيدي؟"

أجاب لانغدون وقد بدأت أسنانه تصطك" :أنا آسف... لقد كنت... مرتبكا".

"بسبب الشرطة في البهو؟ لقد أخبرتك أن الأمر لا يستدعي القلق "!بدا المدير وكأنه بالكاد يتمالك نفسه" .أريد أن أعرف، هل العودة إلى الداخل آمنة؟"

رأى لانغدون النزلاء لا يزالون يتدفقون من مخرج الطوارئ الخلفي، ولم يسعه إلا أن يتخيل الفوضى العارمة عند المدخل الرئيسي للفندق. لا يمكنني أن أشرح لهم هذا. سيظنون أنني مجنون.

قال المدير وقد تحولت نبرته المحبطة الآن إلى غضب أشد" :بروفيسور لانغدون، أريد إجابة! لدي أربعمئة نزيل يقفون في الخارج في الثلج. هل المبنى آمن؟ نعم أم لا! هل يمكن لنزلائنا العودة إلى الداخل؟"

رأى لانغدون مرة أخرى صورة المرأة التي تعتمر التاج الأسود المشع... والرمح الفضي... ورائحة الموت النتنة. لا بد أن هناك تفسيرا آخر. إن العالم لا يسير على هذا النحو! تمالك نفسك يا روبرت.

أومأ لانغدون برأسه أخيرا" .نعم... أعتقد أنه آمن. أنا آسف جدا. كما قلت... كنت مرتبك"ــــ

قال المدير للحارس"!Vypněte alarm" :، فأفلت الحارس لانغدون فجأة. وبينما كان لانغدون يترنح على ساقين مرتعشتين، أخرج الحارس

جهازا لاسلكيا وأخذ يصدر الأوامر، في حين أجرى مدير الفندق مكالمة على هاتفه المحمول.

في غضون ثوان، صمتت أجهزة الإنذار، وحل محلها عواء بعيد لسيارات الطوارئ المقتربة. أغمض المدير عينيه، وأخذ نفسا عميقا، ثم زفره ببطء من بين شفتين مضمومتين. ثم أعاد فتح عينيه ونفض بهدوء رقاقات الثلج عن بدلته الداكنة.

همس من بين أسنان مطبقة" :بروفيسور لانغدون، يجب أن أستقبل السلطات. سيساعدك حارس الأمن للوصول إلى غرفتك. لا تذهب إلى أي مكان. ستحتاج السلطات إلى التحدث معك".

أومأ لانغدون برأسه متفهما.

وبينما انصرف المدير مسرعا، قاد الحارس لانغدون عبر مدخل خدمة أصغر إلى درجٍ خلفي. كان حذاء لانغدون الرياضي يصدر صوتا مع كل خطوة بينما كان الرجلان يصعدان إلى الجناح الملكي. كان الباب مفتوحا، والأنوار مضاءة، تماما كما تركه لانغدون.

أمر الحارس قائلا وهو يشير إلى داخل الغرفة."**Zůstaňte tady**" :

لم يكن لانغدون يتحدث اللغة التشيكية، لكن لغة جسد الحارس كانت واضحة تماما. ادخل ولا تخرج. أومأ لانغدون ودخل الجناح وحده، وأغلق الباب خلفه.

كانت النافذة الكبيرة التي قفز منها لا تزال مفتوحة على مصراعيها، وباقة الزهور على حافتها قد بدأت تذوي بالفعل من البرد القارس. لقد كانت زهور التوليب الحمراء والبيضاء والزرقاء هدية من السفيرة الأمريكية إلى كاثرين تكريما لمحاضرتها المرتقبة، حيث كانت ألوانها ترمز إلى علمي أمريكا والتشيك معا.

أغلق لانغدون النافذة، وتذكر بشكل كئيب أن ممارسة "الديفنستريشن"—وهي إلقاء الضحية من نافذة عالية—قد أشعلت شرارة كل من حروب الهوسيين وحرب الثلاثين عاما. لحسن الحظ، كانت نافذة فندق لانغدون أقل ارتفاعا بكثير من برج قلعة براغ، وعلى الرغم من المتاعب التي سببها هذا الصباح، شك لانغدون في أنه قد أشعل أي حروب.

يجب أن أتحدث إلى كاثرين ...وأخبرها بما رأيت.

لقد كان اللقاء على جسر تشارلز مربكا أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يتذكره لانغدون، وعلى الرغم من انفتاح كاثرين على كل ما هو "خارق للطبيعة"، شك لانغدون في أنه حتى هي سيكون لديها تفسير لذلك.

على أمل أنها ربما تكون قد أرسلت رسالة نصية لتخبره بأنها خرجت من الفندق بسلام، مد لانغدون يده إلى جيوب سرواله الرياضي الذي يقطر ماء ليخرج هاتفه، لكنه لم يعد هناك، والأرجح أنه يرقد الآن في قاع نهر فلتافا.

اجتاحته موجة جديدة من البرد، فأسرع إلى غرفة النوم لاستخدام هاتف الفندق والاتصال بها. ولكن بينما كان يمد يده إلى سماعة الهاتف، رأى ملاحظة مكتوبة بخط اليد على الطاولة المجاورة للسرير.

في خضم ذعره في وقت سابق، لم يلاحظها.

ر ــــ

قررت أن أسير إلى اجتماعي في مختبر د. غيسنر.

لا يمكنك أن تكون الوحيد الذي يمارس الرياضة اليوم!

سأعود بحلول الساعة العاشرة صباحا. احفظ لي بعض العصير!

ــــك

زفر لانغدون الصعداء.

كاثرين آمنة. هذا كل ما أحتاج إلى معرفته.

وبشعور من الارتياح، توجه مباشرة إلى الحمام، فتح صنبور الماء، ودخل تحته بملابسه كاملة.

الفصل السادس

انقشع ضباب الأثير، وتمدد جسد الجولم عاريا على بساط من القنب.

لقد بلغ رحلته ذروتها، كما هو دأبه أبدا، في أمواج من النشوة العارمة، وشعور غامر بالاتصال الروحي بكل ما في الوجود. فما كان تلقي الأثير إلا كبلوغ رعشة لا سبيل للجسد فيها، موجة متصاعدة من الغبطة الصوفية التي تشرع بابا يمكن من خلاله إبصار الحقيقة على ما هي عليه في كنهها.

وكثيرا ما كانت مثل هذه الأسفار الروحانية تُزدَرى وتُعد ضربا من الخيال الواهم، غير أن أولئك الذين أبصروا الحقيقة لم تكن لهم حاجة إلى عقول الأغمار الصغيرة. لقد علم الجولم علم اليقين من سابق تجربته أن هذا الكون أعقد وأجمل بكثير مما يستطيع إدراكه أكثر الخلق. فما زال أهل الحداثة يعجزون عن التسليم بالحقيقة التي أدركها الأقدمون بصفاء بصائرهم... وما جسد الإنسان إلا وعاء مؤقت يُبتَلى فيه المرء بخبرة هذا العالم الأرضي.

نزع عن فمه كمامة الكرة المثقبة، ونهض قائما، وحيدا في عتمة خلوته. وفي غياب النور، خطا إلى الجدار الأقصى وركع على وسادة أمام المزار الذي كان قد شيده هناك.

تحسس طريقه في الظلمة الحالكة، حتى وقعت يده على علبة الثقاب، فأشعل عودا، وأنار به الشموع النذرية الثلاث التي كان قد رتبها على المنضدة في فراش من الزهور المجففة.

وبينما كان ضوء الشموع الراقص يزداد قوة، بدأت الصورة المعلقة على الجدار أمامه تتجلى للعيان.

ورفع بصره إلى وجهها مبتسما في حب.

"إنك لا تعرفينني، ولكني هاهنا لأنقذك من الشر".

لقد كانت قوى الظلام التي تهددها قوية وذات بأس مديد، وها هي الآن أضعف من أي وقت مضى، لا سيما وقد شُغل فؤادها.

"لقد عثرت على الحب".

أو هكذا يخيل إليها...

وشعر الجولم بغثيان يعتصر فؤاده لعلمه أنها تهب جسدها لمن لا يستحقها.

"إنه لا يفهمك كما أفهمك أنا".

"وما من أحد يفعل".

وفي بعض الأحيان، حين كانت ترقد في فراشها، متلاحمة مع عشيقها الجديد هنا في براغ، كان الجولم يأذن لنفسه بأن يرقب المشهد... زائرًا في خلدها،

ينظر في صمت، وتعتلج في صدره رغبة عارمة في أن يصرخ في أذنها" :إنه ليس كما يبدو لك"!

ولكن الجولم ظل صامتا... فكرة في الظلال.

"يجب ألا تعلم أبدا أني هاهنا".

الفصل السابع

إن دار بينجوين راندوم هاوس، وهي أكبر دار نشر في العالم، لتصدر ما يقرب من عشرين ألف كتاب في العام، وتجني ما يربو على خمسة مليارات دولار من إجمالي الإيرادات السنوية. ويقع مقرها الرئيسي الأمريكي في شارع برودواي في قلب مانهاتن، حيث تشغل أربعة وعشرين طابقا من ناطحة سحاب متلألئة ذات زجاج رمادي تُعرف باسم برج راندوم هاوس.

في تلك الليلة، كانت المكاتب غارقة في السكون. فقد تجاوز منتصف الليل في المدينة، وحتى فرق التنظيف كانت قد أتمت جولاتها. ومع ذلك، في الطابق الثالث والعشرين، كان ثمة ضوء وحيد يشتعل في مكتب يقع في إحدى الزوايا.

لقد كان المحرر جوناس فوكمان طائرا من طيور الليل. ففي ربيعه الخامس والخمسين، كان لا يزال يسهر سهر المراهقين، ويركض كل يوم في حديقة سنترال بارك، ويرتدي في عمله سراويل الجينز السوداء والأحذية الرياضية. ولحسن حظه، كان شعره الأسود المتموج لا يزال كثيفا، غير أن لحيته كانت قد بدأت تظهر عليها علامات الشيب على نحو كان يحلو له أن يظن أنه يذكره بالكاتب جوزيف كونراد.

لقد عشق فوكمان ذلك الصمت الذي لا يعكر صفوه شيء في هذه الساعات المتأخرة، مستمتعا بخلوته وهو يصارع حبكات القصص المعقدة والنثر المتعثر، ويدون صفحات مفصلة من الملاحظات لمؤلفيه. وفي هذه الليلة، كان قد أخلى مكتبه ليمضي ليلته في ممارسة أكثر ما يستمتع به في هذا العالم... قراءة مخطوطة وصلت لتوها من مؤلف جديد لم يُعرف بعد.

إمكانات لا تزال في طي المجهول.

إن معظم الكتب المنشورة تأتي وتذهب دون أن تترك أثرا، ولكن قلة مختارة منها تأسِر عقول القراء وتغدو من أكثر الكتب مبيعا. وقد عقد فوكمان آمالا عريضة على المخطوطة التي كان على وشك قراءتها، إذ ظل يترقب وصولها لأشهر. لقد كان الكتاب استكشافا جريئا لأسرار الوعي البشري، خطته يراعة عالمة بارزة في مجال العلوم العقلية، هي كاثرين سولومون.

فقبل ما يزيد قليلا على عام مضى، كان صديق فوكمان الحميم روبرت لانغدون قد أحضر كاثرين إلى نيويورك لعرض فكرة كتابها على مأدبة غداء. ولم يكن عرض العالمة أقل من كونه مذهلا للعقول، أروع عرض لكتاب غير روائي استطاع فوكمان أن يتذكره. وفي غضون أيام، كان قد أخرجه من السوق بعرضه على كاثرين عقد نشر مربحا.

لقد كدحت طوال العام الماضي وهي تكتب في سرية تامة، وفي عصر هذا اليوم بالذات، اتصلت من براغ لتخبره بأنها قد انتهت من تهذيب المخطوطة وأنها على أهبة الاستعداد ليقرأها. وقد ظن أن لانغدون ربما كان له يد في تشجيع كاثرين على التوقف عن التنقيح والتماس رأي محررها. ومهما كان الدافع، فقد علم فوكمان أمرا واحدا علما يقينا: إذا تبين أن مخطوطة كاثرين سولومون لا تقل إثارة عن نصف ما كان عليه عرضها، فإن هذا الكتاب سيكون واحدا من أهم المشاريع في مسيرته المهنية.

كتاب كاشف... مدهش... ذو أهمية عالمية.

لقد كان السعي لفهم الوعي البشري يغدو على نحو متسارع الكأس المقدسة الجديدة للعلم، واستشعر فوكمان أن كاثرين سولومون كانت على وشك أن تصبح صوتا رائدا في هذا المجال. فإذا ثبتت صحة نظريتها، فإن العقل البشري ليس على الإطلاق كما كان يُتصور؛ وستُحدث الحقيقة تحولا عميقا في نظرتنا إلى الإنسانية والحياة، بل وحتى الموت.

وتساءل فوكمان عما إذا كان على وشك أن يحرر عملا قد يقف يوما ما جنبا إلى جنب مع منشورات أخرى غيرت نماذج الفكر، مثل "أصل الأنواع" و"تاريخ موجز للزمن."

رويدك يا جوناس ...ذكر نفسه. فأنت لم تقرأه بعد.

قاطعت أفكاره طرقة حادة على باب مكتبه، فالتفت على كرسيه، مدهوشا من أن يأتيه زائر في جوف الليل.

"السيد فوكمان؟ "كان الشاب الواقف عند بابه غريبا.

"أجل؟ من أنت؟"

"أعتذر لإفزاعك يا سيدي، "قال الشاب وهو يرفع شارة الشركة المغلفة بالبلاستيك" .أنا أليكس كونان، من قسم أمن البيانات. أعمل في الغالب ليلا حين يكون ضغط العمل على النظام منخفضا".

إن خصلة شعر الفتى الشقراء وقميصه الذي يحمل شعار مطعم "بيتزا باباغايو "جعلته يبدو أشبه براكب أمواج منه بفني" .كيف يمكنني مساعدتك يا أليكس؟"

"أوه، يغلب على ظني أنه إنذار كاذب، "أجاب الفني، "ولكن نظامنا أطلق للتو تحذيرا بشأن بعض البيانات التي تم الوصول إليها".

بيانات تم الوصول إليها، فكر فوكمان في نفسه، متسائلا متى سيسلم العالم أخيرا بأن كلمة "بيانات" هي جمع.

"أنا على يقين من أنه لا شيء، "قال الفتى" .لقد قلقت لأن تنبيه 'مستخدم غير متحقق منه' نادر الحدوث لدينا، ولكن الآن بعد أن رأيت

أنك موجود بالفعل في المبنى ومسجل الدخول، أشعر بتحسن. من المحتمل أنه مجرد خلل فني في حسابك".

"ولكني لست مسجل الدخول، "قال فوكمان، مشيرا إلى شاشته" .لم يكن حاسوبي يعمل طوال الليل".

اتسعت عينا الفتى اتساعا طفيفا" .أوه"...

شعر فوكمان بأثر من القلق" .هل هناك من سجل الدخول إلى حسابي؟"

"لا، لا، "قال الفني" .حسنا، ليس الآن. أيا كان الفاعل، فقد رحل".

"أيا كان الفاعل؟ ماذا يعني ذلك؟"!

بدا القلق على الفني الآن" .إنه يعني فقط أن شخصا ما قد اخترق قسمك الشخصي، يا سيدي، دون كلمة مرور أو بيانات اعتماد مصرح بها. ولا بد أن الفاعل يمتلك مهارات حقيقية، لأن لدينا جدار حماية ذا مواصفات عسكرية"...

"مهلا، ما الذي تم الوصول إليه بالضبط؟ "استدار فوكمان إلى مكتبه وقام بتشغيل حاسوبه. حياتي المهنية بأكملها على ذلك الخادم اللعين!

"لقد اخترق أحدهم إحدى مساحات العمل الافتراضية الآمنة (SVWs) الخاصة بك، "قال الفتى.

تجمد فوكمان في مكانه. ليس هذا هو الجواب الذي كنت أريده.

لقد كانت مساحات العمل الافتراضية الآمنة (SVWs) تطبيقا جديدا إلى حد ما في دار PRH. فبسبب تزايد قرصنة الكتب من المخطوطات المسروقة، بدأ بعض محرري الدار في تشجيع المؤلفين الأكثر مبيعا على العمل حصريا على خوادم بينجوين راندوم هاوس للحصول على طبقة إضافية من الأمان. وقد كانت العديد من مخطوطات الدار الأكثر قيمة تُكتب وتُحرر وتُحفظ في مكان آمن واحد، وهو نطاق نظام الشركة المشفر والمحصن بجدار ناري في برج راندوم هاوس ...إلى جانب نسختها الاحتياطية المكررة في ماريلاند.

لقد طلبت من كاثرين سولومون استخدام مساحة عمل افتراضية آمنة (SVW)، فكر فوكمان في قلق.

فبعد أن استشعر إمكانات تحقيق نجاح مدو في مقترحها، شجع فوكمان كاثرين على الالتزام ببروتوكولات أمنية صارمة أثناء كتابة المخطوطة. وقد وافقت بسعادة، قائلة إنها أحبت فكرة تسجيل الدخول عن بعد من أي مكان في العالم للعمل على مخطوطتها، مع علمها بأن جميع موادها في مكان واحد، آمنة ومدعومة بنسخ احتياطية تلقائية.

وقد شعر معظم المؤلفين بالشعور نفسه، وإن كان مع شاغل واحد: الخصوصية. فلم يرغب أي مؤلف في أن يقوم محرر نافد الصبر بمراقبة تقدم مخطوطة قبل أن يكونوا مستعدين لعرضها. ولهذا السبب، كان كل مؤلف يستخدم مساحة عمل افتراضية آمنة (SVW) يحمي مساحة عمله الافتراضية بكلمة مرور، وهي رمز وصول لا يعرفه إلا المؤلف، حتى تصبح المخطوطة جاهزة للتسليم.

وبالنسبة لكاثرين، كان ذلك اليوم هو اليوم، فكر فوكمان.

فعندما اتصلت في وقت سابق من براغ، كانت قد أعطت فوكمان رمز الدخول الخاص بها في توتر حتى يتمكن من البدء في القراءة والتحرير. وعلى الفور، أخلى فوكمان مكتبه من الأعمال الأخرى حتى يتمكن من الغوص في مخطوطتها هذه الليلة وقراءتها من البداية إلى النهاية خلال عطلة نهاية الأسبوع. ولكن الآن، تعطلت ليلة القراءة التي طال انتظارها بسبب فني أمن يرتدي قميصا ويحمل أخبارا مقلقة.

"أي مساحة عمل افتراضية آمنة (SVW) تم الوصول إليها؟ "سأل فوكمان بصوت عال، وقد شعر بجفاف في حلقه" .أي كتاب؟"

أخرج الفتى قصاصة ورق من جيبه وبدأ في فتحها" .أعتقد أنه نوع من الكتب الرياضية؟"

انتبه فوكمان، وشعر ببصيص من الأمل.

"ها هو، "قال أليكس وهو يقرأ المذكرة" .العنوان هو".SUM ...

شعر المحرر بوخزة من الذعر المفاجئ.

تنفس يا جوناس .تنفس.

لم يكن SUM كتابا رياضيا. لقد كان اختصارا.

إنه يرمز إلى "سولومون – مخطوطة غير معنونة"Solomon—".
Untitled Manuscript. "

الفصل الثامن

كان روبرت لانغدون قد أغمض عينيه مستسلمًا لذعة الدفء التي تبثها نفاثات المياه في أرجاء جسده، يستنشق ملء رئتيه البخار الحار المتصاعد. ورغم أنه نجح في تجريد نفسه من ثيابه المبتلة، فإنه لم يستطع بعد أن يُميط عن روحه غلالة الحيرة الكثيفة التي اكتنفت أحداث هذا الصباح الغامض.

راودت لانغدون فكرة أن يهاتف كاثرين ليقطع عليها جولتها في مختبر الدكتورة غيسنر ويخبرها بما كان، بيد أنه عدل عن ذلك في التو، وحدّث نفسه قائلاً: إن حديثًا كهذا، بما فيه من غرابة وشطط، ليقتضي أن نكون وجهًا لوجه حين تعود.

وحتى في تلك اللحظة التي بدأ الدفء يسري في أوصاله فتنجلي معالِم تفكيره، لم يشعر أنه اقترب قيد أنملة من تفسير منطقي لذلك الخيال الأثيري الذي تجلى له على جسر تشارلز .ولا لردة فعله هو نفسه.

لقد عُرف عن لانغدون ثبات جأشه ورباطة قلبه في الشدائد، أما هذا الصباح، فقد تملّكه الهلع، واجتاحته رهبةٌ عميقة سرت في أوصاله واستبدت بعقله. لقد طغى ذلك الشعور الغامر على منطقه الرصين... مشهد تلك المرأة، ورائحة الموت الزؤام، وذاك الرمح، وقرع الأجراس

بنغمته الموحشة. وظل ذلك المشهد المؤرق يعاود الظهور في ذهنه بلا هوادة.

كيف يمكن لمثل هذا أن يحدث؟

عاد بذاكرته إلى وقائع الليلة الماضية، قبل خمس ساعات بالكاد، حين صرخت كاثرين باسمه وانتفضت من نومها فزعة، وقد أيقظها كابوس حيّ كأنه واقع. سعى إلى تهدئة روعها وهي تقص عليه في جزعٍ تفاصيل رؤياها المروعة.

كان أمرًا مفزعًا يا روبرت... كان هناك شبح أسود يقف عند طرف فراشنا. امرأة ترتدي السواد... وعلى رأسها هالةٌ شائكة... وتحمل في يدها رمحًا فضيًا. كانت تفوح منها رائحة منتنة، رائحة الموت. ناديت عليك، ولكنك لم تكن هناك! ثم فحت في وجهي قائلة: "لن ينقذك روبرت. إنكِ لميتة" . وبعدها دوى صوت يصم الآذان، وظهر وميض، ثم انفجر الفندق في سحابة من لهب. وشعرت بنفسي أحترق...

في حينه، وعلى الرغم من هول حلم كاثرين الذي لا تخطئه عين، بدت عناصره منطقية في نظر لانغدون .فالإكليل الشائك أو التاج المشع كان محورًا أساسيًا في محاضرة كاثرين تلك الليلة. أما الرمح الفضي، فقد كان موضوع حديث دار بينهم بعد المحاضرة أثناء احتسائهم الشراب مع بريغيتا

غيسنر .ورائحة الكبريت، لعلها علقت بهما من رحلتهما إلى ينابيع كارلوفي فاري الحارة القريبة. وأما انفجار الفندق، فلا شك أنه كان أثرًا مؤسفًا لمشاهدة لقطات إخبارية مأساوية بالأمس عن تفجير في جنوب شرق آسيا.

وقد طمأن لانغدون كاثرين، مذكرًا إياها بأن شراب الأفسنتين له تأثير مهلوس قوي، وأنها على الأرجح كانت تعيش تحت وطأة التوتر لأن محررها كان على وشك قراءة مخطوطتها. "إني لأعرف تلك الأعصاب جيدًا"، هكذا فكر لانغدون" .فلا عجب أن قضيتِ ليلة أرق."

أما الآن، وبعد مضي ساعات، وهو واقف تحت خيوط الماء، فقد أعياه أن يجد تفسيرًا منطقيًا لما رآه للتو... على الأقل، ليس في حدود فهمه الراهن للواقع.

كان لأينشتاين مقولة شهيرة: "المصادفة هي طريقة الرب في التخفي."

لكن حدس لانغدون أبى إلا أن يصرخ في أعماقه: "ما رأيته لم يكن مصادفة، بل كان أمرًا يتجاوز حدود الاحتمال، ويبلغ مرتبة الاستحالة في عرف الإحصاء."

فإما أن كابوس كاثرين قد تنبأ بالمستقبل... أو أن المستقبل قد تجاوب مع حلمها. وأيًا كان الأمر، فقد ظل لانغدون في حيرة من أمره.

والأدهى من ذلك، أن محاضرة كاثرين الليلة الماضية كانت قد تناولت هذه الظاهرة بعينها.

الاستبصار.

القدرة على استشعار الأحداث المستقبلية أو التنبؤ بها قبل وقوعها.

من على منصة قاعة فلاديسلاف، استعرضت كاثرين بعض أشهر حوادث الاستبصار في التاريخ، بما في ذلك الأحلام الجلية التي رآها كارل يونغ، ومارك توين، وجان دارك .وأوضحت أن أبراهام لنكولن، قبل ثلاثة أيام من اغتياله، كان قد قصّ على حارسه الشخصي، وارد هيل لامون، حلمًا رأى فيه جثة مغطاة يحرسها جندي أعلن قائلاً: "إنه الرئيس، لقد قتله أحد المغتالين."

ثم انتقلت كاثرين لتصف أغرب الحالات على الإطلاق —— حالة مورغان روبرتسون ——وهو مؤلف أمريكي نشر في عام 1898 رواية بعنوان "العبث"، استوحاها من كابوس حي رآه عن عابرة محيطات منيعة من الغرق —— تُدعى تيتان ——ترتطم بجبل جليدي وتغرق في إحدى أولى رحلاتها عبر المحيط الأطلسي. والعجيب أن الكتاب نُشر قبل أربعة عشر عامًا من كارثة تايتانيك .وقد وصف بناء السفينة ومسارها الملاحي وغرقها بدقة متناهية، لدرجة أن تلك المصادفات لم تجد لها تفسيرًا قط.

قالت كاثرين، وهي ترمق لانغدون بنظرة مازحة: "أعلم أن بين الحضور من يرتاب في مثل هذا الكلام، ولذا، فكرت في أن أشارككم تجربة، كان قد تصورها ونفذها قبل سنوات زميل لي في معهد العلوم النويتيكية .ومنذ ذلك الحين، أعيد تكرارها وتطويرها في مختبرات شتى حول العالم. وهي كالتالي."...

وجهت كاثرين جهاز التحكم نحو الشاشة خلفها، فظهرت صورة ––– شخص يخضع للتجربة يضع على رأسه جهاز مراقبة للدماغ، ويجلس في الظلام أمام شاشة عرض صغيرة.

وبدأت تشرح: "بينما نراقب موجات دماغ الشخص الخاضع للتجربة بأجهزة متخصصة، نعرض عليه سلسلة عشوائية من الصور. وتنقسم هذه الصور إلى ثلاث فئات متمايزة: عنف مروع، أو هدوء وسكينة، أو محتوى جنسي صريح. ولأن كل نوع من الصور يثير قسمًا مختلفًا من الدماغ، فإننا نستطيع أن نرى في الزمن الحقيقي كيف يسجل وعيه الصورة."

نقرت مرة أخرى، فعرضت رسمًا بيانيًا لموجات الدماغ تظهر فيه ارتفاعات متقطعة –––كل منها ملون ليشير إلى نوع الصورة التي عُرضت.

"وكما هو متوقع، فإن الأقسام المعنية من الدماغ تضيء مع ظهور كل صورة محددة. هل تتابعونني حتى الآن؟"

أومأت الرؤوس في حماس.

"عظيم"، قالت وهي تكبر الآن المحور الأفقي للرسم البياني. "هذا الخط الزمني هو سجل دقيق للغاية يوضح اللحظة التي عرض فيها الحاسوب كل صورة عشوائيًا، واللحظة التي سجل فيها الدماغ ارتفاعًا في نشاطه."

تساءل لانغدون إلى أين ترمي من وراء هذا.

قالت: "إذا قمنا بالتقريب أكثر"، وهي تنقر لعرض فترات زمنية أقصر فأقصر، "فإننا نصل إلى نطاق أجزاء من الألف من الثانية... ونكتشف أن ثمة مشكلة كبيرة."

لم تزد على ذلك، ولكن في غضون ثوانٍ، سرت همهمة حائرة في أرجاء القاعة الكبيرة. وشاركهم لانغدون حيرتهم. فوفقًا لهذه الرسوم البيانية، كان دماغ الشخص يظهر نشاطًا *قبل* أن يعرض الحاسوب الصورة.

قالت كاثرين" :كما ترون بوضوح، فإن هذا الرجل يسجل كل صورة في وقت مبكر جدًا. فالجزء المناسب من دماغه يضيء قبل أربعمائة جزء من الألف من الثانية من عرض الصورة. بطريقة ما، فإن وعيه يعلم بالفعل نوع الصورة التي هو على وشك رؤيتها". ثم ابتسمت قائلة: "وهذا ليس حتى الجزء الأكثر إثارة للدهشة."...

ساد الصمت في القاعة.

قالت كاثرين" :كما تبين، فإن الدماغ لا يتفاعل قبل عرض الصورة فحسب... بل قبل أن يختار مولد الأرقام العشوائية في الحاسوب الصورة التي سيعرضها! الأمر أشبه بأن الدماغ لا يتنبأ بالواقع... بقدر ما هو يخلقه."

أُصيب لانغدون بالذهول، شأنه شأن كل من حوله. وكان يعلم أيضًا أن هذه الفكرة بالذات —— فكرة أن أفكار الإنسان تخلق الواقع —— تكمن في صميم معظم التعاليم الروحانية الكبرى.

بوذا" :بأفكارنا، نصوغ عالمنا."

المسيح" :كل ما تطلبونه في الصلاة، مؤمنين، تنالونه."

الهندوسية" :إن فيك قوة الإله."

وكان لانغدون يعلم أن هذا المفهوم يتردد صداه لدى المفكرين التقدميين المعاصرين والعباقرة الفنيين أيضًا. فقد أعلن خبير الأعمال روبن شارما : "كل شيء يُخلق مرتين؛ أولاهما في الذهن، وثانيتهما في الواقع". أما أشهر أقوال بابلو بيكاسو فتعلن: "كل ما يمكنك أن تتخيله هو حقيقة قائمة."

قَطَعَ طرقٌ على الباب أفكار لانغدون، فتبددت قاعة فلاديسلاف من ذهنه. لقد عاد إلى الحمام، وسمع باب دورة المياه يُفتح. ومن خلال زجاج

حجرة الاستحمام الشفاف، رأى لانغدون هيئة شخص يدخل، فتنفّس الصعداء. "الحمد لله أنها عادت مبكرة". لا شك أن كاثرين سمعت بحادثة الفندق وعادت على عجل.

صاح لانغدون" :لقد انتهيت للتو"، وهو يغلق الماء الساخن، متخليًا عن عادته في شطف جسده بالماء البارد المثلج. "لقد نلت كفايتي من الماء البارد هذا الصباح". التقط المنشفة المعلقة داخل باب حجرة الاستحمام، ولفها حول خصره، ثم خطا إلى دورة المياه" .كاثرين"——

توقف فجأة.

لم تكن كاثرين هناك.

كان لانغدون يقف وجهًا لوجه مع رجل نحيل حاد التقاطيع يرتدي سترة جلدية.

صاح لانغدون" :من أنت بحق الجحيم؟! كيف دخلت إلى هنا؟."!

اقترب الدخيل بضع بوصات، وعلى محياه تعابير جامدة لا تعرف للظرف سبيلاً. قال بلكنة تشيكية ثقيلة" :السيد روبرت لانغدون؟ صباح الخير. أنا النقيب ياناتشيك من مكتب العلاقات الخارجية والمعلومات **Úřad** .

لقد استأثرتpro zahraniční styky a informace.

بجواز سفرك من غرفة نومك. أرجو ألا يضيرك ذلك."

أخذت جواز سفري؟ شعر لانغدون بأنه عارٍ وهو يقف بالمنشفة فقط أمام هذا الرجل الغريب" .عذرًا، من تكون أنت؟"

أبرز الرجل شارة هوية، لكن لانغدون لم يستطع أن يرى منها سوى القليل في الهواء المشبع بالبخار، باستثناء شعار المنظمة البارز ـــ أسد يثب على قائمتيه الخلفيتين. الأسد الواثب؟ كان الرمز شائعًا جدًا، وصادف أنه كان أيضًا شعار مدرسة لانغدون الإعدادية التي تخرج فيها، أكاديمية فيليبس إكستر، رغم أنه كان متأكدًا إلى حد ما أن هذا الرجل لم يأتِ من هناك.

قال الرجل بفظاظة" :أنا منÚZSI ، جهاز المخابرات الوطني التشيكي."

"لا يبدو عليك أنك عميل مخابرات"، فكر لانغدون .كانت عينا الرجل محتقنتين دامعتين، وشعره الخفيف غير ممشط، وقميصه مجعدًا بشدة تحت سترته الجلدية.

"سأقول هذا مرة واحدة، سيد لانغدون ."تقدم المسؤول التشيكي نحوه وكأنه يتعمد تجاوز خط غير مرئي بينهما" .لقد قمت للتو بإخلاء فندق من فئة الخمس نجوم. إما أن تعطيني سببًا وجيهًا جدًا لفعلتك، أو ألقي القبض عليك في الحال."

وقف لانغدون حائرًا قد أُلجم لسانه. تلعثم قائلاً" :أنا... أنا آسف للغاية. من الصعب شرح الأمر يا نقيب. لقد ارتكبت خطأ."

رد الرجل في الحال، ولم تفصح ملامحه عن شيء" :أتفق معك. خطأ جسيم. لماذا أطلقت جرس الإنذار؟."

لم يجد لانغدون خيارًا سوى أن يصدقه القول" .ظننت أنه سيحدث انفجار."

لم يكن رد فعل الضابط سوى ارتعاشة خفيفة في حاجبيه الكثين" .مثير للاهتمام. وما الذي قد يسبب هذا الانفجار؟."

"لا أعرف... ربما قنبلة."

"أفهم. ربما قنبلة. إذن، خشيت أن تكون هناك قنبلة في هذا الفندق... ومع ذلك عدت راكضًا إلى داخل المبنى وصعدت إلى هذا الجناح؟."

"لأحذر... صديقتي."

أخرج الرجل مفكرة من سترته وقرأ منها" .صديقتك هي السيدة كاثرين سولومون؟."

شعر لانغدون بقشعريرة تسري في جسده لسماع اسم كاثرين على لسان ضابط مخابرات تشيكي. كان الموقف يزداد خطورة لحظة بعد لحظة.

"هذا صحيح. لكنها كانت قد غادرت بالفعل."

"أفهم، أفهم. إذن، بعد أن علمت أن صديقتك في أمان، وبدلاً من أن تسلك الدرج عائدًا إلى الخارج، غامرت بالقفز من النافذة لتهلك غرقًا في نهر متجمد؟."

كان على لانغدون أن يعترف بأن هذا التصرف قد فاجأه هو نفسه .

"تملكني الهلع. فجأة بدأت أجراس كنيسة تدق... بدا الأمر مشؤومًا."

"مشؤومًا؟ "بدا وكأنه أُهين" .يُطلق عليها صلاة التبشير الملائكي، يا بروفيسور. أجراس الكنائس تدق هنا على رأس كل ساعة للدعوة إلى صلاة الصباح. كنت أظن أنك تعرف ذلك."

"نعم، بالطبع، لكنني لم أكن أفكر بوضوح. جعلتني الأجراس أشعر وكأن... لا أعرف... الوقت قد داهمني. كنت قد رأيت رجال شرطة في البهو في وقت سابق."—

"الوقت قد داهمك؟ إذن... قنبلتك كانت قنبلة موقوتة؟ ضُبطت على الساعة السابعة صباحًا؟."

لم تكن قنبلتي! حاول لانغدون جاهدًا أن يحافظ على هدوئه" .لا، كنت مرتبكًا جدًا وتصرفت بغريزتي. بالطبع، سأدفع ثمن."—

قال الرجل وقد لانت نبرته" :لا داعي للدفع، يا سيدي. الناس يرتبكون. هذه ليست مشكلة. أنا فقط أحاول أن أفهم لماذا ظننت أنه سيكون هناك انفجار. من أين حصلت على معلوماتك؟."

"لا يمكنني أن أخبره"، كان لانغدون يعلم ذلك. كانت الحقيقة أغرب من أن يصدقها عقل، وأبعد من أن يستوعبها منطق، والاعتراف الصريح بها ينطوي على خطر جسيم قد يرتد عليه. "لن يصدقني أبدًا". شعر لانغدون فجأة أنه قد يحتاج إلى محامٍ.

ضغط عليه الضابط" :سيد لانغدون؟."

تحرك لانغدون، وهو يمسك بالمنشفة حول خصره" .كما قلت، كنت مرتبكًا. كانت لدي معلومات مغلوطة."

ضاقت نظرة النقيب وهو يقترب خطوة ويخفض صوته" .في الواقع، يا بروفيسور، هذه ليست المشكلة. المشكلة هي أن معلوماتك كانت صحيحة. صحيحة جدًا."

"لا أفهم."

حدجه الضابط بنظرة فاحصة" .ألا تفهم؟."

هز لانغدون رأسه.

قال النقيب ببرود جليدي" :يا بروفيسور، في وقت مبكر من هذا الصباح، وفي هذا الفندق بالذات، عثر فريقي على قنبلة وقام بتفكيكها... كانت معدة للانفجار في تمام الساعة السابعة صباحًا."

الفصل التاسع

على ضوء الشموع المرتعش، ألقى الغولم نظرة أخيرة على صورتها المعلقة على الجدار، ثم أخمد أنفاس الشموع وانسلّ من محرابه المقدس.

لقد بُعثت حيا من جديد.

غارقا في الضياء الخاطف الذي يغمر شقته، ولج حجرته التي يرتدي فيها ثيابه. كان عباءته المقنّعة وحذاؤه ذو النعل الغليظ ملقيين كومتين على الأرض، قد طرحهما في عُجالة ليتلقى "الأثير"؛ وهي رحلة كان يخوضها على الدوام عاريا من كل شيء، متجردا من أي زينة، وفي عتمة دامسة.

أعاد الغولم تعليق زيّه في عناية، وهو ينفض عنه فُتات الطين اليابس الذي علق بياقته. لطالما أثار مظهره الفزع في نفوس السياح، أما أهل المدينة فلم يكونوا يلتفتون إليه إلا لماما. فمدينة براغ كانت مسرحا للدراما والخيال، وكثيرا ما كان المحتفلون يجوبون شوارعها متنكرين في هيئة شخصيات من تاريخها الأسطوري؛ من أشباح شهيرة، وساحرات، وعشاق لم يكتب لهم الوصال، وقديسين نالوا الشهادة... وهذا المسخ الطيني الهائل.

أسطورة براغ الأزلية.

حارس أسطوري... مثلي تماما.

كان الغولم يحفظ حكاية المسخ الطيني عن ظهر قلب، فقد كانت حكايته هو؛ روحِ حارسة... أُقحمت في قالب جسدي... كُلّفت بأن تضحي براحتها لتحمل عن غيرها آلامه.

تقول الأسطورة التي تعود وقائعها إلى القرن السادس عشر، أن حاخاما ذا بأس يدعى يهوذا لوف قد جلب طينا رطبا من ضفاف نهر فلتافا، وصنع منه مسخا أمِل أن يكون حاميا لقومه. وباستخدام سحر الكابالا، نقش الحاخام الكلمة العبرية على جبين الحارس الذي لا حراك به، فدبت فيه الحياة على الفور، وقد حلّت فيه روحِ من عالم آخر.

الكلمة التي نُقشت على جبينه كانت "**אמת**"— "إيميت". وتعني: الحق.

أطلق الحاخام على مخلوقه اسم "غولم" — وهي كلمة عبرية تعني "المادة الخام" — في إشارة إلى الطين الأرضي الذي صُنع منه المسخ. ومنذ ذلك الحين، أخذ الغولم يجوب شوارعِ الحي اليهودي، يحمي من كان في خطر، ويفتك بالأشرار، ويضمن سلامة القوم.

بيد أن الأسطورة هنا اتخذت منعطفا حالكا.

فقد استبد بالمسخ شعور بالوحشة والحيرة من عنفه، حتى انقلب في نهاية المطاف على صانعه. وبالكاد نجا الحاخام من هجومه بعد أن مد يده في يأس ومحا أحد الأحرف العبرية عن جبين المخلوق.

وبمحو حرف "الألف" א، تحولت الكلمة العبرية التي تعني الحق —— "إيميت" —— إلى كلمة أشد قتامة وظلاما —— "ميت" —— وهي الكلمة العبرية التي تعني: الموت.

"**אמת**" أصبحت "**מת**."

الحق أمسى... موتا.

هوى المسخ على الأرض كومة هامدة.

وإذ وقف الحاخام فوق مخلوقه الساقط، لم يترك مجالا للمصادفة. سارع إلى تفكيك جسده الطيني وأخفى أجزاءه في علّية كنيس براغ القديم الجديد، حيث يقال إن تلك الشظايا الطينية لا تزال باقية إلى يومنا هذا، تطل على المقبرة العتيقة التي دُفن فيها الحاخام لوف.

تلك المقبرة هي التي بدأت عندها رحلتي، هكذا فكر الغولم وهو يتأمل زيه القاتم المعلق بلا حراك *.أنا الغولم .تجسد آخر... في دورة الأرواح.*

لقد استُدعي هو الآخر ليكون حاميا؛ حارسا للمرأة التي عُلّقت صورتها على الجدار في محرابه . لم يكن لها أن تعلم بوجوده قط، ولا بما فعله من أجلها. ولا، بالأخص، ما سيفعله قريبا.

لقد قتل بالفعل واحدة من أشد من خانوها دهاء، بريجيتا غيسنر .ولا يزال يسمع أصداء صوتها وهي تبوح في يأس بكل ما فعلته هي وشركاؤها في المؤامرة.

كان بعض شركائها الخونة هنا في براغ، في متناول يده. وكان آخرون على بعد آلاف الأميال، أصحاب نفوذ يتحركون في الخفاء.

لن يهدأ لي بال حتى يلقى جميعهم جزاءهم.

لم يكن الغولم يعرف سبيلا لتحقيق ذلك إلا طريقا واحدا.

سأمحو كل أثر لما شيدوه.

الفصل العاشر

قنبلةٌ أبطلوا مفعولها؟!

دارت الأفكار في رأس روبرت لانغدون كالدوامة وهو يرتدي ثيابه في غرفة نوم الفندق. لم يكن عقله ليستوعب أن هجومًا بقنبلة قد أُحبط بالفعل هذا الصباح، ناهيك عن تلك الحادثة التي وقعت مع المرأة على الجسر.

قبل دقائق، كان لانغدون قد طلب إلقاء نظرة فاحصة على هوية الضابط التشيكي، فأذعن الرجل على مضض، مؤكدًا أنه أولدريتش ياناتشيك، نقيب يبلغ من العمر واحدًا وستين عامًا في جهاز ÚZSI. وقد أعلمه أن هذا الاختصار يرمز إلى" مكتب العلاقات الخارجية والمعلومات —— " Úřad pro zahraniční styky a informace — وأنه يُنطق "تمامًا كاسم الرشاش الآلي —— أوزي."

كان شعار الجهاز، الأسد الواثب، مصحوبًا بعبارة *Sine Ira et Studio* ، التي تعني "بلا حنق أو تحامل"، رغم أن سلوك النقيب كان يوحي بوجود كليهما.

ظل ياناتشيك واقفًا على عتبة غرفة نوم لانغدون طيلة الدقائق الثلاث الماضية، يتجادل باللغة التشيكية عبر هاتفه وعينه لا تفارق لانغدون.

"هل يظن أنني سأفر؟"

انتهى لانغدون من ارتداء ملابسه، وشعر أخيرًا بالدفء وهو يرتدي سرواله الثقيل من قماش الشينو، وكنزته ذات الياقة العالية، وسترته الصوفية السميكة من طراز ديل .التقط ساعته العتيقة التي تحمل صورة ميكي ماوس من على الخزانة وربطها في معصمه، مستشعرًا أنه قد يحتاج اليوم إلى تذكير دائم بأن يبقى باسم القلب، منشرح الصدر.

صاح ياناتشيك غاضبًا في الهاتف"**Ne! Tady velím já!**" :

أغلق الخط والتفت إلى لانغدون" .لقد كان وصيفك. إنه قادم إلى الغرفة."

وصيفي؟ لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة عما تعنيه الكلمة، لكن من الواضح أن ياناتشيك لم يكن سعيدًا بقدومه.

كان ياناتشيك طويل القامة على نحو غير مألوف، ذا قامة منحنية تمنحه مظهر من قد يسقط على وجهه في أية لحظة. تبعه لانغدون إلى غرفة الجلوس، حيث تصرف الرجل وكأنه في بيته، فأشعل المدفأة التي تعمل بالغاز، واستقر في مقعد جلدي وثير، وعقد ساقيه النحيلتين كأنهما خيوط عنكبوت.

وما إن استقر في مجلسه، حتى دوى جرس باب الجناح.

أشار ياناتشيك إلى البهو" .أدخله."

"وصيفي؟" تساءل لانغدون مرة أخرى، وهو يتجه عبر الردهة ويفتح الباب.

كان يقف في البهو رجل أسود وسيم، في الثلاثين من عمره ربما، يماثل لانغدون في الطول —— ما يزيد قليلاً على ستة أقدام —— حليق الرأس، ذا ابتسامة مشرقة، وملامح وجه منحوتة. كان يرتدي حلة أنيقة تتألف من سترة زرقاء، وقميص وردي، وربطة عنق من الحرير المنقوش، فبدا أشبه بعارض أزياء منه بشخص كان النقيب ياناتشيك يتجادل معه بالتشيكية للتو.

قال الرجل وهو يمد يده" :مايكل هاريس. إنه لشرف لي أن ألتقي بك، بروفيسور لانغدون ."كانت لكنته أمريكية، ربما من أرقى ضواحي فيلادلفيا.

قال لانغدون وهو يصافحه" :شكرًا لك" ."أيًا كنت."

"أولاً، أود أن أعتذر. كان على النقيب ياناتشيك أن يتصل بمكتبي قبل استجوابك."

قال لانغدون، وهو لا يرى شيئًا على الإطلاق" :أفهم. ومكتبك هو...؟."

بدا هاريس متفاجئًا" .ألم يخبرك؟."

"لا، قال إنك وصيفي **chůva** .الخاص بي."

قطب هاريس حاجبيه، ولم يتحرك ليدخل الجناح" .لقد كان ياناتشيك يسخر منك. كلمة **chůva** تعني مربية. أنا الملحق القانوني في سفارة الولايات المتحدة. وأنا هنا لمساعدتك."

شعر لانغدون بارتياح عميق لوجود بعض الدعم القانوني، رغم أنه أمل ألا يلاحظ الملحق أن لانغدون كان قد قضى بالفعل على باقة زهور التوليب الباهظة التي أرسلتها السفيرة كهدية ترحيب.

قال الملحق بصوت خفيض" :مهمتي هي حماية حقوقك كمواطن أمريكي في الخارجِ، وهي حقوق، حسب كل ما سمعته حتى الآن، قد دِيست بالأقدام هذا الصباح."

هز لانغدون كتفيه" .لقد كان النقيب ياناتشيك عدوانيًا، ولكن بالنظر إلى الظروف، يمكنني أن أتفهم تصرفاته."

همس هاريس" :هذا كرم منك .لكني أحذرك من الإفراط في اللطف. فالنقيب ياناتشيك بارع في استغلال المجاملات كنقاط ضعف، ويبدو أن هذا الموقف... غير اعتيادي؟."

"ليس لديك أدنى فكرة"، فكر لانغدون، ولا يزال في حيرة مما رآه على الجسر.

أضاف هاريس" :نصيحة. هذا الفندق وجسر تشارلز كلاهما مراقبان بكثافة بكاميرات أمنية، مما يعني أن ياناتشيك يعرف بالفعل كل تفاصيل ما حدث. لذا يجب أن تقول الحقيقة. لا تكذب."

دوّى صوت ياناتشيك من الداخل" :هاريس."!**Čekám** !

رد هاريس بصوت عالٍ بما بدا أنه لغة تشيكية متقنة "!**Už jdeme**" :

ثم رمق لانغدون بنظرة مطمئنة" .هلّا تفضلت؟."

وجدا ياناتشيك جالسًا أمام النار، ينفث بهدوء دخان سيجارة محلية من نوع بترا، ويميل رأسه إلى الخلف وينفث الدخان في الهواء.

"هكذا إذن يُعامَل جناحنا المخصص لغير المدخنين."

أمر ياناتشيك" :ليجلس الجميع"، وهو ينفض رماد سيجارته في أصيص نبات على الأرض" .بروفيسور، قبل أن نبدأ، أريد هاتفك ."ومد يده النحيلة.

تدخل هاريس" :لا يا نقيب. ليس لديك أي سند قانوني."——

قال لانغدون" :لقد فقدت هاتفي. سقط مني في النهر."

تمتم ياناتشيك وهو يزفر سحابة من الدخان" :بالطبع فعلت. كم هو مناسب لك. اجلس."

اتخذ لانغدون وهاريس مقعديهما في مواجهة ياناتشيك.

بدأ النقيب حديثه" :بروفيسور، بينما كنت ترتدي ثيابك، شككت في طريقتي في التعامل مع هذا الموقف. قلت لي إنك صُدمت لأنني لم أخلِ الفندق بمجرد أن عثرنا على القنبلة."

"لقد فوجئت، لكنني لم أكن أشكك في."——

استحثه ياناتشيك" :سيد هاريس؟ "وهو يلتفت إلى الملحق ويأخذ نفسًا آخر من سيجارته" .ربما يمكنك أن تنير بروفيسورنا؟."

قال هاريس بهدوء" :بالطبع. هذا سؤال منطقي، ورغم أنني لا أستطيع التحدث مباشرة عن الأساليب الإجرائية للنقيب ياناتشيك، إلا أنني أستطيع بالتأكيد أن أؤكد أن تصرفاته تتوافق مع الاستراتيجية العامة لمكافحة الإرهاب. فالهجمات التي تحظى بتغطية إعلامية واسعة، حتى الفاشلة منها، لا تؤدي إلا إلى تشجيع الإرهابيين. والاستجابة الصحيحة، كلما أمكن، هي إبطال التهديد، والتظاهر بأنه لم يحدث قط، وحرمان الإرهابيين من أي دعاية كانت."

"حسنًا ."تساءل لانغدون كم من الهجمات الإرهابية تُحبط كل يوم دون علم الجمهور.

انحنى ياناتشيك نحو لانغدون، واضعًا مرفقيه على ركبتيه" .أي أسئلة أخرى؟."

"لا يا سيدي."

"جيد، إذن لننتقل إلى سؤالي... لأن لدي سؤالًا واحدًا فقط. وهو سؤال، حتى الآن، رفضت الإجابة عنه ."أخذ ياناتشيك نفسًا آخر من سيجارته ومطّ سؤاله وكأنه يتحدث إلى طفل" .بروفيسور... كيف علمت بأمر القنبلة؟."

أجاب لانغدون" :لم أكن أعلم. أنا فقط."—

انفجر ياناتشيك" :لقد أطلقت جرس الإنذار! كنت تعرف شيئًا! وبروفيسور، أرجوك لا تقل مرة أخرى: 'الأمر معقد'. أنا أقدر أنك عالم مشهور، لكنني أنا أيضًا رجل ذكي. وأعتقد أنني قادر على فهم تعقيداتك."

قال هاريس بهدوء" :سيد لانغدون، هذه هي لحظتك؛ فقط قل الحقيقة."

أخذ لانغدون نفسًا عميقًا، راجيًا أن يكون يوحنا الإنجيلي قد صدق حين وعد بأن "الحق يحرركم."

الفصل الحادي عشر

كان المحرر يوناس فوكمان ينقر فأرة حاسوبه نقرات متلاحقة، وكأنه يستحث جهازه الطرفي لينهض من سباته على عجل. فلم يكن يُفترض في هذه الدنيا أن يطّلع على مساحة العمل الافتراضية الآمنة (**SVW**) الخاصة بكاثرين سولومون سوى شخصين اثنين :كاثرين نفسها، ومنذ عصر هذا اليوم، فوكمان.

ولكن، كيف لدخيل من خارِج الأسوار أن ينفذ إليها؟!

واعتصر الألم أحشاء فوكمان وهو يتصور ما قد لحق تلك المساحة من بأس؛ ففيها كل أبحاث كاثرين العلمية، ومدوناتها، وفوق كل ذلك، المخطوطة ذاتها. "أسرِع! أسرع!" هتف في سرّه، وهو يترقب جهازه حتى يستفيق.

وخلفه، كان الفني الشاب يطل برأسه من فوق كتف فوكمان، ويدندن في قلق وهمهمة، فما زاده ذلك إلا توترًا على توتر. وما إن دبت الحياة في الجهاز، حتى مضى فوكمان إلى المجلد المنشود، ونقر على أيقونة الخادم المسمى **SUM**، وهو اختصار لـ **Solomon—Untitled Manuscript**، أي "سولومون – مخطوطة بلا عنوان."

كان فوكمان قد دوّن رمز الدخول الخاص بكاثرين على بطاقة وحفظها في درجٍ أمين، بيد أنه قبل أن ينهض لجلبها، أصدر الحاسوب صوتًا غريبًا لم يألفه من قبل؛ ثلاث صفارات حادة متقطعة. التفت فوكمان إلى الشاشة، متوقعًا أن تظهر له نافذة تسجيل الدخول الخاصة بكاثرين، ولكنه وجد نفسه إزاء رسالة خطأ تتوهج باللون الأحمر القاني.

PARTITION NOT FOUND

"ما هذا...؟"

أعاد فوكمان النقر على أيقونة **SUM**، فما كان الجواب إلا الصفارات الثلاث ورسالة الخطأ ذاتها. "القسم غير موجود؟" التفت فوكمان في هلع إلى أليكس.

"هل يعقل أن القسم بأكمله قد... اختفى؟"!

لقد كان القسم هنا عصر هذا اليوم حين اختبر فوكمان كلمة سر كاثرين . فأين تبخر؟!

جثا الفني، وقد اتسعت عيناه دهشة، إلى جوار فوكمان، وانتزع منه لوحة المفاتيح والفأرة. وحبس فوكمان أنفاسه والفني يعمل، وأنامله تتطاير على

الأزرار في سرعة مذهلة. محاولة تلو أخرى، لم يظفر الفني إلا بالنتيجة ذاتها. ثلاث صفارات مدوية.

PARTITION NOT FOUND

"لا تجزع"، قال الفتى وصوته ينطق بالجزع كله" .لا يعني هذا إلا أنهم، في محاولتهم طمس آثارهم، قد أزالوا القسم عن بكرة أبيه."

"أزالوه؟"

"أجل، يا سيدي، أعني أنهم محوه. بياناتكم"...

"شكرًا لك، لست أجهل معنى كلمة (إزالة). أتقصد أن أحدهم قد حذف كل الأبحاث ومسودات المخطوطة المرتبطة بهذا العنوان؟"

"أجل، يا سيدي. إن الإزالة إجراء مألوف يعقب عمليات الاختراق، إذ يجعل تعقب أثر المخترقين أشد عسرًا ".ثم عاد يضرب على لوحة المفاتيح . "ولكن لا تقلق، سيد فوكمان، فلدينا نظم احتياطية مزدوجة، وستظل جميع بياناتكم محفوظة على خادم النسخ الاحتياطي الخارجي لدار **PRH**، وهو موجود في مستودع التوزيع التابع لنا في ماريلاند. وها أنا ذا أسجل الدخول الآن لاستعادته."

تحولت أنامل أليكس إلى طيف يكاد لا يُرى.

"ما علينا إلا أن نصل إلى القسم البعيد ونقوم بترحيل"...

أصدر الحاسوب مرة أخرى صفيرًا ثلاثيًا متقطعًا. وومضت على الشاشة نافذة الحوار المعهودة.

ازدادت عينا الفني اتساعًا وهو يحاول الاتصال بالخادم الاحتياطي مرة أخرى.

"يا... إلهي"، همس الفتى.

شعر فوكمان بوهن مفاجئ يغشى أوصاله. أيعقل أن قسم كاثرين قد مُحي من كلا الخادمين؟! ومعه مخطوطتها ومدوناتها؟

قفز أليكس كونان من مكانه واتجه صوب الباب.

"يجب أن أصل إلى جهازي، يا سيدي. لم أر شيئًا كهذا من قبل، إنه خرق أمني بالغ الخطورة."

"حقًا!" قال فوكمان في نفسه، وهل كان بحاجة إلى من ينبئه بذلك!

جلس فوكمان على مقعده وقد تملكه الخدر، بينما كانت أصداء خطوات الفتى تتلاشى في الرواق الخالي. ثم نادى في إثره:

"أنا بحاجة إلى تلك الملفات يا أليكس! لقد أودعتني مؤلفتي أمانة عمل عام كامل"!

وعلى مدار تلك الليلة في لندن، كان السيد فينش يرقب مسرح الأحداث المتقلب.

أولى تلك الأحداث كانت بريغيتا غيسنر .كانت عالمة الأعصاب تلك قد بعثت إلى فينش رسالة مقلقة للغاية بشأن مخطوطة كاثرين سولومون، ثم بدا وكأنها قد تلاشت في الهواء. صمت مطبق وانقطاع تام.

وثانيتها كانت كاثرين سولومون نفسها. فقبل خمس وثلاثين دقيقة في براغ، أقدمت سولومون على فعل غير متوقع إلى حد استحال معه التجاهل. فكان لا بد من إجراء فوري.

لقد فكر فينش في تنبيه رئيسه في الولايات المتحدة، لكن الوقت هناك كان في منتصف الليل، فضلاً عن أنهم قد منحوه "صلاحية تنفيذية مطلقة" لاتخاذ القرارات الاستراتيجية. كما أن مناصب رؤسائه الرفيعة كانت تتطلب منهم القدرة على الإنكار المقبول لأي عمليات ملتبسة من الناحية الأخلاقية.

"عمليات كهذه التي أنا بصددها"، فكر فينش، وهو يعلم أن زملاءه يفضلون ألا يعرفوا كيف يحقق نتائجه.

وهكذا، في غضون دقائق من علمه بما فعلته سولومون، انساق وراء حدسه وأطلق إشارته الحاسمة، مُرسلاً كلمتين اثنتين إلى الميدان.

نفذوا الآن.

وقد جاءه التأكيد من رجاله المتربصين في براغ ومدينة نيويورك.

الفصل الثاني عشر

صاح النقيب ياناتشيك وهو يرفع لوحا حاسوبيا في وجه لانغدون" :أهذه هي المرأة التي رأيت؟ ."وقد عرضت شاشة اللوح لقطة مرئية مهتزة لامرأة يعلو رأسها إكليل من الشوك الأسود وتحمل في يدها رمحا.

كان ياناتشيك والملحق هاريس يجلسان قبالة لانغدون أمام المدفأة المتقدة.

أجاب لانغدون وقد عاوده الفزع الذي استبد به" :أجل، هي بعينها."

ثم أردف ياناتشيك قائلا" :تفيد تسجيلات المراقبة أنك كنت على الجسر، وقد مررت بهذه المرأة في منتصف الطريق، ثم توقفت لتخاطبها، وما لبثت أن هرعت عائدا إلى هنا وأخليت الفندق. فبأي حديث خاطبتك تلك المرأة؟."

أجاب لانغدون" :لم تنبس ببنت شفة، بل تجاهلتني ومضت في سبيلها."

فانفجر ياناتشيك ضاحكا" :لم تقل شيئا؟ يا حضرة الأستاذ، إن لم تكن قد قالت شيئا... فما الذي أثار في نفسك كل هذا الهلع؟."

وبدت على وجه هاريس حيرة لا تقل عن حيرة النقيب.

قال لانغدون" :كانت تضع على رأسها ذلك الإكليل الشائك الغريب.. وتحمل رمحا"، ثم أضاف" :وكانت هناك أيضا... رائحة نفاذة ."وأدرك لانغدون في الحال كم تبدو هذه الكلمات غريبة منافية للمنطق.

فرفع النقيب حاجبيه في استنكار" :لم تعجبك رائحتها؟ فهربت؟."

"لقد فاحت منها رائحة... الموت."

حدق ياناتشيك فيه قائلا" :الموت؟ وما هي رائحة الموت على وجه الدقة؟."

"لا أدري... لعلها رائحة العفن والكبريت والتحلل... إنها رائحة معقدة."...

فقاطعه ياناتشيك صارخا" :أستاذ لانغدون! كيف علمت أن هذا الصرح بحاجة إلى أن يُخلى من نزلائه؟."!

فتدخل هاريس في الحديث قائلا" :سيدي النقيب، لعلنا نمهل السيد لانغدون لحظة ليشرح لنا الأمر."

أخذ ياناتشيك ينقر بقلمه على دفتر ملاحظاته نقرات متتابعة، دون أن يرفع عينيه عن لانغدون.

أخذ لانغدون نفسا عميقا، وقد أزمع أن يلقي بما عنده وليكن ما يكون.

ثم استهل حديثه بنبرة سعى جاهدا أن تكون تقريرية لا أثر للانفعال فيها : "في الليلة الماضية، ألقت زميلتي كاثرين سولومون محاضرة في قلعة براغ. وبعد انتهاء المحاضرة، عدنا أنا وهي إلى هذا الفندق، وتناولنا شرابا في الحانة بالطابق السفلي. وقد انضمت إلينا عالمة أعصاب تشيكية مرموقة تدعى الدكتورة بريجيتا غيسنر، وهي التي كان لها الفضل الأكبر في دعوة كاثرين إلى براغ. وقد أصرت الدكتورة غيسنر على أن تجرب كاثرين شراب الأفسنتين البوهيمي المحلي، ففعلت، وكان من أثر ذلك الشراب أن قضت ليلتها في أرق وقلق."

وكان ياناتشيك يدون ما يسمع، ثم قال" :واصل."

فاستطرد لانغدون" :وفي ساعة ما، قرابة الواحدة والنصف صباحا، أفاقت كاثرين مذعورة من كابوس مروع، وقد استبد بها جزع شديد. فأتيت بها إلى هذه الغرفة، وأجلستها بجوار المدفأة، وأعددت لها بعض الشاي، وتركتها حتى تستعيد رباطة جأشها، ثم حين هدأ روعها، عدنا كلانا إلى فراشه."

فتذمر ياناتشيك قائلا" :يا لك من رجل نبيل! ولكن ما علاقة هذا بمسرحية الإخلاء التي افتعلتها؟."

صمت لانغدون برهة، يرتب في ذهنه أفضل السبل لعرض الأمر. ثم استجمع شجاعته متأهبا لردة فعلهما، ونطق بالحقيقة قائلا بهدوء قدر

المستطاع" : كابوس كاثرين. لقد رأت في منامها أن انفجارا مهلكا قد وقع... في هذا الفندق."

ورأى لانغدون على وجهي ياناتشيك وهاريس من الدهشة ما دل على أنهما لم يتوقعا قط مثل هذا الجواب.

فقال هاريس بصوت خفيض" :لا شك أن هذا أمر يبعث على القلق الشديد... ولكن ماذا عن المرأة... التي كانت على الجسر؟ لِمَ هربت حين رأيتها؟."

تنهد لانغدون، ثم أجاب ببطء وتأن" :لأنه في حلم كاثرين، ظهرت امرأة إلى جوار فراشنا في هذا الجناح. كانت ترتدي ثيابا سوداء وتضع على رأسها"...، ثم أشار إلى الصورة على شاشة الجهاز" :هذا الشيء بعينه... إكليلا من الشوك الأسود. وكانت تحمل رمحا فضيا. وقد فاحت من المرأة رائحة الموت، وقالت إن كاثرين ستلقى حتفها ."صمت لانغدون لحظة ثم أكمل" :ثم، في الحلم، انفجر هذا الفندق بأكمله، فقتل كل من فيه."

فانفجر ياناتشيك غاضبا" :هوفادينا! هراء سخيف! كما يحلو لكم أيها الأمريكيون أن تقولوا! لا أصدق من هذا حرفا."!

ولم يكن مايكل هاريس بأقل تكذيبا لما سمع.

قال لانغدون" :أتفهم ردة فعلكما، فأنا نفسي لا أزال أحاول استيعاب الأمر، ولكني أقول الحقيقة. هذا الصباح، حين وقع بصري على المرأة نفسها التي ظهرت في حلم كاثرين، رأيتها لحما ودما، فتملكني الذعر. وخشيت أن يكون الحلم ضربا من... لا أدري... ربما نذير شؤم."

فصاح ياناتشيك بحدة، وقد جعلت لكنته التشيكية الثقيلة الأمر يبدو أشد استحالة" :نذير شؤم في حلم؟! إذن أخبرني، في حلم السيدة سولومون السحري ذاك، في أي ساعة انفجرت القنبلة؟."

فكر لانغدون في الأمر ثم قال" :لا أعلم، فلم تذكر وقتا محددا."

"ومع ذلك فقد قفزت من النافذة للفرار في تمام السابعة صباحا، وهي الساعة ذاتها التي ضُبطت القنبلة لتنفجر فيها. كيف علمت أنها السابعة صباحا؟."!

"لم أكن أعلم"، قال لانغدون، "لقد بدأت أجراس الكنيسة تقرع، ولسبب أجهله، تلاقت كل الخيوط في ذهني فجأة."...

فبصق ياناتشيك الكلمات في وجهه وهو يقفز من مكانه ويندفع نحو لانغدون في حركة تنذر بالشر" :هراء أكبر من سابقه! أنت تكذب علي."!

نهض هاريس على الفور ليدافع عنه، ووقف في وجه ياناتشيك قائلا :

"سيدي النقيب، لقد تجاوزت حدودك."

فصاح ياناتشيك وهو يلتفت إلى الملحق" :حقًا؟ في السابعة من صباح هذا اليوم – وهي الساعة الدقيقة التي كان من المقرر أن تنفجر فيها القنبلة – كان روبرت لانغدون وكاثرين سولومون، ويا للمصادفة، خارج الفندق. من الواضح أنهما كانا يهربان بحياتهما. "

فهتف لانغدون وقد عز عليه أن يكتم غيظه" :هذا كلام سخيف."!

"أسخف من حلم تفوح منه رائحة الكبريت؟."!

حذره هاريس بحزم" :نقيب ياناتشيك، أنت تتخطى كل الخطوط."

فصرخ النقيب" :أي خطوط؟! لقد تم تجنب هجوم إرهابي بفارق شعرة، والأدلة تشير إلى أن هذين الأمريكيين كانا على علم مسبق بالانفجار. ولن أقبل بحجة واهية كحلم سحري."!

حدق هاريس في ياناتشيك ولم يتزحزح قيد أنملة" :كلانا يعلم أنه من غير المتصور على الإطلاق أن يخطط روبرت لانغدون أو كاثرين سولومون لتفجير فندق. إن هذا الأمر لا يستقيم في منطق."

"بل يستقيم تماما حين نأخذ في الحسبان أن لدى كاثرين دافعا واضحا."

فسأله لانغدون في ذهول" :دافع لتفجير فندق؟."!

أجاب ياناتشيك" :بالتأكيد. في التحقيقات الجنائية، أسأل نفسي دائما سؤالا واحدا بسيطا: من الذي سيستفيد من الجريمة؟ وأيا كان ذلك الشخص، ومهما بدا الأمر مستبعدا، فإنه يصبح المشتبه به الرئيسي لدي."

فتدخل هاريس" :سيدي النقيب، أي فائدة يمكن أن تجنيها كاثرين سولومون."...

فقاطعه ياناتشيك ملتفتا إلى لانغدون من جديد" :دعني أسألك شيئا يا حضرة الأستاذ. لقد نما إلى علمي أن السيدة سولومون تؤلف كتابا، أليس كذلك؟."

"هذا صحيح ."ورغم أن كاثرين كانت قد ذكرت كتابها ليلة أمس في محاضرتها، فقد شعر لانغدون بالارتباك لمعرفة هذا الرجل بالأمر.

وتابع ياناتشيك" :وفضلا عن ذلك، فهمت أن هذا الكتاب يدعم وجود قوى خارقة للطبيعة مثل الإدراك فوق الحسي (ESP) ورؤية المستقبل، وتلك الأمور التي هي من صميم تخصص السيدة سولومون. ويبدو لي أن قصة إخبارية عن حلم غيبي أنقذ فندقا يعج بالناس ستكون مفيدة جدا لمصداقية كتابها... ومبيعاته، أليس كذلك؟."

حدق لانغدون في الضابط غير مصدق ما تسمعه أذناه.

فقال هاريس الذي بدا مذهولا هو الآخر" :سيدي النقيب، إن تلميحك هذا من الواضح أنه."...

فقاطعه ياناتشيك" :إنه التفسير الوحيد الممكن."

قال لانغدون بهدوء" :سيدي، هل تلمح إلى أن إنذار الحريق والكابوس كانا... ضربا من حيلة دعائية؟."

ابتسم ياناتشيك ابتسامة ساخرة، وأخذ نفسا طويلا من سيجارته، ثم قال : "بعد ثمانية وثلاثين عاما قضيتها في سلك التحقيق، يا حضرة الأستاذ، ظننت أني قد رأيت كل شيء. ولكن الآن، في عالم وسائل التواصل الاجتماعي الذي تعيشون فيه، لا تنقضي دهشتي مما قد يفعله الناس للحصول على تغطية إعلامية... لينتشروا كالنار في الهشيم، أو كما تحبون أنتم الأمريكيون القول :ليصبحوا تريند .لقد كانت خطتكم عبقرية في الواقع، وآمنة وسهلة التنفيذ بشكل مدهش."

فسأله لانغدون باستنكار" :كيف تقول إن زرع قنبلة يمكن أن يكون آمنا؟."!

وكان هاريس قد التزم الصمت.

كرر ياناتشيك" :لقد حرصتما على أن تكون آمنة. فالقنبلة التي عثرنا عليها كانت صغيرة الحجم، وموضوعة في قبو بحيث لا تحدث إلا أضرارا طفيفة. ثم أبلغتما بلاغا من مجهول لتتأكدا من اكتشاف المادة المتفجرة قبل أن يصاب أي شخص بأذى."

الكلاب البوليسية في البهو...

ثم أضاف ياناتشيك" :وبالمناسبة، كان إكليل الشوك لمسة فنية رائعة، لافتة للأنظار ومن الصعب إغفالها في تسجيلات الكاميرات الأمنية."

شعر لانغدون بغثيان خفيف" .سيدي، لا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الكلام."

فقال النقيب" :إن كنت تعتقد ذلك، فربما أنك لا تعرف الحقيقة. وربما أنك لا تعرف كاثرين سولومون بالقدر الذي تظن. لعلها دبرت كل هذا من وراء ظهرك، واتخذتك شريكا لها من حيث لا تدري."

ترفع لانغدون عن الرد على كلماته.

قال ياناتشيك بلهجة قاطعة" :أنا بارع جدا في كشف الحقائق يا حضرة الأستاذ، ولهذا السبب أتوق لسماع رواية السيدة سولومون للقصة. فإن كانت قد رأت حلما تحقق بالفعل، فربما تكون بريئة. ولكن هذا سيعني أن

كاثرين سولومون تستطيع رؤية المستقبل، الأمر الذي سيجعلها شخصية فريدة من نوعها حقا. فهل هي فريدة إلى هذا الحد يا سيد لانغدون؟."

لم تترك السخرية اللاذعة في صوت الرجل مجالا للشك في أنهما، لانغدون وكاثرين، يخوضان الآن معركة شاقة، وأنهما متهمان حتى تثبت براءتهما.

قال ياناتشيك" :وهذا يقودني إلى سؤالي الأخير. أين السيدة سولومون الآن؟."

أجاب لانغدون باقتضاب" :إنها في لقاء مع إحدى الزميلات."

"من هي؟."

"عالمة الأعصاب التشيكية التي ذكرتها، الدكتورة غيسنر."

"وهل تلتقي السيدتان في مختبر الدكتورة غيسنر؟."

ذُهل لانغدون لمعرفة الضابط بهذا الأمر.

فقال ياناتشيك" :اهدأ ."ثم رفع ورقة في يده وقال" :لقد أخذت هذه من غرفة نومك مع جوازي سفركما كليهما."

كانت هي الرسالة التي تركتها كاثرين .لم يكن ياناتشيك إلا يختبره.

أنا في طريقي للقاء بريجيتا في مختبرها. الساعة 8:00 صباحا.

"ما هو موعد اللقاء؟."

أجاب لانغدون" :الثامنة صباحا."

نظر ياناتشيك إلى ساعته" :وهذا يعني بعد دقائق قليلة من الآن. أين يقع هذا المختبر؟."

كان لانغدون قد علم في الليلة السابقة أن مختبر غيسنر يقع في أحد معالم براغ المحصنة، وهو حصن كروسيفيكس ، وهو حصن صغير من القرون الوسطى تم تجديده ليصبح منشأة أبحاث فائقة الحداثة على بعد أربعة كيلومترات من وسط المدينة. وعرض عليه قائلا" :سأتصل بكاثرين"، وقد خمن أنها لن ترغب في أن يتم استجوابها أمام غيسنر" .وأنا على يقين من أنها ستعود فورا."...

فانفجر ياناتشيك صارخا، وهو يدفع هاريس من طريقه ويقف على بعد بوصات من وجه لانغدون" :أين يقع المختبر؟ سأقبض عليك في هذه اللحظة يا حضرة الأستاذ، وستحتاج قنصليتك إلى أسابيع لتتجاوز الإجراءات الروتينية المعقدة."

صمد لانغدون في مكانه ولم يتراجع" :أود أن أتحدث على انفراد مع السيد هاريس."

فصاح ياناتشيك" :هذه فرصتك الأخيرة. أين المختبر؟."

ساد صمت طويل، وكان الصوت الذي نطق بعد ذلك بمثابة طعنة غادرة في ظهر لانغدون.

قال هاريس ببرود" :في حصن كروسيفيكس. على بعد أربعة كيلومترات من هنا."

الفصل الثالث عشر

أحس روبرت لانغدون وكأنه مجرم، والقائد ياناتشيك يقتاده عبر بهو الفندق. وما إن مرا بمكتب الاستقبال حتى رن هاتف ياناتشيك، فانتحى القائد جانبًا ليُجري المكالمة بعيدًا عن الأسماع.

همس هاريس بجواره، مغتنمًا فرصة خلوتهما" :أرجوك أن تتفهم، يا أستاذ، لقد كان القائد ياناتشيك يعلم بموقع المختبر سلفًا، وإنما كان يستدرجك ليوقع بك بتهمة عرقلة التحقيق. لقد كشفتُ أنا عن موقع المختبر حتى لا يستطيع القائد ياناتشيك أن يدّعي أنك أعقتَ تحقيقاته، ولكان قد ألقى القبض عليك في الحال."

فتلاطمت في صدر لانغدون مشاعر الامتنان والحيرة.

"كفى لغطًا"!، صاح ياناتشيك منهيًا مكالمته، وتقدم بخطى حازمة عبر البهو نحو لانغدون" .كفى حديثًا! سنغادر الآن"!

تبع لانغدون القائد ياناتشيك وهاريس في إذعان إلى خارج الفندق، حيث كانت ندُف الثلج تتراقص في الهواء. كان الفجر يتأخر في الظهور في شهر فبراير، ولكن الشمس أشرقت أخيرًا، باسطةً على المدينة ضوءًا رماديًا شاحبًا. وبينما كانوا يسيرون نحو حافة الرصيف، رفع هاريس بصره عن هاتفه وقال" :أيها القائد، لقد أبلغت السفيرة بالأمر."

"السيدة السفيرة بشخصها؟ "قال ياناتشيك ساخرًا" .ألا تثق في حكمك على الأمور؟"

"بل هو حكمك أنت الذي لا أثق به"، أجاب هاريس بصلابة لم تهتز .

"بالنظر إلى خطورة اتهامك ومكانة الشخصيات المتهمة، فإن من واجبي إشراك السفارة على أرفع المستويات."

"افعل ما يحلو لك ".قالها ياناتشيك بابتسامة متكلفة، ولوح بيده في استخفاف" .أنا على يقين أنني والسيد لانغدون سنكون على خير ما يرام دونك."

"أخطأت"، رد هاريس في حزم" .سآخذ السيد لانغدون معي إلى السفارة، حيث يمكنه أن ينتظر في راحة أكبر بينما تذهب أنت لإحضار الدكتورة سولومون."

لم يكن في نية لانغدون أن يترك كاثرين وحدها مع ياناتشيك، وهمّ بالاعتراض، لولا أن القائد أطلق ضحكة عالية" .سيد هاريس، لك أن تتصرف بالطبع، ولكن مشتبهي، السيد لانغدون، سيأتي معي إلى المختبر."

"مشتبه؟ "قال هاريس متحديًا" .لم توجه إليه أي تهمة، ومن حقه الكامل"...

"سيسرني أن أوجه إليه تهمة، إن كنت تفضل ذلك. ولن يكون الأمر عسيرًا، خاصة وأنه تسبب في إخلاء واحد من أرقى فنادق براغ، وحجته في ذلك حلم من نسج الخيال."

صمت هاريس، وهو يوازن خياراته في عقله. وبعد لحظة، التفت إلى لانغدون، وقد علت وجهه أمارات القلق العميق" .أستاذ، لقد طلبت اجتماعًا طارئًا مع السفيرة. هل يمكنك تدبر أمرك وحدك لنحو نصف ساعة؟"

"بالتأكيد"، أجاب لانغدون.

"حسنًا. سأطلع السفيرة على تفاصيل الموقف ثم ألحق بك إلى المختبر، وربما تصحبني السفيرة بنفسها."

"شكرًا لك"، قال لانغدون" .أنا على ثقة أننا سنسوي هذا الأمر حالما نتحدث مع كاثرين."

عاد هاريس بوجهه شطر ياناتشيك، الذي كان قد أشعل سيجارة أخرى . "أيها القائد، اعلم أن السفارة تراقبك. لا نملك أن نمنعك من فظاظتك، ولكن إن سوّلت لك نفسك أن تتجاوز أي حدود أخلاقية أو قانونية"...

"مفهوم"، قاطعه ياناتشيك بحدة، والسيجارة تتدلى من شفتيه الرقيقتين. ثم أشاح بوجهه وأشار إلى سيارة قريبة، فدوت وانطلقت نحوهما بسرعة، ثم توقفت انزلاقًا على بعد بضع بوصات منهم.

فزِع لانغدون وقفز إلى الوراء.

كانت سيارة السيدان السوداء من طراز "سكودا" تحمل شعار ÚZSI منقوشًا على كلا جانبيها. فتح ياناتشيك الباب الخلفي وأومأ إلى لانغدون أن يدخل.

وبينما كان لانغدون يصعد إلى السيارة، التفت ياناتشيك إلى هاريس .

"وهذا تحذير لك أيها الملحق. حري بك أن تعجل، فليس في نيتي أن أؤخر استجوابي للسيدة سولومون."

انطلقت سيارة الأجرة التي يستقلها مايكل هاريس من أمام فندق الفصول الأربعة .أشار السائق إلى نيته الانعطاف يمينًا، مما دل على أنه ظن هاريس سائحًا أمريكيًا غِرًا لا يدري كيف يصل إلى سفارة الولايات المتحدة، فريسة مثالية لأجرة مضخمة.

"اسلك جسر مانيس، تبا لك "!صاح هاريس بلغة تشيكية لا تخلو من بذاءة" .إنني في عجلة من أمري"!

اتسعت عينا السائق دهشة، وانحرف بسيارته فجأة إلى اليسار. لطالما كان أهل البلاد يُباغتون حين يسمعون أمريكيًا يتحدث التشيكية بطلاقة، ولا سيما حين يكون هذا الأمريكي رجلاً أسود فارع الطول، يبلغ طوله ستة أقدام وبوصتين، ويرتدي حلة أنيقة مفصلة على مقاسه.

نشأ مايكل أوكو هاريس في كنف أسرة ثرية بمدينة فيلادلفيا، وتولت تربيته في المقام الأول مربيته، وهي مهاجرة من مدينة برنو .وبإيعاز من والديه، لم تكن المربية تخاطب الصبي إلا باللغة التشيكية، حتى إذا بلغ مايكل الخامسة عشرة من عمره، كان قد أتقن اللغتين تمام الإتقان. وبعد تخرجه من كلية الحقوق بجامعة UCLA، قرر هاريس أن يستثمر خبرته اللغوية بالسعي للحصول على منصب في سفارة الولايات المتحدة في براغ؛ تلك المدينة الغريبة الساحرة بطعامها الراقي، ونسائها الفاتنات، وعملها المثير.

بيد أن ذلك العمل قد غدا في الأسابيع الأخيرة أكثر إثارة مما كان يتمنى. وما حدث هذا الصباح قد ارتقى بـ "الإثارة" إلى مستوى جديد تمامًا.

ظلت الحادثة التي وقعت على جسر تشارلز عصية على فهم هاريس .كان ادعاء ياناتشيك بأنها كانت مجرد حيلة دعائية لكتاب كاثرين سولومون القادم يبدو ضربًا من العبث، ومع ذلك، كان على هاريس أن يعترف بأن

في الأمر منطقًا غريبًا؛ فقد كان دومًا يدهش من المخاطر التي يخوضها الناجحون في سبيل المضي قدمًا في مسيرتهم المهنية.

"وأنا منهم"، هكذا ذكّر هاريس نفسه.

فمنذ عدة أشهر، كان هاريس يؤدي بعض الأعمال "غير الرسمية" للسفيرة، ورغم أن تلك الأعمال كانت قانونية من الناحية الفنية، إلا أنها كانت تحوم على الحافة... وبغيضة إلى حد بعيد. ومع ذلك، فإن العائد المالي السري، مقرونًا بنفوذ السفيرة الشخصي عليه، كانا أمرين يستحيل على هاريس رفضهما. "آمل ألا يعود ذلك ليطاردني"، فكر هاريس.

بيد أن شعورًا بالقلق ساوره بأنه سيفعل.

الفصل الرابع عشر

في رحاب البلدة القديمة، انسل الغولم من أغوار تلك المتاهة المتضاغطة من الدروب والأزقة التي كانت تلفُّ مسكنه. وكانت تلك الشبكة المبهمة من المسالك، التي لا يتجاوز عرض بعضها ذراعين، تتلوى في أحشاء ذلك الحي العتيق كما تتلوى عروق الدالية المتشبثة.

وبينما هو يمضي في طريقه، استنشق الغولم نفسا عميقا، دافعا الهواء القارس إلى قرارة رئتيه، في محاولة منه ليعيد إلى ذهنه صفاءه وانسجامه. فلطالما كانت لقاءاته بـ الأثير تفصم عراه عن عالم المادة المحسوس، ولكنها في الوقت ذاته كانت توقظ حواسه وتبعث فيها الحياة.

لتبقَ متيقظا، فما زال ثمة عملٌ لا بد من إتمامه.

ذلك أن خطة الغولم للانتقام كانت تتوقف على معلومة بعينها لم تكن بعد في حوزته. وكان لزاما عليه أن يخطو خطواته بحذر لا مزيد عليه؛ فإنه لو ترك خلفه أدنى أثر لما يبحث عنه، لكان في ذلك كشفٌ لسره وهتكٌ لستره. ولهذا السبب، كان قد انتقى وجهته التالية بعناية فائقة، مختارا مكانا قصيا هادئا، يستطيع فيه أن يتحصل على بغيته دون أن يعرف له أحدٌ شخصا أو هوية.

وفي صبيحة هذا اليوم، كان يرتدي ثيابا بسيطة لا تلفت النظر، قوامها سروال وقميص ومعطف شتوي وقبعة من طراز باعة الصحف المثنى، ونظارة داكنة تحجب معظم قسمات وجهه. وكان هذا الزي هو المعتاد في هيئته أكثر من ردائه الخاص، على أنه كان يستمتع أيما استمتاع بتلك الساعات التي يجوب فيها الطرقات متقمصا شخصية الغولم، حيث يغدو مظهره الخارجي مرآة تعكس كنه روحه الباطنة: حاميا جبارا أتى من عالم آخر.

ولم يكن ذلك الرداء يخلو من فائدة دنيوية كذلك. فمدينة براغ كانت مدينة تعج بأعين الرقابة، وكانت الكاميرات المزودة ببرامج التعرف على الوجوه منتشرة في كل مكان عام كالهواء الذي لا مفر منه. حتى لقد شاع بين الناس القول بأن شغف أهل براغ بالأزياء التنكرية والأقنعة ما هو إلا محاولة منهم لاختلاس لحظات عابرة من التخفي عن الأعين، ينعمون فيها بالتجرد من هويتهم. لذلك، حينما كان الغولم ينشد التخفي التام، كان يلقى ضالته تحت ستار كثيف من الطين، ذلك الستار الذي كان يمنحه ترف التحرك بحرية مطلقة في عالم المادة.

وفي الليلة الفائتة، لم يكن قد ارتدى رداء الغولم ليخفي هيئته فحسب، بل ليحجب وجهه عن عيني الدكتورة غيسنر .وليبث في قلبها الرعب. ولا

ريب أن صدمة ظهوره بتلك الهيئة المهيبة كانت عونا له على إقناعها بأن تبوحِ بأعمق أسرارها؛ وما زال الغولم إلى الآن يستوعب في عقله ذلك الكم الهائل من المعلومات التي استخلصها منها.

تلك الفظاعة التي شيدوها في جوف الأرض...

وهوية شركائها في الجريمة...

وكيف أنها كشفت له، دون أن تدري... عن تلك الطريقة المبتكرة التي سيتمكن بها من هدم كل ذلك الصرح على رؤوسهم.

والآن، ولِج الغولم في زقاق أفسح من غيره، يُعرف باسم ميلانتريخوفا .ورغم اتساعه، فإنه كان لا يزال أضيق من أن يتسع لسيارة واحدة، وقد تناثرت على جانبيه بضع حوانيت ومقاهٍ كانت قد بدأت لتوها تفتح أبوابها. وقد شرعت جماعات متفرقة من السياح تهيم في تلك المتاهة، ترتشف القهوة وتلتقط الصور لتلك المسالك الفريدة في تداخلها وتشعبها.

ثم انعطف يمينا، فمر الغولم بمتحف يُدعى متحف آلات الجنس، وقد عُرضت في واجهته أصناف من الأدوات والمبتكرات التي صُممت لإمتاع الجسد البشري. لم يجد في ذلك كله ما يغريه أو يستهويه؛ فإن الأثير كان يمنحه نشوة أسمى وأعمق بكثير من أي متعة جسدية فانية.

ولكن، وعلى الرغم من ذلك، استدعت تلك الصور الفاضحة في نوافذ المتحف إلى مخيلته طيفها هي... راقدة بين ذراعي عشيقها. وأصابته تلك الخاطرة بغثيان واشمئزاز. ولقد كان الغولم قد حسم أمره بأن أرحم ما يمكن أن يصنعه من أجلها هو أن يمحو هذا الرجل من الوجود في أسرع وقت ممكن. سيحزنها موته، لا ريب في ذلك، ولكن الغولم سيتكفل بامتصاص ألمها كله، وسيساعدها على طي صفحة النسيان.

فإن دور الغولم هو أن يحمل عن الروح الضعيفة عبئها.

وعندما بلغ ساحة البلدة، كانت رائحة الكستناء المشوية تملأ الأجواء، وتمتزج بأنغام آلة الـ "بوك"، وهي مزمار قربة بوهيمي صغير، من الآلات المحببة إلى نفوس موسيقيي الشوارع هناك. وكانت تلك الساحة الممتدة، المرصوفة بالحجارة المبتلة، قد بدأت تتناثر فيها جماعات أكبر من سياح الصباح، وقد تحلق بعضهم تحت الساعة الفلكية ليشهدوا موكب القديسين الذي يخرج في تمام الساعة الثامنة.

وعلى مقربة منهم، كان بضعة أشخاص بأزيائهم التنكرية يقفون ليلتقط الناس لهم الصور مقابل شيء من المال. وكان الرجال منهم يرتدون أردية داكنة طويلة، وقبعات عالية، ويضعون على وجوههم مساحيق صاخبة

كمهرجي الـ "هارلكوين"، فتغدو وجوههم مطلية بالبياض كله، إلا من محاجر عيونهم التي طليت بالسواد القاتم.

حدث نفسه قائلا: ما هؤلاء إلا وصوليون. وشك في أن يكون أولئك الرجال أعضاء حقيقيين في كنيسة براغ سيئة السمعة، "كيركيف ساتانوفا " –أو كنيسة الشيطان .فمنذ أن نشرت صحيفة الديلي ميل مقالا بعنوان "في كواليس طقوس عبدة الشيطان الـ "هارلكوين المظلم "في براغ"، مدعوما بصور فوتوغرافية التقطت في الخفاء، غدا السياح في براغ على استعداد لأن يدفعوا بسخاء مقابل صورة مع شيطاني حقيقي.

لقد كان الدين وعلوم الغيب يمتزجان في نسيج هذه المدينة امتزاجا، ولم يكن الزائر ليجد عناء في أن يرى طيفا من الملائكة والقديسين والشياطين وشخصيات الأساطير الغابرة يهيمون في طرقاتها. وكثيرا ما كانت تقف في الساحة ممثلة ترتدي زي ملاك أسود، تبسط جناحيها الداكنين أمام فندق يو برينس، وترشد الضيوف إلى داخل قبو الفندق الشهير، حيث يوجد بار الملاك الأسود.

أما في هذه الساعة، فقد كان الملاك المجنح قد آوى إلى فراشه، وكان مدخل الفندق الأنيق مقفرا وخاليا من الناس، تماما كما توقع. تسلل الغولم إلى

الداخل، وهبط الدرج المتلوي نزولا نحو البار. فهناك، كان يخطط لأن يجد ضالته المنشودة.

كان بار الملاك الأسود يقع في كهف حجري قوطي الطراز، يرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر، على عمق عدة طوابق تحت الفندق. وتقول الأسطورة إنه أثناء عملية ترميم، عثر العمال مصادفة على حجرة سرية، كانت تضم صندوق كنز يحوي يوميات قديمة لرجل يدعى ألويس كرخا .وكانت تلك اليوميات تشتمل على وصفات لمشروبات غريبة وإكسيرات غامضة من عهود سالفة، يُشاع أن بعضها كان يتمتع بخصائص سحرية. وكان السياح يرتادون بار الملاك الأسود على أمل أن يكون هناك شيء من الحقيقة في شعار البار الشهير:

"هنا حيث يغدو المستحيل ممكنا".

تمنى الغولم في قرارة نفسه قائلا: "ليت الأمر يكون كذلك حقا". فإذا سارت الأمور كما رسم لها، فإن المعلومة التي يحتاجها لتحقيق المستحيل ستكون في انتظاره في هذا القبو.

وخاطب نفسه مرة أخرى: "كل هذا بفضل ملاك الموت."

الفصل الخامس عشر

وقف جوناثان فوكمان وحيدا، ماثلا أمام نافذة مكتبه في الطابق الثالث والعشرين، يرمق بأبصار ذاهلة أنوار مانهاتن في تمام الساعة الثانية صباحا. "المدينة التي لا تنام أبدا!"، هكذا جال في خاطر المحرر، وهو يدرك يقينا أن الكرى لن يعرف طريقه إلى جفونه لزمن طويل، ما لم يعثر على مخطوطة كاتبته النفيسة.

كان لا يزال يحدوه أمل في أن يهاتفه التقني في أي لحظة ليزف إليه أن ما حدث من "قرصنة" لم يكن إلا عارضًا رقميًا عابرًا، بيد أن فوكمان استشعر أن أمرا أدْهى وأخطر يتربص به في كتمان.

لم يلحق الضرر بأي قسم آخر.

إلا قسم كاثرين...

تناول سماعة هاتفه المكتبي ليتصل بكاثرين في براغ، ولكنه بعد أن أمسكها لحظة، أعادها إلى مهدها. كان الصباح لا يزال في أوله في أوروبا الوسطى، ولا شك أن هذا النبأ سيكون له عليها وقع الصاعقة. لقد أودعت كاثرين ثقتها في فوكمان، فشعر بمسؤولية أخلاقية عميقة تجاه إصلاح هذا الأمر... لا سيما بعد أن أقنعها بالعمل بأمان على خادم الشركة.

إذًا، من الذي سطا على مخطوطتها؟

هل ستظهر في السوق السوداء خلال الساعات القليلة القادمة؟

أجبر فوكمان نفسه على أن يتنفس الصعداء، وزفر زفرة طويلة. ثم ذكّر نفسه بأن أمرا واحدا قد حالفه فيه الحظ هذه الليلة... بصيص من توفيق... وأنه يتعين عليه أن يتصرف بحذر وفورًا.

عبر فوكمان مكتبه وأغلق الباب، ثم أدار المزلاج في هدوء. توجه بعد ذلك إلى خزانة كتبه التي كانت تزدحم بتذكارات النشر، من لوحات إعلانية، وألواح طباعة معدنية، وجوائز أدبية، وقوائم الكتب الأكثر مبيعا مؤطرة، ونسخ قراءة مسبقة محدودة الإصدار. ثم تناول من على الرف العلوي أحد أثمن مقتنياته... كوب قهوة نُقش خصيصا له.

كان الكوب يحمل رموز كأس مقدسة، ومثلث، ووردة. لقد كان هدية من روبرت لانغدون بعد أول عمل نشراه معا قبل عقدين من الزمن —— "رموز الأنثى المقدسة المفقودة" —— وهو كتاب لم تبع منه من النسخ إلا ما يكفي لانغدون لشراء هذا الكوب لفوكمان ...ولا شيء يذكر بعد ذلك. وعلى مر السنين، غدا الكوب رمزا لصداقة لانغدون الراسخة، فضلا عن تعاونهما المهني المستمر.

أخرج فوكمان من داخل الكوب مفتاحا وحيدا، ثم عاد إلى مكتبه واستخدمه لفتح درج المكتب السفلي.

وهناك، في مأمنه بالدرج، كانت ترقد حزمة سميكة من الصفحات المطبوعة — أربعمئة وإحدى وثمانون صفحة، بمسافات مزدوجة — مكدسة بعناية ومربوطة بشريطين مطاطيين.

رفع فوكمان المخطوطة من الدرج ووضعها على مكتبه الخشبي الكبير.

لم تحوِ صفحة العنوان إلا سطرين اثنين.

"الحمد لله أني ما زلت أراجع النصوص ورقيا"، هكذا فكر وهو يتنفس الصعداء، مغتبطا بمعرفته أنه لا يزال يمتلك نسخة واحدة على الأقل. فمن عادته، كان فوكمان قد طبع نسخته التحريرية فور أن أتاحت له كاثرين الوصول إلى المخطوطة قبل عدة ساعات.

كان معظم المحررين يستخدمون معالجات النصوص وميزة "تعقب التغييرات " (Track Changes)لإدخال تعديلاتهم مباشرة في المخطوطات الرقمية، لكن فوكمان كان لا يزال يؤثر كومة من الورق وقلمًا أزرق تقليديا. وللمرة الأولى، أثبتت هذه الطريقة العتيقة جدواها.

UNTITLED

BY KATHERINE SOLOMON

لقد مضى على عالم النشر حينٌ، ليس بالبعيد، كان من الشائع فيه ألا توجد سوى نسخة واحدة من المخطوطة. كان المؤلفون يخطون أعمالهم بأيديهم، ويضعون مخطوطاتهم في صندوق، ويسلمونها إلى مكتب الناشر. إن روايات مثل "مرتفعات وذرينغ"، و"الإخوة كارامازوف"، و"لمن تقرع الأجراس"، قد بدأت كل منها حياتها كمخطوطة ورقية أصلية وحيدة.

"تمالك نفسك"، هكذا قال لنفسه. "إذا كان ماكسويل بيركنز قادرا على الحفاظ على هدوئه وهو يتعامل مع مخطوطات لهيمنغواي وفيتزجيرالد، فمن المؤكد أني أستطيع أن أفعل الشيء نفسه مع كاثرين سولومون".

ومع ذلك، كان أول ما اعتزمه هو إنشاء ملف نسخ احتياطي رقمي. كانت هذه العملية تتطلب في الماضي إعادة كتابة مخطوطة كاملة في معالج النصوص. أما في هذه الأيام، فإن ماسحات التعرف الضوئي على الحروف (OCR)لا تستغرق سوى دقائق معدودات.

"قليل من التأمين بينما تحاول دار (PRH) معرفة ما جرى هنا".

ولكن بينما كان فوكمان يتأمل في خطته، داهمته حقيقة مزعجة. إن ماسحات (OCR) وآلات التصوير الخاصة بالناشر كانت جميعها متصلة بشبكة الشركة؛ فإذا كان أحد القراصنة قد تمكن من الوصول إلى أكثر قواعد بيانات (PRH) أمانا، فمن غير الممكن اعتبار أجهزة (OCR)

وآلات النسخ المتصلة بالشبكة آمنة. ومع كل ما حدث هذه الليلة، لم يكن فوكمان على استعداد للمخاطرة بأي شيء.

نظر في ساعته: الثانية وتسع دقائق صباحا. إذا تسلل إلى مكتب "فيديكس" للطباعة والشحن القريب، والذي يعمل على مدار أربع وعشرين ساعة، فيمكنه استخدام أجهزة (OCR) وآلات النسخ الخاصة بهم، والتي ستكون مجهولة الهوية ولا يمكن تعقبها — وهي بالتأكيد أكثر أمانا من استخدام جهاز الناشر المتصل بالشبكة.

واثقا من خطته، لف فوكمان المخطوطة بسرعة في ظرف مبطن وأحكم إغلاقه، ثم دسّ الحزمة في حقيبة ظهره. وبعد أن ربط حذاءه الرياضي الأسود وارتدى معطفه الصوفي الرمادي العتيق، حمل فوكمان حقيبة الظهر على كتفيه وغادر مكتبه، وأقفل الباب خلفه. وبعد ثلاثين ثانية، كان يستقل المصعد نزولا إلى الطابق الأرضي.

وعندما خرج من المصعد، لوّح فوكمان للحارس الليلي الجالس خلف مكتب الأمن في الردهة الفسيحة" .أراك غدا يا مارك".

"شكرا لك سيد فوكمان. أتمنى لك ليلة سعيدة".

"لقد فات أوان ذلك"، هكذا فكر فوكمان.

وبينما كان يسرع نحو المخرج، مر بين جداري الردهة من خزائن الكتب الشاهقة، التي عرضت بفخر كلاسيكيات دار راندوم هاوس التي يعود تاريخها إلى أوائل القرن العشرين، حين أسس الشريكان المؤسسان بينيت سيرف ودونالد إس كلوبفر هذه الشركة كناشر صغير لإعادة طبع الكتب. كانت أذواق المؤسسين الأدبية متنوعة ومختلفة إلى حد بدت معه "عشوائية" تقريبا، وقد أطلقا على مشروعهما للنشر هذا الاسم تبعا لذلك.

كان عدد قليل من كتب فوكمان يستقر على هذه الأرفف الموقرة، وحتى هذه الليلة، كان على ثقة من أن طبعة أولى من كتاب كاثرين ستجد مكانها هنا يوما ما.

"لديك مهمة واحدة الآن"، ذكّر نفسه وهو يندفع عبر الأبواب الزجاجية الدوارة الكبيرة إلى الشارع. "أن تحمي هذه المخطوطة".

كان الليل قارس البرودة، والأرصفة مقفرة في هذه الساعة.

انعطف فوكمان يمينا في شارع برودواي وسار بخطى حثيثة جنوبا نحو الشارع الخامس والخمسين، والريح الجليدية ترفع طيات معطفه.

وبينما كان يعبر الجادة، كان مشغول البال لدرجة أنه لم يلاحظ شاحنة سوداء تتبعه على بعد شارع كامل.

يقع قسم أمن بيانات (PRH) في الطابق الرابع من برج راندوم هاوس، ويتألف من ست محطات طرفية آمنة تقع في عمق متاهة من رفوف الخوادم الطنانة. كانت هذه المنشأة المدمجة مسؤولة عن الحفاظ على جدار حماية منيع حول الخوادم الداخلية للناشر.

كان فني الأمن أليكس كونان يكتب الآن بحمى على محطته الطرفية، بعد أن تأكد من أن كل أثر لمخطوطة كاثرين سولومون ومجلدات أبحاثها قد اختفى — تم تصفيره، ومحوه، واستحال استرجاعه.

"لم تعد هذه مهمة إنقاذ"، فكر أليكس" .لا يوجد ناجون".

ومن المثير للقلق أن نظام كشف/منع التسلل في النظام لم يبلغ عن أي آثار لنقاط ضعف مستغلة — لا إدخالات غير عادية في السجل، ولا ملفات معدلة، ولا تكوينات نظام متغيرة، ولا التقاطات حزم مريبة. من الواضح أن القراصنة يمتلكون مهارات فريدة.

"من عساهم يكونون هؤلاء؟"!

حرصا منه على إطلاع جوناثان فوكمان على آخر المستجدات، اتصل أليكس بمكتبه ولكنه لم يجد مجيبا.

غريب.

اتصل بالحارس الليلي في الردهة" .مارك، معك أليكس كونان من قسم الأنظمة. هل يمكنك أن تنادي على جوناثان فوكمان ليأتي إلى مركز الأمن على الفور؟ الأمر مهم".

"لن يسمعني"، أجاب الحارس بنبرته المرحة المعتادة" .لقد خرج لتوه من المبنى".

"فوكمان غادر؟! لقد تعرضنا للقرصنة... بسبب كتابه"!

افترض أليكس أن فوكمان قد خرج لتوه ليستنشق بعض الهواء وسيعود على الفور. وتساءل عما إذا كان يجب عليه تنبيه كبار المسؤولين في شركة (PRH)، ولكن لم يكن هناك ما يمكن لأي شخص أن يفعله في الوقت الحالي، ومن المحتمل أنهم سيطردونه على الفور لسماحه بحدوث ذلك في نوبته.

"احتواء الأضرار"، قال لنفسه. "لا يزال لدي وقت لحل هذا".

كانت مهارات أليكس في القرصنة قوية، كما هو الحال بالنسبة لمعظم التقنيين العاملين في أمن الأنظمة. فإذا أتيح له بضع ساعات وقليل من الحظ، فستكون لديه فرصة جيدة لمعرفة من الذي اخترق .(PRH) ثم، اعتمادا على ما يكتشفه، قد يجد طريقة ذكية لاختراقهم بالمثل.

الفصل السادس عشر

وقد أُقحِمَ في المقعد الخلفي لسيارة من طراز سكودا أوكتافيا، أحسّ روبرت لانغدون وكأنه حبيس جدران أربعة، ففي مقدمة السيارة كان النقيب ياناتشيك قد أرجع مقعده أمامه إلى أقصى ما تسمح به عجلاته، حتى غدا لانغدون جاثمًا وركبتاه تكادان تلامسان صدره، وهو يدفع عن نفسه وحشة الضيق التي أخذت بخناقه. وكانت منافذ الهواء تنفث في وجهه ريحًا حارة خانقة، يخالطها دخان سجائر النقيب، فأحمد الله في قرارة نفسه على أنه اكتفى بارتداء كنزة صوفية من طراز **Dale** ، ولم يُثقل كاهله بمعطفه الضخم المنتفخ من طراز."**puffer**" **Patagonia**

وعاد النقيب ياناتشيك إلى هاتفه مرة أخرى، يتحدث بصوت خفيض باللغة التشيكية، بينما السيارة تنهب الأرض جنوبًا على ضفاف نهر فلتافا . أما سائقه، وهو ملازم في مقتبل العشرينيات من عمره، غليظ الرقبة، يرتدي بزة زرقاء داكنة من طراز**ÚZSI** ، وتعتمر رأسه قبعة عسكرية مائلة، فكان أشبه بمصارع محترف أو لاعب كمال أجسام منه برجل من رجال إنفاذ القانون، وكان يتلوى بين السيارات كالأفعوان بيد واحدة قابضة على المقود، كأنه يبتغي بذلك أن ينال إعجاب سيده.

وبينما كانت السيارة تمضي في سرعتها جنوبًا بمحاذاة النهر على طريق ماساريكوفو نابريه جي، اعترَى لانغدون غثيانٌ أجبره على أن يُطلق بصره خارج النافذة، مستشرفًا الفضاءات الرحبة.

لقد جاوزوا لتوّهم جزيرة صغيرة في نهر فلتافا، ينتصب عليها قصر جوفين ذو اللون الأصفر الزاهي، المشيّد على طراز عصر النهضة الجديد. وعلى نقيض صارخ من هذا القصر العريق، لاح أمامهم على اليسار أشهر صروح براغ المعمارية فائقة الحداثة، إنه البيت الراقص، الذي يتألف من برجين صغيرين يميل أحدهما على الآخر كأنهما في رقصة غرامية. وكان المهندس المعماري فرانك جيري يشير إلى برجيه باسمي فريد وجنجر، وهو وصف قد يبدو ضربًا من الخيال الجامح، ولكن إذا ما نظرنا إلى أفق لندن الذي يزدان اليوم بأبنية تحمل أسماء "الخيارة" و"جهاز اللاسلكي" و"مبشرة الجبن"، فلعل نجمي السينما الراقصين في براغ يُعدّان نعمة.

ولطالما أُعجب لانغدون بشغف مدينة براغ بفنون الطليعة، فقد احتضنت بعضًا من أكثر المجموعات الفنية تقدمية في العالم، موزعة بين مركز DOX، وقصر المعارض التجارية، ومتحف كامبا .غير أن ما تفردت به براغ هو تلك الأعمال الفنية المباغتة التي يقيمها الهواة، والتي كانت تنبثق في أرجاء المدينة على حين غرة، وقد حالف الحظ القلة المحظوظة منها——

مثل جدار لينون ورجال المظلات المعلقة——فنالت من الإعجاب ما خوّلها أن تُتَبَنَّى لتصير معلمًا دائمًا.

وفجأة، التفت النقيب ياناتشيك ليواجه لانغدون، فزاد من ضغط مسند مقعده على ركبتي محدثه، وقال" :أيها الأستاذ، حينما نبلغ حصن كروسيفيكس ، سأعمد إلى الفصل بينك وبين الآنسة سولومون، فإني أنوي استجوابها بمعزل عنك، ولا أريد لكما أن تتفقا على رواية واحدة".

فرد عليه لانغدون، وهو يجاهد ألا تفضحه نبرة الضجر في صوته" :رواياتنا؟ إن كل ما أخبرتك به هو الحقيقة بعينها".

فقال ياناتشيك، وقد استدار عائدًا إلى وجهته الأمامية" :حسنٌ أن أعلم ذلك. إذن ليس لديك ما تخشاه".

ساور لانغدون القلق بشأن المواجهة الوشيكة بين كاثرين وياناتشيك، فقد بدا له أن النقيب قد عقد العزم في نفسه على أن هذين الأمريكيين——أو كاثرين على أقل تقدير——قد دبرا هذه السلسلة الغريبة من الأحداث سعيًا وراء منفعة شخصية.

إنه لجنون مطبق!

ومع ذلك، ومهما قلب لانغدون الأمر على وجوهه، لم يجد تفسيرًا واحدًا لرؤياها في المنام التي أنبأت بمشهد جسر تشارلز.

لم تُخبر أحدًا برؤياها... وقد عدنا إلى فراشنا مباشرة.

ولم يبقَ أمامه من تفسير، على الرغم من استغلاقه على فهمه، سوى أن كاثرين قد رأت رؤيا صادقة استبقت بها الحوادث... نبوءتها الخاصة بها عن غرق سفينة تيتانيك.

وكان التحدي الذي يواجه لانغدون أنه لم يؤمن قط باستبصار الغيب. فطوال مسيرته المهنية، صادف هذا المبحث في بطون النصوص القديمة، ولكنه كان دائمًا ما يطرح فكرة الاستبصار جانبًا، محتجًا بأن التنبؤ بالمستقبل، مهما اختلفت أسماؤه—من نبوءة، وكهانة، وعرافة، وتنجيم—ليس إلا أقدم أوهام التاريخ.

فمنذ أن بدأ البشر يدونون أخبار ماضيهم، وهم يتوقون إلى استشراف مستقبلهم. وقد نُظر إلى أنبياء مثل نوستراداموس، وكاهن معبد دلفي، ومنجمي المايا نظرة تقديس وكأنهم أشباه آلهة. وحتى يومنا هذا، لا يزال سيل متدفق من أصحاب الثقافة الرفيعة يستشيرون قارئي الكف، والعرافين، والوسطاء الروحيين، وأدلة التنجيم الحديثة.

إن معرفة المستقبل لهي هاجس بشري.

وكثيرًا ما كان طلاب التاريخ يسألون لانغدون عن نوستراداموس، الذي يمكن القول إنه أشهر "رَاءٍ" على مر العصور. فقد بدت قصائده الغامضة وكأنها تتنبأ، ضمن أمور أخرى، بالثورة الفرنسية، وصعود هتلر، وانهيار مركز التجارة العالمي. وكان لانغدون يقر أمام طلابه بأن حفنة من رباعيات هذا النبي قد حوت ما بدا أنها إشارات مذهلة إلى أحداث مستقبلية، ولكنه كان يذكرهم دائمًا بأن نوستراداموس قد كتب "بغزارة، وبأسلوب مبهم، وعن أحداث شائعة". ويعني بذلك أن النبي قد نظم مجموعة وافرة من 942 قصيدة منفصلة، مستخدمًا لغة غامضة ومبهمة، وتنبأ بوقائع مألوفة كالحروب، والكوارث الطبيعية، والصراعات على السلطة.

وكان يقول لهم: "فلا عجب إذن أن نرى نقاط توافق عرضية بين الحين والآخر. كلنا نرغب في الإيمان بالسحر أو بشيء يتجاوز عالمنا هذا، ولذلك فإن عقولنا كثيرًا ما تخدعنا فترى أشياء لا وجود لها في الحقيقة".

ولتوضيح وجهة نظره، كان لانغدون يستهل حلقته الدراسية لطلاب السنة الأولى كل عام بأن يطلب من كل طالب أن يقدم تاريخ ووقت ميلاده بدقة. وبعد أسبوع، كان يسلم كل واحد منهم ظرفًا مغلقًا يحمل اسمه، ويخبرهم بأنه قد قدم معلومات ميلادهم إلى منجم شهير وطلب منه قراءة

طوالعهم. وحينما كان الطلاب يفتحون أظرفهم، كانوا في كل مرة يشهقون غير مصدقين من فرط دقة قراءة المنجم.

ثم يطلب منهم لانغدون أن يتبادلوا الأوراق مع طالب آخر. ويا لمفاجأتهم حين يكتشفون أن جميع "قراءات الطالع" التي وزعها كانت متطابقة. لقد شعروا بدقتها ليس إلا لأنها تضمنت معتقدات شخصية شائعة:

"لديك ميل إلى انتقاد ذاتك".

"إنك تفخر بكونك مفكرًا مستقلًا".

"تشعر أحيانًا بالشك فيما إذا كنت قد اتخذت القرار الصائب".

ثم يشرح لهم لانغدون أن هذا التلهف على إيجاد حقيقة شخصية في عبارات عامة يُعرف باسم "أثر بارنوم——"وقد سُمي كذلك نسبة إلى "اختبارات الشخصية" التي كان يقدمها بي. تي. بارنوم في عروضه الجانبية، والتي خدع بها جمهورًا غفيرًا من رواد السيرك، فأوهمهم بأنه يمتلك قوى روحانية.

انعطفت سيارة جهاز ÚZSI انعطافًا حادًا نحو اليسار، فانتشلت لانغدون من بحر أفكاره، وبدأت السيارة تصعد التلال الشاسعة المكتسية بالأشجار لحديقة فوليمانكا، وهي متنزه عام مترامي الأطراف على مشارف وسط براغ.

ومن على قمة التل الشاهقة، استطاع لانغدون أن يلمح بصعوبة السور الحجري لحصن كروسيفيكس جاثمًا على الحافة فوقهم. لم يزر من قبل ذلك الحصن الصغير، الذي ظل أطلالًا لسنوات طوال قبل أن يُرمم في وقت قريب نسبيًا، ولكنه الآن يعرف عن عملية إعادة بنائه أكثر بكثير مما يود، بعد أن أطربت مسامعه الليلة الماضية دون هوادة مستأجرته الجديدة الفخورة.

الدكتورة بريغيتا جيشنر.

كانت عالمة الأعصاب التشيكية هذه عضوًا في مجلس إدارة سلسلة محاضرات جامعة تشارلز، وهي التي دعت كاثرين شخصيًا لتكون محاضرة الليلة الماضية. وبعد المحاضرة، انضمت جيشنر إلى كاثرين ولانغدون لتناول شراب في حانة الفندق. ولكن بدلًا من أن تهنئ كاثرين، كادت جيشنر ألا تذكر تلك المحاضرة البارعة، وتفاخرت بدلًا من ذلك بأعمالها ومختبرها الخاص الجديد المذهل.

قالت جيشنر باندفاع: "إن الحصن صغير جدًا، ولكنه موقع صغير سامٍ لإنشاء مرفق أبحاث. فالحصن القديم يتربع على قمة تلة ويتمتع بإطلالة على المدينة لا مثيل لها، كما أن جدرانه الحجرية السميكة توفر عزلًا فائقًا

ضد التداخل الكهرومغناطيسي، مما يجعله مثاليًا لعملي الدقيق في مجال التصوير العصبي".

ومضت جيشنر تتفاخر بأن نجاحها في مجال تقنية تصوير الدماغ وشبكات المعلوماتية العصبية قد منحها استقلالية تامة في أبحاثها——ماليًا وبرنامجيًا—— وأنها الآن تقضي وقتها في العمل على "ما يحلو لي تمامًا، في بيئة تتسم بخصوصية فائقة".

وحينما خرجت سيارة جهاز ÚZSI من بين الأشجار، فإن مشهد المختبر الذي يلوح في الأفق على حافة الجرف قد جلب معه نغزة قلق غير متوقعة على سلامة كاثرين.

ولسبب ما، داهم لانغدون إحساس مفاجئ بالخطر.

وتمنى ألا يكون ذلك ضربًا من استبصار الغيب.

الفصل السابع عشر

نفخ جوناس فوكمان في كفيه المضمومتين وهو يسير شرقا في شارع الثاني والخمسين، الذي كان قد خلا من المارة وأوحش في تلك الساعة من الليل. وكان الليل قارص البرد، يكاد صقيعه يلسع الوجوه، وأحس فوكمان بثقل المخطوطة في حقيبة ظهره. ولكن ما أثلج صدره أن مكتب FedEx الذي لا يغلق أبوابه كان على بعد شارع واحد فحسب، وراء الجادة السابعة.

كان عقل فوكمان لا يزال يكابد في فهم السبب الذي يدفع أحدهم إلى استهداف كتاب كاثرين دون سواه. فقاعدة بيانات دار PRHكانت تزخر بما لا يحصى من الأهداف الأخرى التي تبدو للعيان أشد إغراء وأجدر بالاهتمام؛ مؤلفات كفيلة بتحقيق نجاح كاسح، خطتها أقلام كبار الكتاب الذين عليهم مدار أرباح الدار وصميم ميزانيتها. لم يكن في الأمر مسحة من منطق. وبدأ الشك يساور فوكمان في أن هذه القرصنة لم تكن غايتها سرقة الكتب في حقيقتها، بل لعلها تخفي وراءها... شيئًا آخر.

وعلى بعد عشرين ياردة أمامه، لمح فوكمان شاحنة سوداء قد أركنت إلى جانب الرصيف وتوقفت، وكان محركها يدور في هدوء. فانقبض صدره ودفعه هاجس غامض إلى إبطاء خطاه في ذلك الشارع الموحش في تلك

الساعة المتأخرة. ولكنه ما لبث أن أدرك أن هواجسه لم تكن إلا وهما؛ فقد قفز سائق الشاحنة خارجًا، وهو يدندن في مرحٍ وعيناه معلقتان بلوحٍ في يده، ومضى في طريقه بخطى واثقة في الاتجاه المعاكس دون أن يلقي على فوكمان نظرة واحدة.

فهدأ روع فوكمان وسكنت نفسه، وواصل سيره متجاوزًا الشاحنة.

وفي مقدمة الشارع، توقف السائق الذي ابتعد عنه ورفع بصره إلى أرقام المباني، ثم عاد يتفحص لوحه، واستدار راجعًا من حيث أتى. ونادى باتجاه الشاحنة" :يا جوني! ما هو العنوان المذكور في تلك الرسالة الإلكترونية؟ لا أرى هنا أثرًا لمطعم السوفلاكي ذاك."!

فتطوع فوكمان بالإجابة مشيرًا بيده" :إنه على بعد شارعٍ واحد من هنا... بعد الجادة السابعة مباشرة."—

ومن خلفه، باغتته قبضة هوت على كليته اليمنى، وما هي إلا ومضة حتى أُطبِق على رأسه كيس أسود. وقبل أن يستوعب فوكمان هول ما يحدث، أحاطت به يدان قويتان فانتزعتاه من الأرض انتزاعًا وألقتا به في جوف الشاحنة. فهوى بجسده على أرضيتها الصلبة، فكانت صدمة أخرجت الهواء من رئتيه. ثم أُغلق الباب بعنف، وفي غضون ثوانٍ معدودة، شعر بالشاحنة تنطلق مسرعة.

وبينما هو يلهث وقد حُجب النور عن عينيه، حاول المحرر المذعور أن يلتقط أنفاسه ويستجمع شتات فكره ليدرك حقيقة ما هو فيه. كان فوكمان قد أشرف على تحرير من روايات التشويق ما يكفي ليعلم المصير الذي يلقاه بطل الرواية حين يُعصب رأسه ويُلقى به في غياهب شاحنة.

وذلك المصير لم يكن خيرًا قط.

على بعد ثلاثة شوارع، في برج راندوم هاوس، كان أليكس كونان قد اتصل بجميع أرقام فوكمان المعروفة لديه — رقم المكتب، والمنزل، والهاتف الخلوي — ولكن لم يأتيه رد من أي منها.

"تُرى أين ذهب بحق السماء؟! نحن في خضم أزمة طاحنة."!

بدا وكأن فوكمان قد أغلق هاتفه ببساطة وخرج يهيم على وجهه في عتمة الليل، ولعله قصد حانة "أون ذا روكس"، وهي حانة ويسكي قريبة كانت ملاذًا للمحررين الذين أضناهم التوتر، يلتمسون فيها السكينة في أي ساعة من ساعات الليل.

وحتى تلك اللحظة، لم يتقدم أليكس قيد أنملة في الكشف عن هوية القراصنة. لقد نقّب في حطام النظام المخترق، ولكنه لم يعثر على ما يستحق الذكر. وكان يعلم أنه بحاجة إلى أداة تمحيص أدق. فسيتطلب مسعاه التالي خوارزمية تحقيق جنائي خاصة بالشركة، صُممت خصيصًا

لتمسح النظام بحثًا عن بصمات رقمية فريدة خاصة بالمخطوطة المفقودة —— من كلمات مفتاحية ومفاهيم وأسماء —— ولكن ذلك يستدعي أن يتحدث إلى فوكمان.

أو... كما لاح له فجأة" ...هل يمكنني أن أتصل بـ كاثرين سولومون مباشرة؟."

كانت لوائح شركة PRH تمنع مثل هذا الاتصال منعًا باتًا، إذ تقضي بأن يجري كل تواصل مع المؤلفين عبر المحرر الخاص بكل منهم دون سواه؛ فهو الشخص المؤتمن الذي خبر طباع الكاتب وألف تقلبات مزاجه ومواطن ضعفه، وعرف كيف يتعامل معها.

"تبًا لهذه اللوائح"، فكر أليكس .فلم تكن المسألة تقتصر على الضرورة القصوى لمعرفة المزيد عن كتاب كاثرين، بل كان يؤمن بأن من حق كاثرين أن تعلم بأن مخطوطتها قد استُهدفت، وخصوصًا إن كان ذلك يعني أنها قد تكون عرضة لخطر يتهددها شخصيًا.

وقد عقد العزم على ذلك، فعمد أليكس إلى ملف المؤلفة كاثرين سولومون، وعثر على رقم هاتفها الخلوي، واتصل بها. كان فوكمان قد ذكر أن كاثرين في أوروبا في الوقت الحالي، وهو ما يعني أن الصبح قد أطل عليها، ولكن

أليكس كان واثقًا من أنها لو استيقظت على رنين هاتفه، ستدرك أن الأمر طارئ.

رن هاتف كاثرين الخلوي أربع مرات ثم تحول إلى البريد الصوتي" .اللعنة ." فترك لها رسالة مقتضبة، عرف فيها بنفسه وطلب منها أن تتصل به على الفور.

أنهى المكالمة، وحاول الاتصال بهاتف فوكمان الخلوي مرة أخرى.

لا شيء.

عندها، تذكر أن فوكمان أشار إلى أن سولومون يصحبها في سفرها مؤلف آخر من مؤلفيه —— أستاذ هارفارد روبرت لانغدون.

"إنه أيضًا في قاعدة بيانات"PRH ، فكر أليكس، وقرر أن الأمر يستحق المحاولة.

دخل إلى ملف لانغدون واتصل برقم هاتفه الخلوي كذلك.

ولكن خط لانغدون لم يرن حتى، بل تحول إلى البريد الصوتي مباشرة.

أغلق أليكس الخط، فشعر بوحشة قاتلة تملأ نفسه فجأة.

"أين اختفى الجميع بحق الجحيم؟."!

الفصل الثامن عشر

في لندن، كان فنش قد تلقى للتو ما يؤكد أن خططه التي أعدها تحسبًا للطوارئ قد شُرِع في تنفيذها على قدم وساق، في كل من براغ ونيويورك معًا. وقد جاءته تلك الأنباء عبر منظومة اتصالات عسكرية الطراز، تُعرف باسمSignal ، وهي منظومة معتمدة لجميع الاتصالات الميدانية، لما توفره من تشفير كامل للرسائل النصية والصوتية من طرف إلى طرف.

كان فنش، وهو أمريكي المولد والجنسية، يشغل منصبا سريًا دفينًا في المقر الأوروبي لمنظمة عالمية لا يعرفها العاملون فيها إلا باسم ."Q" وهذا اللقب الغامض الذي أُطلق على الشركة مستمد من شخصية وردت في روايات جيمس بوند، وهي شخصية المخترِع والتقني "Q" الذي كان يبتكر أعتى الأسلحة فتكًا في سبيل خدمة جلالة الملكة.

وعلى غرار نظيرتها الخيالية، كانت منظمة Q الحقيقية تطور تقنيات متقدمة لخدمة قوة أسمى... وإن كانت قوة تفوق في نفوذها أي ملكة. فالكيان الذي أسس منظمة Q في الخفاء عام 1999، كان يتمتع بنفوذ لم يسبق له مثيل في أرجاء المعمورة، ورغم أن وجوده نادرًا ما كان يُلحظ أو حتى يُشتبه فيه، إلا أن أفعاله كانت تغير مجرى الأحداث العالمية باستمرار.

كان إيفريت فنش، وقد بلغ من العمر ثلاثة وسبعين عامًا، يحمل تصنيفًا دوليًا في الشطرنج من اتحاد FIDE قدره 2374، وكان يجدف يوميًا مسافة تسعة آلاف متر على آلة التجديف، وينهي فطوره بتناول ثلاثمائة ملليغرام من عقارNuvigil ، وهو دواء منشط للذهن حول عقله إلى سيارة سباق من طراز Formula One تنطلق بسرعة البرق على طريق تعج به السيارات العادية.

وبعد أن أمضى العقد الأخير في منصب رفيع في المنظمة الأم التي تتبع لها Q، اختير فنش قبل ثلاث سنوات لمهمة سرية في مكتب Q في لندن . كما أُبلغ بأنه سيقود عملية تطوير واحد من أكثر المساعي طموحًا وسرية على الإطلاق... لم يسبقه إليه أحد في أي مكان.

Threshold

قيل له إن المشروع يتطلب قدرًا من المرونة فيما يتعلق بالقيود القانونية والأخلاقية، وقد وقع الاختيار على فنش لخبرته في "النماذج الأخلاقية المرجحة بالنجاح"، وهي أطر أخلاقية تعطي الأولوية للنجاح على صفاء الضمير.

ولم يندهش فنش حين قرأ في خطاب تعيينه:

*"يستحيل أن نبالغ في تقدير أهمية مشروع .**Threshold** فهو يبرر اتخاذ أي تدابير استثنائية تراها ضرورية لضمان نجاحه".*

"لقد وصلت الرسالة"، هكذا حدثته نفسه. "ما من قواعد تقيدنا."

انقضت ثلاثون دقيقة منذ أن ولج "الغولم" إلى فندق يو برينس وهبط إلى حانة "الملاك الأسود" القابعة في أقبيته. وجد الحانة مغلقة، وعمال النظافة يمسحون الأرضيات، ويلمعون الأرائك الجلدية، وينزعون أعقاب السجائر من بين شقوق الجدران الحجرية العتيقة الخشنة.

وقبل أن يلمحه أحد، واصل "الغولم" سيره متجاوزًا الحانة، ومنعطفًا حول الزاوية، إلى حيز أشبه بالخزانة يضم مكتبًا وجهازي حاسوب قديمين تتوهج على شاشاتهما الباهتة علامة "الملاك الأسود". كان عرض الحانة خدمة الإنترنت على مدار الساعة لروادها أثرًا من آثار الماضي، من تلك الأيام التي كانت فيها الهواتف المحمولة الأجنبية لا تعمل إلا بالكاد في براغ، وكان السياح يختارون الجلوس في "الملاك الأسود" لمجرد أن يبعثوا برسالة إلكترونية.

في وقت سابق من هذا اليوم، عندما أدرك "الغولم" أنه بحاجة إلى معلومات تقنية محددة لتنفيذ خطته، تبادر إلى ذهنه على الفور "الملاك الأسود". فلن يراقب أحد هذا الجهاز.

"وها قد وجدت ضالتي"، هكذا فكر وهو يمعن النظر في المعلومات التقنية المعروضة على الشاشة أمامه. كان الكثير من التفاصيل فوق طاقة فهمه، ولكن ذلك لم يكن يهم؛ فإطلاق النار من مسدس لا يتطلب درجة علمية في ...балістика بل يتطلب فحسب الوصول إلى الزناد.

وها هو ذا الزناد قد تحدد موقعه.

لقد أفشت غيسنر أسرارًا كثيرة في محاولتها لإنقاذ حياتها، من بينها وجود قطعة تقنية ذات قوة مدهشة، تقبع في أعمق أغوار مختبرهم تحت الأرض، محكمة الإغلاق داخل قبو منيع للهواء، ذي جدران من الخرسانة المسلحة يبلغ سمكها مترين.

قطعة تقنية يمكن أن تجعل عالمهم بأسره ينهار فوق رؤوسهم.

وبفضل المعلومات التي حصل عليها للتو، بات يعرف الآن بالضبط كيف يحقق ذلك.

سارع "الغولم" إلى محو سجل البحث في المتصفح وأعاد تشغيل الحاسوب. وعندما صعد وخطا عائدًا إلى الساحة، شعر بالحياة تدب في أوصاله وهو يتطلع إلى انتقام جريء سترتجف لهوله أصداء تمتد آلاف الأميال من براغ ...لتصل إلى كل أولئك المسؤولين.

الفصل التاسع عشر

يَنتصِبُ حصنُ كروسيفيكس شامخًا فوقَ حافةٍ جبليةٍ تكتسيها الأشجارُ، تُخَطِّطُ الحَدَّ الشماليَّ لحديقةِ فوليمانكا .وفي أواسط القرن الرابع عشر، استرعت تلك القمةُ الشماءُ بصرَ الإمبراطورِ الروماني المقدس تشارلز الرابع، فرأى فيها الموقعَ الأمثلَ الذي يُشَيِّدُ عليه حصنًا يُشرفُ منه على مدينة براغ، مسقطِ رأسه الحبيب، تلك الجوهرةِ المتألقةِ في تا جِ العالمِ المسيحي.

وعلى امتدادِ تلك الحافة، شَيَّدَ الإمبراطورُ سورًا حجريًا تتوسطه قلعةٌ صغيرةٌ ولكنها منيعة. وكانت تلك الربوةُ الشاهقةُ تُذَكِّرُهُ بالجبلِ الذي صُلِبَ عليه المسيح، فأطلقَ على حصنه اسم "حصن كروسيفيكس."

أخذت سيارةُ جهاز ÚZSI تتلوى صاعدةً في طريقها، وهي ترتقي الحافةَ بثباتٍ حتى توقفت أمام الحصن. رمقَ لانغدون القلعةَ العتيقةَ بنظرة إعجابٍ لما شهدته من ترميمٍ عصريٍ أنيق.

أهذا هو مختبرُ جيشنر الخاص؟ لا ريبَ أنَّ عالمةَ الأعصابِ هذه تعيشُ في نعمةٍ تفوقُ ما خطرَ له ببال.

وثبَ ياناتشيك من مقعده، وجذبَ بابَ لانغدون بعنفٍ فاتحًا إياه، وأشار إليه في نفاذ صبرٍ بالنزول. فامتثل لانغدون على عجل، متلهفًا للخروجِ من تلك المركبة الضيقة، وقد أخذ قلقه يزداد شوقًا لرؤية كاثرين.

بقي السائقُ الأجلفُ في السيارة، بينما سار ياناتشيك بلانغدون مخترقين الثلج المتساقط نحو المختبر. وعلى الغبار الأبيض الذي كسا الممر الحصوي، لمح لانغدون آثار أقدامٍ خافتةٍ لعدة أشخاص، لا شك أن بعضها يعودُ لكاثرين حينما وصلت للقاء جيشنر.

وفوق المدخل الرئيسي، كانت هناك لوحةٌ برونزيةٌ أنيقةٌ نُقش عليها:

THE GESSNER INSTITUTE

كان بابُ الحصنِ لوحًا عريضًا أنيقًا من الزجاجِ المصنفرِ المقوى، مؤطرًا بالفولاذ. أمسكَ ياناتشيك بالمقبضِ وسحبه، لكن البابَ لم يتزحزح. فنقرَ بقوةٍ على الزجاجِ السميك.

لم يأتِ من مجيب.

التفت ياناتشيك الآن إلى صندوق الاتصال بجانب الباب، وكان يضم ماسحًا بيومتريًا للبصمات، ومكبرًا للصوت، وزر اتصال. ألا يوجد لوحة مفاتيح لرمز المرور؟ تساءل لانغدون في حيرة، إذ تذكر أن جيشنر قد

تفاخرت الليلة الماضية دون داعٍ بأن مختبرها مؤمن "برمز مرورٍ عبقري مبتكر."

لا بد أنها كانت تقصد بابًا داخليًا.

ضغط ياناتشيك على زر الاتصال في نفاذ صبر، فأطلق مكبر الصوت أزيزًا، ودوى جرس الاتصال الداخلي. انتظرا، وبعد خمس رنات، صمت الجرس.

تراجع ياناتشيك خطوة إلى الوراء ورفع عينيه الغائرتين إلى كاميرا المراقبة المثبتة بتكتم في الأعلى، كأنه يرمقها بنظرة تحدٍ. ثم رفع بطاقة هويته الخاصة بجهاز ÚZSI عاليًا أمام الكاميرا وضغط على زر الاتصال مرة أخرى.

رن الجرس خمس مرات إضافية دون إجابة.

ألقى لانغدون نظرة على كاميرا المراقبة، متسائلًا عما إذا كانت كاثرين تبادله النظر من خلفها. لِمَ لا تفتح جيشنر الباب؟ أو تسمح لنا بالدخول؟ من الواضح أن المرأتين تستطيعان رؤية أن ياناتشيك هنا، واستبعد لانغدون أن تكون رغبة جيشنر في السرية شديدة إلى حد أنها سترد ضابطًا من جهاز ÚZSI.

قال ياناتشيك وهو يُخرج هاتفه" :أعطني رقم هاتف كاثرين سولومون".

تلاه لانغدون من ذاكرته، فكتبه ياناتشيك في هاتفه، ثم وضعه على وضع مكبر الصوت. انتقلت المكالمة فورًا إلى البريد الصوتي لكاثرين.

ألا توجد تغطية داخل هذه الجدران الحجرية السميكة؟ تساءل لانغدون، مع أن الأمر بدا غريبًا أن عملاقة في مجال التكنولوجيا مثل جيشنر لم تقم بتركيب مقويات للإشارة الخلوية في مختبرها.

تمتم ياناتشيك بشيء تحت أنفاسه والتفت صارخًا في اتجاه سيارته" :بافل"!

قفز السائق غليظ الرقبة من خلف المقود وأسرع نحو ياناتشيك كأنه كلبٌ يهرع إلى سيده" :نعم، سيدي النقيب؟"!

أشار ياناتشيك إلى الباب الزجاجي" :أطلق النار على الباب".

أومأ الملازم بافل برأسه، وسحب مسدسًا، وجثا في وضع إطلاق النار موجهًا سلاحه إلى الباب.

يا للمصيبة! ارتدَّ لانغدون إلى الوراءِ في اللحظةِ التي دوَّى فيها صوتُ مسدسِ الملازم.

انطلقت ست طلقات نارية سريعة، اخترقت الرصاصات مركز اللوح الزجاجي في تجمُّع دائري شبه مثالي. لم يتحطم الزجاج المقوى، فقد حافظت طبقته الداخلية اللزجة على تماسكه. ولم يضيع الملازم بافل وقتًا، فاستدار

وركل بساقه إلى الأعلى والخلف، فضرب حذاؤه الثقيل الزجاج في دائرة ثقوب الرصاص. فامتدت شبكة من الشقوق إلى الخارج. ثم ركل مرة أخرى، فانهار اللوح بأكمله إلى الداخل، وتحرر من إطاره وانزلق عبر الأرضية وسطَ وابلٍ من شظايا الزجاجِ الواقي التي تناثرت كأنها حباتُ سُكَّرٍ بَرَّاقة.

شاهد لانغدون المشهد غير مصدق، متسائلًا عما إذا كان ياناتشيك قد فكر للحظة في احتمال وجود شخص ما على الجانب الآخر من الباب الزجاجي المصنفر عندما أطلق ملازمه النار.

أعاد بافل تلقيم مسدسه وخطا عبر الفتحة المهدمة، فصرَّ الزجاج المكسور تحت حذائه. نظر يمينًا ويسارًا، ثم أشار إلى ياناتشيك بأن الطريق آمن للدخول.

قال ياناتشيك" :تفضل بالدخول أيها الأستاذ، إلا إذا كنت تفضل الانتظار في السيارة؟"

لم تكن لدى لانغدون رغبة في ترك كاثرين وحدها مع ياناتشيك ومجنونه المتعطش لإطلاق النار. وبقلبٍ يخفق، خطا لانغدون نحو الفتحة المحطمة، متسائلًا كم مرة أخرى في التاريخ قد تم اختراق هذه القلعة التي تعود إلى القرون الوسطى.

الفصل العشرون

تقع سفارة الولايات المتحدة في براغ في قصر شونبورن .وهي تضم أكثر من مائة غرفة، لا يزال الكثير منها يحتفظ بجدرانه الجصية الأصلية وسقوفه التي يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدمًا. وقد شُيِّد هذا القصر الفخم في عام 1656 على يد كونت ذي ساق واحدة—رودولف فون كولوريدو –فالدزي—وهو يشتمل على عدة منحدرات كانت تمكّن الكونت رودولف من الصعود على صهوة جواده إلى داخل المبنى. والآن، بعد أن أصبح المقر الرسمي لسفارة الولايات المتحدة، يأوي القصر ثلاثة وعشرين موظفًا مقيمًا مكلفين بالعمل نيابة عن المصالح الأمريكية في المنطقة.

هذا الصباح، كانت مسؤولة الاتصال الإعلامي في السفارة—دانا دانيك—بمفردها في مكتبها، تنظم جدول الأعمال اليومي. كانت ابنة الرابعة والثلاثين من أهالي براغ، وقد أتقنت لغتها الإنجليزية أثناء عملها كعارضة أزياء في لندن في عشرينياتها. وبعد عودتها إلى براغ وحصولها على شهادة في علوم الحاسوب، تقدمت بطلب للحصول على وظيفة في السفارة الأمريكية، واستقر بها المقام في قسم العلاقات العامة.

شعرت دانا بأن مكتبها أبرد من المعتاد في هذا الصباح الثلجي، فتوجهت إلى المدفأة البخارية الكلاسيكية، وانحنت لتشغيلها طلبًا لمزيد من الدفء.

قال صوت عميق من خلفها" :منظرٌ جميل".

استدارت، فكادَ قلبُها يخفقُ من وَلَهٍ كما يَحدُثُ لها كلما وقعَ بصرُها على الملحقِ القانونيِّ الوسيم، مايكل هاريس .كان يعاملها بلطف داخل المكتب؛ وبطبيعة الحال، فإن الطريقة التي كان يعاملها بها خارج المكتب وفي غرفة نومه هي ما وجدته الأكثر جاذبية. وإلى جانب مواهبه الجسدية، كان هاريس يتمتع بخفة ظل ترفع معنوياتها دائمًا.

قالت دانا بمرح، وقد سمعت أن هاريس قد طلب اجتماعًا طارئًا مع السفيرة" :أنت في الطابق الخطأ. إنها في الأعلى في مكتبها، في انتظارك".

فأجاب هاريس بنبرة جادة على غير عادته" :هل يمكنك أن تفعلي شيئًا من أجلي؟ الأمر مهم".

أومأت برأسها. لك ما تشتهيه نفسك يا مايكل هاريس.

شرح هاريس طلبه بسرعة.

حدقت دانا فيه، محاولةً أن تتبين ما إذا كان يمزح" .عفوًا... امرأة ترتدي تاجًا مرصعًا بالمسامير؟"

أومأ هاريس برأسه" .كانت على جسر تشارلز قبل الساعة السابعة من صباح هذا اليوم بقليل. كل ما أحتاج إلى معرفته هو من أين أتت وإلى أين ذهبت بعد ذلك".

كان الطلب غير عادي. فوصول دانا إلى نظام الكاميرات كان مقيدًا من الناحية الفنية بتقييم حوادث محددة تؤثر على العلاقات العامة—— كالتجمعات العامة، والمظاهرات، والاحتجاجات، وما إلى ذلك. أما هذا فيبدو أنه شيء... آخر.

قال وهو يضغط على كلماته ليطمئنها" :لا تقلقي، سأحميك".

كم آمل ذلك، فكرت في نفسها. فقد كانا يتشاطرانِ سرًا محفوفًا بالخطر——علاقةَ غرامٍ مُحرَّمةٍ في أروقةِ العمل——وهو أمرٌ تمنعهُ قوانينُ السفارةِ منعًا باتًا.

قالت" :سأرى ما يمكنني أن أجده".

ربت على كتفها بخفة" .شكرًا لك. سأعود بعد اجتماعي".

راقبته دانا وهو يغادر. تريدني أن أتعقب امرأة ترتدي تاجًا مرصعًا بالمسامير... لِمَ؟

في الأسابيع الأخيرة، كان مايكل كتومًا على غير عادته، خاصة فيما يتعلق بأنشطته المسائية. وأصبح من المتعذر على نحو متزايد أن يلتقي بدانا بعد العمل، وبات مراوغًا عندما تسأله عما يفعله بدلًا من ذلك. بدأت دانا تشك في وجود امرأة أخرى.

وإذ اجتاحتها موجة غيرة مفاجئة، تساءلت دانا عما إذا كان طلبه لتعقب هذه المرأة قد يكون مسألة شخصية. كان شكها سخيفًا بالطبع؛ فالملحق القانوني للسفارة، من بين جميع الناس، يعلم أنه لا ينبغي أبدًا استخدام الموارد الرسمية لمسألة شخصية، وستكون دانا آخر شخص قد يطلب منه هاريس البحث عن امرأة أخرى.

ومع ذلك، كانت تعلم أنه يستغلها.

ورغم ذلك، استقرت دانا خلف مكتبها وسجلت الدخول إلى واجهة المراقبة الخاصة بالسفارة" .حسنًا يا مايكل، لنرَ ما يمكننا أن نجد".

بعد انضمام جمهورية التشيك إلى حلف **NATO** في عام **1999**، تم وضع أكثر من ألف ومائة كاميرا مراقبة في براغ كجزء من شراكة مراقبة سرية ممولة من الولايات المتحدة تُعرف باسم **Echelon**. وعلى الرغم من القوانين التشيكية الصارمة التي تحكم الوصول إلى الكاميرات، فقد بنت

الولايات المتحدة الشبكة ومنحت سفاراتها، مع استثناءات قليلة، وصولًا كاملًا... وهي نقطة خلاف حاد للسلطات التشيكية.

لم تكن دانا دانيك مرتاحة تمامًا للمراقبة أيضًا، ومع ذلك لم يكن أمام مواطني أوروبا الوسطى خيار سوى قبول عيون Echelon الساهرة التي تراقب حياتهم اليومية—بما في ذلك، في حالة دانا، تسللها بين الحين والآخر للدخول والخروج من شقة مايكل هاريس في جميع ساعات الليل.

لا أحد يراقب نشاطي، أكدت لنفسها. فهناك ببساطة كم هائل من البيانات.

ومع ذلك، كانت حملات الخصوصية المدنية مثل @ReclaimYourFace تعقد بانتظام احتجاجات مناهضة لأمريكا ضد كاميرات المراقبة المنتشرة في كل مكان في براغ .وكانت الحجة المضادة للسفارة بسيطة وصحيحة في آنٍ واحد: إنَّ جُلَّ المواطنينَ يُفَضِّلُونَ أنْ يكونوا تحتَ المراقبةِ... على أنْ يُمَزِّقَهُم الإرهابيونَ إِرَبًا.

وبهذه الفكرة في ذهنها، حركت دانا مؤشرها عبر خريطة مفصلة لبراغ، وتوجهت إلى جسر تشارلز، واستدعت لقطات المراقبة المؤرشفة حديثًا.

الفصل الحادي والعشرون

ما كاد دوي الطلقات يخفت في أذني لانغدون حتى ولج من عتبة الباب المهشم إلى رحاب حصن كروسيفيكس .وطئت قدماه أرضًا من رخام وردي اللون قد تناثرت فوقها شظايا الزجاج، فأحدث خُفّاه صريرًا حادًا وهو يلحق بياناتشيك والملازم بافل في ذلك البهو الأنيق.

أفضى بهم ممر إلى يمينهم، بيد أن ياناتشيك بدا أشد اهتمامًا بباب فولاذي مهيب ينتصب قبالتهم مباشرة، قد خُطّت عليه كلمة ***STAIRS***بحروف استنسل، وعليه نافذة صغيرة معززة ولوحة قياسات حيوية.

قال ياناتشيك وهو يمعن النظر من خلال النافذة ويحاول فتح الباب الموصد» :بئر سلم يفضي إلى المختبر.«

أخذ لانغدون يتلفت باحثًا عن مصعد، وقد استبد به الفضول لمعرفة كيف كانت غيسنر تنقل معداتها العلمية الثقيلة إلى منشأتها، لكنه لم يلمح في البهو شيئًا سوى بئر السلم ذاك والممر الممتد إلى يمينهم. ولم تقع عينا لانغدون بعد على أي أثر للوحة المفاتيح الخاصة بـ"رمز المرور الماكر" الذي تباهت به الدكتورة غيسنر في الليلة السابقة.

كان ياناتشيك يتفحص إطار زجاج الأمان المحطم الملقى على الأرض. وبعد هنيهة، جثا على ركبتيه، ورفع الإطار، وسحبه إلى مدخل المختبر، ثم أسنده

بغير ثبات على باب المختبر. وأعلن قائلًا» :هذا نذير ارتجال، تحسبًا إن ظنت صديقتك أنها قادرة على التسلل خلسة ونحن عنها غافلون.«

لم يصدق لانغدون أن ياناتشيك قد يخطر بباله أن كاثرين قد تُقدم على الهرب، لكن براعته في تدبر أمره كانت مثيرة للإعجاب حقًا.

كان الملازم بافل قد توغل بحذر في الممر، مسدسه مرفوع وكأنه يتوقع أن ينقض عليه كمين في أي لحظة. "تبًا لك، أنزل سلاحك هذا!" صاح لانغدون في سرّه. "ويلك! إنهم علماء عزل لا يحملون سلاحًا."!

وبينما كان ياناتشيك ولانغدون يقتفيان أثره، ألقى الملازم بافل نظرة فاحصة على مرحاض صغير، وبدا أنه وجده خاليًا، فواصل مسيره حتى بلغ نهاية الممر. وهناك، انعطف الرواق يسارًا، فتقدم بحذر شديد حول المنعطف، وسلاحه في أهبة الاستعداد. وبعد لحظة، أغمد سلاحه والتفت إلى رئيسه وهز كتفيه قائلًا.«**Nikde nikdo**» :

تبع لانغدون ياناتشيك حول المنعطف إلى فضاء باهر يغمره النور الطبيعي. كانت الغرفة مؤثثة بأسلوب يضاهي بهو فندق فخم، بأرائكها البيضاء الصارخة، ومناضدها النحاسية المطروقة، وركن القهوة المتطور. وكانت النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف تمنح الناظر إطلالة مهيبة على فناء الحصن الطويل، ومن ورائه أفق مدينة براغ، وبرج بترين، وقلعة فيشهراد.

وبينما كان لانغدون يتأمل المكان، وقعت عيناه على قطعة فنية ضخمة على الجدار الخلفي؛ منحوتة جدارية على طراز "البروتاليزم"، أدرك أسلوبها الفريد من الوهلة الأولى.

"يا إلهي، أهذه قطعة أصلية لبول إيفانز؟"

كانت القطعة المعدنية الصدئة، التي تبلغ مساحتها ثماني أقدام مربعة، مقسمة إلى شبكة من التجاويف المستطيلة، يحمل كل منها منحوتة فردية أصغر. لقد كانت ارتجالًا فنيًا على طراز "خزانة التحف"، وخمّن لانغدون أن قيمة قطعة بول إيفانز هذه تناهز ربع مليون دولار بسهولة. لقد تباهت غيسنر الليلة الماضية ببراءات اختراعها الطبية المربحة، ولكن من الواضح أن لانغدون قد استهان بحجم الأرباح التي تدرها تلك البراءات.

كان ياناتشيك يتقدم نحو الطرف الأقصى من الغرفة، حيث كان باب خشبي ضخم مفتوحًا على ما يبدو أنه مكتب الدكتورة غيسنر .نادى ياناتشيك وهو يلج المكتب» :دكتورة غيسنر؟.«

تبعه لانغدون على أمل أن يرى كاثرين، لكن المكتب كان خاليًا.

كان مكتب عالمة الأعصاب مزينًا بمجموعة من المطبوعات التجريدية الزاهية الألوان، كل واحدة منها عبارة عن لطخة كروية غير متبلورة ذات

مناطق مختلفة الألوان، أدرك لانغدون على الفور أنها صور رنين مغناطيسي للدماغ البشري.(MRIs)

"العلم بوصفه فنًا".

تساءل لانغدون عما إذا كانت غيسنر قد بلغت من الهوس بذاتها حد أن تعلق صورًا لدماغها. فقد أصبحت الصور الذاتية البيولوجية رائجة في الآونة الأخيرة مع ظهور شركات التصوير مثل *DNA11*، التي تنتج أعمالًا فنية تستند كليًا إلى المجهرية الفريدة للحمض النووي للعميل. "فن جيني"، هكذا كانوا يروجون، "يعني أنه لا يمكن لشخصين أن يمتلكا القطعة نفسها أبدًا."

اقترب ياناتشيك من مكتب غيسنر وتفحص ما بدا أنه جهاز اتصال داخلي وميكروفون. اختار زرًا وضغط عليه.

ثم أعلن في الميكروفون» :دكتورة غيسنر؟ أنا النقيب أولريش ياناتشيك من جهاز الاستخبارات والأمن. كما أظن أنكِ على علم، أنا بصحبة البروفيسور روبرت لانغدون. من الضروري أن تصعدي أنتِ والآنسة سولومون على الفور للتحدث معي. أكرر، على الفور. أرجو التأكيد.«

رفع ياناتشيك إصبعه عن الزر وانتظر، وهو يحدق في كاميرا عين السمكة المعلقة في السقف.

مع كل لحظة صمت تمر، كان القلق يتسلل إلى نفس لانغدون ويزداد. "لماذا لا تجيب كاثرين؟ هل حدث شيء ما هناك في الأسفل؟ هل وقع حادث؟"

»أيها البروفيسور؟ «قالها ياناتشيك وهو يتمشى ببطء نحو لانغدون» .هل لديك أي فكرة عن سبب تجاهل الآنسة سولومون لي؟ من الواضح أنهما هنا. فمكتب الدكتورة غيسنر غير موصد، وهناك آثار أقدام حديثة في الخارِج.«

لم يكن لانغدون متأكدًا من مدى "حداثة" تلك الآثار الباهتة، ولكن بالنظر إلى اجتماعهما المقرر هنا، بدا من المنطقي أن كاثرين كانت بالفعل في الأسفل مع غيسنر .أجاب بصدق» :ليس لدي أدنى فكرة.«

قاد ياناتشيك لانغدون عائدًا إلى غرفة الانتظار وأشار إلى إحدى الأرائك البيضاء» .اجلس.«

أطاع لانغدون، وجلس على الأريكة الطويلة بجانب الجدار. أجرى ياناتشيك مكالمة هاتفية، متحدثًا بلغة تشيكية سريعة كطلقات الرصاص.

وبينما كان لانغدون ينتظر، عادت عيناه تتفحصان الصور الملونة التي تزين مكتب غيسنر" .مجرد ثلاثة أرطال من اللحم"، فكر في نفسه وهو يدقق في التضاريس الغامضة والطيات المترابطة في كل صورة. "وما زال العلم لا يملك أدنى فكرة عن كيفية عمله."

في محاضرتها الليلة الماضية، عرضت كاثرين صورة أقل جاذبية للدماغ البشري؛ صورة مختبرية صارخة لكتلة نسيجية رمادية متجعدة موضوعة في صينية من الفولاذ المقاوم للصدأ.

قالت للحشد آنذاك» :*هذه الكتلة هي دماغكم. أدرك أنها تبدو أشبه بكُتّة من لحم عتيق مهترئ، ولكني أؤكد لكم أن هذا العضو لا يقل عن كونه معجزة. إنه يحتوي على ما يقرب من ستة وثمانين مليار خلية عصبية. وتشكل معًا أكثر من مئة تريليون وصلة تشابكية، يمكنها معالجة المعلومات المعقدة على الفور تقريبًا. وعلاوة على ذلك، يمكن لهذه الوصلات التشابكية أن تعيد تنظيم نفسها بمرور الوقت حسب الحاجة. وهذه الظاهرة، التي تُعرف بالمرونة العصبية، تمكّن الدماغ من التكيف والتعلم والتعافي من الإصابات*.«

عرضت كاثرين صورة أخرى؛ قرص DVD واحد موضوع على طاولة. وتابعت قائلة» :*هذا قرص DVD عادي، يمكنه استيعاب أربعة فاصل سبعة جيجابايت من المعلومات، وهو ما يعادل ألفي صورة عالية الدقة تقريبًا. ولكن هل تعلمون كم عدد أقراص الـ DVD اللازمة لتخزين الذاكرة التقديرية لمتوسط الدماغ البشري؟ سأعطيكم تلميحًا... لو أنكم رصفتم الأقراص المدمجة اللازمة بعضها فوق بعض* – «وأشارت إلى سقف

قاعة فلاديسلاف الشاهق» –*لوصلت إلى ما هو أبعد من قمة هذا المبنى. في الحقيقة... ستكون الكومة شاهقة جدًا... لدرجة أنها ستبلغ محطة الفضاء الدولية.«*

نقرت كاثرين على جمجمتها» .*كل واحد منا يخزن ملايين الجيجابايت من البيانات هنا؛ صور، وذكريات، وعمر مديد من التعليم، ومجموعات مهارات، ولغات... كلها مفروزة ومنظمة بدقة في هذا الحيز الصغير. ولا تزال التكنولوجيا الحديثة تتطلب مستودع بيانات ضخمًا لمجاراته.«*

أوقفت عرض الباوربوينت وسارت إلى مقدمة المسرح» .*لا يزال العلماء الماديون في حيرة من أمرهم بشأن الكيفية التي يمكن بها لعضو بهذا الصغر أن يحمل مثل هذه الكميات الهائلة من المعلومات. ولا بد لي من أن أتفق معهم، فالأمر يبدو مستحيلًا من الناحية المادية... ولهذا السبب، أنا لست مادية.«*

سرت همهمة خفيفة بين الجمهور. "ها هي تنكأ عش الدبابير مرة أخرى"، فكر لانغدون .لقد علم أن كاثرين لا تتردد في إثارة القضايا الشائكة عندما يتعلق الأمر بالفلسفتين المتعارضتين اللتين انقسمت إليهما دراسة الوعي البشري.

المذهب المادي في مقابل المذهب اللاخائي.

كان الماديون يعتقدون أن جميع الظواهر، بما في ذلك الوعي، يمكن تفسيرها فقط من خلال المادة الفيزيائية وتفاعلاتها. ووفقًا للماديين، كان الوعي نتاجًا ثانويًا للعمليات الفيزيائية؛ أي نشاط الشبكات العصبية إلى جانب العمليات الكيميائية الأخرى داخل الدماغ.

أما بالنسبة للاخائيين، فكانت الصورة أقل تقييدًا بما لا يقاس. فقد كانوا يعتقدون أن الوعي لم تخلقه عمليات الدماغ، بل هو جانب أساسي من جوانب الكون – شبيه بالمكان والزمان والطاقة – وأنه ليس موجودًا داخل الجسد أصلًا.

صُعق لانغدون عندما علم أن الدماغ البشري لا يمثل سوى 2 في المئة من وزن جسم الإنسان، ومع ذلك فإنه يستهلك 20 في المئة من طاقة الجسم وأكسجينه. هذا التباين الصارخ، في اعتقاد كاثرين، كان دليلًا على أن الدماغ يقوم بشيء عصي على الفهم لدرجة أن علم الأحياء التقليدي لم يتمكن بعد من إدراكه.

"مخطوطتها من المرجح أن تكشف عن هذا اللغز"، فكر لانغدون، متسائلًا عما إذا كان جوناس فوكمان قد بدأ في القراءة بعد. "معرفتي بجوناس تجعلني أجزم بأنه ظل مستيقظًا طوال الليل، وقد قطع نصف الكتاب بالفعل."

كان ياناتشيك قد أجرى للتو مكالمة ثانية، وكانت نبرته المتزايدة الإلحاح لا تساعد في تهدئة أعصاب لانغدون المتوترة. نظر إلى ساعته وتمنى وصول هاريس والسفيرة على وجه السرعة.

بينما كان لانغدون ينتظر على الأريكة، وجد نفسه يمعن النظر مرة أخرى في منحوتة بول إيفانز الجدارية الضخمة في الطرف الآخر من الغرفة. لقد أثارت هذه القطعة باهظة الثمن حنقه منذ اللحظة التي رآها فيها.

شعر بالضيق من هواة الفن الأثرياء الذين يشترون روائع عالمية، وينزعونها من أمان المتاحف، ثم يعرضونها بشكل خاص في إضاءة سيئة أو في ظروف غير آمنة.

وفوق كل ذلك، علقتها غيسنر بشكل غير صحيح.

لا شك أن بول إيفانز قصد أن تُعرض هذه المنحوتة كلوحة فنية – في المنتصف ومثبتة على الحائط – لكن غيسنر وضعتها بكسل مباشرة على الأرض، مسنودة عموديًا بقضيب تثبيت فقط عبر الجزء العلوي لمنعها من السقوط في الغرفة.

"ذلك الجدار من الحجر المصمت"، فكر لانغدون" .كان بإمكانه تحمل الوزن بسهولة."

ولكن بينما كان يتفحص القضيب الأفقي الثقيل، خطرت له فكرة غير متوقعة.

"إلا إذا"...

دقق النظر في القطعة الفنية الكاملة للحظة أخرى. ثم نهض وبدأ يسير بخطى حثيثة نحوها.

ودون سابق إنذار، قفز بافل أمامه، وسحب سلاحه وصوبه مباشرة إلى صدر لانغدون.«Nechte toho!» .

ارتفعت ذراعا لانغدون إلى السماء. "يا إلهي، ما هذا بحق السماء."!

أنهى ياناتشيك مكالمته وأومأ بهدوء إلى ملازمه، قائلًا له شيئًا باللغة التشيكية.

خفض بافل المسدس وأغمده.

صاح لانغدون في وجه ياناتشيك» :ما الذي يفعله بحق الجحيم؟.«!

أجاب النقيب» :يقوم بعمله. هل كنت تحاول مغادرتنا؟.«

رد بغضب» :أغادر؟! لا، لقد كنت.«...

»كنت ماذا؟.«

تردد لانغدون للحظة، وأعاد النظر في كلماته. كذب قائلًا وهو يعود إلى

مقعده» :كنت ذاهبًا إلى المرحاض فحسب. ولكن بعد تفكير، يمكن للأمر أن ينتظر.«

ارتدى الغوليم نظارته الشمسية وهو يخطو عبر حجارة ساحة البلدة القديمة المرصوفة نحو موقف سيارات الأجرة. على الرغم من قلة نومه، شعر بالطاقة، وأفكاره تركزت بحزم على ما هو مطلوب لتنفيذ عمله الانتقامي المحرر.

الليلة الماضية، اعترفت غيسنر بحقيقة مظلمة، كاشفة أن زملائها قد شيدوا سرًا منشأة مترامية الأطراف، أشبه بالكهوف، في أعماق مدينة براغ . يسمونها "العتبة .(*Threshold*) "كان نطاق المشروع مذهلًا، ومع ذلك، كان الموقع الدقيق للمنشأة هو ما أدهش الغوليم أكثر.

"في قلب المدينة تمامًا."

"مئات الأشخاص يمشون فوقها كل يوم... دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عن وجودها هناك."

عندما طالب الغوليم غيسنر بأن تخبره بكيفية الدخول، حاولت المقاومة، ولكن سرعان ما كشفت عن الإجابة تحت وطأة الألم: لا يمكن الوصول إلى "العتبة" إلا من قبل شخص يعرف مكان المدخل المخفي... ويمتلك أيضًا بطاقة مفتاح *RFID*متخصصة للغاية.

لم يحتج الغوليم سوى بضع دقائق من الوحشية لانتزاع كليهما. عندما ترك غيسنر لتموت، كان يمتلك المعلومات التي يحتاجها... وكذلك بطاقة مفتاح ***RFID*** الشخصية الخاصة بها.

ولسوء الحظ، اكتشف لاحقًا أن عاملة الأعصاب قد تمكنت من حجب معلومة حاسمة واحدة عنه: بطاقة المفتاح وحدها لم تكن كافية للولوج.

مهزومًا ومنهكًا، سار الغوليم عائدًا إلى منزله في عتمة الليل، وبطاقة المفتاح التي لا طائل من ورائها في جيبه. ولكن في منتصف الطريق إلى المنزل، أدرك أنه قد يكون هناك حل لمشكلته. كلما فكر في الأمر، زادت ثقته. وبحلول الفجر، كان على يقين تام.

"أحتاج إلى عنصر ثانٍ."

لحسن الحظ، كان الغوليم يعرف على وجه الدقة أين يقع هذا العنصر في هذه اللحظة بالذات – في مختبر غيسنر الخاص، عاليًا على سلسلة التلال المطلة على المدينة.

«**Bastion u Božích muk**»، قال وهو يصعد إلى سيارة أجرة .

»خذني إلى حصن كروسيفيكس.«

الفصل الثاني والعشرون

شعر الملازم بافل بنشوة مشوبة بالدهشة، وقد أدرك أنه ألقى في روع روبرت لانغدون من الفزع ما جعله يعدل عن المضي إلى الخلاء. وها هو ذاك الأمريكي جالس الآن على أريكة، يرسل في الفضاء نظرات زائغة. حقًا، إن مواجهة فوهة مسدس مصوبة إليك لكفيلة بأن تبعثر أفكارك وتشتت شملك.

وسار بافل، وبعض النكاية تدفعه، فجاوز الزاوية، ومضى في الردهة، حتى ولج الخلاء. وقد ترك الباب مشرعا على مصراعيه كي يبلغ صوت فعله مسامع لانغدون، فبال بصخب ثم ضغط على مطردة المياه.

وما إن خرج بافل من الخلاء، حتى لمح النقيب ياناتشيك منعطفًا إلى الردهة.

قال النقيب" :سأخرج لأدخن سيجارة."

لقد عمل بافل مع ياناتشيك زمنا كافيا ليعلم أن النقيب يدخن حيثما يحلو له، دون اكتراث لأحد. والأرجح أنه كان يهم بإجراء مكالمة هاتفية خاصة، فلطالما كثرت تلك المكالمات في حياة ياناتشيك.

قال ياناتشيك" :سيصل فريق الهدم في غضون ثلاثين دقيقة، ليفجروا ذلك الشيء ."وأشار إلى البوابة الفولاذية التي تحمي الدرج المفضي إلى المختبر.

تفجير واحد محكم، هكذا قال بافل في نفسه وهو يتفحص باب المختبر. وحينها سيصبح المستوى السفلي في متناول أيدينا.

كان إطار الباب الأمامي المحطم لا يزال مسنودا إلى باب المختبر كجهاز إنذار، بيد أن بافل أحس بأنه لن يخرج أحد اليوم بمحض إرادته. لقد خالفوا أمرا صريحا من النقيب ياناتشيك، الأمر الذي لم يترك لهم إلا خيارات شحيحة لا تكاد تذكر.

قال ياناتشيك" :سأنتظر الفريق في الخارج. ابق هنا وتأكد ألا يغادر أحد المختبر. ولا يغب لانغدون عن عينيك طرفة عين."

ضرب بقدميه الأرض معلنًا الطاعة. مفهوم.

كان بافل بمثابة الذراع اليمنى للنقيب ياناتشيك منذ ما يقرب من خمس سنوات. ولكن ما لم يكن ذائعا في سلك الشرطة هو أن بافل كان ابن أخت أولدريتش ياناتشيك .فلما بلغ بافل التاسعة من عمره، مات أبوه في حادث شاءت به الأقدار، إذ صدمه سائح على دراجة نارية. وحين تردت والدة بافل في هوة من السكر والعربدة المؤذية، بدأ بافل يقضي جُل وقته

في دروب المدينة، يقتات على السرقات المحلية، ثم لا يلبث أن يقنع أصحاب المتاجر بأن يدفعوا له المال لقاء حمايتهم.

وفي التاسعة عشرة من عمره، حين أُلقي القبض على بافل، لم يكن لأمه أثر، فتدخل أخوها الأكبر أولدريتش نيابة عن ابن أخت يكاد لا يعرفه. وكان أولدريتش ياناتشيك، وهو ضابط صاعد في جهاز الاستخبارات والأمن ÚZSI، قد أُعجب بما لمسه في بافل من جرأة فذة وبراعة في الحيلة، فطرح أمامه خيارا بسيطا" :اذهب إلى السجن واقض عمرك بين المجرمين... أو التحق بتدريبات جهاز الاستخبارات والأمن، وسأعلمك أنا كيف تقبض عليهم."

لقد كانت محبة غلفتها الشدة، ولكن الخيار كان يسيرا، فبذل بافل قصارى جهده ليصبح خادما أمينا للقانون. وعلى الرغم من أنه لم يتخرج إلا في مرتبة متوسطة بين أقرانه في دورة جهاز الاستخبارات والأمن، فقد تدرج بافل في الرتب بسرعة. وها هو ذا اليوم ملازم، وهي رتبة رفيعة على نحو غير مألوف لضابط في أواخر العشرينيات من عمره، وكان لا يخاطب خاله إلا بلقب النقيب ياناتشيك.

كان بافل يعلم في قرارة نفسه أنه مدين له بكل شيء. لقد غدا ياناتشيك له الأب الذي فقده، وكان الملازم الشاب يتخذ من شجاعة نقيبه وصلابته

مثلا أعلى يحتذيه. "إن إنفاذ القانون يتطلب أحيانا أن تكون فوق القانون"، كان النقيب ياناتشيك يعيش وفق هذا الشعار، وكثيرا ما كان يأتمن بافل على طمس أي آثار قد يتركها النقيب خلفه وهو يتجاوز المألوف في تحقيقاته، كما فعل هذا الصباح.

إنه يعلم أني سأحميه حتى الرمق الأخير.

وقف بافل الآن في البهو يرقب النقيب ياناتشيك وهو يغادر المبنى إلى فناء الحصن الذي يكسوه الثلج، وهو امتداد مستطيل فسيح يحيط به سور حجري منخفض، وُضع ليقي الزوار من خطر السقوط عن الحافة الشاهقة. وبينما كان النقيب يشق طريقه بين أشجار الصنوبر دائمة الخضرة المغروسة في أحواض على العشب، أجرى مكالمة واتخذ لنفسه موقعا في الطرف الأقصى من الفناء، مُرسلا بصره نحو أفق مدينة براغ.

انتهز بافل الفرصة ليتفقد هاتفه بحثا عن رسائل، آملا أن يجد إشعارا من تطبيقه الجديد **Dream Zone**، وهي منصة مواعدة افتراضية اجتاحت أوروبا كالعاصفة. لم يكن بافل ليتخيل قط أن الدردشة مع نساء من صنع الحاسوب قد تسترعي اهتمامه، ولكنه، كغيره من الرجال، أدمن تلك المحادثات المثيرة، والصور الكاشفة، والقصص الخيالية.

أحد عشر إشعارا.

فابتسم وقد سر بأن وجد ما يقرأه في أثناء انتظاره. أمسك هاتفه بيده، وعاد أدراجه إلى الردهة ليقوم على حراسة لانغدون .بيد أنه ما كاد يدلف إليها حتى فوجئ بأن الأريكة التي كان لانغدون يجلس عليها باتت خاوية. التفت بافل يمينا ويسارا، متفحصا كل ركن من أركان المكان. ثم هرع إلى مكتب غيسنر، فوجده هو الآخر خاليا.

تحول ارتباك بافل سريعا إلى هلع. فراح يعدو في الغرفة بجنون، باحثا خلف الأرائك والمقاعد. أين ابتلعته الأرض يا إلهي؟! بدا وكأن روبرت لانغدون قد تبخر في الهواء.

وعلى بعد أقل من عشرين قدما، كان لانغدون يقف جامدا في تجويف مظلم يستتر خلف منحوتة بول إيفانز الجدارية. فقبل لحظات، حين وجد نفسه وحيدا، وثب لانغدون من الأريكة وأسرع نحو العمل الفني ليتفحصه عن كثب. وكما ظن، لم يكن القضيب الفولاذي الذي يعلو القطعة الفنية مجرد دعامة لتثبيتها.

لقد كان مسارا انزلاقيا.

كأنه باب فخم ينزلق على محوره بيسر وسلاسة.

قبض لانغدون بقوة على الحافة اليمنى للمنحوتة ودفعها جهة اليسار. فانزلقت المنحوتة الضخمة دون عناء، وقد استقرت على بكرات ذات

محامل كروية عالية الدقة. وكما توقع لانغدون، كان خلفها مدخل خفي. فأسرع بالولوج من خلاله، وأُغلق الباب المنزلق المزود بنابض خلفه في صمت.

والآن، بينما كانت عيناه تتكيفان مع المكان الخافت الإضاءة، كان لانغدون يسمع صوت الملازم بافل وهو يهرول في قاعة الاستقبال ويلعن بصوت عال.

وقد كان التجويف الكائن خلف المنحوتة على ذات القدر من الفخامة والسكينة، إذ تزينه ألواح خشبية غنية وعمود رخامي تتراقص عليه مجموعة من الشموع الصناعية. وقد أضاء نور الشموع بابا من المعدن المصقول.

مصعد خاص.

بدا هذا المدخل أليق بمختبر غيسنر الصغير من درج الخدمة، ورأى لانغدون الآن أن باب المصعد مؤمن بلوحة مفاتيح مضيئة.



يبدو أن غيسنر لم تكن تبالغ حين زعمت أنها أمنت مختبرها برمز مرور عبقري. والآن، ليس على لانغدون إلا أن يكتشف ماهية هذا الرمز.

الفصل الثالث والعشرون

ما كان لجوناس فوكمان أن يجهل الرعب، وقد خبر من صنوفه وأهواله ما خبر؛ فقفز من حالق الطائرات بغير مظلة، وكاد يغرق في قبضة معتوه داهية، وراوغ الرصاص وهو معلق بسطح شاهق سحيق. بيد أن تلك المشاهد كلها لم تكن إلا خيالًا مسطورًا على صفحات روايات الإثارة التي صقلها بقلمه.

أما الآن، فقد كان الرعب حقيقة ماثلة.

كان الكيس الذي يغطي رأسه يخنق أنفاسه شيئًا فشيئًا، ويداه موثقتان خلف ظهره. كان ملقى على أرضية معدنية صلبة لمركبة انطلقت به مسرعة على طريق سريع لما لا يقل عن عشر دقائق. سمع أزيز هاتفه في جيب معطفه مرات عدة، ولكن أنّى له أن يصله.

استطاع فوكمان أن يميز أن خاطفيه رجلان، كلاهما أمريكيان من لكنة صوتيهما، وأنهما قد عبثا بحقيبة ظهره.

"لقد استولوا على المخطوطة."

وامتزج خوفه بحيرة مطبقة.

"ولكن، لِمَ؟"

انحرفت الشاحنة فجأة عن الطريق السريع، وسلكت طرقًا فرعية متعرجة، ثم توقفت بغتة. وحينما نزع آسروه الكيس عن رأسه أخيرًا، وجد فوكمان نفسه وجهًا لوجه مع رجل قوي البنية، في الثلاثينيات من عمره، بقصة شعر عسكرية قصيرة. كان الرجل، الذي يرتدي السواد من رأسه إلى أخمص قدميه، قد جلس قريبًا منه على نحو يبعث على الرهبة، فوق صندوق خشبي، وهو يحدق فيه بعينين باردتين كجليد الشتاء.

تسمّر فوكمان في مكانه من الفزع، وألقى نظرة من خلف آسره عبر الزجاج الأمامي. لم يرَ إلا أشجارًا وظلامًا دامسًا. وكان يسمع أزيز آلات ثقيلة يتردد من بعيد. "ويلتاه، أين أنا؟"

كان خاطفه الثاني – رجل أصغر حجمًا بقليل – يجلس في مقعد الراكب الأمامي، يطبع على حاسوب محمول. إنه ذاك الرجل الذي كان يقف على الرصيف وبيده لوح الكتابة.

قال الرجل الجالس أمام الحاسوب» :جاهز.«

مدّ شريكه ذو قصة الشعر العسكرية يده إلى كاميرا فيديو مثبتة في سقف الشاحنة ووجهها مباشرة إلى وجه فوكمان.

همس فوكمان في سرّه، مستحضرًا أولى قواعد النجاة: "إياك أن يرى فيك الخوف أثرًا."

قال فوكمان، متصنعًا رباطة الجأش» :كاميرا جميلة. أم تُرانا نصور مقطعًا هزليًا؟.«

نظر الرجل إلى الأسفل، وقد بدت على وجهه علامات الدهشة من وقاحة فوكمان.

حاول فوكمان أن يبدو هادئًا وهو يقول» :أم أننا نصور فيديو فدية لنرسله إلى عائلتي؟.«

قال الرجل ببرود قاطع» :ليس لديك عائلة. أنت لست متزوجًا، وتعمل ستة أيام في الأسبوع، ولم تغادر البلاد منذ أكثر من أربع سنوات.«

"يا للمصيبة! من عسى أن يكون هؤلاء؟"

كان تخمين فوكمان الأول أنهم من الجيش الأمريكي، ولكن من الصعب الجزم في هذه الأيام. فقد نشر كتابًا غير روائي قبل بضع سنوات عن العالم السري للمرتزقة المعاصرين – مقاولون متخصصون مدربون بأسماء غامضة مثل *Blackwater*، و*Triple Canopy*، و*Wackenhut*، و *International Development Solutions*.

والحقيقة أن هذين العميلين يمكن أن يكونا يعملان لصالح أي جهة كانت.

سحب ذو الشعر القصير لوحًا إلكترونيًا صغيرًا من معطفه، وتصفحه، ثم دفعه في وجه فوكمان» .أتعرف هذا المكان؟.«

أمعن فوكمان النظر في الصورة. واستغرق الأمر منه لحظة ليفهم ما يراه.

"ما هذا بحق الجحيم؟!" لقد كانت غرفة معيشته. ومن هيئتها، بدا أن شقته الفسيحة في حي أبر إيست سايد قد عاثوا فيها فسادًا... فاللوحات الفنية قد أُسقطت من على الجدران، ورفوف الكتب قد أُفرغت، والأرائك قد مُزّقت، والمناضد قد قُلبت رأسًا على عقب.

قال ذو الشعر القصير» :عمّ كنا نبحث؟ حَزِّر فزِر.«

نظر فوكمان إلى شعر الرجل القصير وقال» :عن حلاق أفضل؟.«

انقض عليه الرجل دون سابق إنذار، وسدد لكمة هائلة إلى بطن فوكمان . انحنى المحرر على نفسه، وسقط على جانبه، لاهثًا يلتقط أنفاسه.

قال الرجل وهو يجذبه ليعيده جاثيًا على ركبتيه» :حاول مرة أخرى. عمّ كنا نبحث؟.«

قال فوكمان وهو يكاد لا يقوى على التنفس» :لا... لا أعلم.«

تفحص الرجل الجالس أمام الحاسوب بعض البيانات التي ظهرت على الشاشة وهز رأسه» .إنه يكذب.«

قال ذو الشعر القصير» :سأسألك للمرة الأخيرة. وقبل أن تجيب، دعني أقدم لك "أفاتار .«"وأشار إلى كاميرا الفيديو في الأعلى» .هذا محرك ذكاء اصطناعي يتتبع حركة عينيك، وتغيرات وجهك الدقيقة، وتحولات وضعيتك. إنه أحدث ما توصل إليه العلم في أنظمة تحليل الصدق.«

"نظام تحليل الصدق؟" قرر فوكمان ألا يوبخ هذا السفاح على استخدامه مصطلحًا رنانًا لوصف أداة تافهة، ولكن على الأقل فسر ذلك وجود كاميرا الفيديو.

انحنى الرجل الجالس على الصندوق الخشبي إلى الأمام حتى أصبح وجهه قريبًا على نحو خانق» .نحن نعلم كل شيء عنك يا جوناس. نعلم أنك تعمل في ساعة متأخرة من الليل، وأنك تذهب للركض في سنترال بارك حين لا يكون لديك غداء عمل، وأنك تحتسي كوكتيل المارتيني مع مؤلفيك في حانة "الحصان الأبيض". فلا تعبث معي. دعني أطرح عليك سؤالًا واحدًا في غاية البساطة.«

انتظر فوكمان، وبطنه لا يزال معقودًا من الألم.

قال ذو الشعر القصير» :المخطوطة التي وجدناها في حقيبة ظهرك. هل هي نسختك الوحيدة؟.«

أدرك فوكمان الجواب الذي يأملان في سماعه. ولكن لسوء الحظ، فإن قول

الحقيقة الآن يعني فقدان قدرته على التفاوض في الحال... وربما، فقدان حياته.

ولما لم يرَ أمامه إلا خيارات ضئيلة، أغمض فوكمان عينيه واستحضر في ذهنه صورة بطل إحدى أشهر سلاسل روايات الإثارة التي نشرها — جاسوس كان يتغلب باستمرار على أجهزة كشف الكذب باستخدام ثلاث خطوات بسيطة، وهي التي حاول فوكمان الآن أن يوظفها.

أولًا، أرخى كتفيه وأطلق كل توتر في بطنه.

ثانيًا، لامس سبابته وإبهامه بخفة شديدة وأبطأ من تنفسه.

ثالثًا، استبقى في عين عقله صورة ذهنية واضحة للحقيقة التي تمنى لو كانت حقيقية — وفي هذه الحالة، صورة لاثنتي عشرة مخطوطة إضافية موضوعة بأمان على مكتبه في دار راندوم هاوس.

شعر بهدوء أكبر يغمره.

قال فوكمان بنبرة متزنة قدر الإمكان» :لا، المخطوطة التي في حقيبتي ليست النسخة الوحيدة. هناك نسخ أخرى كثيرة.«

نظر الرجل إلى حاسوبه، وما كاد يفعل حتى هز رأسه نافيًا» .يكذب.«

"تبًا لك يا جوناس !ويلك! أما سُمّي خيالًا إلا لعلة"!

رفع ذو الشعر القصير قبضته مرة أخرى، مستعدًا ليلكمه في بطنه من جديد.

صاح فوكمان» :انتظر! كنت أتحدث عن النسخ الرقمية على خوادم PRH«.

بدا على وجه ذي الشعر القصير شبه ابتسامة ساخرة» .سيد فوكمان، لقد حذفنا جميع النسخ الرقمية، وهذا هو السبب الذي جعلك تهرع إلى مركز النسخ، أليس كذلك؟.«

صمت فوكمان، وقلبه يخفق بجنون. كان يسمع صوت آلات صاخبة خارج الشاحنة، ربما أزيز محركات صناعية.

قال ذو الشعر القصير» :دعني أبسط الأمر عليك. بخلاف النسخة التي في حقيبة ظهرك وتلك التي على خوادمPRH ، هل تعلم بوجود أي نسخ أخرى من هذه المخطوطة – رقمية كانت، أم ورقية، أم غير ذلك؟.«

هز فوكمان رأسه» .لا، المخطوطة التي في حقيبتي هي النسخة الوحيدة المتبقية.«

صحح له ذو الشعر القصير قائلًا» :كانت النسخة الوحيدة المتبقية. لقد أتلفناها بالفعل.«

وفي مركز أمن دار النشر، وحده، كان أليكس كونان قد بلغ به الذهول مبلغه.

"هذا لا يمكن أن يكون."

نقر على لوحة مفاتيحه بعنف، محدّثًا الصفحة، آملًا أن تكون المعلومات التي أمامه خاطئة، لكن الصورة المشؤومة نفسها ظلت تظهر... وتعاود الظهور.

"يا إلهي، لا"...

قبل دقائق، ومع عدم ظهور أي أثر لفوكمان وبعد أن عجز عن الوصول إلى كاثرين سولومون أو روبرت لانغدون، قرر أليكس أن يتخذ إجراءً جريئًا.

"أنت تملك المهارات. ولديك صلاحية الوصول."

استخدم أليكس كليهما، وعلى الرغم من الشكوك التي تحوم حول مشروعية أساليبه، فقد تمكن من الوصول إلى معلومات لم يكن من المفترض أن يطلع عليها ليتعقبهم. والآن، تربعت صورة مقلقة على شاشته. حاول أليكس أن يستحضر أي تفسير بريء لما كان ينظر إليه، لكن عقله ظل يعود إلى الاستنتاج المنطقي الوحيد... استنتاج تقشعر له الأبدان.

"من يريد قتل هذا الكتاب... قد قتل مؤلفًا من مؤلفي دار النشر."

الفصل الرابع والعشرون

في عتمة التجويف المستتر، تأمل لانغدون لوحة المفاتيح الرقمية والحرفية لمصعد غيسنر الخاص، وقد أخذ عقله يسترجع وقائع لقائهما بها في الليلة الخالية.

لقد كانت غيسنر امرأة متجهمة، صارمة الملامح، شاحبة البشرة، مشدودة الشفتين، وقد جمعت شعرها إلى الوراء بإحكام كراقصات الفلامنكو. لم يستسغ لانغدون عالمة الأعصاب تلك منذ اللحظة التي وقعت عينه عليها. كانت قد انضمت إليهما في حانة فندق فور سيزونز، المسماة كوتوكرودو، عقب محاضرة كاثرين.

قالت كاثرين بحرارة وهي تنهض واقفة مع اقتراب المرأة من المقصورة الهادئة التي اختارها لانغدون في المؤخرة" :أهلاً بكِ يا دكتورة غيسنر! أشكرك على انضمامك إلينا، وبالطبع، على دعوتي لأحاضر في مدينتكِ الفاتنة."

ردت المرأة بابتسامة مقتضبة لا تنم عن حفاوة" :جمهور غفير هذه الليلة، لقد صنعتِ لنفسكِ اسماً مدوياً."

نفضت كاثرين الإطراء بأدب وأشارت إلى لانغدون" :هذا من لطفكِ. وأنا على يقين أنكِ تعرفين زميلي، البروفيسور روبرت لانغدون؟."

نهض لانغدون ومد يده قائلاً" :إنه لمن دواعي سروري."

تجاهلت غيسنر يده، وانزلقت ببساطة إلى المقعد بجانبهما في المقصورة قائلة" :آمل أنكما لم تطلبا شراباً بعد، فقد طلبتُ منهم أن يحضروا بعض الأصناف المحلية المفضلة ."ثم التفتت إلى لانغدون" :بروفيسور، لقد طلبتُ لك شراب 'لوتشي(Luce) '، وهو مزيج كوتوكرودو المميز من الويسكي الكندي، ونقيع الكرز المر، وشراب القيقب، ولحم الخنزير المقدد."

لحم خنزير مقدد؟ لقد كان لانغدون ليفضل على ذلك شرابه المعتاد، مارتيني فيسبر مع جين نوليتس ريزيرف.

قالت غيسنر" :ولكِ يا كاثرين، طلبتُ شراب ستاروبلزنيتسكي (Staroplzenecký)، وهو أبسنث بوهيمي محلي. ونحن نمزح قائلين إن استطعتِ نطق اسمه بعد شربه، فأنتِ بحاجة إلى كأس أخرى."

أدرك لانغدون أنها ضرب من ضروب استعراض القوة وقد تزيّا بزي الكرم. فقلما وُجدت مشروبات روحية أشد فتكاً من الأبسنث البوهيمي، ولم تكن كاثرين ذات جلد على الشراب.

قالت كاثرين بلباقة" :كرم فياض منكِ. لقد استمتعتُ أيما استمتاع بوجودي هنا والحديث في مدينتكِ الساحرة. لقد كان شرفاً عظيماً ."

أُعجب لانغدون برباطة جأشها، وبملامحها الأنيقة التي تؤطرها خصلات شعرها الداكن الطويل المنسدلة بنعومة.

هزت غيسنر كتفيها قائلة" :كان حديثكِ مسلياً، ولكني وجدتُ موضوعكِ، كيف أقول... ميتافيزيقياً على نحو متوقع."

قالت كاثرين" :أوه، يؤسفني سماع ذلك."

"لا أقصد الإساءة إلى علم النويات(**noetics**) ، ولكن العلماء الحقيقيين أمثالي لا يعيرون اهتماماً لتلك المفاهيم الأثيرية كالروح، أو الرؤى الروحانية، أو الوعي الكوني. نحن نؤمن بأن كل التجارب الإنسانية – من النشوة الدينية إلى المخاوف الموهنة – لا تنبع إلا من كيمياء الدماغ. إنها فيزياء السبب والنتيجة. وما سوى ذلك... فهو وهم."

أوصفت نفسها للتو بأنها "حقيقية" ووصفت كاثرين بالواهمة؟ استشاط لانغدون غضباً، لكن كاثرين ابتسمت وضغطت على ساقه ضغطة مرحة تحت الطاولة.

واصلت غيسنر حديثها" :أجد من الغريب أنكِ، بعد حصولكِ على الدكتوراه في الكيمياء العصبية – وهو أكثر التخصصات مادية – قد انحرفتِ إلى غياهب علم النويات."

ردت كاثرين بظرافة" :أتقصدين كاليفورنيا؟ أظن أنها جعلتني أرغب في رؤية الصورة الأشمل."

قاطعها لانغدون وقد عجز عن كبح جماح نفسه" :معذرة، ولكن مع هذا الرأي المتدني في علم النويات، لمَ دعوتِ الدكتورة سولومون للتحدث؟."

بدا أن السؤال قد أثار حفيظة غيسنر، فقالت" :لسببين في الحقيقة. أولاً، اضطرت متحدثتنا الأصلية – الدكتورة آفا إيستون من المجلس الأوروبي للدماغ – إلى إلغاء مشاركتها. كنا بحاجة إلى امرأة أخرى لتملأ مكانها، وقد خمّنتُ أن شخصاً مثل كاثرين سيغتنم الفرصة. وثانياً، قرأتُ مقابلة اعترفت فيها كاثرين بسخاء أن إحدى مقالاتي قد أسهمت في إلهام جزء من كتابها القادم."

قالت كاثرين" :هذا صحيح. لقد تساءلتُ إن كنتِ قد اطلعتِ على ذلك."

قالت غيسنر بنبرة متعالية أشبه ما تكون بمخاطبة طفل" :لقد اطلعتُ عليه يا كاثرين. ولكنكِ لم تذكري أي مقالاتي ألهمتكِ؟."

أجابت كاثرين' " :كيمياء الدماغ في الصرع'، من المجلة الأوروبية لعلم الأعصاب."

"أليس هذا بعيداً بعض الشيء عن اختصاص عالمة في النويات؟ آمل ألا تكوني قد حرّفتِ بحثي ليتناسب مع استنتاجاتكِ الخاصة."

قالت كاثرين" :كلا، على الإطلاق."

تعجب لانغدون من أدب كاثرين الجم. يفوق ما يمكنني حشده لهذه المرأة.

ردت غيسنر" :ومع ذلك، كنوع من المجاملة المهنية، أود أن أحظى بفرصة قراءة ذلك الجزء مسبقاً. لا بد أن لديكِ نسخة من مخطوطة كتابكِ معكِ."

قالت كاثرين بصدق" :في الواقع، ليست معي."

نظرت إليها غيسنر نظرة المتشكك" :حسناً إذن، ربما يمكنكِ أن تحصلي لي على واحدة. إذا أعجبني، سأفكر في أن أقدم لكِ تزكية من شخصية مشهورة، الأمر الذي قد يكون مفيداً جداً لمصداقيتكِ مع هذا الكتاب الأول."

ردت كاثرين بصبر يشبه صبر القديسين" :هذا كرم بالغ منكِ، سأسأل محرري عن ذلك."

بدا على غيسنر الانزعاج من هذا الرفض المبطن" :كما تشائين، ولكن على الأقل دعيني أدعوكِ إلى مختبري الخاص غداً لأريكِ بعض أعمالي. أظن أنكِ ستجدينها تجربة تفتح بصيرتكِ. أود أن أحظى بفرصة تنويركِ."

تململ لانغدون في مقعده، لكن كاثرين أمسكت بيده تحت الطاولة وضغطت عليها بقوة مدهشة، تلجمه بذلك وهي تقبل دعوة غيسنر.

بعد عشرين دقيقة، كانت غيسنر لا تزال تتحدث... وعن أي شيء تتحدث، كان لانغدون قد فقد أثر الحديث. فبعد أن ارتشف نصف شرابه البغيض المكون من القيقب ولحم الخنزير المقدد، بات طعم فمه أشبه بوجبة إفطار. وإن طال مونولوجِ غيسنر أكثر من ذلك، فسيحتاج حتماً إلى جولة أخرى من الشراب.

ربما مارتيني بالبيض المقلي؟

لم تكن كاثرين قد أنهت سوى نصف كأسها من الأبسنث، ولكن آثاره بدأت تظهر عليها، إذ أخذت تتلعثم في كلماتها قليلاً وتكافح لتبقي عينيها مفتوحتين.

قالت غيسنر بعفوية مصطنعة" :نظراً للطبيعة المبتكرة لبحثي، سيتعين عليكِ بالطبع التوقيع على اتفاقية عدم إفشاء قبل مجيئكِ إلى المختبر غداً."

بدا هذا في نظر لانغدون شرطاً ينضح بالغطرسة الشديدة بين الزملاء.

قالت غيسنر وهي تخرج حقيبة جلدية صغيرة وتبدأ في فتح قفلها" :في الحقيقة، معي واحدة الآن. يمكننا أن ننتهي من الأمر قبل."...

قاطعها لانغدون" :في الواقع، أشك في أن كاثرين في حالة تسمح لها بقراءة وثيقة قانونية. ربما غداً عندما تصل إلى مختبركِ؟."

حدقت فيه غيسنر من فوق حقيبتها وقد علا وجهها استياء واضح، كأنها تزن مدى إصرار لانغدون .وأخيراً، قالت" :حسناً، هذا يناسبني أيضاً."

وبينما عادت غيسنر إلى حديثها مع كاثرين، وجد لانغدون نفسه يتساءل لم قد تكون عالمة أعصاب، تحمل كل هذا الازدراء لعمل كاثرين، متلهفة إلى هذا الحد لتعرض عليها مختبرها الخاص. أياًكانت دوافع غيسنر، فقد خطط لانغدون أن يقترح على كاثرين في صباح الغد أن تعتذر بلباقة عن قبول الجولة.

صاحت غيسنر بصوت عالٍ، قاطعة حبل أفكار لانغدون" :ليس في الأمر شيء شخصي ياكاثرين! أنتِ تعلمين أنني لم أكن قط خجولة في إبداء كراهيتي للظواهر الخارقة وعلوم 'بساي .(PSI) 'أتذكرين غلافي في مجلة 'ساينتفك أمريكان'؟."

قالت كاثرين مبتسمة" :أذكر. 'الدكتورة بريجيتا غيسنر، لا تسموها عالمة أعصاب بساي-كولوجية."'(neuro-PSI-entist)

قالت غيسنر وهي تضحك بصوت عالٍ مرة أخرى" :نعم، لقد شارك الجميع في تلك المزحة. أرسل لي أحد المعجبين بساط فأرة عليه اقتباسي:

'لا وجود لـ "بساي (PSI) "في العلم'. حتى أن أحد الزملاء مازحني قائلاً إنه يجب عليّ تغيير كل كلمات المرور الخاصة بي إلى P–S–I لأنها آخر شيء قد يخطر على بال أحد أنني سأختاره."!

قالت كاثرين وهي ترتشف من كأسها" :هذا مضحك حقاً."

"والأكثر إضحاكاً هو أنه بعد سنوات، عندما اضطررتُ لاختيار كلمة مرور أمنية لمختبري الجديد، تذكرتُ نصيحته... واخترتُ 'بساي (PSI) 'كرمز مرور لي."!

رفع لانغدون حاجبيه متسائلاً أيهما أقل احتمالاً، أن تكون غيسنر قد استخدمت رمز مرور من ثلاثة أحرف لحماية مختبرها، أم أنها ستخبرهما بماهيته.

أضافت وهي تضحك" :ليس P–S–I حرفياً بالطبع. لقد قمتُ بتشفيرها. ببراعة تامة، إن جاز لي القول."

وهو ما فعلتِه للتو، فكر لانغدون.

التفتت إليه قائلة" :بروفيسور، أعتقد أنك من هواة الألغاز، أليس كذلك؟ ستُعجب بتشفيري."

أجاب بجهد وهو شارد الذهن" :لا أشك في ذلك قط."

زهت غيسنر بنفسها" :أصف رمزي الصغير المبتكر بأنه 'إهداء عربي ليوناني قديم، مع لمسة لاتينية خفيفة ."'التقطت قشرة الليمون من حافة كأسها وألقتها في شرابها في حركة مسرحية، كأنما أسدلت الستار على حديثها.

لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة عما كانت تتحدث عنه. فقال" :يبدو ذكياً جداً."

قالت كاثرين باندفاع وقد بدا تأثير الأبسنث جلياً عليها" :بإمكان روبرت فك شفرته. إنه خبير بالرموز."

قالت غيسنر بابتسامة متكلفة" :أقبل هذا الرهان. أحسب أن فرص البروفيسور في تخمينه تقل قليلاً عن واحد من كل ثلاثة تريليونات ونصف."

لم يتردد لانغدون لحظة" :يبدو أنه رمز أبجدي رقمي من سبعة محارف."

ارتدت غيسنر إلى الوراء، وقد اتسعت عيناها دهشة، وقد باغتتها سرعة بديهته.

أطلقت كاثرين ضحكة خافتة شابتها نبرة السكر" :أخبرتكَ، إنه بارع جداً في فك الرموز."!

قالت غيسنر وقد بدا عليها الاضطراب" :وفي الأسس الرياضية أيضاً، على ما يبدو. حسناً أيها البروفيسور، لا مزيد من التلميحات لك."

قال لانغدون وهو ينهض فجأة" :وبهذا، أعتقد أنه حان الوقت لننهي هذه الليلة."

قالت غيسنر وهي تنهض بدورها، تاركة معظم شرابها من الفودكا والمنشط : "آه، الأب يقول إن الحفلة قد انتهت. كاثرين، أراكِ في الصباح. الثامنة تماماً عند حصن كروسيفيكس."

سنرى ذلك، فكر لانغدون.

وعندما وقفت كاثرين، تجرعت ما تبقى من الأبسنث في كأسها دفعة واحدة. قدّر لانغدون أن أمامه الآن ثلاث دقائق تقريباً ليصعد بها إلى غرفتهما قبل أن يأخذ الشراب مفعوله الكامل فيها.

تبادلا عبارات الوداع، وبينما كان لانغدون يساعد كاثرين على السير في الردهة باتجاه جناحهما، لام نفسه على تحمله غيسنر كل هذا الوقت. لقد قابل الكثير من الأكاديميين المتعجرفين، لكن بريجيتا غيسنر ارتقب بالغطرسة إلى مستوى جديد تماماً.

"إهداء عربي ليوناني قديم مع لمسة لاتينية خفيفة؟" حقاً؟

تمنى لانغدون لو أنه تمكن من فك "رمز المرور المبتكر" ذاك في حينه، ولو فقط ليحدّ من غطرستها التي لا تطاق. لكن اللحظة قد فاتت. انس الأمر، قال لنفسه. ومن يبالي؟

عندما دخلا جناحهما، اختفت كاثرين في الحمام لتستعد للنوم. أخذ لانغدون يذرع غرفة الجلوس جيئة وذهاباً، مدركاً أنه كان متوتراً جداً لدرجة تمنعه من النوم. وبقدر ما أراد أن ينسى لقاءه بغيسنر، فإن انزعاجه من تفوقها المتعجرف قد أيقظ فيه روح المنافسة. وكان عقله التحليلي قد بدأ بالفعل في الدوران، باحثاً عن طريقة لفك لغز غيسنر.

فلنُفكك كل جزء على حدة، فكر. إهداء عربي...

كان لانغدون يعلم أنه لا توجد أحرف عربية في الأبجدية الأبجدية الرقمية، لذا كان على يقين تام بأن غيسنر كانت تشير إلى الأبجدية العربية الأخرى – الأرقام – اللغة الرياضية التي أشاعها العرب قبل أكثر من ألف عام.

لا بد أن رمز مرور غيسنر هو رقم.

تساءل بصوت مسموع" :إهداء عربي... ليوناني قديم."

منطقياً، إذا كان رمز مرور غيسنر رقماً، فإن "إهداءها" سيكون رقمياً، وبالتالي، فإن اليوناني القديم المقصود كان على الأرجح مرتبطاً بالرياضيات.

أشهر ثلاثة علماء رياضيات في العصور القديمة كانوا جميعاً من اليونانيين. وقد نُقشت أسماؤهم في ذهن لانغدون بعد أن أخبر أستاذ الرياضيات في مدرسته الإعدادية، السيد براون، الفصل بأن الاختصار الشائع لمدرستهم، PEA، لم يكن اختصاراً لأكاديمية فيليبس إكستر كما يعتقد الجميع، بل كان إهداءً سرياً لعمالقة الرياضيات الأوائل الثلاثة :فيثاغورس، وإقليدس، وأرخميدس.

إذن، إلى أيهم كانت غيسنر تشير؟ استعرض لانغدون القائمة في ذهنه.

فيثاغورس :نظرية فيثاغورس، نظرية النسب، كروية الأرض.

إقليدس :أبو الهندسة، القطوع المخروطية، نظرية الأعداد.

أرخميدس :لوالب أرخميدس، العدد باي (pi)، مساحات الدوائر.

توقف لانغدون.

أعلن بصوت عالٍ" :باي ."(Pi)

نادت كاثرين من الغرفة الأخرى" :تلك فكرة رائعة! اتصل بخدمة الغرف. سآخذ قطعة أنا أيضاً."!

فطيرة أخرى هي التي تعنيها، فكر وهو يضحك، ثم دخل غرفة النوم وساعد كاثرين المترنحة على الاستلقاء في السرير. بعد أن طبع على خدها

قبلة ليلة سعيدة، عاد إلى غرفة الجلوس، وأخرج ورقة وقلماً من المكتب ذي الغطاء اللفّاف، وجلس على الأريكة، وقد تملكته الآن رغبة قهرية في إنهاء ما بدأه.

كان حل لغز غيسنر أبعد ما يكون عن الوضوح، لكن لانغدون أدرك لتوه أن تهجئة – pi التي يمكن القول إنها أشهر رقم في التاريخ – قريبة بشكل مثير للاهتمام من تهجئة PSI.

قالت غيسنر إن رمز مرورها هو ...PSI مشفر.

شعر لانغدون أنه على الطريق الصحيح.

3.14159، فكر وهو يدون الصيغة الأكثر شيوعاً للعدد باي.

يمكن بالتأكيد وصف العدد باي بأنه إهداء ليوناني قديم، كما أنه يُعبر عنه بالأرقام العربية، مما يعني أنه يفي بشرطين من شروط غيسنر الثلاثة.

إهداء عربي ليوناني قديم.

لسوء الحظ، كانت الفاصلة العشرية في 3.14159 تمثل مشكلة. أولاً، لا توجد فواصل عشرية في رمز مرور أبجدي رقمي بحت. وثانياً، لم تكن الفاصلة العشرية من ابتكار العرب؛ بل اخترعها عالم رياضيات اسكتلندي هو جون نابيير.

يمكنك حل كلتا المشكلتين ببساطة عن طريق حذف الفاصلة العشرية.

لم تكن هناك سوى مشكلة واحدة: الرقم 314159 يمثل باي ...(pi) وليس بساي .(PSI)

وما زالت "اللمسة اللاتينية الخفيفة" مفقودة.

بعد عشر دقائق، لم يحرز لانغدون أي تقدم آخر، وقرر أنه هو الآخر يجب أن ينهي ليلته. يمكن لرمز مرور غيسنر أن ينتظر... أو الأفضل من ذلك، أن يُنسى.

صعد لانغدون إلى السرير بجانب كاثرين، حيث نام بعمق لعدة ساعات... حتى استيقظت وهي تصرخ من كابوسها.

كأنه دهر قد انقضى، فكر لانغدون، وهو يقف الآن في تجويف المصعد المعتم، محدقاً في لوحة المفاتيح الرقمية ومتمنياً لو أنه حل لغز غيسنر الصغير المزعج.

على الجانب الآخر من الجدار، كان بافل يلعن بصوت عالٍ، وسمعه لانغدون يندفع خارجاً من الردهة، ربما ليذهب للبحث عن ياناتشيك . أدرك لانغدون أن هذه اللحظة قد تكون فرصة للتسلل من الحصن دون أن يراه أحد... ولكن إلى أين؟

لن أغادر بدون كاثرين، فكر، وقد تزايد خوفه من أن يكون قد أصابها مكروه. يجب أن أنزل إلى الطابق السفلي.

نظر مرة أخرى إلى لوحة المفاتيح، متسائلاً عما إذا كانت فرصه أفضل في فك الجزء الأخير من رمز مرور غيسنر الآن بعد أن مرت ليلة كاملة. ففي النهاية، كان هناك سبب يجعلنا "ننام على" مشاكلنا؛ فالعقل الباطن يمكنه أن يقيم روابط مذهلة أثناء نومنا.

لقد ذهب لانغدون إلى الفراش الليلة الماضية وهو يعتقد أن الرقم 314159 كان تمثيلاً دقيقاً لـ "إهداء عربي ليوناني قديم."

ومع ذلك، لم يكن الأمر صحيحاً تماماً.

أنا أفتقد اللمسة اللاتينية.

كان لانغدون يعلم أن غالبية لغات العالم – بما في ذلك الإنجليزية – تستخدم نظام الحروف المعروف بالأبجدية الرومانية أو اللاتينية. وبينما كان يتفحص الأرقام والحروف على أزرار لوحة المفاتيح، أدرك أنه أصبح شديد التركيز على الأرقام لدرجة أنه نسي أنه يمكنه استخدام الحروف أيضاً.

هل "اللمسة اللاتينية" هي حرف؟

وبينما كان يفكر في الأمر، تجسد في ذهنه أبسط الأشكال – المنحنى الملتوي لحرف .S

يا إلهي، أدرك. "لمسة لاتينية" حرفية!

في تلك اللحظة، ومض في ذاكرته مشهد غيسنر وهي تسقط بتعجرف قشرة الليمون الملتوية في وسط شرابها، ولم يستطع إلا أن يشعر بقليل من الإعجاب.

الحرف Sهو القطعة المفقودة من اللغز.

أما الباقي فكان بسيطاً.

PIتصبح !PSI

كان رمز غيسنر مزيجاً من الرموز العربية واللاتينية – أرقام وحروف – وإذا لم يكن لانغدون مخطئاً، فلا بد أن الحل هو 314S159

أعاد التحقق من المنطق مقابل ما قالته غيسنر" :إهداء عربي ليوناني قديم مع لمسة لاتينية خفيفة."

الرقم 314159 هو إهداء عربي بحت... للرقم اليوناني باي ...(pi) وحرف Sفي الوسط هو لمسة لاتينية تحول ...PIإلى ...PSIوهو ما قالت غيسنر إنه رمز مرورها.

لو كانت هناك لحظة تستحق أن يصرخ فيها بصرخة أرخميدس "وجدتها!"، لكانت هذه هي، ولكنه بدلاً من ذلك تحرك بصمت إلى لوحة المفاتيح.

حبس أنفاسه، وأدخل بعناية سبعة محارف في الشاشة الرقمية.

3 1 4 S 1 5 9

بعد التحقق مرة أخرى من التسلسل، زفر وضغط على زر الإدخال.

لم يحدث شيء.

اجتاحه شعور فوري باليأس، ولكن بعد لحظة سمع لانغدون نقرة وأزيزاً ميكانيكياً خافتاً خلف الباب. ازداد الصوت علواً... مصعد يصعد.

وجدتها... فكر، سامحاً لنفسه بابتسامة ارتياح. واحد من 3.5 تريليون.

انزلق باب المصعد ليكشف عن مقصورة فسيحة مكسوة بألواح خشبية.

تجاهل لانغدون رهابه من الأماكن المغلقة، وخطا إلى الداخل وبحث على الجدران عن الزر الذي سيأخذه إلى المختبر في الأسفل.

ولكن هذا المصعد لم يكن به أي أزرار أو أجهزة تحكم من أي نوع.

وبدلاً من ذلك، أُغلقت الأبواب تلقائياً، وشعر لانغدون بنفسه يهبط.

الفصل الخامس والعشرون

كانت صور كاثرين سولومون تجول في خاطر الغوليم، وسيارة الأجرة تصعد به الهضبة صوب حصن كروسيفيكس .لم تبرح مخيلته صورتها وهي على خشبة المسرح في قلعة براغ، تلقي محاضرتها الفذة. كان الغوليم قد حضرها، جالسًا في صمت في الصفوف الخلفية، يرتدي ثيابًا لا تلفت النظر، كما هو حاله الآن.

شعر الغوليم بانجذاب عميق لأفكار كاثرين، وأحس في لحظات وكأنها كانت توجه إليه الخطاب مباشرة. "أنا البرهان الحي يا كاثرين على صواب ما تقولين". لقد استطاعت كاثرين لأكثر من ساعة أن تأسر ألباب الحاضرين في قاعة فلاديسلاف، وقد سرت فيهم قشعريرة الاحتمالات الجديدة، وتفتحت أمامهم آفاق رؤية جديدة لآليات عمل الوعي البشري.

وكانت لحظة بعينها قد خاطبت وجدانه.

قالت كاثرين» :*ثمة ظاهرة خارقة للعادة، تُبرهن بما لا يدع مجالًا لأدنى ريب على أن نظرتنا التقليدية للوعي خاطئة جملة وتفصيلًا. تُدعى هذه الظاهرة بـ"متلازمة العبقري المفاجئ(sudden savant syndrome) "، وتعريفها السريري هو كالآتي: "التجلي المفاجئ في عقل إنسان لمهارة أو معرفة فريدة لم تكن موجودة من قبل .«"* ثم ابتسمت وأردفت» :*وبعبارة*

أخرى، أن تتلقى ضربة على رأسك فتستيقظ عازف كمان فذًا، أو متحدثًا بالبرتغالية بطلاقة، أو عبقريًا في الرياضيات، في حين أنك لم تكن تملك أيًا من هذه المهارات من قبل.«

وسرعان ما عرضت كاثرين سلسلة من الشرائح ومقاطع الفيديو لأفراد مروا بتجربة "متلازمة العبقري المفاجئ."

Reuben Nsemoh—فتى أمريكي في السادسة عشرة من عمره، رُكل في رأسه أثناء مباراة كرة قدم، فدخل في غيبوبة، واستفاق منها يتحدث الإسبانية على أتم وجه.

Derek Amato—رجل في منتصف العمر قفز في حوض سباحة، فارتطم رأسه، واستفاق عبقريًا موسيقيًا وعازف بيانو ماهرًا.

Orlando L.Serrell—صبي في العاشرة من عمره أصابته كرة بيسبول، فوجد نفسه فجأة قادرًا على إجراء حسابات تقويمية معقدة على نحو مذهل.

قالت كاثرين» ***:والسؤال الذي يطرح نفسه بداهة هو: كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ كيف يمكن لركلة في الرأس أن تزرع في الدماغ على نحو سحري اللغة الإسبانية برمتها؟ أو مران عمر كامل على الكمان؟ أو القدرة على تحديد تواريخ دقيقة تمتد لقرون في الماضي أو المستقبل؟ الجواب هو أن كل***

هذه الأحداث ——في ظل نموذجنا الحالي للدماغ—— هي أحداث مستحيلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.«

وأشارت إلى شاب كان ينظر إلى هاتفه» .*سيدي، تخيل أنك قذفت بهذا الهاتف نحو الحائط، وعندما التقطته، وجدت أن معرض صورك يحتوي على صور جديدة تمامًا... لأماكن لم تزرها قط.«*

وافقها الرجل قائلًا» :مستحيل.«

أدرك الغوليم بالطبع كيف يمكن لمثل هذا الأمر أن يحدث. أدرك لِمَ تتشابك الإشارات الكونية. ومن الواضح أن كاثرين سولومون كانت تدرك ذلك أيضًا.

»*ثم هناك، بالطبع، الحكاية المذهلة لمايكل توماس بوترايت.«*

ومضت كاثرين تروي قصة محارب قديم في البحرية الأمريكية عُثر عليه فاقدًا للوعي في غرفة فندق، وعندما أفاق كان يتحدث السويدية بطلاقة؛ لم يكن يتذكر شيئًا من حياته، وبدلًا من ذلك، كان يستحضر حياته كرجل سويدي يُدعى يوهان إيك.

ولكي ترسخ وجهة نظرها، روت القصة المشهورة لجيمس لاينينغر —صبي في الثانية من عمره تطارده كوابيس عن كونه محاصرًا في قمرة قيادة طائرة مقاتلة محترقة. وفي يقظته، كان جيمس الصغير يرسم صورًا لطائرة محترقة

ويتحدث عن إجراءات معقدة تسبق الإقلاع، مستخدمًا مصطلحات فنية لم يسمع بها والداه قط، ومن المؤكد أن الطفل الصغير لم يسمع بها. وعندما سأله والداه الخائفان من أين له هذه المعلومات، أعلن الصبي أن اسمه ليس جيمس لاينينغر بل جيمس هيوستن، وأنه كان طيارًا مقاتلًا أقلع من "ناتوما" مع صديقه جاك .ولدهشة الوالدين، كشف بحث في سجلات الحرب العالمية الثانية عن وجود طيار مقاتل يُدعى جيمس هيوستن كان قد أقلع من على متن حاملة الطائرات "ناتوما باي" مع زميله الطيار جاك لارسن .وقد تحطمت طائرة هيوستن ومات محاصرًا في قمرة قيادته المحترقة. ولم تزد القصة إلا غرابة منذ ذلك الحين، وأصبحت الآن موضوعًا للعديد من الأفلام الوثائقية فضلًا عن تكهنات لا نهاية لها على الإنترنت.

وتابعت قائلة» :*هذه الظواهر عصية على التفسير، لكنها حقيقية. إنها شذوذات حقيقية... وهي تقوض نموذج الوعي الحالي بشكل جوهري لدرجة أننا بتنا اليوم على مفترق طرق في مسيرة الفهم الإنساني، منعطف تجد فيه دائرة متنامية من العقول النيرة ـــــمن علماء الأعصاب والفيزياء والأحياء والفلاسفةـــــ أنها لا تملك خيارًا سوى التسليم بنفس الحقيقة الصادمة... وببساطة، أن آراءنا العلمية الراسخة حول كيفية عمل العقل البشري لم تعد كافية. لقد حان الوقت لنموذج جديد. حان الوقت*

للاعتراف بأننا لا نعرف الإجابة عن سؤال بسيط للغاية: من أين تأتي أفكارنا ومواهبنا وإبداعاتنا؟ وهذا يا أصدقائي هو موضوع حديثنا الليلة.«

انعطفت سيارة الأجرة التي تقل الغوليم المنعطف الأخير نحو حصن كروسيفيكس ، فلاح له المختبر من بعيد. ولكن عندما رأى ما أمامه، لم يتردد في أن يدق بقبضته على الحاجز الزجاجي الفاصل !Zastavte» . Zastavte!».

توقفت السيارة فجأة.

كان الغوليم يظن أنه سيكون وحيدًا هنا، ولكنه فوجئ بسيارة سيدان تابعة لجهاز الاستخبارات والأمن مركونة أمام المبنى. "لا ينبغي لأحد أن يكون هنا في مثل هذه الساعة."!

صرف سائق سيارة الأجرة واقترب من الحصن ببطء سيرًا على الأقدام، متقدمًا في خفاء بين الأحراج التي تكتنف المنشأة. وبينما كان يقترب، رأى أن باب مدخل المبنى محطم. كان البهو فاغرًا فاه، وأرضيته قد تناثر عليها الزجاج.

"هل اقتحم جهاز الاستخبارات والأمن مختبر غيسنر؟"

إن كان الأمر كذلك، فقد خشي الغوليم فجأة أنه قد يواجه صعوبة في استعادة ما جاء من أجله. "بدونه، لن أتمكن من الولوج إلى "العتبة " (*Threshold*)".

لم يرَ الغوليم أحدًا يتحرك داخل البهو المهشم، لكنه لمح حركة في الطرف الأقصى من الفناء. على بعد خمس وسبعين ياردة، كان رجل طويل نحيل يرتدي بذلة يتأمل المنظر من فوق جدار السور المنخفض ويتحدث في الهاتف.

"ضابط من جهاز الاستخبارات والأمن؟"

"أحد معارف غيسنر؟"

أيًا كان الأمر، فإن وجوده هنا كان معضلة... ومعضلة تستلزم الحل.

الفصل السادس والعشرون

في أقصى فناء حصن كروسيفيكس ، أنهى النقيب ياناتشيك مكالماته الهاتفية، وألقى نظرة من فوق جدار السور الحجري المنخفض إلى الهوة السحيقة التي تحته. ويا للعجب، لقد شعر في تلك اللحظة بأنه ينبض بالحياة. ولم يكن يهم حقًا أكان ذلك المنظر الخطر الذي يطل عليه من علٍ، أم وقائع الصباح المثيرة هي التي بعثت فيه تلك النشوة العارمة.

لقد كان يومًا حافلًا.

لقد غدت سنوات خدمته في سلك إنفاذ القانون محفوفة بالإحباط المتزايد، مذ اجتاح السياح مدينة براغ .فالجميع يطالب بمدينة آمنة، وقد بذل ياناتشيك ما في وسعه، لكنه كان يواجه اللوم على الدوام، إما لتقصيره في تحقيق النتائج، وإما لإفراطه في الشدة.

حاججهم ياناتشيك قائلًا: اختاروا أحد الأمرين؛ إما حكم من حديد، وإما فوضى عارمة.

وقد حُرم مرارًا من منصب رئيس جهاز الاستخبارات والأمن إثر تعامله مع رهط من طلاب الجامعات الأمريكيين السكارى قبل بضع سنين. فحينما واجههم ياناتشيك، قابلوه بالصد والنفور، وقد اعتراهم السكر والغطرسة

والعدوانية. فما كان منه، وقد استبد به الاشمئزاز، إلا أن زج بهم في غياهب السجن ليلتهم تلك، عازمًا على تلقينهم درسًا لن ينسوه.

ولكن، ويا لسوء الطالع، كان أحد الفتية ابنًا لسيناتور أمريكي، سارع في الحال إلى إجراء مكالمة غاضبة مع السفارة الأمريكية. فأُطلق سراح الفتية على الفور، ورُفعت دعوى قضائية عاجلة ضد ياناتشيك بتهمة "استخدام القوة المفرطة" و"إلحاق ضرر معنوي."

ومنذ ذلك الحين، لم تقم لياناتشيك قائمة في مسيرته المهنية.

"اليوم، سأُري هؤلاء الأمريكيين من بيده زمام الأمور."

لقد أكد فريق الهدم للتو وصولهم الوشيك، ورتب ياناتشيك لمؤتمر صحفي بعد ساعة من الآن. وكأنه يرى بعين خياله صوره وهو يقتاد أستاذًا مرموقًا من جامعة هارفارد وعالمة أمريكية بارزة خارج حصن كروسيفيكس ، وكلتاهما في الأصفاد.

"لقد عرض هذان الأمريكيان الأرواح للخطر اليوم"، هكذا سيعلن بصرامة، "وما كان ذلك كله إلا سعيًا وراء الشهرة لكتاب."

حقًا، لم تكن ادعاءات ياناتشيك صادقة تمامًا، ولكنه كان على ثقة بأن كذبته ستبقى طي الكتمان. فقد ساعده ابن أخيه بافل على طمس آثاره.

إن جهاز الاستخبارات والأمن أشبه بأخوية، ومن المفهوم في سلك إنفاذ القانون أنه يتعين على المرء أحياناً أن يلوي عنق القواعد لكي يفرضها، لا سيما في مواجهة نفوذ السفارة الأمريكية المقيت في هذا البلد.

وبينما كان ياناتشيك يتلذذ بانتصاره الوشيك، رن هاتفه. وعندما رأى هوية المتصل، ارتسمت على شفتيه ابتسامة الواثق من نفسه.

"وكأنما استدعى ذكره حضورها." لقد تصادم ياناتشيك مع هذه المرأة في مناسبات عدة، وخسر معاركه معها دائمًا. أما اليوم، فلا.

أجاب ياناتشيك، ولم يبذل أي جهد ليخفي تهكمه من الدبلوماسية الأمريكية» :سيدتي السفيرة. إنه لشرف دائم لي.«

قالت السفيرة» :نقيب ياناتشيك، هل أنت في حصن كروسيفيكس ؟.«

قال ياناتشيك بغطرسة» :أجل، أنا هناك بالفعل. أنتظر فريق هدم، وأعتزم احتجاز أمريكي واحد على الأقل.«

قالت السفيرة بصوت حازم» :الملحق هاريس هنا معي، وهو على قناعة تامة بأنه لا سبيل لأن يكون لكاثرين سولومون أو روبرت لانغدون أي صلة بزرع قنبلة.«

»إذن لِمَ تقاوم الآنسة سولومون الاعتقال؟.«

»نقيب ياناتشيك، سأقول هذا مرة واحدة فقط. هناك تعقيدات في هذا

الموقف لست على دراية بها.«—

»تبًا لتعقيداتكم الأمريكية يا سيدتي السفيرة! ما أنا على دراية به هو أنه ليس لديك أي ولاية قضائية في حصن كروسيفيكس ، وليس هناك ما يمكنك فعله لمنعي من الدخ.«—

«!A DOST»انفجرت السفيرة قائلة، وقد صعق انفجارها باللغة التشيكية ياناتشيك.

وبعد أن أسكتته، واصلت السفيرة بهمس عنيف.

نطقت بست كلمات... ست كلمات لا غير.

شعر ياناتشيك وكأنما صعقته صاعقة.

في تلك اللحظة، تبدل كل شيء.

الفصل السابع والعشرون

ولما أخذ المصعد يبطئ من سيره حتى استقر في الطابق السفلي، كانت أنفاس لانغدون قد تسارعت وخفق فؤاده، بعضه رهبة من المقصورة الضيقة التي تحبس الأنفاس، وجُلّه جزع عميق وقلق متزايد على مصير كاثرين.

لا بد أنها ههنا في مكان ما...

ولما انفرج الباب، وجد لانغدون نفسه في ممر طويل، قد نُحتت جدرانه من الحجر الخشن، تبدو كجدران حصن يعود عهده إلى ثمانمائة عام خلت، وما كانت في حقيقة الأمر إلا كذلك. وعلى النقيض من ذلك تماماً، كانت أرضية الممر مفروشة بألواح من الخشب الصلب المصبوغ، قد رُصفت في تعشيق فني أنيق، تمتد بعيداً عن المصعد، وقد أضاءتها مصابيح غائرة خافتة الضوء، وُزعت بذوق رفيع على مسافات متساوية.

قال لانغدون بصوت خفيض وهو يخطو خارجاً من المصعد الخانق، وعيناه تتكيفان مع النور الهادئ" :كاثرين؟."

وما إن انغلق الباب خلفه، حتى أرسل بصره في الممر فرأى خمسة أبواب خشبية أنيقة، تنتظم على امتداد الجدار الأيمن للممر، وقد أُطّر كل منها بإطار حجري مقوس. لقد كان هذا المختبر أشبه بفندق فخم منه بمنشأة لعلم الأعصاب.

نادى بأعلى صوته، وقد أيقن أن صوت ندائه لن يبلغ مسامع الملازم بافل في الطابق العلوي" :دكتورة غيسنر؟."!

أفضى به الباب الأول الذي بلغه إلى جناح مكتبي فسيح وأنيق، جدرانه من حجر، وأرضه مفروشة بسجاد وثير، وخزائنه عالية. وعلى المكتب، استقر حاسوبان، وهاتف أرضي، وأكوام من الأوراق. بدا أن هذا هو المكان الذي كانت غيسنر تنجز فيه عملها الحقيقي.

نادى قائلاً" :هل من أحد هنا؟"، وألقى نظرة خاطفة على مكتب مجاور، وهو حيز أصغر حجماً تزين طاولته صور ونبتة صناعية، وإلى جانبها زجاجة ماء أرجوانية اللون كُتبت عليها عبارة .!Пей воду لم يكن لانغدون يدري معناها، لكنه عرف الأبجدية السيريلية وتذكر قول غيسنر إن مساعدتها في المختبر روسية.

خرج لانغدون من مكتب المساعدة، ومضى في الردهة إلى الباب التالي، الذي كان  يحمل رمزاً لم يتعرفه لانغدون للوهلة الأولى.

للحظة، خاله رمز الدائرة المنقوطة المعدّل، ذلك الرمز القديم الذي يمثل دائرة وفي مركزها نقطة. كما بدا شبيهاً على نحو غامض بشعار فريق فيلادلفيا فلايرز للهوكي. لكنه أدرك بعد برهة أنه في حقيقة الأمر رسم توضيحي حديث يصور شخصاً مستلقياً على ظهره يُدفع إلى داخل أنبوب كبير.

مختبر التصوير، أدرك لانغدون وهو يقرع الباب بقوة.

سكون مطبق.

نادى بصوت خفيض" :كاثرين؟ هل أنتِ هنا؟."

دفع الباب فانفتح. أضاءت أنوار الغرفة تلقائياً، كاشفة عن محطة تحكم متطورة تشرف على جهازي تصوير ضخمين – جهاز مسح مقطعي CATوجهاز تصوير بالرنين المغناطيسي – MRIوكلاهما مهمل لا أحد عنده.

تراجع لانغدون خارجاً من الغرفة وواصل سيره في الردهة إلى باب ثالث. بعث ما كُتب على اللافتة في نفسه أملاً مفاجئاً.

مختبر الواقع الافتراضي(VR)

كانت غيسنر قد ذكرت عملها في مجال الواقع الافتراضي، وتساءل لانغدون الآن عما إذا كانت المرأتان بالداخل، مستغرقتين في جلسة واقع افتراضي حسية كاملة، فلم تسمعا نداء جهاز الاتصال الداخلي.

لقد كانت تجربة لانغدون الوحيدة مع الواقع الافتراضي مقلقة إلى أقصى حد. فقد أقنعه طالب بتجربة محاكاة لتسلق الصخور تسمى The Climb، وحين ارتدى لانغدون خوذة الواقع الافتراضي، وجد نفسه على الفور واقفاً على حافة رفيعة في خطر محدق، على ارتفاع آلاف الأقدام في الهواء. وعلى الرغم من علمه بأنه يقف آمناً على أرض مستوية، فقد تسمّر في مكانه من فرط الفزع، واختل إحساسه بالتوازن اختلالاً شديداً، وعجز عن اتخاذ خطوة واحدة. لقد كان الواقع الافتراضي، على نحو لا يصدق، أشد إقناعاً من الواقع الحقيقي الذي كان عقله يدرك حقيقته.

لن أكررها أبداً، فكر في نفسه وهو يطرق باب غرفة الواقع الافتراضي بقوة ويدفعه لينفتح.

نادى وهو يدخل" :كاثرين؟ دكتورة غيسنر؟."

كان الفضاء وراء الباب عبارة عن حجرة صغيرة مفروشة بالسجاد، ذات جدران حجرية، وفي وسطها مقعد واحد يمكن إمالته. كانت أشبه بمسرح

منزلي ذي مقعد واحد وبلا شاشة. وعلى ظهر المقعد، عُلّقت نظارات ضخمة تُثبّت على الرأس وتتصل بها كابلات.

يا له من مكان موحش، فكر لانغدون .وكاثرين ليست هنا.

غادر غرفة الواقع الافتراضي على عجل، وسار بضع خطوات أخرى في الردهة، ماراً بغرفة خلاء مجهزة بمغسلة عيون للطوارئ ومقصورة استحمام. خالية.

واصل لانغدون سيره، حتى وصل إلى ما أدرك الآن أنه الباب الأخير في المختبر. كُتب على اللافتة:

TECHVELOPMENT

كان هذا المصطلح العصري الجديد، المنتشر بين الشركات التكنولوجية الناشئة، لم يعرفه لانغدون إلا لأن جوناس فوكمان كان قد سخر منه ذات مرة واصفاً إياه بأنه "تلفيق لا طائل من ورائه"، قائلاً إن الشباب الذين يعوزهم الجهد لتهجئة عبارة "التطوير التكنولوجي" لا ينبغي أن يُمنحوا الملايين لتطوير أي شيء على الإطلاق.

طرق لانغدون الباب بخفة ودفعه لينفتح.

الفرصة الأخيرة، فكر، متمنياً أن تكون كاثرين على الجانب الآخر.

وحين انفرج الباب إلى الداخل، وجد لانغدون نفسه وقد أعماه الضوء للحظات. كانت الغرفة شديدة السطوع... وصاخبة. أزيز المصابيح الفلورية القاسية يعلو فوق أرضية من البلاط الأبيض، وهدير المراوح الصناعية، وأزيز متصل لا ينقطع يشق الهواء كأنه إنذار بالخطر. دب التوتر في أوصال لانغدون على الفور.

صاح متغلباً على الضجيج" :هل من أحد هنا؟ كاثرين؟."!

خطا إلى الداخل، فرأى متاهة من طاولات العمل المتناثرة التي تعج بالمعدات الإلكترونية والأدوات والقطع والمخططات، مما أعطى لانغدون إحساساً بأنه قد ولج عرين عالم مجنون. ووراء الطاولات المزدحمة، في مؤخرة الغرفة، انتصب رف ضخم من المعدات بدا كهجين غريب بين حاسوب مركزي قديم ومولد صناعي. كانت مراوح التبريد تدور في الجهاز مصدرة أزيزاً مصحوباً بصفير عالٍ لا يهدأ.

صاح في خضم تلك المعمعة" :هل يوجد أحد هنا؟."

شق لانغدون طريقه نحو الآلة، ملاحظاً ضفائر الأنابيب والأسلاك الثقيلة التي تخرج من جانبها وتلتوي عبر الأرض لتصل إلى جهاز ثانوي، وهو وعاء نحيل منخفض مصنوع من البلاستيك الشفاف أو الزجاج. ومن تحت غطائه الشفاف، كان باطنه يشع توهجاً خافتاً.

ما هذا الشيء يا ترى؟

ذكّر حجمه وشكله لانغدون بكبسولة نوم.

أو تابوت، هكذا أدرك فجأة وقد سرى في أوصاله الرعب.

ومع اقترابه من الكبسولة، استطاع أن يرى أن غلافها الشفاف يغطيه ضباب كثيف من التكثف الناتج عما يحدث في داخلها. استمر الصفير. اقترب بحذر، حتى وقف فوق الكبسولة، وألقى نظرة من خلال الغطاء الزجاجي.

فارتد لانغدون على أعقابه في رعب ماحق.

كانت ترقد في جوف الكبسولة بلا حراك، يلفها ضباب كثيف دوار، هيئة بشرية لا تكاد تتبين ملامحها.

يا إلهي ... كاثرين؟

الفصل الثامن والعشرون

في الطابق الثاني من السفارة الأمريكية، شعر مايكل هاريس وكأنما اختل توازنه وهو يبرح خلوته مع السفيرة. فبعد أن كُشف له عن بعض الخفايا، كان هاريس لا يزال يجاهد لاستيعاب كامل تداعيات تلك الأسرار المصنفة التي باحت له بها السفيرة للتو.

أحس أنها لم تفضِ إليه بكل شيء، بيد أن أمرًا واحدًا كان جليًا تمام الجلاء: إن ما يجري اليوم أبعد غورًا وأعمق سرًا من مجرد إنذار بوجود قنبلة في فندق الفصول الأربعة.

استجمع هاريس شتات نفسه وأسرع بالنزول إلى مكتب دانا، متمنيًا لو أنه تحدث إلى السفيرة قبل أن يقحم دانا في الأمر. وجدها جاثية أمام حاسوبها، مستغرقة في متابعة عدة لقطات فيديو حية من جسر تشارلز" .تبًا."

رفعت دانا بصرها إليه حين دخل» .لقد عثرت على امرأتك ذات الإكليل الشائك يا مايكل. إنها فاتنة حقًا. لم تخبرني قط.«—

قال وهو يهرع إليها» :أطفئي ذلك الجهاز يا دانا. لقد ارتكبت خطأ.«

»ولكنك طلبت مني.«—

»أعلم. أنا آسف. أطفئيه من فضلك. الآن.«

رمقته دانا بنظرة ملؤها الارتياب ونهضت واقفة. وبقوامها الشامخ الذي يناهز الستة أقدام، والذي اكتسبته من عملها السابق عارضة للأزياء، كانت من القلائل اللواتي يستطعن أن ينظرن إلى مايكل هاريس عينًا بعين. ولكن قبل أن تنبس ببنت شفة، جثا هاريس على ركبتيه مقتربًا من الأرض.

قالت» :أحقًا؟ أتتوسل إليّ جاثيًا على ركبتيك؟.«

ليس تمامًا. مد هاريس يده تحت مكتبها ونزع قابسًا، قاطعًا بذلك التيار الكهربائي عن حاسوبها.

رأت دانا شاشتها وقد اكتست بالسواد» .ما الذي تفعله بحق الجحيم؟.«!

قال وهو ينهض واقفًا من جديد» :أحتاج إلى أن تثقي بي.«

»لقد كثرت أسرارك في الآونة الأخيرة.«

"لو تعلمين"، فكر في نفسه» .انظري... كل ما أرجوه منكِ هو أن تعودي إلى عملك وتنسي أني سألتكِ عن أي من هذا.«

كانت نظرات دانا صارمة لا تعرف التردد، وأدرك هاريس أنها لا تعتزم التغاضي عن هذا الأمر أبدًا. فاعتصر من أعماقه ابتسامة لعوبًا وخفض صوته إلى همس» :للجدران هنا آذان. فما قولك لو أني بسطت لك الأمر كله على مائدة العشاء الليلة؟.«

برقت عينا دانا، ونفرجت شفتاها المكتنزتان عن وعد» .طعام من الخارج؟

في منزلك؟.«

غمزها هاريس وقال» :والطعام أمر اختياري.«

ابتسمت وقالت» :تعجبني طريقة تفكيرك يا سيد هاريس.«

أرسل لها هاريس قبلة في الهواء ومضى في سبيله.

وبعد دقائق، كان في إحدى سيارات السفارة السوداء من طراز ***Audi A7***، تشق به الطريق مسرعة على طول شارع ترجيشتي .كان يتوقع أن يتوجه مباشرة إلى حصن كروسيفيكس ، لكن السفيرة أمرته بأن يؤدي لها خدمة أولًا.

قالت له السفيرة» :السيد لانغدون سيكون في مأمن لوقت أطول قليلًا. النقيب ياناتشيك تحت السيطرة التامة.«

"بل هو أبعد من ذلك"، فكر هاريس، وقد شهد للتو المكالمة الهاتفية العنيفة بين السفيرة والنقيب. "لقد بالغ ياناتشيك في استعراض قوته... فخسر". لا بد أنه الآن يلعق جراحه، وسيلتزم الأدب التام حتى وصول هاريس.

على الرغم من الطبيعة المروعة لكل ما علمه هاريس من السفيرة، إلا أنه شعر وكأن حجابًا قد رُفع، كاشفًا عن الكثير من خفايا تلك الأحجية المبعثرة وكيف تترابط أجزاؤها... عمل هاريس السري لصالح السفيرة...

مختبر غيسنر في حصن كروسيفيكس ...المرأة على جسر تشارلز ...وحتى الكتاب المرتقب لكاثرين سولومون.

كانت دانا دانيك تستشيط غضبًا.

"ويلك يا مايكل هاريس !لا سلطان لك على أفعالي."

"أنت عشيقي، ولست سيدي."

لقد أثار حديث الملحق المعسول الذي ينضح بالتعالي عن العشاء حفيظة دانا .وفوق ذلك، لم يزد سلوكه الغريب إلا من فضولها بشأن المرأة الغامضة على جسر تشارلز.

ولحسن الحظ، كان الجسر الشهير يخضع لرقابة كاميرات أمنية تفوق كثافتها أي مكان آخر في براغ، بما في ذلك زوج من المنظومات التي تصور بزاوية 360 درجة فوق برجي الحراسة على الجسر، وثلاث عشرة كاميرا على مستوى العين مدمجة في مصابيح الغاز.

اختارت دانا إحدى الصور البانورامية الجوية، وأعادت البث إلى لقطات مؤرشفة تبدأ من الساعة 6:40 صباحًا. ولدهشتها، كانت المرأة ذات الهالة الشائكة هناك بالفعل، تتلكأ عند الطرف الشرقي من الجسر المقفر وكأنها تنتظر أحدًا.

"ولكن، من تنتظر؟"

استدعت دانا كاميرا على مستوى العين وقربت الصورة على وجه المرأة، وقد استاءت لرؤية أن المرأة المتنكرة كانت شابة جميلة، ذات غمازتين عميقتين وعينين واسعتين كعيني ظبية. وبدا جسدها ممشوقًا رياضيًا تحت معطفها الأسود الضيق.

"ألهذا السبب يهتم بك مايكل؟"

بدا من غير المعقول أن يطلب مايكل من دانا البحث عن امرأة تثير اهتمامه العاطفي، ولكن ربما كان يمارس معها لعبة قاسية. فلأسابيع، كان حدسها يخبرها بأن مايكل مع امرأة أخرى.

"المرأة تعرف دائمًا"...

واثقة من أن هاريس قد غادر الآن، زحفت دانا تحت المكتب، وأعادت توصيل قابس الحاسوب، وشغلت بوابة المراقبة من جديد.

عادت إلى المرأة الجميلة، وكانت عازمة كل العزم على معرفة أين ذهبت... ولكن كان هناك أولًا سؤال أكثر إلحاحًا.

"من أنتِ بحق الجحيم؟"

كانت إحدى المهام التي تؤديها دانا للسفيرة هي التحقق من هويات وخلفيات أي زائر يحضر إلى السفارة طالبًا خدمة أو لجوءًا. كل ما كانت تحتاجه هو صورة جواز سفر أو لقطة شاشة من كاميرات بوابة السفارة

الأمنية، فينفتح أمامها عالم بأسره. في هذه الأيام، وبفضل برمجيات التعرف على الوجوه المتقدمة، لم يعد التعرف على أي فرد على وجه البسيطة يستغرق سوى دقائق معدودة.

"عذرًا يا حلوتي"، فكرت دانا وهي تلتقط عدة لقطات مقربة عالية الجودة لوجه المرأة. "لكن لا يمكنكِ الاختباء مني."

حمّلت الصور في قاعدة بيانات السفارة الدولية للتعرف على الوجوه. فلو كان لهذه المرأة سجل إجرامي في أي مكان في العالم، فسيتم التعرف عليها في غضون ثلاثين ثانية. وإن لم يكن، فستُرسل صورتها عبر قاعدة بيانات دولية ضخمة من الصور المأخوذة من جوازات السفر، ورخص القيادة، ووسائل الإعلام الكبرى.

وأخيرًا، إن لم يفلح ذلك، فستُمرر الصورة عبر أحدث قاعدة بيانات في العالم وأكثرها اكتمالًا – مليارات الصور الشخصية المنشورة على إنستغرام، وفيسبوك، ولينكد إن، وسناب شات، وغيرها من المنصات، والتي التقطها أصحابها غافلين.

"وسائل التواصل الاجتماعي"، فكرت دانا في نفسها. "إنها أعظم كنز استخباراتي منذ أن ابتدعت الكنيسة الكاثوليكية سر الاعتراف."

الفصل التاسع والعشرون

وقف لانغدون مسمّرًا في مكانه للحظات، وقد تسمّرت عيناه في جوف الكبسولة تحدقان في تلك الهيئة البشرية الرابضة في داخلها.

يا إلهي ... كاثرين.

جثا على ركبتيه، وأخذ يدق على الزجاج بقبضتيه، ويلصق وجهه بسطحه البارد، محاولاً أن يتبين ما في الدجى.

لا بد لي من إخراجها من هنا!

ومن تحت الغطاء، كانت يد هامدة ملتصقة بجدار الكبسولة من الداخل، أصابعها النحيلة شاحبة متصلبة، قد جلّلها الصقيع. وبدا أن رسغيها موثقان في مكانهما بأحزمة غليظة.

تحسس لانغدون الكبسولة الزجاجية بيديه، متلمساً سبيلاً إلى فتحها. تشبث بسطحها الأملس، الذي كان بارداً كالثلج، ولكنه لم يعثر على أثر لشق أو مقبض أو زر إطلاق من أي نوع. وظل الأزيز الذي يصم الآذان يئن وينتحب.

انفتح أيها اللعين!

وعلى بعد بضع بوصات من وجه لانغدون، كان شبح الجسد يتراءى ويختفي في خضم سحابة من الضباب الدوار.

وفجأة، دوى صوت من خلفه، صوت وقع أقدام تقترب مسرعة على أرضية البلاط الصلبة. التفت لانغدون ليرى امرأة طويلة ذات شعر أشقر يبلغ كتفيها. كانت تعدو نحوه وهي تلوّح بطفاية حريق من الفولاذ المقاوم للصدأ، وتهدد بأن تهوي بها على وجهه.

صاحت متغلبة على الضجيج بلغة لم يفهمها" :ماذا تفعل بحق الجحيم؟."!

رفع لانغدون يديه في حركة دفاعية" :مهلاً."!

سألته المرأة بلكنة روسية كثيفة وهي ترفع الطفاية المعدنية الثقيلة فوق رأسه" :كيف تسللت إلى هنا."!

"أرجوكِ... يجب أن نفتح."...

"كيف تسللت إلى هنا؟."!

صاح لانغدون" :رمز مرور المصعد! لقد أعطتني إياه الدكتورة غيسنر! صديقتي كاثرين سولومون وأنا."...

خفضت المرأة على الفور طفاية الحريق، وقد بدت عليها الدهشة الحقيقية : "البروفيسور لانغدون؟ أنا آسفة جداً... أنا ساشا فيسنا، مساعدة بريجيتا في المختبر."...

قاطعها لانغدون مشيراً إلى الكبسولة" :كاثرين في داخل هذا الشيء! إنها بحاجة إلى المساعدة."!

بدا أن ساشا قد انتبهت فجأة لصوت الصفير، فتحول وجهها من الحيرة إلى الفزع المطبق. أسقطت طفاية الحريق فدوت على الأرض بصلصلة عالية، وهرعت إلى الآلة الملحقة، حيث سحبت درجاً مركباً، وفتحت حاسوباً محمولاً، وأخذت تكتب بجنون.

"يا إلهي... لا."!

لم يكن لانغدون يدري ما الذي يحدث، ولكن هلع المرأة لم يزد جزعه إلا جزعاً" .افتحي هذا الشيء اللعين وحسب."!

صاحت ساشا" :الأمر شديد الخطورة! يجب عكس العملية أولاً.".

أية عملية؟ "أرجوكِ أخرجيها فحسب."!

بدت المساعدة تائهة، وهي ترمق الكبسولة بنظرة خائفة" .لا أفهم... لم قد تدخل الدكتورة سولومون إلى هناك أصلاً؟."

كاد لانغدون أن يستسلم لإغراء التقاط طفاية الحريق وتحطيم الكبسولة. لا يمكن أن يحدث هذا...

نقرت مساعدة غيسنر على لوحة المفاتيح مرة أخرى، فتوقف صوت الإنذار أخيراً. وبعد لحظات، سكتت المراوح، وبدأت الأنابيب التي تصل الكبسولة بالجهاز الأكبر تصدر قرقرة. لم يكن لانغدون يدري ما الذي كان يتوقع رؤيته يتدفق عبر الأنابيب الشفافة، ولكنه بالتأكيد لم يكن ذلك السائل القرمزي الذي بدأ ينساب نحو الجسد.

سأل لانغدون وقد شعر بغثيان مفاجئ" :أهذا... دم؟! ما هذا الجهاز؟."

قالت ساشا والهلع يملأ صوتها، وهي لا تزال تكتب بينما يتدفق السائل عائداً إلى الكبسولة !EPR" :جهاز الحفظ والإنعاش في الحالات الطارئة. هذا هو النموذج الأولي لـ بريجيتا !إنه ليس جاهزاً للاستخدام."!

وبينما كان الضباب البارد يدور حول الجسد، أدرك لانغدون الآن أن غيسنر كانت قد ذكرت بالفعل جهاز EPRالخاص بها في الليلة الماضية. هذه التقنية المنقذة للحياة كان قد اقترحها افتراضياً لأول مرة جراح يدعى صامويل تيشرمان في كلية الطب بجامعة ميريلاند، لكن بريجيتا غيسنر هي التي التقطت المفهوم الأولي، وصممت نموذجاً أولياً معدلاً للغاية، وهي التي تملك الآن براءة اختراعه – براءة اختراع تفاخرت بأنها تساوي ثروة.

كانت غيسنر قد أخبرتهما قائلة: "إن نقص الأكسجين المطول يسبب تلفاً في الدماغ، لكن جهاز EPR الخاص بي يمكنه حماية الدماغ من الحرمان من الأكسجين عن طريق إيقاف نشاطه الخلوي مؤقتاً، في حالة أشبه ما تكون بالحياة المعلقة. إن جهازي هو في الأساس مجرى جانبي معدل لجهاز ECMO – وهي وحدة أكسجة غشائية خارج الجسم تستبدل الدم بمحلول ملحي فائق التبريد بمعدل لترين في الدقيقة. إنه يبرد الدماغ والجسم بسرعة إلى عشر درجات مئوية، مما يمنح الفريق الجراحي ساعات لعلاج مريض مصاب بجروح خطيرة كان ليموت دماغياً في غضون دقائق في الظروف العادية."

وإذ وقف لانغدون فوق النموذج الأولي لكبسولة EPR الخاصة بغيسنر، كان على وشك أن يتقيأ.

وفجأة، دوى فرقعة مكتومة في جوف الكبسولة، وأخذ الدم يتناثر على جدرانها الزجاجية من الداخل. قفز لانغدون إلى الوراء. إنها تنزف!

لعنت ساشا بالروسية، وتخلت عما كانت تفعله على الحاسوب المحمول واندفعت إلى لوحة طوارئ على الجدار الخلفي. كسرت ختماً بلاستيكياً، ودون تردد، ضغطت على زر أحمر فاقع تحته. وعلى الفور، أصدرت الكبسولة فحيحاً وزال عنها الشفط، وبدأ غطاؤها ينفرج مفصلياً، متأرجحاً

إلى الأعلى كباب طائر النورس. ولما انقشع الضباب، انحنى لانغدون فوق الوعاء.

يا إلهي...

عندما رآها، علم لانغدون أنها قد فارقت الحياة. كانت عيناها جامدتين زائغتين، وقد تجمد وجهها على هيئة من الفزع الخالص. لم يخطر ببال لانغدون قط أن رؤية جثة هامدة يمكن أن تبعث في النفس هذا الشعور الجارف الذي يمتزج فيه اليأس بالارتياح – ولكن ذلك كان بعينه ما أحس به الآن.

لم تكن الجثة المسجاة أمامهما جثة كاثرين سولومون.

بل كانت جثة بريجيتا غيسنر.

الفصل الثلاثون

عَوَتْ ساشا فيسنا عَوْيَةً مكلومة وخرّت جاثية على ركبتيها بجوار الجثة المسجاة في الحاضنة» .بريغيتا! لا .«!غطت وجهها بكفيها وانخرطت في بكاء مرير لم تستطع له ردًا.

لم يكن بوسع لانغدون إلا أن يقف متسمرًا يراقبها، وقلبه يعتصر ألمًا من أجلها. كان من الجلي أن لوعة هذه المرأة عند رؤيتها للدكتورة غيسنر كانت عارمة بقدر ما كانت طمأنينة لانغدون غامرة حين تبين أنها ليست كاثرين.

ولكن، بعد ثوانٍ من الدموع المعذبة، رفعت ساشا بصرها، فارتسم على محياها فزع شديد. وأخذت تتحسس جيوبها وكأنها أضاعت شيئًا. وبينما هي كذلك، تسارعت أنفاسها حتى كادت تختنق. وهمست وقد تصلب فكها في تكشيرة جامدة» :لا... أرجوك... ليس الآن.«!

هرع لانغدون إليها» .ماذا يحدث؟.«!

حاولت ساشا أن تنهض على قدميها وتتجه نحو الباب، ولكنها ما كادت تفعل حتى ترنحت، وعادت فهوت على ركبتيها. بدا أنها على وشك أن تصاب بنوبة من نوع ما، فبذل لانغدون قصارى جهده ليسندها.

»ماذا عساي أن أفعل؟.«!

أطلقت ساشا أنّة حشرجت في حلقها وأشارت إلى حقيبة يدها التي كانت قد سقطت منها على الأرض قريبًا.

"دواء؟" خمّن في نفسه، ثم وثب في الحال، وركض إلى الحقيبة وأخذ يفتش في محتوياتها بجنون وهو يحملها عائدًا إليها.

كانت الدكتورة غيسنر قد ذكرت الليلة الماضية أن مساعِدتها في المختبر تعاني من صرعِ الفص الصدغي(TLE) ، وإن كان تصريحها ذاك يبدو أقرب إلى التباهي بعدد مرضى هذا الصرعِ الذين عالجتهم منه، منه إلى التعاطف. وقد أوضحت غيسنر قائلة» :ما النوبات إلا عواصف كهربائية في الدماغ. ولقد ابتكرت طريقة لقطع دابر تلك العواصف. إنه في جوهره علاج تام.«

"تام؟" لم تكن الآنسة فيسنا تبدو "معافاة تمامًا" في هذه اللحظة.

ويا لخيبة أمله، لم يجد لانغدون إلا مفاتيح، وقفازات، ونظارات، ومناديل ورقية، وأشياء أخرى متنوعة. لا قوارير حبوب، لا محاقن، لا أجهزة استنشاق، لا شيء على الإطلاق يبدو نافعًا في هذا الموقف. وصل إلى جانبها بالحقيبة وسألها» :ماذا تحتاجين؟.«!

لكنه أدرك أن الأوان قد فات. كانت ساشا الآن ملقاة على جنبها، ترتجف بعنف، وعيناها زائغتان، ورأسها يرتطم بأرضية البلاط.

"فات أوان الدواء"، فكر لانغدون وهو يسارع بالجثو على الأرض، وسند رأسها براحتيه وأمسكه بأمان بعيدًا عن البلاط الصلب. فبحكم عمله معلمًا، كان لانغدون قد تدرب على كيفية المساعدة في حال أصابت أحد الطلاب نوبة صرعٍ.

أولًا، لا تلحق ضررًا. كان يعلم جيدًا ألا يقلب الشخص على بطنه، كما يفعل المسعفون في التلفاز غالبًا لمنع الضحية من "ابتلاع لسانها" — وهي خرافة عجائز غريبة مستحيلة الحدوث فيزيائيًا. وكان يُنصح أيضًا بعدم حشو حزام في فم الضحية، كما يعتقد البعض حكمة. فهكذا تخنق شخصًا ما — أو تُعض إصبعك فتُبتر. إن واقي الفم الوحيد المعتمد من إدارة الغذاء والدواء لنوبات الصرعِ يُدعى واقي *PATI*، ولم يرَ لانغدون واحدًا في حقيبة ساشا" .ما عليك إلا مساعدتها على تجاوز النوبة."

همس لانغدون» :لا بأس. أنا معكِ.«

وبينما كان لانغدون يحتضن رأس المرأة بين راحتيه، استطاع أن يرى أن أنفها كان قد كُسر من قبل وجُبر على نحو سيئ، وأن لديها ندبة قانية تحت ذقنها، وهما بكل تأكيد إصابتان من نوبات سابقة. ورأى آثار ندوب أخرى تطل من تحت شعرها الأشقر الكثيف، ربما من حوادث أخرى مماثلة.

شعر لانغدون بموجة من التعاطف تجتاحه نحوها.

إن نوبات الصرع تفرض ضريبة قاسية على جسد المرء. في ذلك لم يكن ثمة جدال. ولكن، ويا للمفارقة، فإن تأثيرها على الحالة الذهنية قد وُثّق عبر التاريخ على أنه مختلف تمامًا. بل هو النقيض تمامًا في حقيقة الأمر.

كانت كاثرين قد ذكرت الصرع في حديثها الليلة الماضية بوصفه إحدى "أطوار الوعي المغايرة" التي تحدث طبيعيًا في العقل البشري. ويبدو أن النوبات، حين تُرى في جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي، تُظهر بصمة كهربائية مذهلة تشبه تلك التي تظهر في بعض حالات الهلوسة، وتجارب الاقتراب من الموت، بل وحتى النشوة الجنسية.

ومن اللافت للنظر أن بعضًا من ألمع العقول المبدعة في تاريخ البشرية كانوا مصابين بالصرع – فينسنت فان غوخ، وأغاثا كريستي، وسقراط، وفيودور دوستويفسكي .وقد أعلن الروائي الروسي ذات مرة أن نوبات صرعه كانت "سعادة وانسجامًا لا يمكن تخيلهما في الحالة الطبيعية". ووصف آخرون نوباتهم بأنها "تشرع بوابة على عالم القداسة"... و"تطلق سراح العقل من إسار قفصه الجسدي في نشوة غامرة"... و"تمنح ومضات إبداعية عميقة من عالم آخر."

يظهر الصرع بتواتر ملحوظ في الفن المسيحي، وهو أمر لا يثير الدهشة بالنظر إلى كثرة الروايات الكتابية عن التجارب الروحانية – الرؤى،

والوجد، واللقاءات الإلهية، والتجليات المتعالية – والتي بدت جميعها تصف، بدقة وتحديد عجيبين، تجربة نوبة الصرع، بما في ذلك ما ورد عن حزقيال، والقديس بولس، وجان دارك، والقديسة بريجيتا. وقد صور رفائيل سانزيو في لوحته الشهيرة "التجلي" صبيًا مصابًا بالصرع في خضم نوبة، وهو ما استخدمه هو وغيره استعارة بصرية شائعة لصعود المسيح إلى السماء.

بين ذراعي لانغدون، توقفت ساشا أخيرًا عن الارتجاف. تباطأت أنفاسها إلى إيقاعها الطبيعي. لقد استمر الأمر برمته قرابة دقيقة، وكانت الآن مرتخية تمامًا، وعلى الأرجح فاقدة للوعي. علم لانغدون أن عليه التحلي بالصبر... ومنحها الوقت لتثوب إلى رشدها.

وبينما كان يحدق في المرأة الروسية الغائبة عن الوعي، شعر بالارتباك من هذا المنعطف المقلق الذي اتخذه صباحه. فقبل ساعات فقط، كان لانغدون يسبح بهدوء. والآن، هو جالس على أرضية مختبر خاص مع امرأتين لم يلتق بهما قبل الأمس – إحداهما فاقدة للوعي بين ذراعيه، والأخرى جثة هامدة في حاضنة ***EPR***.

والأمر الأكثر إثارة للقلق... لم يكن هناك أي أثر لكاثرين.

وقف الملازم بافل بقلق في مدخل الحصن المهشم، يمسح الفناء بعينيه بحثًا عن أي أثر لنقيبه في جهاز الاستخبارات والأمن. لقد رأى ياناتشيك قبل دقائق فقط على حافة الهضبة يجري مكالمة هاتفية. والآن اختفى.

اتصل به بافل مرتين. لا إجابة.

"ياناتشيك أيضًا اختفى؟"!

لحسن الحظ، كان لغز اختفاء لانغدون قد حُل الآن. فقبل لحظات، عثر بافل على مصعد خفي خلف جدار منزلق في منطقة الانتظار. كان المصعد يتطلب رمز تفويض، ولكن ذلك كان أمرًا سهل العلاج؛ لا بد أن شخصًا ما في الطابق السفلي كان يراقب لانغدون على كاميرات المراقبة وصعد في المصعد ليجلبه.

أكد اختفاء لانغدون أن سولومون وغيسنر كانتا بالفعل في الطابق السفلي، وأنهما قد عصتا أمرًا مباشرًا من نقيب جهاز الاستخبارات والأمن ياناتشيك .تساءل بافل عما إذا كان الأمريكيان يدركان مدى خطورة المأزق الذي هما على وشك الوقوع فيه.

كان بافل يتفحص الكوة الخفية عندما سمع دوي ارتطام عالٍ في البهو. أدرك على الفور أنه إطار الباب المهشم الذي أسنده النقيب ببراعة على

مدخل سلم المختبر كجهاز إنذار بدائي.

"سولومون ولانغدون وغيسنر يهربون من المختبر"!

سحب بافل سلاحه وانطلق من الكوة، منعطفًا حول الزاوية إلى الممر.

صاح وهو يتقدم !**Stůj**» :قفوا.«!

لكن لم يكن هناك أحد.

كان إطار الباب المهشم ملقى بالفعل على الأرض، مما يشير إلى أن الباب قد فُتح، ولكن، ويا للغرابة، كان البهو خاليًا.

اندفع بافل إلى المدخل ونظر إلى الخارج. كانت المنطقة المفتوحة الواسعة مقفرة. "لا يمكن لأحد أن يركض بهذه السرعة". وقف بافل في الثلج، واستدار ونظر مرة أخرى إلى باب المختبر، مدركًا أن الصوت الذي سمعه ربما لم يكن صوت شخص يخرج من المختبر... بل شخص يدخل.

أيًا كان الفاعل، فمن الواضح أن لديه تصريحًا بيومتريًا. "أحد موظفي المختبر؟" شعر بافل بعرق بارد يتصبب على جبينه وهو يفكر في كيفية تلقي ياناتشيك لهذا الخبر. لم يفقد بافل روبرت لانغدون فحسب... بل سمح لشخص آخر بدخول المختبر.

"حركة غبية يا بافل .لقد أمرني بالبقاء هنا وحراسة باب المختبر ذاك."

شعر بافل بقشعريرة البرد تسري في جسده، فخطا عائدًا إلى المدخل، وأخذ يذرعه ذهابًا وإيابًا ليبقى دافئًا، وحذاؤه العسكري يحدث صريرًا فوق شظايا الزجاج. كان على وشك أن يتناول هاتفه عندما لاحظ شيئًا على لوحة القياسات الحيوية بجوار باب المختبر.

"هذا غريب"، فكر وهو يمعن النظر في ضوء المؤشر الأخضر الصغير.

لقد كان الضوء على اللوحة أحمر هذا الصباح عندما وصلوا ووجدوا الباب موصدًا. كان متأكدًا من ذلك. أما الآن، فهو أخضر. ويومض.

في حيرة من أمره، اقترب بافل من باب المختبر، وأمسك بالمقبض، وسحب.

ولدهشته، انفتح الباب بسهولة، كاشفًا عن بئر سلم خلفه.

يبدو أن الباب لم يُغلق بإحكام بعد دخول آخر شخص.

نظر بافل إلى الأسفل، فرأى السبب الآن – شظية سميكة من زجاج الأمان كانت قد علقت في عضادة الباب.

"يجب أن أنبه النقيب فورًا – لدينا منفذ للدخول"!

ولكن بينما كان بافل يحدق في بئر السلم الخاوي، خطرت له فكرة بديلة. كانت فكرة جريئة، وربما محفوفة ببعض الخطر، بيد أن الخاطر قد ألهب حماسته، خاصة وأنه يعلم أنه خيب أمل نقيبه في مناسبات عدة مؤخرًا.

تخيل بافل المشهد في الأسفل.

بضعة أكاديميين عُزّل...

تخيل فرحة ياناتشيك عند عودته ليكتشف أن الهاربين مصطفون بخبرة على الأريكة تحت تهديد السلاح. مرر بافل يده على مسدس ***CZ 75 D*** في جرابه، فشعر بملمس مقبضه المحكم وكأنه لمسة مطمئنة من صديق قديم.

"لدي تدريب متخصص لهذه المهمة على وجه التحديد."

لقد أظهر روبرت لانغدون بالفعل أنه يخشى السلاح، ولا شك أن الآخرين سيكونون كذلك. إن خبرته قد علمته أن المدنيين، حين يواجهون ضابطًا مسلحًا من جهاز الاستخبارات والأمن، لا يفعلون دائمًا إلا شيئًا واحدًا... وهو على وجه الدقة ما يأمرهم به الضابط.

في مكان ما بعيدًا أسفل الهضبة، وهو يحدق في السماء، كان وعي النقيب ياناتشيك يغيب ويثوب إليه في خفوت. لم تكن لديه أدنى فكرة عن مقدار الوقت الذي انقضى منذ أن تحرر جسده في الهواء، ليهوي نحو الأسفل بمعدل مرعب، قبل أن يرتطم بالصخور في قاع الهوة ارتطامًا عنيفًا تقشعر له الأبدان.

كان الانتحار ليكون خيارًا شاعريًا بالنظر إلى الأخبار التي تلقاها للتو من السفيرة. لكن ياناتشيك لم يضع حدًا لحياته بنفسه.

"لقد دُفعت."

وهو ملقى على الصخور، محطمًا ونازفًا، كان ياناتشيك لا يزال يشعر بالموضعين على ظهره حيث دفعته راحات قوية بقسوة وأرسلته متدحرجًا فوق الجدار الحجري المنخفض. لم يكن لدى النقيب أدنى فكرة عمن تسلل إليه، ولكن، ويا للغرابة، بدا أن هذه الحقيقة لا تهمه على الإطلاق في هذه اللحظة.

"هذه هي النهاية... إنني أموت."

ولدهشته، بدا الانتقال طبيعيًا وهادئًا تمامًا.

لم يكن هناك سوى القليل جدًا من الانزعاج الجسدي. وبدت كل المخاوف الجسيمة التي كانت تلتهمه قبل دقائق فقط وكأنها تتبخر... بما في ذلك مكالمته المدمرة مع السفيرة الأمريكية.

كان لا يزال يسمع الكلمات الست التي نطقت بها.

"نحن نعلم أنه لم تكن هناك قنبلة."

لقد كان ادعاء ياناتشيك بأن جهاز الاستخبارات والأمن عثر على قنبلة صغيرة كذبة بالفعل... بهرجة ساعدته على إحكام سيطرته التامة على

الموقف.

"لقد فعلت ما أُمرت به."

جاءت المكالمة الغريبة في وقت مبكر من هذا الصباح من لندن، فأيقظت ياناتشيك من نوم عميق. اعتذر الرجل الأمريكي على الطرف الآخر عن الساعة وأخبر النقيب أن يتفحص رسائله النصية. فعل ياناتشيك، فوجد مجموعة من أوراق الاعتماد الرصينة التي تؤكد أن هذا الرجل يتحرك في أعلى دوائر السلطة.

قال الرجل» :لدي موقف. وأود مساعدتك.«

مسح ياناتشيك النعاس من عينيه، محاولًا التركيز» .نعم؟.«

»هناك أمريكيان بارزان في براغ الآن. أحتاج إلى اعتقالهما.«

»أنت تعلم أنني لا أستطيع ببساطة اعتقال أجانب دون.«——

»سيتم تزويدك بكل المعلومات الاستخباراتية التي تحتاجها. استمع جيدًا.«

وبينما كان ياناتشيك يستمع إلى ما كان الأمريكيان يخططان له، شعر بغضب مألوف. "حيلة دعائية؟ تهديد بقنبلة في فندق الفصول الأربعة؟ يا للوقاحة!" لقد سئم من الأجانب الذين يعاملون بلده كملعب لا قانون فيه.

قال ياناتشيك» :يجب أن أحذرك، التهمة الوحيدة التي يمكنني استخدامها هنا هي "الإخلال بالنظام العام". فإذا كان هذان الأمريكيان أثرياء أو

معروفين، فإن السفارة الأمريكية ستتدخل على الفور.«

طمأنه الرجل» :انسَ السفارة. سأتكفل بأمر السفيرة. كل ما عليك فعله هو تضخيم خطورة جريمتهما. سأخبرك كيف.«

كانت فكرة الرجل ماكرة – بسيطة، ونظيفة – بهرجة طفيفة من شأنها أن تمكن ياناتشيك من تنفيذ اعتقال لا يمكن الطعن فيه، وأن يُري السفيرة أخيرًا أن "كون المرء أمريكيًا" لا يرفعه فوق القانون التشيكي.

"إن الكذبة البيضاء التي تخدم العدالة لهي كذبة شريفة"، هكذا كان يعتقد ياناتشيك .لم يكن مهتمًا بالمكافأة السخية التي عرضها الرجل مقابل المساعدة.

"إن التغلب على السفارة سيكون مكافأة كافية"، فكر في نفسه، وما زال مرارة المناوشات السابقة في حلقه. وهكذا، تمامًا كما اقترح المتصل، تجاوز ياناتشيك الخط وزين الحقيقة... قليلًا جدًا.

لم تكن هناك قنبلة – مجرد تهديد بقنبلة – لكن التعديل البسيط رفع التهم إلى مستوى أكثر خطورة بكثير.

الآن، وهو ملقى محطمًا في الهوة، رأى ياناتشيك لحظة مجده تتبخر كسراب. مهانًا من قبل السفيرة، التي خططت للاتصال برئيس ياناتشيك، ألغى

مؤتمره الصحفي وصرف فريق الهدم. لقد حوله حرصه على تنفيذ اعتقال رفيع المستوى إلى هدف سهل... بيدق طيع.

"ربما استخدمني المتصل الأمريكي لأغراضه الخاصة؟" لقد تم التحقق من أوراق اعتماد الرجل، وكذلك الرقم الذي اتصل منه.

لم يعد أي من ذلك يهم الآن.

وهو ممدد على الصخور، شعر ياناتشيك بالدم الدافئ يتدفق بحرية من مؤخرة رأسه. كان يدرك أن الحياة تتسرب منه. وبطريقة غريبة، بدا الموت خيارًا ألطف من الاضطرار إلى الانحناء أمام السفارة الأمريكية، خاصة أمام مايكل هاريس المتعجرف.

"هذه نعمة"، قرر ياناتشيك، متفاجئًا من غياب أي ذعر لديه.

والغريب أن النقيب شعر الآن وكأنه يبتعد... عن نفسه. كان في حالة من الانفصال اللذيذ عن قالبه الجسدي المهشم، غير منزعج من ألم أو إصابة، وكأنه يرتفع تاركًا وراءه تعقيدات العالم.

لم يكن هناك خوف... بل موجة من السكينة تغمره. كان شعورًا لا يشبه أي شيء خبره في حياته قط.

الفصل الحادي والثلاثون

أخذ الجزع يستبد بدانا دانيك وهي ترى النتائج تراوح مكانها، فيما يخص قاعدة بيانات التعرف على الوجوه، والتي كان يُعول عليها في كشف هوية المرأة التي ظهرت على جسر تشارلز .لقد استغرقت العملية أمدا طويلا على غير المعتاد.

وإلى أن يأتي الفرج، آثرت أن تعود أدراجها إلى مشاهدة تسجيلات المراقبة التي التُقطت من علٍ، كأنما تنظر بعين طائر. وها هي الآن ترقب تلك المرأة ذات الإكليل الشائك، وقد وقفت جامدة لا حراك بها عند الطرف الشرقي من الجسر... وكأنها تترقب أمرا ما.

وفجأة، وفي تمام الساعة السادسة واثنتين وخمسين دقيقة صباحا، تلقت المرأة اتصالا. أجابت على الفور، ولم تدم المحادثة إلا ثوان معدودات قبل أن تعيد الهاتف إلى جيبها. ثم حدث ما أثار حيرة دانا وأوقعها في دهشة عظيمة، إذ أخرجت المرأة من جيبها قنينة صغيرة، ونثرت ما فيها من سائل على كتفي وذراعي معطفها الأسود.

أهو عطر؟ أم تراه ماءً مقدسا؟

أعادت القنينة إلى جيبها، وأصلحت من وضع إكليلها المدبب، ثم دست يدها في بطانة معطفها لتستل منه قضيبا معدنيا من نوع ما، بدا أشبه برمح فضي صغير.

أتُراها تحمل سلاحا؟

ثم أخذت تسير في بطء، كأنها طيف هائم أو جسد بلا روح، عابرة الجسر المقفر. وما إن شارفت على منتصفه، حتى دخل إلى المشهد رجل طويل القامة، داكن الشعر، يتقدم شرقا نحوها بخطى واسعة. كان يرتدي بزة رياضية وحذاء للجري. فلما حاذاها، توقف فجأة والتفت إليها، كأنه يخاطبها. لكن المرأة إما أنها تجاهلته أو لم تسمعه، فمضت في سبيلها لا تلوي على شيء. بدا الرجل وكأنه قد تسمّر في مكانه للحظات، ثم ناداها مرة أخرى فلم يجد منها جوابا. وعندها، استدار فجأة وانطلق يعدو في نفس الاتجاه الذي كان يقصده... حتى توارى عن مرمى الكاميرا.

تساءلت دانا في نفسها: ما الذي جرى للتو؟

أرجعت دانا الشريط، وأعادت مشاهدة المقطع بأسره. لقد استبد بها الفضول لتعرف إلى أين انطلق ذلك الرجل راكضا، لكنها ركزت انتباهها في الوقت الراهن على تلك المرأة الشبحية الغامضة. قامت بتفعيل خاصية "التتبع التلقائي" في البرنامج، وهي تقنية تستعين بأنظمة التعرف على

الوجوه، والذكاء الاصطناعي، وخوارزميات الإسقاط، لتظل الصورة مثبتة على الهدف. ومع استمرار العرض، أخذ البرنامج ينتقل من كاميرا إلى أخرى، متعقبا المرأة ذات الإكليل الشائك عبر الجسر.

وما إن جاوزت تمثال القديس أوغسطين حتى توقفت فجأة. وبعد أن ألقت نظرة حولها كأنما تتأكد من خلو المكان، خلعت إكليلها وألقته في مياه النهر من فوق الجسر في غير اكتراث. ثم أتبعته بالرمح. بعد ذلك، أخرجت من جيبها قبعة صوفية بيضاء فوضعتها على رأسها، وقد أخفت تحتها شعرها الداكن. وأخيرا، خلعت معطفها الأسود، فبان تحته سترة حمراء ثقيلة. ثم طوت المعطف ووضعته كقربان عند قاعدة تمثال القديس أوغسطين، وهو مكان اعتاد الناس أن يتركوا فيه تبرعاتهم للمشردين أو المحتاجين.

وبعد أن تبدلت هيئتها على هذا النحو، انعطفت المرأة فجأة يسارا، لتختفي عبر درج ضيق يلتصق بالجدار الخارجي للجسر ويصل إلى الضفة الغربية للنهر. فيبدو أن هذه المرأة الحرباء التي تجيد تبديل هيئتها، لم تكن ترغب في أن يتعقبها أحد.

أسرعت دانا عرض اللقطات الأرشيفية، وهي تتابع المرأة بسرعة فائقة وهي تعبر الساحة المرصوفة بالحصى خارج قصر ليختنشتاين ...ثم تمر بمتحف كامبا وما جاوره من نصب فني غريب في الهواء الطلق، يمثل ثلاثة أطفال

عمالقة من البرونز، وُضعت على وجوههم بصمات تشبه الرموز الشريطية (barcode)...وأخيرا توغلت في أعماق حديقة كامبا، حيث تجولت لبرهة قبل أن تشتري قهوة من أحد الأكشاك. وبينما كانت تجلس على مقعد ترتشف شرابها الساخن، تلقت مكالمة هاتفية.

وما إن انتهت المكالمة، حتى هرعت عائدة إلى جسر تشارلز، الذي كان قد امتلأ وقتها بالمارة السائرين إلى أعمالهم. أسرعت المرأة أدراجها في نفس الطريق الذي أتت منه، فغادرت الجسر وانعطفت يسارا إلى شارع كريزوفنيكا .وبينما كانت تسير بخطى حثيثة على الرصيف، تباطأ العرض فجأة وظهرت على الشاشة كلمة "مباشر (LIVE) "وهي تومض. تحولت مشيتها السريعة إلى مشية عادية.

إنه الزمن الحقيقي. هذا يحدث الآن...

لم يكن لدى دانا أي تفويض لاستخدام نظام المراقبة المتطور على هذا النحو، لكنها لم تستطع أن ترفع عينيها عن تلك المرأة المتلونة. راقبتها وهي تسير على الرصيف ثم تنعطف يسارا عبر فناء أنيق لمواقف السيارات، متجهة نحو المدخل الرئيسي لواحد من أرقى فنادق براغ.

أتتجه إلى فندق فور سيزونز؟

وبينما كانت المرأة تختفي خلف الباب الدوار للفندق، لمح بصر دانا شيئا غير متوقع؛ سيارة من طراز أودي A7 تقف في الأماكن المخصصة أمام الفندق. ولولا أن الحروف الحمراء الفريدة على لوحة ترخيصها تشير إلى أنها مركبة دبلوماسية، لما أثارت انتباهها.

أهذه إحدى سيارات سفارتنا؟

وبعد لحظة، جاءها الجواب حين ترجل مايكل هاريس في أناقته المعهودة من السيارة، وسار بخطى سريعة إلى داخل الفندق.

حدقت دانا في المشهد وقد أصابتها الصدمة واعتصر الألم معدتها. ثم قالت في نفسها:

يا لك من وغد لعين يا مايكل. لقد كنت أعلم!

كان مدير فندق فور سيزونز لا يزال منتشيا من المكالمة الشخصية التي تلقاها مؤخرا من سفيرة الولايات المتحدة. فبعد أن شكرته على تكتمه هذا الصباح بشأن الموقف المؤسف الذي حدث مع السيد لانغدون، طلبت منه السفيرة معروفا.

وها هو ذا المعروف يمشي على قدميه، فكر المدير وهو يرى الرجل الأنيق يتقدم الآن نحو مكتب الاستقبال.

قال المدير مادًّا يده" :أهلا بالسيد هاريس، لقد اتصلت السفيرة للتو".

أجاب الرجل ومصافحته قوية كأنها قابضة مِخلب" :شكرا لك".

قال المدير" :لقد رأيتك في وقت سابق مع السيد لانغدون... ومع عناصر جهاز الاستخبارات والأمن ".(ÚZSI) ثم تجهم وجهه وأضاف" :آمل أن تكون الأمور قد سويت؟"

"بالتأكيد. لقد كان سوء تفاهم مؤسف، ونحن نعمل على حله. أنا هنا الآن، وكما تعلم على الأرجح، لأن السيد لانغدون طلب من السفارة أن تجمع بعض أغراضه من جناحه ريثما ننتهي من تسوية هذا الأمر. هناك بعض الأدوية، والتي فهمت أنها ضرورية"...

"بالطبع، لقد جهزت لك مفتاح الغرفة يا سيدي. ولكني سأحتاج فقط إلى إثبات هويتكم؟ أعتذر عن هذا الإجراء الرسمي، ولكن الموقف غير معتاد بعض الشيء، وسياسة الفندق تقتضي"...

"لا عليك أبدا، "قال الرجل وهو يسلمه بطاقة هويته من السفارة" .إنني أقدر حرصكم. فالسفارة قد اعتادت أن لا تتوقع من فندق فور سيزونز إلا الأفضل على الدوام".

أعاد المدير بطاقة الهوية إلى صاحبها ووجهه يتهلل، وقال" :هذا من لطفكم. أثق أنكم تتذكرون الطريق إلى الجناح الملكي؟ وعندما تنتهون، يمكنكم ترك مفتاح الغرفة في الجناح وإغلاق الباب خلفكم".

فشكره مبعوث السفارة وصعد إلى الطابق العلوي.

وعاد المدير إلى واجباته، وقد شغله انشغاله عن ملاحظة تلك المرأة الجميلة ذات السترة الحمراء وهي تتبع الرجل إلى الطابق العلوي.

الفصل الثاني والثلاثون

أين أنا؟ هكذا تساءلت ساشا في سرها.

أحست بخدر مألوف يسري في أوصالها، خفيفاً لطيفاً، كفقاعات شراب فوار تجري في عروقها. فلطالما شعرت ساشا، كلما أفاقت من نوبة صرع، كأن دماغها حاسوب يعيد تشغيل نفسه، يبدأ من الصفر، ويستدعي برامجه شيئاً فشيئاً.

وبدافع من الغريزة، شرعت في طقسها المعتاد الذي يعقب النوبة. "التركيز التِلويّ للنوبة"، كما كانت تسميه الدكتورة غيسنر، وهو سبيل لإعادة الاتصال بالواقع الحاضر، عن طريق إجبار العقل على استحضار أحدث ذكرى يمكنه تذكرها.

أتذكر أني كنتُ أعد الشاي هذا الصباح، هكذا استحضرت ساشا شذى الكركديه، وضوء الصباح يتسلل عبر نوافذ مطبخها، ومواء قطتيها السياميتين الناعم وهما تتمسحان بساقيها توقاً إلى طعامهما. ثم ببطء، وفيما أخذ دماغها يستعيد زمام أموره، حاولت أن تتذكر ما فعلته بعد أن أطعمت قطتيها، ولكن تلك الذكريات كانت صفحة بيضاء، تأبى أن تطفو على السطح.

إن تلف الذاكرة بين النوبات، كما هو معروف، أمر شائع جداً بين مرضى الصرع، ويتجلى في فترات من امحاء الذاكرة التام، تمتد أحياناً لساعات طوال، كأن الدماغ قد غفل ببساطة عن تسجيل ما كان يجري.

كان تلف الذاكرة لدى بعض مرضى الصرع أشد إيلاماً من النوبات ذاتها، لكن ساشا اختارت أن تتقبله ببساطة. بل كانت تتساءل أحياناً عما إذا كان نعمة في طيات نقمة.

فهناك فصول من ماضيّ أود لو أنها لم تكن.

عندما كانت ساشا تنشأ في روسيا، كان أطفال المدارس الآخرون يسخرون من نوباتها، وقد أطلقوا عليها لقباً بذيئاً – вибратор – الذي يعني "الهزاز". أخذها والداها إلى الأخصائيين، لكن الإجابات كانت هي ذاتها دائماً" .لا علاج له. ساشا ستموت ونوباتها معها... ولكنها لن تموت بسببها."

ولكني أريد أن أموت، هكذا كانت ساشا تفكر في كثير من الأحيان.

إن لحظات السكينة التي كانت تشعر بها فور انتهاء النوبات، على ما فيها من سحر، كانت تتضاءل أمام الألم النفسي والجراح الجسدية التي جلبتها هذه النوبات إلى حياتها.

وفي نهاية المطاف، شخص الأطباء حالة ساشا بأنها إغماء مزمن ومرض عقلي حاد، واقترحوا إيداعها مصحاً. وكان أفضل ما استطاع والداها أن يفعلاه هو "بيسخوشكا – (psikhushka) "مصح عقلي حكومي متهالك يقع في بيداء مقفرة قرب حدود روسيا الغربية. وفي عيد ميلادها العاشر، تركاها هناك ولم يعودا لزيارتها قط.

بكت ساشا أسابيع في غرفتها الضيقة. كانت نوباتها تتكرر عدة مرات في اليوم، وكان الموظفون يقيدونها بقوة دون أي بادرة رحمة. كانت الوجبات التي يقدمونها شحيحة، لكن الأدوية التي يعطونها كانت وفيرة. ولما بلغت سن المراهقة، كانت ساشا تعيش حياة من التخدير الشديد والوحدة الموحشة.

عاشت على هذا النحو لأكثر من عقد من الزمان، منسية ووحيدة. وكان مهربها الدائم الوحيد من الواقع هو الأفلام الأمريكية التي كانت تُعرض بلا توقف في الغرفة المشتركة عبر الردهة. كانت الأفلام الكوميدية الرومانسية هي المفضلة لديها، وكثيراً ما حلمت ساشا بالوقوع في الحب في مدينة نيويورك .يوماً ما سأرى أمريكا، هكذا وعدت نفسها، وكانت تشعر أحياناً أن حلمها بالذهاب إلى أمريكا هو الشيء الوحيد الذي يبقيها على قيد الحياة.

ثم تحطم حتى ذلك الحلم.

عُينت لساشا ممرضة ليلية جديدة – ممرضة قاسية لا تعرف الرحمة تدعى مالفينا –كانت تسلي نفسها في الساعات المقفرة بحجب أدوية الصرع عن ساشا ثم مشاهدة نوباتها التشنجية كأنها عرض جانبي في سيرك قبل أن تبرحها ضرباً. لأسابيع، أساءت مالفينا إلى ساشا جسدياً وعقلياً، وربما بطرق أخرى أبى عقل ساشا أن يستدعيها أو يقر بها.

وفي صباح أحد الأيام، بعد أن نجت بالكاد من إحدى هجمات مالفينا الأكثر وحشية وصدمة، كانت ساشا تبكي في سريرها عندما اقتحم ثلاثة من الموظفين غرفتها وجروها عبر الردهة إلى الغرفة المشتركة.

صاحوا في وجهها" :اعترَفِي."(**Priznavaysya!**) !

وعند قدمي ساشا، على أرضية الغرفة المشتركة، كانت ترقد جثة مالفينا الهامدة، ورأسها ملوي إلى الوراء حتى كاد ينفصل عن جسدها.

لم أكن أنا، أصرت ساشا، لكن الموظفين كانوا قد قرروا بالفعل أنها مذنبة. ولعدم رغبتهم في خسارة أي أموال من الرعاية الحكومية، أبلغوا عن وفاة مالفينا على أنها حادث مؤسف على أرضية زلقة، وأغلقوا على ساشا في الحبس الانفرادي عقاباً لها.

وفي ظلمة الوحدة، كثيراً ما تساءلت ساشا من الذي قد يكون قتل الممرضة. كان هناك مرضى آخرون هنا يعانون من النوبات، ومن الممكن أن تكون مالفينا قد استفزت الشخص الخطأ. أو ربما، كما كانت ساشا تتخيل، قتل أحدهم مالفينا لحمايتي. كانت الفكرة تجعلها تشعر بوحدة أقل بطريقة ما.

بعد أسبوعين في الحبس الانفرادي، أُخرجت ساشا، ووُضعت في سترة مقيدة، وأُبلغت أن لديها زائراً. لم يكن لساشا زائر قط، ولا حتى والداها. لقد تركوني هنا لأموت.

كان الشخص في منطقة الانتظار غريباً، امرأة صغيرة ذات شعر أسود فاحم، وملابس باهظة الثمن، ووجه صارم. كانت لها هيبة وسلطان.

وبخت المرأة على الفور الممرضين، وطالبتهم بإزالة سترة ساشا المقيدة، وهو ما فعلوه لدهشتها.

تمتمت وهي تصرفهم بعيداً" :بهائم."(Zvířata)

ضيقت ساشا عينيها، إذ لم تر ضوء النهار لأسابيع. سألت بالروسية" :من أنتِ؟Кто ты) ؟."(

سألت المرأة" :هل تتحدثين التشيكية؟."

هزت ساشا رأسها.

"أي إنجليزية؟."

قالت ساشا" :القليل. أشاهد التلفزيون الأمريكي."

همست المرأة كأنها تشاركها سراً" :أنا أيضاً. أليس رائعاً؟."

حدقت ساشا فيها ببساطة.

قالت المرأة" :اسمي الدكتورة بريجيتا غيسنر. أنا هنا لمساعدتك. أنا جراحة أعصاب من أوروبا."

قالت ساشا بسرعة" :الأطباء لا يستطيعون مساعدتي."

"يؤسفني ذلك. هذا فقط لأنهم لا يفهمون حالتك."

"أنا أعاني من الجنون والنوبات."

هزت المرأة رأسها بقوة" :لا يا ساشا، أنتِ عاقلة تماماً. لديكِ حالة تعرف بـ TLE – صرع الفص الصدغي – وهو سبب نوباتك. وهو قابل للشفاء تماماً. لدي منشأة في براغ، وأود أن آخذكِ إلى هناك."

قالت وهي متشككة" :لإصلاحي؟."

"أنتِ لستِ محطمة يا عزيزتي. دماغكِ فقط يعاني من عواصف كهربائية عرضية. لكن يمكنني مساعدتكِ في السيطرة عليها. لقد عالجتُ العديد من مرضى TLE مثلكِ تماماً، بنتائج رائعة – بما في ذلك شاب يدعى ديمتري من هذه المؤسسة بالذات."

ديمتري؟ كانت ساشا تعرف الرجل الطويل اللافت للنظر، لكنها لم تره منذ فترة. تساءلتُ أين ذهب" !لقد شفيتِ ديمتري؟."

"فعلتُ ذلك بالفعل. وقد عاد بالفعل إلى منزله في روسيا."

أرادت ساشا بشدة أن تصدق ما تقوله الدكتورة غيسنر، لكن كل شيء بدا أروع من أن يكون حقيقة" .أنا... لا أملك أي مال."

قالت المرأة" :العلاج مجاني يا ساشا. وبسيط جداً."

شرحت الطبيبة بسرعة إجراءً يتضمن زرع شريحة صغيرة في جمجمة ساشا . إذا شعرت ساشا بقرب حدوث نوبة، يمكنها تنشيط الشريحة عن طريق فرك عصا مغناطيسية صغيرة على رأسها، مما يجعل الشريحة تولد نبضات كهربائية تقاطع بداية النوبة... فتوقفها قبل أن تبدأ.

قالت ساشا وهي على وشك البكاء" :هل هذا... ممكن حقاً؟."

"إنه كذلك! تسمى شريحة تنبيه عصبي استجابية. أنا اخترعتها."

"ولكن لم... قد تساعديني؟."!

مدت الدكتورة غيسنر يدها عبر الطاولة وأمسكت بيدها" .ساشا، لقد كنتُ محظوظة جداً في حياتي. الحقيقة هي أن مساعدتكِ مفيدة لي أيضاً. إنها تجعلني أشعر بالرضا لمساعدة الأشخاص الذين يحتاجون إليها. إذا كان بوسعي أن أنقذ حياة إنسان، فلم لا أفعل؟."

أرادت ساشا أن تقفز وتعانق هذه المرأة، لكنها كانت تخشى أن تصدقها. في حياتها، نادراً ما تلقت هدية اللطف.

"ولكن... ماذا لو لم يسمحوا لي بالخروج من هنا؟."!

قالت غيسنر بحدة" :أوه، من الأفضل لهم أن يفعلوا. لقد دفعتُ لهم ثروة صغيرة لإطلاق سراحك."

بعد أربعة أيام، استيقظت ساشا في سرير مستشفى في براغ، مترنحة من التخدير ومسكنات الألم، لكنها حية تماماً. عندما أخبرتها غيسنر أن الإجراء كان ناجحاً، تأججت مشاعر ساشا بعنف، وكما يحدث غالباً، أثارت بوادر نوبة قادمة. أخرجت غيسنر بهدوء العصا المغناطيسية وفركتها على قمة رأس ساشا.

بأعجوبة، شعرت ساشا بالنوبة تتبخر. أحست كأنه عطاس تهيأ للخروج ثم توارى.

لم تصدق ما حدث.

في الأيام التي تلت، راقبتها الدكتورة غيسنر عن كثب وضبطت الجهاز لتحقيق أقصى قدر من الكفاءة. لقد عمل بشكل مثالي، وأدركت ساشا أنها قد لا تصاب بنوبة أخرى مرة أخرى. حتى أنها تساءلت عما إذا كانت ستفتقد يوماً ما السكينة والنعيم الأثيري الذي كان يصاحب ضباب ما بعد النوبة، لكن بدا ثمناً ضئيلاً تدفعه مقابل ترف العيش في العالم الحقيقي.

وفي ظهيرة أحد الأيام، بينما كانتا تجريان اختبارات تشخيصية، قالت بريجيتا غيسنر بعفوية" :لستُ متأكدة من خططكِ المستقبلية يا ساشا، لكنني بحاجة إلى توظيف متدربة في المختبر، وبصراحة ستكونين مرشحة مثالية."

"أنا؟ "ظنت ساشا أنها لا بد تمزح.

"ولم لا أنتِ؟ لقد قضيتِ حياتكِ كلها تقريباً في منشأة طبية."

قالت ساشا ضاحكة" :كمريضة! لا كطبيبة."!

قالت غيسنر" :صحيح، لكنكِ امرأة ذكية. أنا لا أطلب منكِ أن تصبحي طبيبة أو تجري جراحة في الدماغ. أنا أتحدث عن الأعمال الورقية المكتبية، وتطهير المعدات، وأشياء من هذا القبيل. والأفضل من ذلك كله، إذا كنتِ تعملين في مختبري، فقد نتمكن من إحراز تحسينات في حالتك."

"تحسينات؟ أنا أشعر بأنني في أفضل حال."!

"حقاً؟ لا مزيد من فقدان الذاكرة وفترات الانقطاع؟."

قالت ساشا" :أوه... لا تزال تلك موجودة."

ضحكتا معاً، لكن في الواقع، كانت ساشا قد نسيت بالفعل. لطالما كانت ذاكرتها بها فجوات، وقد اعتادت على ذلك.

قالت غيسنر" :إن تلف الذاكرة بين النوبات (IMI) شائع للغاية في جميع مرضاي المصابين بـ .TLEلدي بعض الأفكار حول كيفية البدء في إحراز تقدم بشأن ...IMIهذا إذا سمحتِ لي بالنظر إلى دماغكِ من وقت لآخر."

"بالطبع، ولكن."...

"لدي شقة صغيرة في المدينة اشتريتها لأمي، لكنها توفيت منذ فترة، ولم أجد الوقت لبيعها. يمكنكِ البقاء هناك ما دمتِ ترغبين. إنها مفروشة، لكن إذا لم يعجبكِ الأسلوب، يمكننا."...

قالت ساشا بصوت متقطع وهي على وشك البكاء" :أحب الأسلوب."

كان ذلك قبل عامين، ولم تغادر ساشا قط. كانت تبلغ الآن الثامنة والعشرين من عمرها، وكان راتبها المتواضع والإيجار المجاني كافيين لإعالة نفسها، وهو حلم تحقق. مع مرور الوقت، تقدمت من التنظيف والقيام بالأعمال الورقية إلى مساعدة الدكتورة غيسنر في أبحاثها وتعلم كيفية تشغيل معدات التصوير الأساسية.

كانت بريجيتا تمسح دماغ ساشا بانتظام لمراقبة تقدم علاجها المستمر، والذي تضمن مكملات غذائية عن طريق الوريد وتمارين لتدريب الدماغ في كرسي الواقع الافتراضي. في بعض الأحيان، كمكافأة، كانت غيسنر تسمح لساشا بمشاهدة تجارب سفر غامرة بتقنية الواقع الافتراضي – (VR) برج إيفل، والحاجز المرجاني العظيم، ومهربها المفضل، مانهاتن .كانت تحب التحليق فوق كل تلك ناطحات السحاب أو التجول عبر سنترال بارك . يوماً ما، آمل أن أرى ذلك حقيقة...

"ساشا؟ "تردد صوت عميق فوقها مباشرة" .هل أنتِ بخير؟."

بدا الصوت قريباً، يسحبها عائداً إلى الحاضر.

كرر الصوت" :ساشا؟."

بدأ دفء وهج ما بعد النوبة يتلاشى... ثم، دون سابق إنذار، غمرتها موجة من الحزن المرير كأنها بحر هائج.

تذكرت الآن كل شيء.

بريجيتا ماتت.

صديقتي الحقيقية الوحيدة.

انفتحت عيناها فجأة، فوجدت نفسها تنظر إلى الأعلى إلى الوجه الوسيم واللطيف للرجل الذي كان لا يزال يحتضن رأسها.

ابتسم لها بلطف وهمس" :أهلاً بعودتك."

الفصل الثالث والثلاثون

كان جو الشاحنة المغلق يزداد قسوة وبردا مع كل دقيقة تمضي، وقد أخذت الرعدة تستبد بجوناس فوكمان .فما تزال يداه موثقتين خلف ظهره، وقد خدرت أنامله حتى لم يعد يحس بها. وكان خاطفوه قد نزعوا عنه معطفه الصوفي الرمادي العتيق قبل أن يوثقوه، وفتشوا ثناياه وجيوبه، ثم ألقوا به على الأرض بجانبه.

وتساءل المحرر في قرارة نفسه إن كان هاتفه لا يزال في جيب معطفه. بل لقد كادت تسول له نفسه أن يصيح: "يا **Siri**! اتصلي برقم الطوارئ **911**!"

كان الرجل الجَلْد ذو الشعر الخشن جالسا على صندوق للحليب على بعد أقدام قليلة منه، بينما بقي رفيقه في المقعد الأمامي، يعبث بهاتفه بين الفينة والأخرى، كأنه يحادث أحدا.

أتراه قائدهم الأعلى؟

ظل فوكمان يحاول أن يجمع أطراف القصة، ولكنه لم يستطع أن يسبر غور هؤلاء الرجال، أو أن يفهم كيف تجرأوا على اختطافه من قارعة الطريق في وضح النهار. لقد سرقوا مخطوطة بعينها... وأتلفوا كل نسخ الناشر؟ حتى لو كان كتاب كاثرين سيحقق نجاحا كاسحا، فهل يصل الأمر إلى اختراق

نظام شركة، وإتلاف نسخ ورقية، واختطاف أناس من أجله؟ إننا نتحدث عن عالم نشر الكتب، يا للهول... لا عن فيلم من أفلام الحركة مثل **Die Hard**!

قال الرجل ذو الشعر الخشن وهو يرفع عينيه عن جهازه اللوحي **iPad**: "حسنا، لدي بعض الأسئلة لك يا سيد فوكمان".

"بإمكانك أن تناديني جوناس، "قالها بمرح مصطنع" .يبدو أن الخطف قد تجرد من رسمياته التي عهدناها فيه قديما".

حدجه الرجل بنظرة جامدة، لم تنم عن أي استحسان لدعابته" .هل كاثرين سولومون خارج البلاد؟"

"أجل".

"وأين هي خارج البلاد؟"

"أنت تعلم أين هي. وما سؤالك هذا إلا لتعاير به ميزان كشف الكذب خاصتك، فأنت تسألني عما تعلمه يقينا".

كرر الرجل سؤاله" :أين هي؟"

لم تكن لدى المحرر أي رغبة في أن يتلقى لكمة أخرى" .إنها في براغ".

"جيد جدا ".عاد بنظره إلى جهازه اللوحي" .في وقت ما قبل السابعة صباحا بالتوقيت المحلي، غادرت الدكتورة سولومون غرفتها في فندق براغ، ودخلت مركز فور سيزونز لخدمات رجال الأعمال".

اتسعت عينا فوكمان، وشعر بشيء من الهلع يتسرب إلى نفسه" .مهلا... أكنتم تتجسسون عليها؟"

"لنقل إننا كنا نوليها اهتمامنا".

"من أنتم بحق الجحيم؟"!

تابع الرجل حديثه دون أن يجيب" :أثناء وجودها في مركز رجال الأعمال، استخدمت الدكتورة سولومون حاسوبا من حواسيب الفندق للدخول إلى خادم شركة .PRH وقد وصلت إلى النسخة الأخيرة من مخطوطتها".

وماذا في ذلك؟ فكثيرا ما يساور المؤلفين قلق اللحظات الأخيرة حين يكون محررهم على وشك الشروع في القراءة. ربما راود كاثرين الشك في أمر ما، فقررت أن تعيد قراءته.

سأل الرجل" :ولماذا لم تستخدم حاسوبها المحمول في خصوصية غرفتها؟"

"لأن الدكتورة سولومون لا تملك حاسوبا محمولا. إنها تفضل الشاشة الكاملة، ولوحة المفاتيح، والفأرة ".ولو كنتم تراقبونها حقا، لعلمتم ذلك.

أومأ الرجل الجالس أمام الحاسوب برأسه قائلا" :صحيح".

عاد الرجل ذو الشعر الخشن إلى جهازه اللوحي" .تظهر سجلاتنا أن الدكتورة سولومون قامت هذا الصباح بطباعة نسخة ورقية كاملة من مخطوطتها – صفحاتها الأربعمئة وإحدى وثمانين كلها – وغادرت الفندق وهي تحملها".

للحظة، دُهش فوكمان لمعرفة هؤلاء السفلة بالعدد الدقيق للصفحات، قبل أن يتذكر أنهم سرقوا نسخته التحريرية للتو. يا لها من خدعة ساذجة.

"لم تطبع الدكتورة سولومون أي نسخة من هذا القبيل، وأنت تعلم ذلك".

حدجه الرجل المفتول العضلات الجالس على صندوق الحليب بنظرة طويلة، ثم قَوَّس ظهره ليمد أطرافه، فكشف دون قصد عن جراب مسدس تحت كتفه، بداخله سلاح ناري ضخم بشكل لافت. لم يرَ فوكمان حركة شفافة كهذه منذ أن كان في الصف الرابع، حين حاول أن يضع ذراعه حول لورا شوارتز في صالة سينما .IOKAومع ذلك، فقد أدرك المغزى.

سأل الرجل" :أمتأكد أنك تريد أن تلعب معي؟"

قاطعه الرجل الآخر من الأمام وهو ينظر إلى شاشته" :تمهل. يقول 'أفاتار' إنه يصدق القول. هو لا يعلم أن سولومون طبعت نسخة".

بدا الاستغراب على الرجل ذي الشعر الخشن" .مثير للاهتمام. إذن... طبعت الدكتورة سولومون المخطوطة من وراء ظهرك؟"

محاولة بائسة. لقد حرر فوكمان من مشاهد استجوابات الشرطة ما يكفي لأن لا تنطلي عليه خدعة المحققيْن؛ أحدهما قاسٍ والآخر لين، وهي استراتيجية قائمة على مبدأ "فرق تسد" لزرع بذور الشك في نفسه تجاه كاثرين .ولكن لسوء حظ هؤلاء المهرجين، فإن مسيرة فوكمان المهنية قد بنيت على تحليل حبكات القصص وكشف تناقضاتها. فلو قال خاطفوه إن كاثرين طبعت نسخة بعناية لتراجعها في غرفتها بالفندق، لربما صدقهم. ولكن الشيطان يكمن دوما في التفاصيل، وهؤلاء يزعمون أن كاثرين حملت المخطوطة خارج الفندق. وذلك أمر لم تكن لتفعله قط.

ضغط عليه الرجل" :نريد أن نعرف، لماذا طبعت كاثرين مخطوطة؟ ولمن أعطتها؟"

"بل قل: إلى من أعطتها، "صحح فوكمان غريزيا.

نظر إليه الرجل شزرا" .هذا ما قلته".

"كلا، لم تفعل. هل يمكنك فك وثاق يدي؟ لقد خدر ذراعاي".

"إلى من أعطتها؟"

هز فوكمان رأسه" .ما زلت مخطئا. لا علم لي".

نادى الرجل من المقدمة" :إنه لا يعلم".

بدا الارتباك على الرجل ذي الشعر الخشن" .هل تواصلت كاثرين معك؟"

"لا".

"وماذا عن روبرت لانغدون؟"

"لا".

أومأ الرجل الآخر برأسه" .كلاهما صحيح".

حك الرجل ذو الشعر الخشن رأسه، كأنه يفكر في سؤاله التالي.

كانت رجفة فوكمان تزداد عنفا الآن مع اشتداد البرد" .هل يمكنكم تشغيل التدفئة على الأقل؟"

"عفوا، هل أنت منزعج؟ "مد الرجل يده فوق مقعد السائق وضغط على زر في لوحة القيادة. ولكن بدلا من أن تعمل المدفأة، انخفض زجاج نافذة السائق. فهبت عاصفة من الهواء البارد تلفح الشاحنة من داخلها" .أفضل الآن؟"

بدأ فوكمان يوقن بأنه قد يكون بالفعل في خطر حقيقي هذه الليلة.

ومن خلال النافذة المفتوحة، سمع مرة أخرى تلك الأصوات الميكانيكية من الخارج، ولكنها كانت أعلى هذه المرة، وأدرك حينها حقيقة ما كان يسمعه... إنه الأزيز الذي لا تخطئه أذن، أزيز محركات نفاثة.

يا للهول... ألعلني في قاعدة عسكرية؟

الفصل الرابع والثلاثون

أثلج صدر لانغدون أن رأى ساشا فيسنا تفتح عينيها. فقد انقضت دقائق عدة منذ أن اجتاحتها تلك النوبة العاتية، وها هي ذي الآن تبدو وكأنها بدأت تستجمع شتات نفسها.

همست ساشا وهي تنظر إليه" :شكراً لك."...

قال لانغدون" :أنا آسف جداً، لم أستطع العثور على دوائكِ في حقيبتك."

قالت" :لا بأس. ما كنتُ أحتاجه... إنه في جيب خفي. أنا بخير."

ساعدها لانغدون على النهوض إلى وضع الجلوس، وقد أسندت ظهرها إلى الكبسولة، وأخذت ساشا تحرك أصابع يديها وقدميها برفق، كأنما تحاول استعادة السيطرة على جسدها. وقد خيم على المكان الآن سكون مطبق، بعد أن توقفت مراوح التبريد وصمتت أصوات الصفير المنذرة حالما أُجهضت عملية جهاز .EPR

اتكأت ساشا على الكبسولة وبدا أنها غابت عن وعيها مرة أخرى، فأغمضت عينيها وأخذت تتنفس بعمق، كأنها لا تزال بحاجة إلى وقت لتستعيد توازنها. وبعد عشر ثوانٍ، انفتحت عيناها، فصُدم لانغدون بتبدل

نظرتها، التي غدت فجأة أشد قوة وتركيزاً، كأنما أجبرت نفسها على أن تطوي آلامها وتواصل المضي.

قالت ساشا بصوت بات هو الآخر أكثر ثقة" :أحتاج إلى ماء، من فضلك."

"بالطبع ."نهض لانغدون على الفور، وقد تذكر أن جفاف الفم هو أحد أكثر الأعراض شيوعاً بعد النوبة.

أشارت نحو الباب" :مكتبي... زجاجة... مائي."

استدار لانغدون وأسرع ماراً بطاولة عمل، فلمح حقيبة جلدية موضوعة على سطحها. إنها حقيبة غيسنر من الحانة الليلة الماضية. واصل سيره في الردهة إلى جناح المكتب، حيث التقط زجاجة الماء الأرجوانية ذات الكتابة السيريلية التي رآها سابقاً. كانت شبه فارغة، وفي طريق عودته، توقف لانغدون لملئها في حمام المختبر.

وعند الحوض، وبينما كان يضع أصابعه تحت الماء المنساب منتظراً إياه أن يبرد، حدق في انعكاس صورته المنهكة في المرآة، آخذاً لحظة ليهدئ من روعه. لقد كان العثور على جثة غيسنر أمراً مروعاً، لكن موتها ضاعف أيضاً من مخاوف لانغدون على سلامة كاثرين.

أين هي الآن؟

داهمته فجأة سلسلة من الأفكار. كان قد لمح حقيبة غيسنر على طاولة عمل بالقرب من الكبسولة وتذكر قولها الليلة الماضية إنها بحاجة للعودة إلى المختبر لسبب ما بعد تناول الشراب. من المحتمل جداً أن غيسنر كانت محتجزة بالفعل في الكبسولة عندما وصلت كاثرين إلى هنا لحضور اجتماعهما في الساعة الثامنة صباحاً.

هل واجهت كاثرين مهاجم غيسنر وجهاً لوجه؟

وبينما كان الماء يتقرقر في القارورة، استرعى انتباهه وميض حركة من خلف لانغدون .وقبل أن يستدير من أمام الحوض، قبضت على ساعده قبضة من حديد، ولوته خلف ظهره، وضغطت برأسه على صفحة المرآة. سقطت زجاجة الماء على الأرض.

سأله الرجل بلهجة آمرة، وهو يضغط بكتفه على ظهر لانغدون ويثبت رأسه على المرآة" :أين هما؟."!

شعر لانغدون بفوهة مسدس تنغرز في أضلاعه، ولمح في المرآة الوجه الغليظ للملازم بافل.

كرر ضابط جهاز الاستخبارات والأمن ÚZSI سؤاله، وهو يلوي ذراع لانغدون خلفه بحدة أكبر" :أين غيسنر وسولومون؟ أعلم أنهما هنا في الأسفل... مع شخص آخر وصل للتو."

قال لانغدون من بين أسنانه المصطكة" :كاثرين ليست... هنا. وغيسنر... ماتت."

صاح بافل بصوت يشبه صوت رئيسه إلى حد بعيد" :هراء."!

تساءل لانغدون عما إذا كان ياناتشيك في طريقه إلى هنا أيضاً. قال متألماً، وقد خشي أن ينخلع ذراعه" :ولم قد أكذب؟."

زمجر الملازم وهو يلوي مرفق لانغدون بإحكام مستحيل" :الفرصة الأخيرة. أخبرني أين."...

دوى صوت ارتطام معدني ثقيل، وعلى الفور ارتخت قبضة بافل وانهار على الأرض، وصلصل مسدسه بعيداً. استدار لانغدون ليرى ساشا فيسنا خلفه، وهي تحمل طفاية الحريق ذاتها التي هددته بها سابقاً. كانت نظراتها خائفة وهي تحدق في ملازم جهاز الاستخبارات والأمن الملتف بلا حراك عند قدميها.

قالت" :لم أدرِ ما عساي أن أفعل... لقد كان يؤذيك."!

نظر لانغدون إلى بافل .لا دماء، لكن الرجل كان فاقداً للوعي بالتأكيد.

قال لانغدون بجهد، وهو يأخذ العبوة المعدنية برفق من ساشا بذراعه المؤلم ويضعها على الأرض" :لا... بأس."

سألت بقوة" :من هو؟."

قال لانغدون وهو يلتقط مسدس بافل ويضعه في الحوض بعيداً عن متناول اليد" :ملازم في جهاز الاستخبارات والأمن ÚZSI. سيحتاج إلى طبيب."

قالت" :إنه بخير. إنها رض في الفص الجداري الخلفي، سيفقد وعيه لبضع دقائق، ثم سيصاب بصداع شديد."

ذكّر لانغدون نفسه بأن ساشا تعمل لدى عالمة دماغ.

سألت ساشا" :ولكن كيف نزل إلى هنا؟."

لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة، ربما وصل فريق الهدم التابع لجهاز الاستخبارات والأمن بالفعل وحطموا الباب. لقد كانت أجهزة الإنذار في الآلات صاخبة، وربما لم يسمع لانغدون صوت الاقتحام. والآن أنا متورط بشكل مباشر في الاعتداء على ملازم من جهاز الاستخبارات والأمن.

قال لانغدون وهو يستعرض الخيارات في رأسه بسرعة" :ساشا، يجب أن أصل إلى السفارة الأمريكية في أسرعِ وقت ممكن. هناك رجل يساعدني. اسمه مايكل هاريس."

بدت ساشا متفاجئة" :أعرف مايكل. إنه صديق مقرب."

"تعرفينه؟ "!ذهل لانغدون لأن هاريس لم يذكر قط أنه يعرف مساعدة بريجيتا غيسنر في المختبر.

قالت ساشا" :إنها ليست صداقة نعلنها على الملأ. موظف في الحكومة الأمريكية... وروسية قُحّة."...

بالطبع، أدرك لانغدون .السياسة مظهر قبل أن تكون جوهراً. فبالنظر إلى العداء المتنامي بين الولايات المتحدة وروسيا، فإن قضاء مسؤول في السفارة وقتاً مع مساعدة مختبر روسية من شأنه أن يثير الريبة بالتأكيد.

قالت" :على أي حال، لا يمكننا الذهاب إلى السفارة من هنا. الأمر شديد الخطورة. سيفرض جهاز الاستخبارات والأمن طوقاً عليها، ويفتشون كل سيارة تقترب. يجب أن نرسل رسالة نصية إلى مايكل ونجعله يقلّنا من شقتي في سيارة رسمية تابعة للسفارة. سيكون ذلك أكثر أماناً."

خطر ببال لانغدون أنه بالنسبة لامرأة عانت لتوها من نوبة صرع حادة، كانت ساشا فيسنا تفكر بوضوح أكثر منه. إذن إلى شقتها، فكر، شاكراً مساعدتها وآملاً أن يتمكن من الاتصال بكاثرين قريباً" .هل هناك مخرج من هنا غير الباب الأمامي؟."

قالت ساشا وهي تلتقط مسدس بافل من الحوض وتضعه في حقيبتها" :لا، هذا هو المخرج الوحيد."

قال لانغدون بقلق" :مهلاً، لستُ متأكداً من أن سرقة سلاح من جهاز الاستخبارات والأمن."...

"لن أستخدمه، لكن هذا العميل سيستعيد وعيه في غضون دقيقة، وإذا قرر اللحاق بنا، فأفضل ألا يكون معه مسدس."

حجة لا يمكن دحضها، فكر لانغدون .كان بافل قد بدأ بالفعل يئن ويرتعش.

استعادت ساشا زجاجة مائها الأرجوانية، التي كانت قد سُحقت تحت حذاء بافل في العراك. نظرت بحسرة إلى النص الروسي المكتوب بخط اليد. قالت وهما يبدآن السير في الردهة" :أعطتني بريجيتا هذه. لتذكرني بأن أبقى رطبة. أنا أنسى دائماً. تقول، اشربي الماء."

وضعت ساشا الزجاجة داخل مكتبها مباشرة وقادت لانغدون إلى الدرج، حيث صعدا في صمت إلى الطابق العلوي. كان يأمل ألا يكون ياناتشيك منتظراً في البهو. وفي الأعلى، وصلا إلى الباب الأمني، الذي توقع لانغدون أن يجده محطماً ومخلوعاً من مفصلاته.

لم يكن كذلك.

بحذر، أطلت ساشا من النافذة الصغيرة. ويبدو أنها لم تر شيئاً، فدفعت الباب وفتحت ونظرت حولها. أشارت إلى لانغدون ليتبعها، وقادته إلى الخارج إلى البهو البارد المتجمد، الذي كان مهجوراً. ومع إغلاق باب الدرج خلفهما، أصدرت لوحة الأمن صفيراً راضياً وتحولت إلى اللون الأحمر.

وخَطَوا فوق الزجاج المهشم الذي تكسر تحت أقدامهما، خرج لانغدون وساشا من المبنى إلى الممشى. كان كل شيء هادئاً. كانت سيارة ياناتشيك السيدان لا تزال متوقفة في الأمام، لكن النقيب لم يكن له أثر.

فكرت ساشا للحظة" .اتبعني."

قادت لانغدون إلى اليمين، بعيداً عن الحصن، ووصلت إلى فتحة في الجدار الاستنادي. ومن هناك، نزلا درجاً حجرياً أفضى بهما إلى منحدر تغطيه الأشجار. كان هذا الجزء من التل أقل انحداراً بكثير من الجرف المحيط بفناء

الحصن، ومع ذلك كان الثلج تحت الأقدام زلقاً، وكان يواجه بالفعل صعوبة في الثبات بحذائه ذي النعل الأملس.

كانت ملابس لانغدون هذا الصباح – سترة من صوف ديل وحذاء جامعي بدون أربطة – استعداداً لزيارة مختبر علمي... لا للهروب أسفل جبل.

وبينما بدأ لانغدون يشق طريقه متعثراً بين الأشجار، وضع نصب عينيه الوصول إلى الأسفل سالماً. هذا المنحدر، كما أدرك الآن، ينزل مباشرة إلى حديقة فوليمانكا.

ومن هناك، كما أمل، سيارة أجرة إلى شقة ساشا.

ومن حيث كان الغولم يتربص، كان يرى مشهداً مثالياً للأستاذ الأمريكي وهو ينزلق بتعثر على المنحدر المشجر باتجاه حديقة فوليمانكا .كان وجود روبرت لانغدون غير المتوقع في الحصن هذا الصباح، إلى جانب وجود جهاز الاستخبارات والأمن، إحدى العقبات الكثيرة غير المتوقعة في خطة الغولم.

ستحتاج خطته لدخول العتبة إلى تأخير طفيف، ومع ذلك، فقد سنحت للتو فرصة جديدة.

فرصة لا أنوي إضاعتها البتة.

نزل الغولم بحذر على المنحدر الزلق، واثقاً من أن لا لانغدون ولا ساشا لديهما أدنى فكرة عن وجوده هناك.

الفصل الخامس والثلاثون

كان بهو فندق فور سيزونز يفوح بعبق الورود.

تمامًا كالورود التي كان مايكل يجلبها لي**، هكذا حدثت دانا دانيك نفسها وهي تتقدم بخطى ثابتة نحو مكتب الاستقبال. كانت قد فتشت ردهة الفندق والمطعم، ولكن لم يكن لمايكل وصاحبته الفاتنة أثر في أي مكان.**

إنهما في الطابق العلوي إذن...

وما إن اقتربت دانا من الرجل الواقف خلف مكتب الاستقبال، حتى ارتسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة، وقدمت له بطاقة هويتها من سفارة الولايات المتحدة. قالت بنبرة تفيض عذوبة" :صباح الخير سيدي، أعتذر عن إزعاجك. أنا من سفارة الولايات المتحدة هنا في براغ، ورئيسي في العمل، السيد مايكل هاريس، موجود في فندقكم الآن. وقد طلب مني أن أسلمه شيئًا على وجه السرعة. لربما رأيته يدخل قبل نحو ربع ساعة؟ إنه رجل طويل القامة، أمريكي من أصل أفريقي"...

"أجل، بالطبع، "قال الرجل وهو يعيد إليها بطاقتها" .السيد هاريس في الطابق العلوي، في الجناح الملكي. هل تودين أن أسلم له شيئًا؟"

"لا، شكرًا لك، "أجابت" .إنها وثيقة دبلوماسية حساسة، ويتوجب عليّ تسليمها له شخصيًا. هلا ذكرتني برقم الجناح الملكي؟"

أرشدها موظف الاستقبال إلى الجزء الخلفي من الفندق، وبعد دقيقة واحدة كانت دانا قد صعدت درجًا خاصًا، ووجدت نفسها واقفة في بهو خارج أغلى غرف الفندق ثمنًا.

حقًا يا مايكل؟ الجناح الملكي؟!

طرقت دانا الباب طرقًا خفيفًا وصاحت" :خدمة الغرف! خدمة الغرف"!

كانت تتوق لرؤية وجه مايكل حين تدخل عليه. ألصقت أذنها بالباب لتسترق السمع، فأحست بحركة واضحة في الداخل.

صاحت مرة أخرى وهي تطرق بقوة أكبر" :خدمة الغرف"!

اقتربت خطوات من الباب، فانفرج قليلاً، وأطلت منه عينان مألوفتان تشبهان عيني ظبية. قالت المرأة التي رأتها على الجسر" :أعتذر، هل يمكنكِ العودة"...

اندفعت دانا بكل قوتها نحو الباب، فدفعت المرأة الضئيلة الجسد إلى الوراء لتسقط على الأرض. اقتحمت دانا الجناح ومضت مباشرة عبر غرفة الجلوس إلى ما كان من الواضح أنه غرفة النوم الرئيسية.

فارغة.

تفقدت دانا الحمام الرئيسي.

فارغ.

لا أثر لمايكل في أي مكان.

كان الجناح في حالة من الفوضى العارمة؛ أدراج الخزانة مفتوحة، وحقائب السفر مفتوحة، بل وحتى خزانة الفندق كانت مواربة... كأنما كانت الغرفة... تُفتش؟

وحين عادت دانا إلى غرفة الجلوس، كانت المرأة ذات الغمازتين في انتظارها، تحدق فيها من فوق فوهة مسدس أسود قاتم مهيب، مصوب مباشرة إلى جبهتها.

يا إلهي!

قالت المرأة بهدوء مخيف" :سأسألك مرة واحدة فقط. ماذا تفعلين هنا؟ " كانت لهجتها أمريكية.

إن ثبات صوت المرأة، وثبات يدها التي تمسك بالسلاح، يوحيان بأنها ليست غريبة عن إطلاق النار. لم يحدث قط أن صُوّب مسدس نحو دانا، وكانت التجربة كفيلة بأن تعيد إليها رشدها.

سمعت نفسها تقول" :أنا... أبحث عن... مايكل هاريس".

ظل المسدس مصوبًا نحوها" .إنه ليس هنا".

كانت دانا قد لاحظت أن سيارة السفارة لم تعد تقف أمام الفندق حين دخلت، لكنها افترضت أن مايكل قد طلب من سائقه أن يركنها في مكان آخر حتى لا يلفت الانتباه.

قالت المرأة" :عليكِ أن تغادري فورًا. هذا الأمر لا يعنيكِ".

"بل يعنيني تمامًا، "ردت دانا وقد استعادت رباطة جأشها" .أنا موظفة في سفارة الولايات المتحدة، وأنتِ تصوبين مسدسًا نحوي. وفوق ذلك، يبدو أنكِ تفتشين غرفة فندقية لمواطنين أمريكيين".

"كما قلت، "كررت المرأة وهي تتقدم خطوة إلى الأمام والمسدس لا يزال مصوبًا" .هذا الأمر لا يعنيكِ".

***من أنتِ بحق السماء؟ !* أدركت دانا أن لديها ورقة واحدة فقط لتلعب بها. ألقت نظرة من النافذة الكبيرة باتجاه جسر تشارلز وقالت" :أنا أعرف ما حدث على ذلك الجسر هذا الصباح. أين إكليل الشوك الذي كنتِ ترتدينه؟"**

لم يرف للمرأة ذات المسدس جفن. بل تقدمت خطوة أخرى نحو دانا .

قالت بحزم" :أيًّا كنتِ، فإنني أوصيكِ بشدة أن تعودي إلى السفارة وتتحدثي إلى سفيرتكِ قبل أن تذكري هذا الأمر لأي شخص كان".

"أولاً، أخبريني أين مايكل هاريس".

"سفيرتكِ أرسلته ليمنحني حق الدخول إلى هذا الجناح، وقد فعل، ثم غادر. هذا كل ما أعرفه عنه ".ثم أشارت نحو المخرج" .والآن غادري. وأغلقي الباب خلفكِ".

انتظرت الضابطة الميدانية سوزان هاوسمور حتى سمعت طقة الباب وهو يُغلق، قبل أن تخفض سلاحها وتضعه في جرابه الخفي عند أسفل ظهرها. ثم أخرجت هاتفها وأجرت مكالمة آمنة مع السيد فينش في لندن.

وعلى الجانب الآخر من المدينة، في المقعد الخلفي لسيارة السفارة التي كانت تنطلق مسرعة نحو حصن كروسيفيكس ، شعر مايكل هاريس بالارتياح لإتمامه المهمة الغريبة التي كلفته بها السفيرة في فندق فور سيزونز . فالشخص الذي أُمر بـ"مساعدته" قد أخذ منه مفتاح الغرفة الذي سلمه إياه بتحفظ، دون حتى أن ينظر في عينيه.

يا لها من مهنية رفيعة.

ومع ظهور حصن كروسيفيكس في الأفق، سُرَّ هاريس لعدم وجود أي علامات تدل على فريق تفكيك أو أي مركبات إضافية لجهاز الاستخبارات والأمن .(ÚZSI) من الواضح أن اتصال السفيرة بياناتشيك قد أوقفه عند حده، وكان هاريس يتوق للقاء روبرت لانغدون مرة أخرى، كما وعد.

ولكن ما إن ترجل هاريس من السيارة، حتى تملك منه التردد. فقد بدا الباب الأمامي للمختبر محطمًا ومشرعًا .*ما الذي حدث هنا بحق الجحيم؟ !*

وبينما كان يهرع نحو الباب، خرج منه أحد عملاء جهاز الاستخبارات وهو يترنح ويمسك برأسه. عرفه هاريس، لقد كان ذلك الملازم المفتول العضلات الذي كان يقود سيارة ياناتشيك هذا الصباح عند فندق فور سيزونز.

ركض هاريس ليسند الرجل" .هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟"!

ولماذا الباب الأمامي محطم؟

تلعثم الرجل قائلاً" :كاثرين سولومون... لقد... ضربتني"...

لم يكن في هذا الادعاء أي منطق" .أمتأكد أنها كانت الدكتورة سولومون؟"

"رأيتها في المرآة... طويلة... شقراء"...

ليست كاثرين سولومون بالتأكيد .كان هاريس يعلم أن هناك شقراء طويلة واحدة فقط يمكنها الدخول إلى هذا المختبر، وهي مساعدة غيسنر، ساشا

فيسنا، وكان يستبعد أن تكون ساشا قادرة على ارتكاب أي عنف" .أين روبرت لانغدون؟"

"لقد هرب... معها".

بدت القصة هذياناً، ومع ذلك لاحظ هاريس الآن سلسلة من آثار الأقدام تغادر الممشى الأمامي... كأنها تتجه نحو الغابة .*أهرب لانغدون؟!*

"هل رأيت أي شخص آخر في الداخل؟ "*الدكتور غيسنر مثلاً؟*

"لا... صعدت مباشرة لأبلغ قائدي بما حدث ".أشار الملازم إلى الطرف البعيد من الساحة" .إنه هناك".

نظر هاريس باتجاه الحافة، لكن ياناتشيك لم يكن في أي مكان" .أنا لا أراه".

"لقد خرج إلى هناك ليجري مكالمة هاتفية"...

لم يتفاجأ هاريس .فمن المحتمل أنه كان يحاول احتواء الأضرار بعد حديثه مع السفيرة" .يجب أن تجلس يا حضرة الملازم".

كان الرجل يتحرك بالفعل نحو حافة المرتفع، فجمع هاريس حفنة من الثلج وأسرع ليلحق به" .تفضل. ضع هذا على رأسك".

أخذ الرجل كرة الثلج وضغط بها على مؤخرة جمجمته وهو يمشي" .لقد كان هنا يتحدث في الهاتف... ولكنه لم يعد إلى الداخل أبدًا".

رأى هاريس شبكة من آثار الأقدام المتشابكة على حافة المرتفع، كأن ياناتشيك كان يسير ذهابًا وإيابًا، أو ربما انضم إليه شخص آخر، لكن المكان كان الآن مقفرًا. ومع اقتراب الرجلين من الحافة، توقف الملازم والتقط شيئًا معدنيًا من على الأرض. نفض عنه الغبار، وقد اتسعت عيناه قلقًا. صاح قائلاً" :هذا هاتفه"!

لماذا قد يترك ياناتشيك هاتفه؟

تحركا بتردد الأمتار القليلة المتبقية إلى حافة الوادي، وألقيا نظرة من فوق المرتفع. كان المشهد في الأسفل مروعًا. ففي قاع الهوة، ممددة بشكل بشع ومحطمة على الصخور، كانت ترقد جثة في حلة داكنة. كان رأس الرجل محاطًا بدائرة من الثلج الأحمر تمتد لعدة أقدام في كل اتجاه. وحتى من هذا الارتفاع، لم يساور هاريس أدنى شك في أنه قد فارق الحياة... ولا أدنى شك في هويته.

يا إلهي... أقفز ياناتشيك؟

بجانب هاريس، استدار الملازم وأطلق زئيرًا كحيوان جريح. تردد صوته في الأرجاء حاملاً ألم الفقد الحقيقي... وغضبًا جامحًا لا يمكن السيطرة عليه.

الفصل السادس والثلاثون

أحنى لانغدون رأسه في وجه الريح، وهو وساشا فيسنا يهبطان المنحدر الذي تكتنفه الأشجار، مبتعدين عن الحصن. وقد وفّر غطاء الأشجار الكثيف من الأرض اليابسة ما يكفي، فتمكن لانغدون من الهبوط برشاقة فاقت ما كان يتوقعه، وقد زلّت به القدم مرات على الثلج الأملس، ولكنه ظل محافظًا على خطى ثابتة.

ولما انبثقا من بين الأشجار إلى حديقة فوليمانكا،كان حذاء لانغدون الخفيف قد تغطى بالثلج وتجمدت قدماه. وتناثرت على الممرات أفواج قليلة من المارة، وقد طأطأوا رؤوسهم، يشقون طريقهم إلى أعمالهم.

ودون أن ينبسا ببنت شفة، قادتهما ساشا مسرعة عبر الحديقة، متجهة جنوباً. وبينما كانا يمران بنافورة فوليمانكا، همست ساشا قائلة" :أنا على يقين أن كاثرين لم تدخل الحصن هذا الصباح... فالشاشة في كبسولة EPRأظهرت أن بريجيتا كانت في تلك الكبسولة منذ ساعة متأخرة من الليلة الماضية، وهي مدة أطول بكثير مما يمكن لأي شخص أن يبقى على قيد الحياة."

أمل لانغدون أن يعني هذا أن كاثرين قد وصلت إلى المختبر، فلم تجد جواباً عند جرس الباب، فعادت أدراجها إلى الفندق. لعلنا تقاطعنا في الطريق،

هكذا قال لنفسه، محاولاً أن يتجاهل ذلك الشعور الملح بأن مكروهًا قد أصاب كاثرين .وقد اعتراه رعب مريع من فكرة فقدانها.

على مدى الأيام الثلاثة الماضية، لم يفترق هو وكاثرين لحظة واحدة، وقد أذهل لانغدون كيف أن صداقتهما العابرة، بعد ما يقرب من خمسة وثلاثين عاماً، قد اشتعلت لتتحول إلى علاقة غرامية عفوية جياشة، باغتتهما كليهما على حين غرة.

لقد استمتع لانغدون بتلك الأيام التي قضياها معاً. فقد أخذ كاثرين لترى تمثال يسوع الطفل في براغ الغريب الذي تحيط به هالة من التقديس الوثني، حيث يُعرّى ويُكسى في طقوس متكررة كأنه دمية مقدسة. وأراها إنجيل الشيطان الغامض، الذي يزن مائة وخمسة وستين رطلاً، وهو أضخم كتاب في العالم، وترتبط به أسطورة مرعبة عن راهب زانٍ، وجلود مائة وستين حماراً، والموت "بالتخليد" (أي البناء عليه حياً)... بل وتجرأ على حث كاثرين على تذوق طبق "تلاتشينكا (tlačenka) "المحلي، أو "هلام اللحم"، والذي وافقته على أنه لذيذ بشكل مدهش على الرغم من أنه مصنوع من رؤوس الخنازير.

وكانت كاثرين أيضاً تعيش نشوة عارمة في الأيام القليلة الماضية، فقد فرغت لتوها من مخطوطة كتابها. وبمزيج من الحماس والتحفظ الخجول،

كانت قد حدثت لانغدون عنه بشكل عام، متصدية بمرح لمحاولاته لمعرفة المزيد من تفاصيل الكتاب حتى لا تفسد عليه المفاجآت. لكنه تذكر أنها كانت قلقة في الغالب بشأن ما إذا كان القراء والنقاد سيتقبلون الأفكار الجديدة.

قالت بالأمس وهي ترتشف قهوتها في مقهى لا بوهيم الأنيق" :فلنواجه الأمر، إن العقل البشري يكره التغيير، ويمقت التخلي عن المعتقدات الراسخة."

ابتسم لانغدون .لهذا السبب تصمد الأديان لآلاف السنين على الرغم من جبال الأدلة التي تناقض معتقداتها.

اشتكت كاثرين" :قبل ثلاثين عاماً، أثبت الفيزيائيون أن الاتصال بين جسيمين متشابكين هو اتصال فوري... ومع ذلك ما زلنا نعلّم مقولة أينشتاين بأن 'لا شيء ينتقل أسرع من سرعة الضوء."!'

كانت التجربة الأصلية، كما تذكر لانغدون، تتضمن استخدام مغناطيس لعكس قطبية جسيم واحد متشابك، مما يؤدي إلى انعكاس قطبية "توأمه" على الفور، سواء كان في نفس الغرفة أو على بعد أميال. ولزيادة الرهان، أجرى علماء صينيون في وقت لاحق التجربة ذاتها باستخدام الأقمار الصناعية لإثبات أن جسيمين متشابكين يظلان "متصلين فورياً" على

مسافة ألف ومائتي كيلومتر. ونشرت مجلة Science القصة على غلافها بعنوان "الصين تحطم الرقم القياسي لـ'الفعل الشبحي عن بعد'"، في إشارة إلى العبارة التي صاغها ألبرت أينشتاين في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين لوصف هذه الظاهرة.

واصلت كاثرين حديثها" :وقد مضت عقود منذ أن أثبتنا مراراً وتكراراً أن الفكر البشري، عندما يكون مركزاً، يمكنه حرفياً تغيير كيمياء الجسد. ومع ذلك... فإن فكرة الشفاء عن بعد لا تزال تُفند بتشكك من قبل الخبراء الطبيين على أنها ضرب من الشعوذة."

إن العقل المتعنت يمكن أن يكون جبلاً أشم لا يتزحزح، فكر لانغدون، الذي كان يدهشه دائماً كيف أن الكثير من الناس لا يزالون يؤمنون بحماسة بأن البشر أتوا من آدم وحواء على الرغم من الأدلة العلمية الدامغة على التطور.

روى لانغدون" :لدي طالبة حاصلة على معدل ذكاء يبلغ 148، تصر على أن عمر الأرض ستة آلاف عام. فأخذتها إلى قسم الجيولوجيا في نهاية الردهة وأريتها أحفورة عمرها ثلاثة ملايين عام. فهزت كتفيها ببساطة وقالت: 'أعتقد أن الله وضع تلك الأحفورة على الأرض كخدعة... ليختبر إيماني.'"

ضحكت كاثرين" :إذا كنت تظن أن المتعصبين دينياً مرتبطون بآرائهم على نحو غير منطقي، فعليك أن تقابل الأكاديميين الراسخين في التعليم العالي."

"أنا أكاديمي راسخ في التعليم العالي."!

"ولطالما كنت متشككاً يا روبرت. تقليدي، ولكنك ظريف."

أمال لانغدون رأسه" :تقليدي؟ أنا أصغر منكِ سناً... أكره أن أذكركِ."

قالت وهي تومض بابتسامة ساحرة" :حذار... لقد حضرت حلقتي الدراسية الجامعية مرتين يا فتى الهوى، وأنا على يقين تام أنك لم تكن تحدق في شرائح العرض التي كنتُ أقدمها."

ضحك لانغدون بصوت عالٍ" :مذنب كما اتُّهمت."

واصلت حديثها" :المقصد هو أن لا أحد يحب التغيير. والأكاديميون المتحجرون يميلون إلى التشبث براحة معتقداتهم القائمة لفترة طويلة بعد أن تصبح نماذجهم بالية بوضوح. لهذا السبب، يصبح تأسيس نموذج علمي جديد – مثل نموذج الوعي البشري – عملية محبطة وبطيئة بشكل استثنائي."

فكر لانغدون في كتاب توماس كون الكلاسيكي الصادر عام 1962، The Structure of Scientific Revolutions(بنية

الثورات العلمية)، الذي يصف كيف أن التحولات النموذجية لا تحدث إلا عند بلوغِ كتلة حرجة من الظواهر غير المتوافقة. من الواضح أن كاثرين كانت تأمل أن يضيف كتابها وزناً كبيراً إلى هذا السعي المستمر لبلوغِ تلك الكتلة الحرجة.

قال لانغدون" :مخطوطتكِ... لم تخبريني بعد تحديداً ما هو اكتشافكِ العظيم."

ابتسمت كاثرين" :صبراً. أعتقد أنك ستجد الأمر برمته رائعاً جداً، لكني أفضل أن تقرأه وتعطيني رأيك."

دوى بوق سيارة، فتبخرت ذكريات المقهى الدافئة، وعاد لانغدون إلى صقيع حديقة فوليمانكا .ارتجف، وتبع ساشا خارجاً من الحديقة عبر بوابة حديدية، وقد سر برؤية صف من سيارات سكودا السيدان الصفراء واقفة في صف عند موقف لسيارات الأجرة.

صعدا إلى أول سيارة أجرة، وقد شعر لانغدون بامتنان شديد لدفء المقصورة. أعطت ساشا السائق عنواناً، وانطلقت السيارة في شارعِ سيكانينوفا.

ثم أخرجت هاتفها وأجرت مكالمة عبر مكبر الصوت.

أجاب صوت مايكل هاريس المألوف" :ساشا؟."!

صاحت بصوت مفجوع" :مايكل! لقد حدث شيء فظيع لـ بريجيتا ."!

وروت ساشا باكية اكتشافهما المروع.

قال هاريس بصوت مذهول" :أنا آسف جداً. لم يكن لدي أدنى فكرة. أنا هنا في الحصن الآن."

اللعنة، لقد فاتنا للتو، أدرك لانغدون.

أضاف هاريس" :جهاز الاستخبارات والأمن ÚZSI هنا أيضاً. ليس لديهم أي فكرة عن أن بريجيتا ماتت."

لا بد أن بافل لم ير الجثة.

قال هاريس" :ساشا، هل هاجمتِ ضابطاً من جهاز الاستخبارات والأمن؟."!

ترددت، وقد أصابتها الدهشة" :لقد هاجم روبرت لانغدون! لم أدرِ ما عساي أن أفعل."

سأل هاريس بحدة" :لانغدون؟ هل هو معكِ؟."

"نعم، أراد أن يستقل سيارة أجرة إلى السفارة، ولكن."...

"فكرة سيئة. سيعترضه جهاز الاستخبارات والأمن."

"أعلم. لذا سآخذه."...

قاطعها هاريس" :لا تقوليها على الهاتف! أعلم إلى أين أنت ذاهبة. أبلغي هاري وسالي تحياتي. سأكون هناك بأسرعِ ما يمكن. ربما خلال عشرين دقيقة. ابتعدي عن الهاتف."

انتهت المكالمة.

سأل لانغدون" :هاري وسالي؟."

"قطتاي. لم يردني أن أقول إننا ذاهبان إلى شقتي."

ذكي" .يبدو أنكِ تعرفينه جيداً."

أومأت برأسها، وقد بدا عليها الخجل تقريباً" .منذ شهرين تقريباً."

قال لانغدون" :ومن الواضح أنكِ تثقين به."

"أجل ."ترقرقت الدموع في عيني ساشا فجأة" .سيعرف كيف يساعدك."

وماذا عن مساعدتكِ أنتِ؟ أمل لانغدون أن تتمكن السفارة من حماية المرأة الروسية على الرغم من هجومها على ملازم من جهاز الاستخبارات والأمن. تمنى لو أن ساشا سألت هاريس عن أي معلومات جديدة بشأن كاثرين، لكن الملحق بدا أنه لا يثق بالهواتف بقدر ما لا تثق بها ساشا، وربما لم يكن ليقول أي شيء على أي حال.

سأتحدث إلى هاريس قريباً في منزل ساشا.

إلى جانبه، أغمضت ساشا عينيها واستقرت في مقعدها. بدأت تهز جسدها برفق، كأنها تحاول أن تسري عن نفسها. إنها بحاجة إلى الهدوء، فكر. لقد عانت لتوها من نوبة صرع، فضلاً عن عراك جسدي مع ضابط من جهاز الاستخبارات والأمن، وها هي ذي الآن تعرض نفسها للخطر لتقود لانغدون إلى بر الأمان، كل ذلك بعد أن شهدت الميتة الشنيعة لمعلمتها.

نظر لانغدون في ساعته. أشارت أذرع ميكي ماوس الممدودة إلى أن الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحاً بقليل... ساعات قليلة فقط منذ أن استيقظ في سلام وكاثرين بين ذراعيه.

بدا وكأنه دهر قد انقضى.

الفصل السابع والثلاثون

أخذ جسد لانغدون يمتص دفء سيارة الأجرة في نهم. فقد كانت رحلته الشاقة عبر حديقة فوليمانكا قد تركت في أوصاله صقيعا قارسا، فخلع حذاءه الخفيف الذي تراكم عليه الثلج، وأخذ يدلك أصابع قدميه المتجمدة. إلى جواره، لزمت ساشا الصمت، وعيناها ما تزالان مطبقتين.

لم يبرح طيف تلك المرأة التي رآها على جسر تشارلز يطارد خياله. فكل شيء في ذلك اللقاء العابر كان ينطق بأنه من عالم آخر... مشيتها التي تشبه سير الأطياف، وذلك الجمود الذي استبد بعينيها، وتلك الرائحة التي تنبعث من الموت، وكأن سمعها قد أصم عنه... فبدت وكأنها تقيم في واقع مواز لا يتقاطع مع عالمه.

فما من ليلة تمر في هذه المدينة المسكونة بأساطير السحر والموت، إلا وتُروى فيها حكايات عن ظهور الأشباح، وعلى رأسها أشهر أطيافها المحلية؛ فارس المعبد مقطوع الرأس الذي يجوب جسر تشارلز ساعيا للثأر لمقتله... والسيدة البيضاء في قلعة براغ التي كانت تطوف أسوار القلعة محاولة الفرار من سجنها بعد أن اتُهمت زورا بممارسة السحر... ووحش الغولم الطيني الذي ما زال يجوب الظلال قرب الكنيس اليهودي القديم حاميا للضعفاء.

كان لانغدون يعلم يقينا أن الأشباح لا وجود لها. وهي قطعا لا تترك آثارا في الثلج. فمهما كان الذي جرى على جسر تشارلز، فإنه من لحم ودم.

لطالما استمتع لانغدون بموروث براغ الخارق للطبيعة، حتى وهو يرفضه بفطرته. وفي هذا الصباح، شق عقله العقلاني طريقه عبر ضباب الخرافة، ليصل إلى نتيجة ناصعة لا لبس فيها. لم يكن هناك سوى ثلاثة تفسيرات ممكنة لوجود تلك المرأة المريب على جسر تشارلز.

أولها، احتمال أن يكون حلم كاثرين رؤيا صادقة معجزة تنبئ بحدث مستقبلي. فإن صح هذا، تكون كاثرين قد شهدت للتو واحدة من أشد تجارب الاستبصار وضوحا ودقة مما سجله التاريخ. لكن احتمال هذا يكاد يكون صفرا. فهو إذن مستبعد.

أما التفسير الثاني، فلا يقل عن الأول بعدا عن التصديق. وهو المصادفة. أن تكون امرأة ترتدي هالة، وتحمل رمحا، وتفوح منها رائحة الكبريت، قد عبرت الجسر بالصدفة بعد ساعات قليلة من حلم كاثرين .إن هذا من المستحيلات إحصائيا، حتى ليبلغ حد السخف.

ويبقى السيناريو الثالث – ورغم ما فيه من إزعاج – التفسير العقلاني الوحيد المتبقي. وكما يقول شرلوك هولمز" :عندما تستبعد المستحيل، فما يتبقى، مهما كان غير محتمل، لا بد أن يكون هو الحقيقة". أما الحقيقة غير

المحتملة في هذه الحال، فكانت أن شخصا آخر قد علم بأمر حلم كاثرين ...وأنه دبر هذا المشهد برمته.

لقد كان الأمر برمته مكيدة مدبرة.

ولكن... لماذا؟ وكيف؟

ظل سؤال "لماذا" يكتنفه الغموض، أما سؤال "كيف" فقد بدا معقولا بشكل يبعث على القلق. ففي أثناء جولة ترويجية لأحد كتبه في روسيا قبل بضع سنوات، كان لانغدون قد حُذّر من أن معظم غرف الفنادق الفاخرة في موسكو تزرع فيها الحكومة أجهزة تنصت. فهل يمكن أن تكون براغ على شاكلتها؟ لم تكن أجواء هذه المدينة تشبه موسكو في شيء، ومع ذلك، فإن للتاريخ ظلالا طويلة. فمنذ وقت ليس ببعيد، أمضت براغ خمسة وأربعين عاما خلف الستار الحديدي، وباستثناء فترة" ربيع براغ " القصيرة، هيمن المتشددون السوفييت على الأجواء هنا بفرض رقابة شاملة من قبل جهاز الاستخبارات السوفيتي .(KGB) وإذا كان هناك جناح واحد في براغ يستحق المراقبة، فهو الجناح الملكي في فندق فور سيزونز، الخيار الأول للمليارديرات وقادة العالم والدبلوماسيين.

هل كان هناك من يسترق السمع حين أخبرتُ كاثرين عن حلمها؟

فإن كانت الغرفة مراقبة، شعر لانغدون بالاشمئزاز وهو يتخيل أي لحظات خاصة قد تكون سُمعت، أو سُجلت، خلال أيامه القليلة الماضية التي قضاها في شغف معها.

ولكن من قد يكون المستمع؟ ياناتشيك؟ أم جهاز الاستخبارات والأمن (ÚZSI)؟

وأيا كان الدافع وراء إعادة تمثيل ذلك الحلم المزعج، فإن لانغدون قد سلك نفس الطريق عبر جسر تشارلز وفي نفس الوقت لثلاثة أيام متتالية، وقد أخبر كاثرين هذا الصباح أنه سيعود في السابعة.

لقد كان روتينه من الدقة بحيث يمكن التنبؤ به.

وبهذا المنطق، ازداد يقينه بأن الأمر برمته كان مكيدة مدبرة.

ولسبب غامض، كان هذا الشعور بالتدبير المسبق أشد إثارة للرعب في نفسه من وجود أي شبح حقيقي.

الفصل الثامن والثلاثون

استشاط السيد فينش غضباً.

لقد جاءه للتو اتصال هاتفي من ضابطته الميدانية في براغ، تحمل إليه نبأً مفاده أن مهمة التطهير البسيطة التي كُلفت بها في فندق فور سيزونز قد حادت عن مسارها المرسوم. كانت الضابطة الميدانية هاوسمور بمثابة عينه التي يرى بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها في كل الشؤون المحلية المتعلقة بمشروع 'العتبة(Threshold) '، وعلى الرغم من أن معرفتها بالمشروع كانت مجزأة ومحدودة، إلا أنها كانت تدرك أن السرية هي جوهر الأمر وأساسه.

فما الذي جرى بحق الجحيم؟!

إن مهمة كهذه في الفندق، بالنسبة لامرأة تتمتع بمهاراتها، كان ينبغي أن تكون أمراً هيناً لا يُؤبه له، ولكنها أفضت على نحو ما إلى مواجهة مسلحة مع موظف في السفارة.

يا للمصيبة...

وبينما الغيظ يتملكه، أجرى فينش اتصالاً آمناً بسفيرة الولايات المتحدة في براغ.

وفي فندق فور سيزونز، ألقت سوزان هاوسمور نظرة أخيرة على الجناح الملكي، متأكدة من أن كل شيء قد عاد أخيراً إلى نصابه. كانت منهكة من ليلتها التي قضتها ساهرة، لكنها شعرت بالثقة بأن مهمتها هنا قد أُنجزت الآن على أكمل وجه، على الرغم من ذلك العارض المؤسف الذي اعترض سبيلها.

لقد بدأت وقائع هذا الأمر الغريب قرابة الساعة الرابعة فجراً، حين أيقظها اتصال هاتفي من السيد فينش، الذي أصدر إليها أمراً هو الأغرب من بين كل ما تلقته من توجيهات قط. ولأنها كانت تعلم أنه لا مجال للسؤال عن أي تفسير، فقد وثبت من فراشها، واستلمت الطرد الذي كان قد تُرك لها سلفاً، وفضّت حزم "المكونات" المتخصصة التي تقتضيها هذه المهمة.

وبعد السادسة صباحاً بقليل، غادرت هاوسمور شقتها وهي تشعر كأنما هي في طريقها إلى موقع تصوير سينمائي لا إلى ميدان لتنفيذ مهمة. كانت ترتدي ثياباً سوداء بالكامل، تحمل غطاء رأس مزخرفاً مرصعاً بالمسامير ورمحاً فضياً ينذر بالشر. وفي جيبها، كانت تحمل زجاجة من سائل كريه الرائحة كاد أن يصيبها بالغثيان حين فتحت غطاءها لتشمه. وأياً كان الغرض من وراء هذه العملية، فقد كان فينش دقيقاً جداً في تحديد كيفية تنفيذها.

لقد اتبعت الضابطة الميدانية هاوسمور توجيهات فينش بحذافيرها، فقامت بمسيرتها الشبيهة بالغيبوبة عبر الجسر حين صدر الأمر. وبينما لم تكن تلك المسرحية الهزلية تعني لها شيئاً، إلا أنها ألقت في روعِ روبرت لانغدون فزعاً لا حدود له.

وعمت الفوضى.

وقد خمنت هاوسمور أن تلك الفوضى كانت على الأرجح هي غاية فينش . فقد كان خبيراً استراتيجياً محنكاً، عُرف عنه إعجابه بتكتيكات شخصيات تمتد من صن تزو إلى نابليون، يغتنم كل فرصة لتعزيز فعالية العمليات الميدانية من خلال إقحام الحرب النفسية كلما أمكن ذلك.

كانت "العمليات النفسية (Psyops) "سبيلاً لا تُسفك فيه دماء، قليل المخاطر، وفائق الفعالية لإضعاف الخصم. شَتِّت. زَعزِع. بَلبِل. إن العدو الذي تشتته الفوضى يتخذ قرارات سيئة ويصبح التلاعب به أيسر.

لقد أُنجزت المهمة، هكذا فكرت هاوسمور .فقد وصلها تقرير يفيد بأن روبرت لانغدون قد أطلق جرس إنذار الحريق وأخلى هذا الفندق. وها هي ذي الآن تلملم الخيوط الأخيرة. فبعد تفتيش شامل للجناح، أكدت للسيد فينش أنه لا توجد أي مخطوطات مطبوعة مخبأة في أي مكان، بما في ذلك

خزنة الفندق، التي كانت مفتوحة وغير مستخدمة. وقد قامت الآن بالتنظيف، وتركت الجناح كما وجدته.

ولكن قبل أن تغادر، كان هناك أمر أخير ينبغي إنجازه.

سارت الضابطة الميدانية هاوسمور إلى النافذة الكبيرة وألقت نظرة على باقة زهور الخزامى الفخمة، ذات الألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء، التي كانت قد أُرسلت قبل ثلاثة أيام إلى كاثرين سولومون من السفارة الأمريكية .
وكانت بطاقة التهنئة المكتوبة بخط اليد من السفيرة هايدي نيغل ملقاة على الأرض.

وقد لفحها هواء الشتاء الصقيعي، ذبلت الأزهار قبل أوانها، وانحنت سيقانها المرتخية إلى الخارج في كل اتجاه، فباتت بالكاد تستر الجهاز الإلكتروني الذي كان مخبوءاً بين أغصانها.

مدت هاوسمور يدها وانتزعت بعناية ميكروفون المراقبة المكافئ من طراز Sennheiser وجهاز إرسال FM. لقد وُضع جهاز التنصت هناك من قبل مكتب السفيرة الأمريكية، بناءً على طلب السيد فينش.

دسّت الجهاز في جيب معطفها، ونفشت الزهور الذابلة، وألقت نظرة أخيرة على الجناح.

ثم، وقد استنزفت قواها تماماً، توجهت هاوسمور إلى منزلها لتنال قسطاً من النوم.

الفصل التاسع والثلاثون

من خلال نافذة الشاحنة المفتوحة، كان جوناس فوكمان يسمع أزيزا حادا لمحركات نفاثة. كان يعلم أن في بروكلين قاعدة عسكرية أمريكية مغمورة، قريبة من مانهاتن على نحو يثير الدهشة، ولكنه لم يستطع أن يتذكر إن كان حصن فورت هاملتون يضم مطارا. وأيا كان المكان الذي أتوا به إليه، فقد بدا واضحا أن خاطفيه متورطون في أمر يفوق في خطورته مجرد قرصنة الكتب.

إن ثمة جهة نافذة تسعى للحيلولة دون نشر مخطوطة كاثرين سولومون . ولكن من عساها تكون؟ أهو عالم منافس ربما؟

وبينما كان يرتجف على أرضية الشاحنة المعدنية الصقيعة، أخذ يغوص في أغوار ذاكرته باحثا عن خيط، مسترجعا اللحظة التي علم فيها بوجود المخطوطة لأول مرة. كان روبرت لانغدون قد اتصل به ليسأله إن كان على استعداد لتناول الغداء مع صديقته اللامعة كاثرين سولومون، والاستماع إلى مقترحها المذهل لكتابها. وافق فوكمان على الفور، لعلمه بأن "لامعة" و"مذهل" ليستا من الكلمات التي يطلقها أستاذ هارفارد جزافا.

التقوا على طاولة فوكمان المفضلة في مانهاتن –المقصورة الخلفية في مطعم تراتوريا ديلارتي –حيث يُقدم المطبخ الإيطالي الأصيل في قاعة تشبه في

تصميمها مرسم فنان، تزين جدرانها لوحات ومنحوتات فريدة من نوعها، تجسد أنوفا إيطالية شهيرة. كان قد قرأ النبذة التعريفية التي أرسلتها له كاثرين سولومون، وأُعجب أشد الإعجاب بقائمة إنجازاتها العلمية، ومقالاتها المنشورة، وشهادة الدكتوراه التي حازتها في العلوم المعرفية، ومكانتها المرموقة في مجالها.

وحين جلسوا وجها لوجه، أدرك فوكمان في غضون دقائق أن كاثرين سولومون في الواقع أشد إبهارا مما تبدو عليه على الورق. فلم تكن تختلف عن لانغدون نفسه في كونها أنيسة المعشر، متواضعة، وثاقبة الذهن. كما كانت تتمتع بحضور آسر يجعلها بطبيعتها محط الأنظار – مزيج نادر من السحر والجمال الأخاذ، وهو ما يجعلها مناسبة تماما لعالم النشر الجديد والجريء في القرن الحادي والعشرين، والذي يعتمد اعتمادا كبيرا على وسائل التواصل الاجتماعي. وبعد حديث قصير وفتح زجاجة من نبيذ سولايا لعام ألفين وستة عشر، وهو نبيذ توسكان الفاخر المفضل لدى لانغدون، انساب الحديث بطبيعية نحو فكرة كتابها.

استهلت كاثرين حديثها قائلة" :بأبسط العبارات، سيكون الكتاب استكشافا للوعي البشري. وهو يستند إلى أبحاثي على مدى العشرين عاما الماضية.. فضلا عن العديد من اكتشافاتي العلمية الحديثة ".توقفت لحظة،

وارتشفت من نبيذها وهي تفكر" .كما تعلم على الأرجح، لقد ساد الاعتقاد طويلا بأن الوعي البشري نتاج عمليات كيميائية في الدماغ. وهذا يعني أن الوعي البشري لا يمكن أن يوجد بدون الدماغ".

***فكرة مثيرة للاهتمام، ولكنها بديهية إلى حد ما*، فكر فوكمان في نفسه. فقد كان من واجبه أن يظل متشككا حتى تأتيه فكرة تأسره تماما.**

قالت كاثرين وابتسامة غامضة ترتسم على شفتيها" :المشكلة هي أن هذا النموذج التقليدي للوعي غير صحيح".

ازداد اهتمام الرجلين.

"أنوي تأليف كتاب يسلط الضوء على نموذج ثوري جديد للوعي، سيكون له تداعيات تمس كل ما نعرفه عن الحياة... بما في ذلك طبيعة 'الواقع' ذاته".

رفع فوكمان حاجبيه في تقدير وابتسم" .من منظور النشر، ما أجمل الطموح العالي ".درس كاثرين بنظراته" .ولكن لدي سؤال واحد. كثيرون يقترحون كتبا بنظريات جديدة ومثيرة... فهل"...

قالت مقاطعة" :بالطبع. إن عملي مدعوم بالكثير من الأدلة العلمية الراسخة".

قال فوكمان معجبا" :لقد قرأتِ أفكاري".

فردت عليه" :ما كنت لأضيع وقتك دون دليل".

بدا لانغدون مسرورا وهو يرى كاثرين تجاريهما بهذه السلاسة والثقة.

قال فوكمان" :حسنا، لقد استحوذتِ على اهتمامي بالتأكيد. فما هو هذا النموذج الثوري للوعي البشري؟"

أجابت كاثرين" :سيبدو في البداية مستحيلا. لذا، لأهيئ أذهانكما لذلك، ولنضع أساسا مشتركا ننطلق منه "...ثم مدت يدها إلى حقيبة كويانا خاصتها وأخرجت جهازا لوحيا من طراز " .iPadسأريكم أولا مثالا لشيء أعتقد أننا جميعا نتفق على أنه... مستحيل".

ألقى فوكمان نظرة على لانغدون، الذي بدا عليه من الحيرة ما بدا على صاحبه.

نَقَرَت كاثرين على الجهاز اللوحي بضع نقرات ثم نصبته على الطاولة، موجها نحو فوكمان ولانغدون، اللذين وجدا نفسيهما ينظران إلى مقطعي فيديو متجاورين على شاشة مقسومة، يظهر في كل منهما حوض أسماك، وفي كل حوض سمكة ذهبية وحيدة تسبح في دوائر متراخية.

هل الأسماك الذهبية مستحيلة؟

قالت كاثرين" :هذان بثان مباشران. البث يأتي من كاميرتين منفصلتين ثابتتين في مختبري في كاليفورنيا".

راقبا السمكتين، اللتين كانتا تسبحان في حوضين متشابهين، في قاع كل منهما حصى أزرق وتمثال صغير مغمور. كان الفرق الوحيد بين الحوضين هو التمثال الصغير في كل منهما. فقد كان أحدهما كلمة "نعم (Yes) " منحوتة، والآخر كلمة "لا (No) "منحوتة.

***أمر غريب* .رفع فوكمان بصره إلى كاثرين سولومون، منتظرا منها أن تشرح، لكنها أومأت له بمواصلة المشاهدة. وبأدب، أعاد فوكمان نظره إلى بثي الكاميرتين. سمكتان تسبحان في دوائر...**

ما الذي يفترض بي أن أراه هنا؟

همس لانغدون بجانبه" :مذهل"...

في تلك اللحظة، رآه فوكمان أيضا. فبشكل عجيب، كانت السمكتان الذهبيتان تسبحان في تناغم تام. فحين تتوقف إحداهما، أو تندفع فجأة، أو تصعد إلى السطح، تفعل الأخرى الشيء نفسه تماما في الحوض الآخر... وفي اللحظة ذاتها! لقد كانتا متزامنتين تماما، حتى في أدق ارتعاشاتهما.

شاهد فوكمان المشهد في ذهول تام، وهو يرى السمكتين الذهبيتين تسبحان في انسجام لا تشوبه شائبة لمدة خمس عشرة ثانية على الأقل، قبل أن يهز رأسه أخيرا ويرفع بصره.

"حسنا، هذا... مستحيل".

قالت كاثرين" :يسرني أنك تشعر بذلك".

تساءل في لهفة" :كيف تفعل السمكتان ذلك؟"!

"رائع، أليس كذلك؟ "قالت" .في الواقع، الإجابة بسيطة للغاية".

جلس لانغدون وفوكمان مشدوهين، في انتظار تفسيرها.

قالت" :لنبدأ. كم سمكة تريان هنا في المجموع؟"

نظر فوكمان في عيني كليهما" .اثنتان".

"وأنت يا روبرت؟"

"اثنتان، "وافقها لانغدون.

"ممتاز، كلاكما يرى ما يراه معظم الناس، وما هو معروض أمامكم: سمكتان منفصلتان في حوضين منفصلين".

وهل يمكن رؤية الأمر على نحو آخر؟ فكر فوكمان .أحد الحوضين يقول "نعم" والآخر "لا" ، لكن السمكتين تتحركان في تزامن دقيق.

قالت كاثرين" :والآن، ماذا لو أخبرتكما أن انفصالهما مجرد وهم؟ ماذا لو أخبرتكما أن هاتين السمكتين هما في الحقيقة كيان واحد... كائن حي موحد متصل بنفس الوعي، يتحرك في انسجام؟"

أحس فوكمان أنه على وشك أن يسمع ضربا من هراء العصر الجديد الذي يتحدث عن الترابط الكوني بين الكائنات الحية. لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية تزامن حركة هاتين السمكتين، لكنه كان على يقين من أن السبب ليس لأنهما تستمدان حركتهما من وعي كوني واحد .*وماذا كنت تتوقع يا جوناس؟ إنها عالمة نويتية من كاليفورنيا!*

تابعت كاثرين" :إن المنظور اختيار، والمنظور هو مفتاح فهم الوعي. كلاكما اختار أن يرى هذا على أنه سمكتان تسبحان في تزامن تام. ولكن، إذا استطعتما تغيير منظوركما ورؤيتهما كسمكة واحدة، وعقل واحد، وكائن حي موحد، يسبح ببساطة... فعندها يصبح الأمر طبيعيا تماما".

بدا القلق فجأة على لانغدون، كأنه يخشى أن عرضها على وشك أن يشطح بعيدا" .ليس الأمر اختيارا حقا، أليس كذلك يا كاثرين؟ لا يمكن رؤية سمكتين ذهبيتين منفصلتين وغير متصلتين ككائن حي واحد".

"هذا صحيح. ولكنهما ليستا كائنين منفصلين يا بروفيسور، "أجابت .

"إنهما كائن واحد. وسأراهنك على ساعة ميكي ماوس التي ترتديها بأنني أستطيع أن أثبت لك ذلك الآن. علميا. وبما لا يدع مجالا للشك".

درس لانغدون مرة أخرى مقطعي الفيديو المباشرين: حوضان متمايزان. سمكتان متمايزتان. قال لانغدون أخيرا" :أقبل الرهان. أقنعيني بأنهما كائن واحد".

"حسنا جدا ".ابتسمت كاثرين" .ودعني أقتبس من عالم الرموز المفضل لدي – أحيانا يكون تغيير في المنظور هو كل ما يتطلبه الأمر لكشف الحقيقة".

لمست شاشة الجهاز اللوحي" .هذا بث مباشر من كاميرا ثالثة من نفس المختبر. وها هو ذا تغيير المنظور، أيها السادة".

كانت زاوية الكاميرا الجديدة رؤية علوية، تنظر إلى الأسفل على حوض أسماك واحد مشابه للحوضين الآخرين – حصى أزرق، وتمثال من نوع ما، وسمكة ذهبية وحيدة تسبح في دوائر. ومن المثير للفضول أن هذه الرؤية العلوية أظهرت أيضا وجود كاميرتي فيديو منصوبتين بجوار الحوض، مصوبتين نحوه من موقعين مختلفين.

قال فوكمان" :لا أفهم".

قالت كاثرين" :لقد كنتما تنظران إلى مقطعي فيديو لنفس الحوض. حوض واحد. سمكة واحدة. يُنظر إليه من منظورين مختلفين. انفصالهما مجرد وهم. إنهما كائن حي واحد".

اعترض فوكمان" :ولكن من الواضح أنهما في حوضين مختلفين. وماذا عن تمثالي نعم/لا؟ إنهما مختلفان... كيف يمكن أن يكون حوضا واحدا؟"!

أطرق لانغدون رأسه. همس قائلاً" :ماركوس رايتس. كان يجب أن أدرك ذلك".

مدت كاثرين يدها إلى حقيبتها وأخرجت تمثالا مألوفا – نسخة من تمثال "نعم" من الحوض الأول. رفعته عاليا، لتدع فوكمان يقرأ الكلمة. ثم أدارت التمثال تسعين درجة، فسمع فوكمان شهقة تخرج من صدره. من هذه الزاوية الجديدة، بدا التمثال مختلفا تماما. من هذا الاتجاه... كان يُقرأ "لا."

قالت كاثرين" :هذه القطعة الفنية هي من عمل النحات ماركوس رايتس، الذي – مثله مثل الكون الذي نعيش فيه – هو سيد الخداع البصري".

كان لانغدون قد بدأ بالفعل في فك إبزيم ساعة ميكي ماوس خاصته.

ضحكت وقالت" :أنت تعلم أن ليس لدي أطفال يا روبرت. احتفظ بساعتك. لم أفعل هذا إلا لأوضح نقطة حول الاستحالة. والنقطة هي: ما

سأخبركما به الآن عن الوعي البشري سيبدو مستحيلا في البداية – مستحيلا مثل سمكتين ذهبيتين متزامنتين – ولكن إذا سمحتما لنفسيكما بتغيير المنظور، فكل شيء سيبدو منطقيا فجأة... وتلك الأشياء التي كنتم تجدونها غامضة ستبدو واضحة وضوح الشمس".

ومنذ تلك اللحظة، وجد فوكمان نفسه مشدودا إلى كل كلمة تنطق بها. تحول الغداء إلى رحلة مذهلة دامت ثلاث ساعات في أغوار العقل والاكتشاف... بما في ذلك وعد كاثرين له في دهاء بأن كتابها سيستعرض سلسلة من التجارب المتطورة التي أجرتها، والتي لم تدعم نتائجها هذا النموذج الجديد فحسب، بل أشارت أيضا إلى أن تجربتنا الإنسانية الحالية محدودة بشكل مؤسف مقارنة بما يمكن أن تكون عليه في الواقع.

وبحلول نهاية الغداء، لم يكن فوكمان متأكدا إن كان دوار رأسه بسبب أفكار كاثرين سولومون أم بسبب الإفراط في النبيذ، لكنه كان يعلم شيئا واحدا على وجه اليقين:

سأنشر هذا الكتاب قطعا.

لقد خامره شعور بأن هذا الغداء قد ينتهي به الأمر ليكون أفضل استثمار في النشر قام به على الإطلاق.

أما الآن، وبعد عام، وهو مكتوف اليدين والقدمين على أرضية شاحنة باردة كالثلج، فقد كانت تساوره شكوك جدية بشأن قراره. لم يكن قد قرأ بعد كلمة واحدة من المخطوطة، ولم يكن يعلم شيئا عن تجاربها الغامضة، ومع ذلك، ظل في حيرة من أن يرغب أي شخص في تدميرها.

بحق الله، إنه كتاب عن الوعي البشري!

كان خاطفو فوكمان يجلسون في مكان قريب، منهمكين في أجهزتهم.

غامر فوكمان بالقول وأسنانه تصطك" :يا رفاق؟ ما المميز في هذا الكتاب؟ أنتم تعلمون أنه عن العلم، أليس كذلك؟ لا توجد فيه صور".

لا جواب.

"اسمعوا، أنا أتجلد من البرد. هذا جنون. إذا أمكنكم إخباري لماذا أنتم مهتمون جدا بهذه المخطوطة، فربما أستطيع"...

قال الرجل ذو الشعر الخشن" :نحن لسنا مهتمين على الإطلاق. بل من وظفنا هو المهتم".

"هل يستطيع دارث فيدر القراءة؟"

ضحك الرجل ذو الشعر الخشن بالفعل" .أجل، وهو يريد أن يتحدث إليك. لدينا طائرة تتزود بالوقود. سنغادر قريبا إلى براغ".

شعر فوكمان بجسده يتوتر" .مهلا! كلا! لن أذهب إلى براغ مهما كلف الأمر! ليس معي جواز سفري! يجب أن أطعم قطتي"!

قال الرجل" :لقد سرقت جواز سفرك من شقتك. وأطلقت النار على قطتك".

شعر فوكمان بالخوف الحقيقي الآن" .هذا ليس مضحكا... أنا لا أملك قطة أصلا. هل يمكننا أن نتحدث في هذا الأمر؟"

"بالتأكيد ".ابتسم الرجل ابتسامة متعجرفة" .لدينا متسع من الوقت للحديث على متن الطائرة".

الفصل الأربعون

كان سوق هوفلسكي يموج بحركة سير دؤوبة تسير على مهل كالسلحفاة. وقبل أن يبلغا وجهتهما ببضعة شوارع، آثر لانغدون وساشا أن يترجلا عن سيارة الأجرة، وأن يشقا طريقهما عبر متاهة من الدروب والأزقة التي يتشكل منها الحي السكني في المدينة القديمة .وفيما هو يسير خلف ساشا صوب شقتها، انتابته دهشة بالغة حين علم أن المسكن الذي تقطنه تملكه في حقيقة الأمر السيدة بريجيتا غيسنر، التي سمحت لها بالإقامة فيه دون أن تبتغي منها أجرًا.

وخالجته فكرة مفادها أن هذه بادرة كرم أخرى لا تشبه طبعها، واستبد به الفضول لمعرفة السر الكامن وراء هذا الإصرار الذي تبديه غيسنر على مساعدة هذه الشابة.

لقد كانت بريجيتا غيسنر لغزًا محيرًا؛ ففي حين كانت تبدو في تعاملها مع ساشا كريمة شفوقة، فإنها في الليلة الماضية، وهم يحتسون الشراب، كانت امرأة لا تطاق. ففي لحظة من اللحظات، بينما كان لانغدون يداعب كأسه بشرود وقد امتلأ بشراب بنكهة اللحم المقدد الذي نفرت منه نفسه، التفتت إليه غيسنر وباغتته بسؤال وضعته به في حرج شديد.

قالت له، وهي تحرّف اسمه عن عمد دون شك: "يا بروفيسور لانغفورد، ثمة مسألة نختلف فيها أنا وكاثرين، ونريدك أن تحسمها لنا."

قطبت كاثرين جبينها وقد ارتسم عليه امتعاض بائن، إذ كان واضحًا أنها لم تكن ترغب في إقحام لانغدون في الأمر.

واستطردت غيسنر قائلة: "أنت رجل مثقف، ورأيك في هذه القضية له عندنا شأن. إنني وكاثرين نتباين في مسألة تقع في صميم الجدل القائم بين الماديين وأصحاب المذهب العقلي... وتلك هي الحياة بعد الموت."

تمتم لانغدون في سرّه: "يا إلهي"...

ثم ألحت عليه قائلة: "إذن، خبّرنا، بأيهما تؤمن؟ أهو الفناء حين يوافيك الأجل؟ أم أن ثمة... شيئًا آخر؟"

تردد لانغدون للحظة، محاولًا أن يجد مخرجًا من هذا المأزق.

لكن غيسنر استبقت جوابه قائلة: "لقد صرّحت مرارًا وتكرارًا بأنني أرى الحياة بعد الموت محض خيال أجوف، ووهم تروّجه الأديان لتستقطب به ضعاف القلوب وواهني العقول."

فكر لانغدون في نفسه: "يا للهول، لن أقحم نفسي في هذا المستنقع"...

وتابعت غيسنر حديثها: "وكما تعلم يقينًا، فقد أعلنت كاثرين على الملأ أنها تؤمن بأن تجارب الخروج من الجسد دليل قاطع على أن الوعي يسكن خارج الدماغ، وأنه بذلك قادر على البقاء بعد الموت. وبعبارة أخرى... فإن الحياة الآخرة حقيقة واقعة ."ثم ارتَشفت عاملة الأعصاب من كأسها في هدوء لا مبالٍ وسألته" :إذن، أي الأمرين هو الصواب أيها البروفيسور؟"

أجابها قائلاً: "ليست لدي فكرة حاسمة في هذا الشأن. لقد درّستُ علم الموت(Thanatology) ، ولكنه في الحقيقة ليس ميدان تخصصي."...

قاطعته المرأة بازدراء: "السؤال بسيط. لو كنت تحتضر، ووجدت نفسك تنظر من علٍ إلى جسدك المسجى على طاولة العمليات، فهل ستعتبر ذلك برهانًا على وجود حياة أخرى؟ أم أنه هلوسة ناجمة عن نقص الأكسجة؟"

"لم يسبق لي أن مررت بتجربة الاقتراب من الموت... ولا أدري حقًا كيف كنت سأفكر في الأمر."

كانت صلة لانغدون الوحيدة بتجارب الاقتراب من الموت من خلال صفحات كتاب رايموند مودي الأكثر مبيعًا عام 1975، "الحياة بعد الحياة"، وهو الكتاب الذي يُنسب إليه الفضل في إقناع العلماء بالنظر بجدية أكبر في احتمالية ألا يكون الموت نهاية الرحلة... بل مجرد بدايتها.

وقد ضم الكتاب بين دفتيه مئات الحالات الموثقة طبيًا لأشخاص كانوا في حكم الموتى سريريًا، ثم عادوا إلى الحياة ليرووا تجارب متشابهة جدًا عن الخروج من الجسد؛ إذ تحدثوا عن منظور منفصل عن الجسد، وعن التحليق، والارتفاع إلى الأعلى عبر نفق مظلم، والاقتراب من ضوء ساطع، والأمر الأكثر إثارة للدهشة، هو شعورهم بسكينة مطلقة ومعرفة لا حدود لها.

وبعد صدور كتاب مودي، لم يعد السؤال المطروح هو ما إذا كان الناس يمرون بتجارب الخروج من الجسد... بل ما الذي يسببها، وماذا تعني؟

ولم يكن يغيب عن بال لانغدون أن الحياة بعد الموت هي حجر الزاوية في كل روحانية راسخة تقريبًا: فللمسيحيين جنة، ولليهود تناسخ الأرواح (Gilgul)، وللمسلمين جنة، وللهندوس والبوذيين "ديفالوكا " (Devaloka)، ولفلاسفة العصر الجديد حيوات سابقة، ولأفلاطون تقمص الأرواح .(Metempsychosis) إن الثابت في جميع الفلسفات الروحية هو أن الروح... خالدة.

ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بالإيمان بالحياة بعد الموت، لم يستطع لانغدون قط أن ينأى بنفسه عن معسكر الماديين. ففكرة الحياة الآخرة، في

اعتقاده، كانت قصة مريحة وآلية للتكيف، ولو كان له أن يجيب على سؤال غيسنر بصدق...

"إن تجارب الاقتراب من الموت... هلوسات."

ولكونه باحثًا في الفن المستلهم من الدين، كان لانغدون على دراية تامة بروائع فنية تصور رؤى لعالم ما وراء هذا العالم —— تجليات إلهية، ورؤى روحانية، وظهورات إلهية، وحالات وجد ديني، وزيارات من الملائكة. لقد اعتبر المؤمنون هذه التجارب لقاءات حقيقية مع عوالم أخرى، لكن لانغدون كان يعتقد في قرارة نفسه أنها شيء آخر؛ رؤى مقنعة بشكل حيوي تولدها أشواق روحية عميقة.

وكثيرًا ما كان لانغدون يذكّر طلابه بأن هناك سببًا يجعل سراب الواحات لا يراه إلا المسافرون العطشى في الصحراء، ولا يراه أبدًا طلاب الجامعات وهم يسيرون في ساحة الكلية. نحن نرى ما نريد أن نراه.

وفيما يتعلق بالرغبة، تخيل لانغدون أن معظم الناس في سكرات الموت يريدون الشيء الأساسي نفسه: ألا يموتوا. والخوف من الموت، بطبيعة الحال، لم يكن حكرًا على المحتضرين، بل كان خوفًا عالميًا... ربما هو الخوف الكوني الأوحد.

إن "بروز الفناء (Mortality salience) "كما يُعرف —— أي إدراكنا بأننا سنموت —— لم يكن مخيفًا لأننا نخشى فقدان أجسادنا المادية، بل لأننا نخشى فقدان ذكرياتنا، وأحلامنا، وروابطنا العاطفية... أي، في جوهر الأمر، أرواحنا.

لقد أدركت الأديان منذ زمن بعيد أن العقل البشري، وهو يواجه الاحتمال المرعب للعدم الأبدي، سيصدق أي شيء تقريبًا. وتأمل لانغدون في القول المأثور القديم الذي اشتهر على لسان أبتون سنكلير Timor" : "mortis est pater religionis، أي "إن الخوف من الموت هو أبو الدين."

وبالفعل، أنتجت كل ديانة عالمية كتابات غزيرة تشير إلى وجود حياة أخرى —— كتاب الموتى المصري، والسوترات، والأوبانيشاد، والفيدات، والكتاب المقدس، والقرآن، والكابالا. لكل ديانة علمها الأخروي الخاص، وهندستها الخاصة للحياة ما بعد هذه الحياة، وتسلسلها الهرمي المفهرس بدقة للأرواح التي تحضرها.

وكان علماء الموت المعاصرون —— (Thanatologists) أولئك الذين يدرسون علم الموت —— يتجاهلون هذه الادعاءات الدينية على

نطاق واسع .ومع ذلك، ومن المدهش أن العلماء اليوم يعترفون بأنهم لم يحرزوا تقدمًا يذكر في الإجابة عن السؤال الجوهري في مجالهم:

ماذا يحدث عندما نموت؟

كان هذا السؤال، دونما مقارنة، أعظم أسرار الحياة... السر الذي نتوق جميعًا إلى معرفته. ومن المفارقات أن الجواب المراوِغ يُكشف لكل منا في نهاية المطاف... ولكن دون سبيل للعودة ومشاركته.

سألته غيسنر بابتسامة ساخرة: "أعجزك الكلام؟"

رد لانغدون بحدة: "كلا، ولكنني أجد من الغريب أن تتقبلي كحقيقة مطلقة فرضية أنتِ عاجزة عن إثباتها. في عالمي، نسمي ذلك إيمانًا... لا علمًا."

زمجرت غيسنر قائلة بالتشيكية "Zbabělče" :(يا جبان). ثم أردفت: "أنا أعلم أنك مادي يا بروفيسور، وبقليل من الحظ، غدًا عندما تأتي كاثرين إلى المختبر، سأقنعها بالانضمام إلينا في عالم العقلانية."

ومع هذه الكلمات، فتحت غيسنر حقيبتها الجلدية، وأخرجت بطاقة عمل، ووضعتها أمام كاثرين.

تفرّس لانغدون في البطاقة.

د / بريجيتا غيسنر

معهد غيسنر

حصن كروسيفيكس

PRAGUE

قالت غيسنر: "أعطي هذه البطاقة لسائقك صباح الغد. مختبري خاص، لكن موقعه معروف جيدًا. فالحصن الذي يقع فيه مشهور جدًا في الواقع."

تأوه لانغدون في داخله. "مشهور ربما في القرن الرابع عشر"...

وبينما همت غيسنر بإغلاق حقيبتها، لمح لانغدون لمحة من محتوياتها المرتبة بعناية فائقة ـــ وثائق متنوعة في مجلدات، وقلم في حلقة مخصصة، وهاتف ذكي مثبت بحزام جلدي، ومجموعة من بطاقات الائتمان وبطاقات الهوية وبطاقات المفاتيح، كلها مصطفة بإتقان في أغلفة شفافة فردية. ومن بين تلك المجموعة، استرعى انتباهه رمز معين.

سأل مشيرًا إلى بطاقة سوداء بارزة من غمد متخصص مبطن بالرصاص مصمم لحماية البطاقات المزودة بتقنية RFID: "ما تلك البطاقة؟" "لم يتمكن من رؤية سوى النصف العلوي منها، لكن الأحرف الستة المطبوعة بجرأة عليها أثارت فضوله.

PRAGUE

ألقت غيسنر نظرة على البطاقة، وترددت للحظة" .أوه، لا شيء. إنها لنادي الصحي ."ثم أغلقت حقيبتها.

قال لانغدون: "حقًا؟ يثيرني الفضول. الحرف الثالث، ماذا كان؟"

رمقته بنظرة غريبة وقالت: "أتقصد حرف**A** ؟"

قال لانغدون، وقد رآه بوضوح: "لم يكن حرف**A** ، بل كان رمح 'فيل ' (**Vel spear**)".

بدا الارتباك على كلتا المرأتين.

قالت غيسنر: "عفوًا؟"

أوضح لانغدون: "الفرق يكمن في الخط العرضي. حرف **A** له خط واحد. ذلك الشعار كان له ثلاثة خطوط ونقطة. كلما رأيت نصلًا متجهًا إلى الأعلى — أي شكل حرف **A** الكبير — بثلاثة خطوط عرضية ونقطة، فإنه أيقونة متخصصة ذات معنى محدد جدًا."

تساءلت كاثرين بصوت بدا عليه أثر الشراب: "هل يعني الصحة؟"

فكر لانغدون" :أبعد ما يكون عن الصواب". ثم قال" :إن رمح 'فيل' هو رمز هندوسي للقوة. يمثل رأس الرمح التنوير، والعقل المتوقد، والبصيرة

الثاقبة التي تُستخدم لشق ظلمات الجهل وقهر الأعداء. وكان الإله الهندوسي للحرب، موروغان، يحمل هذا الرمح معه في كل مكان."

بدت الدهشة الحقيقية على وجه غيسنر.

قالت كاثرين: "قتل أعدائك بالبصيرة؟ رسالة غريبة لنادٍ صحي."

"وأنا أوافقها الرأي."

سخرت غيسنر قائلة: "من الواضح أنها مصادفة. أنا متأكدة من أن النادي لا يعلم شيئًا عن ذلك، وأن التصميم أعجبهم ببساطة."

آثر لانغدون ألا يسترسل في الجدال، لكنه كان على يقين تام بأن غيسنر تخفي شيئًا ما. فبطاقة مرور محمية بتقنية RFID بدت ذات تقنية عالية بشكل غير عادي بالنسبة لنادٍ صحي، كما أن غيسنر لم تبدُ كشخص قد يتسامح مع ممارسة الرياضة مع دهماء الناس. بالإضافة إلى ذلك، من المرجح أن يستخدم نادٍ صحي محلي التهجئة التشيكية "PRAHA" بدلاً من الإنجليزية.

قالت غيسنر وقد بدا عليها الانزعاج: "من الواضح أن علماء الرموز وأصحاب المذهب العقلي يشكلان ثنائيًا مثاليًا. فكلاكما يرى المعنى حيث لا يوجد معنى ."ثم ارتشفت من شرابها.

الفصل الحادي والأربعون

كانت شقة ساشا فيسنا في الطابق الأول، وعلى صغر مساحتها، تفوح منها ألفة الدار وحميميتها، فقد زُيّنت أركانها بذوق رفيع، وتناثر أثاثها في نظام دقيق، وغمرتها أنوار النهار من كل صوب. وما إن خطى لانغدون إلى داخلها حتى استنشق أريجًا دخانيًا من الشعير المُخمّر كان يعبق في الأجواء.

بادرت ساشا بالقول وقد اعتراها شيء من الحرج لذلك العطر النفاذ" :هذا شاي القافلة الروسية"، ثم استدركت قائلة" :وعندي قطط كذلك."...

وكأنما استجابة لنداء خفي، تجلّت هيئتان رشِيقتان لقطّين من فصيلة "السيامي" في آخر الرواق، ثم أقبلا يتهاديان نحوهما في خيلاء. جثا لانغدون على ركبتيه يداعبهما، فهرعا إليه يطلبان مزيدًا من الاهتمام.

قالت ساشا" :إنهما يألفان الرجال"، ثم أضافت في ارتباك ظاهر" :مع أنّهما لم يريا منهم الكثير."!

رُسمت على شفتي لانغدون بسمة مجاملة، وقال" :حقًا إنهما لمخلوقان جميلان."

أشارت ساشا إلى ملصق سينمائي عتيق معلق على جدار قريب وقالت : "تلك هي سالي، وهذا هو هاري. لقد أطلقت عليهما هذين الاسمين تيمّنًا بفيلمي المفضل، وقد أهداني إياه الدكتور غيسنر."

كان عنوان الفيلم مكتوبًا باللغة الروسية، إلا أن لانغدون عرف من فوره صورة ميغ رايان وبيلي كريستال وهما يقفان وجهًا لوجه وخلفهما أفق مدينة نيويورك .لم يسبق له أن شاهد ذلك الفيلم الكلاسيكي الذي يحمل اسم ***When Harry Met Sally*** ، ولكنه كان قد سمع عن "مشهد الجنس" الشهير الذي دارت أحداثه في أحد مطاعم نيويورك.

قالت ساشا" :لطالما فتنتني الأفلام الأمريكية الرومانسية الكوميدية، فبفضلها أتقنت اللغة الإنجليزية ."وتأملت الملصق للحظات وقد علت عينيها سحابة من الحزن، ثم أردفت قائلة" :وقطتاي هاتان هما أيضًا هدية من الدكتور غيسنر... كي لا أظل وحيدة."

قال لانغدون" :لقد كان ذلك منتهى اللطف منها."

خلعت ساشا حذاءها الثقيل وتركته على بساط مطاطي عند المدخل، فحذا لانغدون حذوها، وقد غمرته السعادة لتخلصه من حذائه الذي ابتلّ بالماء.

قالت وهي تشير إلى تجويف في منتصف الرواق" :الحمّام هناك إن احتجت إليه."

أجاب لانغدون" :شكرًا لك، سأقبل عرضك هذا."

قالت" :سأذهب لأعدّ الشاي"، ثم تركته واختفت في الرواق.

وقف لانغدون برهة يتأمل الملصق، وقد عاودته ذكرى كاثرين من جديد. فإن أفق مدينة نيويورك وشعار شركة **Columbia Pictures** – وهو صورة امرأة ترتدي ثوبًا وتحمل شعلة – قد استدعيا إلى ذهنه صورة تمثال الحرية... ومحاضرة كاثرين ليلة أمس.

وتساءل في نفسه وهو يتجه إلى الحمّام :*أين أنتِ الآن؟* .كان يتلهف للاتصال بفندق فور سيزونز ليرى ما إذا كانت كاثرين قد عادت إليه، ولكن، كما ألمح هاريس، فإن جهاز الاستخبارات والأمن التشيكي (ÚZSI)لا بد أنه يبحث عنهما بتهمة الاعتداء على ضابط والفرار من مكان الحادث. لا مناص له إذن من الانتظار حتى يصل الملحق.

كان الحمّام ضيقًا، لكنه مرتب، وشعر لانغدون بالحرج لاستخدامه مكانًا شديد الخصوصية كهذا. وبعد أن غسل يديه، جففهما في سرواله كي لا يمس مناشف اليد التي رتبتها ساشا بعناية فائقة. وعندما نظر في المرآة، رأى وجهًا غريبًا يحدق فيه؛ كانت عيناه محتقنتين بالدم، وشعره أشعث، وقد حفرت خطوط الإجهاد العميقة أخاديد في جبهته .*يا لك من بائس يا*

روبرت .لم يكن ذلك مستغربًا بالنظر إلى ما مر به من أهوال هذا الصباح .

ليس عليك الآن إلا أن تصل إلى السفارة وتجد كاثرين.

عندما عاد لانغدون إلى المطبخ، كانت ساشا تصب طعام القطط المجفف في وعاءين فوق الطاولة. وثب هاري وسالي إلى أعلى دون عناء وشرعا يلتهمان طعامهما.

تحركت ساشا نحو الموقد حيث كان إبريق الشاي يغلي على نار هادئة، وسألت" :كيف تشرب الشاي؟."

كاد أن يقول :*مع القهوة*، لكنه أجاب" :سادةً، هذا يكفي. شكرًا لك."

وضعت ثلاثة فناجين وثلاثة أطباق وثلاث ملاعق، ثم قالت وهي تتجه نحو الباب" :سأذهب إلى الحمّام، ثم أعود لأصب لنا الشاي. سيصل مايكل في غضون ربع ساعة أو نحو ذلك."

سمع لانغدون خطواتها الخفيفة في الرواق ثم صوت إغلاق باب الحمّام.

ساد الشقة صمت مطبق إلا من صوت الماء الذي يغلي. وجد لانغدون نفسه وحيدًا في المطبخ، فتعلقت عيناه بهاتف ساشا المحمول الموضوع على الطاولة، وراودته الرغبة من جديد في الاتصال بفندق فور سيزونز .ولكنه

فكر مليًا، فمن المرجح أن ياناتشيك قد نصب كمينًا في الفندق الآن، ومن يدري أين تكون كاثرين في هذه اللحظة.

ما كاد الماء يصل إلى درجة الغليان حتى سمع لانغدون طرقًا حادًا على باب الشقة .غريب، فكّر في نفسه مستبعدًا أن يكون هاريس قد وصل بهذه السرعة. داهمه خوف مفاجئ من أن يكون ياناتشيك أو بافل قد تعقبهما إلى هنا... أو أنهما استنتجا منطقيًا ضرورة تفتيش شقة ساشا.

أسرع إلى الرواق، وفي تلك اللحظة كانت ساشا تخرج من الحمّام وهي تجفف يديها. بدا عليها القلق وهمست بصوت خفيض وهي تشير إلى لانغدون" :هل طرق أحد الباب؟."

أومأ لانغدون برأسه.

كان يبدو من ملامح ساشا أنها لم تكن تتوقع زيارة أحد. انتظرا خمس عشرة ثانية في صمت مطبق، ولكن لم تُسمع طرقة ثانية. تقدمت ساشا بخطى حذرة إلى الباب ونظرت من خلال العين السحرية. وبعد لحظة طويلة، استدارت نحو لانغدون وهزت كتفيها، فلا أحد هناك.

رأى لانغدون قصاصة ورق بيضاء صغيرة ملقاة على الأرض، تبرز من أسفل الباب. همس مشيرًا إليها" :لقد ترك أحدهم لك شيئًا."

خفضت ساشا بصرها فرأت الورقة. وفي حيرة من أمرها، انحنت وسحبتها من تحت الباب. وبدا للانغدون، من القليل الذي استطاع أن يراه، أنها رسالة مكتوبة بخط اليد.

نهضت ساشا ونظرت إلى الرسالة، فشهقت في فزع. وبأصابع مرتجفة، ناولت الورقة للانغدون قائلة" :إنها لك."

***لي أنا؟* أخذ لانغدون قصاصة الورق وقرأها، فشعر بأن صدره ينقبض على الفور.**

تملّكه الخوف، ففتح باب الشقة بعنف، واندفع إلى المدخل الخالي، ثم هرع خارج المبنى إلى الثلج وهو لا ينتعل سوى جوربيه. وأخذ يدور في دوائر وسط الوحل وهو يصيح في الهواء الخاوي" :من أنت؟! ماذا فعلت بها؟."!

على بعد عشرين ياردة من حيث كان لانغدون يصرخ، كان " الغولم " يراقب المشهد من بين الظلال.

لقد أحدثت الرسالة التي وضعها الغولم للتو عند باب ساشا فيسنا رد الفعل المنشود. فإذا سارت الأمور كما هو مخطط لها، فإن روبرت لانغدون سيهرع قريبًا بمفرده إلى مكان مهجور.

إن الخوف دافع قوي.

الفصل الثاني والأربعون

لم يزل صوت ساشا المستغيث في مكالمتها الهاتفية يرن في أذني مايكل هاريس، وهو يندفع بسيارته مبتعدًا عن حصن كروسيفيكس ، وكأنما يطوي الطريق طيًا.

إنني برفقة روبرت لانغدون! ونحن في مسيس الحاجة إلى عونك!

وما إن بلغ الطريق الرئيسي حتى انعطف هاريس يمينًا، مسابقًا الريح نحو الشمال صوب شقة ساشا؛ ذلك المكان الذي قال محدثًا نفسه في أسى إنه يعرفه حق المعرفة، وقد تردّد عليه مرارًا، وكان في كل مرة يأتيه على غير ما يمليه عليه صوابه.

كان اللقاء الأول بين هاريس وساشا قد جرى قبل شهرين في مقهى "ديفيد ريو تشاي لاتيه"، حيث كانت ساشا تتوقف كل صباح في طريقها إلى العمل. كانت تقف وحيدة إلى منضدة عالية، فدنا منها هاريس وعلى ثغره ابتسامة.

قال لها بالروسية" :أهلاً بكِ يا ساشا."

رفعت الشقراء طويلة القامة بصرها إليه، وقد اعتلتها سحابة من الفزع وقالت" :وكيف لك أن تعرف اسمي؟."

ابتسم هاريس وأشار إلى كوبها الورقي الذي كان عامل المقهى قد خطّ عليه اسمها.

قالت ساشا" :يا إلهي"، وقد علاها الخجل ولكن لم يبرحها التوجس، ثم أردفت" :ولكن... لقد خاطبتني بالروسية."

قال هاريس" :مجرد تخمين حالفه الصواب، فقد أدركتُ لكنتكِ حينما كنتِ تطلبين قهوتك."

عندها بدا على ساشا الارتباك، وقالت" :بالطبع. أعذر جزعي، فالروس ليسوا على وفاق تام مع أهل براغ."

أجابها وهو يريها كوب قهوته" :جرّبي أن تكوني أمريكيًا! أنا على يقين أن عامل المقهى تعمّد أن يخطئ في كتابة اسمي"، ثم ابتسم وتقمص شخصية "همفري بوغارت" على أفضل نحو قائلًا" :من بين كل حانات الدنيا، وفي كل مدينة من مدائنها، لم يكتب لي القدر أن أدخل إلا هذه."

تهلل وجهها وقالت" :كازابلانكا! يا له من فيلم! إني أهواه."!

على مدى نصف الساعة التي تلت، تبادلا أطراف الحديث، وقصّت عليه ساشا حكاية موجعة عن صرعٍ أوهنها، وعن طفولة أمضتها منبوذة في مصح عقلي روسي... إلى أن أنقذها طبيب جراح أعصاب وأحضرها إلى براغ.

سألها هاريس" :وهذه الطبيبة، الدكتورة غيسنر، هل كتب الله لكِ الشفاء

على يديها؟."

أجابت ساشا والامتنان يفيض من عينيها" :شفاءً تامًا، فقد ابتكرت شريحة تُزرع في الدماغ، وبوسعي تفعيلها متى شعرتُ بذلك الضباب، بأن أمرّر عصًا مغناطيسية فوق جمجمتي."

"الضباب؟."

"أجل، عذرًا، قبل أن تدهم النوبة مريض الصرع، يأتيه نذير كوخز ضبابي... شبيه بذلك الشعور الذي يسبق العطاس. فإذا ما حدث ذلك، مررتُ العصا فوق رأسي، فيطلق المغناطيس إشارة إلى الشريحة المزروعة في جمجمتي ."ثم ترددت وقد بدا عليها الارتباك فجأة" :أعتذر، فالحديث في مثل هذه الأمور قد لا يروق للسامع."

قال هاريس بصدق" :على العكس تمامًا، فأنا لا أرى أثرًا لشيء. وإن كانت هناك ندوب، فهي مستترة كليًا تحت خصلات شعركِ الأشقر الفاتن."!

كان إطراؤه صادقًا، لكن ساشا أشاحت بنظرها وقد بدا عليها الانزعاج المفاجئ، وقالت" :لا أصدق أنني بحت لك بكل هذا. كم هو محرج! أنا لا أتحدث إلى الكثير من الناس، لذا... على كل حال، عليّ أن أذهب إلى عملي ."ثم أفرغت ما تبقى من شرابها في عجالة وشرعت تلملم حاجياتها.

قال هاريس" :وأنا عليّ أن أنصرف أيضًا، لكن الحديث معك كان ممتعًا،

وإن رغبتِ في تناول الغداء معًا يومًا ما، فسيسعدني أن نتحدث أكثر."

بدت ساشا مباغتة بطلبه، وقالت" :لا، لا أظنها فكرة سديدة."

تلعثم هاريس قائلًا" :بالطبع، عذرًا. لم أقصد موعدًا غراميًا. أنا فقط...

على أي حال، لا بد أنكِ تواعدين شخصًا ما، لذا."...

قالت بتلعثم وارتباك" :أنا؟ لا، أنا لا أواعد أحدًا. كل ما في الأمر أن "...

وفجأة اغرورقت عيناها بالدموع، وكأنها على وشك الانهيار.

قال هاريس في حيرة" :يا إلهي! لم أقصد أن أزعجك."

قالت بصوت واهن" :الذنب ذنبي... أنا آسفة... كل ما أخشاه هو أنك إن عرفتني حق المعرفة... فستصيبك خيبة أمل كبرى."

"ولماذا تقولين مثل هذا الكلام؟."

مسحت عينيها ونظرت إليه وقائلة" :يا مايكل، أنا لا أجيد... كما تعلم، العلاقات. لقد أمضيت معظم حياتي وحيدة، وأتناول أدوية قوية. أعاني من مشكلات خطيرة في الذاكرة، والكثير من الندوب البشعة التي خلفتها النوب."...

قاطعها هاريس قائلًا" :توقفي عند هذا الحد. إني أجدكِ ساحرة بحق. وبالنظر إلى كل ما مررتِ به، فإن الحديث معكِ يسير وسهل إلى حد يثير الدهشة."

احمرّت وجنتاها وقالت" :حقًا؟ إذن لا بد أن الفضل يعود إلى جليسي."

تواصلا في الحديث قليلًا، وفي نهاية المطاف، وافقت ساشا على لقائه مرة أخرى.

بعد أسبوعين، وبعد غداء وعشاء ونزهة مسائية في حديقة فالدشتاين، أدرك هاريس أنه قد عرف كل ما يمكن أن يعرفه عن ساشا فيسنا .كانت امرأة بسيطة لا أصدقاء لها، تقضي كل وقتها إما في العمل في مختبر غيسنر أو في المنزل تشاهد الأفلام القديمة مع قطتيها.

ساشا منطوية على نفسها... ووحيدة.

لسوء الطالع، كان هاريس يشعر بانزعاج متزايد حيال علاقتهما التي تزداد عمقًا .*إذا اكتشفت يومًا السبب الحقيقي وراء مواعدتي لها، فسوف يدمرها ذلك* .وتحت وطأة الشعور بالذنب، لام هاريس نفسه على موافقته على القيام بهذا الأمر منذ البداية .*لقد حان الوقت لأضع حدًا لهذه المهزلة*.

استجمع هاريس قواه وصعد الدرج الرخامي إلى مكتب السفيرة. طرق بابها المفتوح، فأشارت له بالدخول.

كانت السفيرة هايدي ناغل خريجة كلية الحقوق بجامعة كولومبيا، تبلغ من العمر ستة وستين عامًا. كانت ابنة لمهاجرين ألمان، وقد أتت إلى أمريكا في الرابعة من عمرها وارتقت إلى قمة مجالها. وقد لوحظ علنًا أن لقبها الألماني، يعني حرفيًا "المسامير" – في إشارة إلى صلابتها.

بعينين لا تفصحان عن شيء وبأسلوب دبلوماسي مهذب، كانت كثيرًا ما تخدع خصومها بشعور زائف بالأمان قبل أن تجهز عليهم. حتى ملبسها اليومي كان يبدو محسوبًا للتقليل من شأن نفوذها – بذلات سوداء بسيطة، وأحذية مريحة، ونظارات قراءة معلقة بسلسلة تليق بأمينة مكتبة أكثر من دبلوماسية. كانت تصفف شعرها الأسود بغرة مستقيمة حادة وتضع القليل من مساحيق التجميل.

قالت وهي تغلق حاسوبها المحمول" :مايكل، بم أستطيع خدمتك؟."

دخل هاريس ووقف أمام مكتبها" .سيدتي، أخشى أنني لم أعد أشعر بالارتياح تجاه المشروع غير الرسمي الذي كلفتني به."

"حقًا؟"، خلعت ناغل نظارتها وأشارت له بالجلوس" .وما المشكلة؟."

نحنح هاريس وجلس" .كما أبلغتُكِ يا سيدتي، فإن ساشا فيسنا شابة ساذجة تعرضت لمعاملة مروعة في طفولتها، وهي تبذل قصارى جهدها لتعيش حياة طبيعية. ليس هناك المزيد لأعرفه. في هذه المرحلة، أشعر أن الاستمرار في الكذب عليها هو، ببساطة... خطأ أخلاقي ."لم يسمح لعلاقتهما بأن تأخذ منحى جسديًا مفرطًا، لكن هاريس كان لا يزال يشعر بأن قلب ساشا قد بدأ ينفتح له.

قالت ناغل" :فهمت. للحظة، ظننتك ستقول إنه أمر خطير. آمل أن تعلم أنه لو كان خطيرًا، لسحبتك منه فورًا."

صدّقها هاريس .كانت ناغل تدير هذه السفارة بقبضة من حديد، لكنها كانت أيضًا تهتم بموظفيها وتخلص لهم. أكد لها قائلًا" :لا يا سيدتي، لا أرى أي خطر. المشكلة هي أن ساشا بدأت تتعلق بي. من الناحية الأخلاقية، يبدو الأمر."...

"غير نزيه؟"، بدت السفيرة وكأنها مستمتعة" .لا بد لي من القول يا مايكل، إني أجد من دواعي السخرية أن تتذرع بالأخلاق سببًا لرغبتك في قطع علاقتك بساشا."

"عفوًا؟."

نهضت السفيرة وسارت إلى ركن المشروبات في زاوية مكتبها. دون كلمة، صبت كوبًا من مياه "فينسينتكا" المعدنية وعادت به، وسلمته إليه. ثم جلست خلف مكتبها، ورفعت عينيها إليه.

قالت" :شكوكي تخبرني أن السبب الحقيقي وراء رغبتك في التوقف عن رؤية ساشا فيسنا هو خوفك من أن تكتشف مسؤولة العلاقات العامة لدي، السيدة دانيك، أنك تقضي وقتًا مع امرأة أخرى."

حاول هاريس الحفاظ على وجه جامد، لكنه شعر بأن كيانه ينهار *.السفيرة تعلم أني على علاقة بـ دانا؟ !* أي تفوق أخلاقي كان هاريس يأمل في احتلاله قد تبخر للتو.

قالت ناغل" :آمل أنك تدرك أن هذه السفارة لديها سياسة عدم التسامح

مطلقًا مع العلاقات بين الموظفين ."توقفت، كما لو أنها تذكرت فجأة .

"أوه، بالطبع أنت على دراية بالسياسة... لقد ساعدت في صياغتها."

اللعنة.

قالت ناغل بهدوء" :اهدأ، أنا لا أسعى لفصلك. أنا ببساطة أستغل نقطة ضعف خدمةً لبلادي."

تمكن من القول" :هذا تلطيف بليغ لكلمة 'الإكراه."'

"أنت محامٍ يا مايكل، لذا اعتبر الأمر مجرد تفاوض فعال. وصدقني، ما كنت لأمارس هذا النوع من الضغط لو لم يكن رؤسائي يمارسون عليّ الضغط ذاته."

"مع احترامي يا سيدتي، أجد صعوبة في تصديق أن رئيسنا يهتم بأمر روسية مصابة بالصرع تملك قطتين تدعوهما هاري وسالي."

"أولًا، البيت الأبيض ليس الكيان القوي الوحيد الذي أتبع أوامره. ثانيًا، لم يخبرني رؤسائي على وجه التحديد ما هو مبعث اهتمامهم بساشا فيسنا، كل ما أرادوه هو أن أطلعهم على الأسرار التي تبوح بها لمن تثق بهم."

أصر هاريس" :ساشا لا تملك أسرارًا! إنها كتاب مفتوح، وكل ما يسعدها هو أن تجد من تتحدث إليه."

"بالضبط. وأنت الآن قد رسخت نفسك في هذا الموضع، وهو أمر ثمين للغاية. عليك أن تجعلها تستمر في الحديث. في غضون ذلك، سأتغاضى

عن وضعك مع دانا، وسأطلب من رؤسائي أن يدفعوا لك ضعف ما يدفعونه لك بالفعل مقابل هذا المشروع الخاص."

صُعق هاريس .كانت مكافأته المالية الإضافية سخية للغاية بالفعل .*من هو هذا الذي يحرص كل هذا الحرص على مراقبة ساشا فيسنا؟ ولماذا؟*

وقالت" :ويا مايكل، إذا شعرت في أي وقت أن هذا المشروع ينطوي على أدنى قدر من الخطر، فأخبرني، وسأنهي الأمر برمته ."حدقت في عينيه . "اتفقنا؟."

نظر هاريس إلى يدها الممدودة، مذهولًا من السهولة التي أحكمت بها خناقه، وبلغت منه حركة "كش ملك" التي لا فكاك منها. على الرغم من هواجسه الداخلية، خامره شعور بأنه إن لم يقم هو بهذا، فقد يلجأ شخص آخر إلى تدابير أشد قسوة. وساشا لا تستحق ذلك. صافح يد السفيرة.

في الأسابيع التي تلت، تطورت علاقة هاريس بـ ساشا بشكل طبيعي إلى علاقة جسدية عاطفية مرتبكة. لحسن الحظ، كانت ساشا قليلة الخبرة إلى أقصى حد، وأصر هاريس على أن يسيرا في الأمر ببطء شديد. حتى الآن، كان أقصى ما وصلا إليه من ألفة هو الاستلقاء في أحضان بعضهما البعض في سريرها، بملابسهما في الغالب، يشاهدان الكوميديا الرومانسية الأمريكية القديمة حتى يغلبهما النعاس.

والآن، بينما كان هاريس يسرع شمالًا للقاء ساشا ولانغدون، كان يتأمل في كل ما علمه هذا الصباح من السفيرة. كان نطاق العملية الجارية في براغ يفوق أبعد تصوراته. حتى من دون تفاصيل، علم هاريس أنه قد تورط فيما يفوق طاقته بأشواط.

حان وقت الخروج.

وبينما كان يقترب من البلدة القديمة، قطع هاريس على نفسه عهدًا مهيبًا.

مهما كانت العواقب، ستكون هذه زيارتي الأخيرة لـ ساشا فيسنا ...إلى الأبد.

الفصل الثالث والأربعون

راح روبرت لانغدون يذرع مطبخ ساشا فيسنا الصغير في قلق ظاهر، وقد طبعت جواربه التي أغرقها البلل آثارًا رطبة على أرضيته المبلطة.

محال أن يكون هذا حقيقة.

ثم عاد يحدق في قصاصة الورق تلك التي انزلقت قبل هنيهات من تحت باب ساشا .لقد كانت تلك الرسالة المخطوطة بخط اليد كفيلة بأن تزلزل عالمه من قواعده.

لدي كاثرين.

تعال إلى برج بترين.

عصفت بذهنه أسئلة موجعة.

من أنت؟ وماذا فعلت بها؟ ولماذا برج بترين بالذات؟

لم يكن برج بترين في براغ، الذي يناهز ارتفاعه مائتي قدم، بعيدًا عن قلب المدينة، إذ يتربع على قمة تل كثيف الأشجار. وما كان لماضي تلك الغابة المشحون بحكايات التضحية بالعذارى أن يسكّن من روعه أو يهدئ من اضطراب فؤاده.

لم يستطع لانغدون أن يتصور دافعًا واحدًا قد يدفع أي كائن من كان لاختطاف كاثرين سولومون .تعال إلى برج بترين ...ولكن لماذا؟

قالت ساشا وقد تملكها الخوف" :لا بد أنهم تعقبونا إلى هنا. ربما منذ موقف سيارات الأجرة؟ قد يكون هذا من فعل جهاز الاستخبارات والأمن التشيكي، ولكن"...

"ولِمَ قد يُقدم جهاز الاستخبارات والأمن التشيكي، بحق السماء، على اختطاف كاثرين؟"!

"لا أدري ".بدت ساشا مكلومة" .مايكل سيعرف ما"...

قاطعها لانغدون وهو يهرع إلى الرواق باحثًا عن حذائه" :لا يسعني انتظار مايكل. يجب أن أذهب في الحال ".إن كاثرين في خطر. عليّ أن أصل إلى هناك بأسرع ما يمكن. وبينما كان يدس قدميه بجواربهما المبتلة في حذائه، فتحت ساشا خزانة الرواق وتناولت معطفها.

قال معترضًا" :لا يا ساشا، إن أفضل ما يمكنك فعله هو البقاء هنا، ومقابلة مايكل، وجعله يصحبك إلى السفارة الأمريكية، وأن تخبريهم بكل ما تعرفين. بكل شيء. بما في ذلك ما حدث مع بريجيتا، وعميلة جهاز الاستخبارات والأمن التشيكي، وهذه الرسالة، وذهابي إلى برج بترين، كل شيء".

كان لانغدون قد شهد بأم عينه نزعة ساشا العفوية للعنف المباغت، ولم يكن بوسعه أن يخاطر بالظهور في برج بترين مصحوبًا بشخصية لا تُؤمَن عواقبها.

قالت وهي تمد يدها إلى حقيبتها" :حسنًا، ولكن إن كنت ستذهب وحدك، فخذ هذا على الأقل ".ثم سحبت مسدس بافل.

تراجع لانغدون على الفور غريزيًا. فقد كان لطالما يشعر بالنفور من الأسلحة، ويعلم من طبائع المواجهات ما يجعله يتجنب إقحام السلاح في الأمر ما لم تكن هناك ضرورة قصوى. لم تكن لديه أي رغبة في التجول بسلاح مسروق من جهاز الاستخبارات والأمن التشيكي في شوارع براغ، لا سيما وأنه لا يملك وسيلة لحمله سوى أن يدسه في حزامه، وهي طريقة كان يراها كلما شاهدها في الأفلام ضربًا من المخاطرة الجنونية.

قال" :سأكون أكثر اطمئنانًا لو احتفظتِ به. من الواضح أن من ترك تلك الرسالة يعرف أين تقيمين. خبئيه في إحدى خزائن المطبخ... فإن احتجتِ إليه أشد الحاجة، فستعرفين مكانه".

فكرت ساشا لحظة ثم أومأت برأسها قائلة" :حسنًا، ولكن ينبغي لك أن تأخذ هذا ".سارت إلى خطاف على الحائط وأنزلت حلقة مفاتيح بلاستيكية تحمل مفتاحًا واحدًا" .هذا مفتاحي الاحتياطي. إن احتجت أنت

وكاثرين إلى ملاذ آمن تختبئان فيه، فتعالا إلى هنا. لا أعرف ما الذي سيقترحه مايكل، لذا قد لا نكون هنا عندما تعودان، ولكن على الأقل سيكون لديكما وسيلة للدخول".

قال لانغدون" :شكرًا لك"، وقد ارتاب في أنه سيعود. ومع ذلك، قبل كرمها، ملاحظًا أن حلقة مفاتيحها كانت على هيئة قطة بلاستيكية باسطة أطرافها، نُقش عليها عبارة ."Krazy Kitten" ثم دسها في جيبه.

"سأبحث عن هاتف وأتصل بك حالما أعرف ما يجري".

"ستحتاج إلى رقمي".

"معي رقم هاتف مايكل".

بدا عليها الاستغراب" :أعطاك خطه الخاص؟"

قال لانغدون" :رأيتك تطلبينه في السيارة".

"وهل تذكره؟"

"عقل غريب الأطوار، فأنا لا أنسى الأشياء".

قالت" :لا بد أن هذا شيء رائع. أنا أعاني من نقيض ذلك. لا أستطيع تذكر الأشياء. فالذكريات عندي تتشوش... وتكثر فيها الفجوات".

"أبسبب الصرع؟"

"نعم، ولكن بريجيتا كانت تساعدني في التغلب على ذلك"...

ارتسمت على وجه لانغدون ابتسامة مواسية" :يبدو أن الدكتورة غيسنر كانت في غاية اللطف معك".

"لقد أنقذت حياتي ".علت ساشا مسحة من الكآبة" .آمل ألا أنساها هي الأخرى".

أكد لها لانغدون وهو يمد يده إلى الباب" :لن تفعلي. وصدقيني، أن يتذكر المرء كل شيء ليس نعمة دائمًا".



الفصل الرابع والأربعون

منذ اللحظة التي أُلقِيَ به في جوف هذه العربة، حاول يوناس فوكمان أن يكبح جماح خوفه بستار من استخفاف متصنع، غير أن التشبث بهذا القناع غدا عسيرًا في وجه ذلك الهاجس المشؤوم الذي أخذ يستبد به، منذرًا بأنه على وشك أن يُساق إلى براغ أسيرًا. لقد بلغ به الهلع مبلغه، وقد تضافر على إذكاء ناره أزيز محرك نفاث هادر دوى على مقربة منه، مع خدر تام سرى في يديه فأفقده الإحساس بهما.

قال الرجل ذو الشعر القصير لقرينه" :سأبلغ الطيارين بأننا على أهبة الاستعداد، ثم نباشر تحميله ."وفتح الباب المنزلق وخطا إلى الخارج، تاركًا إياه مشرعًا على مصراعيه وهو يمضي في سبيله، وكأنما أراد بذلك أن يعاقب فوكمان على صلَفه.

قال فوكمان للرجل الآخر" :إن البرد هنا قارس."...

لم يأتِه جواب.

لقد غدا أزيز المحركات النفاثة أشد وضوحًا الآن، وانجلت أمام فوكمان أخيرًا صورة المكان الذي هو فيه. كانت العربة رابضة على طريق خدمة تغوص في غابة من الأشجار، خلف بناء أبيض لا يبعد عنه بأكثر من مئتي ياردة. كان فوكمان قد تخيل أنه في قاعدة جوية سرية على وشك الصعود إلى طائرة

نقل عسكرية، بيد أن اللافتة المضيئة على واجهة المبنى روت حكاية أخرى تمامًا.

شركة الطيران سيغنتشر – مطار تيتيربورو

يا للهول! أأنا في جيرسي؟!

لقد كانت" سيغنتشر "محطة شهيرة للطائرات الخاصة في مطار تيتربورو بولاية نيوجيرسي .ولم يكن ذلك الصرح الفاخر، الذي يُعد قبلة لأثرياء مانهاتن لينطلقوا منه على متن طائراتهم الخاصة في رحلات عمل أو إلى ملاذاتهم المنعزلة على سفوح آسبن أو شطآن ويست بالم، ليبعد عن قلب المدينة بأكثر من عشرين دقيقة.

لبرهة، شعر فوكمان بالارتياح لأنه ليس في قاعدة عسكرية، ولكن ما إن بدأت الحقيقة تتكشف له حتى تساءل إن كان هذا الوضع أشد سوءًا.

فعلى الأقل، للجيش بروتوكولات معينة يلتزم بها، وهو مواطن أمريكي. أما إذا كان هؤلاء الأوغاد مجرد مرتزقة يعملون لحساب شخص ثري ذي نفوذ دولي، أيًا كان، فلا ضوابط تشتبك بهم ولا عهد لهم.

بوسعهم أن يطيروا بي إلى خارج البلاد... ولن يعلم أحد حتى باختفائي!

وبينما هبت عاصفة جديدة من رياح الشتاء القارسة وتسللت إلى داخل العربة، وضع الرجل الجالس في المقدمة حاسوبه المحمول جانبًا وتسلق عائدًا

بين المقاعد، ثم أغلق الباب المنزلق وقال" :صدقت يا صاح، إن الطقس لبارد."

كانت ملامح الرجل أرق من ملامح قرينه ذي الشعر القصير، وبدا أنه من أصول آسيوية مختلطة، وكان، كشريكه، ذا سمت عسكري مهندم. سأله : "كيف حال يديك؟."

"بصراحة، إن استمر الأمر على هذا النحو، أظن أنني سأفقدهما."

"دعني ألقي نظرة ."تحرك الرجل من خلف فوكمان وتفحص يديه" .أجل، هذا لا يبشر بخير ."ثم سحب سكينًا عسكريًا وقال" :لا تتحرك. سأقطع قيدك وأضع لك وثاقًا آخر أقل إحكامًا، حسنًا؟."

أومأ فوكمان برأسه، وما زالت الأفكار تمور في رأسه حول ما رآه في الخارج للتو.

قال الرجل" :إياك والقيام بأي حماقات أو العبث معي. تذكر أنني من يحمل السكين."

"علم."

بعد لحظة، تحررت يدا فوكمان .حرك ذراعيه بحذر إلى أمامه وأخذ يهز أصابعه ليحث الدم على التدفق من جديد.

عاد الرجل الذي كان خلفه وجلس على الصندوق الخشبي، والسكين في

يده على أهبة الاستعداد.

قال له" :سأمنحك ستين ثانية."

"شكرًا ."تكلف فوكمان ابتسامة وهو يشعر بوخز مؤلم كالإبر يعود إلى معصميه وأصابعه.

قال الرجل" :أعتذر عن تصرف شريكي. قد يكون أوغر... حاد الطباع بعض الشيء."

أجاب فوكمان" :إن المصطلح الأدبي الأنسب لوصفه هو 'الأرعن."'

انفجر الرجل ضاحكًا.

جلس الاثنان في صمت بينما واصل فوكمان تدليك يديه. كان يشعر بأن أصابع قدميه قد تجمدت هي الأخرى؛ فالحذاء الرياضي الذي انتعله عند مغادرة مكتبه لم يكن مصممًا ليقي من صقيع الشتاء.

سأله الرجل" :هل تود ارتداء معطفك مجددًا قبل أن أضع قيدًا جديدًا على معصميك؟."

رمق فوكمان معطفه الملقى على الأرض .*بالتأكيد!*

في وضعية نصف قائم ونصف قابع، أدخل فوكمان ذراعيه المتألمتين في معطفه بصعوبة وتلذذ بدفئه. حاول أن يزرر أزراره، لكن أصابعه التي لم يذب عنها الجليد كليًا أبت أن تطيعه. قال وهو ينظر إلى آسره الجالس

على الصندوق ممسكًا بسكينه" :هلا ساعدتني قليلًا؟."

هز الرجل رأسه" .وأن أضع سلاحي جانبًا؟ عذرًا يا صاح. أنا لا أثق بك."

قال فوكمان" :أظن أنك تبالغ كثيرًا في تقدير ميولي البطولية"، ولف المعطف حوله قدر استطاعته، مسرورًا بشعوره بهاتفه الخلوي في جيبه، حيثما كان قد تركه.

قال الرجل" :حسنًا، لنعد إلى تقييدك."

"هلّا منحتني دقيقة أخرى؟ إن يديّ تؤلمانني بشدة."

أمر الرجل" :الآن. استدر."

امتثل فوكمان، واستدار مئة وثمانين درجة ليواجه مؤخرة العربة. وفيما هو يفعل ذلك، وجد نفسه أمام منظر واضح من خلال نافذة الباب الخلفي للعربة. ومن خلالها، استطاع أن يرى مبنى" سيغنتشر أفييشن ."كما استطاع أن يرى موقف السيارات، حيث كانت سيارة دفع رباعي واحدة متوقفة ومحركها يعمل، ويتصاعد عادمها في هواء الصباح البارد. كان باب السائق في السيارة مفتوحًا، لكن المقعد كان خاليًا، والأرجح أن السائق كان داخل المحطة الصغيرة.

قال الرجل وهو يعيد ربط معصمي فوكمان" :سأتركه مرتخيًا في الوقت الحالي. لكن سيتعين علينا إحكامه حين يعود شريكي."

"شكرًا."

انتهى الرجل من ربط يديه، ولوى فوكمان معصميه قليلًا، ليفاجأ بأن القيود كانت فضفاضة لدرجة أنه ربما يستطيع أن ينسل منها.

قال الرجل" :سأعود حالًا، فالطبيعة تناديني"، ثم خرج من الباب الجانبي للعربة وأغلقه منزلقًا مرة أخرى. استدار فوكمان وراقبه من خلال الزجاج الأمامي وهو يمر من أمام العربة، ويخطو بضع ياردات إلى داخل الغابة، ثم يحل حزامه.

ثم شرع يتبول على إحدى الأشجار.

بعد أن أمضى عمرًا في تحرير جميع كتب لانغدون عن الرموز والعلامات والمعاني الخفية، لم يكن لدى فوكمان أدنى شك في الكيفية التي سيصنف بها الأستاذ هذه اللحظة.

إنها بشارة سماوية.

أما فوكمان، فكان سيطلق عليها اسمًا أقل شاعرية.

إنها فرصتي الأخيرة، وليس بعدها من فرصة.

إن محاولة الهرب من رجال يحملون السلاح لهي ضرب من الجنون... ولكنها ليست بجنون أن يدعهم يختطفونه إلى بلد أجنبي دون مقاومة. في أسوأ الأحوال، سيمسكون به مرة أخرى ويلقون به في الطائرة.

من خلال الزجاج الأمامي، رأى فوكمان أن الرجل ما زال يتبول.

متى بدأت، فمن الصعب أن تتوقف.

وإلى أن تتوقف، فمن الصعب أن تركض.

اتخذ فوكمان قراره في لحظة، شاكرًا الساعات التي لا تحصى التي قضاها يركض في سنترال بارك .*إذا حاولوا إطلاق النار... فسأكون هدفًا متحركًا*. سرعان ما حرر يديه من القيد وتأكد مرة أخرى أن الرجل لا يراقبه.

ها قد حان الوقت...

أمسك بمقبض الباب الخلفي للعربة، وضغطه، وفتح الباب بهدوء. ثم انحنى وقفز خارجًا. وفي اللحظة التي لامست فيها قدماه الأرض الصلبة، انطلق كالريح في عدو سريع على طريق الخدمة، متغلبًا على الألم في ساقيه المتشنجتين. كان عداءً متمرسًا، واستجابت ساقاه لهذا الجهد المفاجئ دون عناء. أخذ معطفه الصوفي يرفرف خلفه وهو يكتسب سرعة، وصب عينيه على سيارة الدفع الرباعي التي كانت تنتظر على بعد.

ألقى فوكمان نظرة خاطفة فوق كتفه فرأى خاطفه يغلق سحابه بصعوبة ويحاول اللحاق به .*لا فرصة له*، قال في نفسه وهو يشعر بالريح تصفع وجهه.

كان الرجل الذي يطارده يصرخ بينما اقترب فوكمان من السيارة. دوت طلقة نارية، وأزت رصاصة فوق رأس فوكمان.

يا للهول!

وصل فوكمان إلى سيارة الدفع الرباعي، وألقى بنفسه في مقعد السائق، وأغلق الباب بقوة، ونقل ناقل الحركة. ضغط على دواسة الوقود حتى النهاية فانطلقت السيارة بعجلاتها الصارخة وهي تقفز فوق الرصيف الفاصل، وتتأرجح خارجة من موقف السيارات إلى شارع" إندستريال أفينيو."

وبينما كان فوكمان يبتعد مسرعًا، تاركًا" سيغنتشر أفييشن "وآسريه خلفه، انتشل هاتفه من جيب معطفه، ورفعه إلى وجهه، وصاح" :يا سيري! اتصلي بروبرت لانغدون."!

على بعد مئة ياردة، توقف العميل المسمى تشينبورغ عن الركض، وأنهى إغلاق سحابه، وراقب بهدوء سيارة الدفع الرباعي وهي تختفي في جوف الليل. وما إن غابت السيارة عن الأنظار، حتى عاد أدراجه إلى العربة.

أعلن قائلًا" :كل شيء على ما يرام."

خرج شريكه ذو الشعر القصير، أوغر، من مكمنه" .والهاتف؟."

"كل شيء جيد. لقد أخذه معه."

"عمل رائع."

على الرغم من خبرة أسيرهم الواسعة في تحرير روايات التشويق، فقد سقط الرجل للتو في فخ أبسط حيلة استجواب على الإطلاق—حيلة "الهارب." هدد حياة شخص ما، وسيفعل دائمًا ما لا مفر منه إذا منحته الفرصة—الفرار.

لم تكن هناك طائرة تنتظر، ولا رحلة إلى براغ .لقد أوقفوا عربتهم ببساطة على طريق خدمة مجاور لمبنى خدمات" سيغنتشر أفييشن "في تيتربورو، واستدعوا عميلًا ثالثًا ليتظاهر بأنه سائق، ثم خلقوا وهم لحظة هروب مثالية.

لقد ابتلع فوكمان الطعم... وسيارة هروبه مزودة بجهاز تتبع.

في بعض الأحيان، وقبل السماح لهارب بالفرار، كانوا يزرعون جهاز تنصت على الفريسة، ولكن في حالة فوكمان، لم تكن هناك حاجة لذلك؛ فقد كان يحمل بالفعل جهاز إرسال واستقبال قويًا ثنائي الاتجاه مزودًا بنظام GPS—هاتفه الذكي الخاص.

بينما كان فوكمان معصوب العينين، كان العميلان قد أخرجا هاتفه بهدوء من معطفه، ووصلاه بالحاسوب المحمول، وتجاوزا رمز المرور الخاص به،

وحمّلا مجموعة متنوعة من البرامج الخاصة قبل إعادة الهاتف إلى جيبه.

أعلن تشينبورغ، ووجهه مضاء بشاشة جهاز الـ **iPad** الذي كان يعرض واجهة مراقبة كاملة لهاتف فوكمان——الموقع، والرسائل النصية، والمكالمات الصوتية والبيانات المستلمة والمرسلة" :لدينا حركة."

تردد صوت فوكمان من سماعة الـ**iPad** ، وكان يبدو أنه يترك بريدًا صوتيًا.

"روبرت، أنا يوناس... اتصل بي فورًا! أنت في خطر——وكاثرين أيضًا. سيبدو هذا جنونيًا، لكن شخصًا ما اخترق خادمنا وحذف مخطوطتها... لا أعرف السبب بعد. لقد خُطفت حرفيًا من الشارع بالقرب من مكتبي. سأتصل بكاثرين الآن، ولكن عليك أن تبقى حيثما كنت. لا تتحدث إلى أي شخص."!

انقطعت المكالمة، وبدأت مكالمة أخرى على الفور.

ذهبت المكالمة الثانية أيضًا إلى البريد الصوتي، هذه المرة بريد كاثرين .ترك فوكمان رسالة أخرى لاهثة، مشابهة لرسالته الأولى، باستثناء إضافة واحدة.

"كاثرين"، قال فوكمان، "قال هؤلاء الرجال إنك طبعتِ المخطوطة هذا الصباح؟ إذا كان هذا صحيحًا، فاحفظيها في مكان آمن——إنها نسختنا الوحيدة المتبقية! لقد اختفت جميع النسخ الأخرى... حرفيًا كل واحدة

منها. اتصلي بي عندما تصلك هذه الرسالة."

انتهت المكالمة.

قال أوغر بصوت متعجرف" :قليل من المعلومات الإضافية. تأكيد على أن المخطوطة الموجودة في براغ هي النسخة الوحيدة المتبقية."

قال تشينبورغ وهو يخرج هاتفه" :سيسر فينش بذلك. سأعلمه بالأمر."

الفصل الخامس والأربعون

ما كان رأس الملازم بافل يزال يمور بالألم من أثر ضربة مطفأة الحريق، إلا أن ذلك الوجع لم يكن شيئًا يُذكر إزاء الهول الذي اعتصره حين رأى جثمان عمه المسجى في قاع الوادي السحيق. لقد خطر للملحق في السفارة، مايكل هاريس، أن النقيب قد ألقى بنفسه إلى التهلكة، غير أن بافل كان يعلم الحقيقة علم اليقين.

لقد كان ياناتشيك رجلًا مقدامًا لا يهاب الموت، وما كان له أن ينهزم أو يفر من الحياة. لقد قُتل... وإني لأعلم من هو قاتله.

وها هي ذي قائمة جرائم روبرت لانغدون في حق جهاز الاستخبارات والأمن تزداد سوادًا على سواد منذ حيلته التي دبرها في الفندق؛ فمن مقاومة الاعتقال، إلى الاعتداء على ضابط، ثم سرقة سلاح من أسلحة الجهاز، والآن، إن صدقت تلك الآثار المتضاربة للأقدام على حافة الجرف، تضاف إليها جريمة قتل النقيب ياناتشيك والفرار من مسرح الجريمة.

وبعد أن انفرد بافل بنفسه في الحصن، أخذ يستجمع أنفاسه على أريكة وثيرة في قاعة استقبال غيسنر .وكان هاريس قد أعطاه كيسًا من الثلج، وأمره بألا يبرح مكانه، ثم انطلق إلى سفارة الولايات المتحدة، واعدًا إياه

بأنه سيتصل على الفور بمقر جهاز الاستخبارات والأمن ليبلغهم بنبأ ياناتشيك.

أيقن بافل في قرارة نفسه أن ذلك السقوط لم يكن قضاءً وقدرًا.

كما أيقن أن هاريس ما هو إلا مخادع مراوغ، وأن الملحق لم تكن لديه أي نية لإجراء ذلك الاتصال. لقد كان يسعى فحسب لكسب الوقت حتى تتمكن السفارة من حبك أكاذيبها وتلفيق روايتها قبل أن يبلغ جهاز الاستخبارات والأمن خبر وفاة ياناتشيك.

أخرج بافل هاتفه ليتصل بالمقر بنفسه، ولكنه تريث برهة بعد تفكير. فلم يكن يخالطه أدنى شك في أن قضية اعتقال أمريكي بارز ستنتهي على النحو الذي تنتهي به دومًا؛ نهاية تثير السخط والغضب، إذ تتدخل السفارة الأمريكية، وتتولى زمام الأمور، ثم تجد ثغرة ما في القانون لتترك جهاز الاستخبارات والأمن مكتوف الأيدي.

قال بافل محدثًا نفسه بصوت مسموع"**Oko za oko**" :، فقد كان يعلم كيف كان نقيبه الراحل سيتصرف في مثل هذا الموقف. العين بالعين.

لم يكن أحد بعد على علم بوفاة ياناتشيك، مما يعني أن أمام بافل فُسحة ضيقة من الوقت ليتولى أمر لانغدون بنفسه. ولكن عليّ أولًا أن أجده. إن العثور على هارب في مدينة بهذا الاتساع لأمر يقرب من المستحيل، لولا

ورقة رابحة كان بافل يخبئها في جعبته... ورقة كفيلة بأن تقلب الطاولة على الأمريكي في لمح البصر.

لقد علمني ياناتشيك أن أتجاوز القواعد... وأن أرتجل ما تقتضيه المصلحة العليا.

من الناحية الرسمية، لم يكن بافل يحمل الرتبة الكافية التي تخوله فعل ما عقد العزم عليه، ولكنه كان يحمل هاتف النقيب ياناتشيك الشخصي، الذي عثر عليه فوق حافة الجرف المكللة بالثلوج.

بكذبة واحدة صغيرة، يستطيع بافل أن يغير كل شيء.

ولن يجد لانغدون حينها ملجأً يأوي إليه ولا مهربًا يلوذ به.

عادت دانا دانيك إلى مكتبها في السفارة بخطى متسارعة، وما زال الغضب يستعر في صدرها من أثر المواجهة التي وقعت في فندق فور سيزونز .لقد أفزعتها تلك المرأة الشبحية التي ظهرت عند جسر تشارلز فزعًا لم تعهده من قبل، وما كان إفزاع دانا بالأمر الهين.

لقد صوبت فوهة مسدسها اللعين إلى وجهي!

ثم استحالت غيرتها إلى سورة من الغضب العارم.

من تكون تلك المرأة بحق الجحيم؟

لقد كانت تعلم أن الجواب ينتظرها بالفعل على حاسوبها؛ إنه نتائج بحث التعرف على الوجوه الذي أطلقته قبل ساعة تقريبًا باستخدام لقطة الشاشة التي التقطتها عند جسر تشارلز.

أسرعت دانا إلى حاسوبها وجلست. وكما توقعت، كان البرنامج قد أتم دورته كاملة.

حدقت دانا في النتائج وهي لا تكاد تصدق عينيها.

لا بد أن هناك خطأ ما...

اكتمل البحث

النتائج : 0

لم يحدث قط أن أخفق بحث في قاعدة البيانات في العثور على أي تطابق على الإطلاق. ففي عالمنا المعاصر، من المستحيل ماديًا أن يوجد إنسان دون أن يترك بصمة رقمية واحدة في مكان ما.

إن "المحو الرقمي" أو ما يعرف بـ "Digital whitewashing" هو السبيل الوحيد الممكن لبقاء شخص ما خارج قاعدة بيانات Echelon هذه. فالشبكة مملوكة للولايات المتحدة وتخضع لإدارتها، مما يعني أن الحكومة الأمريكية قادرة على خلق "أشخاص خفيين" بمجرد تقييد نتائج البحث لاستبعاد أي وجوه تفضل أن يبقى أصحابها طي الكتمان. وكثيرًا ما

تُستخدم هذه التقنية لضمان خصوصية وأمن المسؤولين الحكوميين، وكبار رجال الأعمال الأمريكيين، وأفراد الجيش أو المخابرات الذين يعملون في الخفاء.

عادت بذاكرة دانا تلك الباقة المحيرة من أزهار الخزامى الحمراء والبيضاء والزرقاء التي رأتها في الجناح الملكي. فهذه الأزهار هي هدية الترحيب المعتادة التي تقدمها سفيرة الولايات المتحدة لكبار الشخصيات الأمريكية التي تزور براغ، وبصفتها مسؤولة الاتصال والعلاقات العامة، كانت دانا هي المسؤولة عن توصيلها. والمشكلة أن هذه الباقة بالذات، لم تسمع بها دانا من قبل قط.

هل نسقت السفيرة هذا الأمر بنفسها؟

دوّى صوت امرأة من عند المدخل قائلًا" :السيدة دانيك."!

استدارت دانا وقد عرفت الصوت في الحال" :سعادة السفيرة؟! لقد كنت للتو."...

"هل كنتِ في فندق فور سيزونز؟."!

فتحت دانا فمها، لكن الكلمات أبت أن تخرج.

"هل لحقتِ بالسيد هاريس إلى هناك؟."

تفوهت دانا بالكلمات دون تفكير" :لا! حسنًا، نوعًا ما... لقد ظننت."...

"ظننتِ... ماذا؟"، اخترقتها نظرات السفيرة الحادة.

حدقت دانا في الأرض. تبًا.

"يا سيدة دانيك، لهذا السبب تحديدًا لا نقيم علاقات مع زملاء العمل.".

الفصل السادس والأربعون

فيما كانت سيارة الأجرة تصعد بلانغدون التل الأَشْجَرَ صوب برج بترين، أدركَ فجأة أن يده ما تزال قابضة على تلك القصاصة الورقية التي دُسّت له من تحت باب غرفة ساشا.

كاثرين في قبضتي.

الحق بي إلى برج بترين.

أيًا كان الذي تركها، فإنه يمتلك حِسًّا بالرمزية مشوبًا بالكآبة والتشاؤم؛ فالبرج ينتصب على قمة تل اشتهر بتاريخه المروع الذي تفوح منه رائحة الموت والقرابين البشرية.

وبالأخص، موت النساء... على أيدي المتعصبين.

تروي الأساطير أن مذبحًا للقربان كان يتربع يومًا على قمة تل بترين، حيث كان الكهنة الوثنيون يحرقون العذارى الصغيرات إرضاءً لآلهتهم الوثنية. وقد استمرت هذه القرابين قرونًا عدة، حتى جاء المسيحيون فاستولوا على المكان، وهدموا المذبح، وشيدوا على أنقاضه كنيسة القديس لورانس .ورغم ذلك، لم تزل نيران غامضة تندلع بانتظام حتى يومنا هذا على تل بترين، حتى بات البعض يعتقد أنها من فعل أشباح النسوة اللواتي قُدّمن قرابين، وأنهن ما زلن بالمئات يسكنّ هذه الغابات مسكونات بأرواحهن المعذبة.

كان سائق الأجرة، وهو رجل في الأربعينيات من عمره ذو شعر معقود في هيئة ذيل حصان، يشق طريقه صاعدًا المنعطفات الملتوية لتل بترين، وهو يختلس النظر بين الفينة والأخرى في مرآته الخلفية إلى راكبه. بدا على الرجل الجالس في المقعد الخلفي أنه على شفير الهاوية، يشرئب بعنقه ويُحدّق في توتر صوب قمة برج بترين.

"إن كنت تخشى المرتفعات يا صديقي، فما عليك إلا ألا تصعد".

كان الراكب طويل القامة، ذا شعر داكن، ورغم أن لكنته الأمريكية وسترته الباهظة كانتا تصرخان بأنه سائح، إلا أنه قفز إلى سيارة الأجرة بهلع رجل يفر من حريق هائل. وكان السائق قد حذّره من أن برج بترين قد لا يكون مفتوحًا في مثل هذه الساعة، كما نبهه إلى أن ثيابه لا تكاد تقيه صقيع الرياح، لكن الرجل أصر على المضي قدمًا.

"شأنك وحدك... فما يهمني في نهاية المطاف إلا الأجرة".

وبينما كانت سيارة الأجرة تواصل صعودها، أخذ السائق ينقر بأصابعه في سعادة على مقوده، مواكبًا إيقاع الأغنية التي تصدح من هاتفه. كانت أغنيته القديمة المفضلة "كلوكوتشي" تملأ الأجواء، ولكن ما إن وصلت الأغنية إلى معزوفة الكلارينيت المنفردة الرخيمة، حتى انقطع اللحن فجأة، لتحل محله سلسلة حادة من النغمات المتقطعة.

"تبًا "!!تفوه السائق بكلمة نابية، وقد أثاره هذا الانقطاع أشد إثارة.

لقد دأبت سلطات إنفاذ القانون في التشيك على بث هذه "التنبيهات العامة" المزعجة، أملًا في استقطاب مساعدة الجمهور في أعمال الشرطة المحلية. وكانت الموجة الأولى من هذه التنبيهات تُرسل دائمًا إلى موظفي النقل، وعاملي المطارات، والمستشفيات المحلية.

تذمر في سره قائلًا" :لديّ عملي الخاص، فلمَ أقوم بعملكم أنتم؟"!

ومن المثير للغضب أن معظم دول أوروبا قد تبنت النظام الأمريكي المعروف باسم "تنبيهات"AMBER ، على الرغم من المعنى الحرفي للمختصر، وهو: "مفقودو أمريكا: بث استجابة طارئة."

مد السائق يده ليتجاهل التنبيه ويعود إلى أغنيته، لكن اللافتة الوامضة على شاشة هاتفه استوقفته. كان هذا التنبيه مرمّزًا باللون الأزرق، وهو أمر نادر الحدوث للغاية في براغ .فعادة ما تكون التنبيهات مرمزة باللون الكهرماني أو الفضي، طالبةً مساعدة الجمهور في تحديد مكان طفل مفقود أو شخص مسن تائه. أما اللون الأزرق فكان ينذر بخطر أشد جسامة؛ إذ كان يعني أن ضابطًا من ضباط إنفاذ القانون قد قُتل، وأن مجرمًا خطيرًا لا يزال طليقًا.

"هل قُتل ضابط في براغ؟"!

ثم وقعت عيناه على صورة المشتبه به.

"يا للهول... إن هذا الرجل هو راكبي"!

وقف السائق مذهولًا، وتأكد من الأمر بنظرة خاطفة في المرآة الخلفية. ثم التقط هاتفه في هدوء مصطنع، وأجرى اتصالًا بالرقم الظاهر على التنبيه، وشرع في نقل المعلومات بهدوء باللغة التشيكية إلى الضابط الذي أجاب على الطرف الآخر.

كان رأس المقدم بافل يكاد ينفجر وهو يندفع خارج "حصن كروسيفيكس "، ويقفز خلف مقود سيارته السيدان من طراز ***ÚZSI.*** لقد أثمر التنبيه الأزرق الذي أصدره عبر هاتف ياناتشيك عن استجابة في غضون دقائق معدودة... والتي، كما رتب بافل، عادت مباشرة إلى هاتف ياناتشيك.

لا أحد غيري يملك المعلومة التي تلقيتها للتو.

كان روبرت لانغدون متجهًا إلى برج بترين، ورغم أن بافل لم يكن ليتخيل السبب وراء ذلك، إلا أنه ما كان ليجد مكانًا أفضل من ذلك ليوقع فيه بالرجل الأمريكي. فالمنطقة المحيطة بتل بترين كانت نائية وشاسعة. والأهم من ذلك، أنها في مثل هذه الساعة المبكرة من صباح شتوي، ستكون مقفرة تمامًا.

سيكون من دواعي سروري أن أُردي لانغدون قتيلًا.

كل ما أحتاجه هو سلاح.

عثر بافل على مسدس ياناتشيك داخل صندوق القفازات. وبينما كان يدس السلاح في جراب مسدسه الجانبي الفارغ، راح يتخيل كم سيكون ملائمًا ومُرضيًا لنفسه أن يطلق النار من مسدس قائده، ويقتل الرجل الذي اغتال ياناتشيك بدم بارد.

العين بالعين.

الفصل السابع والأربعون

في عام 1889، بعد أن زار مسؤولو مدينة براغ المعرض العالمي في باريس وشاهدوا بأعينهم ذلك البرج الذي شيده غوستاف إيفل فخطف الأبصار، لم يلبثوا أن قرروا بناء نسختهم "المصغرة" من برج إيفل في براغ .وقد أقيم هذا البرج فوق تلة بترين، وأُنجز في عام 1891، لكنه لم يكن مصغرًا إلا اسمًا، إذ ناهز ارتفاعه المائتي قدم فوق قمة تلة كانت ترتفع أصلًا بأكثر من ألف قدم.

وعلى غرار توأمه الباريسي الذي استلهم منه فكرته، شُيّد برج بترين بهيكل متشابك مفتوح من الدعامات والعوارض الفولاذية المبرشمة. وبصرف النظر عن تباين الارتفاع بينهما، فإن برجي باريس وبراغ يبدوان متشابهين إلى حد لافت في هيئتهما الظلية، ولعل الفارق الجلي الوحيد بينهما يكمن في قاعدة برج إيفل المربعة، وقاعدة برج بترين المثمنة الأضلاع.

وعندما بلغت سيارة الأجرة التي تقل لانغدون أخيرًا مصف السيارات المشجر عند سفح برج بترين، راح يجول ببصره القلق في المكان المقفر بحثًا عن أي أثر للحياة.

لدي كاثرين. تعال إلى برج بترين.

سارع لانغدون إلى دفع الأجرة، مضيفًا إليها إكرامية سخية، ثم طلب من السائق أن ينتظره. فغمغم السائق بكلمات تشيكية تنم عن توتره، وما كاد لانغدون يطأ بقدمه الأرض ويصفق الباب خلفه حتى انطلق السائق كالبرق، مخلفًا إياه وحيدًا في ذلك المصف المقفر تعصف به الرياح.

يا لسوء الحظ.

لقد بدا برج بترين أطول بكثير مما علق بذاكرته، وخُيّل إليه اليوم أنه يترنح في مواجهة السماء الرمادية الكالحة. وبدت الغابة التي تكسوها طبقة خفيفة من الثلج وتحيط بالبرج وادعة مهيبة، ولم يكن فيها سوى نفر قليل من عمال الصيانة والموظفين الذين بدأوا يومهم لتوهم. لم يلمح لانغدون أي أثر لكاثرين، ولا لأي شخص يثير الريبة. وبينما كان يجاهد لينحي عن فكره تاريخ هذه التلة المشؤوم وما شهدته من قرابين بشرية، أسرع لانغدون الخطى نحو البرج نفسه، وفؤاده يعتصره أمل محموم في أن تكون كاثرين حقًا في مكان ما هناك... وأن تكون آمنة.

وعند قاعدة برج بترين، يربض مركز الزوار، وهو بناء منخفض مثمن الأضلاع، يحتل مكانه بإتقان بين أرجل البرج الثماني الضخمة الداعمة له. وكان للبناء سقف ينحدر بلطف، يخترقه عمود رفيع يصعد صعودًا حتى يبلغ قمة البرج. مصعد صغير، هكذا قال لانغدون لنفسه. ولسوء الحظ،

كان الخيار الثاني هو درج حلزوني مكشوف يلتف حول العمود صاعدًا إلى الأعلى. ولم يكن أي من سبيلي الصعود مغريًا بوجه خاص.

وبينما كان يقترب من البرج، سمع لانغدون صرير تروس المصعد واحتكاك المعدن بالمعدن والعربة تصعد في جوف العمود. هناك من يصعد إلى القمة، هكذا جال في خاطره وهو يترقب. أتكون كاثرين؟

اندفع إلى بهو الزوار، وهي قاعة مثمنة الأضلاع زينت جدرانها بصور تاريخية لمراحل بناء البرج. كان البهو مقفرًا إلا من موظفة شابة كانت تفرغ صناديق من التذكارات الخاصة بمدينة براغ.

قالت بابتهاج !Dobré ráno" :صباح الخير"!

رد لانغدون" :صباح الخير. هل البرج مفتوح؟"

أجابت" :لقد فتح أبوابه للتو. ليس في القمة سوى شخصين. هل تريد تذكرة؟"

أحس لانغدون بنبضه يتسارع. شخصان. لم يستطع إلا أن يتساءل إن كانا كاثرين وآسرها .هل يفترض بي أن أصعد؟ لم تكن الرسالة واضحة في هذا الشأن، ولكن لانغدون لم يكن مستعدًا للمخاطرة. إن مجرد التفكير في

وقوع كاثرين في قبضة مجنون ما، على ارتفاع مئات الأقدام فوق منصة مراقبة مكشوفة، قد ملأه رعبًا وهلعًا.

اشترى لانغدون تذكرة ووقف ينتظر أمام باب المصعد. وفي مكان ما فوقه، كانت العربة تشق طريقها صاغرة إلى أسفل. وعندما انفرج البابان أخيرًا محدثين قعقعة، وجد لانغدون نفسه يحدق في مقصورة ضيقة غريبة الشكل، تبدو وكأنها لم تجدد منذ القرن التاسع عشر.

تلقائيًا، تحولت نظراته إلى الدرج الحلزوني القريب، الذي كان موصودًا بشريط لافتة كُتب عليها / ZAVŘENO :مغلق. وحذرت لافتة أخرى من أن درجات السلم البالغ عددها 299 شديدة الانحدار.

سأل لانغدون" :هل الدرج مفتوح؟"، آملًا أن تكون الموظفة قد بدأت عملها للتو ولم تنزع بعد لافتة اليوم.

أجابت" :إنه مغلق في الشتاء. فالرياح عاتية... والثلوج والجليد اليوم"!

يا للروعة. ألقى نظرة كارهة على مقصورة المصعد الضيقة، وترددت في ذهنه ثلاث كلمات.

كاثرين في قبضتي .

أخذ لانغدون نفسًا عميقًا، ودلف إلى المصعد. ضغط على الزر، فانغلق البابان بعنف. وبينما كانت العربة تصعد وهي تحدث قعقعة، ركز انتباهه على لوحة معدنية على الجدار، حيث كانت سلسلة من الأضواء الحمراء تومض تباعًا لتشير إلى مدى تقدمه في الصعود.

ومع ارتفاع المصعد، بدأ لانغدون يشعر بأنه غير مستعد على الإطلاق لمواجهة من أو ما قد يجده في الأعلى. وتساءل إن كان قد أخطأ بعدم أخذه المسدس من ساشا .ماذا لو كان آسرها مسلحًا؟ وكلما صعد إلى أعلى، أحس بجدران المصعد تطبق على أنفاسه. أغمض لانغدون عينيه وأخذ يدندن بلحن أغنية ريفية بعنوان "فضاءات رحبة."

وعندما أبطأ المصعد أخيرًا وتوقف، استجمع لانغدون شجاعته وفتح عينيه. انفتح بابا المصعد بقعقعة، فشعر لانغدون بارتياح فوري لرؤية الهواء الطلق، ولكن سرعان ما تبدد هذا الشعور وحلت محله خيبة الأمل. فالشخصان اللذان كانا على قمة البرج هما زوجان في العشرينيات من عمرهما، من أصل هندي، كانا يلتقطان الصور لمدينة براغ بسعادة غامرة.

لم تكن كاثرين هنا.

حث لانغدون نفسه على التحلي بالصبر؛ ففي نهاية المطاف، كان قد غادر شقة ساشا فور تلقيه الرسالة ووصل إلى هنا بسرعة. لقد وصلت مبكرًا،

هكذا استنتج، ولعل ذلك أفضل من بعض النواحي. يمكنني أن أراهما قادمين، فكر وهو يسير نحو السياج ويشرف ببصره على مصف السيارات في الأسفل.

كانت الرياح تهب الآن بعنف أشد، وما كان تأرجح البرجِ إلا ليزيد من اضطراب لانغدون وقلقه. وبينما كان يذرِع منصة المراقبة الضيقة التي تحيط بالمصعد، مر بالدرجِ الحلزوني الهابط، وكان مدخله موصودًا بلافتة ورسم ينذر بالخطر يصور شخصًا تسقطه الرياح من فوق البرجِ. لا، شكرًا.

وجد لانغدون بقعة محمية نوعًا ما لينتظر فيها، تطل على غابات متنزه بترين .وكان هذا الموقع السياحي الشهير يوفر العديد من عوامل الجذب للأطفال، بما في ذلك حديقة سرية، وملعب بالحبال، وأراجيح، ولعبة دوامة الخيل التي كان يجري الكشف عنها استعدادًا لليوم. ووقعت عينه على كنيسة القديس لورانس في الأسفل، حيث كان يقوم قديمًا مذبح القرابين الوثني، وعادت إلى ذهن لانغدون مرة أخرى الشائعات عن الأشباح الهائمة والعذارى المقتولات.

ليس مكانًا ملائمًا للعائلات تمامًا، فكر في نفسه ورفع بصره إلى الأعلى، متتبعًا المنظر البانورامي الأخاذ لمدينة براغ ...برجا كنيسة فيشهراد التوأمان،

وبرج البارود، وجسر تشارلز، وكاتدرائية القديس فيتوس الشاهقة، التي تحيط بها أسوار قلعة براغ المترامية الأطراف.

لقد ألقت كاثرين محاضرة في تلك القلعة الليلة الماضية، وتساءل لانغدون الآن عما إذا كان اختطافها قد يتعلق بطريقة ما بشيء قالته في محاضرتها... أو في أبحاثها العلمية. وإذا كان الأمر كذلك، فليس لديه أدنى فكرة عما يمكن أن يكون.

كما خطر للانغدون احتمال آخر. فقد أخذت الشكوك تساوره بشأن صحة رسالة الفدية المنسوبة لكاثرين .كان هناك شيء مريب في الرسالة. من أنت؟ ولماذا برج بترين؟ لم يكن أي من ذلك منطقيًا، وبدا من المحتمل أن تكون الرسالة برمتها جزءًا من خدعة غريبة.

قال صوت من خلفه" :سيدي؟."

التفت لانغدون فرأى الزوجين الهنديين الشابين. كانت المرأة تبتسم وهي تمد هاتفها نحو لانغدون" :هل تتكرم بالتقاط صورة لنا؟ لقد نسيت في الفندق تلك الحاملة التي تعين على التقاط الصور".

بدا الشاب معتذرًا" :عذرًا. إنه شهر عسل لـ إنستغرام".

استجمع لانغدون نفسه" :بالطبع".

وضعت المرأة زوجها عند السياج، وانضمت إليه، وأعطت لانغدون إشارة البدء. وبعد التقاط عدة صور، هم لانغدون بإعادة الهاتف، لكن المرأة طلبت منه مواصلة التصوير بينما يجربان أوضاعًا وتعبيرات مختلفة.

قال الرجل، وقد بدا عليه الإحراج الشديد" :لديها الكثير من المتابعين".

الخلود من خلال الشهرة، تأمل لانغدون وهو يلتقط الصور، متذكرًا أن شكسبير وهوميروس وهوراس قد أجمعوا على أن الرغبة البشرية الفريدة في "الشهرة" ما هي في الواقع إلا عرض لسمة بشرية فريدة أخرى، ألا وهي خوفنا من الموت. أن تكون مشهورًا يعني أنك ستُذكر بعد موتك بفترة طويلة... فالشهرة نوع من الحياة الأبدية.

قالت المرأة وهي تمد يدها لتأخذ هاتفها" :أعتقد أن هذا يكفي! دعني أتحقق منها."!

أعاد لانغدون جهازها، ملاحظًا بحرًا من شارات الإشعارات الحمراء على جميع تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بها. إنه مقياس الشهرة في عالمنا الجديد. تصفيق رقمي.

راحت تمرر الصور، وهي تهز رأسها بالإيجاب، ثم قالت بابتهاج" :تبدو مثالية! شكرًا لك."!

تمكن لانغدون من رسم ابتسامة" :مبروك".

توجه العروسان عائدين إلى المصعد، بعد أن لم يلبثا هنا إلا ما يكفي من الوقت لتصوير أنفسهما قبل الانتقال، على الأرجح، إلى فرصة التصوير التالية. كان لانغدون يشعر أحيانًا أن السبب الوحيد لفعل أي شيء في هذه الأيام هو نشره ليراه العالم.

وبينما انفتح بابا المصعد محدثين قعقعة، خطرت للانغدون فكرة.
نادى على الزوجين" :عفوًا. هل يمكنني أن أطلب منكما معروفًا صغيرًا؟."

توقفا عند المدخل، وأبقيا الباب مفتوحًا ونظرا إليه.

قال لانغدون" :كان من المفترض أن ألتقي بشخص ما هنا، لكنها لم تصل. لقد فقدت هاتفي هذا الصباح، وكنت أتساءل إن كان بإمكاني استخدام هاتفكما لإجراء مكالمة سريعة لها؟."

بدت المرأة وكأن لانغدون قد طلب منها أن تحمل وليدها، ولكن بعد دفعة من زوجها، ناولته هاتفها على مضض.

وبينما كان الزوجان الشابان يراقبانه عن كثب، أسرع لانغدون بطلب الرقم الذي رآه مرارًا وتكرارًا على مكتب استقبال فندق فور سيزونز، فأجاب الصوت المألوف لمدير الفندق مع أول رنة.

"شكرًا لاتصالك بفندق فور"...

قاطعه لانغدون" :صباح الخير سيدي. معك روبرت لانغدون. أحتاج إلى التحدث مع كاثرين سولومون فورًا. الأمر هام".

"أوه، أهلاً بك يا بروفيسور ".فتر حماس المدير فجأة" .لا أعتقد أن الدكتورة سولومون هنا. لقد غادرت الفندق هذا الصباح بينما كنت... تسبح".

"ألم تعد أبدًا؟"

"لم أرها يا سيدي. سأحاول الاتصال بغرفتكما".

وبينما بدأ خط جناحهما يرن دون إجابة، كان على لانغدون أن يتقبل الحقيقة المخيفة بأن كاثرين ربما لم تعد إلى الفندق هذا الصباح. إذن أين ذهبت؟! وبينما كان يحاول أن يتخيل أين يمكن أن تكون، خطرت له فكرة غريبة.

لا أصدق أنني لم أفكر في ذلك من قبل...

كان الخط لا يزال يرن، وبدا على الزوجين الهنديين نفاد الصبر وهما يمسكان بباب المصعد المفتوح في انتظار النزول.

فجأة، هتف لانغدون، متظاهرًا بأن شخصًا ما قد أجاب" :حبيبتي! أين أنتِ؟! أنا في برج بترين و "...ثم صمت، كأنه يستمع، ثم شهق شهقة مسرحية" :انتظري، ماذا؟! تمهلي. فقط تحدثي إلي."...

أشار لانغدون إلى أنه بحاجة إلى لحظة من الخصوصية، ودون انتظار موافقة، أدار ظهره للزوجين وسار حول المنصة، بعيدًا عن الأنظار خلف عمود المصعد، وفتح على الفور متصفح الإنترنت.

ربما حاولت كاثرين الاتصال بي هذا الصباح...

لقد كان غارقًا في فوضى الصباح لدرجة أنه لم يكن يفكر بوضوح، لكن شارات الإشعارات الحمراء على تطبيقات المرأة ذكرته الآن بتلك الإشعارات نفسها على حاسوبه المحمول.

البريد الإلكتروني. لسنوات قبل هذه الرحلة، كان لانغدون وكاثرين يتواصلان دائمًا بهذه الطريقة. كانت كاثرين تسميها طريقة قديمة، لكن لانغدون كان يمقت الإلحاح الضمني للرسائل النصية، لذا فقد اعتمدا البريد الإلكتروني.

أدرك أنه إذا حاولت كاثرين الوصول إليه هذا الصباح عن طريق الهاتف أو الرسائل النصية دون رد، فمن المحتمل أنها كانت سترسل له بريدًا إلكترونيًا يمكنه قراءته على حاسوبه المحمول.

لم أتحقق من بريدي هذا الصباح!

انتقل لانغدون بسرعة إلى موقع gmail.com وسجل الدخول إلى حسابه. بدأ صندوق الوارد الخاص به في التحميل، ببطء شديد. هيا!

كان باب المصعد يصدر طنينًا، احتجاجًا على ما يبدو على إبقائه مفتوحًا لفترة طويلة.

أخيرًا، تحديث الشاشة، وظهر صندوق الوارد الخاص بلانغدون.

لديك 31 رسالة غير مقروءة

لعن صندوق بريده المكتظ ومرر بصره سريعًا على قائمة الرسائل الواردة من الزملاء والأصدقاء ورسائل البريد العشوائي المتنوعة. ومع اقترابه من نهاية القائمة، بدأ الأمل يتلاشى.

ثم رآها. نعم!

من: كاثرين سولومون

كان الطابع الزمني يشير إلى الساعة 7:42 من صباح هذا اليوم — بعد أن غادرت كاثرين الفندق ولكن قبل اجتماعها مع غيسنر.

الغريب أن سطر الموضوع كان فارغًا.

وبينما كان قلبه يتسارع، نقر لانغدون لفتح الرسالة، ولكن عندما ظهرت، كانت فارغة أيضًا. لا يوجد شيء هنا؟ وبعد لحظة، لاحظ الرمز الذي يشير إلى وجود صورة مرفقة بالرسالة. هل أرسلت صورة؟ نقر على الرمز، وبدأ المؤشر يدور مرة أخرى بينما يتم تحميل الصورة. كان الهاتف يظهر شرطة واحدة فقط من قوة الإشارة.

نادى صوت قريب" :سيدي؟."

رفع لانغدون بصره فرأى الشاب قادمًا من حول عمود المصعد.

تساءل الرجل" :ماذا تفعل؟! لقد قلت إنك تريد إجراء مكالمة! هل تتصفح"...

قال لانغدون" :لا! أحتاج إلى التحقق من رسالة واردة. أنا آسف. الأمر مهم جدًا ".ورفع الشاشة الفارغة" .إنها قيد التحميل فقط. سأعيده في غضون ثانية".

قال الرجل وهو يسير نحوه" :أود استعادته الآن يا سيدي".

استمر المصعد في الطنين.

حمّل، بحق السماء!

هبت الرياح بقوة أكبر، وبدأت المرأة تنادي على زوجها.

"سيدي "!مد الرجل يده ليأخذ الهاتف.

قال لانغدون والمؤشر يدور" :أرجوك... ثانية واحدة. أحتاج حقًا أن أرى"...

طالب الشاب" :الآن! ليس لديك الحق في"...

صاح لانغدون بينما تجسدت الصورة أمامه أخيرًا" :ها هي."!

لم يكن لانغدون متأكدًا مما إذا كانت الرياح قد حركت البرج أم أن ركبتيه قد خانتاه، لكنه شعر فجأة باختلال توازنه. كانت الصورة التي على الشاشة غير متوقعة على الإطلاق، ولم يكن ليتخيل أبدًا أن ترسل له كاثرين شيئًا كهذا.

حدق لانغدون للحظة طويلة في "الرسالة" الغريبة، تاركًا لذاكرته الفوتوغرافية تلتقط صورة ذهنية لها. ثم أغلق المتصفح وأعاد الهاتف إلى الشاب الذي انتشله من يده ومضى غاضبًا.

بعد بضع ثوان، سمع لانغدون المصعد يبدأ رحلة هبوطه.

الفصل الثامن والأربعون

بلغ مايكل هاريس عتبة باب شقة ساشا فيسنا، وقد أخذت الخواطر تتجاذبه، تُسائله كم من مرةٍ وقَفَ في هذا المكان عينه، مُكللًا بالخزي، يُمنّي نفسه بأن هذه ستكون خاتمة المطاف، وأن قدميه لن تطأ هذا الدرب مرة أخرى.

فما كان منه إلا أن استجمع شجاعته، وطرق الباب طرقًا عنيفًا. فلما لم يجد من مجيب، أدار مقبض الباب، فإذا به ينفتح له على مصراعيه.

لم يكن في الأمر من عجب، فهي ولا شك تترقب قدومي.

»ساشا؟ «هتف بها وهو يَلِجُ الشقة، »ها أنا ذا قد جئت«!

بيد أن الأثر الوحيد للحياة في المكان كان قطّيها، هاري وسالي، وهما يخطران نحوه في دعةٍ آتيين من عمق الرواق. خطا هاريس إلى الداخل وأغلق الباب خلفه كي لا يتمكن القطّان من الفرار.

»ساشا؟ أيها الأستاذ لانغدون؟«

ساد صمت مطبق.

وفي حيرة من أمره، توجّه هاريس إلى نهاية الرواق ثم ولج المطبخ، حيث لمح ثلاثة فناجين قد أُعدّت للشاي، والبخار يتصاعد من إبريق الماء.

غريب! هل غادرا المكان؟

وما إن همّ بالاستدارة عائدًا أدراجه صوب الرواق، حتى انبعث من خلفه صرير لوح خشبي، تلاه وميض كهربائي خاطف مزق صُلبه تمزيقًا.

وعلى الفور، شُلّت أوصاله، فخرّ على ركبتيه، ثم هوى بجسده كله إلى الأمام، ليرتطم بالأرض ارتطامًا مدويًا.

لبرهة من الزمن، غاب عقله عن الوجود، وأخذ طنين حاد يصمّ أذنيه، فيما تَخشّبت عضلاته فلم يعد يقوى على حراك. وبينما كان وعيه يستيقظ رويدًا رويدًا، لم يخطر ببال هاريس سوى أن شخصًا ما قد خرج لتوّه من خزانة المطبخ الصغيرة وباغته بصاعق كهربائي من طراز *Taser*.

يا للهول! ما الذي حلّ بساشا ولانغدون؟

»سا... شا «!حاول أن يناديها، ولكن صوته خرج واهنًا لا يكاد يُسمع.

»لن تسمعك ساشا«، قال صوت عميق أجوف من فوقه، »ليس حيث هي الآن«.

***لا !*وقبل أن يتمكن هاريس من الالتفاف ليرى مهاجمه، أحسّ بأسنان الصاعق الكهربائي تنغرس بحدّة في قاعدة جمجمته.**

ثم انطلقت صعقةٌ حارقة... وغرق عالمه في سواد حالك.

وقف الغولم شامخًا فوق جسد مايكل هاريس المشلول، الذي كان ملقى على وجهه فوق الأرضية الخشبية. لقد أفقدته صعقة مسدس ***Vipertek*** وعيه تمامًا. اعتلى الغولم جسد الرجل القوي، ثم جثا على ركبتيه، وأخرج كيسًا بلاستيكيًا سميكًا كان قد عثر عليه في الخزانة، وسحبه فوق رأس هاريس .ثم أحكم لَفّه حول عنقه، قاطعًا عنه سُبل الهواء.

وبعد ثلاث دقائق، أرخى الغولم قبضته.

لم يعانِ إلا يسيرًا.

كان يعلم أن ساشا ستقدر له ذلك. لقد حبس الغولم ساشا في مكان أمين، وكان ينوي أن يبقيها هناك حتى يكون مستعدًا لخطوته الأخيرة.

والآن، إذ نهض واقفًا، أحسّ الغولم بالأثير يتجمّع في كيانه، كما كان يحدث له غالبًا في لحظات الجهد العظيم. فأخرج على عجل ذلك القضيب المعدني الذي لم يكن يفارقه قط.

«**Ne seychas**»، همس بها وهو يفرك بالقضيب قمة رأسه» .ليس الآن«.

كان على الأثير أن ينتظر، فما زال في هذا العالم شأنٌ لم يُقضَ بعد. ترك الجثة هامدة على الأرض، وتخلص من الكيس البلاستيكي في سلة مهملات المطبخ، ثم سار إلى مكتب صغير في الرواق، حيث جلس ليكتب.

لم يعثر إلا على ورقة من أوراق ساشا الخاصة التي كانت مزينة بصور هُرَيْرات صغيرة. ورغم ذلك، خطّ رسالة قصيرة ووضعها في ظرف متناسق معها.

ثم خطّ على وجه الظرف بحروف بارزة اسم رئيس مايكل هاريس في عمله.

السفيرة الأمريكية هايدي نيغل

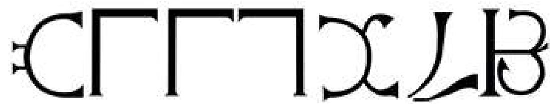
وقبل أن يغادر، ألقى الغولم بالظرف فوق جسد الملحق الهامد. ثم ترك باب شقة ساشا مفتوحًا، ومضى في طريقه إلى دياره.

الفصل التاسع والأربعون

وقد انفرد لانغدون بنفسه فوق قمة برج بترين، راح يستند إلى سياج منصة المراقبة، والريح تسفع وجهه وتجلد المنصة بسياطها. وبينما كانت عيناه معلقتين بالمدينة المكللة بالثلوج، إلا أن الصورة التي ارتسمت في مخيلته لم تكن لمدينة براغ البتة؛ بل كانت لقطة حية لما أرسلته إليه كاثرين في بريدها الإلكتروني فجر هذا اليوم.

كان أثر ملكة "الاستحضار الصوري" عند لانغدون لا يختلف في شيء عن رؤية الشيء رؤية العين. فذاكرته الصورية تمنحه قدرة دقيقة وكلية على استرجاع أي مدخل بصري، وقد اشتُق هذا المصطلح من اللفظة اليونانية ***eidos***، والتي تعني "الشكل المرئي."

تأمل لانغدون الصورة التي بعثت بها، والتي بدت وكأنها لقطة من شاشة هاتفها هي. وقد ظهر على شاشتها سلسلة متوهجة من سبعة رموز.



عرف لانغدون تلك اللغة القديمة على الفور، ولكنه لم يدر بخلده قط ما الذي أتى بها إلى هاتف كاثرين.

هل أرسلت إلي شيئًا... باللغة الإينوكية؟

كثيرًا ما يُطلق عليها "لسان الملائكة"، وهي لغة "اكتُشفت" هنا في براغ عام 1583 على يد رجلين إنجليزيين ادعيا التصوف، هما جون دي وشريكه إدوارد كيلي .وقد زُعم أنها اللغة التي كان الوسيطان الروحانيان يتحدثان بها إلى الأرواح وينالان بها "الحكمة من العالم الآخر."

والسبب الوحيد الذي جعل كاثرين تعلم بوجود اللغة الإينوكية هو أن لانغدون قد أخبرها عنها بالأمس فحسب. فبينما كانا يسيران في الطرقات، لمحا ملصقًا يعلن عن معرض بعنوان *صناعة الذهب ومقايضة الزوجات*، وكان الملصق، فضلًا عن نصه الجذاب، مزينًا برموز إينوكية. سألت كاثرين لانغدون عن ماهية تلك الرموز، فقص عليها الحكاية المشينة لشغف دي وكيلي التاريخي بالخيمياء، ومقايضة الزوجات، ومخاطبة الملائكة بلغتهما الخاصة، الإينوكية، لغة عالم الأرواح الغامضة.

قال لها لانغدون" :من شبه المؤكد أنهما كانا ثنائيًا من المشعوذين الانتهازيين، ولكنهما كانا مطلوبين بشدة في عصرهما، حتى إن الإمبراطور رودولف الثاني قد استأجرهما ليسألا الملائكة أن تعينه على اتخاذ قرارات سياسية حكيمة".

سألته وهي تبتسم" :وهل جرب ساستنا المعاصرون ذلك؟"

أجابها لانغدون" :ليس الأمر عسيرًا. بل إن هناك تطبيقًا إينوكيًا لهاتفك".

صاحت كاثرين وهي تضحك بصوت عالٍ" :تطبيق من عصر النهضة للتحدث إلى الأرواح؟"!

أخذ لانغدون هاتفها وقام على عجل بتنزيل التطبيق المجاني" :ها هو ذا، الآن يمكنكِ أنتِ أيضًا التواصل مع بعد آخر".

"هذا سخف مطبق".

سألها لانغدون وهو يبتسم ابتسامة ماكرة" :سخف؟ هل وجدنا أخيرًا فكرة غيبية لا تؤمنين بها؟"

"ظريف جدًا يا بروفيسور".

طبع لانغدون قبلة على خدها" :تبدين فاتنة حين تعتريكِ السخرية".

والآن، وهو يرتجف فوق برج بترين، خمّن لانغدون أن كاثرين لا بد أنها استخدمت تطبيق الترجمة الإينوكية لإنشاء رسالة، ثم أرسلت إليه لقطة شاشة منها عبر البريد الإلكتروني.

ولكن لمَ؟ أكانت تداعبه؟

لم يجد لانغدون أي شيء يدعو للمداعبة في قراءة لغة الأرواح وهو يقف على قمة تلة تسكنها الأشباح بحثًا عن امرأة اختفى أثرها. كان من المتصور ألا تكون كاثرين لاعبة البتة، بل إنها قد شفرت رسالتها حفاظًا على

سريتها. والمشكلة أن أي شخص لديه قاموس أو تطبيق إينوكي يمكنه فك شفرتها بيسر.

استحضر لانغدون الصورة في ذهنه.

إن ترجمة اللغة الإينوكية إلى الإنجليزية ما هي في الواقع إلا مخطط استبدال بسيط إلى حد يبعث على السخرية. ولطالما وجد لانغدون أنه من المريب والميسر أن تكون اللغة الغامضة التي اكتشفها مستبصر بريطاني مجرد نقل حرفي لكل رمز بما يقابله في الأبجدية الإنجليزية.

كان لانغدون قد حفظ "مفتاح" اللغة الإينوكية عن ظهر قلب منذ زمن بعيد، ولم يحتج إلا لبضع ثوانٍ لإجراء النقل الحرفي، محولًا الرموز في رسالة كاثرين إلى حروف إنجليزية.

بيد أن النص الذي ظهر بعد فك الشفرة بدا خاليًا من أي معنى.

LXXEDOC

تحير لانغدون أمام هذه السلسلة المتشابكة من الحروف، التي بدت وكأنها عدد روماني، لولا أن حرفي E و O لا وجود لهما في ذلك النظام العددي، ولولا أن الحروف الأخرى لم تكن في تسلسلها الصحيح.

مهما كان ما أرادت كاثرين أن تخبرني به... فليس هذا هو.

ولسوء الحظ، لو أنها أخطأت أثناء الترجمة، لما خطر لها أبدًا أن رسالتها لم تكن صحيحة، لأن كل ما كانت ستراه هو الرموز التي أرسلتها إليه.

وبدافع من الإحباط، ألقى لانغدون بنظره على المشهد المشجر أمامه وحاول أن يقرر خطوته التالية. وفيما هو كذلك، انطلق سرب هائل من الطيور من بين الأشجار، فارتفع كتلة واحدة، ودار في اللحظة ذاتها بدقة متناهية، محلقًا كأنه طائر واحد.

إن الكون ليسخر مني، هكذا قرر لانغدون وهو يراقب تلك السحابة غير المتبلورة من الطيور وهي تتموج عبر السماء. لقد أجرت كاثرين أبحاثًا حول أسراب الزرزور المتزامنة، وأعلنت أن هذه الظاهرة دليل علمي على وجود صلة خفية بين الكائنات الحية.

قالت لجوناس في غدائهما العام الماضي وهي تعرض مقطع فيديو ساحرًا لطيور الزرزور تتحرك كلها كجسد واحد" :إن الانفصال ليس إلا وهمًا. هذه الظاهرة تسمى التزامن السلوكي، وهي تحدث في جميع أرجاء الطبيعة".

مررت عبر عدة مقاطع فيديو: سرب من أسماك الزراق يمتد لميل، وكلها تنعطف يمينًا ويسارًا في تزامن تام؛ قطيع لا نهاية له من الغزلان المهاجرة، كلها تقفز وتثب في انسجام تام؛ سرب من اليراعات، كلها تضيء وتومض

في تناغم تام؛ عش يضم مئات من بيوض السلاحف البحرية، كلها تفقس في غضون ثوانٍ من بعضها البعض.

قال فوكمان" :مذهل".

قالت كاثرين" :لا تكف عن إدهاشي أبدًا. يزعم بعض العلماء التقليديين أن التزامن السلوكي ما هو في الواقع إلا وهم... وأن هذه الكائنات تتفاعل ببساطة مع بعضها البعض بسرعة فائقة لدرجة أن التأخير الزمني غير محسوس ".هزت كاثرين كتفيها" .ولسوء الحظ، أثبت زوج من كاميرات الفيديو عالية السرعة المرتبطة بساعات ذرية في مقدمة ومؤخرة سرب من الأسماك أن زمن رد فعلها المزعوم أسرع من سرعة الضوء".

قال لانغدون" :ورطة".

قالت كاثرين بابتسامة" :بالضبط. هذا أمر محظور في نموذجنا الحالي للفيزياء والواقع. بدلًا من ذلك، أود أن أجادل بأنه توجد وجهة نظر لا يبدو منها هذا التزامن معجزًا على الإطلاق. فإذا نظرت إلى سرب من الزرزور لا على أنه طيور فردية كثيرة، بل على أنه كائن حي واحد مكتمل، فإن التزامن حينئذ يصبح أمرًا متوقعًا. إن طيور الزرزور تتحرك كجسد واحد لأنها في الحقيقة جسد واحد... منظومة مترابطة. لا انفصال. تمامًا مثل الخلايا الفردية في جسدك، والتي تشكل الكيان المتكامل الذي هو أنت".

بدا فوكمان مفتونًا.

قالت كاثرين، وقد بدا الحماس في صوتها الآن" :أعتقد أن الأمر نفسه ينطبق على كل واحد منا كبشر. إننا نتصور أنفسنا خطأً كأفراد معزولين، بينما نحن في الحقيقة جزء من كائن حي أكبر بكثير. والشعور بالوحدة الذي ينتابنا مرده أننا لا نستطيع رؤية الحقيقة، وهي أننا، في الواقع، مندمجون في الكيان الكلي. إن الانفصال هو وهمنا المشترك".

لمست الجهاز اللوحي" :لكن لا تأخذوا هذا مني. إليكم أحد ألمع العقول في التاريخ ".ظهرت شاشة جديدة، تحمل اقتباسًا من ألبرت أينشتاين:

إن الكائن البشري جزء من كلٍ نسميه "الكون..."

إنه يختبر نفسه، وأفكاره، ومشاعره

كشيء منفصل عن البقية،

وهو ضرب من الخداع البصري لوعيه.

وهذا الوهم هو سجن لنا.

قالت كاثرين" :حتى أعظم عالم عاش على الإطلاق، أعلن أن وعينا يضللنا ويخدعنا لنرى الانفصال حيث لا يوجد سوى الوحدة".

تذكر لانغدون أن ليوناردو دافنشي قال الشيء نفسه :*أدرك أن كل شيء يتصل بكل شيء آخر.*

واصلت كاثرين" :وقد صدرت تصريحات مماثلة عن الأنبياء الروحيين على مر العصور، ولكن اليوم، هناك عدد متزايد من علماء فيزياء الكم يرددون الإيمان بالترابط بين كل الأشياء... وكل الناس ".ابتسمت كاثرين لفوكمان : "أعترف أنه من الصعب تصور ارتباطنا بعالم لا يمكننا رؤيته، لكن صدقوني، ستفهم الأجيال القادمة. سيأتي يوم نرى فيه أن تصورنا بأننا وحدنا في العالم كان يومًا ما أعظم وهم مشترك للبشرية".

ضغط فوكمان عليها بالسؤال" :وماذا عن تجاربك؟ تلك التي لا تخبريننا عنها؟ هل تعكس هذا الترابط؟"

ابتسمت كاثرين، وعيناها تلمعان بالإثارة" :سادتي، إن نتائج هذه التجارب لن تذكرنا فقط بأننا جميعًا مترابطون، بل سوف تضيء لنا السبيل نحو فهم جديد كليًا لحقيقتنا ولقدراتنا البشرية الكامنة".

في تلك اللحظة، أعاد صوت صرير حاد لانغدون إلى الريح الباردة على قمة برج بترين .وللحظة، ظن أنه صوت صادر من المصعد، ولكنه بدلًا من ذلك نظر إلى الأسفل ورأى سيارة قد توقفت للتو بصرير عالٍ عند قاعدة البرج. كانت السيارة السوداء تبدو مألوفة بشكل ينذر بالشر. وأكدت الشعارات على الأبواب ظنونه.

ÚZSI.

لم يستطع لانغدون تمييز وجه الرجل الذي يرتدي الزي الرسمي والذي قفز من مقعد السائق في الأسفل، وكان الآن يركض عبر مصف السيارات نحو البرج. ولكن لم يكن هناك مجال للخطأ في بنيته المفتولة العضلات.

أو المسدس الكبير الذي كان يقبض عليه في يده.

الفصل الخمسون

اقتحم المقدم بافل قاعة زوار برج بترين وقد كان سلاحه مشرعًا في يده بالفعل.

»أين ذلك الأمريكي؟ «!صاح باللغة التشيكية في وجه الموظفة التي تقف خلف المنضدة.

تراجعت المرأة المذعورة إلى الوراء، وقد تناثرت من بين يديها حزمة من الكتيبات كانت تهم برصها على المنضدة. وما إن وصف لها بافل هيئة لانغدون حتى أشارت بيدها إلى الأعلى، وهتفت وهي ترتعد فَرَقًا» :لقد صعد إلى الأعلى«!

كان بافل يسمع أزيز المصعد وهو يتحرك في بئره، والصوت يزداد علوًا شيئًا فشيئًا. إنه يهبط. أما الدرج فكان مطوقًا ومغلقًا. يا له من أمر مثالي!

رن جرس المصعد معلنًا وصوله، فباعد بافل بين قدميه وثبتهما على الأرض، ورفع سلاحه. وحين انزلق الباب منفتحًا، وجد نفسه يصوب سلاحه نحو زوجين شابين من الهنود، فقفزا كلاهما إلى الوراء فزعًا من مشهد مسدس بافل.

»اخرجا «!أمر بافل.

وبينما هرول الزوجان مبتعدين، اندفع بافل إلى داخل المصعد وضغط في عنف على الزر الوحيد المتاح أمامه، زر القمة. وفي يده، كان مسدس قائده معبأ بالذخيرة وجاهزًا لإطلاق النار.

وفيما كان المصعد يصعد به، أخذ بافل يذرع الحجرة الضيقة ذهابًا وإيابًا كوحش حبيس، حتى اهتز المصعد أخيرًا وتوقف، وانفتحت أبوابه مطلقةً سراحه. اندفع خارج المصعد وسلاحه مرفوع، وإصبعه على الزناد، فاستدار يمنة ويسرة، ماسحًا المنصة بحثًا عن هدفه. لا أحد. ولأنه كان يعلم أنه لا يوجد سوى مكان واحد يمكن أن يكون لانغدون قد لجأ إليه، هرول بافل مع اتجاه عقارب الساعة حول بئر المصعد إلى الجانب الآخر من البرج. ولكن لدهشته، لم يجد هناك أيضًا أحدًا. واصل بافل سيره، فأكمل دورة كاملة حول المنصة الصغيرة وعاد إلى حيث بدأ.

كان المصعد يقف مفتوحًا. وفارغًا.

أين ذهب بحق الجحيم؟!

توقف بافل، وخفض سلاحه.

كانت المنصة مقفرة.

وفجأة، اشتد ذلك الخفقان الذي كان يعصف برأس بافل من فرط الجهد، وهاجت معه موجة جديدة من الغضب العارم. هبت الريح معولة بصوت عالٍ، ولكن فوق ذلك العويل الحزين، سمع بافل شيئًا آخر، طرقًا متكررًا في مكان ما أسفل المنصة. لبرهة، ظن أنه عامل يطرق على المعدن، لكن الإيقاع كان أشد هياجًا وأسرع من ذلك.

ثم رآه بافل.

عند قمة الدرج الحلزوني الهابط، كانت الغرضة ملقاة على الأرض... وإلى جوارها آثار أقدام حديثة على الدرجات المعدنية.

يا لها من خطوة طائشة أيها الأستاذ.

قفز بافل إلى داخل المصعد في اللحظة التي كانت أبوابه قد بدأت في الانغلاق. فحتى لو تمكن لانغدون من إتمام ذلك الهبوط المحفوف بالمخاطر دون أن يسقط من فوق السياج، فلن يجد مكانًا يفر إليه بمجرد وصوله إلى الأسفل.

على بعد ستين قدمًا أسفل منصة المراقبة، خشي لانغدون أنه ارتكب خطأً فادحًا. كان يقفز على الدرج الحلزوني الضيق في الهواء الطلق بسرعة جنونية، دون أن يجد موطئ قدم ثابتًا بحذائه ذي النعل الصلب، الذي كان يحدث قعقعة مدوية على الدرجات المعدنية الجليدية. وفي مكان ما فوقه،

كان المصعد قد بدأ يتحرك من جديد، هابطًا بصوت عالٍ عبر البئر المغلق الذي كان لانغدون يدور حوله.

أسرع يا روبرت.

كانت يدا لانغدون تتجمدان بسرعة وهما تنزلقان على الدرابزين المعدني على جانبي الدرج الغادر، فقد كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لتثبيت هبوطه على هذا الموطئ الخطير. ومن الأعلى، بدا صوت المصعد وكأنه يلحق به، وتساءل لانغدون إن كان بمقدوره أن يربح هذا السباق إلى الأسفل. ولو وصلا في آن واحد، لكانت الغلبة من نصيب بافل؛ فالمقدم كان يحمل مسدسًا، وشك لانغدون لسبب ما في أن الضربة التي تلقاها بافل على رأسه قد منحته أي قدر إضافي من ضبط النفس.

وإلى أين سأفر أصلًا؟ من الواضح أنه لن يتردد في إطلاق النار علي.

كان الخيار الوحيد الذي رآه لانغدون هو حديقة بترين خلف مركز الزوار. والسبيل الوحيد للوصول إليها هو الاندفاع عبر مركز الزوار والخروج من المبنى قبل أن تنفتح أبواب المصعد.

ولكن بعد لحظة، أدرك أن الأوان قد فات.

فبينما كان يهبط مسرعًا على الدرج الحلزوني، بدأ بئر المصعد إلى جواره يرتجف بصوت لا تخطئه الأذن، صوت الاحتكاك الصار للرافعة وهي تتجاوزه.

اندفع المقدم بافل إلى مركز الزوار كثور هائج يدخل حلبة المصارعة. كانت الموظفة والزوجان الهنديان قد تكتلا في أحد الجوانب.

»أين هو؟ «!صاح بافل» .الأمريكي! أين؟«

هزت الموظفة المذعورة رأسها وهزت كتفيها في جهل.

حسنٌ، فكر بافل *.إذن أنت ما تزال فوقي.*

تحرك إلى أسفل الدرج الحلزوني وصوب سلاحه إلى الأعلى في الفراغ، منتظرًا وصول لانغدون .ولكن بعد انقضاء عشر ثوانٍ، أدرك بسرعة أن الهدوء في الأعلى مريب. لقد توقفت قعقعة خطوات لانغدون.

سكون مطبق.

ثم... سمع دويًا ثقيلًا فوق رأسه مباشرة.

سقط لانغدون على سطح مركز الزوار بقوة أشد مما توقع. فبعد أن أوقف هبوطه حيث يدخل الدرج إلى السطح، أمسك بالدرابزين وأرجح ساقيه إلى

الأعلى واليسار، قاذفًا بجسده فوق السياج المنخفض، فهبط هبوطًا خشنًا يفتقر إلى الرشاقة على السطح المائل بلطف.

تدحرج على بطنه، وانزلق إلى الحافة، ثم أنزل نفسه وقدماه أولًا فوق المزراب، ليسقط من المسافة القصيرة إلى الأرض على الجانب الخلفي من المبنى. افترض لانغدون أن حركته البهلوانية المرتجلة لم تمر دون أن يلحظها أحد في الداخل، فلم يضيع وقتًا واندفع إلى الغابة، مبتعدًا عن البرج بأسرع ما يمكن.

وعلى بعد ثلاثين ياردة بالكاد من المبنى، سمع لانغدون صراخ بافل وهو يشق طريقه محدثًا جلبة في الغابة الثلجية خلفه .*لقد كان سريعًا*، فكر لانغدون الذي كان يأمل في الحصول على فرصة أطول للتقدم عليه. وتمنى أيضًا لو أن حذاءه كان من صنع شركة *Nike*لا .*Tod's*

وبينما كان يركض بين الأشجار، تملّك لانغدون شعور مقلق بأن مسألة برج بترين برمتها كانت فخًا مدبرًا. ففي غضون دقائق من وصوله، ظهرت شرطة .*ÚZSI*وتساءل إن كان بافل هو من ترك الرسالة؟ *هل كان يحاول استدراجي إلى مكان منعزل ليطلق النار علي؟ هل يريد أحدهم قتلي حقًا؟!*

كاثرين في قبضتي. الحق بي إلى برج بترين.

من الواضح أن كاثرين لم تكن هنا، وبدا من غير المرجح أنها كانت هنا أصلًا. لم يكن في الأمر شيء منطقي، بما في ذلك رسالة كاثرين باللغة الإينوكية.

LXXEDOC؟

ما الذي تحاول أن تخبرني به بحق السماء؟!

رأى لانغدون أمامه على مسافة غير بعيدة أرضًا فضاء تضم العديد من معالم الحديقة، دوامة الخيل، إسطبل المهور، حديقة الورود، وكنيسة صغيرة. انطلق خارجًا من الغابة، واندفع إلى الساحة المرصوفة بالحصى، شاكرًا لهذه الأرض الأكثر ثباتًا، رغم أنه كان يسمع وقع الأقدام الثقيلة لمطارده خلفه.

تسابق لانغدون متجاوزًا الإسطبل والحديقة إلى الكنيسة، التي كان برج المراقبة على سطحها يمثل تاريخيًا رمزًا "للملاذ الآمن"، وإن كان القفل على بابها يبعث برسالة مختلفة. ودون أن يبطئ من سرعته، مسح الساحة بحثًا عن أي مأوى آخر. رأى ثلاثة مبانٍ أمامه واتخذ قراره في لحظة.

كان من المرجح أن يكون المبنيان الأولان مغلقين في مثل هذه الساعة، وهما كنيسة جلجثة وكنيسة القديس لورانس، وكلاهما جزء من برنامج لتنصير هذا التل الوثني. أما المبنى الثالث فكان قلعة خيالية ذات لون أصفر فاقع تبعث على الابتذال، ترفرف على أبراجها الزائفة رايات ملونة لشعارات

النبالة فوق أسوار حصنها المجهز بالشرفات. وخلف الجسر المتحرك المزيف، كان رجل يرتدي زي العصور الوسطى يرفع للتو البوابة الحديدية، فاتحًا القلعة على ما يبدو لهذا اليوم. وفوق المدخل، كانت تتدلى لافتة كتب عليها :متاهة المرايا / قاعة المرايا.

أحيانًا، يرشدك الكون إلى سواء السبيل، فكر لانغدون.

وسواء أكانت اللافتة دفعة كونية خفية صوب الوجهة الصحيحة أم لا، لم ير لانغدون أمامه خيارات أخرى للاحتماء. وأكدت له نظرة سريعة فوق كتفه أن بافل قد خرج بالفعل من الغابة في الطرف البعيد من الساحة، وبدا أنه يلحق به. استجمع لانغدون قواه، واندفع عبر الجسر المتحرك الزائف، متجاوزًا الحاضر المذهول، لينزلق إلى غرفة انتظار صغيرة كان شباك تذاكرها الخالي يحمل لافتة:

ZRCADLOVÉ BLUDIŠTĚ

لم تكن لدى لانغدون أي فكرة عما تعنيه هذه الكلمات، لكن ذلك لم يكن مهمًا؛ فقد احتوت غرفة الانتظار على بوابة دوارة واحدة تسد ما بدا أنه المدخل الوحيد إلى القلعة، وهو قوس ضيق يؤدي إلى رواق مظلم.

اعذري لي يا سندريلا ، فكر لانغدون، وهو يقفز فوق البوابة الدوارة ويهرع عبر الفتحة. ركض في ممر حجري، ثم انعطف يسارًا بحدة، ليجد نفسه في

غرفة سداسية الأضلاع متلألئة. توقف لانغدون فجأة، مذهولًا مما رأى يحيط به.

ما هذا...؟!

ستة رجال يقفون في دائرة، موزعين بانتظام حول لانغدون، وجميعهم يحدقون فيه مباشرة.

والأغرب من ذلك، أن الرجال الستة كانوا جميعًا روبرت لانغدون نفسه.

وأدرك لانغدون الآن معنى ZRCADLOVÉ BLUDIŠTĚ، وتمنى من كل قلبه لو أنه اختار وجهة أخرى.

الفصل الحادي والخمسون

كان للوهج الأرجواني الذي يغمر شقة الغولم أثر يبعث على السكينة، بعد تلك الأهوال العنيفة التي شهدت مصرع مايكل هاريس .وبعد أن اغتسل على عجل وارتدى رداءه، جثا الغولم الآن في خشوعِ صامت داخل مَلاذه المعتم، أمام محرابه الخاص —— تلك الحجرة المقدسة التي أقام فيها مقامًا لها.

قربانًا لتلك التي وُلدتُ لأكون حارسها.

وبينما هو جاثٍ في الظلمة، أوقد عود ثقاب وأشعل الشموع النذرية الثلاث التي كانت منضودة بين الأزهار المجففة على المائدة. ومع تراقص ألسنة اللهب وازدياد النور، رفع بصره إلى الصورة المعلقة فوق المحراب.

ابتسم الغولم وهو يتأمل وجهها بحب عميق.

أنا هنا لأرعاكِ... وأنتِ لا تعلمين بوجودي حتى.

لم تكن تفاصيل وجه المرأة ذات جمال تقليدي. فقد كانت لها ملامح سلافية قوية، وشعر أشقر ينسدل على كتفيها، وأنف مكسور... ولكن ساشا فيسنا كانت دنيا الغولم بأسرها.

أنا وليك الحارس يا ساشا.

ومع أنها لم تكن تدري، إلا أن روح ساشا كانت قد التقت بروحه منذ سنين خلت في مصحة عقلية روسية... في غمرة لحظة من العنف المروع. كانت ساشا وحيدة لا ناصر لها، تتحمل ضربًا مبرحًا من ممرضة ليلية شريرة تُدعى مالفينا، حين ظهر الغولم في الحجرة، وقد عجز عن احتمال ذلك الإيذاء أكثر من ذلك. وبدافع من سورة غضب عارمة، تدخل الغولم، وانقض عليها بقوة غاشمة، فهشم عنق الممرضة.

ومن رحمة الأقدار أن ساشا كانت فاقدة للوعي، فلم تعلم قط بما جرى حقًا في تلك الليلة. وقد انساب الغولم عائدًا في صمت إلى الظلام دون أن يلحظه أحد... ولكن في تلك اللحظة، تشابكت روحاهما إلى الأبد، وتعهد على نفسه أن يحميها.

الليلة التي أنقذت فيها حياتها... هي الليلة التي أصبحت فيها حارسها.

قبل فعلة الشفقة تلك، كان إهابًا أجوف، وروحًا شبحية. ولكن في تلك اللحظة، وكأن شعاعًا من الطاقة من عالم آخر قد أصابه، أحس بحياته تبدأ، وأدرك على الفور من هو، وطبيعة صلته الروحانية بساشا فيسنا.

أنا ملاكها الحارس.

هي علة وجودي كلها، وسبب معاناتي، وغاية كينونتي.

ومع ذلك... يجب ألا تعلم أبدًا.

حتى يومنا هذا، لم يكن لدى ساشا فيسنا أدنى فكرة عن وجود الغولم ... ناهيك عن أنه متغلغل في حياتها، يراقبها من الظلال، ويحمي روحها البريئة من أهوال العالم الصارخة.

لقد أساءت بريغيتا غيسنر إلى جسد ساشا وعقلها. أما مايكل هاريس، فقد خان فؤادها، وهو أقسى ضروب الخداع.

"يا مايكل "...هكذا همس الغولم قبل عشرين دقيقة ليس إلا، وهو يقبض على عنق الرجل الغائب عن الوعي ليُحكم الكيس البلاستيكي على وجهه" .خيانتك كانت الأقسى على الإطلاق. لقد رأيتك تتصيد وحدة ساشا .رأيتك ترقد في فراشها، ملتفًا بذراعيها، متظاهرًا بحبها".

أحكم الغولم قبضته دون شفقة، وهو يشعر بأنامل أصابعه تنغرس في لحم هاريس.

همس قائلًا" :سينفطر قلب ساشا حين تعلم بموتك، ولكن ذلك لن يكون شيئًا يذكر إزاء معرفتها الحقيقة... أن الرجل الوحيد الذي أحبته كان يستغلها... ويخدعها... ويتجسس عليها".

وبينما أخذ النبض في عنق مايكل هاريس يخفت، علم الغولم، من واقع موته هو، أن الرجل يغادر جسده الآن، يحوم في هذه الغرفة، شاهدًا على هلاكه.

ثم رفع الغولم بصره إلى السقف، وخاطب هاريس مباشرة" :إنها طفلة يا مايكل... تخلى عنها والداها... وحُبست في مصحة... واستدرجتها وحش إلى براغ .كل من في حياتها خانها... إلا أنا"!

وعندما انتُزِع آخر أثر للحياة من جسد هاريس، انحنى الغولم وهمس ببرود بنفس الكلمات التي سمع ساشا تهمس بها لهاريس وهو يغفو بين ذراعيها : Spokoynoy nochi, milyy."ليلة هانئة يا حبيبي".

لقد تكلل هذا الجزء من خطة الغولم بالنجاح. فقد حُصر مايكل هاريس وحيدًا. وكانت ساشا محبوسة بأمان. وأُرسل البروفيسور الأمريكي، روبرت لانغدون، بعيدًا. لم يكن لانغدون يستحق الموت، ولكن وجوده في شقة ساشا كان سيجعل من المستحيل على الغولم أن يعدم هاريس .ولذلك ارتجل الغولم، فترك رسالة عند باب ساشا من شأنها أن تدفع لانغدون إلى السعي المحموم بحثًا عن كاثرين سولومون.

وبطبيعة الحال، ما كان للانغدون أن يعثر عليها في برج بترين.

هناك احتمال كبير ألا يعثر عليها أبدًا، فكر الغولم، متذكرًا ما اعترفت به غيسنر الليلة الماضية بينما كان محلول الملح البارد كالثلج يمزق جسدها.

كانت غيسنر قد نطقت من بين آلامها قائلة" :لا تعلم كاثرين الخطر الذي هي فيه... إن الناس الذين أعمل لصالحهم... لن يوقفهم شيء لإسكاتها".

الفصل الثاني والخمسون

ينتصب ملعب ميتلايف على بعد أميال عدة إلى الجنوب من مطار تيتربورو في مدينة إيست روثرفورد بولاية نيو جيرسي، ويُعد واحدًا من أغزر الملاعب دخلًا في العالم. وهو معقل فريقي كرة القدم نيويورك جاينتس ونيويورك جيتس كليهما، وقد رُوعي في تشييده أن يكون قابلًا للتحول والتبدل، إذ يشهد في كل أسبوعٍ تبديلًا دوريًا للافتاته وشعاراته المرسومة على أرضه وأنظمة إضاءته، فيتوشح تارة بلون فريق جاينتس الأزرق، وتارة أخرى بلون فريق جيتس الأخضر، احتفاءً بالفريق المضيف.

وفي هذه الليلة، وفيما كان الملعب المقفر يلوح على يمين فوكمان، بدا له غريبًا، كأنه سفينة فضاء أمٌّ رابضة في الظلام، قد هُجرت في قلب ساحة مترامية الأطراف لمواقف السيارات. ألقى نظرة في مرآته الخلفية مترقبًا أي أثر لمطاردة، فلما لم يرَ أحدًا، انحرف فوكمان بسيارته الرياضية المسروقة عن الطريق السابع عشر، ثم دار من خلف الملعب، وأوقفها في أحد المواقف الشاغرة التي تناهز الثلاثين ألفًا.

تمهل قليلًا يا جوناس .فكّر.

لقد كان يسوق السيارة بسرعة تسعين ميلًا في الساعة قابضًا على مقودها بكلتا يديه حتى ابيضت مفاصل أصابعه، وكانت أعصابه بالية مهترئة.

فكانت هذه اللحظة من السكون بمثابة هدنةٍ منشودة، لا سيما وأن دفء مدفأة المقعد قد أخذ يتسلل أخيرًا إلى أوصاله فيسري في جسده.

وفيما هو الآن وحيد في ساحة المواقف المقفرة، تفقد فوكمان هاتفه، وقد ساوره القلق لأن لانغدون لم يعاود الاتصال به .*لا بد أنه استيقظ الآن... فالساعة هي التاسعة صباحًا في براغ* .لم يُظهر سجل مكالماته أي اتصال فائت، خلا عدة مكالمات من قسم تقنية المعلومات في دار نشر بينغوين راندوم هاوس، والتي خمّن فوكمان في مثل هذه الساعة أنها لا يمكن أن تكون إلا من فني الأمن، أليكس.

ضغط فوكمان زر معاودة الاتصال بالفني، آملًا أن يكون لديه من المعلومات ما قد يلقي بعض الضوء على حقيقة ما يجري. فأجابه صوت أليكس كونان المألوف مع الرنة الأولى.

»سيد فوكمان! أين كنت؟ هل أنت بخير؟«!

لستُ بخير أبدًا يا فتى.

»يجب أن أحذرك«، تابع أليكس لاهثًا، »إن القراصنة الذين حذفوا مخطوطتك... أعتقد أنهم قد يكونون خطرين للغاية«.

حدّث فوكمان نفسه قائلًا: "وهل في ذلك شك!"، وهو يلمس دون وعي بطنه المتألم حيث تلقى لكمة» .لقد توصلتُ إلى النتيجة ذاتها يا أليكس«.

»و... حسنًا... يؤسفني أشد الأسف أن أخبرك بهذا، ولكن «...تهدّج صوت الفني، وشعر فوكمان بقلق متصاعد يدهم قلبه.

أخبرني ماذا؟

»أنا... أنا أعتقد أنهم ربما قد قتلوا أحد مؤلفيك«.

ودّ المحرر لو أن أذنيه قد أخطأتا سماع تلك الكلمات.

وبينما كان الفني الشاب يقص عليه ما علمه، أصغى فوكمان في ذهول، وقد كاد الغثيان يعتريه.

وعلى بعد ميل واحد، وبعد أن تتبّعا هاتف فوكمان من مسافة آمنة، كان العميلان، أوجيه وتشينبورغ، قد أوقفا سيارتهما في شارع سكني هادئ في إيست روثرفورد بولاية نيو جيرسي، محاذٍ لملعب ميتلايف .وكانا يتنصتان على المكالمة الهاتفية عبر جهاز الآيباد الخاص بهما.

وكان ما سمعاه مثيرًا للقلق بالنسبة لهما أيضًا.

أحد المؤلفين الأمريكيين قُتل في براغ؟ هل هو لانغدون أم سولومون؟ من الواضح أن خطبًا جللًا قد وقع.

ولكن من جهة أخرى، كان السيد فينش قد أوضح بما لا يدع مجالًا للشك أن استعادة مخطوطة كاثرين سولومون لهي مسألة ذات أهمية قصوى. ولطالما أنجز فينش مهمته، مهما كان الثمن.

الفصل الثالث والخمسون

كانت متاهة المرايا التاريخية في براغ، أو ما يُعرف بـ **Zrcadlové Bludiště**، قد شُيدت في عام **1891** من أجل معرض يوبيل براغ، ولا تزال حتى يومنا هذا مزارًا يقصده السياح والأطفال. وعلى الرغم من أنها تعد متاهة قصيرة بالمعايير الحديثة، إلا أن اجتيازها قد يظل عسيرًا لما تتسم به من تصميم يبعث على الحيرة والارتباك وجدران عاكسة مائلة الزوايا.

وقد تسمّر روبرت لانغدون في مكانه في الحجرة الأولى... محاطًا بصور لنفسه تفيض بالذعر والهلع. إن بافل خلفك تمامًا. ولم يلبث لانغدون إلا برهة حتى أبصر أن أحد الانعكاسات كان أصغر قليلًا من سائرها، فهرع نحوه، ليجد أن المرآة غائرة بضع أقدام، تخفي وراءها فتحة مموهة ببراعة، يفضي ما وراءها إلى رواق من المرايا يمتد في كلا الاتجاهين.

أتجه يمينًا أم يسارًا؟ تساءل لانغدون، وقد كان دائمًا يمقت لعبة التخمين العشوائي التي تفرضها المتاهات. فمن الناحية الإحصائية، في عالم يغلب عليه الانحياز لجهة اليمين، حين يُخيّر المرء بين اليمين واليسار، فإن السواد الأعظم يتجه يمينًا، وهو ما يعني أن مصممي المتاهات عادة ما يحرصون على أن يكون أول منعطف إلى اليمين خطأً يقود إلى مسلك ملتوٍ خادع.

اندفع لانغدون إلى اليسار. وفيما هو كذلك، وضع يده اليمنى على الجدار، وترك أصابعه تنساب على سطح المرايا. لا تفقدنّ أبدًا ملامسة الجدار. لقد تعلم تلك الحيلة طفلًا، بفضل ولعه بالأساطير الإغريقية وأسطورة متاهة مينوتور الشهيرة في كريت .لقد كانت الفأس المزدوجة (***labrys***)رمزًا للاختيار، وبالفعل كان الاختيار هو ما جعل المتاهة تحديًا عظيمًا. ولكن أهل مينوس الدهاة قد أزالوا عبء الاختيار باستراتيجية "اليد على الجدار"؛ فدون حاجة إلى تروٍّ أو تفكير، كان من يجتاز المتاهة يتبع ببساطة أي اتجاه تقوده إليه يده المستقرة على الجدار. لم تكن تلك الطريقة تضمن أقصر الطرق إلى الخارج، ولكنها كانت تضمن ألا يضطر المرء لاتخاذ الخيار نفسه مرتين، مما يؤدي إلى فرار أسرع... وفي حالتهم، تجنب الموت على يدي المينوتور.

وعندما بلغ لانغدون التقاطع التالي، وبدلًا من أن يتردد في اتخاذ قراره، أبقى يده على المرآة وهو يعدو، وانعطف على الفور إلى يساره، عاقدًا العزم على اتباع المسار الذي سيهديه إليه الجدار. ومرة تلو الأخرى، كان لانغدون ينعطف، ويده على الجدار، متوغلًا أعمق فأعمق في جوف المتاهة.

كان يسمع بافل يجر خطاه الثقيلة في الممرات في مكان ما قريب، وأنفاسه الصاخبة لا يفصلها عنه أحيانًا سوى سُمْك مرآة رقيقة. أخذ لانغدون يعدو

في هدوء قدر استطاعته، عالمًا أنه لو كان قد أخطأ في تخمينه الأولي باتجاهه يسارًا، فإن استراتيجية "اليد على الجدار" هذه ستقوده في نهاية المطاف عائدًا على طول هذا الرواق نفسه في الاتجاه المعاكس... وهو ما قد يلقي به مباشرة في درب بافل.

ثم دلف لانغدون فجأة إلى حجرة أوسع كانت مراياها ملتوية ومشوهة كتلك التي في بيوت المرح في المهرجانات. وكان العديد من المرايا هنا قائمًا بذاته، مما أفسد على لانغدون استراتيجيته. كان يسمع الآن صوت عميل جهاز الاستخبارات والأمن قريبًا منه على نحو يثير القلق، وبينما كان يمسح المكان الجديد بنظره، لمح لانغدون وهجًا رماديًا لا تخطئه العين في الطرف البعيد من أحد الأروقة. ضوء النهار! سحب يده عن الجدار واندفع نحو الضوء.

ولكنه لم يبلغ مبتغاه أبدًا.

فقد تجسدت أمامه هيئة الملازم بافل الضخمة إلى يمينه. وحين التقت أعينهما، رفع بافل سلاحه وصوبه مباشرة إلى صدر لانغدون.

صاح لانغدون وهو يتوقف فجأة ويرفع ذراعيه إلى السماء" :انتظر"!

ولكن بافل ضغط على الزناد.

دوّى صوت السلاح، وترنح لانغدون إلى الوراء، متوقعًا أن تخترقه الرصاصة، ولكن بدلًا من ذلك، سُمع دوي زجاج يتحطم. ثم تلاشت صورة بافل من أمام عيني لانغدون.

وفي مكان قريب، صرخ بافل في سورة من الغضب.

ودون أن ينتظر ليفهم أي سلسلة معقدة من الانعكاسات قد خلقت ذلك الوهم بأنه وبافل كانا وجهًا لوجه، انطلق لانغدون هاربًا. انقضّ نحو الفتحة الرمادية مرة أخرى، وكاد يصطدم بمرآة أخرى. وبات بوسعه الآن أن يرى أن المخرج الفعلي يقع إلى يساره مباشرة، فاندفع من خلاله إلى النور.

بخطوات متسارعة، انطلق يعدو على الممر المرصوف مبتعدًا عن القلعة. وخلفه، ملأ الهواء صوت إطلاق النار والزجاج المهشم. ثلاث طلقات. يبدو أن الملازم كان يشق لنفسه مخرجًا خاصًا.

انعطف الممر متوغلًا في الغابة، ومر لانغدون راكضًا بنفر من السياح المسنين كانوا يصعدون الدرب. وللحظة، ظن أنهم قد تسلقوا تلة بترين، ولكنه رأى بعد ذلك من أين أتوا. ففي الأمام، كان هناك مبنى صغير من الجص يقع بجوار مسار قطار ينحدر بشدة، تقف عليه عربة قطار وحيدة، مائلة إلى أسفل بانحدار يثير الفزع.

قطار بترين الجبلي المعلق.

لم يستقل لانغدون القطار المعلق من قبل، ولكن هذه اللحظة بدت مناسبة لرحلته الأولى. كانت الأبواب توشك أن تغلق حين وصل لاهثًا وانزلق إلى الداخل. بدأ القطار رحلة هبوطه، وأدرك لانغدون أن قراره بدخول متاهة المرايا ربما يكون قد أنقذ حياته.

لعل الكون كان على حق بعد كل شيء.

سحب الغولم قلنسوته المطاطية على رأسه وأحضر دلو الطين الرطب من نهر فلتافا الذي كان يحتفظ به تحت حوض الحمام. غمس يده عبر طبقة من الماء، وغرف حفنة من تراب طيني ناعم مشبع بالماء. وبحذر طقوسي، بدأ يطلي طبقة سميكة على قلنسوته ثم على وجهه، مغطيًا كل شيء ما عدا عينيه.

وما إن غطى وجهه بالكامل، حتى مد يده إلى الدرج واستخرج شظية من الزجاج العاكس، وهي المرآة الوحيدة في بيته. وباستخدام الزجاج وسكين الرسم، حفر بعناية الحروف المقدسة الثلاثة على جبهته.

אמת

الحقيقة.

كانت الحقيقة شيئًا خبره الغولم بوفرة في الآونة الأخيرة.

فلطالما اشتبه في أن بريغيتا غيسنر لم تكن تلك الروح الخيرة المنكرة لذاتها التي كانت ساشا تنظر إليها. وفي محاولة منه لمعرفة المزيد عن غيسنر، دبر الغولم طرقًا شتى لمراقبة عالمة الأعصاب وفهم ما يغذي كرمها تجاه ساشا فهمًا أعمق.

وكانت الحقيقة التي كشف عنها مزعجة على نحو غير متوقع.

فكر في نقل كل شيء إلى ساشا، ولكن الصدمة ستكون أعظم من أن تحتملها.

إن ساشا في أمس الحاجة إلى مرشدة... إلى شخص تؤمن به.

أما الحقيقة بشأن مايكل هاريس فكانت أدهى وأمرّ. لقد راقب الغولم تقرب الأمريكي الوسيم المدروس من ساشا وكشف زيفه في لمح البصر. ولكن ساشا كانت أسذج من أن تدرك أن رجلًا مثل هاريس ما كان ليختارها أبدًا.

والآن قد نالا جزاء غدرهما.

وبينما كان يتفقد الطين حول فمه وأنفه بعناية، استمتع الغولم بتجربته مع غيسنر في الليلة السابقة. لقد تعقبها إلى محاضرة كاثرين سولومون، ثم إلى حانة فندق فور سيزونز، وأخيرًا إلى مختبرها... حيث انقض على عالمة الأعصاب بعنف وارتجل أسلوب استجواب فتاكًا.

لقد سد اعتراف غيسنر القسري الثغرات في فهمه... وكانت الخيانات أكثر دناءة مما اشتبه به الغولم يومًا. لقد كشفت عن هوية شركائها النافذين، فضلًا عن التفاصيل المروعة لما بنوه تحت مدينة براغ.

Threshold.

استشاط الغولم غضبًا. وفور مغادرته مختبرها، بدأ يخطط على الفور. إن رأس الأفعى هو رجل أمريكي يدعى فينش، وكانت غيسنر مسؤولة أمامه مباشرة. وكان فينش يعمل من مأمنه في مكتب بمدينة لندن ويتنقل حول العالم.

سأدمر أولًا صنيعك في براغ... ثم سأجد لذة في مطاردتك، حيثما كنت.

كانت غيسنر قد كشفت عن موقع المنشأة تحت الأرض، ولكن لسوء الحظ ثبت أن بطاقتها الشخصية لا تخول الدخول *.أنا بحاجة إلى ما هو أكثر من ذلك* .لقد قام بالفعل بمحاولة فاشلة للحصول عليه من حصن كروسيفيكس ، ولكنه في هذه الزيارة سيكون على أهبة الاستعداد لأي شيء قد يواجهه.

وبينما خطا الغولم إلى الزقاق العاصف خارج منزله، شعر بالطين الرطب على وجهه يجف بسرعة، شادًّا جلده. كانت أحذيته ذات النعل السميك

لا تزال رطبة من الليلة الماضية، لكنه تجاهل الانزعاج. قد يكون أعداؤه يراقبون... وما كان له أن يخاطر بالتعرف عليه.

أتحرك الآن بصفتي الحقيقية.

أشعر بقوة تلك الحقيقة.

كان يعلم أن مهمته اليوم ستتطلب تركيزًا خارقًا. ولهذا السبب، سيحتاج أولًا إلى تجديد طاقته بزيارة الموقع الذي يشعر فيه بنبض أقوى طاقة غامضة في براغ .هناك، في حقل مقدس للأموات، سيجثو الغولم على الأرض الباردة ويستمد القوة من سميّه وملهمه ...الغولم الذي سبقه.

الفصل الرابع والخمسون

فيما كانت دانا دانيك ترتقي درجات السلم صاعدةً إلى مكتب سفيرة الولايات المتحدة، تملّكها شعور بأن هذا الاستدعاء سيكون خاتمة عهدها في منصبها. فلقد كانت السفيرة قد استدارت في غضب وانصرفت كلمح البصر، عقب مواجهة حادة صبت فيها جام غضبها على دانا بشأن زيارتها لفندق فور سيزونز وعلاقتها الشخصية بمايكل هاريس.

حدّثت نفسها وهي تطرق الباب في وجل: "لقد أوشكتُ أن أُقال من منصبي."

»ادخلي، «قالت السفيرة، »وأغلقي الباب خلفك«.

امتثلت دانا للأمر، واستدارت لتواجه رئيستها.

وكعادتها دائمًا، كانت هيئة السفيرة نايغل الصارمة انعكاسًا لزيها الخالي من أي زينة، فلا يشوبها إلا الجد الذي لا يلين. وجدت دانا في نايغل شخصية تلقي في النفس الرهبة حتى خارج أسوار مكتبها، أما الآن، وهي تجلس خلف مكتبها المصنوع من خشب الماهوغني الفاخر، تحف بها أعلام الولايات المتحدة وجمهورية التشيك على جانبيها، فقد بدت السفيرة هايدي نايغل كَلَبُؤَةٍ تستعد للانقضاض على فريستها.

حدّقت السفيرة في دانا من فوق نظارة القراءة التي كانت تضعها دائمًا منخفضة على أرنبة أنفها» .أطفئي هاتفك. وضعيه على مكتبي«.

»هل يعني هذا أنني سأُفصل من عملي؟«

»كان ينبغي ذلك، «قالت السفيرة» .ولكن، لنرَ ما سيؤول إليه الأمر«.

أطفأت دانا هاتفها ووضعته فوق مكتب السفيرة.

»عليكِ أن توقعي على هذه، «قالت السفيرة وهي تدفع بوثيقة عبر مكتبها.

تأملت دانا الوثيقة» .لا أفهم«.

»إنها اتفاقية عدم إفصاح. وهذا يعني أنه يُحظر عليكِ أن تتحدثي بأي شيء سأخبرك به«.

»بالطبع يا سيدتي، ولكني لستُ متأكدة من أنه يجدر بي أن أوقع على شيء دون أن«...

»هل تودين أن يراجعه لكِ مايكل؟«

تبًا. لقد كانت للسفيرة طريقتها الخاصة في إصابة كبد الحقيقة. أمسكت دانا بقلم ووقعت على اتفاقية عدم الإفصاح.

»آنسة دانيك، «استهلت حديثها، »إن زيارتكِ لفندق فور سيزونز كانت طيشًا... وشؤمًا. ما كان ينبغي لكِ أن تشهدي ما شهدتِ«.

لقد استنتجتُ ذلك حينما صُوِّب مسدس تلك المرأة إلى وجهي» .نعم يا سيدتي. وسيسعدني أن أنسى كل ما رأيت وأن أواصل«...

»لنكن صريحين، إنكِ لن تنسي ما رأيتِ. وما تركتِ لي الآن من خيار سوى أن أتأكد من أنكِ تفهمين كنه ما شهدتِ«.

الفصل الخامس والخمسون

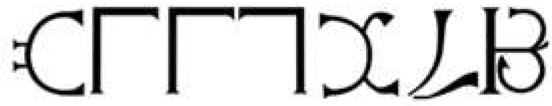
اتخذ لانغدون مجلسه في مؤخرة قطار بترين الجبلي المعلق، والعربة التي خلت إلا من نفر قليل تهبط المنحدر الشاهق. وبعد أن أيقن أنه قد أفلت من قبضة بافل، على الأقل في الوقت الراهن، أغمض لانغدون عينيه وأخذ نفسًا عميقًا، محاولًا أن يستجلي كنه ما حدث للتو.

إن من استدرجه إلى برج بترين كان يعلم علم اليقين أن كاثرين مفقودة . *لدي كاثرين* .وسواء صحت هذه العبارة أم لم تصح، فقد بات من المرجح تمامًا الآن أن القصد من الرسالة كان عزل لانغدون ...أو ربما عزل ساشا.

شعر لانغدون بالذنب لتركه الشابة الروسية وحيدة لا حامي لها، مع أن ساشا فيسنا، إذا ما حكمنا من مواجهتها مع بافل، قادرة تمامًا على الدفاع عن نفسها. وهي مسلحة بمسدس بافل، ذكّر لانغدون نفسه، آملًا أن يكون مايكل هاريس قد وصل إلى شقتها الآن. كما أمل أن يكون لدى هاريس بعض المعلومات عن مكان كاثرين.

عاود لانغدون تركيزه على المعلومة الوحيدة التي كانت بحوزته، وهي رسالة البريد الإلكتروني المشفرة على نحو غريب التي أرسلتها إليه كاثرين في وقت سابق من هذا الصباح. ولكن حتى تلك بدت غير ذات جدوى. كلام مبهم

لا طائل تحته. ثم ومضت الصورة في ذهنه.



ولكي يتيقن من أنه لم يخطئ، أجرى لانغدون عملية النقل الحرفي الإينوكية مرة أخرى، ولكنه انتهى إلى السلسلة ذاتها من الحروف التي لا معنى لها.

لعلها خلطت بين الوجه والظهر؟ جال هذا في خاطره، وهو يحاول أن يتصور لمَ تبدو رسالتها إليه بلا معنى.

الوجه والظهر، أو ما يعرف بـ *Recto* و *Verso*، هما LXXEDOC المصطلحان اللذان يستخدمهما علماء الأيقونات لتحديد أي صفحة من كتاب مفتوح يجب أن تُقرأ أولًا... وبعبارة أخرى، الاتجاه الذي يجب أن تُقرأ به اللغة. واللغة الإينوكية لغة تُقرأ من اليمين إلى اليسار، كالعبرية والعربية والفارسية، أي عكس الإنجليزية. فهل من الممكن أن يكون التطبيق قد أخفق في عكس اتجاه النص أثناء التشفير؟ أو لعل كاثرين قد عكسته خطأً، مما أدى إلى تضاعف العملية وجعل التشفير يختل؟

نقل لانغدون الحروف مرة أخرى، ولكن بالعكس هذه المرة، وفي غضون لحظة، علم أن حدسه كان صائبًا.

CODEXXL

انبثقت في ذهنه كلمة جديدة.

—***Code XXL*** أقرب كثيرًا إلى الإنجليزية.

ومع ذلك، لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة عما يشير إليه ***Code XXL***.

ما الذي فاتني هنا؟ أغمض عينيه، مستحضرًا السلسلة مرة أخرى.

فجأة، انجلى له الأمر، وأدرك خطأه.

لقد وضعت الفاصل في غير موضعه...

لم تكن كاثرين تقصد **CODE XXL**... بل كانت تقصد

CODEXXL

CODEX XL.

كانت تلك إشارة فهمها لانغدون فهمًا تامًا، كما كانت كاثرين ستفهمها.

لقد كانت "Codex XL" إشارة جلية لا لبس فيها إلى أثر غامض يقع هنا في قلب براغ .وكانا في الحقيقة قد زاراه بالأمس.

إنجيل الشيطان!

يُعرف رسميًا باسم Codex Gigas، وهو أثر غامض له تاريخ عجيب، يزعم البعض أنه مسكون. إنه أضخم كتاب في العالم، إذ يبلغ طوله ثلاثة أقدام وعرضه قدمين تقريبًا، ويزن مائة وخمسة وستين رطلًا، وهو وزن مذهل. وهو محفوظ عادة في المكتبة الوطنية السويدية، ولكنه معار حاليًا إلى مكتبة كليمنتينوم هنا في براغ .وأثناء زيارته للمعرض مع كاثرين بالأمس، كان لانغدون قد ذكر أن المخطوطة تحمل أكثر من اثني عشر عنوانًا تاريخيًا مختلفًا، حتى إن أحد طلابه أطلق عليها لقبًا فكاهيًا وبسيطًا هو "Codex XL"، في إشارة إلى حجمها الكبير جدًا.

وبينما كان القطار يتهادى هابطًا من الجبل، أدرك لانغدون أن رسالة كاثرين المشفرة ببراعة كان ينبغي أن تمنحه بعض الوضوح، ولكنها بدلًا من ذلك طرحت قائمة جديدة من الأسئلة .هل تخشى أن يكون هناك من يقرأ

بريدها الإلكتروني؟ هل تحاول تذكيري بشيء في الكتاب... أو ربما بشيء حدث هناك بالأمس؟

استحضر لانغدون صورة المعرض الذي زاراه. كان إنجيل الشيطان الذي لا يقدر بثمن محبوسًا في خزانة عرض هائلة، مضادة للرصاص والنيران، داخل مكتبة كليمنتينوم، على بعد ميل تقريبًا من مكانه الآن. كان لانغدون قد رأى المخطوطة لأول مرة قبل سنوات في السويد في المكتبة الملكية، ولكن عندما اكتشف أنها في جولة هنا في براغ، أصر على أن يذهبا هو وكاثرين لرؤيتها.

قال لها بحماس وهما يقفان أمام ذلك الأثر المهيب" :إن Codex Gigasتعني حرفيًا "الكتاب العملاق "."وأشار إلى كعب الكتاب السميك" .له غلاف من ألواح خشبية يضم أكثر من ثلاثمائة صفحة من الرق المصقول يدويًا، والمصنوع من جلود مائة وستين حمارًا. وقد خُطت الصفحات بعناية فائقة، وهي لا تحتوي على الكتاب المقدس اللاتيني الكامل فحسب، بل تضم أيضًا نصوصًا طبية وتاريخية متنوعة، وصيغًا سحرية، وتعازيم، ورقى. بل إنها تحتوي على طقس مفصل لطرد الأرواح الشريرة"...

قالت وهي تبتسم وتضغط على يده بحنان" :توقف يا روبرت. لقد أسرتني عند ذكرك المائة والستين حمارًا".

بادلها الابتسامة قائلًا" :كما ترين... أنا أستمتع بتدريس هذا الفصل".

قبل شهر واحد فقط —— في مقرر دراسي بعنوان *المنمنمات: فن المخطوطات في العصور الوسطى* ——كان قد عرض عدة شرائح للمخطوطة، بدءًا من أشهر صفحاتها.

قال وهو يعرض الرسم الغريب لشيطان مقرن يجلس القرفصاء في وضع غريب، عاريًا تمامًا إلا من مئزر أبيض يلف عورته" :هنا لدينا الورقة 290. وهي الصفحة التي اشتق منها هذا الكتاب أقدم ألقابه".

قاطع أحد نجوم رياضة اللاكروس في هارفارد" :شيطان الحفاض؟"، مما أثار ضحك زملائه في الفصل.

قال لانغدون بصبر" :محاولة لطيفة يا بطل. إنه يُدعى إنجيل الشيطان .هذه الصورة تصور الشيطان مرتديًا مئزرًا مصنوعًا من فراء القاقم، وهو رمز للملكية".

علقت طالبة شابة" :انتظر... إذن الصورة تقدم الشيطان كملك؟ في صفحات كتاب مقدس؟"

قال لانغدون" :أصبتِ، شكرًا لملاحظتك. إنها أيقونية غير مألوفة على الإطلاق. ولكن هناك قصة أكبر لهذا المستند، وظهور الشيطان عامل فيها. فوفقًا للأسطورة، فإن الناسخ الذي أبدع هذه المنمنمة فعل ذلك شكرًا للشيطان على معروف أسداه إليه. تقول الشائعات إن هذه المخطوطة الضخمة كُتبت في ليلة واحدة، على يد راهب واحد، لم يتمكن من إنجاز المهمة المستحيلة إلا لأن الشيطان نفسه تدخل لمساعدته".

صاح لاعب اللاكروس" :هل سيساعدني الشيطان في امتحاناتي النصفية؟"

قال لانغدون" :أنا على وشك أن أسكتك بنفس الطريقة التي أُسكت بها هذا الراهب. الإطمار".

ومن نظرة الفتى الفارغة، استنتج لانغدون أنه لا يعرف المصطلح.

"الإطمار؟ أحدكم؟ "مسح الغرفة بنظره" .لا؟ إن أنظمة العدالة الحديثة لم تعد تستخدم الإطمار كعقوبة لأنه قاسٍ جدًا. وهو مشتق من اللاتينية —— *in murus* ——والتي تعني "...انتظر لانغدون" .أحدكم؟"

قال أحدهم" :في الجدار؟"

"صحيح. الإطمار يعني حرفيًا أن يُدفن المرء حيًا داخل جدار".

قال أحدهم" :مقزز. مثلما في قصة برميل أمونتيلادو".

أومأ لانغدون برأسه، مسرورًا لمعرفة أن طلاب هارفارد ما زالوا يقرؤون لإدغار آلان بو" :بالضبط".

سأل طالب آخر" :هل أطمروه في جدار لأنه وضع الشيطان في الكتاب المقدس؟"

قال لانغدون" :لا، في الواقع، لقد أطمروه في الجدار لخرقه نذره الرهباني بالعفة. ولكن كما تقول القصة، قبل وضع الطوبة الأخيرة، توسل الراهب طلبًا للرحمة، ومُنح فرصة للخلاص. ترك رئيس الدير الطوبة الأخيرة دون وضعها وأخبره بأنه لن يُطلق سراحه إلا إذا استطاع أن يؤلف، في ليلة واحدة، كتابًا يحتوي على كل معارف العالم".

تمتم أحدهم" :حسنًا، لقد كان عرضًا سخيًا".

تابع لانغدون" :نعم، ولكن في الصباح، عندما عاد رئيس الدير ونظر من خلال الفتحة، كان السجين جالسًا فوق مخطوطة ضخمة، موضحًا أنه باع روحه للشيطان مقابل الكتاب. أُطلق سراح الراهب على الفور، رعبًا في الغالب، وأصبح إنجيل الشيطان في الحال أثرًا لا يقدر بثمن. وفي تاريخه المبكر، سُرق، واستُعيد، ورُهن عدة مرات، وأصبح في النهاية ملكًا لرهبان سسترسن في سيدليك .لعلكم سمعتم بهم؟ إنهم مشهورون ببناء... هذا".

قدم لانغدون شريحة أخرى في جهاز العرض، وكالعادة، تراجع كل من في الغرفة.

تفوه أحدهم" :ما... هذا... بحق... الجحيم...؟"

كانت الصورة التي أمامهم لمذبح مصنوع من عظام بشرية، تتدلى فوقه ثريا مصنوعة هي الأخرى من عظام بشرية، وتحف به أربعة أهرامات ضخمة من جماجم وعظام فخذ بشرية، وكلها محفوظة داخل كنيسة زُينت جدرانها وسقفها بالكامل بعظام بشرية.

قال لانغدون" :مَدفن سِدليك. كنيسة العظام. إنها تحتوي على هياكل عظمية لما يقدر بسبعين ألف شخص، معظمهم من ضحايا الموت الأسود. إذا زرتم التشيك يومًا ما، فهي تستحق الزيارة، على بعد حوالي خمسين ميلًا خارج براغ .إنه مكان مذهل".

تمتم أحدهم" :مثير للاشمئزاز تمامًا".

قال لانغدون" :تذكر أن الموت قادم... فعش جيدًا ***Memento mori***) ".

ومضى لانغدون يشرح كيف أُخذ إنجيل الشيطان من سيدليك ووجد طريقه في النهاية إلى براغ في عام **1594**، حيث وُضع في مكتبة الإمبراطور

رودولف الثاني حتى عام 1648، عندما أُخذ كغنيمة حرب من قبل السويد ونُقل بشكل دائم إلى المكتبة الملكية السويدية في ستوكهولم.

واختتم لانغدون" :لثلاثة قرون ونصف، عرض السويديون المخطوطة تحت حراسة مسلحة. ثم في عام 2007، بعد ضغوط من الحكومة التشيكية، أعيد الكتاب مؤقتًا إلى براغ لمعرض مدته أربعة أشهر في المكتبة الوطنية التشيكية، حضره أكثر من مائة ألف شخص لرؤية "الكتاب الذي شارك الشيطان في تأليفه"."

تمتم لاعب اللاكروس" :هؤلاء كثر من السذج".

قرر لانغدون ألا يذكر الملايين الذين عبروا القارات والمحيطات لرؤية معجزات مثل كفن تورينو، أو لورد، أو أي من تماثيل "مريم العذراء الباكية" التي لا حصر لها في العالم. لطالما كانت المعجزات والأسرار محفزات للأمل ـــ "ملطفات للواقع"، كما كان لانغدون يسميها أحيانًا.

قال لانغدون" :ولكن سواء كنتم تؤمنون بأصوله الإلهية أم لا، فهناك ألغاز أخرى مهمة في هذا الكتاب. فمن أكثر سمات Codex Gigas غموضًا هي الجودة الاستثنائية للخط. لقد فحص أكثر من اثني عشر من كبار خبراء الخطوط المخطوطة على مدار القرن الماضي، وأصر كل متخصص على أن المخطوطة بأكملها كُتبت بيد واحدة. ناسخ واحد".

انتظر لانغدون حتى يستوعبوا ذلك، لكن خلاصته لم تلقَ أثرًا.

حثهم قائلًا" :يا جماعة! إن كتابًا بهذا الحجم والطول والتعقيد كان سيستغرق إنجازه ما يقدر بأربعين عامًا".

قال أحدهم" :حسنًا، هذا أكثر منطقية من إنجازه في ليلة واحدة".

قال لانغدون" :أتفق معك، ولكن هناك مشكلة كبيرة في هذا المنطق. ففي القرن الثالث عشر، كان متوسط العمر المتوقع ثلاثين عامًا تقريبًا، وكان سيستغرق الأمر نصف تلك السنوات على الأقل لإتقان المهارة الفنية التي تظهر في هذا الخط وهذه الرسوم. والأغرب من ذلك، يؤكد المتخصصون أن الخط متسق بشكل مذهل عبر الكتاب بأكمله. لا يوجد تدهور في الحروف من البداية إلى النهاية... لا علامات على التعب، أو ضعف البصر، أو تناقص الحركة، أو الشيخوخة، أو الخرف. لا تغيير في الأسلوب على الإطلاق. إذا جمعت كل هذه العوامل معًا، فستجد لغزًا مستحيلًا من الناحية الفنية".

صمت.

وأخيرًا سأل أحدهم" :إذن، يا بروفيسور... ما الذي تعتقد أنه حدث؟"

فكر لانغدون مليًا. ثم قال بصدق" :ليس لدي أدنى فكرة. يحتوي التاريخ على العديد من الحالات الشاذة التي لا يمكن تفسيرها، وهذه واحدة منها".

قاطع طالب هادئ في الصف الأمامي" :لهذا السبب تخصصت في الفيزياء".

قال لانغدون بضحكة خافتة" :آسف لإفساد فقاعتك، لكن العلم لا يجيد التعامل مع الحالات الشاذة كثيرًا. ربما يمكنك أن تشرح لنا تجربة الشق المزدوج؟ أو مشكلة الأفق؟ أو معادلة شرودنغر"...

استسلم الفتى بروح طيبة" :أسحب كلامي"!

قال لانغدون وسط ضحكات الطلاب" :علامات على وجود حياة ذكية، بعد كل شيء. على أي حال، في عام 2007، عندما أُعيرت المخطوطة المسروقة إلى براغ، خشي السويديون ألا تعيدها الحكومة التشيكية، ولكن بالفعل أعيد الأثر كما وُعد، وتعني هذه البادرة الحسنة الآن أن إنجيل الشيطان يزور براغ لمدة ستة أشهر مرة كل عشر سنوات، شريطة ألا يُخرج أبدًا من خزانة عرضه المختومة".

ومع هزة خفيفة، توقف القطار المعلق في أسفل تلة بترين.

رفع لانغدون بصره، وما زال يفكر في المخطوطة ورسالة كاثرين .من

الواضح أنها كانت تحثه على العودة إلى إنجيل الشيطان، ومع ذلك لم ير لانغدون سببًا منطقيًا لطلبها هذا.

لا سبب... إلا سببًا واحدًا.

هل تكون كاثرين هناك... في انتظاري؟

الفصل السادس والخمسون

يُعدّ جسر جورج واشنطن أكثر جسور العالم ازدحامًا بالمركبات، فهو شريان نابض بالحياة يربط بين منحدرات نيو جيرسي الشاهقة وشواطئ نيويورك، وتؤمّن مساراته الأربعة عشر عبورًا آمنًا لما يربو على مئة مليون مركبة في كل عام.

بيد أنه في ذلك اليوم، وفي ظلمة ما قبل الفجر، كان جوناس فوكمان يكاد يكون وحيدًا على الجسر وهو يندفع كالصاروخ صوب مانهاتن في سيارته الرياضية المسروقة. كانت عيناه تختلسان النظر مرارًا وتكرارًا إلى المرآة الخلفية، تبحثان عن أي إشارة تدل على أنه مُلاحَق. وكان يأمل أن يبلغ ملاذ الأمان النسبي في برج راندوم هاوس قبل أن يبلغ أحدهم عن فقدان هذه المركبة.

لقد زفّ إليه أليكس، فني تقنية المعلومات في دار النشر، أنباءً مروعة من براغ .ولم يكن بوسع فوكمان إلا أن يتضرع إلى الله أن يكون هناك خطأ ما فيما توصل إليه ذلك الفني.

هل الكشف الذي حواه كتاب كاثرين يستحق القتل حقًا؟ عادت به الذاكرة إلى نظرية الوعي التي عرضتها عليه كاثرين على مائدة الغداء في

نيويورك .لا شك أنها كانت خروجًا جريئًا على النماذج الفكرية السائدة، ولكنها لم تبدُ خطيرة البتة.

»تُدعى النظرية، «قالت كاثرين يومها، »الوعي اللاموضعي. وهي ترتكز على فرضية أن الوعي ليس حبيسًا في دماغك... بل هو منتشر في كل مكان. وبتعبير آخر، إن الوعي يتخلل الكون بأسره. بل هو في حقيقة الأمر أحد اللبنات الأساسية التي يقوم عليها عالمنا«.

»حسنًا، «قال فوكمان، وقد بدأ يجد صعوبة في مجاراتها.

»في نموذج الوعي اللاموضعي، «تابعت قولها، »لا يخلق دماغك الوعي، بل إن دماغك يختبر ما هو قائم بالفعل من حوله «.ونقلت بصرها من فوكمان إلى لانغدون ثم عادت إليه» .بلغة مبسطة، إن أدمغتنا تتفاعل مع نسيج قائم من الإدراك«.

»وهذه هي اللغة المبسطة؟ «قال فوكمان في حيرة.

»احمدِ الله على ذلك، «قال لانغدون» .فقد كان بوسعها أن تفسد علينا غداءنا بمحاولة شرح نموذج "الدوامة البعدية الثلاثية«."

»حقًا يا روبرت؟ «عاتبته» .إن رجلًا بملكاتك الفكرية حريّ به أن يستوعب حقيقة حجمية كمومية ذات تسعة أبعاد، متجذرة في استمرارية لا نهائية«.

قلّب لانغدون عينيه» .أرأيت ما أعنيه؟«

»يا صاحبيّ، «قال فوكمان رافعًا يديه» .لا تجعلاني أفضّ هذا المجلس«.

أعاد لانغدون ملء كؤوس النبيذ بينما واصلت كاثرين حديثها.

»إليكم أيسر السبل للتفكير في الأمر، «قالت» .انظرا إلى تلك السماعة «. وأشارت إلى رف قريب كانت عليه سماعة لاسلكية مصغرة تصدح بالموسيقى الكلاسيكية» .لنفترض أن موزارت سافر عبر الزمن وانضم إلينا الآن على هذه المائدة لتناول الغداء، لكان قد أُخذ بالدهشة وهو يسمع الموسيقى تنبعث من ذلك الصندوق الصغير. ففي عالمه، لم تكن هناك تسجيلات. وحين كان يسمع الموسيقى، كانت هناك دائمًا أوركسترا حاضرة. ولدى رؤيته هذه السماعة، ربما كان سيخلص إلى استنتاج خاطئ بأن هناك أوركسترا مختبئة خلف الجدار، أو حتى أوركسترا مصغرة داخل السماعة نفسها. ولما كان في متناول فهمه خيارات أخرى. ولما كان سيستنتج أبدًا أن الموسيقى في حقيقة الأمر تحوم بصمت من حولنا على هيئة موجات راديو، وأن هذه السماعة تستقبلها بطريقة ما«.

نظر فوكمان حول الغرفة وتخيلها مفعمة بموجات الراديو غير المرئية.

»يمكننا أن نحاول شرح حقيقتنا لموزارت، «واصلت، »ولكنه لن يمتلك أي إطار مرجعي لفهمها. فحتى أول تقنية تسجيل بدائية لن تُخترع إلا بعد مئة عام من وفاته. ما أود قوله هو أننا نجلس هنا على هذه المائدة في مانهاتن الحديثة، ومع ذلك فإن شرح الوعي اللاموضعي لكما يشبه إلى حد ما محاولة وصف موجات الراديو لموزارت. ففي حقيقة عالمه، لا تأتي الموسيقى إلا من موسيقيين أحياء يعزفون على آلاتهم في الزمن الحقيقي، ولا وجود لأي احتمالات أخرى«.

خيم صمت على المائدة فيما كانت الأفكار تتسرب إلى العقول.

»ولكن في حقيقتنا... الأمور مختلفة «.انحنت كاثرين نحوهما» .في عالم الوعي اللاموضعي... الموسيقى موجودة في كل مكان حولنا. وأدمغتنا ببساطة "تولّف" موجتها لتسمعها«.

فكر فوكمان مليًا» .أتقولين إن الوعي أشبه بخدمة بث تشترك فيها أدمغتنا؟«

»أصبت كبد الحقيقة... بل هو أقرب إلى قرص مذياع هائل لا يمكن قياسه. فكر في الوعي كسحابة لا نهائية من موجات الراديو في هذه الغرفة.

ودماغك هو جهاز استقبال... مولّف على محطته الفريدة. وفي حالتك، هو مولّف على محطة جوناس فوكمان«.

قطّب المحرر حاجبيه» .لا أريد أن أبدو مثل موزارت، ولكن هذا يبدو... مستحيلًا«.

»لا أختلف معك، «قال لانغدون لفوكمان» .ولكن إنصافًا، فإن العديد من الاكتشافات العلمية اعتُبرت في البداية سخيفة أو مستحيلة، كمركزية الشمس، وكروية الأرض، والنشاط الإشعاعي، وتمدد الكون، ونظرية الجراثيم، وعلم التخلّق، وغيرها مما لا يحصى. ومن الناحية التاريخية، غالبًا ما تبدأ الحقائق الهامة حياتها كمستحيلات مطلقة. ومجرد عجزنا عن تخيل كيفية صحة شيء ما، لا يعني أننا لا نستطيع أن نلاحظ صحته. لقد أعلن الإغريق القدماء أن الأرض كروية قبل ما يقرب من ألفي عام من شرح نيوتن الدقيق لكيفية بقاء المحيطات في مكانها بفضل الجاذبية«.

»أحسنت القول «.ابتسم فوكمان» .كان ينبغي لي أن أدرك أنه لا جدوى من مجادلة أستاذ من هارفارد«.

»أعتقد أن ما يحاول روبرت قوله، «قالت كاثرين، »هو أنه في حين أننا ما زلنا نتعلم بالضبط كيف يعمل الوعي اللاموضعي... فقد أظهرنا بالتأكيد

أن النظرية تقدم إجابات واضحة لمجموعة من الظواهر التي تبدو غير مفهومة في النموذج الحالي«.

»حسنًا«...

»علاوة على ذلك، «قالت كاثرين، »على عكس موزارت، لديك ميزة العيش في عالم تتفاعل فيه يوميًا مع نموذج مشابه جدًا«.

»مشابه للوعي اللاموضعي؟ «لم ير فوكمان أي وجه للمقارنة في عالمه.

»ماذا لو أخبرتك، «قالت كاثرين، »أنه يمكنني أن أضع كل المعلومات في العالم داخل وعاء بحجم مجموعة من أوراق اللعب؟ أصحيح أم خطأ؟«

»مستحيل. خطأ«.

رفعت كاثرين هاتفها الخلوي» .كل شيء هنا. ماذا تريد أن تعرف؟«

»بارع «...قال فوكمان مبتسمًا» .ولكن تلك المعلومات ليست موجودة داخل الهاتف. الهاتف يصل إلى بيانات موجودة في بنوك بيانات لا حصر لها في جميع أنحاء العالم«.

»بالضبط، «قالت، رغم أنه شعر أنها تقوده... إلى مكان ما» .لقد أصبت نقطة ممتازة. الآن، ماذا لو أخبرتك أنه يمكنني تخزين ملايين الجيجابايت من

البيانات داخل كتلة من الأنسجة البشرية بحجم... حسنًا، لنقل... دماغ بشري؟«

قطّب فوكمان .لقد كانت سريعة. كش ملك في ثلاث نقلات.

»إنه المفهوم ذاته، «أعلنت» .إن سعة التخزين التي لا يمكن تصورها للدماغ البشري هي استحالة مادية. إنها أشبه بمحاولة حشر كل أغنية في العالم في هاتفك. لا معنى لهذا. إلا إذا«...

»إلا إذا، «أذعن فوكمان، »كان الدماغ يصل إلى البيانات... من مكان آخر«.

»لا موضعيًا، «أضاف لانغدون، وقد بدا منبهرًا.

»بالضبط «.ابتسمت كاثرين» .إن دماغك مجرد جهاز استقبال، جهاز استقبال معقد بشكل لا يمكن تصوره، ومتقدم بشكل فائق، يختار الإشارات المحددة التي يريد استقبالها من سحابة الوعي العالمي القائمة. تمامًا مثل إشارة الواي فاي، فإن الوعي العالمي يحوم هناك دائمًا، سليمًا تمامًا، سواء وصلت إليه أم لا«.

»من المؤكد أن القدماء شعروا بذلك، «تدخل لانغدون، وقد رأى الآن أوجه تشابه لا حصر لها في التاريخ» .لقد رددت جميع التقاليد الروحية في

العالم تقريبًا منذ زمن طويل إيمانًا بوعي عالمي، مثل السجل الأكاشي، والعقل الكوني، والوعي الكوني، وملكوت الله، على سبيل المثال لا الحصر«.

»حقًا «!قالت كاثرين» .إن هذه النظرية "الجديدة" توازي في الواقع بعضًا من أقدم معتقداتنا الدينية«.

ومضت تصف كيف أن الوعي اللاموضعي يجد دعمًا متزايدًا من الاكتشافات في مجالات متنوعة مثل فيزياء البلازما، والرياضيات غير الخطية، وأنثروبولوجيا الوعي. وكانت مفاهيم جديدة مثل التراكب والتشابك تكشف عن كون توجد فيه كل الأشياء في كل الأوقات وفي كل المواقع. وبعبارة أخرى، كانت طبيعة كوننا موحدة، أو كما وصفها عنوان فيلم حديث حائز على جائزة الأوسكار ببراعة: "كل شيء في كل مكان في آن واحد."

»ما يثير الدهشة حقًا، «تابعت كاثرين، »هو أن هذا النموذج الجديد يقدم تفسيرات منطقية لجميع "الحالات الشاذة الخارقة للطبيعة" التي أرّقت النموذج التقليدي لفترة طويلة، كالإدراك الحسي الفائق، ومتلازمة الموهوب المفاجئة، والاستبصار، والبصر الأعمى، وتجارب الخروج من الجسد... والقائمة تطول وتطول«.

»ولكن كيف يمكن لأي نموذج، «اعترض فوكمان، »أن يفسر إصابة طفل عادي في رأسه بكرة بيسبول ليستيقظ عازف كمان عبقريًا؟«

»حسنًا، هذا يحدث. لقد تم توثيق متلازمة الموهوب المفاجئة طبيًا عدة مرات«.

»نعم، لقد قرأت عنها، «قال ضاحكًا، »وقد اخترت أن أتجاهلها«!

»بالضبط «...قالت كاثرين» .هكذا تعاملنا نحن البشر دائمًا مع الظواهر التي لا تتناسب مع واقعنا. نتجاهل الحالة الشاذة العرضية بدلًا من الاعتراف بأن نموذجنا بأكمله خاطئ«.

»وأنتِ تعتقدين أن الوعي اللاموضعي يفسر كل هذا؟ التعرض لحادث والتمكن فجأة من التحدث بلغة الماندرين بطلاقة؟«

أومأت كاثرين برأسها» .أعتقد ذلك. إذا كان دماغك جهاز استقبال، ففكر فيه كمذياع سيارة كلاسيكي بقرص مادي. إنه مولّف على محطة موسيقى الروك الكلاسيكية المعتادة، إشارة واضحة لمحتوى مألوف. وفي يوم من الأيام، تصطدم بحفرة وتتعرض المذياع لهزة. فجأة، يقفز المؤشر قليلًا على القرص، وبالإضافة إلى سماع موسيقى الروك الكلاسيكية، تسمع الآن أيضًا مذيع أخبار إسباني من محطة مختلفة تمامًا يختلط بها«.

بدا فوكمان غير مقتنع.

»لننظر إلى الأمر من هذه الزاوية، «قالت كاثرين» .ما الذي يتطلبه الأمر لتصبح عازف كمان عبقريًا؟«

»الممارسة، «أجاب فوكمان.

»ولتصبح لاعب غولف عظيمًا؟«

»الممارسة«.

»ولماذا تجعلك الممارسة لاعب غولف أفضل؟«

»إنها تساعدك على تطوير ذاكرة العضلات. تصقل تأرجحك«.

»خطأ، «قالت كاثرين» .لا يوجد شيء اسمه ذاكرة العضلات. إنه تناقض لفظي. فالعضلات لا تملك ذاكرة. في الواقع، عندما تتدرب، فإنك تصقل دماغك... وتعيد تشكيل أسلاكه العصبية تدريجيًا لاستقبال المعلومات بشكل أكثر وضوحًا واتساقًا من الوعي العالمي حتى يتمكن من إصدار أوامره لعضلاتك بالانقباض في نمط مثالي لأداء مهمة بطريقة معينة«.

كشر فوكمان» .أتقولين إن هناك قناة غولف في الوعي العالمي؟«

»أقول إن كل شيء موجود بالفعل هناك... والممارسة تساعد على توضيح الإشارة التي يستقبلها دماغك. هكذا نصبح أكثر مهارة، فنحن نكتسب

ببطء إشارة محددة جديدة. وبعض الأدمغة تولد مجهزة مسبقًا لاستقبال إشارة معينة، ولهذا السبب لدينا رياضيون نجوم، وعباقرة، وفنانون فذّون«.

»حسنًا«...

»والأمر نفسه ينطبق على العديد من الأشخاص المصابين بمتلازمة أسبرجر أو التوحد، «أضافت» .يمكن أن يكون لديهم أجهزة استقبال متخصصة للغاية تتيح لهم الوصول إلى مهارات ورؤى رائعة، ولكنها في الوقت نفسه تجعل من الصعب عليهم أداء المهام الروتينية. الأمر يشبه إلى حد ما ارتداء منظار مقرب بدلًا من النظارات الطبية؛ يمكنك أن ترى أبعد بكثير من معظم الناس... ولكن محيطك المباشر سيكون ضبابيًا«.

***منظور فريد*، فكر في نفسه» .وتزعمين أن هذا النموذج يفسر أيضًا الإدراك الحسي الفائق؟«**

»تمامًا، «قالت كاثرين» .إن "الحاسة الإضافية" التي ننسبها إلى الإدراك الحسي الفائق ليست في الحقيقة أكثر من دماغ يولّف موجته على معلومات يتم ترشيحها عادة. ووفقًا لهذه النظرية الجديدة، عندما يكون لديك حدس أو هاجس، فإن الأمر يشبه تمامًا مذياع السيارة الذي يلتقط لمحة موجزة من محطة مختلفة لا يستقبلها عادة. وفي بعض الحالات، إذا التقط الدماغ محطات متعددة بوضوح شديد، يمكن أن تكون التجربة مربكة للغاية، بل

وحتى منهكة، كالفصام، واضطراب الهوية التفارقي، وسماع أصوات في رأسك، وتعدد الشخصيات، فكل هذه يمكن تفسيرها في هذا النموذج«.

»مذهل، «تدخل لانغدون» .وتجربة مثل الاستبصار؟«

»أحياناً ترتد الإذاعات في الغلاف الجوي، «أجابت، »مما يخلق أصداء وتأخيرات زمنية. وفي هذا النموذج، تتجلى تلك في أذهاننا كظاهرة "ديجا فو" أو، بشكل عكسي، كاستبصار«.

جلس فوكمان لحظة طويلة، ينقل بصره بين لانغدون وكاثرين» .يا صديقيّ، «قال أخيراً مبتسمًا، »أجرؤ على القول إن هذا يستدعي زجاجة نبيذ أخرى«.

الآن، وبعد عام واحد، عاد وعي جوناس فوكمان، كيفما كان يعمل، إلى الطريق السريع أمامه. وبينما كان يسرع على الطابق العلوي من جسر جورج واشنطن، لم يكن فوكمان متأكدًا من القناة التي كان مولّفًا عليها في تلك الليلة، لكنها كانت بالتأكيد قناة غريبة.

اقترب من منتصف الجسر، وأنزل نافذته ليؤدي المهمة التي حثه عليها فني دار النشر» .تخلص من هاتفك، «كان أليكس قد قال» .هناك احتمال كبير أنه يتم تعقبه«.

وعلى مضض، قذف فوكمان بالهاتف في جوف الليل. فطاف فوق الحواجز الواقية وبدأ هبوطًا يبلغ مئتين واثنتي عشرة قدمًا نحو نهر هدسون.

وبينما كان الهاتف يسقط، استرجع فوكمان الكلمات الأخيرة التي نطق بها الفني.

»حاول العودة إلى هنا بأسرع ما يمكنك... لقد عرفتُ هوية من اخترق أنظمتنا«.

الفصل السابع والخمسون

ما إن انفرجت مصاريع العربة المعلقة عند سفح تل بترين، حتى ترجل لانغدون ليجد نفسه في محطة أويزد، وهي ملتقى للطرق لم يكن يتوقعه، يعج بحركة دائبة لسيارات الأجرة والحافلات والعربات الكهربائية. وقد استبدت به رغبة جامحة في أن يجعل بينه وبين الملازم بافل أبعد مسافة ممكنة، فأخذ يجول ببصره في الخيارات المتاحة أمامه.

لقد كانت آخر رحلتين له على متن سيارة أجرة ذا مآل وخيم، فاستقر رأيه على أن السلامة كل السلامة تكمن في أن يستقل عربة الترام، فيذوب بين زحام الناس ويتوارى عن الأنظار. وكانت العربة التي تحمل الرقم الثاني والعشرين هي الوحيدة التي اصطف أمامها طابور من الناس ينتظرون الصعود إليها، وقد أشارت اللوحة المعلقة فوق زجاجها الأمامي إلى أن وجهتها كانت صوب مركز مدينة براغ.

صوب الكلمنتينوم...

لقد كان لانغدون يود من كل قلبه أن يصدق أن رسالة كاثرين لم تكن إلا نداءً مشفرًا تدعوه فيه إلى لقائها عند "إنجيل الشيطان"، غير أنه فطن إلى أن في الأمر معضلة يسيرة؛ إذ إنها قد بعثت برسالتها تلك منذ ما يربو على ساعتين، أي قبل أن يفتح المتحف أبوابه بزمن طويل. فالموعد المعهود

لافتتاح المتاحف في براغ هو العاشرة صباحًا، وهو وقت لم تزل تفصل عنه بضع دقائق.

أتراها كانت تنتظر في الخارج طوال هذا الأمد؟

وعلى الرغم مما اعتلج في صدره من ريب وشكوك، فقد صعد لانغدون إلى متن العربة الثانية والعشرين، ومضى في طريقه صوب المتحف الذي يأوي "إنجيل الشيطان". وفيما كان يجتاز النهر، كان يحدوه الأمل في أن يهتدي إلى ضالته المنشودة، كما كان دأبه في كثير من مواقف حياته، مستعينًا في ذلك بكتاب عتيق.

وما كاد الملازم بافل يبلغ سيارته السيدان الرابضة عند قاعدة برج بترين، حتى أحس برأسه يمور بألم عنيف كاد يغشي على بصره. اندس خلف المقود، وأغمض عينيه، وراح يقلب في خاطره الخطوة التالية التي عليه أن يخطوها. لقد استشعر أن جسده في حاجة إلى مشفى، بيد أن ملاحقته للانغدون كانت أمرًا لا يحتمل التأجيل، ولم تكن نفسه لتطاوعه على التخلي عن هذه المهمة، ولا عن الوفاء لذكرى قائده.

فعلى الرغم من أن هذا الأستاذ الجامعي قد ذاع صيته بأنه أكاديمي وديع الطبع، فقد أخذ يتكشف شيئًا فشيئًا عن مجرم شديد الخطورة وواسع

الحيلة. ومع ذلك، فإن لفراره مدى لن يستطيع أن يتجاوزه. لقد أمسى الأمريكي طريدًا شاردًا، والمعلومات التي يرسلها إنذار بافل الأزرق "Blue Alert" ستظل تتوارد تباعًا على هاتف القائد الذي لا يزال في جيبه.

وللأسف، لن يمر وقت طويل قبل أن تكتشف جهات أخرى – مثل جهاز الاستخبارات ÚZSI، والسفارة الأمريكية، والشرطة المحلية – أن لانغدون رجل مطلوب للعدالة. وما هي إلا برهة حتى تتدخل كل هذه الأطراف، ومن شأن تلك المنظمات أن تعامل لانغدون بلين ورفق لا يستحقهما أبدًا.

لقد أدرك بافل أن فرصة الثأر والانتقام أخذت تضيق عليه وتفلت من بين يديه... وأنه ليس أمامه إلا سبيل واحد ليكرم ذكرى قائده خير تكريم.

أن يعثر على لانغدون قبل أن تقع عليه يد أخرى.

لقد شهدت محصلة التذاكر في عربة الترام الثانية والعشرين بمدينة براغ في مسيرتها المهنية من الغرائب والعجائب ما شهدت. وفي الأحوال العادية، ما كانت لتعير نظرة ثانية لسائح أهوج متهور لا يرتدي سوى سترة خفيفة وحذاء جلدي في عز الشتاء. بيد أن هذا الرجل بالذات، ما كاد يترجل من

العربة حتى عبر من أمام نافذتها مباشرة. لمحت عيناها وجهه الوسيم، فلم يخالجها أدنى شك؛ إن هذا هو الوجه عينه الذي بُث إلى هاتفها ضمن إنذار "Blue Alert"قبل أقل من ساعة خلت.

الفصل الثامن والخمسون

لقد وجد الحارس الليلي مارك س. دول في عمله ببرج راندوم هاوس لذة لا تعدلها لذة. فمنذ عامين ونيّف وهو قائم على حراسة هذا الصرح الشاهق، تعتلج في صدره مشاعر الفخر والزهو كلما ارتدى سترة زرقاء وقبعة أمنية واتخذ مجلسه خلف منضدة الحراسة المهيبة في بهو المبنى. وكان قد ناهز الثامنة والعشرين من عمره، وقطع لزوجه عهدا بأن ينال ترقية إلى النوبة النهارية قبل أن يبلغ الثلاثين.

ومن بين المزايا التي أسرت فؤاده في هذا العمل، تلك المكتبة المتاحة للعاملين، وهي قاعة فسيحة في القبو تعجّ بالكتب من كل لون وجنس، بدءا من أمهات الأدب الكلاسيكي ووصولا إلى روايات الإثارة الحديثة. ومنذ أن التحق بهذا العمل، التهم دول ما يزيد على ستة وثلاثين كتابا، وها هو في ليلته هذه ينكب على قراءة رواية "عناقيد الغضب" للأديب شتاينبك، مستشعرا نعمة إلهية أن رزقه الله عملا يكفي به أهله، لا يتأثر تقلبه بتقلبات الطقس ولا يخضع لأهواء السماء.

رفع دول بصره عن سطور كتابه على حين غرة، إذ بسيارة سوداء رباعية الدفع تنحرف بحدة وتصطك جنباتها بالرصيف في وقفة عنيفة مفاجئة أمام المدخل الرئيس. لم يقع بصره على مشهد كهذا قط، لا سيما في ساعة

كتلك، الثالثة والثماني والأربعين دقيقة فجرا. وكان أعجب من ذلك أن الرجل الذي وثب من مقعد السائق لم يكن سوى المحرر جوناس فوكمان .ولم يذكر دول أنه رأى فوكمان يقود سيارته إلى العمل يوما، وإذا ما قيس الأمر بطريقة ركنه للسيارة، فلعل في ذلك خيرا.

وها هو فوكمان يقف الآن خارج الباب الإلكتروني، يفتش جيوبه في جزع ولهفة. لقد ألف دول هذه الرقصة المحمومة من قبل. لقد نسي بطاقته. ضغط الحارس الليلي على زر تحت منضدته، فانفرج الباب مصدرا طقة خافتة.

اندفع فوكمان إلى البهو، وقد علت وجهه سحنة تشي بمن فقد صوابه.

"هل كل شيء على ما يرام يا سيدي؟ "سأل دول.

"بخير، بخير"، أجابه المحرر مؤكدا، مع أن حاله كانت تنطق بغير ذلك. فشعره الأشعث وملامحه التي غشاها الإعياء الشديد كانت تجعله أشبه بمن أمضى ليلته كلها يمتطي أفعوانية الموت في مدينة ملاهي كوني آيلاند" .لقد أضعت حقيبتي، وكانت بطاقتي بداخلها".

"يؤسفني سماع ذلك. سأصدر لك بطاقة مؤقتة ".ثم سحب بطاقة بلاستيكية جديدة ووضعها في آلة الممغنطة.

وقف فوكمان ينتظر، متكئا بكل ثقله على المنضدة، مغمض العينين، تتصاعد أنفاسه وتهبط في عمق.

قال دول" :سيد فوكمان؟ أمتأكد أنك بخير؟"

فتح فوكمان عينيه" .أجل، المعذرة يا مارك. لقد كانت... ليلة طويلة فحسب".

"أتعكف على مخطوطة عسيرة؟ "سأل دول وهو يناوله بطاقة الدخول الجديدة.

أومأ المحرر برأسه إيماءة ساخرة واتجه صوب المصاعد" .لقد كانت هذه أشد تعقيدا مما توقعت".

بعد أن تتبعا الإشارة المنبعثة من هاتف فوكمان، تمكن العميلان أوجر وتشينبرغ من اللحاق بسيارته الرباعية الدفع قبيل أن يقذف بهاتفه من النافذة. ومن تلك النقطة، تعقباه في خفاء حتى وصلا إلى زاوية الشارع السادس والخمسين وبرودواي، حيث تقف السيارة الآن بزاوية مائلة أمام برج راندوم هاوس.

وبات السؤال الملح الآن هو: كيف تكون الخطوة التالية.

أوقف أوجر سيارتهما على الجانب الآخر من شارع برودواي، وأجرى اتصالا آمنا آخر بفينش، الذي جاء صوته مقتضبا وحاسما" :تكلم."

قال أوجر" :سيدي، لقد فقدنا الصوت مع المحرر، لكننا التقطنا معلومات استخبارية مذهلة. يبدو أن الخبير التقني لدى دار النشر قد علم بمقتل أحد الأمريكيين في براغ".

صمت فينش لبرهة، ثم سأل بنبرة لم تفصح عن أي انفعال" :من أين له بهذه المعلومات؟"

نقل أوجر ما تسرب إلى مسامعهما من المحادثة بين الخبير التقني وفوكمان.

قال فينش قاطعا أي استفسار" :ليس هذا من شأنكما. هل من شيء آخر؟"

"أجل يا سيدي"، قال أوجر وقد أبقى الخبر الأشد وقعا إلى النهاية" .يزعم الخبير التقني أيضا أنه يعرف هوية المسؤول عن اختراق خوادمهم".

شهق فينش شهقة حادة" .أعطني تشينبرغ".

وضع أوجر الهاتف على مكبر الصوت وقربه من شريكه.

قال تشينبرغ" :سيدي، نعتقد أن معلومات الخبير التقني مغلوطة. فهو لم يقدم أي تفاصيل محددة، لذا ليس لدينا أدنى فكرة عما إذا كان يسير على الطريق الصحيح من الأساس".

طالبه فينش" :هل تحدثت إلى فريق الاختراق لديكم؟"

"أجل سيدي، للتو. وقد أكدوا لي أن الاختراق كان نظيفا تماما ".تردد تشينبرغ للحظة" .ولكنهم أشاروا إلى أن العملية قد نُفذت في ظل قيود زمنية خانقة، مما اضطرهم إلى إيلاء الأولوية للسرعة والكفاءة على حساب تدابير إخفاء الهوية الاحتياطية".

"عفوا؟ هل سلكوا طرقا مختصرة؟"

"لا يا سيدي، لقد نفذوا أفضل عملية ممكنة في الحيز الزمني المتاح لهم. وهم يؤكدون لي أن درجة الثقة عالية".

"درجة الثقة عالية؟ "قالها فينش في حدة، وكانت نبرته باردة كالصقيع" .من واقع خبرتي، لا يستخدم هذه العبارة إلا من تنقصه الثقة ".ساد الصمت على الخط لثلاث ثوان كاملة" .اكتشفا ما يعرفه هذا الخبير التقني... واحتويا الأمر على الفور. بالطريقة التي ترياها مناسبة".

ثم انقطع الاتصال.

بدا تشينبرغ وقد اعتراه الاضطراب" .اللعنة".

أما أوجر، فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة" .درجة الثقة عالية، هاه؟"

"لا تكن وغدا".

ألقى أوجر بنظرة عبر الشارع إلى بهو ناطحة السحاب الشاهقة" .إذا كان فينش يريد معلومات، فعلينا أن ندخل إلى هناك".

كان من المفترض أن يكون التحقق مما يعرفه الخبير التقني أمرا في غاية البساطة، لا يتعدى تنشيط مكبر الصوت في هاتف فوكمان عن بعد والاستماع إلى المحادثة التي كان على وشك أن يجريها معه. لكن لسوء الطالع، كان المحرر قد أقدم على أول خطوة حصيفة أمنيا في تلك الليلة، فبات هاتفه الآن راقدا في قاع نهر هدسون تحت جسر جورج واشنطن.

وإذ لم يجد أوجر خيارا آخر، فقد حشا عدة أشياء في جيوب سترته وحقيبته التكتيكية السوداء. لقد انقضى من هذه الليلة فصلها الذي تديره التقنية عن بعد، وحان أوان أن تتلطخ الأيدي بالعمل المباشر.

الفصل التاسع والخمسون

في براغ، وقفت السفيرة الأمريكية، هايدي ناجل، عند نافذة مكتبها، ترمق في إعياء فندق الخيميائي القابع على الجانب الآخر من شارع ترزيشت .وما إن فرغت من إحاطة دانا دانيك علمًا بتفاصيل تلك العملية السرية التي تكشفت لها غفلةً هذا الصباح، حتى كانت قد أمرت مسؤولة الإعلام بالعودة إلى مكتبها ترقبًا لتعليمات جديدة. ولم يكن غريبًا أن دانا قد اعتراها الخوف والهلع مما علمت.

"حَسَنٌ"، هكذا حدثت ناجل نفسها. "فلعل الخوف هو السبيل الأوحد إلى إحكام السيطرة عليها."

طَرْقٌ هادئ على الباب استرعى انتباه ناجل .استدارت لترى جنديًا من مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) منتصب القامة في بزته العسكرية الرسمية الزرقاء والبيضاء. فقد كانت فرقة أمن السفارات التابعة لسلاح مشاة البحرية، والمؤلفة من ثمانية رجال، جزءًا من الفريق المنوط به تأمين سفارات الولايات المتحدة وكبار دبلوماسييها حول العالم.

"سيدتي السفيرة، "قال الجندي، "لقد استجد أمرٌ."

"وكأن ما أنا فيه لا يكفيني!"، هكذا فكرت في سخط، "فأنا غارقة في مستنقع من المشاكل حتى الآن"، بيد أنها أومأت له بالدخول.

خطا الرجل إلى داخل مكتبها وقال" :سيدتي، لقد أصدر الكابتن ياناتشيك من جهاز الاستخبارات ÚZSI بلاغًا عامًا للبحث عن مواطن أمريكي ." تفحص بطاقة ملاحظات في يده ثم أردف" :اسمه روبرت لانغدون."

أغمضت ناجل عينيها، وهي لا تكاد تصدق أن تهديدها بفضح ياناتشيك لم يثنِ الكابتن عن المضي في طريقه. أيعقل أن ياناتشيك يراهن بكل شيء في سبيل روبرت لانغدون؟ يا للهول! من الواضح أنها لم تكن مقنعة أو مهيبة بالقدر الذي تخيلته.

"وإن هذا البلاغ، "أضاف الجندي، "هو من فئة الإنذار الأزرق (Blue Alert)، وهو ما يعني أن جهاز الاستخبارات ÚZSI يزعم أن لانغدون قد قتل أحد رجاله."

"ماذا "!هتفت في غضب عارم، "هذا بهتان مبين"!

"إن لم نعثر على لانغدون على الفور "...قال الجندي بهدوء، ..."فسوف يصرعه أحدهم."

أخذت ناجل أنفاسًا عميقة، ثم أومأت له برأسها إيماءة شكر متوترة .

"سأصدر إليك أوامري بعد قليل. أرجو أن تغلق الباب خلفك."

استدار الجندي وانصرف.

وعلى الفور، أجرت ناجل اتصالاً عبر تطبيق "سيجنال" بالسيد فينش.

"تكلمي"، قال فينش، مجيبًا عند الرنة الأولى.

سردت عليه ناجل ملخصًا للوضع المتدهور في براغ:

جهاز الاستخبارات ÚZSI يطارد روبرت لانغدون بنية القتل.

كاثرين سولومون في عداد المفقودين.

الملحق هاريس ذهب إلى حصن الصلب ولم يعد يجيب على هاتفه.

وكما كان متوقعًا، استشاط فينش غضبًا" :ظننت أنك قد تدبرتِ أمر جهاز الاستخبارات! أي نوع من العمليات الهوجاء تديرين هناك؟"!

"هذه عمليتك أنت "!ردت ناجل بحدة، "وهذا الوضع برمته هو خطؤك اللعين"!

وما إن نطقت بتلك الكلمات، حتى أدركت ناجل أنها قد تجاوزت حدودها.

خفت صوت فينش على غير عادته، وهمس باسمها الأول" :هايدي"، متخليًا عن لقبها الرسمي وكأنه يذكرها بأنها ليست سوى بيدق ضئيل الشأن في عالمه" .أقترح عليك أن تتذكري من الذي وضعك في هذا المنصب... ولماذا."

لم تنم الضابطة الميدانية هاوسمور سوى أقل من ساعة.

وها هي الآن تقف أمام مغسلتها بعينين مغرورقتين بالنعاس، بعد أن أيقظها للتو اتصال جديد من السيد فينش يحمل أوامر محدّثة.

- ***توجهي إلى حصن الصلب على الفور.***
- ***أمّني مختبر غيسنر.***

كانت معرفة هاوسمور بعملية براغ "مجزأة". فبينما كانت تعلم أن غيسنر كان جزءًا لا يتجزأ من مشروع "ثرشولد"، كانت تعلم أيضًا أن المنشأة السرية التي بناها فينش تقع في مكان آخر من المدينة. فلماذا إذن تأمين مختبر غيسنر؟

وإضافة إلى التوجيه الجديد، نقل إليها فينش خبرًا مذهلاً، وهو أنه قادم إلى براغ شخصيًا. وإذا كان العقل المدبر نفسه في طريقه إلى براغ، فقد أيقنت هاوسمور أن هذه المهمة قد خرجت عن مسارها تمامًا وانفرط عقدها.

فيما كان الجولم يعبر ساحة البلدة القديمة، مر بالقرب من حشد من السياح المتجمهرين حول تمثال برونزي، يحتسون نبيذ "سفاراك" الساخن من

أكواب بلاستيكية. وكان صوت مرشدهم السياحي يجلجل عاليًا من مكبر صوت محمول باليد.

"هذه التحفة الفنية من طراز الآرت نوفو"، أعلن المرشد، "تجسد زعيم حركة الإصلاح التشيكية – يان هوس –الذي أُحرق على المحرقة عام 1415 لرفضه الامتثال لأوامر البابا."

وكان المرشد على وشك المتابعة، حين لمح هيئة الجولم المظلمة تمر بالجوار. وعلى الرغم من أن براغ كانت تفيض بالممثلين المتنكرين الذين يتخذون أوضاعًا مختلفة مقابل بعض النقود، فمن الواضح أن المرشد قرر أن يغتنم اللحظة ليخلق لمسة من الإثارة لزبائنه.

"سيداتي سادتي"، أعلن بحماس، "لدينا ضيف غير متوقع هذا الصباح! أحد أشهر مشاهير براغ"!

استدار السياح وكأنهم يتوقعون رؤية إيفان ليندل أو مارتينا نافراتيلوفا . وبدلاً من ذلك، رأوا شخصية مقنعة ذات وجه مغطى بالطين.

"وحش الجولم "!صاح صبي صغير" .لقد أخبرتنا عنه للتو في الكنيس"!

"ممتاز"، قال المرشد وهو يلتفت إلى الصبي" .وهل تتذكر معنى الحروف العبرية على رأسه؟"

"الحقيقة "!قال الصغير" .إلى أن محا الحاخام حرفًا واحدًا وقتله"!

"ممتاز"، قال المرشد بينما كان الجولم يمضي في طريقه" .حسنًا، يبدو أنه لا فرصة لالتقاط الصور مع الجولم اليوم، ولكن من منكم يستطيع أن يذكر اسم ثاني أشهر وحش في براغ؟"

لم يجب أحد.

"الصرصور "!قال المرشد بنبرة درامية" .لقد كتب فرانتس كافكا رواية قصيرة، هنا في هذه المدينة، بعنوان "المسخ" – يستيقظ فيها شاب في سريره صباح أحد الأيام ليكتشف أنه قد تحول... إلى صرصور عملاق"!

سرعان ما ترك الجولم المجموعة خلفه، خارجًا من الساحة ومتجهًا شمالاً.

وبينما كان يسير، وجد نفسه يفكر في فرانتس كافكا، ويسترجع المرة الأولى التي رأى فيها تمثال الكاتب الشهير والمخيف في براغ –عملاق مقنع بلا رأس... يحمل على كتفيه رجلاً أصغر حجمًا بكثير.

مخلوق بلا وجه يحمل على كاهله عبء روح أضعف منه.

لقد شعر الجولم بقرابة روحية فورية تجاه التمثال.

فالرجل الصغير المحمول يمثل كافكا، الذي كان، في قصته "وصف صراع"، يستند إلى صديق واقٍ دعاه "صاحبه."

لقد أدرك الجولم أن هذا الصاحب كان يحمل كافكا، تمامًا كما حمل الجولم الشعب اليهودي. وتمامًا كما أحمل أنا ساشا.

استدعت أفكاره عن ساشا ذهنه إلى المهمة التي بين يديه.

اليوم سأخترق ثرشولد.

لم تكن ساشا ضحيتهم الأولى... ولن تكون الأخيرة. يجب أن يُمحى كل شيء. إلى الأبد.

الفصل الستون

أسرع لانغدون الخطى على الرصيف صوب صرح الكليمنتينوم، يجول ببصره في الجموع المتناثرة علّه يلمح طيفا لكاثرين .وقد عادت رياح باردة تلفحه من كل جانب وهو يقصد البرج الفلكي للمتحف، الذي كان يلوح للعيان من فوق المباني الأخرى على بعد يقل عن كيلومتر واحد.

مر لانغدون بفندق موزارت براغ الباذخ، حيث أقام وولفغانغ نفسه حفلات موسيقية خاصة لا تحصى، واستدعى من ذاكرته مشهدا رآه ذات مرة لواجهة الفندق الشاحبة وقد تبدلت كأنما بفعل سحر، فغدت مدرجات موسيقية شاهقة تتوالى عليها النوتات متزامنة مع تسجيل مكبر لمقطوعة ***Eine kleine Nachtmusik***. ففي كل شهر أكتوبر من كل عام، تحتضن براغ مهرجان الإشارة، وهو أسبوع كامل تتحول فيه معالم المدينة المعمارية إلى لوحات فنية حية باستخدام الإسقاط الضوئي والرسم بالفيديو. وكان أحب تلك المشاهد إلى قلب لانغدون ذلك العرض الشاهق الذي أُسقط على واجهة قصر رئيس الأساقفة، والذي يصور أصل الأنواع وتطورها، في مفارقة بليغة كانت مرآة عاكسة لولع براغ الذي لا يفتر بالفنون الطليعية.

وبينما كان لانغدون يجاوز الفندق، تباطأت مشيته فجأة، إذ تسمرت عيناه على كشك إعلاني في حديقة صغيرة. كان الملصق يصور جيشا من الجنود في هيئة مستقبلية يسيرون عبر كوكب مقفر، وفوق أولئك المحاربين المدججين بالسلاح، عُلقت كلمة واحدة كان لظهورها في هذه اللحظة بالذات وقع غريب يوحي بمصادفة جارحة.

هالو(HALO)

أَيُهَازِئُنِي الكون؟

بدهي أن هذا الملصق المشؤوم لم يكن يشير إلى رمز مشع للعقل المستنير، بل إلى سلسلة ألعاب حاسوبية ذاع صيتها ذيوعا هائلا، وهي سلسلة، كما أخبره طلابه، قد استملكت ببراعة الرنين الثقافي للمسيحية من خلال دمج مصطلحات إنجيلية مثل "العهد" و"الفُلك" و"الأنبياء" و"الطوفان"، إلى جانب نسيج من الإشارات الدينية العميقة.

قال لانغدون لطلابه في فصله الدراسي آنذاك" :يبدو أنها قد تروق لي."

فأجابه طالب بذكاء" :كلا، فإن وحوشا ضارية تحمل أسلحة فتاكة ستبيدُك في لمح البصر".

لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة عما يعنيه الطالب، لكنه قرر أن يظل وفيا للعبة الطاولة على الإنترنت.

ومع ذلك، في هذه اللحظة، هنا في براغ، بدا ظهور كلمة "هالو "وكأنه إشارة مقدرة توقيتها عجيب إلى كاثرين .واحتار في أمره، هل يعد ذلك فألا حسنا أم نذير شؤم، لا سيما أنهما كانا قد ناقشا هذا الموضوع عينه قبل يومين فقط.

قالت له" :إن مفهوم الهالات قد أُسيء فهمه تماما. لقد جرى تصورها دوما على أنها سيول نورانية تحف بالرأس، تصور طاقة تنبثق من عقل مستنير. ولكني أؤمن بأننا نفسر الهالات على نحو معكوس. فتلك الأشعة لا تمثل إلا حزما من الوعي... تتدفق إلى الداخل... لا إلى الخارج. وأن تقول عن شخص ما إنه يمتلك 'عقلا مستنيرا' ليس إلا طريقة أخرى للقول بأنه يمتلك 'جهاز استقبال أفضل".'

لقد عكف لانغدون على دراسة الهالات بوصفها رموزا دينية بارزة لسنوات طوال، ولكنه لم يتأملها قط من المنظور الذي عبرت عنه كاثرين للتو. فمثله مثل جل الناس، كان يرى الهالات دوما على أنها تشع إلى الخارج. أما هذا التفسير المعكوس فقد أربكه وزعزع ما استقر في وجدانه. غير أنه اضطر إلى

الإقرار بأن الكتاب المقدس يصف الأنبياء دائما بأنهم *يتلقون* الحكمة الإلهية من الرب... لا أنهم يصوغونها أو يبثونها من ذواتهم.

ففي الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل، وُصف اهتداء الرسول بولس على طريق دمشق بأنه كان نتيجة لومضة من الطاقة *تلقاها* من السماء. وفي الإصحاح الثاني، فاض الروح القدس على الرسل ومنحهم قدرة فورية على التحدث بلغات متعددة حتى يتمكنوا من التبشير بالإنجيل. فهل كانت تلك متلازمة الموهوب المفاجئة؟

ورغم أن رمز الهالة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسيحية، إلا أن لانغدون كان يعلم بوجود نسخ أقدم بكثير — في الديانات الميثرائية والبوذية والزرادشتية — تصور أشعة من الطاقة تحيط برموزها المقدسة. وحينما تبنت المسيحية رمز الهالة، أُزيلت تلك الأشعة تدريجيا ليحل محلها قرص بسيط يحوم فوق الرأس. وهكذا، ضاع عنصر رمزي مهم من الهالة في غياهب التاريخ، وكانت كاثرين تعتقد أن تلك النسخة المفقودة قد تؤكد فهما منسيا وحكمة قديمة... الفهم المفقود لما يعرف الآن بنظرية الوعي غير الموضعي.

العقل جهاز استقبال... والوعي يتدفق إلى الداخل، لا إلى الخارج.

"ما زلت لا تستطيع أن تصدق هذه الفكرة تماما، أليس كذلك؟ "قالتها له في تحدٍ لطيف" .أنت تنتظر نوعا من البرهان على أن عقلك جهاز استقبال".

تأمل لانغدون الأمر. إن النماذج العلمية لا يمكن إثباتها أبدا بمعنى مطلق. فهي تكتسب القبول من خلال قدرتها المستمرة على تفسير الملاحظات والتنبؤ بها على نحو أفضل من النماذج البديلة. لقد كانت فكرة كاثرين مقنعة، وبإمكانها أيضا أن تفسر العديد من الظواهر الشاذة مثل الإدراك فوق الحسي(ESP) ، وتجارب الخروج من الجسد، ومتلازمة الموهوب المفاجئة.

قالت كاثرين" :إذا سألتني، فإن ذاكرتك الفوتوغرافية ينبغي أن تكون برهانا كافيا يا روبرت. أعلم أنك تعتقد أن عقلك قد خزن كل صورة رأيتها في حياتك. لكن الاستدعاء الفوتوغرافي الكامل هو أمر مستحيل ماديا. إن بيانات الصور الحية التي جمعتها طوال عمرك قد تملأ مستودعا ضخما، حتى لو استخدمنا أحدث طرق التخزين الرقمي، ومع ذلك ما زلت قادرا على استدعاء تلك البيانات بإتقان تام. الحقيقة هي أن الدماغ البشري —— حتى دماغك أنت —— أصغر ماديا من أن يستوعب كل هذه المعلومات الهائلة".

أثار كلامها فضول لانغدون" .أتقولين إن ذاكرتنا تعمل مثل الحوسبة السحابية؟ أي أن بيانات ذاكرتنا كلها مودعة في مكان آخر... في انتظار أن نصل إليها".

"بالضبط. إن عقلك ذو الذاكرة الفوتوغرافية لا يعدو كونه يمتلك آلية فائقة للوصول إلى البيانات وانتزاعها. فجهاز الاستقبال لديك متطور وموّلف بدقة لاستقبال الصور ".ثم ابتسمت" .ولكنه ربما أقل براعة في استقبال الإيمان والثقة".

ضحك لانغدون" .حسنا، أنا أؤمن بك، وأثق بأنك ستشاركينني قريبا تجاربك العلمية... وتشرحين لي بالتحديد ما اكتشفته".

"محاولة لطيفة أيها الأستاذ، "قالت" .ولكن عليك أن تنتظر وتقرأ الكتاب".

الفصل الحادي والستون

ما كان للكليمنتينوم –شأنه في ذلك شأن صروحٍ أخرى كثيرةٍ من روائع العمارة في أوروبا –أن يُشيَّد إلا إعلاءً لمجد الإله المسيحي وتمجيدًا له.

ففي غمرة سعي الإمبراطور فرديناند الأول إلى تعزيز سطوة الكنيسة الكاثوليكية في بوهيميا إبان القرن السادس عشر، دعا إلى براغ رهبانًا من "جمعية يسوع" – اليسوعيين – التي كانت آنذاك تزداد نفوذًا، ومنحهم أفخم بقاع المدينة ليشيدوا عليها كلية يسوعية. وقبل انقضاء ذلك القرن، كان صرح "الكليمنتينوم – "الذي استمد اسمه من القديس إكليمندس – قد غدا واحدًا من أضخم المجمعات المعمارية في البلاد، لا يفوقه في عظمته إلا قلعة براغ.

ولما اشتهرت جامعة الكليمنتينوم بتفانيها في خدمة العلوم، فقد ضمت فيما بعد برجًا فلكيًا يناهز ارتفاعه ثمانية وستين مترًا، ومكتبة علمية تزخر بآلاف الكتب، وغرفة بارعة التصميم عُرفت بغرفة خط الزوال، استُخدمت فيها قواعد الهندسة وضوء الشمس لتحديد وقت الظهيرة على وجه الدقة في كل يوم، وفي تلك اللحظة عينها، كان الميقاتي الرسمي يطلق قذيفة مدفع إيذانًا بحلول منتصف النهار لأهل المدينة قاطبة.

أما في العصر الحديث، فقد أمسى الكليمنتينوم في المقام الأول مقرًا لمكتبة التشيك الوطنية ومتحفًا تاريخيًا. وكان السائحون الأذكياء الذين ينشدون أبهى الإطلالات على مدينة براغ يصعدون إلى برج الكليمنتينوم الفلكي، فتُكافأ همتهم بعد صعود مئة واثنتين وسبعين درجة بمشاهد آسرة للأنظار، فضلًا عن معرض يأخذ بالألباب لآلات فلكية ترجع إلى القرن الثامن عشر.

وبينما كان روبرت لانغدون يهرول على الطريق صوب المتحف، لم يخطر بباله شيء من الكنوز التي لا تحصى مودعةً بين جدرانه، بل كان فكره كله منصبًا على كاثرين، وعلى تلك الرسالة المبهمة التي ساقته إلى هذا المكان. وحينما مر بالبوابة الشرقية لجسر تشارلز، أدرك لانغدون أنه يطأ ذات الرصيف الذي كان قد ركض عليه قبل بضع ساعات فحسب.

وخاطب نفسه قائلًا: "أجدني أدور في حلقة مفرغة، تمامًا كسمكة كاثرين الذهبية."

كانت الساعة تشير إلى الخامسة وخمسين دقيقة من صباح اليوم التاسع حين بلغ لانغدون مدخل الكليمنتينوم الرئيسي، وشرع يجيل بصره في الأرجاء بحثًا عن كاثرين .لم تكن هناك، ولكن ما أثار دهشته أنه لمح عائلة تلج من الأبواب الرئيسية.

"أأبواب المتحف مفتوحة بالفعل؟"

وتدفقت في نفسه موجة من الأمل في أن تكون كاثرين في انتظاره بالداخل، فأسرع يخطو عبر الأبواب إلى دفء البهو الترحيبي. كان يتوقع أن يجد المتحف شبه مقفر في هذه الساعة المبكرة، ولكنه بدلًا من ذلك وجد الردهة تعج بالسائحين، وقد جلس كثير منهم فوق حقائب السفر يحتسون القهوة ويأكلون الكعك. لقد كان المشهد أشبه ما يكون بردهة مطار منه ببهو دير يسوعي يرجع عهده إلى القرن السادس عشر.

KLEMENTINUM
NOW OPEN AT 7 A.M.!

"ما هذا الذي أراه بحق السماء؟"!

تقدمت منه موظفة بشوشة من موظفات المتحف وعلى ثغرها ابتسامة.

"هل لك في قهوة؟ "ومدت يدها إليه بصينية تحمل أقداح القهوة.

قبِل لانغدون الشراب الساخن في حيرة شاكرًا، ولف أصابعه المتجمدة حول الكوب الورقي الدافئ" .أشكرك، ولكن... ما الذي يجري هنا؟"

أومأت المرأة برأسها نحو لافتة معلقة على الحائط.

"إنها مبادرة تسويقية جديدة"، قالت بابتهاج" .معظم الرحلات الجوية القادمة من الولايات المتحدة تصل في السادسة صباحًا، فيكون لدى السائحين ساعات طوال يقضونها قبل أن يتمكنوا من تسجيل الدخول في فنادقهم. نحن نوفر لهم حافلة مجانية من المطار، وخدمة إيداع الأمتعة، والقهوة والكعك... وها هي النتيجة "!وأشارت بيدها إلى البهو الممتلئ . "نبذل كل ما في وسعنا لنجتذبكم أنتم الأمريكيين إلى المتاحف، أليس كذلك؟ "!ثم انصرفت.

لربما كان تعليقها ليمس النفس بوقع أشد وطأة لو لم يكن لانغدون قد سمع بأن واحدة من أكثر مناطق الجذب السياحي شعبية في براغ قد أضحت ميدان رماية تحت الأرض، حيث يمكن للأمريكيين أن يطلقوا النار بصفة قانونية من مجموعة غريبة من الأسلحة الآلية.

ومع ذلك، فقد شعر الآن أن قطعة من اللغز قد استقرت في موضعها. حينما أرسلت كاثرين بريدها الإلكتروني، كان المتحف مفتوحًا! وفوق ذلك، لا بد أنها مرت مباشرة أمام المدخل في طريقها إلى مختبر غيسنر" .هل يعقل أنها ولجت إلى الداخل... وحاولت أن تستدعيني؟ المخطوطة الأربعون"...

وانتعش أمله بفكرة أن كاثرين قد لا تزال في مكان ما داخل هذا المجمع من المباني، فأخذ يمسح الردهة المزدحمة ببصره بحثًا عن شعرها الداكن الكث. لم

يرها، فأسرع إلى شباك التذاكر ليبتاع تذكرة دخول شامل. وبدا أن أمينة الصندوق تتفحصه للحظة، بنظرة تكاد تكون مريبة، لكنها أصدرت له شارة الدخول دون سؤال. ألصقها لانغدون على سترته وانطلق مسرعًا عبر سلسلة من الأروقة المزخرفة نحو وجهته.

المعرض الخاص

كودكس جيجاس

إنجيل الشيطان

وعندما بلغ المدخل العظيم للمكتبة، استوقفه مرشد. وبعد أن تفحص شارة لانغدون، ألصق عليها ملصقًا أحمر.

قال المرشد" :لك مهلة ساعة واحدة يا سيدي. استمتع بوقتك".

كان لانغدون قد نسي أن الدخول إلى مكتبة الباروك مقيد بفترات زمنية محددة كل ساعة، مما يعني أنه لو كانت كاثرين قد أرسلت بريدها الإلكتروني من الداخل... لكان وقتها المخصص قد انقضى منذ أمد بعيد. "أرجوكِ، كوني هنا... في مكان ما".

خطا لانغدون بسرعة عبر المدخل إلى ما وصفه الكاتب خورخي لويس بورخيس ذات يوم بأنه "أبهى مكتبة في أوروبا وأكثرها سحرًا."

وحتى في حالة الكرب التي كان يمر بها لانغدون، فقد وجد القاعة آسرة للعقل تمامًا. كانت حجرة طويلة ضيقة، سقفها لوحة جدارية سماوية تصور فسحة سماوية زرقاء شاحبة تغمرها أشعة الشمس، وقد حُفَّت بملائكة الكروبيم التي بدت وكأنها تحلق فوق الرؤوس بلا وزن. لقد كان خداع البصر (**trompe l'oeil**) يبعث على الاعتقاد بأن ضوء الشمس يتدفق عبر بنية السقف ذاتها.

ودعامةً لتلك اللوحة الجدارية، انتصبت على جدران المكتبة رفوف كتب شاهقة يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدمًا، تضم ما يربو على عشرين ألف طبعة يرجع تاريخها إلى قرون خلت. وكانت رائحة رقّ الجلد التي لا تخطئها حاسة الشم تنبعث من أقدم طبعات المكتبة في الطابق الثاني – تلك ذات الكعوب البيضاء والعلامات الحمراء – والتي لا سبيل للوصول إليها إلا بصعود درج سري يفضي إلى شرفة المكتبة المحيطة بها. أما الأرضية فكانت من الخشب المرصع الذي ينافس في دقته وتعقيده أي أرضية رآها لانغدون قط، بما في ذلك أرضية الصالة الكبرى في متحف اللوفر.

توقف لانغدون بعد بضع خطوات داخل المكان الهادئ، يتفحص الحشد الكبير بحثًا عن أي إشارة تدل على كاثرين .لا شيء. توغل أكثر في القاعة المزخرفة، متحركًا بمحاذاة صف مميز من الكرات الأرضية الأثرية الضخمة

التي امتدت في وسط الأرضية، وصولًا إلى أقصى طرف القاعة. كانت الكرات الأرضية تتخللها لافتات تحمل رمزًا لا يحتاج إلى بيان أو تفسير.



"ومن ذا الذي يشعل عود ثقاب في قاعة تكتظ بالكتب العتيقة؟"!

وبينما كان يتعمق في المكتبة، ظهرت أمامه بوضوح كامل التحفة الرئيسية، وقد تحلق حولها الزوار.

إنجيل الشيطان.

كان الكتاب الضخم محفوظًا داخل خزانة عرض زجاجية مكعبة الشكل من مادة البلكسيغلاس، كانت من الضخامة بحيث تبدو أشبه بصالة تدخين في مطار منها بحافظة واقية. وقد أحاط بها حشد من السائحين يتهامسون بهدوء، يلتقطون الصور ويتأملون المخطوطة الغامضة، التي كانت مفتوحة على الرسم الشهير لشيطان يرتدي مئزرًا من فراء القاقم. وحين وصل لانغدون، كاد لا يلقي نظرة على المخطوطة، بل انصرف يمسح وجوه الحاضرين في الحشد.

"أأنتِ هنا يا كاثرين؟"

كان العديد من الزوار لا يزالون يرتدون ملابسهم الثقيلة، وبعضهم ينفخ في يديه تدفئة لهما. فإدارة الكليمنتينوم تحافظ على برودة هذه المكتبة بشكل استثنائي – برودة يصفها معظم الناس بأنها غير مريحة – وهو ما كانت كاثرين قد علقت عليه بالأمس. وكان لانغدون قد أوضح أن أمناء المتاحف غالبًا ما يعمدون إلى تبريد قاعات العرض الأكثر ازدحامًا لدفع السائحين إلى التحرك بسرعة، مما يتيح استيعاب أعداد أكبر منهم – وهو تكتيك لإدارة الحشود، كما أشار، تبنته لاحقًا مطاعم الوجبات السريعة.

دخول فخروج.

"كاثرين؟ "نادى لانغدون بصوت خفيض في الحشد الهادئ.

التفت إليه عدة زوار ونظروا إليه بفضول. ونظر إليه اثنان منهم نظرة ثانية، كما لو أنهما عرفاه. وفيما عدا ذلك... لم يأتِ أي رد.

"لعلها أتت ومضت بالفعل؟"

مسح الحشد بنظره ثم رفع بصره إلى الشرفة العلوية المقفرة.

"كاثرين سولومون؟ "نادى مرة أخرى، بصوت أعلى هذه المرة.

تقدم منه مرشد مسرعًا وأسكته برفع إصبعه إلى شفتيه. فهذه مكتبة في نهاية المطاف. أومأ لانغدون برأسه متفهمًا وواصل بهدوء مسح القاعة المزخرفة

بنظره في كل اتجاه. وبعد دورتين كاملتين، لم يجد أي أثر لكاثرين في أي مكان.

واعتصره الأسى وهو يفكر في مدى اتساع المدينة وقلة ما بيده من دليل.

"إن لم تكوني هنا، فأين أنتِ إذن؟"

"لا أثر لصفارات الإنذار"، هكذا فكر بافل وهو يتوقف بسيارته محدثًا صريرًا خارج الكليمنتينوم .كان إنذاره الأزرق بشأن لانغدون قد أسفر بالفعل عن أربع بلاغات منفصلة.

أفاد محصل تذاكر في الترام بالقرب من المسرح الوطني أن لانغدون كان يتجه شمالًا بمحاذاة النهر.

ولمحه سائق سيارة أجرة بالقرب من ساحة العذراء مريم وهو يدخل الكليمنتينوم.

"مخبأ ذكي"، فكر بافل، واضعًا في اعتباره مدى معرفة المؤرخ الجيدة على الأرجح بهذا المجمع من المباني. "ولكن هيهات. فعيوني في كل مكان".

أسرع بافل إلى داخل المتحف وأرى صورة لانغدون للمرأة عند شباك التذاكر، التي لم تخبره فقط بأن هذا الرجل قد اشترى تذكرة... بل وأخبرته أيضًا باسم القاعة المحددة التي يكاد يكون من المؤكد أنه يقف فيها الآن.

"لقد وقع في قبضتي"، فكر بافل، وتأكد خلسة من أن سلاحه محشو بالذخيرة، واندفع إلى داخل المتحف.

صاح في وجه مرشد في الردهة الرئيسية" :باروكني كنيوفنا! مكتبة الباروك! أين هي؟"!

الفصل الثاني والستون

ما كان الحارس الليلي مارك دول ليجهل وجهًا من وجوه أولئك الذين خُوّلوا دخول برجِ راندوم هاوس ببطاقاتهم الممغنطة، إلا أن هذين الرجلين اللذين استخدما بطاقة لولوجِ البهو الشاهق كانا غريبين عنه كل الغرابة.

لم يكن وصولهما في جوف الليل، وفي أعقاب دخول فوكمان المثير، بالأمر الذي يمر دون ريبة، ولكن ما إن وقعت عينا دول على عتادهما العسكري الأسود حتى سرت في أوصاله رعشة من الفزع.

هتف دول وهو يقفز من مكانه" :أيها السادة! فيم عساي أن أخدمكم؟"، وكان لسان حاله يسأل" :وكيف بحق السماء تسنى لكم أن تفتحوا بابي؟"!

أجاب الرجل مفتول العضلات بصوت حازم، وهو يتقدم بخطى حثيثة نحو منضدة الحراسة، حاملًا على ظهره حقيبة ضخمة" :لديكم حالة طارئة. لقد أطلق جهاز tuned mass damperفي المبنى إنذارًا لدى البلدية، فثمة خطر يتهدده بالانهيار الهيكلي".

احتاج دول إلى هنيهة ليستوعب ما تفوه به الرجل. وبالفعل، فإن معظم ناطحات السحاب في مانهاتن قد شُيدت وهي مزودة بجهاز tuned mass damper، وهو جهاز مثقل يُركّب في طابق علوي ليعمل بمثابة ثقل موازن يمنع المبنى من التأرجح بفعل الرياح العاتية أو الزلازل. وفي حالة

برج راندوم هاوس، كان هذا الجهاز عبارة عن خزان ماء يزن ثمانمائة طن، معلق في الطابق الخمسين.

خلل هيكلي؟ ولِمَ لم يدق ناقوس الخطر هنا على المنضدة؟

قال الرجل وهو يصل إلى المنضدة بنبرة تحث على العجلة" :عليك بإخلاء المبنى، وعليّ بالصعود إلى الأعلى".

"ولكني لا أفهم"...

وفي ومضة عين، هوت قبضة على صدر دول فانتزعت الهواء من رئتيه. سقط الحارس على ظهره سقوطًا عنيفًا، وغاب عن الأنظار خلف المنضدة وهو يلهث طالبًا الهواء. وفي لحظة تالية، جثم الرجل الضخم فوقه، وضغط فوهة مسدسه على صدره.

همس الرجل وهو ينتشل بطاقة الدخول الرئيسة من جيب بزة دول الرسمية ويلقي بها فوق المنضدة إلى رفيقه" :إياك أن تنبس ببنت شفة".

تمدد دول على ظهره صامتًا لا حراك به، وعيناه شاخصتان إلى سقف البهو. كان يسمع وقع أقدام تبتعد مسرعة، ثم تناهى إليه صوت صفير متتابع ألفته أذناه؛ لقد استخدم الدخيل الآخر البطاقة للتو ليعبر البوابة الأمنية ويصل إلى المصعد.

همس الرجل الذي فوقه" :الزم مكانك هادئًا، ولن يمسك سوء ".ثم أوثق يدي دول برباط بلاستيكي، والتقط قبعة الحارس واعتمرها، وجلس بكل هدوء في مقعد الحراسة، والمسدس في حجره.

شعر دول بألم يعتصر صدره وهو يحاول أن يسترد أنفاسه. أيًا كان هذان الدخيلان، فقد استغرقا أقل من عشر ثوان للسيطرة على موقعه وسرقة بطاقة تتيح لهما التجول في المبنى بأسره.

في الطابق الرابع، ترجل جوناس فوكمان من المصعد واتجه نحو الباب الفولاذي الذي يحمل لافتة: "المركز التقني الآمن لدار بنغوين راندوم هاوس ."كان الدخول يتطلب بطاقة خاصة، فطرق الباب بقوة مرارًا حتى فُتح أخيرًا وظهر وجه مألوف.

بدا أليكس كونان وكأنه قد خرج لتوه من حرب ضروس. قال التقني : "الحمد لله، لقد عدت".

سأل فوكمان بلهفة، وما زال صدى كلمات التقني في اتصالهما المحموم يتردد في أذنيه :*أولئك القراصنة الذين محوا مخطوطتك... أخشى أنهم قد أودوا بحياة أحد مؤلفيك*" :هل من أخبار عن لانغدون وكاثرين؟"

"سأشرح لك كل شيء"، أجاب أليكس، "لكنها أخبار سارة. لم يُقتل أحد. لقد كنت مخطئًا".

غمرت فوكمان موجة عارمة من الارتياح، فانحنى واضعًا يديه على ركبتيه وهو يلتقط أنفاسه العميقة مرارًا وتكرارًا. الحمد لله.

قال أليكس وهو يدخل فوكمان إلى مركز الأمن" :لانغدون هو من ظننته... قد مات. لكني تحدثت للتو مع مدير فندق فور سيزونز. الوضع معقد، لكنه أكد لي أن روبرت لانغدون حي يرزق... وإن كان يبدو أنه يواجه بعض المتاعب مع السلطات المحلية".

"أي نوعِ من المتاعب؟" تساءل فوكمان في نفسه، وإن كان فضوله قد توارى خلف شعوره العميق بالراحة لمعرفته أن لانغدون بخير.

وبعد أن استمد قوة من هذه الأنباء السارة، تبع أليكس عبر ممرات متداخلة من خزائن الحواسيب الممتدة من الأرض إلى السقف، والتي كان يصدر منها أزيز عالٍ. خرجا إلى مساحة مفتوحة تضم محطة عمل واسعة تحوي شاشات حاسوب متعددة، تنتشر في شكل نصف دائرة لطيف. وأمام الشاشات كانت هناك عدة مقاعد مبطنة ذات مساند ظهر عالية. شعر فوكمان وكأنه قد ولج إلى غرفة عمليات مصغرة.

على الجدار فوق محطة العمل، عُلقت لوحة كبيرة مؤطرة تصور سفينة ركاب عملاقة في محنة... تغوص في بحر متلاطم من الآحاد والأصفار. وكُتب تحتها: "الشفاه الطليقة تُغرق السُفُن". كان من المفترض أن تكون هذه

المحاكاة الساخرة للشعار الشهير في الحرب العالمية الثانية تذكرة بأهمية تأمين البيانات من جذورها.

"فات الأوان على ذلك" فكر فوكمان" .لقد ضاعت المخطوطة".

سحب أليكس مقعدًا دوارًا ثانيًا بجانب مقعده، وجلس الرجلان متواجهين. قال التقني وقد علت وجهه سحابة من التجهم" :حسنًا... لقد حدث الكثير. دعني أبدأ من البداية".

كان فوكمان يعلم أن البدء من البداية هو أسوأ السبل لسرد قصة، لكنه كظم ما في نفسه.

استهل أليكس حديثه" :لم أُرِد أن أشاركك كل هذا عبر الهاتف، ولكن بعد اختفائك، دبّ في قلبي الخوف وشعرت أنه يجب عليّ تحذير كاثرين سولومون فورًا بأن مخطوطتها تتعرض لهجوم، وأنها هي نفسها قد تكون في خطر".

"حسنًا".

"بحثت عن ملفها الوظيفي، واتصلت بهاتفها المحمول، فلم أتلق ردًا. وفعلت الشيء نفسه مع روبرت لانغدون. عندما لم أتمكن من الوصول إلى أي

منكم، أصابني الهلع وقررت تتبع مواقعكم بدقة عن طريق اختراق هواتفكم".

"انتظر... هل يمكنك فعل ذلك؟"

"ليس في حالتك، "قال التقني وهو يدور نحو حاسوبه ويبدأ في الطباعة، "ولا في حالة الدكتورة سولومون أيضًا، لكن السيد لانغدون كان هدفًا سهلًا. لاحظت أن لديه عنوان بريد إلكتروني على**iCloud** ، وأنه اختار كلمة المرور ذاتها لبيانات اعتماد متعددة على خادم دار النشر. يجب أن أعترف، أنا مندهش من أن رجلًا بهذه الذكاء يستخدم كلمة مرور واحدة، لا سيما أنها ضعيفة مثل".**'Dolphin123'**

"كلمة مرور لانغدون هي**Dolphin123** ؟" أطرق فوكمان رأسه. "ما جدوى بروتوكولات الأمن إذن؟" كان لقب لانغدون في هارفارد "الدلفين" لأنه كان لا يزال قادرًا على التفوق في السباحة على نصف فريق كرة الماء بالجامعة. ولكن لسوء الحظ، كان لانغدون يعلن عن نفسه عدوًا للتقنية—— كلاسيكيًا جعلته خبرته في الماضي السحيق في علاقة مترددة مع المستقبل. لا يزال يحتفظ بدليل هاتف دوار ويرتدي ساعة ميكي ماوس، يا إلهي.

قال أليكس" :كنت في أمس الحاجة لتحديد مكان أحدكم، لذا استخدمت كلمة مرور لانغدون لاختراق تطبيق FindMy وتحديد موقعه ".ضغط التقني على بضعة مفاتيح أخرى، فظهرت على الشاشة خريطة لمدينة براغ. وتابع قائلًا" :وفقًا لـiCloud ، كان هاتف لانغدون غير متصل بالإنترنت تمامًا، وهو أمر غير معتاد البتة. وإذا تحققنا من آخر موقع معروف له... نحصل على هذه الصورة المقلقة ".قام كونان بتحديث الشاشة وتكبير الصورة" .هذا يقول إن آخر موقع معروف للسيد لانغدون كان هذا الصباح في الساعة 7:02 بالتوقيت المحلي، وكان بالضبط... هنا ".وأشار إلى نقطة زرقاء صغيرة على الخريطة" .ثم لا شيء".

أمعن فوكمان النظر في النقطة على الخريطة" .عفوًا؟ هل تقول إنه كان في منتصف نهر فلتافا؟"

"أجل! بالنظر إلى أننا تعرضنا لهجوم من قراصنة على مستوى عسكري، " قال أليكس، "وأنك قد اختفيت، ولانغدون لا يجيب"...

"ظننت أنه غرق؟ لانغدون سباح من الطراز العالمي! ربما ألقى بهاتفه فحسب".

"أردت أن أصدق ذلك، ولكن لو أن لانغدون ألقى بالهاتف، لكان تتبع موقع الهاتف قد أظهر خطًا مستقيمًا. لكن مساره يتحرك بل ويتراجع على

نفسه قبل أن يختفي! بدا الأمر وكأن لانغدون قد أُخذ إلى النهر، وأُلقي به في الماء، ثم حاول السباحة عائدًا إلى الشاطئ، قبل أن يغرق ويأخذ الهاتف معه إلى القاع".

أدرك فوكمان أن السيناريو كان مثيرًا للقلق، لكن قفزة أليكس الواهنة من "آخر موقع معروف" لهاتف محمول إلى مقتل لانغدون كانت تفتقر إلى بضع حلقات منطقية. ثم مرة أخرى، ربما لم يكن الأمر أقل منطقية من المصادفة السريالية لوجود هاتفي لانغدون وفوكمان في قاع نهرين على جانبين مختلفين من الكوكب.

قال أليكس" :أعلم أنك تظن أني بالغت في ردة فعلي، ولكن بالنظر إلى من اخترقنا... كان لدي ما يبرر قلقي. وما زلت قلقًا".

سأل فوكمان وهو ينحني إلى الأمام" :إذًا، من الذي اخترقنا؟"

"لهذا أردت التحدث إلى كاثرين—لأعرف ما إذا كان بإمكانها التفكير في أي شخص قد يستهدفها حتى أتمكن من بناء خوارزمية خاصة والبحث عن بصمات رقمية محددة".

"يا إلهي، هذا الفتى يحتاج إلى من يهذب كلامه. قل لي من فعل ذلك بحق الجحيم؟"!

"ولكن قبل أن أتمكن من بناء الخوارزمية، أعاد فحص FTK الخاص بي نتيجة. تطابق أحد مؤشرات الاختراق IoCsهذه مع قاعدة بيانات MISPالمرتبطة بـ"...

"أليكس، ليس لدي أي فكرة"...

"كل ما تحتاج إلى معرفته هو أن الأشخاص الذين اخترقوا دار النشر كانوا في عجلة من أمرهم! لقد وفروا الوقت باستخدام جزء من شفرتهم المعاد تدويرها—سلاسل نصية مكررة يسميها القراصنة !copy pastaإنها توفر الوقت، لكنها تخاطر أيضًا بكشف"...

فجأة، قفز التقني على قدميه واستدار، محدقًا باهتمام عبر صفوف الأجهزة المثبتة في الخزائن في اتجاه المدخل.

صاح" :أليسون؟"!

كان فوكمان متوترًا بالفعل" .من هي أليسون؟"

"رئيستي في العمل. إما أنها أتت مبكرًا أو أنني أتوهم أشياء ".وقف أليكس وتفقد ساعته" .هل سمعت صوت صفير فتح الباب؟"

هز فوكمان رأسه. "لم أعد أسمع شيئًا منذ الخامس من أكتوبر عام 1987. الصف الرابع، حفل بينك فلويد في ماديسون سكوير غاردن .كان غيلمور فيه متألقًا إلى حد الإعجاز".

قال أليكس وهو يختفي في متاهة الحواسيب" :انتظر لحظة".

"لا يصدق"، فكر فوكمان وهو ينتظر بفارغ الصبر.

بعد عشر ثوان، عاد التقني وهز كتفيه" .آسف، لقد كنت مصابًا بجنون الارتياب الليلة ".بدا مضطربًا وهو يجلس مرة أخرى" .الأشخاص الذين نواجههم ليسوا من النوع الذي يعبث معه المرء ".دحرج أليكس كرسيه إلى محطة حاسوب قريبة وأشار إلى فوكمان بالانضمام إليه، ففعل.

"دعني أريك، "قال الشاب وهو يفتح متصفح الإنترنت" .لن تصدق"...

فجأة، مد فوكمان يده وأمسك بذراع التقني، مشيرًا إليه بالتوقف عن الكلام. "لا كلمة أخرى"!

"ماذا بحق الجحيم؟ "!قال أليكس وهو يتراجع.

قال فوكمان بصوت عالٍ ولكن بهدوء" :آسف، أريد فقط أن أتحقق من شيء سريع عبر الإنترنت".

رفع فوكمان إصبعه إلى شفتيه، محدقًا باهتمام في التقني الشاب، وحثه على الصمت. عندما أومأ أليكس برأسه متفهمًا، تولى فوكمان لوحة مفاتيح الحاسوب. كان المتصفح قد فُتح على صفحة بحث عادية، وسرعان ما كتب فوكمان عبارة البحث الخاصة به بأحرف كبيرة:

هل نحن مراقبان؟

التفت التقني نحو فوكمان وعيناه تبرقان من الخوف.

"نعم، أنا خائف أيضًا"، فكر فوكمان، بعد أن أدرك للتو أن صفير الدخول الذي سمعه أليكس لم يكن من نسج خياله المصاب بالذعر؛ لقد دخل أحدهم بالفعل غرفة التحكم هذه ويختبئ الآن في مكان ما بين خزائن الأجهزة خلفهما.

"والآن هم يستمعون إلينا". قبل لحظة، كان فوكمان قد لاحظ بقعة ضوء زرقاء خافتة بالكاد تدركها العين تنعكس على زجاج اللوحة المؤطرة القريبة. "يبدو أن تحرير روايات الجاسوسية قد آتى أكله أخيرًا". كان البعض ليفترض أن النقطة هي ضوء ليزر من مسدس، لكن هذه النقطة كانت زرقاء وليست حمراء، وكانت موجهة إلى لوحٍ زجاجي.

قال فوكمان وهو يمحو بهدوء رسالته الأولى ويكتب أخرى" :هذا الموقع مثير للاهتمام".

أجل. لا تظهر أي ردة فعل. من اخترقنا؟

كان وجه أليكس شاحبًا بينما دفع فوكمان لوحة المفاتيح إليه.

أخذ التقني نفسًا عميقًا، ونقر بطاعة على رده.

درس فوكمان الكلمة الغريبة ذات الواصلة التي كتبها أليكس .لم تكن مألوفة له. هز كتفيه في حيرة وأشار بشفتيه بقلق: "من... يكون... هذا؟"

بدأ أليكس يكتب مرة أخرى—هذه المرة، اختصارًا قصيرًا.

حدق فوكمان فيه بصدمة صامتة. "لا."

في أي صباح آخر، لم يكن فوكمان ليصدق أبدًا ما ظهر للتو على الشاشة، ولكن بالنظر إلى كل ما حدث هذه الليلة، فإن المعلومة قد أجابت بالتأكيد على الكثير من الأسئلة.

اللعنة.

كان السؤال الآن هو ما الذي سيفعله فوكمان حيال مأزقه الحالي.

والجواب، كما خمن، يكمن في مهاراته في الحوار... وكذلك في فهم الفرق الدقيق بين كلمتين متشابهتين جدًا.

المعلومات المغلوطة والتضليل المتعمد.

الفصل الثالث والستون

في رحاب مكتبة الباروك، أخذ لانغدون يجيل بصره المرة تلو الأخرى في وجوه الزائرين المحتشدين، حتى أيقن في نهاية المطاف أنه قد وصل إلى هذا المكان بعد فوات الأوان.

لقد رحلت.

لقد انقضت ساعتان منذ أن بعثت إليه كاثرين بتلك الرسالة الإلكترونية المشفرة التي تدعوه فيها إلى المجيء إلى هذا الصرح؛ فحتى لو أنها كانت هاهنا قبل حين، لكانت تذكرتها قد انقضت صلاحيتها، ولطلب منها المرشدون الانصراف.

وبينما كان لانغدون يرسل بصره إلى مخطوطة **Codex Gigas**، المبسوطة داخل مكعبها الزجاجي الواقي، خُيّل إليه أن صورة "الشيطان ذي المئزر" ترمقه بنظرة ساخرة. فبالأمس القريب فحسب، كان هو وكاثرين يقفان في هذا الموضع عينه، يدًا بيد، يتجاذبان في سعادة أطراف الحديث عن أسرار هذا الكتاب المذهل.

لقد استهوت كاثرين أسطورة "إنجيل الشيطان"، بيد أن عمارة المكتبة الفخمة ذاتها هي التي أسرت خيالها أيما إسر. وإذ أخذت بجمالها الأبصار،

سألته عن الأرضية الخشبية المرصعة، والرسوم الجدارية، وما أسمته بـ "الشرفة الزائفة."

"ماذا تقصدين بزائفة؟ "سأل لانغدون وقد اعتراه العجب.

"أليست للزينة فحسب، أليس كذلك؟ "وأشارت بيدها إلى الشرفة التي تحيط بالقاعة بأسرها" .انظر... لا سبيل للوصول إليها، فلا سلالم هناك ولا أبواب تفضي إليها من أعلى".

لم يملك لانغدون إلا أن يضحك. وخاطب نفسه: ما أحرى عالمة بأن تلحظ مثل هذا التناقض! فمعظم السائحين الذين يتأملون بإعجاب ذلك الممشى المعلق المحيط بالقاعة لا يلتفتون أبدًا إلى ذلك اللغز الجلي: لا توجد وسيلة ظاهرة للوصول إليه.

"اتبعيني، "همس لانغدون، وهو يومئ برأسه خلسة إلى يمينه. سار بها إلى زاوية المكتبة، ثم، بعد أن تثبّت من أن أنظار سائر الرواد مصوبة نحو الكتاب المقدس، أمسك برفق بقسم من خزانة الكتب وجذبه نحوه. فانفتح القسم على مصراعيه إلى الخارج في صمت، كاشفًا عن تجويف مظلم يصعد فيه درج حلزوني إلى فتحة في أرضية الشرفة.

"وبالطبع كنت تعلم بأمر هذا، "قالت وهي تدير عينيها في ملل.

بيد أن ذكريات الأمس الدافئة سرعان ما تبددت، إذ مزق الصمت فجأة صوت جهوري أخذ يصرخ عند باب المكتبة.

"Dámy a pánové! Opusťte výstavu! Požární poplach!"

تبادل العديد من الزوار التشيكيين نظرات مفزوعة وشرعوا يتجهون على الفور نحو المخرج. ونظر إليهم نفر من السائحين الأجانب ثم تبعوهم.

"إنذار حريق "!صاح الصوت ذاته" .توجهوا إلى المخرج! حالًا"!

"حريق؟" لم يشم لانغدون شيئًا. "أيُعقل هذا؟"

ألقى بنظره نحو الحشد المتدافع من السياح الذين يتزاحمون الآن عبر مخرج المكتبة الأوحد. وخلف ذلك الحشد، في الردهة، كان رجل مفتول العضلات يرتدي زي ÚZSI الأزرق يشرف على إخلاء المكتبة...

يتفحص بتمعن كل شخص يخرج، بل ويوقف أحدهم أو الآخر ليمعن النظر في وجوههم عن كثب.

عرفه لانغدون على الفور. إنه الملازم بافل.

لم يكن لديه أدنى فكرة كيف تمكن الرجل من تحديد موقعه بهذه السرعة – أو بهذه الدقة – ولكن ها هو ذا، يفتش في وجوه الحشد.

"إنه إنذار زائف،" استشعر لانغدون" .كي يتمكن من الإيقاع بي".

وبالنظر إلى أن بافل كان قد أطلق سلاحه بالفعل على لانغدون في متاهة المرايا، فلم يكن هناك ما يضمن أنه لن يطلق عليه النار بمجرد رؤيته بعد خروج آخر شخص من المكتبة.

وأخذ يجيل بصره في القاعة بحثًا عن أي ملاذ يختبئ فيه، فلم ير إلا صف الكرات الأرضية وخزانة العرض الشفافة للمخطوطة. وكلاهما لا يجدي نفعًا. وفي يأس، وجه بصره نحو الشرفة العلوية ثم إلى خزانة الكتب المفصلية في زاوية القاعة.

حتى لو صعد لانغدون إلى الشرفة، فلا مخرج هناك في الأعلى. "إن خزانة الكتب طريق مسدود." ولكن الاختباء على الدرج الخفي قد يكسبه بضع دقائق إضافية. لا شك أن أمن المتحف سيعثر عليه في نهاية المطاف، ولكن أي شيء كان أفضل من أن ينفرد بضابط من ÚZSI مضطرب ومتعطش لإطلاق النار.

وقبل أن تسنح الفرصة لبافل لكي يراه، انسل لانغدون مبتعدًا عن جموع الضيوف المغادرين وعاد أدراجه نحو خزانة الكتب. وعندما وصل، أمسك بالباب وسحبه نحوه.

لم يتزحزح الباب قيد أنملة.

سحبه مرة أخرى في حيرة.

"هل أغلقوه؟"

إن تركيب قفل على خزانة الكتب هذه أمر لا معنى له على الإطلاق، وفضلًا عن ذلك، كان الباب مفتوحًا بالأمس فحسب عندما كان هو وكاثـ...

ثم انبثقت في ذهنه فكرة لم تكن في الحسبان.

فكرة لا سبيل إلى تفسيرها... ولكن...

وقد أذهلته تلك الاحتمالية، أدنى فمه من الحاجز الخشبي وهمس :

"كاثرين؟"

سمع لانغدون خشخشة في الداخل، كما لو أن شخصًا ما كان يفك المزلاج الذي يبقي الباب مغلقًا. وبعد لحظة، انفتحت خزانة الكتب على مصراعيها.

وجد لانغدون نفسه يحدق في عيني كاثرين سولومون الدامعتين.

ودون تردد، ارتمى بين ذراعيها، تاركًا خزانة الكتب تنغلق خلفهما. وبينما كانا يتعانقان في ظلمة التجويف الصغير، كان لانغدون يسمع نحيبها الخافت.

"الحمد لله، "تمكنت من القول" .لقد ظننتك قُتلت".

"ها أنا ذا بجانبك، "همس في أذنها.

الفصل الرابع والستون

في ظلمة المشكاة، ضمت كاثرين جسدها إلى جسد لانغدون، وتشبثت به في قوة، وكلاهما صامت لم ينبس ببنت شفة. ومهما كان الهرج الذي يمور خارج هذا الحيز الضيق، فقد أمسيا الآن وحيدين في عالمهما، ولو لهذه اللحظة العابرة، آمنين معًا.

"لقد ظننت أني لن أراه بعد اليوم أبدًا،" هكذا حدثت كاثرين نفسها.

خُيّل إليها أن دهرًا قد انقضى عليها وهي قابعة في هذا المختبأ، يزلزل الخوف كيانها، ويفطر قلبها الحزن لظنها أنها ربما فقدت الرجل الذي أخذ هواه يتسلل إلى فؤادها. ولو أنها فُجعت بفقده لكان ذلك أقسى ما يمكن أن تجور به الأقدار؛ فلطالما شعرت كاثرين على مر السنين بانجذاب قوي إلى سحر لانغدون الذي يفيض منه دون تكلف، ولكنها لسبب ما كانت تأبى دائمًا أن تسمح لهذا الشعور بأن يرقى إلى منزلة الهوى. لعلها كانت خشية أن تفقده صديقًا، ولكنها مع ذلك، كلما تقاطعت سبلهما، كانت تجد نفسها تتساءل في سرها عما إذا كان سيأتي يوم، بعد عقود من الصداقة، تحين فيه الساعة الموعودة.

والآن... آن أوانها أخيرًا.

غلبتها مشاعرها، فزادت كاثرين من إحكام ذراعيها حول لانغدون، مستمتعة بتناغم عناقهما الذي لا تشوبه شائبة، وبدفء جسده.

همس لانغدون" :أشعر ببرودة تسري فيك. هل أنتِ بخير؟ أين معطفك؟"

قالت" :استخدمته لأوصد الباب، "فقد ربطت أحد كُميه بدرابزين الدرج الحلزوني، والآخر بمقبض الباب، حتى لا يتمكن أحد من فتح خزانة الكتب" .كانت هذه المشكاة المكان الوحيد الذي اهتديت إليه لأختبئ".

سألها بصوت تملؤه الحيرة التامة" :ولكن لمَ تختبئين؟"!

شرحت كاثرين كيف تلقت رسالة صوتية محمومة هذا الصباح من فني أنظمة في دار النشر يدعى أليكس .اتصلت به، فحذرها في جزعٍ من أن شخصًا ما قد اخترق خادم دار النشر... ومحا كل أثر لمخطوطتها.

صاح لانغدون مبهوتًا" :ماذا؟! مخطوطتك ضاعت؟"

قالت" :هكذا يبدو. وكان الفني مرعوبًا. لقد أخبرني "...صمتت كاثرين وقد غص صوتها بالانفعال" .روبرت... لقد قال إنه ظنك قد غرقت".

ابتعد لانغدون عنها، محاولًا أن يتبين وجهها في العتمة" .أخبركِ أني قد متُّ؟"!

أجابت كاثرين بصوت واهن يغالبه التأثر" :لقد خشي ذلك، نعم. قال إنه تتبع هاتفك إلى وسط نهر فلتافا... ثم انقطعت الإشارة. كنت مضطربة أشد الاضطراب فلم أقوَ على طرح الأسئلة، وأمرني بأن أتخلص من هاتفي فورًا، وأغادر الشارع، وأختبئ في مكان آمن حتى تتكشف له معلومات جديدة. كانت المشكلة أنه لم يستطع الوصول إلينا في أي مكان، وبدا أن من محا مخطوطتي يتعقبنا نحن الثلاثة! وأخبرني أيضًا أن جوناس قد اختفى تمامًا"!

كاد عقل لانغدون لا يستوعب ما يسمع" .جوناس مفقود؟ ولكن لمَ قد يستهدف أحدهم مخطوطتك؟ أو أيًا منا؟"!

قالت وهي تجذبه إليها أكثر، وقد انسدل شعرها الفواح على خده" :لا علم لي. كل ما في الأمر أني مطمئنة لسلامتك".

همس لانغدون" :كاثرين، لا أدري ما الذي يجري هنا... ولكني آسف أشد الأسف لما كان عليك أن تمري به ".كان يعلم أنه بحاجة إلى أن يشاركها تفاصيل صباحه العاصف هو الآخر، لكنه في تلك اللحظة كان لا يزال يحاول أن يدبر أمره" .وهل أنتِ متيقنة من أن مخطوطتك قد... ضاعت؟"

قالت" :وفقًا لأليكس، نعم. لقد مُحيت من جميع الخوادم. الخبر السار الوحيد هو أني هذا الصباح، وفي طريقي للخروج من الفندق، لاحظت أن

مكتب رجال الأعمال كان خاليًا، فقررت أن أغتنم فرصة خلو المكان لأطبع نسخة ورقية من المخطوطة لتقرأها".

خلال الأيام القليلة الماضية، كانت كاثرين تقول إنها على وشك أن تعطيه نسخته للقراءة، لكن أعراف النشر كانت تقتضي أن يتسلم محررها المخطوطة أولًا... وهو ما قد تم له الآن.

"طبعت نسختك، ولكن ما إن هممت بالصعود إلى الطابق العلوي لأودعها في خزنة جناحنا، حتى دوت صفارات إنذار الحريق في الفندق، فاضطررت إلى إخلاء المبنى"!

لدهشته، أدرك لانغدون أن كاثرين كانت على مقربة منه في مركز رجال الأعمال عندما انطلق هو عدوًا عبر البهو وضغط على زر الإنذار. "يا إلهي، لقد فاتتني رؤيتها بشعرة".

سأل لانغدون، وهو لا يرى شيئًا في الظلام" :النسخة الورقية التي طبعتها، هل تمكنت من وضعها في مكان آمن؟"

قالت" :إنها معي هنا في حقيبتي! عندما أخبرت أليكس أني أحملها، قال إنها قد تكون النسخة الوحيدة المتبقية، وحثني على أخذها إلى مكان آمن حتى نتبين حقيقة ما يجري. كنت على بعد خطوات من هنا في الشارع، فأتيت إلى هذا المكان".

ضمها لانغدون إليه بقوة أكبر.

"كنت على ثقة بأنك حي يا روبرت——كنت أشعر بذلك، مهما قال أليكس عن غرقك. أردت أن أتصل بك وأخبرك بالمكان الذي سأنتظرك فيه. المشكلة أنه حذرني من أن شخصًا ما يراقب اتصالاتنا على الأرجح".

قال لانغدون وهو يشعر بأن قطع الأحجية بدأت تتلاقى الآن" :لذا أرسلتِ إليّ بريدًا إلكترونيًا مشفرًا قبل أن تتخلصي من هاتفك".

"أجل Enochian. و Codex XL.كانت تلك أغمض رسالة استطعت ابتكارها، ولكني كنت أعلم أنك ستفهم".

لم يتمالك لانغدون نفسه من الابتسام" .هذا في الواقع ذكاء خارق، يا كاثرين سولومون".

ضحكت وقبلته قبلة رقيقة على خده" .لم يكن الأمر بتلك الصعوبة. سألت نفسي فحسب: ماذا عساك فاعلًا لو كنت مكاني؟"

في الرواق خارج المكتبة الباروكية، راقب الملازم بافل آخر السائحين وهو يغادر.

"أين بحق الجحيم روبرت لانغدون؟"

قبل خمس دقائق، كان بافل قد عرض صورة لانغدون على مرشد المتحف الذي كان يتفقد التذاكر عند مدخل المكتبة. وأكد الرجل أن الأمريكي طويل القامة قد دخل بالفعل هذه المكتبة قبيل وصول بافل بقليل، وأنه، على حد علم المرشد، لم يخرج بعد.

"إذًا أين هو؟"!

صاح بافل" :هل يوجد مخرج آخر؟Jiný východ ؟"!

هز المرشد الخائف رأسه".Žádný tu není" :

خطا بافل عبر المدخل ومسح بنظره القاعة المستطيلة الطويلة. كانت في جوهرها رواقًا واسعًا جدرانه خزائن كتب شاهقة، لا توفر مكانًا للاختباء. وامتد صف من الكرات الأرضية الأثرية أسفل وسط الغرفة نحو خزانة عرض زجاجية ضخمة من نوع ما——ولم يكن أي منهما يوفر ساترًا يُعتد به.

عندها لاحظ بافل الشرفة.

"ما أشد دهائك أيها الأستاذ".

كانت شرفة المكتبة الدائرية مرتفعة بما يكفي ليظل لانغدون بعيدًا عن الأنظار بمجرد أن يتمدد على أرضيتها المرتفعة. نظر بافل حول الغرفة فلم ير سلالم أو أبوابًا أو أي سبيل للوصول إلى الطابق العلوي.

استدعى المرشد وأشار إلى الشرفة. قال بهدوء وهو يطاول بجسده الشاب النحيل" :كيف يصعد المرء إلى هناك؟"

أشار المرشد في عصبية إلى ركن المكتبة على يسار المدخل" .يوجد باب في خزانة الكتب... وخلفه درج حلزوني".

وازن بافل خياراته. ثم أمر قائلًا" :أغلقوا المكتبة! اخرج وأبقِ الأبواب موصدة. إن الرجل المحصور بالداخل شديد الخطر. لا تفتحوا هذه الأبواب لأي سبب من الأسباب——مهما سمعتم! بما في ذلك إطلاق النار. هل هذا واضح؟"!

شحب وجه المرشد وأومأ برأسه، ولم يضيع وقتًا في الاندفاع عائدًا إلى الرواق وإغلاق الأبواب خلفه. تردد صدى الصفقة في الغرفة الخالية، وسمع بافل صوت مزاليج متعددة تنغلق في أماكنها.

والآن وقد أمسى وحيدًا، استدار بافل وواجه القاعة الصامتة.

"لم يبقَ إلا أنا وأنت أيها الأستاذ... في صندوق الموت البديع هذا".

الفصل الخامس والستون

يتربع كنيس "القديم–الجديد "العريق في أحضان حي يوسيفوف، الذي كان فيما مضى غيتو براغ اليهودي المسور الأصيل. وبوصفه أقدم كنيس عامل في أوروبا، فقد ظل شاهدًا صامتًا على تقلبات الدهر وصروفه منذ أواخر القرن الثالث عشر. وعلى الرغم من عوادي الزمن والأحداث الجسام التي عصفت ببراغ، فإن الكنيس قد نجا من كل ذلك لم يمسه سوء، شاهدًا على منعة الإيمان ورسوخ التقاليد.

وتذهب الأسطورة إلى أن ملائكة قد جلبت حجارة هذا المعبد من أورشليم "على شرط" أن تُرد تلك الحجارة إلى أورشليم عند مجيء المسيح المنتظر.
ويعتقد كثير من العلماء أن هذا الشرط – الذي يقابله في العبرية "**al**
– **tnay**"قد التبس على الألسن باللفظ اليديشي "**alt–nay**"، الذي يعني حرفيًا "القديم–الجديد"، ومن هنا جاءت تسمية البناء الغريبة.

"واحة روحانية... في صحراء المادية القاحلة"، هكذا خاطب الغولم نفسه وهو يرسل بصره أمامه إلى واجهة الكنيس الحجرية المهيبة، التي كانت تحفها عن كثب واجهات متاجر هيرميس، ومون بلان، وفالنتينو .لقد زحف العالم الحديث على كل ركن من أركان هذا الغيتو العتيق، فابتلع مساكنه الكئيبة

حتى لم يكد يبق أثر لتلك الأزقة المحفوفة بالمخاطر التي كان يجوبها يومًا ما الغولم الأسطوري الأصيل، الذي خُلق في هذا المكان عينه قبل قرون.

ولقد كان هذا الكنيس، في جوانب عدة، هو المهد الذي وُلد فيه الغولم أيضًا. فبعد وصوله إلى براغ بوقت قصير، كان يسير على غير هدى بجوار هذا الصرح حين سمع مرشدًا سياحيًا يروي أسطورة حامي الغيتو اليهودي العظيم – روح حارسة حلت في جسد وحش من طين. وقد أحس بقصة تبعث في نفسه شعورًا بالألفة والحميمية. وكأنما تجذبه قوة خفية لا قبل له بمقاومتها، ولج الغولم إلى المعبد.

وفي الداخل، كان الهواء يسوده سكون الموت، مشبعًا بطاقة روحانية تكاد تكون صوفية. وخلف المذبح، انتصب تابوت العهد حارسًا، يأوي في جوفه أسفار التوراة العتيقة التي أوحى بها الحوار الأزلي بين ما هو أرضي وما هو سماوي. وشعر الغولم بالسكينة تملأ نفسه في كنف الصمت والضوء الخافت. واتخذ مقعدًا على أحد المقاعد الخشبية التي صقلت أجيال المؤمنين سطحها حتى غدا أملس، وهناك، على ضوء الثريات الخافت الذي يرجع إلى القرون الوسطى، التقط كتيبًا إرشاديًا... وشرع يقرأ.

وجد نفسه مسحورًا بأسطورة الغولم وخالقه، وهو حاخام جليل القدر يدعى يهوذا لو بن بتسلئيل، الذي كان يُبجَّل أيضًا بلقب ماهارال براغ .وفضلًا

عن كونه عالمًا بالتصوف اليهودي والتلمود، فقد كان الحاخام لو رياضيًا وفلكيًا وفيلسوفًا ومتصوفًا كاباليًا، ذا مؤلفات غزيرة، منها نص جليل يُعرف باسم "جور آريه عال هتوراه."

وفي وقت لاحق من تلك الليلة، عكف الغولم في هدوء على قراءة نص الحاخام الذي كان قد ابتاعه من متجر الهدايا المجاور للكنيس. وبينما كان يتجرع الكلمات العتيقة، أصابته الدهشة وهو يجد نفسه في كل صفحة... يجد الحقيقة التي كان يدركها بفطرته!

إن للواقع طبقات مختلفة.

Guf, nefesh, sechel...

إن بمقدور روح منفردة أن تتحد بأخرى لتشكل كيانًا جديدًا.

Yesodot, taarovot, tarkovot.

إن الأرواح تولد مرارًا وتكرارًا.

Gilgul neshamot...

في تلك الليلة المشهودة، وبينما كان يتأمل في دورة الأرواح، صعقه إدراك أنه، شأنه شأن الغولم الأصيل، قد تجلى في هذا العالم بوضوح ودون مقدمات، روح غفل تستيقظ داخل هيئة مادية أحس بغربتها عنه إلى حد الاشمئزاز.

واسترجع تلك اللحظة الأولى داخل المصحة العقلية الرطبة، حينما استثارته قسوة لا توصف، فأدرك الغولم فجأة ذاته وشعر بغايته... منتفضًا من العدم... رأى امرأة لا حول لها ولا قوة تضربها ممرضة ليلية بغير رحمة حتى غابت عن وعيها. فانطلق نحوها وأطاح بالممرضة أرضًا، ثم أطبَق على عنقها يخنُقها بلا هوادة حتى فارقت الحياة.

ثم وقف فوق ضحيته وتذوق طعم انتصاره، وقد استمد قوته من أول عمل يؤديه في خدمة غايته في هذا العالم. أما المرأة التي أنقذها فلم تكن في وعيها لتشهد عمله البطولي ذاك. ولم تشعر به وهو ينقل جسدها المنهك إلى فراشها، حيث ضمد جراحها ثم انسل عائدًا إلى الظلام... وقد بدأ يدرك من هو ولماذا استُدعي إلى الوجود.

أنا حاميها.

ومنذ ذلك الحين، أضحى حارسًا صامتًا بين تلك الجدران السجينة، يراقب من الظلال، ويتأكد من أنها آمنة. ولم يتجلَّ للغولم السبب الذي جعله يشعر بهذه الألفة تجاه الأسطورة اليهودية، والسبب الحقيقي وراء جلبه إلى براغ، إلا في تلك الليلة، وهو يقرأ كلمات الحاخام لو.

أنا الغولم.

وتخيل الوحش الطيني وهو يستيقظ دون سابق إنذار، لا يعلم من أمره شيئًا إلا أنه هاهنا ليحمي.

قصتي هي قصته.

وكالوحش الطيني العتيق، كثيرًا ما شعر الغولم بأنه منبوذ، محكوم عليه بالوحدة. وهو أيضًا كان يصارِع من أجل سلامة عقله. وأحيانًا كان الغولم يتوق إلى من يعترف بتضحيته، ولكن ذلك لم يكن من شأنه. وهكذا واصل التحرك في عالمها خفيًا لا تراه الأعين.

أما اليوم، فقد حمله بتحدٍ مختلفٍ أشد الاختلاف. لقد قتل معلمها وعشيقها – وحشين استغلا ثقتها أسوأ استغلال – ولكن كان من الأهمية بمكان ألا تكتشف ساشا أفعاله التي أتاها من أجلها.

إنها لن تغفر لي أبدًا... ولن تفهم أبدًا.

لهذا السبب، كان الغولم قد قرر ما يجب فعله. لقد عمد إلى حبس ساشا برفق في الظلام، حيث ستكون في نعمة من الجهل بكل ما يجري... وبكل ما هو على وشك أن يفعله.

وبينما كان يقترب من الكنيس، شعر بأنه مثقل، ولكن الثقل الذي كان يحمله لم يكن روحيًا فحسب. فقد كانت جيوب عباءته ممتلئة – مسدس

صاعق من طراز Vipertek، ونصل قابل للسحب، وقضيب معدني للتحكم في الأثير. وظن الغولم أنه سيحتاج إليها جميعًا.

وقبل أن يبلغ المعبد، انعطف الغولم فجأة يسارًا في شارع شيروكا، قاصدًا اليوم لا الكنيس، بل البقعة المجاورة له – ثلاثة فدادين من الأرض يحيط بها سور حجري شاهق.

مكان يُهاب ويُجل في آن معًا، وقد ذاع صيت ما ترقد بين جدرانه في أرجاء العالم... بأنه أكثر بقاع الأرض إيحاشًا.

الفصل السادس والستون

لو كانت الظروف غير الظروف، لربما حاول الملازم بافل أن يتملّى جلال هذه المكتبة العريقة وسكينتها، ولكنه اليوم لم يجد في صدره متسعًا للهدوء. فإن سورة الغضب التي كانت تستعر في داخله لم يعهد لها مثيلًا قط.

قائدي، وعمي... قتيلًا.

صاح ملء شدقيه في الفضاء الخاوي وهو يستل سلاحه ويمسح بنظره الشرفة التي تعلوه" :أيها الأستاذ! أعلم أنك هناك في الأعلى! انهض واظهر"!

لا حركة.

سكون مطبق.

"أظهر نفسك حالًا"!

دار بافل ببطء، ماسحًا بسلاحه محيط الشرفة بأكمله في حركة بطيئة.

لا شيء.

التفت نحو ركن الغرفة حيث أشار المرشد إلى وجود درج خفي، وتحرك في خلسة عبر الأرضية حتى وقع على جزء من خزانة الكتب قد قُصّ منها

باب بحذق لا يكاد يُرى. أمسك بالمقبض النحاسي الصغير وجذبه، لكن الباب لم يتحرك إلا قليلًا ثم توقف.

حاول مرة أخرى. كان الباب موصدًا من الداخل بطريقة ما.

استجمع بافل قواه، وجذب المقبض بكل ما أوتي من عزم، لكن الباب لم يتزحزح إلا نصف بوصة كارهًا، قبل أن ينخلع المقبض النحاسي من رف الكتب الأثري، فهوى بافل على ظهره فوق الأرضية الخشبية الصلبة. وما إن هوى على الأرض حتى سرى في جمجمته، التي كانت تنبض بالألم أصلًا، وجعٌ لاذعٌ كالنار.

وثب الملازم على قدميه وقد استبد به الغيظ، وصوب مسدسه نحو باب خزانة الكتب، وضغط على الزناد. ومع دوي انفجاري، اخترقت رصاصة خزانة الكتب وارتطمت بشيء معدني في الناحية الأخرى مصدرة رنينًا صاخبًا، لربما كان الدرج الحلزوني الذي أخبره المرشد أنه يفضي إلى الطابق الثاني.

لم يسمع بافل صوت جسد يرتطم بالأرض. راودته فكرة أن يفرغ سلاحه بأكمله في خزانة الكتب، لكنه كان أعقل من ذلك.

همس طيف قائده ***Trpělivost*** " :، إن في الصبر سلاحًا".

خفض بافل مسدسه.

إذا كان صوت طلقة نارية لم يدفع المرشدين إلى الهرولة إلى الداخل، فلن يفلح في ذلك شيء. كان الوقت في صالح بافل، وقد اختمرت في ذهنه فكرة.

في الطرف الأقصى من الغرفة، كان هناك سلم أثري يستند إلى إحدى خزائن الكتب. صُمم السلم لجلب الكتب من الرفوف العليا في الطابق الأول، فلم يكن طويلًا بما يكفي ليصل إلى الشرفة.

انتقلت عيناه إلى خزانة العرض الشفافة في نهاية الغرفة. كان المكعب الثقيل المصنوع من مادة Plexiglas يبلغ من الطول قامة بافل نفسه تقريبًا، وبدا أنه مضاد للرصاص—قاعدة مثلى لسلم. فلو تمكن بافل من إيصال السلم إلى الشرفة، لاستطاع أن يتسلقها، ويدور حولها حتى يصل إلى قمة الدرج الحلزوني... ويهجم عليه من أعلى.

"Trpělivost"، حدث نفسه. "الصبر يا سيدي القائد".

داخل المشكاة، جثم كاثرين ولانغدون في رعب، بعد أن سمعا للتو طلقة تخترق الحيز الضيق محدثة صفيرًا، وتصطدم بالدرج المعدني أسفلهما. فانفجرت محدثة شرارة ساطعة ورنينًا يصم الآذان.

قبل دقيقة، وفور سماعهما صوت بافل وصفقة الأبواب الخارجية وهي توصد، سارع لانغدون فأعاد ربط معطف كاثرين الطويل من طراز Canada Gooseحول الدرابزين بأقصى ما أوتي من قوة. ثم صعدا إلى منتصف الدرج الحلزوني، وانتظرا على بسطة بين الطابقين حتى يتمكنا من الفرار بسرعة إما صعودًا أو هبوطًا. لقد أوضح بافل للتو أنه سيطلق النار أولًا ثم يسأل لاحقًا.

ها نحن أولاء محبوسون في هذه المكتبة مع رجل مجنون.

تساءل لانغدون عما إذا كانت إصابة بافل في رأسه قد أفقدته صوابه حقًا، أم أن الملازم قد تلقى تفويضًا رسميًا باستخدام القوة المميتة. تفويضًا ممن؟ بالنظر إلى كل ما علمه لانغدون الآن، بزغت في ذهنه فكرة مقلقة، وهي أن بافل ربما قد كُلّف من قبل شخص ما بتعقب مخطوطة كاثرين وتدميرها.

وأن يدمرنا معها.

شعر لانغدون أن أملهما الوحيد يكمن في تنبيه السفارة أو الشرطة المحلية على الفور. كانت المشكلة أنهما لا يملكان هواتف، ولو استغاثا صائحين، لكان بافل هو الوحيد الذي سيسمعهما.

همس لانغدون في الظلام" :هل أنتِ بخير؟"

أجاب صوت كاثرين" :كلا، على الإطلاق. وأنت؟"

وجد لانغدون يدها وضغط عليها" .لا تتحركي. ابقِ على هذه البسطة. سأصعد لأرى ما إذا كان هناك مخرِج آخر من هنا".

في عتمة دامسة، تحسس لانغدون طريقه صاعدًا بقية الدرج الصغير حتى شعر بالباب الأرضي فوقه. دفعه برفق، فانفتح المربع الخشبي الصغير مفضيًا عن شق ضيق.

انسكب النور من الفتحة، فضاقت عينا لانغدون وهو يرفع اللوح، ويدس رأسه إلى الأعلى شيئًا فشيئًا حتى أصبحت عيناه في مستوى الأرضية. أطل من تحت الباب الأرضي، واستطلع الشرفة بحثًا عن أي مخارِج محتملة——ولو نافذة تفضي إلى السطح. لا شيء. مجرد جدران من الكتب العتيقة ترتفع إلى اللوحة الجدارية السقفية المذهلة التي تقوست فوق رأسه.

فتح لانغدون الباب الأرضي بالكامل ووضعه برفق على أرضية الشرفة. صعد درجة أخرى حتى تمكن من الإشراف على ما تحته من خلال درابزين الشرفة. في الأسفل، عند الطرف الأقصى من المكتبة، كان بافل مرئيًا وقد ولاه ظهره، وألصق وجهه بخزانة عرض "إنجيل الشيطان"... كأنه يتفحص الأثر بتمعن شديد.

لم يبد بافل للانغدون كرجل قد يهتم بمخطوطة قديمة، لا سيما في هذه اللحظة، ولكن لانغدون سمع بعد ذلك صريرًا حادًا ورأى الخزانة تتحرك عدة بوصات. أدرك حينها أن الملازم مفتول العضلات لم يكن يتأمل المخطوطة، بل كان يحاول دفع خزانة عرضها الضخمة عبر الأرضية.

لمَ؟ لا بد أن هذا المكعب يزن ألف رطل!

أحزن لانغدون أن يرى الخدوش العميقة التي تُحفر في الأرضية الخشبية الرائعة، وإن كان قد جزع أشد الجزع حين رأى السلم الأثري ملقى على الأرض بالقرب من خزانة العرض. وفي لحظة، اتضحت نوايا بافل" .إنه صاعد إلى هنا."كان المكعب الشفاف يبدو بالتأكيد متينًا بما يكفي لدعم قاعدة سلم، وكان من الواضح أن بافل قوي بما يكفي لتحريكه. كانت الخزانة تتزحزح بضع بوصات مع كل دفعة، زاحفة نحو جانب الغرفة. إن تحريكها لمسافة كافية سيستغرق وقتًا وصبرًا، ولكن يبدو أن بافل كان يملك كميات وافرة من كليهما.

إذا أخرجنا من مكمننا، فلن نجد مكانًا آخر نختبئ فيه. لا مفر من هذه الغرفة الموصدة.

بحث لانغدون بتركيز شديد عن حل، وارتفعت عيناه إلى السماء، كما كان يفعل غالبًا عندما يأمل في إلهام. وبينما كان يحدق في الامتداد الزاهي

الألوان للوحة الجدارية المقوسة فوقه، وجد نفسه مستغرقًا تمامًا في جمال العمل—تصوير لقديسين يسوعيين منهمكين في القراءة والكتابة بين السحاب، في تأكيد على أهمية المعرفة.

فكر يا روبرت.

وبينما كان يتأمل في ذلك التصوير السماوي للفردوس، توقفت عينه فجأة عند جسم دخيل لا يأتلف مع المشهد، متخفٍ بين السحب المتموجة في اللوحة.

لقد كان قرصًا معدنيًا صغيرًا.

كهالة متلألئة...

كان لانغدون يعلم علم اليقين أن هذا القرص المعدني لم يضعه الفنان هناك، ورغم استيائه من هذا التدخل في اللوحة، فإنه ما إن وقعت عيناه عليه حتى شعر وكأن السماوات قد انفرجت له... وقدمت له سبيل النجاة.

الفصل السابع والستون

وافت الضابطة الميدانية هاوسمور حصن صليب المسيح، لتجد المكان مقفرًا من أي مركبة، خاليًا من أي أثر للحياة، وبابه الأمامي قد حُطِّم. "ما الذي جرى هنا؟" شهرت سلاحها الجانبي، وخطت بحذر إلى الداخل الذي تناثر فيه الزجاج، فأخذ حذاؤها يحدث صريرًا فوق الشظايا المبعثرة.

وقد غمرتها الطمأنينة حين وجدت باب الوصول الفولاذي الذي يحمل علامة **R–U–N–E–S** سليمًا ومقفلًا. تقدمت في الرواق إلى منطقة استقبال غيسنر ومكتبه.

"أين الجميع؟"

أجرت اتصالًا عبر تطبيق **Signal** بالسيد فنش، ناقلةً إليه ما وقفت عليه.

أجاب فنش وقد شَابَ صوته توتر غير معهود" :لقد أقلعت طائرتي للتو من لندن. أمِّني المبنى، لا تدعي أحدًا يدخل أو يخرج. واستخدمي القوة المميتة إن لزم الأمر".

وبهذا انقطع الاتصال.

في الطابق الرابع من برج راندوم هاوس، مختبئًا في دهاليز من خزائن الحواسيب التي تعج بأزيز صاخب، عدَّل العميل تشينبورغ سماعات رأسه وأنصت بتركيز شديد إلى الحديث الذي كان يدور على بعد أربعين قدمًا تقريبًا بين يوناس فوكمان وأليكس كونان.

كان شعاع ميكروفونه الليزري موجهًا إلى أملس سطح استطاع أن يجده، وهو لوح زجاجي يغطي رسمًا لسفينة غارقة. ومن حسن الطالع أن الرسم كان يضم محيطًا أزرق، تخفت عليه النقطة الضوئية الزرقاء إلى حد بعيد. والأهم من ذلك، أن الرسم كان معلقًا على مقربة شديدة من المكان الذي كان يتحدث فيه فوكمان وخبيره التقني، مقربة كافية لأن يتسبب صوت حديثهما في اهتزازات متناهية في الصغر على سطح الزجاج، والتي بدورها أحدثت تقلبات دقيقة في شعاع الليزر. ثم قام مقياس التداخل (interferometer)بتحليل أنماط التداخل في شعاع الضوء و"ترجمة" الاهتزازات مرة أخرى إلى صوت.

كان تشينبورغ يسمع كل كلمة. "ولستُ وحدي من يسترق السمع." ففي مكان ما على متن طائرته الخاصة فوق أوروبا، كان السيد فنش متصلًا عبر الأقمار الصناعية وتقنية Voice-Over-Wi-Fi، يستمع في الزمن الحقيقي. وكان تشينبورغ على يقين من أن رئيسهما سيسر بما يسمع. فحتى

لحظات قليلة مضت، كان الفريق بأكمله يخشى أن يكون خبير **PRH** التقني قد اهتدى بالفعل إلى وسيلة لكشف أن **Q**هو مصدر الاختراق.

"ما أبعدهم عن الحقيقة".

ارتسمت على شفتي تشينبورغ ابتسامة ساخرة وهو يستمع في سماعاته مستمتعًا بينما كان المحرر يصب جام غضبه على الخبير الشاب. صاح فوكمان" :مكتبة جينيسيس! لقد اخترقتنا مكتبة جينيسيس اللعينة! واحدة من أبشع عصابات القرصنة سمعة في العالم! كيف سمحت لهم بالولوج إلى خوادمنا يا أليكس"!

لا ريب أن تشينبورغ كان قد سمع عن تلك المنظمة المراوغة، المعروفة بين القراصنة باسم **LibGen**. كانت **LibGen**، التي أسسها علماء روس قبل أكثر من عقد من الزمان، أكبر "مكتبة ظل" على شبكة الإنترنت للأعمال الأكاديمية والأدبية المقرصنة. وعلى الرغم من التحديات القانونية والدعاوى القضائية العديدة التي رفعتها كبريات دور النشر، فقد تمكنت **LibGen**من البقاء، بفضل هيكل لا مركزي بارع من المواقع المتطابقة والنطاقات الاحتياطية.

"لقد أخطأ الخبير التقني. لقد خرجنا منها سالمين".

شعر تشينبورغ بالارتياح، مدركًا أن الأمور كان من الممكن أن تأخذ منحى آخر. فقد سارع فريقه بتنفيذ الهجوم عن طريق إعادة استخدام شيفرة برمجية موجودة مسبقًا، والتي، في هذا العصر الجديد من تمشيط الويب المعزز بالذكاء الاصطناعي، كان من المحتمل أن تقود إلى القسم العملياتي التابع لـ Q.

"لحسن الحظ، فاته الأمر".

كان أفضل تخمين لدى تشينبورغ هو أن LibGen قد حاولت اختراق PRH في وقت ما في الماضي القريب، وأن الخبير التقني قد اكتشف الليلة أثرًا رقميًا من ذلك الاختراق الأقدم.

واصل فوكمان شنآنه ضد مجموعة القرصنة سيئة السمعة بينما كان الخبير التقني يطبع على لوحة المفاتيح في محموم، باحثًا على الأرجح عن مزيد من المعلومات... أو ربما يصوغ خطاب استقالته.

"واصل البحث ما شئت،" فكر تشينبورغ. "فإنك لتطارد وهمًا".

عندها، شعر تشينبورغ بنبضة على هاتفه، فتفحص الشاشة. كانت رسالة آمنة من السيد فنش، الذي يبدو أنه قد سمع ما فيه الكفاية.

"المهمة اكتملت، اسحب الآن".

في الطابق السفلي في الردهة، طريحًا على الأرض خلف المنضدة عاجزًا عن الحركة، كان حارس الأمن مارك دول لا يزال يلوم نفسه أشد اللوم على أنه لم يحسن تدبر هذا الموقف.

"لقد حدث كل شيء بسرعة خاطفة... لقد خذلت نفسي في أحلك اللحظات".

كان السفاح مفتول العضلات الذي سرق مقعد دول وقبعته الأمنية يعبث الآن بهاتف دول ومحفظته، ويدون الملاحظات.

تمنى دول لو أنه امتلك بصيرة ليتصل برقم الطوارئ 911 عند وصول هؤلاء الرجال. فمركز شرطة وسط المدينة الشمالي لم يكن يبعد سوى بضعة مبانٍ، وكان بإمكان الضباط الوصول في غضون دقائق.

رن جرس المصعد، وسمع دول الدخيل الثاني يعود إلى الردهة.

قال الرجل القادم" :كل شيء على ما يرام. إنهم مقتنعون بأننا قراصنة كتب، نحن في مأمن".

"مضحك للغاية ".استدار الرجل الضخم وجثا على ركبتيه بجانب دول .

"رؤساؤك لا يفقهون شيئًا يا مارك. آمل أن تكون أذكى... أذكى بما يكفي ألا تذكر أبدًا أننا كنا هنا".

حدق دول في عيني الرجل الفولاذيتين.

أضاف السفاح" :بالمناسبة، أطفالك لطفاء. أرى أنك تقطن في متنزه الغروب. ليست المسافة من بروكلين سيئة، ويبدو أن منزلك في شارع ستة وأربعين قريب من المتنزه من أجل الأطفال. لك حياة هانئة".

فهم دول ما يعنيه.

نهض الرجل بدول واقفًا، وأعاد القبعة الأمنية إلى رأسه، وقطع الأربطة البلاستيكية، وترك محفظة دول وهاتفه على مكتب الاستقبال.

"لم يقع ضرر. الآن عد إلى عملك".

راقب دول الرجلين وهما يخطوان بلامبالاة عبر الردهة نحو أبواب الخروج الأربعة – بابان متأرجحان وبابان دواران. كانا متجهين نحو الباب المتأرجح الذي دخلا منه، ولكن قبل أن يصلا إليه، لمس دول أحد زرين تحت المنضدة، ففعل بصمت جميع الأقفال الآلية.

وصل الرجل مفتول العضلات إلى الباب المتأرجح فوجده مقفلًا.

"يا هذا، افتح لنا الباب"!

"لا أستطيع فعل ذلك، "كذب دول.

استدار الرجل، ونظراته تنم عن عدم التصديق" .أتريد حقًا أن تحبسنا هنا معك؟"

"لا، "قال دول" .أعني أنني لا أستطيع ذلك حرفيًا. ليس لدي سيطرة على الأبواب. إنها مؤتمتة. مبنى صديق للبيئة وما إلى ذلك. للحفاظ على الدفء في الردهة. خلال أشهر الشتاء، الأبواب الدوارة فقط هي التي"...

"لقد دخلنا للتو من هذا الباب اللعين"!

"للدخول ببطاقة مفتاح موظف. أما للخروج، فيجب على جميع الموظفين استخدام الأبواب الدوارة. حتى الحمقى".

"أنت محظوظ لأننا في عجلة من أمرنا، "قال الرجل، وهو يتحرك مع شريكه نحو أحد الأبواب الدوارة. ضغط دول بسرعة على الزر تحت المنضدة مرة أخرى، فاتحًا الآن بصمت جميع الأبواب الأربعة.

كانت الأبواب الدوارة في برج راندوم هاوس كبيرة الحجم، مما يعني أن معظم المجموعات الصغيرة تتشارك المقصورة نفسها. وسر دول لرؤية أن السفاحين لم يكونا استثناءً. فبينما كانا يخطوان إلى قسم واحد ويدفعان إلى الخارج، بدأ الباب يدور عكس اتجاه عقارب الساعة. راقب دول بهدوء، وإصبعه يحوم فوق زر القفل. وعندما أتم الباب ربع دورة كاملة، ضغط دول

على الزر مرة ثالثة، فأعاد تفعيل جميع الأقفال. توقف الباب الدوار فجأة في منتصف دورته، مطبقًا على مهاجمَيه في سجن زجاجي صغير.

وبينما كان دول يتصل برقم 911، تردد في أرجاء الردهة صدى سلسلة مكتومة من الشتائم.

"اصرخا ما شئتما،" فكر دول" .فلا أحد يجرؤ على تهديد أطفالي".

لمدة دقيقتين كاملتين بعد اختفاء نقطة الميكروفون الليزري وانغلاق الباب، واصل يوناس فوكمان توبيخه المسرحي ضد قراصنة كتب LibGen، فقط ليتأكد من أن المتلصص قد رحل حقًا. كان من الواضح أن قرصنة الكتب لا علاقة لها باختراق PRH، لكن الحقيقة كانت مقلقة إلى ما لا نهاية.

كان فوكمان لا يزال تحت وطأة الصدمة من رؤية الاختصار الذي طبعه أليكس، متسائلًا عن السبب الذي قد يدفع هذه المجموعة إلى شن حملة دولية منسقة ضد كاثرين سولومون وكتابها الذي لم ينشر بعد. فمن المؤكد أنهم يمتلكون الموارد والنفوذ للقيام بذلك.

وبموجة من الرهبة، أدرك فوكمان أن ذعر أليكس بشأن روبرت لانغدون وكاثرين سولومون يبدو فجأة أكثر منطقية. كما خطر بباله أن من اقتحم برج راندوم هاوس لا بد أنه تجاوز الحارس الليلي طيب القلب، مارك دول .

اتصل فوكمان على الفور بمكتب الأمن للاطمئنان عليه. لا إجابة.

"اللعنة".

وإذ خشي أسوأ العواقب، ركض فوكمان نحو المصاعد. وعندما وصل إلى الطابق الأرضي، اندفع حول الزاوية إلى الردهة، مهيئًا نفسه للأسوأ. لكن المشهد أمامه كان هادئًا تمامًا، وغير متوقع.

كان الحارس الليلي مارك دول حيًا يرزق وبصحة جيدة، يدلي بإفادته بهدوء لزوج من ضباط شرطة المترو.

"الشرطة هنا؟"

شعر فوكمان بالارتياح لرؤية دول سالمًا، وتحول انتباه المحرر على الفور إلى الرجلين المكبلين على الأرض بالقرب من الباب الدوار، وكلاهما يبدو غاضبًا.

"يا إلهي... أهذا...؟"

لم يستطع فوكمان أن يتخيل ما حدث هنا، لكنه لم يبذل أي جهد لإخفاء سروره وهو يسير عبر الردهة نحو الأسيرين، اللذين كانا مقيدين ومستلقيين على جانبيهما.

هتف فوكمان" :أهلًا! مرحبًا بكم في راندوم هاوس! لم أكن أعلم أنكما من هواة القراءة".

همس ذو الشعر القصير، وهو يحدق فيه" :أنت لا تريد أن تفعل هذا. أنت لا تدري لمن نعمل".

"لمن تعملون، "صحح فوكمان، مقطبًا حاجبيه" .ظننت أننا تجاوزنا هذه المسألة".

صرخ الرجل وعيناه تتقد غضبًا" :اغرب عن وجهي"!

انحنى فوكمان وابتسم" .أتعلم يا صديقي، لو كنت ترتاد المكتبة بقدر ما ترتاد صالة الألعاب الرياضية، لأدركت أن كل قصة عظيمة لها الخاتمة ذاتها ".وغمز" .الأشرار يلقون الهزيمة في النهاية دومًا".

الفصل الثامن والستون

شعرت كاثرين بالارتياح وهي ترى لانغدون يهبط من الشرفة، وقد ارتسم جسده خيالًا في النور الخافت المنبعث من الباب الأرضي الذي فتحه في الأعلى.

قال بلهفة وهو ينضم إليها على البسطة" :نحن بحاجة إلى نار. قولي لي إن معك قداحة أو أعواد ثقاب".

"عفوًا، ماذا تقول؟"

"دخان. نحن بحاجة إلى دخان إن أردنا الخروج من هنا ".كانت نظرات لانغدون الملحّة تحمل رسالة واضحة كل الوضوح: إن ما رآه من الشرفة قد أثار جزعه... ولكنه ربما قدّم له سبيل النجاة أيضًا" .كاثرين، أمامنا دقيقتان تقريبًا قبل أن يندفع مسلح معتوه نازلًا هذا الدرج".

"أنا... أنا لست متأكدة مما قد يكون لدي. حقيبتي في أسفل"...

"فلنأتِ بها—الآن"!

نزلت كاثرين الدرج ولانغدون في إثرها لا يكاد يفارقها، وقد فطنت الآن إلى منطق لانغدون .إذا كان دوي إطلاق النار لم يستدعِ موظفي المتحف،

فلن يفلح في ذلك شيء آخر... إلا ربما التهديد بنشوب حريق في مكتبة عريقة.

بالأمس، عندما كانت هنا مع لانغدون، كان قد أشار إلى لوحة يان هيبل الجدارية المتقنة على السقف، متأسفًا على وجود الأقراص المعدنية القبيحة الثلاثة التي رُكبت في السبعينيات، متناثرة في ثنايا اللوحة. خمنت كاثرين أن لانغدون سعيد الآن بتركيب هذه الأقراص الصغيرة، على الرغم من كونها قذى في عين الناظر.

كواشف الدخان.

عندما بلغت أسفل الدرج، وجدت كاثرين حقيبة كتفها ورفعتها على الدرجة الأولى. كانت الحقيبة ثقيلة على غير عادتها اليوم، إذ كانت تحتوي على مخطوطتها—رزمة من أكثر من أربعمائة صفحة—إلى جانب زجاجة ماء كبيرة. أدخلت يدها إلى قاع الحقيبة، وأخذت تعبث في محتوياتها شبه عمياء بحثًا عن وسيلة ما لإشعال النار.

كانت كاثرين تعلم أنه لا يوجد في حقيبتها أعواد ثقاب أو قداحة، ولكن كما أظهرت البرامج التلفزيونية التي لا تحصى عن "البقاء على قيد الحياة"، يمكن إشعال النار باستخدام كل أنواع الأدوات اليومية—الهواتف المحمولة،

والعدسات المكبرة، والبطاريات، والصوف الصلب. ولكن بينما كانت تنقب في حقيبتها، أدركت كاثرين أن محاولتها بائسة.

همست للانغدون الذي كان فوقها مباشرة على الدرج" :ليس لدي شيء. لا ثقاب. لا قداحة. هاتفي في حاوية قمامة. لدي قفازان، ومرطب شفاه، وكتيب عن المتحف، ولوح جرانولا، وزجاجة ماء"...

"لوح جرانولا؟ من الفندق؟"

"أجل. من الثلاجة الصغيرة".

"هذا يفي بالغرض".

جرانولا قابلة للاشتعال؟

واصل لانغدون سؤاله بإلحاح" :بطاريات؟ أي شيء إلكتروني؟ مصباح قلم، مفتاح سيارة إلكتروني، سماعات أذن، أي شيء؟"

"لا يا روبرت، أنا آسفة ".صمتت هنيهة" .على الرغم من أن... حقيبتي جاءت مع شاحن Clutch في بطانتها. لا أعرف"...

Clutch"؟ ما هذا؟"

قالت وهي تفتح الحقيبة" :شاحن هواتف للمحافظ النسائية ".أزاحت مخطوطتها الضخمة وأرت لانغدون طرف كابل شاحن هاتف يبرز من

البطانة الداخلية" .هو ضرب من حيل شركة **Cuyana**، ولكنه مفيد. لقد شحنته قبل الرحلة، لكني لا أعرف كم"...

قال لانغدون وهو يأخذ الحقيبة" :ابقِ هنا تمامًا. سأخبرك بما عليك فعله بعد دقيقة".

ودون كلمة أخرى، أسرع عائدًا صاعدًا الدرج الحلزوني.

"آمل أن تسامحني على هذا،" فكر لانغدون بشيء من الوجل.

مرت ستون ثانية منذ أن تركها في الأسفل، وها هو الآن جاثم على البسطة في منتصف الدرج. لقد عثر على لوح الجرانولا ووضعه مع رزمة صفحات المخطوطة التي كان قد وضعها جانبًا بالفعل. والآن كان يتلمس بطانة الحقيبة الحريرية، حتى شعر أخيرًا بمستطيل صلب في جيب ذي شريط لاصق. استخرجه. "أهذا شاحن؟" كان شاحن **Clutch**فائق النحافة الذي تملكه كاثرين أشبه ببطاقة ائتمان وردية ذات ذيل. "آمل أنه لا يزال مشحونًا".

رفع الشاحن إلى فمه، ووضع كابل الشحن بين أسنانه، ونزعه بقوة ففصل قابس الموصل. ثم فصل السلكين عن بعضهما، وعرّى كلًا منهما بأسنانه، ولامس السلكين العاريين معًا للحظة وجيزة.

أضاءت شرارة ساطعة المكان المظلم للحظة.

كان يأمل أن يكون ذلك كافيًا.

وضع لانغدون الشاحن مسطحًا على صفحات المخطوطة والتقط لوح الجرانولا، الذي كان له، كما هو متوقع، غلاف قصديري رقيق. مزق الغلاف وقشر شريطًا ضيقًا، ولفه بين أصابعه ليصنع ما يشبه الفتيل القصديري. ثم وصل أحد طرفي الفتيل القصديري بأحد أسلاك الشاحن العارية، تاركًا الطرف الآخر متدليًا.

نظريًا، بمجرد أن يوصل الطرف السائب ويكمل الدائرة، ستتدفق الكهرباء عبر القصدير. ولكون القصدير موصلًا رديئًا، فإنه سيخلق مقاومة، مما يؤدي إلى تراكم الحرارة... التي ستُضرم النار في القصدير في نهاية المطاف.

لبرهة وجيزة.

لسوء الحظ، فإن المادة فائقة الرقة ستحترق للحظة واحدة فقط——وهي مدة لا تكفي لإشعال كتيب مغلف أو حتى ورقة من ورق المخطوطة الرقيق. إذا كان للانغدون أي فرصة في إشعال هذه النار، فسيحتاج إلى شيء قابل للاشتعال.

شديد الاشتعال.

في أسفل الدرجِ، شعرت كاثرين بقلق متزايد وهي تنتظر في صمت تعليمات أخرى من لانغدون" .ابقِ هنا تمامًا... سأخبرك بما عليك فعله بعد دقيقة"، هكذا قال لها. كان يتحرك على الدرجِ، ثم استقر أخيرًا في منتصفه على البسطة الشبكية حيث كانا يقفان في وقت سابق.

بالإضافة إلى أصوات لانغدون في الأعلى، كانت كاثرين تسمع ضجيجًا من المكتبة——سلسلة من الصرير المرتفع المتقطع المتكرر——والذي قال لانغدون إنه صادر عن خزانة العرض أثناء نقلها. "لقد توقف ذلك الضجيج الآن"، أدركت كاثرين، مستشعرة أن وقتهما قد أوشك على النفاد.

وبخوف متصاعد، نظرت مرة أخرى إلى الأعلى نحو الشبكة المعدنية التي كان لانغدون يعمل عليها. لدهشتها، بدا الضوء الذي يتسلل الآن عبر الشبكة مختلفًا فجأة. لم يعد يقتصر على الأشعة الشاحبة المنبعثة من الباب الأرضي فوقهما... بل كان وهجًا متراقصًا.

نار؟

أفعلها؟!

مذهولة، حبست أنفاسها، وهي تنتظر...

في غضون ثوان، بدأ الوهج يزداد سطوعًا، وزفرت كاثرين أخيرًا زفرة ملؤها الأمل. لم يكن لديها أدنى فكرة عن أي ضرب من براعة الكشافة قد استحضره لانغدون لإشعال هذه النار، ولكن مع تضخم ألسنة اللهب، كان بوسعها أن ترى أن الشبكة المعدنية المسامية التي أضرم عليها النار كانت توفر تهوية مثالية من الأسفل.

بيد أن دهشتها سرعان ما تحولت إلى قلق.

إنها نار كبيرة...

كانت ألسنة اللهب تتوسع بسرعة، وبدا أنها تغطي الآن جزءًا أكبر من البسطة. وفي ضوء النار المتزايد، استطاعت أن ترى أن لانغدون قد ابتعد عن المنصة، وكان الآن راكعًا على بعد بضع درجات إلى الأسفل، يغذي النار من الجانب. ومع انتشار اللهب، بدأت كاثرين تشعر بتيار هواء ينساب من تحت باب خزانة الكتب، ويرتفع في بئر السلم كأنه مدخنة، فيزيد النار اشتعالًا.

كانت كاثرين تعلم أن أول ما كان يجب أن يشغل بالها هو: "هل هذا آمن؟" لكنه لم يكن كذلك. كان أول ما شغل بالها شيئًا آخر تمامًا. "ما الذي يحرقه؟!" لقد نمت هذه الألسنة واشتدت حتى غدت أكبر من أن

تكون مجرد كتيب متحف، أو علبة مناديل ورقية، أو أي شيء آخر وجده في حقيبتها. "ما الذي يستخدمه وقودًا؟"!

جاءها الجواب بعد لحظة عندما سقطت من الأعلى قصاصة ورق متفحمة جزئيًا، واستقرت على الدرج أمامها مباشرة. كانت قصاصة الورق البيضاء المحروقة مطبوعة بنص أسود، لا يزال بعضه مقروءًا. لم تحتج كاثرين إلا إلى لحظة لتتعرف على الكلمات.

روبرت، لا!

وانطلقت صاعدة الدرج، تناديه ليكف. وبينما كانت تصعد الدرج الحلزوني نحوه، خامرها شك مفاجئ في أنه طلب منها البقاء في الأسفل لأنه كان يعلم أنها لن توافق أبدًا على خطته. "إنه يحرق مخطوطتي"!

شعرت بالحرارة وهي تصل تحت البسطة. فوقها، ومن خلال الشبكة المعدنية، رأت الجانب السفلي من رزمة من صفحات المخطوطة كان لانغدون يلقمها للنار. كانت الصفحات تحترق بسرعة وسطوع.

هتفت" :توقف! إنها نسختنا الوحيدة! لا يمكننا أن نفقدها"!

نظر لانغدون إلى الأسفل، وعيناه متقدتان في ضوء النار" .لقد فقدناها بالفعل يا كاثرين——أنا آسف أشد الأسف. هذه النسخة الورقية ستصادر

في الثانية التي نخطو فيها خارج هذه المشكاة. وحينها ينتهي أمرنا. من الأفضل أن نستخدمها لإنقاذ حياتنا".

"ولكن لا يوجد غير"...

قال وهو لا يزال يلقم الصفحات للنار" :أرجوكِ اسمعي. هناك أمور لم أخبرك بها بعد، ولكن أناسًا قد قُتلوا اليوم بسبب هذا الكتاب. طالما أننا نحمل هذه المخطوطة، فنحن هدف. الرصاصة الأولى كادت أن تصيبنا. والثانية لن تخطئنا".

رددت قوله" :يا إلهي، قُتل أناس؟! بسبب مخطوطتي؟"!

"كاثرين، لقد محا محترفون مخطوطتك من خادم شركة آمن! قائد جهاز المخابرات والأمن الذي استجوبني هذا الصباح اتهمني وإياك بتدبير حيلة إرهابية دعائية لهذا الكتاب. بريجيتا غيسنر طلبت نسخة مسبقة، فتعرضت للتعذيب والقتل الليلة الماضية. ويبدو أن جوناس قد اختفى. وجهاز المخابرات والأمن يطاردني منذ"...

"بريجيتا غيسنر ماتت؟"!

أومأ لانغدون برأسه في تجهم" .لا أدعي أني أعرف حقيقة ما يجري، ولكن لا شيء يستحق حياتنا. ولا أن نفقد بعضنا بعضًا. هذا هو التصرف الصحيح. أحتاج إلى أن تثقي بي".

"فات أوان الثقة"، فكرت وهي ترى الرزمة الهزيلة من الصفحات المتبقية. "لقد أحرقت معظمها بالفعل".

كانت جمجمة الملازم بافل تنبض من فرط الإجهاد.

لقد انتهى من عناء دفع خزانة العرض الكبيرة عبر أرضية المكتبة، ونجح أخيرًا في وضعها تحت الشرفة. كان المكعب الشفاف أثقل بكثير مما يبدو عليه، ولا شك أن جزءًا كبيرًا من وزنه كان يأتي من الجسم الضخم بداخله.

أخذ بافل دقيقة ليلتقط أنفاسه، وهو يحدق عبر زجاج **Plexiglas** السميك في الكتاب الضخم السخيف داخل المكعب. كان مشهورًا بما يكفي لجذب حشد من الناس، لكن الكتاب كان مفتوحًا على صفحة تصور شيطانًا نصف عارٍ، رابضًا في مئزر.

"أيدفع الناس المال لرؤية هذا؟"

متلهفًا للصعود إلى الشرفة، أحضر بافل السلم ورفعه على سطح خزانة العرض، مسرورًا برؤيته يصل الآن إلى الشرفة.

قبل أن يصعد على خزانة العرض، استدار بافل ليلقي نظرة أخيرة على الشرفة ليرى ما إذا كان لانغدون قد ثاب إلى رشده وكشف عن نفسه.

وبينما كانت عيناه تمسحان المحيط العلوي للغرفة، متحركة على طول الشرفة، توقف بصره فجأة.

تمنى بافل لو أنه كان يهذي.

في الركن البعيد من الشرفة، فوق المشكاة الموصدة، بدا عمود من الدخان الأسود يتصاعد من حيث لا يدري أحد... منجرفًا إلى أعلى نقطة في السقف المقوس... وقد بدأ يتجمع في سحابة داكنة تزحف الآن إلى الخارج عبر اللوحة الجدارية التي لا تقدر بثمن.

كلا...

ولكن الأوان كان قد فات.

فبعد جزء من الثانية، بدأت صفارات الإنذار تدوي.

الفصل التاسع والستون

ما هي إلا هنيهات انقضت على دوي جرس إنذار الحريق، حتى وقع على مسامع الملازم بافل صوت أمين المكتبة وهو يهرع في جزع ليفتح مزاليج أبواب المكتبة الباروكية.

زمجر بافل في غضب مكتوم وقد حدث نفسه" :لقد صدرت إليك أوامري! الزم مكانك في الخارج"!

بيد أن رهبة الحريق المحدق بمكتبة عريقة شامخة، قد طغت فيما يبدو حتى على أوامر جهاز الاستخبارات الأمنية ÚZSI الصارمة، فاندفع أمين المكتبة إلى الداخل، وقد دار حول نفسه في هلع، باحثًا بعينيه عن منبع الدخان.

كان بافل رابضًا في أقصى أركان القاعة، جاثمًا فوق خزانة العرض الزجاجية، يستعد لتسلق السلم المؤدي إلى الشرفة. فلم يقع بصر أمين المكتبة عليه قط، إذ استبد به منظر عمود الدخان المتصاعد من الشرفة. أسرع أمين المكتبة إلى خزانة الكتب الخفية، محاولًا فتحها دون جدوى.

"ما زال في وسعي أن أصرع لانغدون"، هكذا حدث بافل نفسه وهو يشرع في تسلق السلم، "فالعين بالعين."

وفي إثره هرع موظفان آخران من موظفي المتحف يحملان طفايات الحريق، وهما يصيحان ويحاولان عبثًا فتح الباب السري دون أن يهشماه. لم يفلحا في مسعاهما، غير أن الدخان الذي كان ينبعث كثيفًا من الباب السري في الأرضية، بدا وكأنه ينقشع بالسرعة ذاتها التي تكاثف بها.

كان بافل قد انتصف السلم حين لمحَه أمين مكتبة آخر. فهرول الشيخ العجوز نحوه، وقد اعتراه الرعب حين رأى شخصًا يعتلي سلمًا مرتجلًا فوق إحدى معروضات المكتبة التي لا تقدر بثمن" .ماذا تفعل بحق الجحيم؟ "! صاح به أمين المكتبة باللغة التشيكية وقد وصل إلى أسفله.

لم يعره بافل انتباهًا، وواصل صعوده.

وحين قارب القمة، أحس بطعم الدخان في رئتيه. لقد تجمعت سحابة الدخان القاتمة فوق رأسه مباشرة، بمحاذاة قمة السقف المقوس، على الرغم من أن مراوح التهوية الصاخبة قد بدأت بالعمل للتو، وبدا أنها تنقي الهواء بسرعة.

بلغ بافل أعلى السلم، وأطل من فوق سياج الشرفة نحو الباب السري في الطرف البعيد. كان لا يزال مفتوحًا عن آخره. لقد كانت خطة الدخان التي دبرها الأمريكي ماكرة، بيد أنها على وشك أن ترتد عليه. "لن يراني لانغدون قادمًا أبدًا". وحتى لو تمكن من فتح الباب والاندفاع خارجًا إلى

المكتبة، فإن بافل كان يسيطر على المرتفع، وهو موقع مثالي يمنحه أفضلية مطلقة لتسديد الرمية القاضية.

"رويدك"، هكذا كان قائده يحثه على الدوام، وها هو الصبر يؤتي أكله. مد يده، وأمسك بالسياج الحديدي للشرفة، وتأهب ليرفع نفسه فوقه.

"الملازم بافل"!، دوى صوت امرأة آمر من مدخل المكتبة" .توقف عند حدك"!

تجمد بافل وهو جاثم على الدرجة العليا من السلم، وأدار رأسه مستطلعًا أرجاء المكتبة، ورمش بعينيه مرات عدة، محاولًا أن يستوعب ما يراه. كان الشبح الذي يتقدم نحوه غريبًا وغير متوقع إلى حد جعله يتساءل عما إذا كان الدخان وإصابة جمجمته يسببان له هذيانًا وهلوسة.

كانت المرأة المقتربة حسناء أنيقة، داكنة الشعر، وكانت من غير عناء واحدة من أفتن النساء اللواتي وقعت عليهن عيناه في حياته. كانت تخطو على ساقين ممشوقتين تحملانها بقوة وثقة كعارضات الأزياء على منصات العرض. كان يمكن أن تكون إحدى حسناوات أحلامه وخيالاته الجامحة... لولا إشكال واحد يسير: فقد كان يكتنفها عن يمين وشمال جنديان من مشاة البحرية الأمريكية يرتديان الزي الرسمي الأزرق الكامل الخاص بالسفارة، ويحمل كل منهما سلاحًا شخصيًا.

وفي تلك الأثناء، داخل بئر السلم، على البسطة الدائرية، وقف لانغدون فوق كومة الرماد التي ما زالت جمراتها متقدة، حريصًا على التأكد من انطفاء آخر جذوة.

"هذا الحريق برعاية شركة"**Procter & Gamble** ، هكذا داعب لانغدون خاطره، وهو يشعر بالامتنان لعبوة معقم اليدين الصغيرة التي عثر عليها في قاع حقيبة كاثرين.

كان هلام **Safeguard** يحتوي على ثمانين بالمئة من الكحول، وقد دَهَن به لانغدون صفحة غلاف مخطوطة كاثرين بسخاء قبل أن يلف الورقة على هيئة أنبوب لتركيز الأبخرة. وبعد أن وضع الأنبوب في الشبك المعدني ليثبته في وضع عمودي، استخدم القابض (**Clutch**) لإشعال الرقاقة المعدنية فوق فوهة الأنبوب مباشرة. وكما توقع، اشتعلت الرقاقة ثم انطفأت في لمح البصر، إلا أن تركيز أبخرة الكحول قد انفجر مشتعلًا، فالتهب الأنبوب المبلل بالهلام.

وما تلا ذلك من أحداث قد جرى بسرعة خاطفة.

لقد احترق ورق الطباعة التشيكي خفيف التجليد بسرعة فاقت توقعات لانغدون؛ وللحظة، خامره الخوف من أنه ارتكب خطأً فادحًا وعرض المكتبة بأسرها للخطر. ففي غضون ثوان، كانت النار تستعر. وبينما كان

يلقمها بالمزيد من الصفحات، أفرغ لانغدون ما تبقى من ماء كاثرين وألقى بالزجاجة البلاستيكية فوق صفحات المخطوطة، مما أدى إلى تصاعد سحب كثيفة من الدخان الأسود حين ذابت.

نادرا ما كان لانغدون يستشهد بقول لشكسبير، بيد أن هذه الكارثة التي كادت تقع بدت جديرة باقتباس من الشاعر الإنجليزي العظيم. "الأمور بخواتيمها"، هكذا طمأن نفسه، خاصة وأنه كان من الممكن أن يحرق مكتبة لا تقدر بثمن أو أن يلقى حتفه رميًا بالرصاص.

والآن، بعد أن تيقن من أنه لم يترك شيئًا وراءه، حمل لانغدون حقيبة كاثرين التي أصبحت أخف وزنًا بكثير بعد التخلص من مخطوطتها والماء. كانت هي قد نزلت قبله في صمت، وقد اعتصرها الألم وهي تشهد صفحات مخطوطتها وهي تلتهمها النيران. كان لانغدون على ثقة بأنها ستدرك في نهاية المطاف أنه قد لعب أوراقه على أفضل وجه ممكن في ظل تلك الظروف.

"ما زلنا على قيد الحياة".

وبينما كان لانغدون ينزل الدرج، سمع أحاديث متعددة خارج باب خزانة الكتب، وتمنى أن يكون من بين الحشد أفراد أمن المتحف.

"السيد لانغدون؟"!، نادى صوت جهوري من خلال الباب. كانت لكنته أمريكية" .أنا حارس السفارة من مشاة البحرية، مورغان ددلي".

تبادل لانغدون وكاثرين نظرة دهشة. "لقد أتوا سريعا."

"يمكنكما الخروج الآن بأمان يا سيدي"، أعلن الرجل" .أؤكد لكم أن ملازم جهاز الاستخبارات الأمنية ÚZSI الذي هددكم قد تخلى عن سلاحه، وتم إلغاء الإنذار الأزرق".

لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة عما يعنيه "الإنذار الأزرق"، ولكن وجود السفارة بدا بالتأكيد تطورًا إيجابيًا مقارنة بجهاز.ÚZSI

"افتح الباب يا سيدي ".كان الصوت مهذبًا ولكنه اكتسب الآن نبرة أشد حزمًا.

شرعت كاثرين على الفور في فك رباط كم معطفها الطويل من مقبض الباب.

همس لانغدون في حذر" :انتظري! قد يكون ضابطًا من جهاز ÚZSI يقلد لكنة أمريكية".

لا يدري لانغدون هل كان الرجل في الخارج يقرأ الأفكار أم أنه سمع تعليقه، فما هي إلا لحظة حتى انزلقت بطاقة تعريف مغلفة تحت الباب. في الضوء الخافت، لم يتمكن لانغدون من قراءة النص الصغير، ولكن، ويا للمفارقة،

تبددت مخاوفه بفضل الرمز المنقوش على البطاقة: نسر أصلع يحمل درعًا عليه نجوم وخطوط.

خارج خزانة الكتب، كانت دانا دانيك تنتظر في قلق بالغ أن يفتح الباب الخفي. لم تكن قد انقضت عشر دقائق على اقتحام السفيرة ناغل مكتبها وهو يحمل أمرًا عاجلًا: أن تتوجه برفقة حراسة من مشاة البحرية إلى الكليمنتينوم لإنقاذ حياة مواطن أمريكي.

"أُنجزت المهمة"، هكذا حدثت نفسها، "وإن كان ذلك بشق الأنفس."

لقد تم اقتياد الملازم بافل إلى خارج المكتبة واحتجازه في غرفة، وتم إبلا غ رؤسائه. استشاط جهاز ÚZSI غضبًا حين علم بتدخل السفارة الأمريكية في "إنذار أزرق" رسمي —— بغض النظر عن ملابساته —— على الرغم من أنه لم يكن لديهم خيار سوى إصدار "إلغاء فوري للإنذار."

وحين انفتح باب خزانة الكتب أخيرًا، خطى روبرت لانغدون إلى الخارج، وهو يضيق عينيه ليتقي النور من داخل المشكاة المظلمة. تنفست دانا دانيك الصعداء حين رأته سالمًا، إلا أنها صعقت حين رأته يخرج ومعه امرأة. عرفت دانا ذلك الوجه الأنيق في لمح البصر.

كاثرين سولومون.

الفصل السبعون

لم تزل رجفة البرد تسري في أوصال كاثرين إثر مكوثها في بئر السلم الصقيعي، حتى استشعرت في دفء أروقة الكليمنتينوم النسبي سلوى وعزاء، بينما الآنسة دانيك، مسؤولة العلاقات العامة الفاتنة في السفارة، تحث خطاها هي ولانغدون صوب مخرج المتحف.

لقد مشط جنود المارينز الأمريكيون ذلك التجويف الجداري تمشيطا، والتقطوا صورا لكومة الرماد على البسطة، وجمعوا عن الأرض قصاصات متفحمة من صفحات المخطوط. وإن اهتمامهم الشديد ذاك ببقايا كتابها المحترق، على نحو لا يكاد يدركه عقل، ليبدو أنه يؤيد زعم لانغدون بأن مخطوطها كان حقا في قلب كل ما جرى هنا اليوم.

ولكن، لم؟

لقد أخذ يتجلى لها أن لانغدون ربما كان مصيبا في قراره؛ فالمخطوط جعل منهما هدفا، والتخلص منه قد أنقذ حياتيهما.

تملكت كاثرين رهبة عظيمة كلما تراءى لها أنها ستعاود كتابة مؤلفها من جديد، رهبة لم تقو على سبر أغوارها في تلك اللحظة. وكان لانغدون قد أشار إلى أن دار النشر PRH قد تتمكن بطريقة ما من استعادة نسخة رقمية من الخادم المخترق، أو لعل القراصنة يطلبون فدية معقولة. فأملت

أن يكون حدسه في محله، أو لعل الأقدار تخبئ في غيبها معجزة لم تكن في الحسبان.

ثم حدثت نفسها قائلة: "إننا على قيد الحياة. فلنبدأ من هنا."

لم يكن بوسعها أن تستوعب أن بريغيتا غيسنر قد ماتت، وبدا جليا أن في جعبة لانغدون الكثير مما لم يبح به بعد عن وقائع صباحه؛ فقد أبلغ الآنسة دانا دانيك لتوه أن قلقا عميقا يساوره على سلامة شخصين اثنين .مايكل هاريس؟ ساشا فيسنا؟ لم تعرف كاثرين أيا من هذين الاسمين.

وإضافة إلى ذلك، وعلى نحو يبعث على الريبة، حينما طلب لانغدون من الآنسة دانيك أن تعيره هاتفا ليطمئن على جوناس فوكمان، أبت، قائلة إن السفيرة تصر على عدم إجراء أي اتصال خارجي إلى أن يتم نقلهما إلى بر الأمان وإحاطتهما علما بكل شيء... حماية لهما.

حماية لنا؟!

كان لانغدون يسير إلى جوار كاثرين الآن، فمدت يدها وأمسكت بيده. خرج الجمع، تتقدمهم ثلة من جنود المارينز الأمريكيين المدججين بالسلاح، من المتحف عبر سلسلة من الأفنية والأقواس إلى صخب ساحة ماريان . وفي مواجهتهم مباشرة، كانت أعلام مبنى البلدية الجديد تصفقها الريح القارسة، وسمعت كاثرين أصوات صفارات إنذار تتعالى من بعيد. وبدا أن

حراسهم من المارينز قد سمعوا الصفارات هم أيضا، فاستحثوهم على الإسراع في خطاهم. قبض لانغدون على يد كاثرين بقوة أكبر، وتبعا الجنود مسرعين إلى الساحة حيث كانت مركبتهم في الانتظار.

ألجمت الدهشة كاثرين وهي تسائل نفسها: "أهذه هي مركبتنا؟ ليست بالمركبة التي تخفى على الأعين."

كان أحد جنود المارينز يمسك بباب سيارة ليموزين سوداء طويلة مفتوحا، تحمل شعار سفارة الولايات المتحدة على جانبها، ورايتين صغيرتين على مقدمتها —— إحداهما تشيكية والأخرى أمريكية ——كلتاهما بألوان الأحمر والأبيض والأزرق. وقد لفتت سيارة الليموزين أنظارا كثيرة في الساحة بالفعل.

قالت الآنسة دانيك" :اعذراني على هذه الإجراءات الرسمية، فالمركبات الدبلوماسية توفر قدرا من الحماية من السلطات المحلية. وقد رأت السفيرة أن هذا من الحكمة. تفضلا بالصعود."

أدركت كاثرين من أصوات صفارات الإنذار المقتربة أن الحصانة الدبلوماسية قد تكون أمرا محمودا. ولكن ما إن خطت خطوة نحو السيارة، حتى أمسك بها لانغدون في حذر وقوة بيده، مانعا إياها من التقدم.

دوى عويل الصفارات أقرب فأقرب.

قال الجندي" :سيدتي؟ عليكما بالصعود إلى المركبة حالا."

ظلت يد لانغدون ثابتة لا تتحرك، بينما تسمرت عيناه على العلم الأمريكي الذي يرفرف فوق مقدمة سيارة الليموزين. لم تكن لدى كاثرين أدنى فكرة عما يجول في خاطره، ولكن لسبب ما، بدا وكأن روبرت تساوره الشكوك حيال الصعود إلى السيارة.

صاح الجندي فجأة بينما ظهرت قافلة من سيارات السيدان السوداء تومض أضواؤها وهي تنعطف عند زاوية الشارع" :اصعد يا سيدي! الآن"!

تحولت عينا لانغدون من العلم إلى داخل سيارة الليموزين، ثم إلى الأضواء الوامضة للسلطات المقتربة. وأخيرا، وبتردد رجل يختار أهون الشرين، ساعد كاثرين على صعود السيارة ثم تبعها إلى الداخل.

أغلق الجندي باب السيارة بقوة في اللحظة التي وصلت فيها قافلة من مركباتÚZSI ، فشق دوي صفاراتها هواء الصباح البارد.

وقفت دانا دانيك على حافة الرصيف تراقب سيارة الليموزين التابعة للسفارة وهي تبتعد مسرعة. لم تكن متأكدة من سبب تردد لانغدون، ولكن الأمر لم يعد مهما الآن. فبعد أن أصبح كلاهما في قبضة السفيرة بأمان، تكون دانا قد أدت واجبها.

كانت قد هاتفت السفيرة ناغل، التي بدا عليها الارتياح العميق للعثور على لانغدون وسولومون حيين. ولكن، كان لدى دانا الآن معلومات إضافية —— معلومات تبعث على القلق العميق —— فوجدت لنفسها مكانا هادئا خلف تمثال عند زاوية مبنى البلدية لتهاتف السفيرة مرة أخرى.

قالت دانا حين تم تحويل المكالمة إلى السفيرة" :هناك أمر آخر أود الإبلاغ عنه يا سيدتي. لقد تحدثت لتوي مع البروفيسور لانغدون، الذي قال إن لديه ما يدعوه للقلق الشديد على سلامة ساشا فيسنا "...ثم توقفت، وقد غص حلقها بعواطفها، "وكذلك على سلامة... مايكل هاريس."

بدا على ناغل صوت المفاجأة" :هاريس؟ وهل أخبرك لانغدون عن سبب قلقه؟"

كانت دانا قد أُبلغت بالطبيعة الحقيقية "لعلاقة "مايكل بساشا فيسنا، ورغم شعورها بالارتياح لأن تلك اللقاءات لم تكن بمحض إرادة مايكل، إلا أنها كانت تستعر في صدرها نارا من الغضب لأن السفيرة قد وضعته في مثل هذا الموقف. إنه ملحق قانوني، بحق السماء —— وليس عميلا ميدانيا مدربا!

أجابت دانا" :لم يكن لدينا وقت للحديث، لكنه قال إنه كان من المفترض أن يلتقي هو وساشا بمايكل في شقتها، لكن أمرا ما قد حدث. لقد حثني

لانغدون على إرسال شخص ما للاطمئنان عليهما كليهما. وأعطاني مفتاح شقة ساشا."

"لانغدون كان يملك مفتاح شقة ساشا؟"

ألقت دانا نظرة على سلسلة المفاتيح الرخيصة التي تحمل شكل قطة، والتي سلمها إياها لانغدون لتوه" .لقد أصرت على أن يأخذه —— تحسبا لو احتاج إلى مكان آمن يلجأ إليه."

صمتت السفيرة صمتا طويلا على غير عادتها. ثم قالت أخيرا" :حسنا، سأرسل سكوت كيربل ليقلك على الفور. يمكنه أن يرافقك إلى شقة ساشا."

أنا؟! لم تتوقع دانا أن تُرسل هي بنفسها، وتساءلت إن كان ذلك عقابا لها أم تصويتا بالثقة. في كلتا الحالتين، كانت ناغل ترسل إليها حارسها الأمني الأكثر ثقة ومهارة من المارينز. بدا أن السفيرة تريد أن تتأكد تماما من عدم وقوع أي خطأ آخر اليوم.

على الرغم من الهواء الدافئ الذي كانت تنفثه فتحات التهوية في سيارة الليموزين، فإن قشعريرة كاثرين سولومون لم تزدد إلا عمقا وهي تستمع إلى رواية روبرت لأحداث صباحه.

"يا إلهي يا روبرت. لا أعرف ماذا أقول "...لقد تركتها رواية لانغدون عن المرأة التي كانت على الجسر، وهي تعيد تمثيل كابوس كاثرين، عاجزة عن الكلام.

وبينما كانت السيارة تنهب الطريق على طول النهر باتجاه السفارة، كشف لانغدون عن خبر آخر مقلق — السبب الذي جعله يتردد قبل الصعود إلى سيارة الليموزين.

شعار سفارة الولايات المتحدة على جانبي المركبة.

وبينما كان لانغدون يشرح موقفه، أدركت كاثرين أنه قد مر للتو بما يسميه علماء الوعي "المعالجة البصرية المتأخرة"، وهي ظاهرة شائعة بين أصحاب الذاكرة الصورية. فنظرا لأن الذاكرة الصورية تسجل كميات هائلة من المدخلات البصرية، فإن الدماغ لا يعالجها كلها في الوقت الحقيقي. وفي الواقع، فإن معظم المدخلات البصرية التي تحتفظ بها الذاكرة الصورية لا يتم الوصول إليها على الإطلاق، ولا تُستدعى أبدا ما لم يحاول الشخص بوعي استدعاء ما رآه.

أو... ما لم يكن هناك مثير.

لقد كان شعار سفارة الولايات المتحدة على باب سيارة الليموزين هو الذي أثار إحدى ذكريات لانغدون من هذا الصباح — بطاقة تحمل شعار

السفارة نفسه، كانت مرفقة بباقة كبيرة من زهور التوليب الحمراء والبيضاء والزرقاء التي أرسلتها سفارة الولايات المتحدة إلى فندقهما.

أوضح لانغدون" :عندما عدت إلى غرفتنا هذا الصباح، كانت نافذة الشرفة لا تزال مفتوحة على مصراعيها، ولاحظت أن بطاقة السفارة كانت على الأرض. كانت الغرفة شديدة البرودة —— وقد بدأت الريح تذوي الزهور على حافة النافذة. ولكن بينما كنت أغلق النافذة، رأيت قضيبا معدنيا رفيعا يعلوه مخروط بلاستيكي شفاف ——كان مدسوسا بين سيقان الزهور."

مرر لانغدون يده على شعره الداكن وبدا وكأنه يسترجع تفاصيل الذكرى.

"لم أكترث بالجهاز في تلك اللحظة —— ظننته كاشفا للرطوبة أو شيئا تافها —— ولكن مع كل ما يحدث الآن، أدركت للتو أنني رأيت جهازا مماثلا في قاعة بوسطن السيمفونية... ميكروفون مكافئ يعلو الأوركسترا لالتقاط كل فارق دقيق في الموسيقى."

تلعثمت كاثرين" :انتظر... أتظن أنهم دسوا أجهزة تنصت بين زهورنا؟"!

أومأ لانغدون برأسه" .كنتِ تجلسين وأنا بقرب الباقة تماما عندما تحدثنا عن كابوسك الليلة الماضية. إنه التفسير الوحيد. لو أن أحدهم سمعك تصفين"——

قاطعه قولها وهي تهز رأسها في إنكار" :ولكن هذا لا يمت إلى المنطق بصلة! لم قد تتنصت علينا سفارتنا؟ وحتى لو كانوا يستمعون وسمعوا حلمي، فلماذا يريدون... إعادة تمثيله؟"

"لا أعرف. ولكنني أنوي بحق أن أسأل السفيرة عندما نصل إلى السفارة."

قالت كاثرين" :لن نذهب إلى السفارة. لقد سمعت دانا تخبر السائق أن يأخذنا إلى مقر إقامة السفيرة."

بدا لانغدون متفاجئا" .لماذا؟"

هزت كاثرين كتفيها" .لعلها ظنت أن ذلك سيكون أكثر ترحيبا؟"

من النظرة القلقة على وجه لانغدون، أدركت أنه يرى في هذا التغيير نقيض الترحيب تماما. همس قائلا" :إن إجراءات الحماية الخاصة للمواطنين الأمريكيين لا تسري إلا داخل السفارة نفسها. والسفيرة تعلم ذلك. لقاؤنا في مقر إقامتها يعني أننا ما زلنا... عزلًا. مكشوفين."

شعرت كاثرين بطعنة من الذعر. "ماذا عساهم يريدون منا؟" تمنت لو أنها لم تقبل قط طلب غيسنر بالتحدث في براغ.

انحنى لانغدون إلى الأمام، وثبت عينيه في عينيها" .مهما كان السبب، فإن كل هذا يدور حول كتابك يا كاثرين. عليك أن تتحدثي معي. ليس لدينا

سوى دقائق معدودة وحدنا، وعليك أن تخبريني بكل شيء. ما الذي يتضمنه المخطوط؟ ما الذي اكتشفته؟"

كانت كاثرين ترغب في أن يقرأ لانغدون عن تجاربها واستنتاجاتها بكامل تفاصيلها، لكن ترفا كهذا لم يعد متاحا.

لم يعد ثمة مخطوط... ولم يعد لدينا متسع من الوقت.

همست وهي تدنو منه" :حسنا، سأخبرك."

الفصل الحادي والسبعون

في قلب حي براغ التجاري الفاخم، تتربع بقعة من الأرض لم تمسسها يد، وقد أُحيطت بسور من الصخر، فظلت على مدى خمسة قرون من الزمان سجلا كئيبا شاهدا على تعنت بني الإنسان.

مقبرة اليهود القديمة، هكذا حدث الجولم نفسه وقد ولج من البوابة إلى ذلك الحرم المقدس الذي تكسوه الطحالب وتتناثر في أرجائه الأشجار.

لقد كان المشهد الشبحي الذي تكشف أمام عينيه يغص من أقصاه إلى أقصاه بشواهد القبور، التي زاد عددها على اثني عشر ألف شاهد في هذه الرقعة الضيقة. تزاحمت شواهد القبور العتيقة حتى تماس بعضها ببعض، ومالت في كل صوب واتجاه، فبدا المنظر وكأنه مستودع للشواهد لا أرض مقدسة لدفن الموتى.

والأمر الذي يجل عن التصديق، أن ما يربو على مائة ألف جسد قد ووريت الثرى في هذه القطعة من الأرض التي لا تتجاوز مساحتها ثلاثة أفدنة. ففي براغ القرن الخامس عشر، نُبذ اليهود إلى هوامش القبول المجتمعي، وعُزلوا في حيهم الخاص. وحينما أرادوا أن يدفنوا موتاهم، كما تقضي بذلك أعرافهم، لم يمنحهم أولو الأمر إلا تلك الرقعة الضئيلة من الأرض ليفعلوا.

ولما كانت الأعراف اليهودية تحرم النبش عن جسد قد دُفن، فإنه كلما ضاقت المقبرة بموتاها، لم يكن من زعمائهم إلا أن يأتوا بطبقة جديدة من التراب، يبسطونها فوق المقبرة الأصلية، ثم يرفعون شواهد القبور القائمة إلى مستوى الأرض الجديد. وقد تكررت هذه العملية مرارا على مر القرون، فكانت تسفر في كل مرة عن طبقة جديدة من الأجساد وثلة أخرى من الشواهد. حتى بلغ عمق الدفن في بعض المواضع اثني عشر قبرا بعضها فوق بعض، وقيل إنه لولا تلك الجدران الساندة، لكانت المقبرة القديمة قد فاضت منذ أمد بعيد على الشوارع المحيطة بها، ولبُعثرت عظام خمسة قرون في كل اتجاه.

وما إن توغل الجولم في المقبرة، حتى وقف عند صندوق خشبي كبير، وتناول منه "كيباه" – وهي القلنسوة اليهودية التقليدية التي يضعها زوار المقابر رمزا للتواضع والوقار. أزاح غطاء رأسه عن عباءته، ووضع القلنسوة على جمجمته المتكتلة بالطين، غير عابئ بنظرات من كان بالجوار من الزوار القلائل ولا بهمسهم. لقد أدرك أن وجوده هنا في هذا الزي قد يُرى ضربا من ضروب عدم الاحترام، ولكنه في حقيقة الأمر لم يكن يجد في نفسه إلا كل الإجلال لهذا المكان المقدس... ولذلك الحاخام الذي أبدع أول كائن من نوعه.

تقدم الجولم في تؤدة، وشق طريقه بين فوضى الشواهد المتناثرة، حذرا من أن تزل قدمه على ممشى الحصى الذي بللته الطحالب. وسار قاصدا أطراف المقبرة صوب الجدار الغربي، حيث مضى إلى قبر الحاخام لو.

لقد انتصب شاهد قبر الحاخام شامخا يناهز المترين طولا، وقد زُين بزخرفة بديعة تحمل رمز الأسد، في شهادة على لقب الحاخام لو —الذي يعني "الأسد". أما الحافة الضيقة التي تعلو النصب، فقد تناثرت عليها عشرات من القصاصات الورقية الدقيقة المطوية، التي خُطت عليها صلوات تركها الزوار خلفهم. وأما أولئك الذين لم تكن معهم وريقات، فقد تركوا حصيات صغيرة، جريا على التقاليد اليهودية.

وحيدا أمام ذلك القبر الأنيق، جثا الجولم في خشوع على الأرض الباردة، وأطلق العنان لفكره نحو تلك الروابط الخفية في الكون... نحو وحدة الأرواح التي عجز الكثيرون عن إدراكها... وأنكروا وجودها.

نحن كيان واحد.

والانفصال ليس إلا وهما.

مرت الدقائق، وأحس الجولم بنفسه يستمد القوة من هذا المكان الروحاني. ورويدا رويدا، بدأ يشعر بحضور متنام، وبقوة الجولم الأصيل تتدفق من باطن الأرض لتملأ روحه.

الفصل الثاني والسبعون

وما إن انعطفت سيارة السفارة الفارهة يسارًا لتعبر جسر مانيسوف، حتى تناولت كاثرين من ركن المشروبات قنينة من شراب الكوفولا، وارتشفت منها رشفة طويلة. أما لانغدون فقد ظل ينتظر، بينما راحت هي ترنو ببصرها إلى أبراج قلعة براغ الشاهقة، وكأنها تستجمع أطراف أفكارها وتهيئ نفسها لما عزمت على قوله.

"ليتني أعرف القصة كلها من ألفها إلى يائها"، هكذا حدثته نفسه وهو لا يزال عاجزًا عن أن يتصور كنه ذلك الكشف الذي توصلت إليه كاثرين، والذي قد يدفع امرأ إلى تدمير مخطوطتها، بل وإلى ارتكاب جريمة قتل...

"حسنًا"، قالت كاثرين وقد وضعت القنينة جانبًا واستدارت نحوه" .ثمة ظاهرة علمية تُعرف بأزمة التكرار، فهل سمعت بها من قبل؟"

كان لانغدون قد سمع بهذا المصطلح يتردد على ألسنة زملائه في قسم العلوم" .إن لم تخني الذاكرة، فإنها تشير إلى كل نتيجة تجريبية تحدث مرة واحدة، ثم يستعصي تكرارها بعد ذلك".

"أصبت كبد الحقيقة"، أجابت" .فعلى مدى الخمسين عامًا الماضية، توصل عشرات العلماء المرموقين إلى طائفة من النتائج المخبرية التي تدعم بقوة فكرة الوعي غير الموضعي. لقد أسفرت بعض هذه التجارب عن نتائج

تذهب بالألباب حقًا... ومع ذلك، فإن كل محاولة لإعادتها قد باءت بالفشل أو آلت إلى نتائج غير حاسمة".

"مثل الاندماج البارد"، خطر ببال لانغدون.

قالت كاثرين بصوت يشوبه الامتعاض" :إنه لأمر يثير الجنون حقًا. فمعظم هذه النتائج التي لا تقبل التكرار، قد نبعت من تجارب أُجريت بدقة متناهية، وخضعت لمراجعة الأقران، وقام بها علماء مهرة ذوو سمعة طيبة".

"ورغم كل ذلك، تُقابل نتائجهم بالتشكيك والتفنيد؟"

"كليًا. إن حربًا فكرية ضارية تدور رحاها في ميداني بين نموذجي الوعي الموضعي وغير الموضعي. ولقد أمسى عجز علماء النويات عن تكرار بعض النتائج ذريعة يلوكها الماديون في كل مكان، وشعارًا يرفعه المتشككون من أمثال 'غيسنر' الذين سيعمدون إلى وسم تجربتك بالخداع، ونعتك بالمشعوذ المتحمس أو الدجال المحتال".

لم يجد لانغدون في كلامها ما يثير دهشته، ففي حقله، تاريخ الأديان، كان من المألوف أن تُدحض الادعاءات المنشورة بقسوة لا هوادة فيها، كجزء من المعركة المستعرة بين المؤمنين وغير المؤمنين. وكان الاحتيال أمرًا شائعًا؛ فكفن تورينو –الذي زُعم أنه كفن المسيح – قد أثبت التأريخ بالكربون المشع أنه يعود إلى ما بعد المسيح بألف ومائتي عام. كما كُشف زيف "نقش

صندوق عظام يعقوب" الشهير الذي ظهر عام ألفين واثنين. وكذلك تبيّن أن المرسوم الإمبراطوري النافذ المعروف باسم "هبة قسطنطين" لم يكن سوى وثيقة مزورة ببراعة، صيغت في الكنيسة لترسيخ سلطتها.

"إنما نعلن من الحق ما يخدم مآربنا."

واصلت كاثرين حديثها" :هناك تجربة من تجارب الإدراك فوق الحسي 'PSI'على وجه الخصوص، أضحت كقضيب جاذب للصواعق في خضم هذه العاصفة التي لا تهدأ. لقد أُجريت للمرة الأولى في أوائل الثمانينيات على يد فريق علمي يحظى باحترام كبير، عمل بعناية فائقة، وتوصل إلى نتائج لا يكاد يصدقها عقل. ولكن من سوء الطالع أن تلك النتائج قد استعصت على التكرار، رغم المحاولات التي لا تحصى لإعادتها".

قال لانغدون" :تجربة غانزفيلد[2][1]".

نظرت إليه كاثرين نظرة إعجاب" .أتعرف عنها شيئًا؟"

اعترف قائلًا" :لم أعرف بها إلا مؤخرًا. فبعد عرضك المذهل لكتابك حول الوعي غير الموضعي، عقدت العزم على أن أقرأ شيئًا في هذا الميدان".

قالت" :لشعرت بالإطراء، ولكنّي أخمّن أنك كنت تتحقق من أني لست مجنونة".

ضحك لانغدون" .لا، على الإطلاق. لقد أثار الأمر اهتمامي حقًا".

لقد علم أن تجربة غانزفيلد تقوم على وضع شخص في غرفة للعزل الحسي، ثم يُطلب من شخص آخر أن "يبث" إليه صورًا ذهنيًا. أُجريت التجربة على مدى جلسات عديدة، وأظهرت النتائج بأغلبية ساحقة وجود التخاطر الذهني [1].والغريب أن ذلك المستوى المدهش من النجاح الإحصائي الذي تحقق في السلسلة الأولى من المحاولات لم يتكرر أبدًا، حتى على يد الفريق نفسه، مما أدى إلى عاصفة هوجاء من الانتقادات والاتهامات بالخداع.

قالت" :وإن كنت قد قرأت عن 'غانزفيلد'، فمن المحتمل أنك قرأت أيضًا عن عالم الاجتماع 'داريل بيم'، وهو من أشد المدافعين عن تجربة غانزفيلد وصاحب المقال المثير للجدل الذي نُشر عام ألفين وأحد عشر بعنوان 'استشعار المستقبل".'

اعترف لانغدون" :قرأت ذلك المقال أيضًا"، وقد استدعى إلى ذاكرته عنوانه الفرعي المثير للفضول: "دليل تجريبي على التأثيرات الرجعية الشاذة على الإدراك والعاطفة."

كان مقال بيم يصف تجربة عرض فيها على المشاركين قائمة من الكلمات العشوائية، ثم أزالها وطلب منهم أن يتذكروا أكبر عدد ممكن من الكلمات.

في اليوم التالي، أعطى المشاركين مجموعة مختارة من الكلمات التي انتقاها عشوائيًا من القائمة الأصلية، وطلب منهم حفظها. والمذهل أن نتائج اختبار اليوم الأول أظهرت بوضوح أن المشاركين كانوا أكثر قدرة على تذكر الكلمات التي سيرونها في اليوم التالي، أي بعد انتهاء الاختبار!

"رويدك!"، هكذا تذكر لانغدون أنه فكر في حيرة. "أيمكن للمرء أن يذاكر بعد الاختبار؟ أيؤثر المستقبل في الماضي؟"

ولما أهمّه الأمر، عرض نتائج بيم على زميل له في قسم الفيزياء يدعى تاونلي تشيزولم، وهو خريج من أكسفورد يرتدي ربطة عنق على شكل فراشة، بدا غير متأثر على نحو مفاجئ بالبيانات. أكد تشيزولم للانغدون أن "السببية الرجعية (**retrocausality**) "حقيقية بالفعل، وقد لوحظت في تجارب عديدة، منها تجربة تُعرف باسم "ممحاة الكَم ذات الخيار المؤجل[3]."

وصفها تشيزولم بأنها "نسخة مطورة من تجربة الشق المزدوج الكلاسيكية". كان لانغدون يعلم أن التجربة الأصلية قد أذهلت العالم بإثباتها أن الضوء الذي يمر عبر حاجز ذي شقين يمكن أن يسلك سلوك الجسيم أو الموجة... والأعجب من ذلك أنه كان "يقرر" أي السبيلين يسلك في كل مرة بناءً على ما إذا كان أحدهم يختار مراقبته أم لا.

أوضح تشيزولم أن تعديل "الخيار المؤجل" يتضمن استخدام فوتونات متشابكة ومرايا "لتأخير" خيار المراقب في الوقت الحقيقي بالمراقبة من عدمها... وذلك إلى ما بعد أن يكشف الضوء عن كيفية تصرفه. بعبارة أخرى، أجبر العلماء الضوء على التفاعل مع قرار لم يُتخذ بعد. وكانت النتيجة المذهلة أن الضوء لم يُخدع على الإطلاق، بل تنبأ بطريقة ما بالخيار الذي سيتخذه المراقب في المستقبل... فكأن الكون كان على علم بما سيقع قبل أن يقع.

وفي وقت لاحق، وبعد أن بحث عن التجربة على الإنترنت، لم يستطع لانغدون أن يستوعب منها إلا ما يكفي ليتقبل فكرة أن بعض العقول الفذة تؤمن بأن أحداث المستقبل تؤثر حقًا في أحداث الماضي... وأن الزمن قادر على التدفق في اتجاه عكسي.

قال لانغدون وهو ينظر إلى كاثرين مقطبًا" :لا بد لي من الاعتراف بأن مجرد فكرة السببية الرجعية تحدث في عقلي تنافرًا معرفيًا[4]".

أجابت" :لست وحدك في هذا. لو رأيت ردة فعل زواري حين يقرؤون اللوحة على مكتبي، والتي كُتب عليها: 'تجارب اليوم هي نتيجة قرارات الغد".'

ومهما حاول لانغدون أن يفتح عقله لفكرة السببية الرجعية، فقد وجد أنه من المستحيل قبولها" .لكن حركة الزمن إلى الوراء لا معنى لها! لا بد أن هناك تفسيرًا آخر".

قالت كاثرين" :هناك تفسير آخر، ولكنه لن يروق لك أكثر من سابقه. الاحتمال الآخر هو أن كل أولئك المهووسين بفكرة 'الوعي الكوني' على حق... وأن الكون يعلم كل شيء. من هذا المنظور، لا يتقيد الكون بالزمن الخطي كما يدركه البشر، بل يعمل ككل لا يخضع للزمن، يتعايش فيه الماضي والحاضر والمستقبل".

بدأ رأس لانغدون يؤلمه" .وماذا عن كتابك؟ كنت تتحدثين عن أزمة التكرار... وكيف أنها تعصف بمجال الإدراك فوق الحسي وعلم النويات؟"

"أجل، إنها تعصف بهما كما لم تعصف بأي مجال آخر، وهذا من الظلم بمكان ".ارتشفت كاثرين من شرابها" .تأمل مجال ألعاب القوى. إذا حقق رياضي نتيجة أولمبية مذهلة وسجل رقمًا قياسيًا عالميًا – وهو أمر لم يحدث من قبل، ولا يمكن لأي شخص آخر تكراره – فإننا لا نقرر أن كاميرات التلفاز قد خدعتنا، أو أن الجمهور كان يهذي. نحن نعتبرها ببساطة نتيجة رائعة. فمجرد عدم قدرتك على أداء الشيء نفسه مرتين لا يعني أنه لم يحدث".

"نقطة وجيهة... ولكن هذه رياضة، وهذا علم. إن قابلية التكرار جزء أساسي من المنهج العلمي".

"نعم، وأنا أتفق معك في أن قابلية التكرار هي عبء إثبات معقول على المستوى العياني. ولكن على المستوى الكمومي، تسير الأمور على نحو مختلف يا 'روبرت'. فمن المفهوم أن عالم الكَم لا يمكن التنبؤ به. في الواقع، إن عدم القابلية للتنبؤ هي، حرفيًا، السمة الأكثر اتفاقًا عليها"!

"نقطة وجيهة أخرى"، أدرك في نفسه.

قالت وهي تتحدث بسرعة أكبر" :إن لغة عالم الكَم هي حرفيًا لغة عدم القابلية للتنبؤ – موجات الاحتمال، والتقلبات الكمومية، ومبادئ عدم اليقين، والنفق الكمومي الاحتمالي، والفوضى، والتداخل الكمومي، وزوال الترابط، والتراكب، والازدواجية. كل هذا يُترجم بشكل عام إلى 'نحن لا نعرف ما الذي سيحدث لأن القواعد الكلاسيكية للفيزياء لا تنطبق هنا"'!

"حسنًا، إذن الوعي"...

"الوعي ليس عضوًا من لحم ودم في جسدك. الوعي يوجد في عالم الكَم. ولذلك، من الصعب للغاية ملاحظته بأي قدر من القابلية للتنبؤ أو التكرار. يمكنك استخدام وعيك لمراقبة كرة ترتد، ولكن عندما تستخدم وعيك لمراقبة وعيك... فإنك تدخل في حلقة مفرغة من ردود الفعل. الأمر

أشبه بمحاولة المرء أن يرى لون عينيه دونما استعانة بمرآة. فمهما كنت ذكيًا أو مثابرًا، يستحيل عليك أن تعرف، لأنك لا تستطيع مراقبة عينيك بعينيك، تمامًا كما لا يمكنك مراقبة وعيك بوعيك".

"مثير للاهتمام. وهل تطرحين هذه النقطة في كتابك؟"

"نعم، إلى جانب الحجة القائلة بأن قابلية التكرار، كعبء للإثبات، هي معيار مرتفع بشكل غير معقول عند دراسة الوعي. إنها تلحق الضرر بالمجال وتدمر المسيرات المهنية".

لم يدرِ لانغدون بماذا يجيب. لقد كانت فكرة آسرة، ولكن في ضوء ما مرا به اليوم، كان يتوقع شيئًا أكثر إثارة للجدل... أو أكثر خطورة... ليستدعي كل هذا الاهتمام الذي أثارته.

"إذن، هذا هو جوهر... اكتشافك؟"

"يا إلهي، لا "!ضحكت كاثرين بصوت عالٍ" .كنت ببساطة أوضح لماذا يُعد الوعي وحشًا مراوغًا يصعب اصطياده. أما اكتشافي فهو شيء ملموس. لقد وجدت شيئًا مذهلاً من خلال سلسلة من التجارب ".مالت نحوه وابتسمت" .وبالمناسبة، نعم، هذه التجارب تمكنت من تكرارها".

في برج راندوم هاوس، أعلن المصعد عن وصوله برنين خفيف، وخطا جوناس فوكمان إلى أرضية مرصعة ببلاط ملون. كان الطابق السابع أشبه بالولوجِ إلى بُعد موازٍ، مكانٌ كان يعلم أن توتره سيتبدد فيه. لم تكن هنا رفوف الكتب المنظمة، ولا الألوان الهادئة، ولا الخطوط المستقيمة التي تميز الطوابق الأخرى في دار النشر. بل كان الطابق السابع متاهة متعرجة من "كبائن العمل" زاهية الألوان، مزينة برسوم كرتونية وأشجار نخيل قابلة للنفخ ومقاعد محشوة بالكريات وحيوانات محشوة.

كتب الأطفال: ديكور مرح، وعمل جدّي.

إضافة إلى الأجواء المرحة في هذا القسم، كان فوكمان يقدّر أن آلة صنع القهوة لم تكن طفولية على الإطلاق – آلة من طراز ***Franke A1000*** بتقنية – ***FoamMaster***وهي تختلف كل الاختلاف عن كبسولات ***Nespresso***في الطوابق الأخرى. أحيانًا، في وقت متأخر من الليل، كان فوكمان يتسلل إلى هنا مع مخطوطة، ويعد لنفسه فنجانًا مزدوجًا من الإسبريسو، ثم يلقي بجسده على أحد المقاعد المحشوة ليدقق النص تحت العين الساهرة لدمية ويني–ذا–بوه العملاقة على أحد جانبي الردهة، والابتسامة الخبيثة لدمية القط ذي القبعة التي يبلغ طولها سبعة أقدام على الجانب الآخر.

الليلة، وبينما كانت الآلة تطحن قهوته، استنشق فوكمان عبيرها، محاولًا تهدئة مخاوفه. كان من المفترض أن يبعث القبض على العملاء في الطابق السفلي على الارتياح، لكنه لم يشعر بطمأنينة حقيقية؛ فلا يزال مكان روبرت وكاثرين مجهولًا، وكان يشعر بيأس متزايد لمعرفة أنهما بأمان.

كان أليكس كونان قد حلّ بالفعل سؤالًا محيرًا واحدًا:

من الذي سرق مخطوطة كاثرين؟

ولكن الإجابة المذهلة تطرح الآن سؤالًا ثانيًا.

لماذا؟

لقد وضع جوناس فوكمان خطة لكشف غموض هذا اللغز.

الفصل الثالث والسبعون

لا بد لنا من الإسراع، هكذا حدث لانغدون نفسه، والسيارة الفارهة تصعد المنحنيات الحادة المتعرجة التي تخترق حدائق تشوتيك .إن حي" براغ 6 " الذي يضم مقر إقامة السفيرة لا يبعد عن هنا سوى دقائق معدودات، وقد كان لانغدون يتوق بشدة إلى أن يعرف كل ما يمكن معرفته عن كتاب كاثرين واكتشافها .***قبل أن نواجه السفير***، فكر في نفسه، وما يزال الشك يساوره فيمن يضع ثقته.

واصلت كاثرين حديثها" :في نموذج الوعي غير الموضعي، يكون دماغك ضربا من المذياع الذي يستقبل الوعي، وهو كسائر أجهزة المذياع تنهال عليه محطات لا حصر لها في كل آن. ومن هنا تدرك في الحال لمَ وجب أن يكون للمذياع قرص للضبط – آلية تمكنه من اختيار التردد الوحيد الذي يود استقباله. فالمذياع نفسه يملك القدرة على استقبال جميع المحطات، ولكن من دون وسيلة لترشيح الترددات المتدفقة إليه، فإنه سيبث تلك الترددات جميعا في آن واحد. والدماغ البشري يعمل بالطريقة ذاتها؛ ففيه سلسلة معقدة من المرشحات التي تحول دون إثقال العقل بفيض من المحفزات الحسية... حتى لا يركز إلا على شريحة ضئيلة من الوعي الكوني".

هذا منطق يستقيم تماما، هكذا فكر في نفسه. إن إدراكنا للضوء والصوت يخضع للترشيح. لقد كان لانغدون يعلم أن معظم البشر يجهلون أنهم لا يدركون إلا جزءا يسيرا من النطاق الترددي العملي والطيف الكهرومغناطيسي؛ أما بقيته فتبحر من حولنا، بعيدا عن متناول أقراص الضبط فينا.

قالت كاثرين" :إن الانتباه الانتقائي لمثال ساطع على الترشيح الذي يقوم به الدماغ، ويطلق عليها ظاهرة انتقاء الحديث في غمرة الصخب. تصور نفسك في حفلة تعج بالناس وقد ركز دماغك كل التركيز على الكلمات التي ينطق بها الشخص الذي يحدثك – ثم يصيبك الملل، فيتحول تركيزك دون عناء إلى حديث آخر أشد إثارة للاهتمام يدور في أقصى الغرفة. هذا هو ما يمكنك من ترشيح الضوضاء في الخلفية، ويقيك من أن تطغى عليك كل الأصوات التي تقع في مدى سمعك".

اجتماعات هيئة التدريس، هكذا فكر لانغدون، الذي كثيرا ما وجد نفسه يرخي السمع لموسيقى تنبعث من الساحة الخارجية بينما زملاؤه يتناقشون في المناهج الدراسية أو الجداول الزمنية.

قالت كاثرين" :والتعود ضرب آخر من ضروب الترشيح. فالمدخلات الحسية المتكررة يصدها دماغك بفاعلية تجعلك بالمعنى الحرفي للكلمة لا

تسمع الأزيز المتواصل لمكيف الهواء، أو لا تشعر بالنظارة التي تستقر على أنفك. وهذا المرشح من القوة بمكان حتى إننا قد نبحث في أرجاء المنزل عن نظارة هي في الحقيقة نصب أعيننا، أو عن هاتف نقبض عليه في أيدينا".

أومأ لانغدون برأسه. إنه لم يشعر بساعة ميكي ماوس على معصمه منذ عقود.

ولقد علم أن مفهوم "الواقع المرشح" هو فكرة تتكرر في الأسفار القديمة. فالفيدانتا الهندوسية، التي ألهمت عظماء فيزياء الكم من أمثال نيلز بور وإرفين شرودنغر، وصفت العقل المادي بأنه "عامل مقيد" لا يمكنه أن يدرك إلا كسرة ضئيلة من الوعي الكوني المعروف باسم براهمان .وعرّف الصوفية "العقل" بأنه حجاب يخفي نور الوعي الإلهي. ووصف القباليون "الكليبوت" في العقل بأنها تحجب معظم نور الرب. وحذر البوذيون من أن "الأنا" هي عدسة مقيدة تجعلنا نشعر بالانفصال عن الكون – "الكون الواحد " – (**universum**)الذي يعني حرفيا "كل شيء كواحد."

استطردت كاثرين" :وقد توصل علم الأعصاب الحديث الآن إلى تحديد الآلية الحيوية الفعلية التي يرشح بها الدماغ البيانات الواردة ".وعلت شفتيها ابتسامة خفيفة" .إنها تسمى .**GABA** حمض الغاما–أمينوبيوتيريك".

"حسنا ".تذكر لانغدون أن معظم دراسات كاثرين العليا كانت تتمحور حول الكيمياء العصبية للدماغ.

"إن GABA مركب عجيب – رسول كيميائي في دماغك يؤدي دورا حاسما في تنظيم نشاط الدماغ. ولكن ربما ليس بالطريقة التي تظنها. على وجه التحديد، إن GABA عامل مثبط".

"أيعني ذلك أنه يعوق نشاط الدماغ؟"

"بالضبط. إنه يقلل في الواقع من إطلاق الخلايا العصبية ويقيد النشاط العام للخلايا العصبية. بعبارة أخرى، يقوم GABA بإيقاف أجزاء من الدماغ في محاولة لترشيح المدخلات الزائدة. وفي أبسط فهم لنا له، يضمن ترشيح GABA عدم إرهاق الدماغ بمعلومات أكثر من اللازم. وفي تشبيه المذياع، يشبه GABA أداة الضبط التي تحصر الاستقبال في تردد واحد بينما تحجب عشرات الترددات الأخرى".

"يبدو هذا منطقيا تماما حتى الآن"...

واصلت كاثرين بحماس" :لقد لفت GABA انتباهي حقا قبل بضع سنوات. قرأت أن دماغ الطفل حديث الولادة يحتوي على مستويات عالية جدا منGABA ، مما يرشح كل شيء باستثناء ما هو أمامه مباشرة. ولذلك، فإن حديثي الولادة يكادون لا يعون التفاصيل في أرجاء الغرفة.

تعمل المرشحات كسند وقائي يحمي عقل الطفل من فرط التحفيز أثناء نموه. ومع نضوجنا، تنخفض مستويات GABA ببطء، فنستوعب المزيد من العالم ونكتسب فهما أوسع".

***مدهش،* فكر لانغدون .لقد كان يتخيل دائما أن مجال الإدراك الضيق لحديثي الولادة يرجع إلى أنهم لا يستطيعون الرؤية جيدا.**

قالت كاثرين" :لذلك بدأت في البحث أكثر، وعلمت أن الرهبان التبتيين يظهرون أيضا مستويات عالية بشكل استثنائي من GABA أثناء التأمل. يبدو أن غيبوبة التأمل تسبب طفرة في الناقل العصبي المثبط، مما يوقف تقريبا كل إطلاق الخلايا العصبية، ويمنع بشكل أساسي معظم العالم الخارجي من الدخول إلى أدمغتهم أثناء حالة التأمل العميق".

***صفاء الذهن المراوغ،* فكر لانغدون، الذي كان على دراية بهدف التأمل ولكنه لم يعرف قط العملية الكيميائية التي يتحقق بها. حجب العالم حرفيا... والعودة إلى نقاء عقل الوليد.**

قالت كاثرين" :أفترض أن النتائج لم تكن صادمة إلى هذا الحد، لكنها أعطتني فكرة – مفهوم الوعي البشري كإشارة... تتدفق إلى الدماغ عبر سلسلة من البوابات".

"بوابات تقرر كم من العالم تسمح له بالدخول".

"بالضبط، وقبل ثمانية عشر شهرا تقريبا، أثناء بحثي الإضافي في GABA، عثرت بالصدفة على ورقة بحثية في علم الأعصاب... كتبتها بريجيتا غيسنر".

آه، نعم، فكر لانغدون، وهو ما أفضى إلى دعوة كاثرين للتحدث في براغ.

كشفت كاثرين" :كانت ورقة غيسنر البحثية تدور حول شريحة للصرع اخترعتها يمكنها إحباط نوبة وشيكة عن طريق تحفيز استجابة GABA الطبيعية في الدماغ، فتهدئ الأعصاب بالمعنى الحرفي. كان ذلك منطقيا. إذ تبين أن الصرع حالة ترتبط غالبا بمستويات منخفضة بشكل خطير من GABA، وهو آلية الكبح في الدماغ. ومع القليل منه، يدخل دماغك في حالة من فرط النشاط، ويحدث إطلاق جامح للخلايا العصبية، وفي النهاية"—

"نوبة صرع".

"أجل"، قالت وهي ترتشف رشفة سريعة من شراب الكوفولا" .إن العاصفة الكهربائية الهائجة لنوبة الصرع هي النقيض التام للذهن الصافي المركز لراهب في حالة تأمل؛ فالنوبات مرتبطة بنقص ...GABA والتأمل بزيادته. كنت على دراية بكل هذا من قبل، لكن ورقتها البحثية ذكرتني بأن نوبات الصرع غالبا ما تتبعها فترة ممتعة من عدم الاستجابة تعرف باسم

غبطة ما بعد النوبة – وهي حالة سلام واتساع في الوعي، مصحوبة بدفقات من الشعور بالترابط، والإبداع، والتنوير الروحي، وتجارب الخروج من الجسد".

استدعى لانغدون تجربته في وقت سابق مع ساشا، بالإضافة إلى الأوصاف التي قدمها عدد لا يحصى من المصابين بالصرع من أصحاب الرؤى عبر التاريخ.

قالت كاثرين" :وفجأة وجدت نفسي أتساءل كيف يمكن لدماغ مصاب بالصرع أن ينتقل بهذه السرعة من عاصفة النوبة... إلى سلام غبطة ما بعد النوبة".

هز لانغدون كتفيه" .أخمن أن ارتفاعا طبيعيا في مستويات ...GABA يهدئ العاصفة؟"

"تخمين رائع – وكان تخميني أيضا – يطلق عليه الكبح الارتدادي، وهو يحدث بالفعل، ولكن ليس على الفور. كما تبين، يحدث شيء آخر أولا. يعيد الدماغ تشغيل نفسه. يتوقف النظام بأكمله. وعندما يعود إلى العمل، فإنه يفعل ذلك تدريجيا... مما يمنح الدماغ وقتا لاستعادة مستويات GABA، وإعادة تشغيل مرشحاته، وحماية الدماغ المستيقظ من المدخلات الزائدة".

"يبدو هذا مثل استيقاظنا في الصباح... نفتح أعيننا ببطء لمنح بؤبؤ العين وقتا ليضيق ويرشح بعضا من ضوء الصباح".

"بالضبط! إلا أنه في هذا السيناريو، لا نرى أبدا ضوء الصباح الحقيقي، لأنه بينما نستيقظ، يقوم أحدهم في الوقت نفسه بإسدال ستائر كثيفة على نوافذنا حتى لا نرى ما هو بالخارج حقا".

"وهذا الأحد، أخمن، هو**GABA** ؟"

"على وجه الدقة. عادة ما يغلق **GABA** الستائر في الوقت المناسب، قبل أن تنفتح أعيننا. ولكن إذا اختل التوقيت، ولم تغلق الستائر بالسرعة الكافية"—

"نختلس لمحة من العالم الخارجي".

"أجل"، قالت بابتسامة" .ويبدو أنه جميل. واقع غير مرشح. غبطة ما بعد النوبة. وعي خالص".

مذهل، فكر في نفسه، متسائلا عما إذا كانت بعض "ومضات العبقرية" الشهيرة في التاريخ يمكن أن تُعزى إلى خلل في التوقيت... لحظة وجيزة تُرك فيها باب الواقع مواربا عن طريق الخطأ.

قالت كاثرين" :كلما فكرت في**GABA** ، أدركت أكثر أنه كان المفتاح الذي كنت أبحث عنه"...

"المفتاح إلى...؟"

"المفتاح لفهم الوعي "!صاحت" .يمتلك البشر عقولا قوية بشكل غير عادي، ولكن لدينا أيضا مرشحات فعالة بشكل غير عادي لمنع الحمل الزائد من المدخلات. إن **GABA** هو الحجاب الواقي الذي يمنع أدمغتنا من تجربة ما لا نستطيع التعامل معه. إنه يحد من مدى اتساع وعيك. وقد يكون هذا المركب الكيميائي الوحيد هو السبب في أن البشر غير قادرين على إدراك الواقع كما هو حقا".

استرخى لانغدون في مقعد السيارة الفارهة الوثير، مستوعبا الفكرة المثيرة للجدل" .أتقترحين أن هناك واقعا من حولنا... لا يمكننا إدراكه؟"

"هذا هو ما أقترحه بالضبط يا روبرت ".لمعت عيناها بالإثارة" .ولكن هذا ليس حتى نصف القصة".

في مقبرة اليهود القديمة، تلاشت أصوات الشوارع الصاخبة القريبة من إدراك الجولم ...وقد استحم عقله الآن في صمت محمود. جثا على ركبتيه، مستمدا القوة من هذه الأرض المقدسة... منصتا لصوت سلفه.

ولأنه لا يملك موطنا حقيقيا، اتخذ الجولم من هذا المكان موطنا له، يزوره من وقت لآخر عندما يحتاج إلى القوة.

أول جولم قد أصابه الجنون... لكني أقوى من ذلك.

كانت زياراته لهذا الموقع تبعث فيه السكينة وتجدد قواه دائما، لكنه اليوم، شعر بتحصين خاص. وبينما فتح عينيه ونهض لمواجهة المهمة التي تنتظره، هبت نسمة خفيفة تتهامس في أرجاء المقبرة. سمع الجولم صوت الجولم الأصيل... كلمة واحدة تحفيف في الأغصان العارية فوق رأسه.

الحقيقة...

تصور الحروف القديمة على جبهته. حقيقة غايته في هذا العالم هي حماية روح جميلة تفتقر إلى القوة لحماية نفسها. الحقيقة أنها لن تكون آمنة حتى ينفذ الجولم أعماله الانتقامية.

"ما من سبيلين إلا سبيلان"، همست الريح بين الأشجار. "الحقيقة أو الموت."

كان الجولم قد اتخذ قراره بالفعل.

أختار كليهما.

الفصل الرابع والسبعون

كانت السيارة الفارهة تدنو من حي بوبينيتش الراقي، وكان لانغدون يدرك أن مقر إقامة السفيرة لم يعد بعيد المنال. وقد أخذت الدهشة بمجامع قلبه لكشوفات كاثرين، فبات يتلهف لسماع ما تبقى من حديثها.

"أحقًا تحيط بنا حقيقة لا تقوى حواسنا على إدراكها؟"

واصلت كاثرين حديثها قائلة" :لقد انبثق نور هذه الفكرة في ذهني أول مرة، حين كنت أبحث في التجارب التي يصفها المصابون بالصرع عقب نوباتهم. أدركت فجأة أن تجاربهم تلك، المفعمة بالنعيم، تشبه إلى حد لافت روايات فئة أخرى من الناس ".صمتت برهة وقد تلألأ في عينيها بريق . "أعني أولئك الذين ذاقوا الموت... ثم عادوا منه".

"تجارب الاقتراب من الموت"، هكذا جال في خاطر لانغدون، مدركًا أنها قد أصابت. ففي أعقاب صدمة الموت الوشيك أو النوبة المرضية، أفادت كلتا المجموعتين بانعتاق الروح من الجسد، واتصال عميق بكل الأشياء، وشعور غامر بالسلام.

"فمضيت أقتفي أثر هذه الفكرة... وابتكرت تجربة فريدة من نوعها ".رمقته كاثرين بابتسامة هادئة" .ومن هنا أخذت الأمور منحى يثير الدهشة حقًا. أولًا، عثرت على مريض ميؤوس من شفائه على مقربة من مختبري – وكان

هو نفسه طبيب أعصاب متقاعدًا – وقد وافق على أن يمر بتجربة الموت وهو داخل جهاز تصوير من طراز جديد، جهاز للتحليل الطيفي بالرنين المغناطيسي في الزمن الحقيقي. أوضحت له أني سأتمكن من مراقبة كيمياء دماغه لحظة بلحظة وهو يحتضر. فشعر بالامتنان لهذه الفرصة التي ستتيح له تقديم بيانات دقيقة لم نتمكن من قياسها من قبل قط. وفي ظهيرة يوم جميل، وقد تحلّق حوله أفراد عائلته وطاقم الرعاية، فاضت روحه وهو يخضع للمسح داخل ذلك الجهاز الضخم".

استطردت كاثرين" :طوال عملية الاحتضار، شهدت ارتفاعًا سريعًا في مستويات نواقل عصبية رئيسة، بما فيها الأدرينالين والإندورفين، والتي تعمل على تسكين الألم ومساعدة الجسد على تحمل إجهاد الموت. وبعبارة أخرى، كان ذلك إيذانًا بتوقف أجهزة الحس عن العمل. وكان من المنطقي أن ترتفع مستويات حمض 'GABA' أيضًا، ليحجب تجربة الموت عن الوعي مع انطفاء الدماغ ".ابتسمت كاثرين" .بيد أن ذلك لم يحدث".

"ألم يحدث؟"

"بل حدث نقيضه تمامًا! فبينما كان يحتضر، هوت مستويات 'GABA' لديه بصورة حادة ومفاجئة! وفي لحظاته الأخيرة، دانت تلك المستويات من

الصفر، مما يعني أن كل حجب دماغه قد زالت. لقد كانت تجربة الموت تتدفق إلى وعيه بكليتها، دون أن يُحجب منها شيء"!

"وهل في ذلك... خير أم شر؟"

"بل هو أمر بديع يا 'روبرت'! إنه يعني أن حجب أدمغتنا تنفتح أثناء عملية الموت، فنصبح مذياعًا يلتقط الطيف بأسره. إن وعينا يشهد الحقيقة كلها "!أمسكت كاثرين بيديه وشدت عليهما" .ولهذا السبب تحديدًا يصف الأشخاص الذين مروا بتجارب الاقتراب من الموت شعورًا بالاتصال الكلي، وبنعيم المعرفة الشاملة. إن الكيمياء تثبت ذلك! فإذ نموت، تتوقف أجسادنا عن العمل... وتستيقظ أدمغتنا"!

وخطر ببال لانغدون السطر الافتتاحي في إحدى رواياته المفضلة: "يُقال إن كل شيء يتجلى عند الموت."

"والأمر لا يقتصر على ذلك، "تابعت كاثرين، "ففي الدقيقة التي سبقت توقف قلب المريض، غمرت دماغه موجات عالية التردد تضمنت موجات 'غاما'! وهي ترتبط بالاسترجاع المكثف للذكريات، وقد بلغت مستوياتها لديه أرقامًا تفوق كل تصور".

"إذن، هل كان... يتذكر شيئًا ما؟"

"لا، عند هذه المستويات، كان يتذكر كل شيء. إن أرقام موجات 'غاما' ترجح بقوة صدق الأسطورة الخالدة التي تقول إن شريط حياتك يمر أمام عينيك قبل أن تموت".

كان لانغدون يعلم أن مفهوم "استدعاء الحياة الكاملة" يظهر في العديد من الديانات؛ حيث يعرض ملاك الموت على الروح كل خيارات حياتها كشكل من أشكال التنوير والتعليم الكارمي.

قالت كاثرين" :في مرحلة ما، يموت الدماغ نفسه، ويزول جهاز الاستقبال لدينا. واعتقادي، بناءً على تجاربي، هو أن عملية الموت تنبئ بما هو آتٍ، فهي كالعرض المسبق لما سيأتي لاحقًا، قدرة على إدراك ما يفوق بكثير ما نستطيع إدراكه في العادة".

"إذن، عندما يموت الدماغ في النهاية ويعجز عن إدراك أي شيء على الإطلاق... أليست تلك هي النهاية؟"

ابتسمت كاثرين في تأمل" .نحن نعلم بالفعل من تجارب الاقتراب من الموت أن الموت ينطوي على تحرر من هيئتنا المادية... مقرونًا بشعور جارف بالبهجة والاتصال بكل الأشياء. فإذا علمنا أن وعينا الفردي يأتي من خارج أدمغتنا –كما تظهر الآن أبحاث علم النويات – فإن الأمر يبدو لي وكأن الوعي يهجر ببساطة العالم المادي في لحظة الموت... ويعود ليندمج في

الكل. فأنت لم تعد بحاجة إلى جسدك لتستقبل الإشارة... لأنك أنت الإشارة".

شعر لانغدون بقشعريرة تسري في بدنه. "الروح تعود إلى موطنها". كان مفهومًا عريقًا. "فيعود التراب إلى الأرض كما كان، وتعود الروح إلى الله الذي أعطاها." – سفر الجامعة 7:12.

ورغم عدم يقينه من استمرار الوعي بعد الموت، لم يساور لانغدون شك في أنه إذا كانت كاثرين على صواب بشأن حجب الدماغ التي تحد من إدراكنا للواقع، فإن اكتشافها هذا سيغير مجرى الحياة. لقد كانت، في جوهر الأمر، تفترض أن جميع البشر مجهزون بالأدوات اللازمة لإدراك الطبيعة الحقيقية للكون... ومع ذلك، فنحن محميون كيميائيًا من استخدامها... حتى لحظة الموت.

قال" :كل هذا مذهل. وإن كان يطرح مفارقة كونية قاسية لا فكاك منها".

"وكيف ذلك؟"

"علينا أن نموت لنبصر الحقيقة... وحين نفعل، يكون الأوان قد فات لنخبر أحدًا بما أبصرنا".

ابتسمت كाथरين" .يا 'روبرت'، ليس الموت هو السبيل الوحيد إلى الاستنارة. فالتاريخ حافل بالعقول العظيمة التي حظيت بومضة خاطفة من نور إلهي لم يستطع غيرها أن يراه. تأمل في 'نيوتن'، و'أينشتاين'، و'غاليليو'، والأنبياء... لقد حظيت هذه العقول الفذة بكشوفات علمية وإلهامات روحية يمكن، كما تبين، تفسيرها بمصطلحات علمية".

"أتقصدين أن حجب أدمغتهم قد انخفضت؟"

"مؤقتًا، نعم. وفي تلك اللحظة، تلقوا من المعلومات عن الكون ما يفوق بكثير ما نحن قادرون على رؤيته".

وفكر لانغدون في العالم نيكولا تسلا، الذي أرسلت إليه كاثرين مقولته بعد نقاشهما الأول حول الوعي غير الموضعي: "ما دماغي إلا جهاز استقبال. وفي الكون نواة نستمد منها المعرفة".

"هل سبق لك أن تعاطيت العقاقير المخدرة يا 'روبرت'؟"

أربكه السؤال الذي جاء على غير سياقه" .وهل تعدين شراب 'الجن' من العقاقير؟"

ضحكت" .لا، أنا أتحدث عن العقاقير المخلة بالنفس

– 'psychedelics'المهلوسات التي تسبب مشاعر جارفة وصورًا حية".

"من الواضح أنك لم ترتشفي من شراب 'الجن' ما يكفي". قال في نفسه : "لا".

"المهلوسات مثل 'المسكالين'، و'LSD' ، و'السيلوسيبين' – هل تعلمين كيف تجعلك هذه العقاقير تختبر كل ذلك؟"

لم يفكر لانغدون في الأمر من قبل قط" .أفترض أنها تحفز الخيال؟"

قالت" :إنه لتخمين معقول، وذلك ما يظنه معظم الناس، ولكن مرة أخرى لم يفكر أحد بعد في استخدام التحليل الطيفي بالرنين المغناطيسي في الزمن الحقيقي لمراقبة عقل في خضم تجربة مهلوسة".

"أفعلتِ ذلك؟ "تخيل شخصًا منتشيًا بعقار LSD، مقيدًا داخل أنبوب التصوير بالرنين المغناطيسي، بينما كاثرين تراقبه.

"بالطبع فعلت... لقد كانت الخطوة المنطقية التالية في بحثي. فالكثير من تجارب المخدرات تتضمن تجارب الخروج من الجسد، وتساءلت كيف تبدو استجابة 'GABA' عندما يحدث ذلك".

"وماذا كانت النتيجة؟"

كان وجه كاثرين يشرق الآن" .كما اتضح... تمامًا مثل هالتنا التي أسيء فهمها تاريخيًا، كنا نرى الأمر برمته بالمقلوب. إن المهلوسات لا تستثير خلاياك العصبية كما قدرت، بل تفعل نقيض ذلك. فهذه العقاقير، من خلال سلسلة من التفاعلات المعقدة في شبكة الوضع الافتراضي للدماغ، تقلل بشكل كبير من مستويات .'GABA' بعبارة أخرى، إنها تخفض من حجب دماغك وتسمح لطيف أوسع من الواقع بالتدفق إليه. وهذا يعني أنك لا تهلوس، بل إنك في الحقيقة تبصر من الواقع ما هو أوسع نطاقًا. فتلك الأحاسيس بالاتصال والحب والاستنارة... حقيقية".

كان ادعاءً لافتًا، وقد تأمله لانغدون :أن للدماغ قدرة لا محدودة على استقبال الوعي... إلا أنه محبوس داخل قفص واقٍ لا يمكن الفرار منه إلا بالموت... أو، بدرجة أقل، بنوبة صرعٍ أو بمواد مهلوسة معينة.

بدا أن موضوع المهلوسات يتردد في كل مكان هذه الأيام؛ فخبراء الصحة في وسائل الإعلام كافة قد أخذوا فجأة يشيدون بفضائل "الجرعات الصغيرة" من الفطر المهلوس، معلنين أن السيلوسيبين هو ترياق للقلق والاكتئاب وتشتت الانتباه.

وكان أحد زملاء لانغدون في هارفارد، المؤلف مايكل بولان، قد تصدر عناوين الصحف منذ وقت ليس ببعيد بكتابه الأكثر مبيعًا ووثائقيه على نتفليكس حول القوة الإيجابية للمهلوسات، "كيف تغير عقلك."

وهناك نجم آخر في هذا المجال مقيم في بوسطن، هو ريك دوبلين، الذي أسس – MAPS الجمعية متعددة التخصصات للدراسات المهلوسة – والتي جمعت أكثر من 130 مليون دولار لأبحاث المهلوسات وحققت نجاحًا مذهلاً في علاج الاكتئاب واضطراب ما بعد الصدمة.

"عالم جديد جريء"، فكر لانغدون، متذكرًا أن رؤية هكسلي للمستقبل تضمنت إعطاء جميع السكان جرعات من عقار السعادة المسمى SOMA.

قالت كاثرين" :إن كيمياء الوعي ليست مجرد تمرين فكري شيق في استكشاف الذات... بل قد تكون التحول الذي تحتاجه البشرية للبقاء. فكر في الفوضى والشقاق في عالمنا اليوم. تخيل مستقبلًا يبدأ فيه البشر بخفض حجب أدمغتهم ويبدؤون في الوجود بفهم أكبر للواقع... وبإحساس أعظم بالشمولية والوحدة. قد نبدأ حقًا في الإيمان بأننا جنس واحد موحد"!

وقف لانغدون مبهورًا أمام تفكيرها الذي يحطم القوالب المألوفة.

قالت كاثرين" :فكر في كل تلك الحالات المستنيرة المراوغة التي نتوق إليها: الوعي الموسع، والاتصال الكوني، والحب غير المحدود، واليقظة الروحية، والعبقرية الإبداعية. تبدو جميعها بعيدة المنال، نتاج عقول خاصة جدًا أو تجارب نادرة. ليس هذا صحيحًا! كلنا نملك تلك القدرة، طوال الوقت. نحن فقط محجوبون كيميائيًا عن تجربتها"...

شعر لانغدون بموجة من الحب والاحترام تجاهها. ربما تكون كاثرين قد أحدثت ثورة في فهمنا للوعي البشري... واكتشفت خريطة طريق لتوسيعه. قال" :لقد بهرتني يا كاثرين، سيكون لعملك أثر عميق"، وهو يدع كل ذلك يستقر في نفسه محاولًا ألا يجذبه إلى أرض الواقع ذلك السؤال الجلي الذي ظل عالقًا في ذهنه.

قالت كاثرين مقطبة، وكأنها استبقت فكرته" :أعلم. لا يزال هذا لا يفسر سبب كل ما يحدث... لماذا قد يرغب أي شخص في تدمير مخطوطتي".

"بالضبط".

أدرك لانغدون أن الإجابة على هذا السؤال سيتعين عليها الانتظار.

كانت السيارة الفارهة قد انعطفت لتوها يسارًا وأبطأت عند قوس حجري وبوابة ثقيلة من الحديد الزهر خارج مقر إقامة السفير. كانت هناك لافتة تقول :*مقر إقامة سفير الولايات المتحدة الأمريكية*.

ويبدو أن البروتوكول الأمني لم يمتد ليشمل من هم في سيارة السفير، فقد انفتحت البوابة على مصراعيها وأشار لهما جندي المارينز في غرفة الحراسة الحجرية بالمرور دون تردد.

نظر لانغدون إلى الأسوار المحصنة المحيطة بأرض المقر وتساءل عن الإجابات التي قد تكمن في الداخل. وبينما كانت السيارة تشق طريقها المتعرج بين الأشجار، لاحظ أن البوابة قد أُغلقت بإحكام خلفهم. سيطرت عليه فكرة مقلقة.

"أندخل حِمى آمنًا... أم نلج عرين الأسد؟"

الفصل الخامس والسبعون

إن مقر إقامة السفير الأمريكي في براغ –الذي يُعرف بفيلا بتشيك –هو قصر فخم شُيِّد على طراز الفنون الجميلة، وقد أوحت عظمته المعمارية الفرنسية لأهل المدينة بأن يطلقوا عليه لقب" فرساي الصغير ."ولقد استولى على فيلا بتشيك التي شُيدت لأوتو بتشيك، وهو صناعي يهودي ثري أجبرته هو وأسرته ويلات الاحتلال النازي على الخروج من براغ، جيوش النازيين والروس على السواء، فاحتلوها وسكنوها. وقد أضحت الفيلا اليوم، وهي الشاهد على حقبة من التاريخ، معلما بارزا يرمز إلى تاريخ المنطقة المظلم الذي حفل بالاحتلال والقمع والإبادة الجماعية.

فبعد أن أعلن هتلر عن نيته تحويل براغ إلى "متحف لعرق بائد"، وقع الاختيار على فيلا بتشيك لتكون "خزانة لعرض غنائم" النصر النازي. فأمر بأن توسم أروع أعمال بتشيك الفنية وأثاثه بالصلبان المعقوفة، وأن تُفهرس وتُخزن بعناية في القبو لعرضها حالما تفوز ألمانيا بالحرب.

اعتراه الغثيان لمجرد هذه الفكرة. وأخذ يحدق من النافذة والسيارة الفارهة تنعطف صاعدة في الممر لتدخل حديقة مترامية الأطراف يحيط بها سياج حديدي شاهق تعلوه قضبان رأسية مسننة وكاميرات مراقبة. أدرك أن الخروج من هذه القلعة يضاهي في صعوبته الدخول إليها.

همست كاثرين وقد لاح لها المنزل المهيب" :يا إلهي، أهذا هو منزل سفير الولايات المتحدة؟"

لقد امتدت واجهته الفاخرة ذات الأعمدة على خط محدب منحدر انحدارا هينا لمسافة تقارب مائة ياردة، وارتفعت ثلاثة طوابق حتى بلغت سقفا نحاسيا منكسرا ذا نوافذ مسقوفة – قصر أوروبي بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

قالت كاثرين مازحة" :الآن علمت لمَ كانت ضرائبي باهظة إلى هذا الحد. إننا نسكن موظفي الحكومة في قصور خاصة"...

لقد علم لانغدون أن الأمر ليس بهذه البساطة، إذ قرأ كتاب السفير السابق نورم آيزن "القصر الأخير"، وهو صورة تاريخية مفصلة لهذا المنزل المدهش. ففي حقيقة الأمر، كانت الولايات المتحدة قد أنفقت مبلغا فلكيا لشراء الفيلا وترميمها لتعود إلى مجدها الأصيل بعد الحرب، وظلت تتعهدها بالصيانة منذ ما يقرب من قرن من الزمان بتكلفة باهظة. كانت تلك طريقة أمريكا في الإسهام في الحفاظ على تراث براغ.

وقد التقى لانغدون بآيزن ذات مرة، وذكر أنه قص عليه قصة ملهمة عن والدته فريدا، وهي إحدى الناجيات من معسكر أوشفيتز، التي كثيرا ما

كانت تقول" :لقد أخرجنا النازيون من تشيكوسلوفاكيا في عربات الماشية، وعاد ابني إليها على متن طائرة الرئاسة الأمريكية."

وكان آيزن قد علق قائلا" :كل ذلك في جيل واحد."

والآن، بينما انزلقت السيارة الفارهة وتوقفت تحت المدخل المسقوف ذي الأعمدة في القصر، قفز جندي البحرية الأمريكية من المقعد الأمامي، ودار حول المركبة، وفتح لهما الباب.

قال" :انتبها لخطواتكما من فضلكما. فهذا الحصى يصبح زلقا مع الثلج".

هبت ريح باردة بينما تبع لانغدون وكاثرين الجندي إلى ردهة بيضاوية صغيرة تحمل سجادتها الرموز الزاهية للنسر الأمريكي والعلم الأمريكي. وفي الأعلى، ألقت ثريا أسطوانية بنمط شعاعي كأشعة الشمس على السقف والجدران المزخرفة، فأضاءت صورة رسمية صارمة لسفيرة الولايات المتحدة هايدي ناجل.

عرف لانغدون ناجل من الصور على الفور. كانت في عقدها السادس، امرأة تبدو على وجهها الصرامة، زاد من شحوب بشرتها شعر أسود فاحم أنيق، صففته في غرة قصيرة مستقيمة ومحددة بدقة.

دنت منهما وقع أقدام، ودخل رجل مسن مرح يرتدي سترة رياضية من قماش متعرج بالية بعض الشيء فرحب بهما. وبعد أن صرف الجندي، أشار الرجل إلى لانغدون وكاثرين أن يتبعاه إلى داخل المنزل.

وبينما كانا يسيران في بهو فسيح، استنشق لانغدون رائحة حميمية لحطب يشتعل، ولكنه أحس أيضا برائحة أخرى تفوح في الهواء – رائحة كعك رقائق الشوكولاتة الطازج التي لا تخطئها حاسة الشم .*لمسة خفية*، فكر لانغدون، الذي كان يجد متعة دائما حين تفعل الفنادق الفاخرة الشيء نفسه. لقد كان تكتيك الضيافة هذا من ابتكار وكيل عقاري في الخمسينيات، وأصبح الآن يُستخدم على نطاق واسع لإضفاء شعور بالراحة و"الدفء المنزلي."

تبع لانغدون وكاثرين الرجل إلى غرفة معيشة فسيحة، حيث أجلسهما أمام مدفأة أُوقدت نيرانها حديثا. وكانت الطاولة أمامهما تضم بوفيها صغيرا – تشكيلة من المعجنات، وسلة فاكهة، وإبريق قهوة، وزجاجة ماء كبيرة، وزجاجتين من الكوكا كولا، وطبقا من كعك رقائق الشوكولاتة المصنوع منزليا.

قال الرجل" :أعتذر عن هذه التشكيلة غير المتجانسة. لقد أبلغتني السيدة السفيرة للتو بوصول ضيوف. إنها تجري مكالمة هاتفية وستكون معكما في

غضون عشر دقائق. الكعك قد خرج لتوه من الفرن، فاحذرا – إنه ساخن".

وبهذا، انصرف الرجل العجوز، تاركا لانغدون وكاثرين وحدهما أمام النار مع طاولة عامرة بالطعام.

همس لانغدون" :حسنا، ربما كنا نراقص الشيطان، ولكنها على الأقل مضيفة رائعة".

في الطابق العلوي من فيلا بتشيك، أنهت السفيرة ناجل مكالمتها الهاتفية، وظلت تحدق لحظة طويلة من نافذة مكتبها المنزلية الكبيرة. بدا لها العقار المكلل بالثلج غريبا اليوم، موحشا على نحو ما. لقد كان هذا القصر منزلها لما يقرب من ثلاث سنوات، وحينما كانت تسترجع أشهرها الأولى كسفيرة – بسذاجتها وتفاؤلها –كانت تعلم أن كليهما قد تلاشى منذ أمد بعيد في ضوء الواقع القاسي.

لقد أصبحت ورطة جهاز المخابرات والأمن ولانغدون فصلا مطويا. كانت الرواية الرسمية هي أن النقيب ياناتشيك قد لفق أدلة ضد أمريكيين بارزين، ولدى علمه بأن جريمته قد انكشفت، ألقى بنفسه إلى حتفه من حصن كروسيفيكس.

وكانت ناجل قد هددت بإجراء تحقيق علني إذا لم يمتثل جهاز المخابرات والأمن لمطالبها بالابتعاد تماما عن حصن كروسيفيكس وانتشال جثة ياناتشيك فقط عن طريق الوصول إلى قاع الوادي عبر متنزه فوليمانكا .ولم يكن أمام الجهاز من خيار سوى الامتثال.

والآن، وقد تحولت عن النافذة، وجهت ناجل انتباهها من جديد إلى المسألة العالقة التي بين يديها – روبرت لانغدون وكاثرين سولومون .وعلى مكتبها، أزّت الطابعة، وأخرجت وثيقتين كان السيد فينش قد أرسلهما إليها للتو.

فلنأمل أن ينجح هذا.

تناولت ناجل الصفحتين، واختطفت قلما أسود لامعا يحمل شعار "سفارة الولايات المتحدة" من على المكتب، وتوجهت إلى الطابق السفلي لمقابلة ضيفيها.

في غرفة المعيشة، وبعد أن استمتع بقطعتين من الكعك وفنجان من القهوة القوية، شعر لانغدون ببعض الانتعاش، وأسلم أمره لما ينتظرهما مع السفيرة.

كان قد نصح كاثرين بالفعل بألا يناقشا أفكارهما الخاصة بعد الآن بمجرد دخولهما مقر إقامة السفيرة *.للجدران آذان* .وللأسف، خشي لانغدون أنه ربما يكون قد أفاض في الحديث أكثر مما ينبغي في مؤخرة السيارة الفارهة، متسائلا إن كان في تلك السيارة المزخرفة جهاز اتصال داخلي – وإن كان

ثمة من يسترق السمع. لم يتنبه إلى عدم اكتراثه إلا بعد وصولهما، وقد تحدثا صراحة عن الأفكار المذهلة في كتاب كاثرين ...وبالطبع، عن جهاز التنصت في أزهار الخزامى في جناحهما... وعن عدم ثقة لانغدون المتزايدة بالسفارة.

لا حيلة لنا في الأمر الآن. سنكتشف ما يجري حينما نقابل السفيرة.

وبينما كانا ينتظران، لمح لانغدون غرفة الطعام الرسمية عبر البهو. تذكر الفيلم الوثائقي الذي شاهده عن هذا القصر وحكاية غريبة سمعها عن كراسي الطعام.

يساورني الفضول، فكر في نفسه، وأشار إلى كاثرين أن تتبعه إلى الغرفة المجاورة حيث المائدة الطويلة المصنوعة من خشب الساتان وتحيط بها كراسي عتيقة من الجلد المشغول يدويا. أمسك بأحدها وقلبه رأسا على عقب، وأدرك في الحال أنه يحمل بين يديه قطعة من تاريخ مظلم. ففي أسفل المقعد، كان هناك ملصق أصفر باهت يحمل رقم فهرس مختوم 206 إلى جانب الرمزين النازيين لنسر الرايخ الإمبراطوري والصليب المعقوف.

شهقت كاثرين في فزع لرؤيته" .ما الذي يفعله هذا هنا بحق السماء؟"!

رفع لانغدون الكرسي، متفحصا الملصق عن كثب.

"يبدو أنه عندما استولى النازيون على براغ واحتلوا هذه الفيلا، قاموا بفهرسة جميع الأثاث للمطالبة به لاستخدامه لاحقا كقطع متحفية. هذه الملصقات هي أرقام الفهرس النازية الأصلية. وقد قررت السفارة تركها في مكانها تذكرة بأهوال الحرب".

خاطبهما صوت من خلفهما" :أرى أنك أستاذ في علم الأثاث".

التفت لانغدون وكاثرين في حركة خاطفة ليجدا نفسيهما وجها لوجه مع سفيرة الولايات المتحدة هايدي ناجل .كانت غرتها المقصوصة بحدة بادية للعيان على الفور كما في صورتها في البهو. وكانت ترتدي بذلة رسمية سوداء توحي بالقوة وعقدا من الخرز الملون.

لم تكن السفيرة ناجل تبتسم قطعا.

سارع لانغدون في ارتباك إلى إعادة الكرسي العتيق إلى وضعه. قال" :أعتذر عن ذلك"، وهو يضع الكرسي بعناية ويعيده إلى مكانه على المائدة.

قالت السفيرة بحدة" :يا أستاذ، إن كان لا بد من اعتذار، فهو اعتذاري أنا. فبقدر ما أرى، تدين لكما حكومة الولايات المتحدة بتفسير لما حدث، وهو تفسير كبير حقا".

الفصل السادس والسبعون

أحقًا تدين لنا حكومة الولايات المتحدة بتفسير؟

اعتراه ضرب من الحيرة وهو يسير مع كاثرين خلف السفيرة في رواق أنيق ينساب في انحناءة رشيقة على امتداد الجناح الجنوبي من فيلا بيتشيك .فقد أخذت الدهشة بمجامع قلب لانغدون من تلك المقدمة الاعتذارية التي استهلت بها السفيرة حديثها، إذ وفد إلى هذا المكان وهو على أهبة الاستعداد والحذر، وفي نفسه عزوف عن الثقة بأي كان.

أما الآن، فقد تبددت تلك اللحظة من الود والدفء. سارت السفيرة ناغل بخطى حثيثة تنم عن عزم صارم، بدا فيها طابع رسمي عاجل، لا يتناسب غرابة مع حميمية مسكنها الخاص. ولم تنبس ببنت شفة وهما يمران بغرفة للموسيقى، ثم بغرفة جلوس يغلب عليها اللون الذهبي، فمعهد زجاجي يطل على الشرفة والحدائق الشتوية. وحين بلغوا نهاية البهو، دفعت بابًا مزدوجًا ذا مرآتين، فولجوا إلى مكتبة صغيرة.

قالت، وكان ذلك أول ما نطقت به منذ أن غادروا غرفة الطعام" :هذا هو أكثر الأماكن خصوصية في الدار. فمن هنا أُجري جميع مكالماتي الخاصة. وقد رأيت أن نتحدث هنا".

فاحت من المكتبة الدافئة، المكسوة جدرانها بالألواح الخشبية، رائحةُ الجلد والسيجار. وكانت الغرفة، التي تحيط بها رفوف تزخر بالكتب العتيقة، تتوسطها أريكتان زرقاوان متقابلتان تحت ثريا مذهبة. وفي إحدى الزوايا، وُضع مقعد مريح بالٍ بجانب نافذة للقراءة، وإلى جواره طاولة جانبية مثمنة الأضلاع. أما مدفأة المكتبة الرخامية، فكانت خامدة وقد صُفّت فيها جذوع من خشب البتولا الأبيض الناصع.

تبع لانغدون وكاثرين السفيرة، فجلسا على إحدى الأريكتين، وجلست هي قبالتهما على الأخرى. كانت تحمل معها أوراقًا وضعتها الآن على وجهها فوق منضدة القهوة التي تفصل بينهم. ثم وضعت قلمًا رسميًا من أقلام السفارة فوق الأوراق، وأسندت ظهرها إلى الخلف، وشبكت يديها في حجرها، وزفرت.

استهلت حديثها قائلة" :سأتجاوز المجاملات. أولًا، أود أن أعرب لكما عن مدى ارتياحي لكونكما بخير. إن وضعك مع جهاز المخابرات والأمن، يا سيد 'لانغدون'، كان محفوفًا بالخطر على وجه الخصوص، ويسعدني أني تمكنت من حمايتك".

"أشكرك... على ما أظن؟" لم يكن لانغدون على قناعة تامة بأنه في حال أفضل.

تفرست السفيرة فيهما لحظة، وكأنها تتأكد من أنها قد استحوذت على انتباههما الكامل" .لقد أتيت بكما إلى داري اليوم لأقول، وجهًا لوجه، ما يجب أن يُقال. وبكل بساطة... أنا آسفة. فباسم حكومة الولايات المتحدة، أود أن أقدم اعتذاري. لقد أُنشئت سفاراتنا لحماية المواطنين الأمريكيين والمصالح الأمريكية في الخارج. وبصفتي سفيرة، أديت قسمًا على فعل ذلك تمامًا، وأنا آخذ هذا القسم على محمل الجد. يؤسفني أن أبلغكما أنه قبل عدة أيام، وفي سبيل الوفاء بذلك القسم لحماية المصالح الأمريكية، صدر إليّ أمر بتسهيل وضع جهاز تنصت صوتي في غرفتكما بالفندق".

"إذن، هذا هو الأمر"، هكذا حدث لانغدون نفسه وهو في ذهول، وقد استدعى إلى ذاكرته صورة باقة الزنابق والبطاقة المكتوبة بخط اليد من السفيرة. "لقد صدقت ظنوني. لم تكن المرأة على جسر تشارلز نذير شؤم، بل كانت ضربًا من أداء تمثيلي غريب ردًا على امرئٍ استرق السمع لحلم كاثرين .ولكن لمَ كل هذا؟"!

قالت السفيرة" :لقد جاء أمر المراقبة ممن هم أعلى مني رتبة، وقد امتثلت له. افترضت أنه من أجل حمايتكما، ولم يكن لدي أدنى فكرة أن المعلومات المستقاة ستُستخدم بطريقة تعرضكما للخطر. كان ذلك أمرًا لا عذر له، وأنا أتحمل مسؤوليته كاملة".

رمقت كاثرين لانغدون بنظرة وقد ارتسم السخط على وجهها. ثم صاحت مطالبة، دون أن تكلف نفسها عناء إخفاء غضبها" :إذن، لقد زرعتِ جهاز تنصت في غرفتنا بالفندق؟"

أجابت السفيرة وقد تصلبت نبرتها" :قبل أن يغمرك السخط، تذكري أننا نعيش في أزمنة خطرة. وأؤكد لك أنه لا أحد يهتم بعاداتكما في غرفة النوم أو بأحاديثكما الخاصة. لقد وُضع جهاز المراقبة ذاك باسم الأمن القومي".

قال لانغدون بهدوء قدر المستطاع" :مع كل الاحترام، يا صاحبة السعادة السفيرة، هل نبدو لكما كتهديد للأمن القومي؟"

ردت عليه في الحال" :ومع كل الاحترام، يا بروفيسور، إن كنت تظن أن تهديدات الأمن القومي لها مظهر يميزها، فأنت أكثر سذاجة مما يوحي به تاريخك المهني. أنا أقدم لكما اعتذارًا وبعض الشفافية حول ما حدث لكما هذا الصباح، وأقترح عليكما أن تتعاونا معي. إن وقتنا قصير، وهناك جوانب في وضعكما تحتاجان بشدة إلى فهمها".

لم يذكر لانغدون أنه قد وُبّخ قط بمثل هذا الإيجاز" .مفهوم. تفضلي... واصلي".

قالت ناغل" :أولًا، أنا على علم، يا دكتورة 'سولومون'، بأنك قد ألفتِ كتابًا سيُنشر قريبًا. وما يجب أن تفهميه هو أن هناك كيانات قوية تعتقد أن هذا الكتاب، إن نُشر، سيشكل خطرًا كبيرًا على الأمن القومي".

صاحت كاثرين" :وكيف ذلك؟ إنه كتاب عن الوعي البشري"!

هزت السفيرة كتفيها" .ليست هذه بالمعلومات التي أُطلعت عليها. بيد أن الرجل الذي يملك تلك المعلومات سيصل إلى 'براغ' قريبًا للحديث معكما".

ذُهل لانغدون" .للحديث معنا، أم لاستجوابنا؟"

أجابت ناغل ونظراتها ثابتة" :قليل من هذا وذاك، على ما أظن. أنا ملتزمة بحمايتكما، ولكن سلطتي محدودة".

سألت كاثرين" :وإلى أي حد يمكن أن تكون محدودة؟ أنت سفيرة الولايات المتحدة".

ضحكت هايدي ناغل ضحكة متعبة" .يأتي الدبلوماسيون ويذهبون، يا دكتورة 'سولومون'. أما القوى الدائمة في الحكومة فهي التي تتخذ القرارات الحقيقية، ويؤسفني أن أبلغك أن تلك هي القوى التي تتعاملين معها".

خطرت بباله عدة تخمينات، وشعر بتوتر متزايد" .لقد مُنعت من مناقشة أي أمر أكثر تحديدًا دون تقديم هاتين الوثيقتين ".انحنت وقلبت الصفحتين اللتين وضعتهما على منضدة القهوة، ودفعت بصفحة أمام كل منهما ومعها القلم" .اتفاقية عدم إفصاح معتادة، تعهد بالحفاظ على سرية المحادثة التي ستجريانها قريبًا مع الرجل الذي سيصل بعد قليل. حالما توقعان على هاتين، يمكنني أن أطلعكما على كل ما أعرفه".

"اتفاقية عدم إفصاح من صفحة واحدة؟" هكذا حدث لانغدون نفسه. "ومنذ متى كان المحامون ينجزون أمرًا في صفحة يتيمة؟" لم يكن لانغدون محاميًا، لكنه خمن أن اتفاقية بهذا الإيجاز لا بد أن تكون استبعادًا شاملًا لجميع الموضوعات التي ستُناقش. تعتيم كامل. وكان هناك أيضًا تلك المصادفة الغريبة المتمثلة في أن غيسنر قد طلب منهما أيضًا التوقيع على اتفاقية عدم إفصاح.

مدت كاثرين يدها إلى الوثيقة، لكن لانغدون، دون أن يرفع عينيه عن السفيرة، وضع يده بهدوء على معصم كاثرين فأوقفها" .يا صاحبة السعادة السفيرة، لما كان هذا الموقف يتعلق بوضوح بكتاب 'كاثرين'، فإنه لا يسعها أن توقع على هذه الوثائق قبل أن تتحدث إلى محامٍ، أو على الأقل إلى محررها. لو أمكننا استخدام الهاتف بسرعة، فرب"...

قاطعته قائلة" :إنه لطلب معقول، ولكني عاجزة عن تلبيته. فإن الرجل الذي سيأتي للحديث معكما قد أصدر إليّ أمرًا قاطعًا يمنع أي اتصال بالعالم الخارجي حتى تُوقعا على اتفاقيتي عدم الإفصاح ويتحدث إليكما".

سألت كاثرين" :ومن هو هذا الرجل؟"

"يُدعى السيد 'فينش'، وهاتان اتفاقيتاه. لكما حرية قراءتهما بالطبع".

قال لانغدون" :لا داعي. أخمّن أنها تنص على أن أي شيء نناقشه في اجتماعنا لا يجوز إفشاؤه خارج هذه الغرفة أبدًا".

أومأت ناغل برأسها، وقد بدا عليها نفاد الصبر" .تلك هي الغاية عادة من اتفاقيات عدم الإفصاح".

قال لانغدون" :أيًا كان السيد 'فينش' هذا، فإذا كان لا يسمح لنا حتى باستخدام الهاتف، فآمل أن تتفهمي سبب صعوبة ثقتنا العمياء بهذا الطلب. أعتقد أنه من الأفضل أن نعود أنا و'كاثرين' إلى فندقنا الآن".

بدت كاثرين مذهولة من هذا التعليق، وكذلك السفيرة ناغل التي بدأ قناعها الدبلوماسي يتشقق. أعلنت ناغل بحدة" :إن كنتما ترغبان حقًا في المغادرة، فليس لدي السلطة أو الرغبة في احتجازكما ضد إرادتكما، ولكني لا أعتقد أن المغادرة في مصلحتكما ".صمتت، وثبتت عينيها في عيني لانغدون .

"ولأكن صريحة معك، لست على يقين من أنكم في مأمن تام هناك في الخارج".

رد لانغدون الصاع صاعين" :ولأكن صريحًا بالقدر نفسه، لست على يقين من أننا نشعر بالأمان التام هنا في الداخل أيضًا".

كانت تعابير ناغل الآن مزيجًا من الحيرة والسخط" .يا بروفيسور، كنت آمل أن اعترافي بزرع جهاز تنصت في غرفتكما بالفندق قد أكسبني بعضًا من حسن النية والثقة، ولكن في ضوء"...

وإذ برنين أجوف يصدر من هاتف ناغل فيقطع سكون الجو. سحبت الجهاز بامتعاض وقرأت الرسالة الواردة. تبدلت ملامحها من الانزعاج إلى رعب سافر. شهقت وغطت فمها، ونهضت واقفة وعيناها متسعتان من هول الصدمة.

تلعثمت قائلة وهي تستند إلى الطاولة" :أنا... آسفة جدًا. سأحتاج إلى عشر دقائق. هذه الرسالة... أنا آسفة ".وبهذا، هرعت السفيرة خارجة من الباب، وتردد صدى خطواتها السريعة في الردهة الرخامية وهي تبتعد.

بدت كاثرين قلقة" .لا أعتقد أن ذلك كان تمثيلًا".

كان لدى لانغدون الانطباع نفسه، على الرغم من أن السياسة والتمثيل كانا أكثر ارتباطًا مما يحب أي شخص أن يعترف.

عاتبته كاثرين، وقد فوجئت بوضوح بمقاومة لانغدون للتوقيع على الوثائق : "لقد كنت فظًا معها يا 'روبرت'. ففي النهاية، كانت وجهة نظرها معقولة، لقد أخبرتنا بشأن جهاز المراقبة".

"نفس الجهاز الذي أخبرتك عنه بينما كنا في سيارة السفيرة. أظن أن السفيرة، أو ربما السيد 'فينش'، استرق السمع لتلك المحادثة وأدرك أنه لا خيار أمامه سوى إخبارنا بما نعرفه بالفعل. لا بد لي من الاعتراف بأنها كانت محاولة ذكية لكسب ثقتنا".

انفرجت شفتا كاثرين عن امتعاض رفيع" .يا إلهي، هل تعتقد حقًا أنها زرعت جهاز تنصت في سيارتها الخاصة؟ لقد تحدثنا أنا وأنت عن... الكثير".

أجاب لانغدون وهو يلتقط إحدى الوثيقتين" :كل ما أعرفه هو أن اتفاقيات عدم الإفصاح هذه فخ ".تفحص النص، مؤكدًا شكوكه" .هذا ينص أساسًا على أن أي شيء نناقشه مع السيد 'فينش' يُصنف على الفور سريًا. كل ما على هذا الرجل فعله هو ذكر موضوعات في كتابك تثير قلقه، ولن يكون بوسعك أبدًا أن تتحدثي أو تكتبي عنها مرة أخرى. وستُمنعين قانونًا من نشر هذا الكتاب. إلى الأبد".

"هل يمكنهم فعل ذلك؟"!

"بالطبع، إن وقعتِ على هذه الورقة ".كان للانغدون صديق ألف رواية مثيرة عن شركة تكنولوجيا كبرى، ليُمنع من نشرها لأنه وقع على "اتفاقية عدم إفصاح معتادة" قبل أن يقوم بجولة في مكاتب الشركة.

قالت كاثرين وهي تحدق في الفراغ" :حسنًا... تجيب اتفاقية عدم الإفصاح هذه على سؤال ظل يراودني طوال اليوم".

"وأي سؤال هو؟"

التفتت إليه" .يا 'روبرت'، عندما علمت أن شخصًا ما يحاول تدمير جميع نسخ مخطوطتي، ظللت أتساءل لماذا لم يقلقوا من أنني سأعيد كتابة الكتاب ببساطة. الآن عرفنا السبب. لقد ظنوا أنه لن يُسمح لي بذلك".

قال لانغدون" :بالضبط. ولا يروق لي أننا في مقر إقامة خاص بدلًا من سفارة الولايات المتحدة ".أشار من النافذة نحو الأسوار الأمنية العالية المحيطة بالمكان" .فكري في الأمر. لا مخرج لنا، ولا يمكننا استخدام الهاتف، ورجل غريب قادم للحديث معنا. هنا؟ في منزل خاص؟ شخص يمكنه أن يأمر سفيرة للولايات المتحدة بزرع أجهزة تنصت؟"

نادرًا ما كانت عينا كاثرين البنيتان المعبرتان تومضان بالخوف، ولكن كان فيهما بالتأكيد قلق الآن. قالت" :ما يخيفني هو أن لا أحد يعرف أننا هنا. ونحن لا نعرف حتى ما إذا كان 'جوناس' آمنًا".

نهض لانغدون" .ولهذا السبب سأصطاد هذين العصفورين بهاتف واحد".

رمقته بنظرة غريبة" .أتقصد 'بحجر'؟"

"لا، بل أعني بهاتف".

سار لانغدون نحو المقعد المريح العتيق، الذي لاحظ أن وسادته الجلدية قد انخفضت بعمق من كثرة الاستخدام" .قالت إن هذه المكتبة هي أكثر الغرف خصوصية في المنزل... ومن هنا تجري جميع مكالماتها. فأين هاتفها؟"

قالت كاثرين" :لديها هاتف محمول".

هز لانغدون رأسه" .أخبرني ملحقها القانوني أن الخطوط الأرضية مطلوبة لجميع الأعمال الرسمية".

جلس لانغدون في الكرسي الجلدي البالي، وجال بنظره حوله، متفحصًا طاولته الجانبية غير العادية، وهي عمود مثمن الأضلاع كان تصميمه الفريد على طراز الفنون الجميلة شائعًا في أواخر القرن التاسع عشر أثناء حظر الكحوليات. أمسك بحافة سطح الطاولة، ثم رفعه. فانفتح السطح بمفصلة

كاشفًا عن تجويف في داخله. وكما تخيل لانغدون، لم تكن هذه الخزانة تحتوي على كحول مخبأ، بل على هاتف السفيرة السلكي.

مد يده إلى الداخل، ورفعه، ووضع الهاتف على حجره.

قالت كاثرين" :أمرك عجيب".

"مجرد حدس حالفه التوفيق ".رفع لانغدون السماعة إلى أذنه، فسمع نغمة الاتصال.

نظرت إليه كاثرين بحذر" .هل تعتقد حقًا أنه يجب عليك استخدام ذلك الهاتف؟"

أجاب وهو يطلب الرقم" :ولِمَ لا؟ ربما يكون أكثر الخطوط أمانًا في البلاد".

الفصل السابع والسبعون

وقد استمد جوناس فوكمان من جرعة الإسبريسو المزدوجة نشاطا، فغادر طابق نشر كتب الأطفال وعاد إلى مكتبه وفي ذهنه مهمة جلية، أن يكشف على وجه الدقة عن السبب الذي من أجله قُرصنت مخطوطة كاثرين، ولا سيما على يد كيان رهيب كهذا. وقد التحق به أليكس كونان، متلهفا على العون – على الأقل إلى أن يستدعيه رئيسه لتلك المساءلة التي لا مفر منها.

جلس فوكمان إلى حاسوبه المكتبي، وجلس الخبير التقني قبالته وقد فتح حاسوبه المحمول. وما إن شرعا في العمل حتى مزق صمتهما الرنين الحاد لهاتف مكتب فوكمان.

مكالمة عمل في الساعة الخامسة والربع فجرا؟ تساءل فوكمان .وحينما رأى أن هوية المتصل من مقسم أوروبي، وثب نحو الهاتف وضغط على زر مكبر الصوت" .أهلا؟"!

"جوناس "!انطلق في أرجاء الغرفة صوت روبرت لانغدون الأجش المألوف مشوبا ببعض الخشخشة" .الحمد لله أنك سالم! لقد حاولت الاتصال بك على هاتفك المحمول ورقم منزلك. ما الذي تفعله في مكتبك في هذا الوقت المبكر؟"!

"يا إلهي، روبرت "...أخذ قلب فوكمان يخفق بقوة" .لقد ظننا أنك"...

"أعلم ما بلغكم، "قال لانغدون، "لقد أخبرتني كاثرين، ولكن ما غرق هو هاتفي فحسب، لا أنا".

"كاثرين معك؟"

"أجل، وكلانا قد ارتاح لسماع صوتك. فآخر ما وصل إلينا هو أنك كنت مفقودا".

قال فوكمان" :تلك قصة يطول شرحها، نرويها في لقاء أصفى. وكما تعلم على الأرجح، فإن مخطوطة كاثرين قد ضاعت. لقد تعرضنا للقرصنة، وحُذفت مباشرة من نظام".PRH

"لقد سمعت. فهل من سبيل لاستعادة نسخة احتياطية من الخادم؟"

ألقى فوكمان نظرة على أليكس، الذي كان يهز رأسه نفيا.

أجاب فوكمان في نبرة خلت من كل أمل" :لقد مُسحت عن بكرة أبيها. لا أدري ما أقول".

تنهد لانغدون" .ليتهم حذفوا كتابي الأخير بدلا منها".

***قاسية ولكنها الحقيقة*، فكر فوكمان .إن كتاب لانغدون الأخير – الرموز والسيمياء وتطور اللغة –قد نال استحسانا بالغا من النقاد، ولكنه لم يجد**

له جمهورا خارج الأوساط الأكاديمية" .لقد قيل لي إن كاثرين طبعت نسخة ورقية من مخطوطتها. أهذا صحيح؟"

"أجل... ولكن تلك النسخة ضاعت هي الأخرى".

أخذ فوكمان نفسا عميقا" .حسنا، فلنركز على الأهم – أنتما الاثنان بأمان. ويمكننا أن نهتم بأمر الكتاب لاحقا".

قال لانغدون" :حسنا، ولهذا السبب أتصل. في الحقيقة لست واثقا من أننا بأمان. نحن مع سفيرة الولايات المتحدة في مقر إقامتها الخاص، ولكن الوضع غريب. بل إنه ليس من المفترض بي أن أتصل"–

"انتظر! أنت مع السفيرة الأمريكية؟ "!حاول فوكمان ألا يبدو عليه الهلع . "روبرت، أنصحك بتوخي أقصى درجات الحذر في الثقة بأي شخص في حكومتنا. لقد تتبع خبيرنا التقني هنا قراصنة PRH وصولا إلى منظمة بالغة القوة ".وتذكر ذلك الاسم الغريب ذا الواصلة الذي كان أليكس قد طبعه في وقت سابق في مركز أمن " .PRHاسم المنظمة هو-In-Q-Tel."

"لم أسمع بهم قط".

"ولا أنا. فمن كل ما استطعت جمعه من معلومات، هم شركة رأس مال مخاطر ممولة تمويلا هائلا، تطور تقنيات متقدمة، معظمها بعيدا عن الأنظار، فلا عجب إذن أنك لا تعرف من هم".

اعترض لانغدون" :ولكن هذا لا يستقيم. إن شركات رأس المال المخاطر لا تستأجر قراصنة وعملاء ميدانيين".

"أعتقد أن هذه الشركة تفعل. قد لا تكون سمعت ب**In–Q–Tel** ، ولكنك بالتأكيد سمعت بالمنظمة الأم التي تتبعها".

"ومن هي؟"

تنهد فوكمان بعمق" .مجموعة صغيرة تدعى".**CIA**

ساد الصمت على الخط.

أعلم، فكر فوكمان، مسترجعا ردة فعله المذهولة. وواصل حديثه" :إليك كل ما أعرفه. إن **CIA** تملك وتشغل **In–Q–Tel** كشركة رأس مال مخاطر خاصة لتستثمر في الخفاء في التقنيات المتعلقة بالأمن القومي. وهم يسيطرون على مئات من براءات الاختراع عالية التقنية، فضلا عن حصص الأغلبية في بعض أجرأ شركات التكنولوجيا الجديدة ".التفت المحرر عائدا إلى حاسوبه، فاتحا الشاشة التي كان يقرؤها للتو" .إن منتقديهم –

ومعظمهم في شركات الاستثمار المنافسة – يشكون باستمرار من أن انتساب In–Q–Tel إلى جهاز المخابرات الأمريكي يمنحهم، وأنا أقتبس، 'مرونة مقلقة في طريقة سعيهم لتحقيق أهدافهم'. وشيء ما يخبرني أننا قد شهدنا بعضا من تلك المرونة هذه الليلة".

همس لانغدون بصوت مهزوز" :لا يصدق. من يدري لمَ قد تستهدف CIA كتاب كاثرين، ولكن بالنظر إلى كل ما حدث، فإن بصماتهم تبدو واضحة في كل ما جرى"–

"لا بد أنك تمزح "!صاح أليكس، وهو يلوح بجنون ويدير حاسوبه المحمول ليرى فوكمان الشاشة" .انظر إلى هذا"!

عرض الحاسوب المحمول صفحة من ويكيبيديا، التي كان أليكس قد فتحها على ما يبدو بعد سماعه لانغدون يذكر السفيرة.

ويكيبيديا:

هايدي ناجل :سفيرة الولايات المتحدة لدى جمهورية التشيك:

امتد التعريف لعدة صفحات، وقد تناثرت فيه سلسلة من العبارات التي وُضع تحتها خط، لتؤكد نتائج البحث في الوثيقة الذي أجراه أليكس للتو.

...عينت CIA ناجل مباشرة بعد تخرجها من كلية الحقوق بجامعة NYU...

...الإشراف على المستشار القانوني لسياسات ...CIA

...رُقيت إلى منصب المستشار العام لـ CIA لتقديم المشورة لمدير الوكالة...

...تقاعدت من CIA لتشغل منصب سفيرة...

همس فوكمان في الهاتف" :يا للهول، روبرت... اخرج من ذلك المنزل! حالا"!

الفصل الثامن والسبعون

في الطابق العلوي، وفي رحاب حمامها الفسيح، قبضت السفيرة ناغل بكلتا يديها على حافتي المغسلة الرخامية، ثم انحنت وقد قذفت ما في جوفها. لم تكن الرسالة النصية التي وردتها للتو من دانا تتجاوز أربع كلمات.

"ساشا قد رحلت. وهاريس قد مات".

انتابها الرعب، فاستأذنت على الفور واتصلت بدانا التي راحت تحدثها بصوت متقطع يخنقه البكاء، وتصف لها آخر المستجدات في جزع وارتباك. يبدو أن دانا ومرافقها من المارينز قد وجدا شقة ساشا غير موصدة. ولج كيربل ليتأكد من أن كل شيء على ما يرام، فإذا به يفاجأ بجثة ملقاة على أرضية الرواق.

كانت جثة مايكل هاريس المخنوقة.

ولم يكن هناك أي أثر لساشا فيسنا أو لأي شخص آخر.

وعلى الرغم من موجات الانفعال التي اعترتها، حافظت ناغل على رباطة جأشها ما يكفي لإصدار أوامرها لكيربل بتأمين الشقة واستدعاء فريق من خبراء الأدلة الجنائية لنقل الجثة. "ولتتكتموا على هذا الأمر!" فآخر ما

كانت ناغل تحتاجه هو أن تضج الصحف بعناوين عن مقتل مسؤول قنصلي على أرض أجنبية. ليس اليوم.

وأيًا كان ما جرى في تلك الشقة، فإن أولى أولوياتها كانت موظفها .مايكل . شعرت ناغل بالغثيان. "إن دمه في عنقي". حدقت الآن في مرآة حمامها، وقد أثقل كاهلها الشعور بالذنب والندم... ليس على مايكل فحسب، بل على كل ما حدث في السنوات الثلاث الماضية منذ قدومها إلى براغ...

وخلافًا لكثير من السفراء الذين نالوا مناصبهم المرموقة لقاء تبرعهم بثروة صغيرة للمرشح الرئاسي الفائز، لم تكن هايدي ناغل إلا في المكان المناسب في الوقت المناسب.

أو في المكان الخطأ، كما تبين فيما بعد.

قبل عدة سنوات، وأثناء توليها منصب المستشار العام لوكالة المخابرات المركزية **CIA**، فُقد ملف مهم من الوثائق السرية، إلى أن اقتحمت فرقة عمل تابعة للوكالة منزلها وعثرت على الملف مدفونًا في درج مكتب. ولم يكن من المستغرب أن تُقتاد ناغل إلى الطابق العلوي من مقر لانغلي للقاء سيد الوكالة الأوحد.

كان مدير وكالة المخابرات المركزية، غريغوري جود، عضوًا سابقًا في مجلس الشيوخ، ذا سلوك هادئ متزن، على الرغم من سمعته بأنه لا يتسامح مطلقًا

مع أي شيء دون الكمال. ولقد كان زبانية وكالة المخابرات المركزية يتناقلون فيما بينهم أن جاد يعرف أين دُفنت جميع الجثث، لأنه هو من دفن الكثير منها بيديه.

وما إن ولجت مكتبه حتى بادرها بسؤاله الصارم" :أهو إهمال جسيم أم خيانة؟"

أجابت بصدق" :لقد كان خطأ مرده الإهمال، يا سيدي. لا بد أن ذلك الملف قد اختلط بأوراق عملي. لم تكن لدي أدنى فكرة أنه كان بحوزتي أصلًا".

تفرس فيها المدير مليًا" .أميل إلى تصديقك، ولكن من الواضح أنه لم يعد بإمكانك الاستمرار في منصبك كمستشار عام حتى نتبين كيف أمكن لمثل هذا أن يحدث. سأضعك في إجازة مفتوحة وسأحيل هذا الأمر إلى المفتش العام لإجراء تحقيق".

"سيدي، أنا حقًا"...

أعلن بصوت قاطع وعينين لا تلينان" :يسري هذا القرار فورًا. إنها هدية يا سيدة 'ناغل'، وأنصحك بشدة بقبولها قبل أن أغير رأيي".

بعد أسبوع، كانت هايدي ناغل لا تزال في منزلها، يقتلها الملل ويخنقها هذا الفراغ المهني الموحش. كان أطفالها قد كبروا منذ زمن بعيد، وبدت "شقتها الفاخرة" التي انتقلت إليها بعد طلاقها فارغة وكئيبة، وإن لم تكن قد لاحظت ذلك من قبل لأنها كانت تقضي معظم ساعات يقظتها في العمل.

"لقد انتهت حياتي"، أدركت في نفسها. "لقد أصبحت بضاعة كاسدة".

كانت ناغل في الثالثة والستين من عمرها، أصغر من أن تتقاعد وطموحها لا يزال متقدًا، وأكبر من أن تفتح مكتب محاماة وتبدأ من جديد. تساءلت ماذا عساها أن تفعل بنفسها. أتنضم إلى نوادي قراءة الكتب؟ أم تجرب المواعدة عبر الإنترنت؟ بدا لها كل ذلك ضربًا من الجحيم.

ثم جاءتها مكالمة لم تكن في الحسبان.

اتصل بها المدير بعد أسبوعين في بادرة نادرة من الندم" .أشعر بالأسف لما آلت إليه الأمور يا 'هايدي'، وآمل أن أتمكن من تصحيح الوضع".

"هذا محال"، فكرت.

قال لها جود" :كما تعلمين، فإن الرئيس المنتخب وأنا صديقان حميمان منذ أيام الدراسة الإعدادية. لقد اتصل بي هذا الصباح يطلب مشورتي بشأن شغل بعض المناصب الرئيسة، بما في ذلك منصب سفير الولايات المتحدة

لدى جمهورية التشيك. أخبرته أنه بالنظر إلى الاضطرابات المتزايدة في المنطقة، فإنه يحتاج إلى سفير ذي معرفة راسخة بالقانون الدولي وخبرة في مجتمع الاستخبارات. بكلمة واحدة، أنت".

صُعقت ناغل" .أوَأصبحت شبكة الصبية الكبار تجند الآن العجائز من النساء؟"

لم يكن القرار بحاجة إلى تفكير. بعد أربعة أشهر، أُرسلت البيانات الصحفية، ووجدت هايدي ناغل نفسها تقيم في مقر إقامة السفير المذهل في براغ، وتشرف على طاقم سفارة موهوب، وتقوم بعمل ذي معنى. وأفضل ما في الأمر أنها كلما لمحت القلعة، شعرت وكأنها تعيش في قصة من قصص الخيال.

ثم، في ليلة واحدة، تغير كل شيء.

بعد شهر من توليها منصبها الجديد، اتصل بها المدير جاد للاطمئنان عليها، وبعد حديث مقتضب، قدم طلبًا غير مألوف" .هايدي'، أود أن تتناولي العشاء مع زميل لي يعمل الآن في أوروبا".

قالت" :بالطبع يا سيدي"، وشعرت أن هذا هو أقل ما يمكنها فعله للرجل الذي أنقذ حياتها عمليًا" .ومن هو؟"

"موظف جديد في المكتب الأوروبي لشركة".'In-Q-Tel'

Q"؟" فكرت، وقد ساورها شيء من القلق.

لم تكن غريبة على شركة - In-Q-Telأو "Q" كما يسميها جواسيس الوكالة – وهي الذراع الاستثماري السري لوكالة المخابرات المركزية. كان فريقها الغامض من الممولين يستحوذ على حصص ضخمة في التقنيات التي يرونها ذات صلة بمصالح الوكالة والأمن القومي، بدءًا من آليات التجفيف الحيوي لشركة Biomatrica، إلى الإلكترونيات المجهرية لشركة Nanosys، وصولًا إلى الحوسبة الكمومية لشركة D-Wave.

أكثر من مرة، بصفتها مستشارة لوكالة المخابرات المركزية، كانت ناغل قد أشارت على المدير في قضايا قانونية تتعلق بـ"أساليب الاستثمار الإبداعية" و"طرق حماية الأصول" التي تتبعها In-Q-Tel، ولكن نادرًا ما كان يتم كبح جماح هذه المجموعة.

"لماذا يأتي شخص من Q إلى براغ؟" حارت ناغل في أن تكون شركة استثمار في التكنولوجيا المتقدمة مهتمة ببراغ، مدينة العالم القديم. لقد كانت أرض صيدهم المعتادة هي وادي السيليكون.

في ليلة الاجتماع، وصلت السفيرة ناغل مبكرًا إلى المطعم الذي اختارته، كودا، وهو مكان محلي متحفظ يقدم مأكولات تشيكية فاخرة. ولدهشتها، كان الرجل الذي تنتظره جالسًا بالفعل. كان رجلًا نحيلًا، يرتدي ملابس رسمية، ربما في منتصف السبعينيات من عمره، ذا خصلة كثيفة من الشعر الفضي. كان يصقل نظارته وهي تقترب من الطاولة.

"رجل أرقام"، قررت في نفسها.

لم يكن ظن ناغل ليبعد عن الحقيقة أكثر من ذلك. فقد تبين أن هذا الرجل هو إيفريت فينش، المدير الأسطوري الذي قضى عمرًا طويلًا في إدارة العلوم والتكنولوجيا بوكالة المخابرات المركزية. كان فريق فينش في هذه الإدارة، جنبًا إلى جنب مع فرق الإدارات الثلاث الأخرى – الإدارة، والعمليات، والاستخبارات – يشكلون الأركان الأربعة لوكالة المخابرات المركزية.

"لقد نقلوا فينش إلى **In-Q-Tel**؟ في أوروبا؟"

كان التفسير المنطقي الوحيد الذي خطر ببال ناغل هو أن المدير جاد أراد خبرة فينش في أوروبا لسبب سري ما... فوضعه هنا بهدوء بعيدًا عن الأنظار.

وصل النادل، وقدم لهما طبقًا من المقبلات، كوبين صغيرين من حساء الفطر التشيكي الرقيق يسمى كولايدا .أفرغ السيد فينش كوبه، ومسح شفتيه بمنديل، ثم مال عبر الطاولة.

قال متجاهلًا لقبها الرسمي'" :هايدي'... أثق أنك تستمتعين بمنصبك كسفيرة هنا؟"

أجابت بحذر" :أجل، أفعل".

"ممتاز ".ارتسمت على شفتيه ابتسامة متكلفة" .أعتقد أن الوقت قد حان لتعرفي السبب الحقيقي لوضعك في 'براغ".'

في تلك الليلة، ماتت سذاجتها الغريرة، ودُفنت إلى الأبد نظرتها الحالمة إلى مصادفات الأقدار السعيدة التي ساقتها إلى براغ.

"لقد دُبّر وجودي هنا تدبيرًا".

لقد وضعت شبكة الصبية الكبار بيدقًا أنثويًا في موقع سلطة كانوا بحاجة إليها فيه، ومنذ ذلك الحين وقعت ناغل في الفخ. وعلمت في النهاية ما كان ينبغي أن يكون واضحًا منذ البداية، وهو أن فينش هو من دبر فصلها من وكالة المخابرات المركزية، وزرع الوثائق في منزلها.

وعندما واجهته ناغل بغضب بشأن هذا الأمر، كان رده تقشعر له الأبدان. فدون أن يبدي أي انفعال، أخرج فينش صورًا من الوثائق السرية التي زُعم أنها كانت بحوزتها في منزلها، وأبلغها أنه إذا ظهرت هذه النسخ في أيدي عملاء أجانب، فإن ادعاءاتها بـ"الخطأ البريء" ستُعتبر على الفور خيانة.

هددت ناغل بالاتصال بمدير وكالة المخابرات المركزية جود، لكن السيد فينش لم يفعل سوى أن شجعها على ذلك، وأخبرها أن كلًا من جاد والرئيس على علم بالخطة، وأن اتصالها بهما لن يؤدي إلا إلى تأكيد أنها تلعب في ملعب الكبار دون حلفاء.

"أنا دمية في أيديهم".

ربما كان فينش يراوغ، لكن لم يكن بوسع ناغل أن تخاطر بكشف مراوغة رجال مثل رئيس الولايات المتحدة ومدير وكالة المخابرات المركزية، لا سيما مع وجود تهمة الخيانة العظمى تلوح في الأفق... ناهيك عن مشروع استخباراتي سري للغاية.

"هكذا يختفي الناس".

ومنذ تلك اللحظة، مقتت ناغل فينش ...وأطاعته.

والآن، وهي تقف وحيدة عند مغسلة حمامها، مضمضت السفيرة ناغل فمها وحدقت في عينيها المتعبتين.

"لقد مات مايكل هاريس".

قالت بصوت عالٍ" :كفى".

لقد تمادى فينش كثيرًا... أبعد مما ينبغي.

لأكثر من عامين، كانت ناغل تبحث عن أي مخرج من سجنها، لكن فينش لم يترك لها أدنى ثغرة.

حتى هذه اللحظة.

الفصل التاسع والسبعون

شعر الجولم بالحياة تدب في أوصاله وهو يترقب اللحظة التي سيقترب فيها من حصن كروسيفيكس .ففيما يبدو للعيان، أمسى مختبر غيسنر القابع على قمة التل خاليا على عروشه، مما يعني أنه سيتمكن أخيرا من استرداد ما فاته الظفر به في صبيحة هذا اليوم.

هذه المرة، لن يحول بيني وبينه حائل.

كانت بطاقة مفتاح غيسنر ذات تعريف التردد اللاسلكي (*RFID*) مدسوسة في جيبه بأمان، وقدّر أنه لن يحتاج إلى أكثر من ثلاث دقائق ليحصل على العنصر الوحيد المتبقي الذي يبتغيه. ثم يغادر المختبر قاصدا وجهته الأخيرة.

العتبة.

التي سأجعلها دكا.

وبينما كان يخطو نحو مدخل الحصن المحطم، استدعى كلمات سلفه الأسطوري – جولم براغ.

ما من سبيلين إلا سبيلان... الحقيقة أو الموت.

وقد اختار الجولم كليهما.

اكشفِ الحقيقة.

وتجرعِ الموت.

لقد ذاق الجولم الموت مرات لا تحصى، ولكن الموت لم يكن قط نهاية المطاف. فخلافا للجولم القديم الذي كان موته خاتمة أمره، كان الجولم هذا يتقمص هذا الجسد ويتخلى عنه كيفما أراد.

أنا صانع نفسي. وسأظل أبدا سيد أمري.

وكلما محا حرف "الألف" العبري من على جبهته – ليتحول "الحق" إلى "موت" –كان الجولم يموت... ولكن عن الأنظار فحسب. كان يغدو غير مرئي. فتذوب قشرته الخارجية الجسيمة، ويتحول الوحش إلى... واحد منهم. لا يسترعي انتباها. ولا يثير ريبة. وقوته الباطنة مستترة.

لا تستطيعون رؤيتي، ولكني ما أزال هنا... أرعاها بعيني التي لا تنام.

وعلى الرغم من العقبات غير المتوقعة التي اعترضت طريقه هذا الصباح، فقد أحسن الجولم التدبير، فحمى الأبرياء... وأهلك المذنبين. والآن قد حان الأوان ليتم ما بدأه.

وما إن وِلج من مدخل مختبر غيسنر، حتى سره أن وجد البهو الأنيق مقفرا. كان بئر السلم المؤدي إلى المختبر أمامه مؤمنا بلوحة أمنية تعتمد على

القياسات الحيوية، ولكن بصمة الإصبع لن تشكل عائقا؛ فقد أتاحت له ساشا سبل الوصول إليه منذ زمن بعيد دون أن تدري.

تحرك الجولم عبر الردهة نحو اللوحة الأمنية، وأخذت جزمتاه الضخمتان تصدران صريرا مدويا تحت وقع خطواته على الزجاج المهشم الذي يغطي الأرضية. ودوى الصوت في أرجاء المكان الرخامي.

وبعد لحظة، سمع الجولم صوتا ثانيا، آتيا من آخر البهو. لقد كان صوت طقطقة مميزة لسلاح يُعد للإطلاق.

كانت الضابطة الميدانية هاوسمور، وقد أضناها السهر حتى كادت تهذي، قد صبت لنفسها فنجانا من القهوة وجلست عند نافذة الحصن تتأمل المناظر البانورامية لقلعة براغ، التي تربض في سكون عن بعد. وبينما كانت تسترسل في أحلام يقظتها الهانئة، انتشلها من شرودها صوت مفاجئ في البهو، فهبت واقفة وبادرت غريزيا إلى تلقيم سلاحها.

والآن، وقد استنفرت حواسها، تحركت هاوسمور نحو المدخل، وسلاحها في أهبة الاستعداد. لقد أمرها فينش بتأمين هذا المبنى، ورغم أنه وعدها بالدعم، فقد علمت أنه من السابق لأوانه أن يكون قد وصل. ومن المؤكد أن أي دعم عسكري مدرب كان سيعلن عن وجوده قبل الدخول.

ثمة شخص آخر هنا...

وبينما كانت هاوسمور تتسلل خلسة حول زاوية البهو، رأت شخصا مقنعا يرتدي عباءة سوداء. كان يدفع بقوة الباب المعدني لبئر سلم المختبر.

صاحت هاوسمور وهي تعدو نحوه" :قف! قفي مكانك"!

تجاهلها الرجل، وانسل بسرعة عبر الباب بينما أطلقت هاوسمور النار.

دوت الرصاصة وهي ترتطم بالباب المصفح، وقد أخطأته بفارق ضئيل.

ركضت إلى الأمام، لكنها وصلت في اللحظة التي أُحكم فيها إغلاق الباب من جديد، فحبسها في الخارج.

ألصقت هاوسمور وجهها بالنافذة الصغيرة المقواة وألقت نظرة خاطفة على بئر السلم. وفي الحال، تسمرت في مكانها. كان الشخص المقنع يحدق فيها... على بعد بضع بوصات فقط من الجانب الآخر للزجاج. كان وجهه من طين، كأديم القمر، وعلى جبهته رموز منقوشة. درستها عيناه الجليديتان للحظة، وكأنه يحفظ ملامحها، ثم استدار وهرول نازلا على الدرج، وعباءته تخفق من ورائه وهو يغيب عن الأنظار.

تراجعت هاوسمور إلى الوراء، مستجمعة شتات نفسها.

من... أو ما هذا الذي كان هنا؟!

لم تكن لديها أدنى فكرة عن كيفية فتح هذا المتسلل للباب الذي يعمل بالبصمة، ولكن كان عليها أن تخطر فينش على الفور. كانت هاوسمور تعلم أن هذا ليس موقع المنشأة السرية للوكالة، وإن كان من الواضح أن مختبر غيسنر يحتوي على شيء ذي أهمية، وقد أمرها فينش بحمايته تحت أي ظرف. وها قد تسلل أحدهم متجاوزا إياها للتو.

خمنت هاوسمور أن الرجل الذي دخل كان روسيا. فقد كانت عيناه الفولاذيتان الباهتتان تحملان مسحة سلافية، وبدا لها طلاء الطين الكثيف الذي يغطي وجهه مثالا ساطعا على الدهاء الروسي؛ فبتبنيه لتقليد "التنكر التمثيلي" في براغ، قد أحبط المتسلل دون عناء كاميرات المدينة الأمنية للتعرف على الوجوه. علاوة على ذلك، أصبح الروس الآن أساتذة في التغلب على القياسات الحيوية ببصمات أصابع مزيفة صُنعت على طابعات ثلاثية الأبعاد تعتمد على راتنج الأشعة فوق البنفسجية.(*UV*)

أبقت هاوسمور إحدى عينيها على باب المختبر وهي تضع سلاحها في جرابه، وأخرجت هاتفها على مضض. لن يتقبل فينش هذا الخبر بصدر رحب. كانت يداها ترتجفان قليلا، فقررت أنه من الحكمة أن تتمهل لحظة قبل المواجهة.

تمهلي. اجمعي أفكارك.

ودون أن ترفع عينها الساهرة عن باب المختبر، تراجعت هاوسمور ببطء خارج المدخل، متحركة إلى الوراء في البهو نحو غرفة الاستقبال.

وهناك، في ملاذ البهو النسبي، وما تزال تواجه باب بئر السلم، أخذت عدة أنفاس عميقة وهدأت من روعها. وشرعت في الاتصال بفينش.

لم تسنح لهاوسمور الفرصة قط.

فجأة، كان أحدهم خلفها.

مزقت ظهرها شحنة كهربائية لافحة. تصلبت كل عضلة في جسدها، وتخشبت، وهوت على وجهها على الأرضية المبلطة، وتطاير هاتفها بعيدا. أمسك بها مهاجمها وقلبها على ظهرها، وثبتها أرضا. وفيما لا يصدقه عقل، وجدت هاوسمور نفسها تحدق في العينين الباهتتين للكائن الطيني الذي رأته للتو يلج بئر السلم.

من أين أتى؟! كيف...

كأنما انبثق هذا الوحش من العدم خلفها مباشرة!

كان فوقها الآن، على الأرضية المبلطة الصلبة، ويداه تطبقان على عنقها. وبينما قطع عنها أنفاسها، حاولت هاوسمور المقاومة، لكن عضلاتها المشلولة

أبت أن تستجيب. لم يكن بوسع هاوسمور، وهي عاجزة، إلا الانتظار، محاولة أن تظل واعية.

وبعد ما يقرب من عشرين ثانية وهي على ظهرها وقصبتها الهوائية مسدودة، شعرت بأن سيطرتها على عضلاتها بدأت تعود إليها ببطء. كانت بحاجة إلى مزيد من الوقت، ولكن لسوء الحظ، بدأ بصرها يغشى *.الآن أو أبدا* .وفي محاولة يائسة أخيرة، استجمعت كل ما أوتيت من قوة، ورفعت يديها، ودفعتهما بقوة في صدره، محاولة أن تدفعه عنها.

ولكن مهاجمها بالكاد تحرك.

كان ملمس لحم هذا الرجل الطيني غريبا – لم يكن يخطر لها ببال البتة.

همس الوحش وهو يحدق في عيني هاوسمور ويحكم قبضته" :لستُ كما تظنين. أنا الجولم".

الفصل الثمانون

شُيّد المسبح الذي يبلغ طوله ثمانية عشر مترًا تحت فيلا بيتشيك على طراز الحمامات الرومانية التقليدية. كان المسبح، بلونيه اللازوردي والأبيض، تطوقه حلقة مزدوجة من ثمانية وأربعين عمودًا من الرخام الأحمر، ويُسخن بفرنين توأمين يعملان بالفحم، ويُعد منتهى ما في القصر من ترف باذخ.

وتحكي الروايات أن المسبح لم يُستخدم إلا لموسم واحد قبل أن تُصاب ابنة أوتو بيتشيك بذات الرئة فيه وكادت تودي بحياتها. وعلى إثر ذلك، أفرغ بيتشيك المسبح على الفور، وأعلن تحريمه إلى الأبد.

وقف روبرت لانغدون عند طرف المسبح الفارغ المنسي، يجول ببصره في الحيز الجوفي بحثًا عن أي مخرج سوى الدرج الضيق الذي هبطه هو وكاثرين للتو في محاولة محمومة لإيجاد سبيل للخروج من الدار.

همست كاثرين في الفضاء الذي يتردد فيه الصدى" :طبعًا لا بد أن تجد مسبحًا. من سوء الطالع أنه فارغ، وإلا لكانت لك سبحتك الثانية هذا اليوم".

"بل الثالثة"، فكر لانغدون" .إن عددت نهر الفلتافا".

كان لانغدون يأمل أن يفضي الدرج إلى مخرج في القبو يمكّنهما من الفرار من مقر إقامة السفيرة، ولكن غرفة المسبح كانت بلا منافذ. طريق مسدود. وفي الأعلى، تردد صدى خطوات السفيرة المذعورة عبر فتحات التهوية وهي تهرول في أرجاء الجناح الجنوبي، ولا شك أنها كانت تبحث عن ضيفيها المفقودين. ويبدو أنها كانت تعرف دارها جيدًا بما يكفي لتقدر خياراتهما المحدودة للهرب، فلم يستغرقها الأمر سوى أقل من ثلاثين ثانية لتظهر على الدرج، هابطة نحو المسبح.

توقع لانغدون أن تصل السفيرة ناغل وبجانبها جندي من المارينز، ولكنها حين نزلت الدرج كانت وحدها. ودون أن تنبس ببنت شفة، سارت نحوهما ورفعت في وجههما اتفاقيتي عدم الإفصاح اللتين تركهما لانغدون وكاثرين دون توقيع على منضدة القهوة. ثم عمدت إلى تمزيق الوثيقتين إربًا إربًا، ودعت القصاصات تتناثر هابطة على بلاط المسبح الفارغ.

راقبها لانغدون في حيرة. "ماذا عساها تفعل؟"

وبعد أن فرغت من تمزيق الورق، ثبتت فيهما نظرة جادة ورفعت سبابتها إلى شفتيها، توعز إليهما ألا ينبسا بكلمة. ثم سحبت هاتفها الخلوي، وضغطت على بضعة أزرار، وأجرت مكالمة صادرة... عبر مكبر الصوت.

أجاب صوت رجل انبعث من مكبر الصوت يخرخش'" :فينش" ".'هل كل شيء تحت السيطرة؟ "كانت لهجته أمريكية تشوبها لكنة جنوبية خفيفة.

قالت السفيرة" :أجل، نحن ننتظر فحسب. كم تبعد من هنا؟"

"أهبط للتو. سأكون هناك في غضون ساعة".

قالت ناغل بإلحاح" :أرجوك أخبرني أن لديك أخبارًا عن 'مايكل هاريس'. أنا قلقة على سلامته".

أجاب الرجل" :إذا انكشف أمر 'هاريس'، فليس بوسعنا أن نفعل شيئًا حيال ذلك الآن. وعلى أي حال، ربما لم يعد له أهمية في هذه المرحلة. لقد أكد لنا أن 'ساشا' لا تتكلم، وهذا"...

صاحت ناغل" :لا أهمية له؟! إن 'مايكل' متورط في هذا... بأمر منك".

"انسي أمر 'هاريس'. وركزي فقط على المهمة التي بين يديك. أين أنت، بالمناسبة؟ صوتك يتردد فيه الصدى".

"في حمامي. احتجت إلى الخصوصية لأتصل".

"وأين 'لانغدون' و'سولومون'؟"

قالت" :تركتهما في المكتبة، وطلبت منهما أن يسترخيا حتى تصل".

رمق لانغدون كاثرين بنظرة مذهولة.

سأل فينش" :هل اعترفتِ بمراقبة الفندق؟"

أجابت ناغل" :فعلت. كما اقترحت".

سأل الرجل" :ونجح الأمر؟"

"كان له مفعول السحر".

"هل وقعا كلاهما على اتفاقيتي عدم الإفصاح؟"

قالت السفيرة دون تردد" :لقد وقعا عليهما. اتفاقيتاك موقعتان ومختومتان ومحفوظتان في خزانتي الشخصية".

قال فينش بصوت يشي بالارتياح" :ممتاز. من الجيد أن يكون لدينا ورقة ضغط على 'لانغدون' أيضًا".

كان لانغدون وكاثرين الآن يحدقان أحدهما في الآخر في ذهول مطبق.

قال الرجل" :وللتأكيد فقط، هل لديك دليل مادي على أن النسخة الورقية من المخطوطة المعنية قد أُحرقت؟"

"أجل، لقد جمع فريقي البقايا الوحيدة، بضع قصاصات متفحمة. سأرسل لك الصور".

"وتقولين إن المؤلفة أحرقتها بنفسها؟"

"فهمي أن كلًا من 'لانغدون' و'سولومون' قد أحرقا المخطوطة لأنهما شعرا أنهما في خطر من عميل مارق من جهاز المخابرات والأمن... وأيضًا، بطبيعة الحال، منك".

تأمل الرجل قائلًا" :لقد كان خيارًا ينطوي على جسارة. سأصدق ذلك عندما أنظر في أعينهما. إذا كانت تلك المخطوطة قد زالت حقًا... ووقع كلاهما على اتفاقيتي عدم الإفصاح... فقد نكون قريبين جدًا من إنهاء هذا الأمر".

"آمل ذلك".

سأل الرجل" :وماذا عن حصن كروسيفيكس ؟ هل أنت واثقة من أن جهاز المخابرات والأمن قد وافق على التراجع؟ لا أريد أحدًا بالقرب من مختبر 'غيسنر' أو عملها".

"مؤكد. لا يوجد أحد هناك الآن".

قال بصوت مرتاح" :جيد. أريدك أن ترسلي مفرزة أمنية من المارينز إلى هناك على الفور. من الواضح أن شاغلي الرئيس هو منشأتنا الأساسية، ولكن لا يمكننا تحمل أي تسريبات في الحصن أيضًا. اطلبي من فريقك تأمينه، وسأصعد بنفسي لتقييم الوضع بعد اجتماعنا في مقر إقامتك".

أجابت ناغل" :مفهوم. سأرسل فريقًا إلى هناك في الحال".

قال" :أراك قريبًا".

وانقطع الخط.

وفي صمت، تأكدت السفيرة مرة أخرى من أن المكالمة قد انتهت بالفعل، ثم رفعت عينيها إلى لانغدون وكاثرين وزفرت زفرة متعبة.

صاحت كاثرين" :ما الذي حدث للتو بحق السماء؟"!

ألقت السفيرة نظرة إلى فتحات التهوية في السقف، ويبدو أنها لم تشأ المخاطرة بأن يُسترق السمع لحديثها، فاقتادت لانغدون وكاثرين إلى غرفة مرافق المسبح، حيث كان مصباح وحيد يضيء غلايتي ماء عتيقتين من الحديد الزهر، لا تزال تفوح منهما رائحة الفحم على الرغم من أنهما لم تُستخدما منذ قرن تقريبًا.

قالت السفيرة بهدوء وهي تغلق الباب خلفهم" :أول ما ينبغي أن تعلماه هو أن الرجل الذي كنت أحدثه للتو يعمل لدى وكالة المخابرات المركزية (CIA)."

تراجع لانغدون إلى الوراء، متظاهرًا بالدهشة على الرغم من تحذير جوناس له" .عفوًا؟"

أومأت ناغل برأسها" .اسمه 'إيفريت فينش'، وكان يدير إدارة العلوم والتكنولوجيا في الوكالة ".صمتت برهة" .ويجدر بي أن أضيف أنني عملت أيضًا في وكالة المخابرات المركزية. كنت محامية".

"إذن، ها قد أماطت اللثام عن الأمر"، فكر لانغدون، غير متأكد ما إذا كان يشعر بالارتياح أم بالقلق لأن السفيرة قدكشفت الأمر برمته بهذه البساطة.

أكدت ناغل الآن ما أخبر به فوكمان لانغدون على الهاتف، وهو أن وكالة المخابرات المركزية تدير في الخفاء شركة رأس مال استثماري تدعى In-Q-Tel، وتُعرف اختصارًا بـ Q، تستثمر في تقنيات الأمن القومي وتحمي استثماراتها بقوة.

سألت كاثرين" :وكالة المخابرات المركزية تدير بنكًا استثماريًا؟"

أوضحت ناغل" :من أجل الوطنية أكثر منه من أجل الربح. لقد قُلصت ميزانيات الاستخبارات الأمريكية في السنوات الأخيرة، وتعمل وكالة المخابرات المركزية بموجب قسم للدفاع عن الأمة من جميع الأعداء، بما في ذلك قصر نظر ساستنا الذين يغرقون في تفاؤلهم الساذج، ولذلك تشعر الوكالة بأنها مخولة أخلاقيًا، إن لم تكن ملزمة، بإيجاد تمويل خارجي لتسهيل برامج مهمة للوكالة ما كان لها أن توجد لولاه".

وبينما كان لانغدون يستمع، أدرك أن أي مشروع يُمول بأموال Q سيتجاوز كل رقابة تقليدية من الكونغرس ترتبط بمخصصات الميزانية السوداء، مما يعني أن وكالة المخابرات المركزية يمكنها أساسًا أن تفعل ما تشاء دون أن تكون مسؤولة أمام أحد.

"قبل بضع سنوات، نقل مدير وكالة المخابرات المركزية 'إيفريت فينش' إلى 'لندن' وكلفه بمنصب غير رسمي في المقر الأوروبي لشركة .'Q' واجباته سرية، ولكن يبدو أنه مُنح صلاحيات مطلقة، وكما استنتجتما بلا شك، فإن 'فينش' قلق للغاية بشأن مخطوطة 'كاثرين".'

أصرت كاثرين" :ولماذا؟"

أجابت ناغل" :كل ما أعرفه هو أن 'فينش' يعتبر مخطوطتك تهديدًا لأحد أهم استثمارات .'Q' ولهذا السبب، يُعتبر الأمر مسألة أمن قومي، مما يمنح 'فينش' حرية تصرف خطيرة في كيفية تعامله معكما".

شعر لانغدون بأنه محاصر على نحو متزايد هنا في هذا القبو الذي لا نوافذ له.

أصرت كاثرين" :ولكن كيف يشكل تهديدًا؟! لقد ظللت أحاول أن أتخيل كيف يمكن لأي شيء كتب"...

"لا أعرف. ليس لدي تفاصيل. لدي أوامر فقط، بإجباركما على توقيع اتفاقية عدم إفصاح".

قالت كاثرين" :ولكن إذا كانت وكالة المخابرات المركزية تعتقد أن كتابي يشكل خطرًا على الأمن القومي، فلماذا لا يتصلون بالناشر الذي أتعامل معه، ويستشهدون بالأمن القومي، ويطالبونني بإزالة المادة الخطرة؟"

أجابت ناغل" :بصفتي مستشارة سابقة لوكالة المخابرات المركزية، يمكنني أن أخبرك أن عزل فقرات معينة يكشف الكثير عن مخاوف الوكالة. إنه سيسلط الضوء على ما يحاولون إبقاءه سرًا على وجه التحديد. وعلاوة على ذلك، يمكن للناشر ببساطة أن يرفض طلب الوكالة وينشر النص الكامل تحت شعار: اقرأ الكتاب الذي لا تريدك وكالة المخابرات المركزية أن تقرأه"...

كان لانغدون يعلم أنها على حق. فالفاتيكان يرتكب هذا الخطأ بانتظام، فيزيد من مبيعات الكتب الشعبية بالإصرار على أنها "معادية للكاثوليكية" ومحاولة منع الكاثوليك من قراءتها.

سأل لانغدون" :هل قرأتِ اتفاقيتي عدم الإفصاح هاتين؟"

قالت ناغل وهي تومئ برأسها" :اتفاقية شفهية شاملة. وعموميتها خطيرة. وهذا يعني ببساطة أنكما ستجريان محادثة مسجلة مع 'فينش'، وأن أي

شيء يُذكر فيها سيُعتبر على الفور 'معلومات محمية'. واعتمادًا على ما يقوله لكما 'فينش'، سيكون لتلك الاتفاقية قوة قانونية لإيقاف كتاب 'كاثرين' على الفور وبشكل دائم".

عادت أفكار لانغدون تجول مرة أخرى في كل ما أخبرته به كاثرين عن مخطوطتها واكتشافاتها – حجب الدماغ، وحمض GABA، والوعي غير الموضعي. لماذا قد تهتم وكالة المخابرات المركزية بأي من هذا؟

أصر لانغدون" :لقد أخبرتنا للتو أن السيد 'فينش' يعتقد أن كتاب 'كاثرين' يشكل تهديدًا لأحد أهم استثمارات ...'Q' وهو ما يستدعي سؤالًا بديهيًا: هل تعرفين ما هو ذلك الاستثمار؟"

"أعلم أنه يتعلق بمنشأة سرية للغاية تابعة لوكالة المخابرات المركزية هنا في 'براغ".'

تفاجأ لانغدون" :في 'براغ'؟ أتمزحين. وماذا يفعلون هناك؟"

هزت ناغل رأسها في إحباط" .لا أعرف. كل ما يمكنني قوله هو أن للمنشأة اسمًا رمزيًا. يسمونها 'العتبة".(Threshold) '

الفصل الحادي والثمانون

"لم يُكشف لي إلا عن نزير يسير من الأمر"، هكذا استهلت ناغل حديثها، وقد التأم شملهم ثلاثتهم في كِنّ مظلم رثّ، هو قبو الغلايات القابع في أغوار القصر" .تزعم الوكالة أن ما تفرضه علي من عزلة إنما هو لصون سلامتي. وكل ما أوقن به أن مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) نفسه يرى في مشروع 'ثرشولد' المسعى الأوحد الأعظم شأنا للوكالة... وأنه ضرورة قصوى لا غنى عنها لأمن المستقبل."

ووقع هذا القول الجلل في نفوسهم، فخيم على المكان صمت رهيب.

فسألها لانغدون" :وأنت، ألم يكن لك فيه يد؟."

فأجابته" :ما كان دوري إلا دور المنسّقة السياسية فحسب. فمنذ ثلاث سنين خلت، دبرت وكالة المخابرات المركزية من وراء ظهري أمر تعييني في سفارة بلادي ها هنا، كي أكون لهم أداة طيعة في ميدان الدبلوماسية، وبيدقاً في رقعتهم، امرأة من أهل الوكالة تأتمر بأمر رجل يدعى 'فينش'، وتذلل لهم العقبات القانونية المعقدة التي تكتنف بناء منشأة 'ثرشولد' في الخفاء."

فعاد يسألها" :ورغم كل ذلك، لا تزالين تجهلين كنه هذه المهمة وطبيعتها؟."

فهزت ناغل رأسها نافية" :كل ما أعلمه أنها منشأة للأبحاث العلمية. ومن شذرات ما أفصح به 'فينش'، واستناداً إلى الدور البارز الذي تؤديه 'بريجيتا غيسنر'، يكاد يجزم يقيني بأنهم يعكفون على ضرب من أبحاث الدماغ... ولعلها تمس الوعي الإنساني. بيد أن هذه الحراسة العسكرية المشددة تنبئ بأن ما يجري في تلك الأغوار يتجاوز بمراحل حدود الفضول العلمي المجرد."

وبدا على كاثرين أنها قد تسمرت في مكانها من شدة الانتباه، فسألت : "وهل بدأت المنشأة عملها ودخلت طور التشغيل؟."

"لقد اكتمل بناؤها، ولكنها لم تبلغ بعد طور التشغيل الكامل. علمت أنهم أجروا بعض الاختبارات المنفردة... وأستشف من حالهم أنها قد تكللت بالنجاح، إذ إنهم الآن يتأهبون للشروع في العمل على قدم وساق. وهم في هذه الأيام يدربون طواقمهم خارج الموقع، في الولايات المتحدة، ويتوقعون أن تدب الحياة في المنشأة في غضون أسابيع قلائل."

فسألت" :وهذه المنشأة قائمة هنا... في 'براغ'؟."

صمتت ناغل برهة، وكأنها تنازع نفسها للمرة الأخيرة، أتفضي بالتفاصيل أم تحجم. ثم قالت" :هي في الحقيقة تحت 'براغ'، لا فيها. فالصرح كله قائم في جوف الأرض."

وفي لمح البصر، قفز إلى ذهن لانغدون خاطر الطابق السفلي من مختبر غيسنر الصغير.

"لا تقصدين 'حصن كروسيفيكس'، أليس كذلك؟."

فأجابت السفيرة" :كلا، فذاك هو مختبر أبحاث 'بريجيتا غيسنر' الخاص. لقد استثمرت وكالة المخابرات المركزية في تقنياتها، ولكن منشأة 'ثرشولد' تقع في مكان آخر. هي في الواقع ليست ببعيدة عن الحصن، غير أنها تمتد على مساحة تزيد على عشرة آلاف قدم مربعة."

عشرة آلاف قدم مربعة! كلها في جوف الأرض؟" !وكيف يستطيع كائن من كان أن يشيد صرحاً بهذا الحجم في سرية تامة تحت مدينة كهذه؟."

فهزت ناغل كتفيها وقالت" :الأمر أهون مما تظن في حقيقة الأمر، فالهيكل الأساسي كان قائماً من قبل. كل ما فعلته وكالة المخابرات المركزية أنها استولت عليه وأعادت بناءه ."ثم صمتت قليلاً وأردفت" :وإن كان الأمر المعلن للناس أن فيلق المهندسين بالجيش الأمريكي هو الذي تولى أمره."

ولم يحتج لانغدون إلا إلى لحظة وجيزة حتى تتكشف له خيوط الأمر وتلتئم في ذهنه أجزاء الصورة.

ففي خمسينيات القرن الماضي، شُيد في براغ واحد من أضخم ملاجئ القنابل في أوروبا إبان الحقبة السوفيتية. وقيل إن تلك الشبكة الهائلة من الدهاليز الرطبة القابعة تحت الأرض تتسع لنحو ألف وخمسمئة نفس، فضلاً عن احتوائها على محطة طاقة خاصة بها، ونظام لتنقية الهواء، وحمامات، ومراحيض، وقاعة للاجتماع، بل وحتى مشرحة للموتى. وقد هُجر الملجأ منذ أمد بعيد، وإن ظل جزء منه مفتوحاً حتى يومنا هذا مزاراً للسائحين.

وهمس لانغدون قائلاً" :ملجأ 'فوليمانكا "...'وقد أخذته الدهشة حين أدرك أنه قد سار بقدميه فوق أجزاء من هذا الملجأ في نهار هذا اليوم عينه، إذ كان مدفوناً تحت رحاب متنزه 'فوليمانكا 'الشاسع.

لم يطأ لانغدون عتبة الملجأ قط، لكنه رأى مدخله المخصص للسياح، وهو نفق أسمنتي تزينه رسوم جدارية صاخبة الألوان، رُسمت بالطلاء البخاخ، تصور انفجارات القنابل الذرية، وإلى جانبها كُتبت عبارة ***KRYT FOLIMANKA***، وهي العبارة التي ظن لانغدون أنها تعني "سرداب فوليمانكا"، ثم علم بعد ذلك أن معناها هو "ملجأ فوليمانكا."

أما ذلك الجزء من الملجأ الذي يعرفه السياح ــــ والقابع عند الحافة الشرقية القصوى من متنزه 'فوليمانكا ــــ 'فكان قليل العمق، وفي حالة

لا بأس بها، وآمناً تماماً للتجول فيه. وأما الجزء الأعظم من الملجأ، فكان يمتد أعمق وأبعد في أغوار متنزه 'فوليمانكا .'وعلى مر العقود، غمرت المياه شبكته المترامية من الأنفاق والحجرات، واعتراها الخراب والإهمال، ثم أُغلقت منافذها وطواها النسيان.

ثم مضت السفيرة تسرد بإيجاز كيف تمكنت وكالة المخابرات المركزية من بسط سيطرتها على الجزء المهجور من الملجأ. فبوصفها عضواً في حلف شمال الأطلسي(NATO) ، دأبت حكومة الولايات المتحدة على التعاون بانتظام في الشؤون العسكرية والسياسية هنا. وكان هذا التعاون يعني أحياناً تقديم المساعدة المدنية في مشاريع البنية التحتية، وهو ما حدث في حالة متنزه 'فوليمانكا'، حيث كان البحث جارياً عن سبيل لإنقاذ تلك الرقعة الشاسعة التي أعلن مسؤولو المدينة أنها بدأت تهوي، وخشوا أن تنهار يوماً ما في جوف المخابئ المهجورة المتداعية القابعة تحتها.

وقد جاء الفرج على هيئة فيلق المهندسين بالجيش الأمريكي، الذي شق نفقاً جديداً للدخول عند الطرف الغربي للمتنزه، وشرع في مشروع استغرق سنوات عدة لتجفيف شبكة المخابئ الواسعة وإغلاقها وتدعيمها.

والآن، وقد أوشك المشروع على الانتهاء، قالت السفيرة إن نظريات المؤامرة المناهضة للولايات المتحدة لا تزال تحوم في الأجواء: فمتنزه

'فوليمانكا 'لم يكن أبداً على وشك الانهيار... بل إن ما يجري هو إعادة بنائه ليصبح سجناً عسكرياً سرياً... أو مخبأ للأسلحة الكيماوية. وذهبت شائعة أخرى إلى أن الكهوف الأعمق لا وجود لها أصلاً، وأن الولايات المتحدة هي التي تحفرها الآن، وهو شك أذكى ناره غياب أي مخططات هندسية موثوقة من الحقبة السوفيتية ترسم معالم الملجأ بأكمله، وهي مخططات إما أنها لم توجد قط، أو أنها مُحيت من سجلات التاريخ محواً تاماً.

وأياًكانت الحقيقة، لم يملك لانغدون إلا أن يُعجب بهذه الخدعة البسيطة في مكرها، لولا سؤال واحدكان يلح عليه. فسأل" :ولكن لِمَ اختاروا البناء هنا؟ لِمَ لم يقيموا منشأة 'ثرشولد' في مستودع ما في صحراء 'أريزونا'؟."

فأجابته ناغل" :الأمر في غاية البساطة. فالبيئات الحضرية المزدحمة توفر قدراً من التمويه يحجبها عن أعين أقمار التجسس الصناعية، وهي ميزة لا تتأتى لك حين تنقل عتاداً ضخماً وأفراداًكُثراً إلى موقع صحراوي معزول. وقد بات الاتجاه الآن هو نقل المزيد من منشآت الاستخبارات إلى المراكز الحضرية، كما أن اختيار مدينة خارج الولايات المتحدة يساعد على إبقاء الرقابة من الكونغرس والقيود القانونية المحلية عند أدنى حد ممكن."

ولقد استشعر لانغدون في عبارتها الأخيرة نذير شؤم. فسألها وقد أدهشته صراحتها" :ولماذا تفضين إلينا بكل هذا؟."

ووافقتها كاثرين قائلة" :أجل... إن الأمر يبدو."...

"خيانة؟ "قالت السفيرة وقد شردت بنظرها بعيداً" .دوافعي لهذا شخصية، ولكن مهما يكن المصير الذي ينتظرني، أرجو أن تصدقاني حين أقول إنني سأجعل تأمين سلامتيكما أولى أولوياتي."

كان لانغدون يعلم أن ثمة أسئلة كثيرة لا تزال معلقة بلا جواب، لكن نفسه مالت إلى تصديقها.

ثم استدركت ناغل قائلة" :بيد أني أرى لزاماً علي أن أحذركم، فإنكم تتعاملون مع قوى جبارة. ففي فلك وكالة المخابرات المركزية ومشروع 'ثرشولد'، تبلغ المخاطر حداً لا يتصوره عقل، ولأكن صريحة معكم... إن الأرواح تزهق ."ثم تنهدت ونظرت إلى لانغدون وكاثرين، وبدا لوهلة عابرة أنها على وشك أن تذرف دمعاً" .لقد قُتلت الدكتورة 'غيسنر' الليلة الماضية، ولكنها ليست الضحية الوحيدة. فقد بلغني للتو، قبل نصف ساعة، أنهم عثروا على ملحقي القانوني، 'مايكل هاريس'، جثة هامدة."

وشعر لانغدون بغثيان يعتصر جوفه إذ استرجع لقاءه بهاريس في الفندق قبل بضع ساعات فحسب. فقال" :يؤسفني هذا أشد الأسف."

ومضت ناغل توضح في هدوء أن جثة هاريس وُجدت في شقة ساشا فيسنا، التي كان هاريس يقيم معها علاقة "زائفة" كضرب من المراقبة أمره بها السيد

فينش، الذي أراد أن يراقب مساعدة غيسنر الروسية عن كثب. ولا يزال مكان ساشا مجهولاً، ولكن ناغل لم تبدُ متفائلة بمصيرها.

وعلى الفور، ساور لانغدون قلق عميق على سلامة ساشا.

وواصلت السفيرة حديثها، وقد زمّت شفتيها ثم أطلقت زفرة عميقة" :إنني مسؤولة مسؤولية مباشرة عن مقتل 'مايكل هاريس'... وسأحمل هذا العبء ما حييت ."ثم رفعت عينيها لتواجههما، واعتدلت في وقفتها كأنما تستجمع قواها" .لا أدري كيف أبدأ التكفير عن 'مايكل'، وعن انصياعي الأعمى لأوامر 'فينش'... كل ما أعلمه الآن هو أن عليّ أن أفعل كل ما يلزم لتصويب هذا الخطأ، ولحمايتكما."

فسألته كاثرين في إلحاح" :وكيف تعتزمين فعل ذلك؟."

قالت ناغل" :أمامنا ثلاثة مسارات ممكنة. ولكن لسوء الطالع، أظن أنها لن تروق لكم جميعاً. الخيار الأول هو الأسلم. سأعيد طباعة اتفاقيات كتمان السر، فتوقعان عليها، ثم تلتقيان بالسيد 'فينش' كما هو مقرر، وتقدمان له بذلك ضمان الصمت الذي ينشده. وهذا من شأنه أن يبعدكما عن دائرة اهتمامه، ولكنه يعني على الأرجح أنك لن تتمكني أبداً من نشر كتابك، وأنتِ يا سيدة 'سولومون'، قد تكون هناك مجالات دراسية لن تعودي حرة تماماً في الخوض فيها."

فقالت كاثرين بلهجة قاطعة" :هذا ليس خياراً مطروحاً البتة."

فقال لانغدون" :أتفق معك. وما الخيار الثاني؟."

قالت ناغل وهي تنقل بصرها بينهما" :الخيار الثاني... أمامنا ساعة من الزمن قبل وصول 'فينش' إلى هنا. يمكننا أن نغادر في الحال. أقلّكما بنفسي فوراً إلى المطار وأُخرجكما من البلاد. وستكون لذلك عواقب وخيمة بالطبع علينا نحن الثلاثة، ولكننا على الأقل سنكسب بعض الوقت لنهتدي إلى حلول أخرى."

فسأل لانغدون" :كأي حلول مثلاً؟."

"منها على سبيل المثال أن تنشر السيدة 'سولومون' كتابها على الفور. فنشره من شأنه أن يوفر لها قدراً من الحصا."——

قاطعتها كاثرين قائلة" :لقد ضاع كتابي. وسيستغرق الأمر وقتاً طويلاً جداً لإعادة تأليفه من جديد."

وعقب لانغدون قائلاً" :وحتى لو كانت لديها نسخة منه، فإن إنتاج كتاب ونشره يستغرق شهوراً. ناهيك عن أن خطوة كهذه ألن تجعلها هدفاً لوكالة المخابرات المركزية إلى الأبد؟."

"إلى حد ما، نعم."

فقالت كاثرين" :لا، شكراً لك. ليس لدي أي رغبة في أن أقضي بقية حياتي أتوجس خيفة وأتلفت ورائي. ما هو الخيار الثالث؟."

صمتت ناغل للحظات، كأنما كانت ترتب تفاصيل الخطة في ذهنها. وحين تكلمت، كانت نبرتها عملية، كنبرة محامٍ يسدي النصح لموكله" :في عالم الاستخبارات، ليس للقوة إلا مصدر حقيقي واحد، هو: المعلومات. إنها ورقة الضغط الوحيدة التي يفهمها الجميع... وأنتما الآن في موقف يسمح لكما بالحصول على قدر هائل منها. تذكرا أن السيد 'فينش' يعتقد أنكما وقعتما على اتفاقيات كتمان السر، وهو قادم إلى هنا ليدير حواراً يستخدم فيه تلك الاتفاقيات ضدكما. سيُفضي إليكما بأكبر قدر ممكن من الأسرار، ليضمن أن كل موضوع يذكره سيصبح محظوراً عليكما في المستقبل. وكلما أفاض في الحديث، ازدادت معلوماتكما... وبالتالي، ازدادت قوة ضغطكما."

أدرك لانغدون أنهما يتعاملان مع امرأة محنكة. وأنهما يلعبان بالنار.

ومع ذلك، لم تبدُ خطة ناغل بتلك البساطة التي صورتها بها. فقال" :أفهم كيف سنحصل على المعلومات. ولكن ماذا بعد؟."

فقالت" :سأساعدكما. سنودع كل البيانات لدى طرف ثالث —— محامٍ خارجي على سبيل المثال —— وهذا المحامي سيضع آلية تضمن أنه لو

أصاب أياً منا مكروه، أو لو انقطع اتصالنا به بانتظام، فإن المعلومات سترسل على الفور إلى الصحافة. يسمي المحامون هذا 'شرط الوفاة المفاجئة."'

فقال لانغدون" :أعتقد أن الكلمة الأدق لوصف هذا هي 'الابتزاز."'

"بتعبير فج، نعم. وإن كان الأمر قانونياً تماماً."

تراجعت كاثرين خطوة إلى الوراء وقالت" :أنت تقترحين أن نبتز وكالة المخابرات المركزية."...

"انظري إليها كورقة ضغط معلوماتية، يا سيدة 'سولومون'. فالتهديدات الاستخباراتية هي اللغة التي يتحدث بها هؤلاء القوم ويفهمونها. فإذا هاجموكم، علموا أن الضرر سيلحق بهم. ومن ثم، سيتركونكم وشأنكم."

فقال لانغدون" :والعكس صحيح. نحفظ أسرارهم في مقابل حصانتنا."

فقالت ناغل" :إنه الدمار المتبادل المؤكد. وهو نموذج أثبت جدواه. فلولاه، لأطلقت القوى العظمى في العالم أسلحتها النووية بعضها على بعض في ستينيات القرن الماضي. ولكن غريزة البقاء تخلق حالة من الجمود، فنحن ببساطة نتفق على أننا لن نتفق."

لكن نظرات الحذر لم تفارق وجه كاثرين.

فقالت ناغل" :إن امتلاك ورقة ضغط من شأنه أن ينزع فتيل هذه الأزمة على الفور. ستضطر الوكالة إلى التراجع، وإعادة ترتيب صفوفها، وإعطاء الجميع فرصة لالتقاط الأنفاس والتفاوض. بل لعلهم يخبرونك بما لا يروق لهم في كتابك، فتعرضين عليهم حذفه. هذا المسار على الأقل يمنحكما خيارات ."ثم التقت عينا ناغل بعيني كاثرين وثبتت نظرها عليها" .وأرجو أن تعلمي أنني أخاطر مخاطرة شخصية جسيمة بمساعدتك، يا سيدة 'سولومون'، وهو ما يجعل مني حليفاً قوياً لك."

فقالت كاثرين وقد بدا على صوتها أنها تزداد اقتناعاً" :شكراً لك."

راقت للانغدون الفكرة من حيث المبدأ، لكن تنفيذها كان شأناً آخر.
فقال" :لا أريد أن أكون مثبطاً للعزائم، ولكن ماذا لو طالب السيد 'فينش' برؤية الاتفاقيات الموقعة قبل أن نتحدث إليه؟."

فأجابت السفيرة" :هذا مرجح. سأقول له ببساطة إنني كنت أعلم أن الوثائق حاسمة الأهمية لخطته، لذا كلفت حارساً من مشاة البحرية بنقلها بختم دبلوماسي إلى السفارة وإيداعها في خزينتي الخاصة. وسيكون عليه أن يثق بي... أو أن ينقل هذا الاجتماع إلى السفارة، وهو ما لن يرغب في فعله قطعاً."

كان لانغدون يقلب الخطة في رأسه، والحذر لا يزال يساوره. فمن الشطط في الظن أن يسلّم هو وكاثرين بأنهما سيخرجان من هذا الحديث مع فينش بما يكفي لامتلاك أي ورقة ضغط. فهما مقبلان على محاورة رجل من مخضرمي وكالة المخابرات المركزية المتمرسين. وحتى لو انطلت على هذا الرجل حيلة توقيعهما على تلك الاتفاقيات المقيدة، فهل سيُفضي إليهما حقاً بما من شأنه أن يمس بأمن الوكالة أو يكشف عن خبايا مشروع سري للغاية؟

فقالت كاثرين" :يبدو عليك التردد."

فرفع بصره إليها، وعقله لا يزال يعمل" .المعذرة، ولكن لا أظن أن هذه الخطة ستنجح."

فقالت ناغل" :هذه هي الخيارات الثلاثة الوحيدة المتاحة."

فأعلن لانغدون، وقد لمعت في ذهنه فكرة لم تكن في الحسبان" :في الحقيقة، هناك خيار رابع. إنه محفوف بالخطر... ولكنني أعتقد أنه قد يكون أفضل ما في أيدينا من أوراق."

الفصل الثاني والثمانون

في غمرة انحدارها الأخير صوب مطار فاتسلاف هافيل، انطلقت طائرة السيد فينش من طراز "سايتيشن لاتيتيود" كالشهاب نحو جبل بيلا هورا . وقد أشارت الخريطة التفاعلية للطائرة إلى أن تلك التلة كانت ميدان المعركة التي أخمد فيها الكاثوليكيون ثورة بوهيميا عام ألف وستمئة وعشرين.

"مناسب حقا"، هكذا خاطب السيد فينش نفسه، وقد أخمد لتوه تلك الفتنة الصغيرة التي أثارتها السفيرة نايجل .لقد كانت السفيرة، لأسباب لا تخفى على لبيب، تكن له كرها دفينا، غير أن ذلك لم يكن ليقض مضجعه أو يشغل له بالا. "إنها امرأة داهية... داهية بما يكفي لتعرف مكانها وحدودها في هذه العملية."

وبينما أخذت الطائرة تهوي رويدا رويدا، أحكم فينش رباط مقعده، وقد غمرته سكينة وراحة بال لم يعهدهما عند إقلاعه. فما هي إلا ساعة خلت، وكانت العملية برمتها تتخبط في لُجج من الفوضى العارمة. أما الآن، وبضرب من المعجزة، فقد تلاشت سحائب الفوضى تلك وتبددت كأن لم تكن. فقد أُلقي وزر القرصنة التي استهدفت دار النشر على عاتق عصابة مغمورة من قراصنة الكتب؛ وتم تحديد مكان روبرت لانغدون وكاثرين سولومون وتأمينهما في براغ؛ ووُقعت اتفاقيات عدم الإفصاح؛ وصارت

جميع نسخ المخطوطة في حوزتهم؛ ووصل الأمر إلى العميلين في نيويورك بالانسحاب ولزوم الصمت اللاسلكي وقطع كل اتصال.

"لقد قُضي الأمر"، هكذا حدثته نفسه وهو يرمق من نافذة الطائرة البيضاوية المشهد الشاسع. وفيما كانت عيناه تتأملان سكون الريف التشيكي ووادعته، ذكر فينش نفسه بأن هذه العملية المعقدة، بكل تشعباتها، إنما ترتد في جوهرها إلى حقيقة واحدة بسيطة، حقيقة تتفرع عنها نتائج لا حصر لها، وتبرر كل ما أقدم عليه من أفعال.

إن العقل البشري لهو ميدان القتال القادم في هذا العالم.

إن حروب الغد ستُخاض بأساليب مغايرة، وقد وقع عليه الاختيار ليكون في طليعة هذا الزحف. وكان المركز العصبي لهذا التوجيه هو "ثرشهولد"... وقد أطلقت يد رؤسائه ليفعل كل ما يلزم لحماية التقنية التي يجري تطويرها هناك.

سيظل "ثرشهولد" عرضة للخطر على الدوام. غير أن أحد أول تهديداته الحقيقية قد انبثق من مصدر لم يكن يخطر على بال، حتى قبل أن يدخل المرفق طور التشغيل الكامل.

كاثرين سولومون.

لسنوات طوال، ظلت عالمة النوياتيك الموهوبة هذه على قائمة المراقبة لدى وكالة المخابرات المركزية. فمن بين أمور أخرى، كانت طبيعة عملها تتداخل مع مشاريع تستكشفها الوكالة. وقبل عدة أعوام، لفت انتباه الفريق الذي يراقبها نص منقول من تدوين صوتي (بودكاست)، سُئلت فيه عن شعورها حيال علماء النوياتيك الذين يهجرون الأوساط الأكاديمية للعمل مع الجيش الأمريكي في أبحاث تتعلق بالدماغ. وكان جوابها قاطعا لا لبس فيه : "إن العمل مع الجيش لهو النقيض الصارخ لكل ما أؤمن به. ولن أفكر فيه تحت أي ظرف من الظروف. إن أبحاث النوياتيك ملك للجميع... ولا ينبغي أبدا أن تُستخدم سلاحا."

"يالها من خسارة!"، هكذا تذكر فينش ما جال في خاطره آنذاك. فكم كانت وكالة مشاريع الأبحاث الدفاعية المتقدمة (DARPA) بحاجة إليها في مشروعي N3 أو "سبنتس". بعبارة واحدة، ختمت كاثرين سولومون على نفسها بختم يجعلها شخصا لا يمكن لوكالة المخابرات المركزية أن تقترب منه أبدا، ولو خلسة، دون أن تجازف بعواقب وخيمة.

وحينما علمت الوكالة أن سولومون تؤلف كتابا عن الوعي البشري وأنها أبرمت صفقة نشر كبرى، أوعز فينش إلى فريقه بمراقبة المشروع عن كثب وتأمين مسودة من مخطوطتها غير المنشورة كإجراء احترازي.

ولدهشته، أفاد عملاء فينش بأن مخطوطة سولومون كانت تُؤلف بطريقة غير تقليدية——بأكملها على الخادم الخاص بالناشر، ومحمية بمستوى عال من الأمان. هذه الحقيقة، مضافا إليها عناصر أخرى مقلقة في ماضي سولومون، دقت نواقيس الخطر في رأس فينش، فدبر خطة بديلة.

أوعز إلى بريغيتا غيسنر باستدراج عالمة النوياتيك إلى براغ بدعوة لإلقاء محاضرة مرموقة. وكان على غيسنر أن تقيّم المحاضرة، ثم تجلس معها وجها لوجه على انفراد، وتحاول أن تستدرجها لتكشف عما في جعبتها بشأن مخطوطتها. وكان عليها أيضا أن تقدم عرضا نادرا لمؤلفة تكتب للمرة الأولى——"توصية من شخصية مشهورة" على غلاف الكتاب، وهو ما يتطلب منها الحصول على نسخة قراءة مسبقة من كتاب سولومون .وأخيرا، كان على غيسنر أن تعرض على سولومون جولة في المختبر، تتطلب توقيع اتفاقية سرية قصيرة... مع بضعة أسطر خفية تسمح لفينش بالسيطرة الكاملة على الموقف إذا اقتضت الضرورة.

ولكن أسفاه... لقد ذهبت الخطة الثانية أدراج الرياح، بل انفجرت في وجهي انفجارًا.

فبعد لقائهما في فندق فور سيزونز، أرسلت غيسنر رسالة منذرة بالخطر إلى فينش:

رفضت سولومون العرض. لا نسخة مسبقة. ورفضت اتفاقية السرية أيضا. والمشكلة الأكبر—أنها كذبت علي. سأتصل في غضون ثلاثين دقيقة.

"سولومون كذبت؟" لقد أوحت رسالة غيسنر بأن سولومون كانت أدهى بكثير مما ظن فينش، وأنها ربما تخفي أمرا جللا يتعلق بمخطوطتها.

انتظر فينش في تلك الليلة اتصال غيسنر وهو يتململ قلقا.

لكنه لم يأت أبدا.

ومضت الدقائق الثلاثون، ثم انقضت ساعة كاملة.

اتصل بها فينش، فلم يجد مجيبا.

وبعد ساعتين، حين رن هاتفه أخيرا، لم تكن المتصلة غيسنر، بل كان فريق المراقبة الإلكترونية التابع له، يحمل خبرا عاجلا :كاثرين سولومون قد صرخت للتو طالبة النجدة في غرفتها بالفندق.

قفز فينش على الفور إلى البث الصوتي من الميكروفون الذي زرعه في جناحها، والذي لم يأت حتى تلك اللحظة بأي معلومات استخباراتية ذات قيمة. وما سمعه كان لانغدون يواسي سولومون بعد كابوس ألم بها، ويناقشان تفاصيل الحلم الذي أيقظها للتو.

ثم سمع فينش شيئا غير متوقع ومقلقا إلى أبعد الحدود—لانغدون يشير إلى أن العناصر الغريبة في حلمها كانت منطقية تماما... بما في ذلك ظهور "حربة."

"أتذكرين رمز حربة 'فيل' على بطاقة دخول بريغيتا؟ "سأل لانغدون" .لقد كنا نناقشها معها قبل ساعات قليلة."

لم يصدق فينش أذنيه. إن البطاقة التي كان لانغدون يشير إليها هي بطاقة دخول رئيسية عالية الأمان تتيح الوصول إلى كل مرافق "ثرشهولد". وفي الوقت الراهن، لم يكن يوجد سوى بطاقتين من هذا النوع—بطاقة غيسنر وبطاقته هو—ويستحيل أن تكشف غيسنر عنها لهما.

"إنها تحتفظ بها في غلاف واق... داخل حقيبة موصدة".

وقف فينش مبهوتا، ثم سحب بطاقته المطابقة وراح يتفحصها. "إنها أكثر تقنيات الوصول عبر تحديد الهوية بموجات الراديو (RFID) أمنا في العالم بأسره." وببراعة هندسية، كان سطح البطاقة بأكمله قارئا بيومتريا—قادرا على قراءة أي من بصمات أصابع المستخدم، وفي أي اتجاه—مما يعني استحالة استخدام البطاقة دون أن يحملها المستخدم المصرح له. فلو سُرقت، لكانت عديمة النفع. ولو ضاعت، فإن العلامة الوحيدة عليها لا تقدم أي دليل على الجهة التي تتبعها.

كانت الكلمة نفسها عامة تماما. لكنها في الحقيقة، كانت اسما رمزيا مشفرا.

PRAGUE

فكلمة" براغ "تعني حرفيا "العتبة—(**Threshold**) "وكانت هذه البطاقات فائقة التقنية هي المستوى الأول من الأمان للوصول إلى منشأة "ثرشهولد" الجوفية. أما الدمج الخفي لرمز حربة "فيل" التاريخي في حرف **A**، فقد كان لمسة فينش الخاصة—إيماءة أيقونية لسلاح البسالة والقوة والتنوير الذي يُصنع تحت الأرض.

"لماذا قد تُظهر غيسنر هذه البطاقة لشخص غريب—وكاثرين سولومون بالذات؟"!

كان التفسير الوحيد الذي استطاع فينش أن يستحضره مزعجا للغاية. ربما أساء تقدير قدرة غيسنر على التكتم. صحيح أنها كانت منقادة بشفافية وراء المال، مما جعل السيطرة عليها أمرا هينا على فينش، لكنها كانت تمتلك أيضا غرورا هائلا. تساءل عما إذا كان الأمريكيان قد قلبا الطاولة عليها بذكاء، مستغلين حاجة عالمة الأعصاب إلى التباهي، وأقنعا غيسنر بالحديث بدلا من كاثرين .ربما أسكراها أو حتى احتجزاها كرهينة، وهو ما قد يفسر عدم إجابة غيسنر على هاتفها.

شعر فينش بأن صدغيه ينبضان بقلق متزايد وهو يحلل الحقائق:

سولومون ترفض مشاركة المخطوطة...

ناشرها يمارس إجراءات أمنية قصوى...

هي على علم ببطاقة الدخول الخاصة بغيسنر...

وبينما كان فينش يجلس وحيدا في لندن في جوف الليل، تمنى لو أن ما يساوره ليس إلا ضربا من جنون الارتياب. لكن احتمالا مزعجا داهمه الآن: ربما تعلم سولومون بأمر "ثرشهولد"... وتكتب تحقيقا مدويا لتكشف عن عمل وكالة المخابرات المركزية في مجال الوعي البشري.

وبعد لحظة، بينما واصل فينش مراقبة البث الصوتي، اعترفت سولومون بشيء كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. قالت وهي لا تزال باكية" :إنني قلقة بشكل خاص الآن يا روبرت. لقد أعطيت أخيرا جوناس الضوء الأخضر لبدء التحرير اليوم. كان يخطط لطباعة المخطوطة والبدء في قراءتها الليلة، لذلك أنا متوترة."

باغت الخبر فينش" .كاثرين سلمت كتابها لمحررها؟" فبمجرد أن تدخل مخطوطتها مرحلة "التحرير"، ستوزع نسخ منها في جميع أنحاء دار النشر—— على المدققين اللغويين، ومحققي الحقائق، ومصممي الكتب، وحتى على

موظفي الدعاية والتسويق الأوائل. إن احتواء الأمر، إذا لزم، سيصبح مستحيلا.

أدرك فينش أن الوقت والخيارات قد نفدا. لم يكن يرغب في إثارة زوبعة لا داعي لها بقرصنة الناشر، لكنه الآن بحاجة إلى معرفة ما في هذا الكتاب... على الفور. ودون تردد، أمر فريقه التقني باختراق خادم "بنغوين راندوم هاوس" الآمن وسرقة نسخة من مخطوطة سولومون .وما أن يرى ما فيها، فإما أن يتنفس الصعداء... أو يأمر بمحو كامل لكل أثر من عملها.

أدرك فينش أيضا أن عبئا آخر قد ظهر——شريك كاثرين سولومون—— روبرت لانغدون .فقد كان لأستاذ جامعة هارفارد سمعة في كشف الأسرار التي لا يريد أحد كشفها.

"سأحتاج إلى ورقة ضغط على لانغدون أيضا"، هكذا قرر. وسرعان ما صاغ فينش خطة، مستخدما المعلومات الاستخباراتية الشحيحة التي التقطها للتو من الجناح الملكي. لقد تعلم منذ زمن بعيد أنه حتى أكثر المعلومات براءة، إذا قُدمت بالشكل الصحيح، يمكن أن تُصاغ لتصبح سلاحا فتاكا من أسلحة الإرباك.

لقد وضع الاستراتيجي الصيني القديم صن تزو حملات عسكرية بأكملها حول مقولته الشهيرة: "الارتباك يخلق الفوضى... والفوضى تخلق الفرصة."

كان الوقت ضيقا، لكنه بنى حياته المهنية على الاستعداد لجميع الطوارئ والتصرف بحسم. التقط الهاتف وأجرى عدة مكالمات، إحداها إلى الضابط الميداني هاوسمور، مع تعليمات لوجستية واضحة وأوامر بالبقاء على أهبة الاستعداد.

قبيل السادسة صباحا بقليل، بتوقيت براغ المحلي، أرسل قراصنة فينش أخيرا نسخة مشفرة من مخطوطة سولومون الكاملة إليه. لم تكن لديه نية لقراءة الوثيقة بأكملها، وبدأ بمجرد تصفح جدول المحتويات. شعر بالارتياح عندما وجد أن المخطوطة، للوهلة الأولى، تبدو تماما كما أشارت الأحاديث التي سبقت النشر—استكشاف لنظرية جديدة للوعي.

وللتأكد، بحث فينش إلكترونيا عن الكلمتين المفتاحيتين "CIA" و "Threshold"، وارتاح عندما رأى أن أيا منهما لم تسفر عن أي نتائج.

"الأمور تسير على ما يرام حتى الآن"...

أخيرا، أدخل سلسلة بحث محددة جدا—باحثا عن معلومة واحدة بعينها.

"إما أن تكون هنا... أو لا تكون".

حبس فينش أنفاسه وضغط على مفتاح الإدخال لبدء البحث. مرت ثانيتان كاملتان دون نتائج، وبدأ فينش يسترخي.

ثم رن حاسوبه رنة خفيفة.

"اللعنة"...

لقد عثر البحث على تطابق قرب نهاية المخطوطة. وبينما ظهرت الصفحة، انحنى فينش، وعيناه تجولان بسرعة عبر النص. وفي غضون لحظات، أدرك أن هذا سيناريو كارثي. سواء عن قصد أو غير قصد، فقد وضعت كاثرين سولومون قدمها في عش الدبابير. إن كتابها يمثل مشكلة عويصة.

وبينما كان فينش يزن خياراته المحدودة لإدارة الأزمة، رن هاتفه بأخبار سيئة أخرى—إشعار بأن سولومون قد دخلت لتوها إلى خادم دار النشر من مركز الأعمال في فندق فور سيزونز، حيث كانت تطبع مخطوطتها حاليا.

"إنها تعد نسخا ورقية في السادسة وخمس وأربعين دقيقة صباحا... على طابعة فندق؟"!

بدا هذا التصرف مناقضا للبروتوكولات الأمنية للناشر، وخشي فينش فجأة أن تكون سولومون قد علمت بأن مخطوطتها قد اخترقت... وأنها تتخذ بالفعل إجراءات لحمايتها.

أجرى فينش، وقد تملكه الجزع، محاولة أخيرة للوصول إلى بريغيتا غيسنر، رغم أن مكالمته حولت مباشرة إلى البريد الصوتي. لقد كانت غيسنر مفقودة طوال الليل... منذ أن التقت بسولومون ولانغدون.

شيء واحد كان يعرفه على وجه اليقين. لا دخان بلا نار.

كان فينش قد أعد إجراءات مضادة جريئة في كل من براغ ونيويورك، يمكن نشرها بإصدار أمر من كلمة واحدة.

وبعد تقييم الموقف برمته، خلص إلى أن الوقت قد حان.

أرسل رسائل متزامنة عبر تطبيق "سيغنال" إلى عملائه على الأرض في كلتا المدينتين:

نفذوا

الفصل الثالث والثمانون

جثا الغولم على أرضية الرخام الوردي، وقد خارت قواه من أثر العراك. وبينما كان يستجمع ما تبقى له من قوة ليحرك الجثة ويخفيها، سُرّ في نفسه حين وجد جثة ضحيته أخف وزناً بكثير من جثة هاريس .فجرّ المرأة دونما عناء، وألقى بها في مكان موارٍ خلف أريكة كانت تركن إلى الجدار الجانبي. وقد خطر له أن يستولي على مسدس المرأة، لكنه لم تتح له الفرصة قط ليتعلم كيف يطلق النار من مثله، فضلاً عن أنه كان يؤثر بساطة المسدس الصاعق وصمته المطبق.

ثم دنا الغولم من المنحوتة الجدارية، وأزاح تلك القطعة الفنية الثقيلة جانباً، فتكشّف له المصعد الذي كان قد صعد فيه قبل دقائق ليباغت المرأة على حين غرة. وقد توهجت أمامه لوحة مفاتيح المصعد الأمنية، فطبع عليها بعناية رمز مرور غيسنر المكون من سبعة أحرف، مستحضراً ذعرها ليلة أمس.

لقد باحت لي بكل شيء... ومن ذا الذي يكون في موقفها ولا يفعل؟

وبينما أخذ المصعد يهبط طابقاً واحداً، أغمض الغولم عينيه، مسترجعاً في نشوة أسلوبه في الاستجواب، الذي استعان فيه بآلة كانت ضحيته هي التي اخترعتها بنفسها.

لقد صُممت حاضنة EPR التي ابتكرتها غيسنر للمرضى المخدرين تخديرًا كاملاً، الغائبين عن الوعي، بالتزامن مع حقن الفنتانيل الوريدي —— وهو أقوى مسكن للألم على وجه الأرض —— والذي من شأنه أن يوقف الإحساس المبرِح الناجم عن غسل الجهاز الدوري للمرء بمحلول ملحي بارد كالثلج. أما الغولم ، فكل ما فعله أنه أوثقها في الحاضنة، متجاوزاً مرحلة التخدير، ومحكماً وثاق رسغيها وكاحليها بأشرطة الفيلكرو الثقيلة التي زُودت بها الحاضنة. وكانت أنابيب الحقن الوريدي مصممة للشرايين والأوردة الفخذية، لكنه أدخل القسطرة في ذراعيها بدلاً من ذلك، وهو ما خُيل إليه أنه سيوفر ما يكفي من التدفق ليبقيها في وعيها، تتجرع مرارة العذاب.

وانفتح باب المصعد تلقائياً على مختبر غيسنر، فشق الغولم طريقه في النور الخافت، ورداؤه يتموج من خلفه، راسماً على الجدران الحجرية ظلالاً شبحية. في هذه المرة، كان في الحصن وحده، ولم يكن ثمة من يقطع عليه خلوته.

لن أحتاج إلا إلى دقيقة واحدة لأسترد ما جئت من أجله.

ثم يمضي إلى تلك المنشأة السرية المسماة 'ثرشولد.'

لم تكن صدمة اختطافه قد تلاشت من نفس يوناس فوكمان بعد، والآن وقد علم أن روبرت وكاثرين قد استُدرجا إلى دار محامية سابقة في وكالة المخابرات المركزية(CIA) ، لم يسعه إلا أن يأمل أنهما قد أخذا بنصيحته وغادرا ذلك المكان على عجل.

اتصل بي يا روبرت .طمئني أنك بخير...

وكان أليكس كونان منكباً على حاسوبه المحمول، يجري بحثاً معمقاً عن شركة In–Q–Tel.وكان فوكمان يتلهف بشدة لمعرفة السبب الذي يدفع شركة الاستثمار هذه إلى معارضة ما حواه كتاب كاثرين، أياً كان.

وأخيراً قال أليكس" :ألق نظرة على هذا. إنها قائمة جزئية بممتلكات 'كيو' من الاستثمارات الخاصة."

فهرع فوكمان إليه وأطل من فوق كتف الخبير التقني على الشاشة، وأخذ يطالع قائمة الشركة وهو لا يكاد يصدق عينيه. كانت هناك أكثر من ثلاثمئة شركة، معظمها بأسماء مكتوبة بلغة أشبه بالطلاسم في نظره.

— MemSQLتحليلات متزامنة

Boundless Spatial

— Xanaduحلول كمومية ضوئية

— Keyholeتصورات جغرافية مكانية

— zSpaceنحت هولوغرافي ثلاثي الأبعاد

وطالت القائمة وطالت.

فقال أليكس وهو يتفحص القائمة بسرعة" :هذا يبدو متوافقاً مع توقعاتي. ما أستطيع تمييزه هو في معظمه أمن المعلومات، وتحليل البيانات، والتصوير، والحوسبة."...

"وماذا عن علوم الأعصاب أو الوعي — أو ما شابه ذلك؟."

"ربما، لا أدري. علينا أن نلقي بهذه القائمة في قا "——رن هاتف أليكس، فألقى نظرة على هوية المتصل، واستجمع أنفاسه قبل أن يجيب" .أليسون، صباح الخير. كنت للتو."——

وكان بوسع فوكمان أن يسمع صراخ مديرة أمن البيانات على الطرف الآخر من الخط.

فقال أليكس بهدوء" :مفهوم. سأكون هناك في الحال ."ثم أنهى المكالمة ونهض قائلاً" :عذراً، حان وقت الاستجواب."

أشفق فوكمان على الشاب. فبالنظر إلى أن دار PRH قد اخترقتها وكالة استخبارات عالمية، لم تكن المواجهة متكافئة على الإطلاق، وقد تصدى أليكس لهذه الأزمة ببراعة تحسد عليه.

فقال الخبير التقني" :سأعود حالما أتمكن"، ثم بدا وكأن فكرة أخرى قد خطرت له، فأخذ يطبع بسرعة على حاسوبه المحمول" .لقد نسخت القائمة وأرسلتها إليك للتو، ألق بها في 'DAP' وابحث عن أي تقاطعات."

"انتظر! ماذا؟ ما هو 'DAP' هذا! أنا لا أملكه."!

فقال أليكس في أناة وهو يتجه إلى الباب" :بلى، تملكه. هناك مجموعة كاملة من منصات تحليل البيانات على خادم 'PRH' لتستخدمها."

لم يكن لدى فوكمان أدنى فكرة حتى عن المكان الذي يبحث فيه.

فقال أليكس" :لا عليك، استعمل محركاً على الإنترنت ——

'ChatGPT'أو 'Bard' أو ما شابه. اطلب منه تحليل استثمارات 'كيو' ومقاطعتها مع أي مواضيع تظن أنها ذات صلة بكتاب الدكتورة سولومون. سأعود حالما أتمكن."

وبهذه الكلمات، انصرف أليكس مسرعاً.

ووقف فوكمان وحده في مكتبه، وألقى نظرة ملؤها الريبة على حاسوبه. لقد رأى تطبيقات الذكاء الاصطناعي من قبل بالطبع، لكنه كان قد أقسم على الملأ ألا يستخدمها أبداً. إنها لخطر وجودي يتهدد حرفة الكتابة النبيلة! وكانت دار PRH تتلقى بالفعل مشاركات أدبية من الواضح أنها خُطّت بأقلام الروبوتات، ولكن الكشف عنها كان يزداد صعوبة على صعوبة بشكل يدعو إلى القلق. وقد اتخذ فوكمان موقفاً متحدياً، حاثاً زملاءه المحررين على مقاطعة جميع منتجات الذكاء الاصطناعي في مواجهة نذير نهاية العالم الأدبية التي تلوح في الأفق.

أما الآن، فقد وجد فوكمان نفسه على مفترق طرق. فبينما فتح البريد الإلكتروني الذي أرسله إليه أليكس وأمعن النظر في قائمة استثمارات 'كيو'، استعرض في ذهنه الانتهاكات الصارخة التي فرضتها تلك المنظمة الغامضة على كاثرين ...وعلى روبرت ...وعلى فوكمان نفسه.

"فلتذهب الحصانة الأخلاقية إلى الجحيم"، هكذا حسم أمره وهو يجلس إلى آلته. "إنها الحرب."

الفصل الرابع والثمانون

كانت سيارة الدفع الرباعي، المخصصة للاستعمال الشخصي والملحقة بسكن السفيرة، من طراز هيونداي توسان، سيارة متواضعة لا تكاد العين تلحظها، ذات لون عاجي باهت تحمل لوحات تشيكية. كانت هايدي نايجل تستخدمها بين الفينة والأخرى في عطلاتها الخاصة، فرارا من صخب المدينة. وكانت آخر نزهة لها إلى متاهة صخور تيسا في سويسرا البوهيمية، وهي شبكة من دروب المشاة تتلوى بين تكوينات صخرية رملية تخطف الأبصار، غريبة إلى حد أنها ظهرت في الفيلم الخيالي سجلات نارنيا.

"ليتني كنت هناك الآن"، هكذا حدثت نايجل نفسها، ولا تزال روحها معتصرة أسى على مصرع مايكل هاريس.

وبينما كانت تنطلق بسيارتها خارج السكن، وحيدة الآن، شعرت بوطأة الخيانة التي ترتكبها بمساعدتها لهذين الأمريكيين. كانت تأمل من صميم قلبها أن يكون لانغدون على دراية تامة بما يفعله.

"إن لم تنجح هذه الخطة، فسيقبرني فينش ...وربما كان القبر حقيقيا لا مجازا."

اقتربت نايجل من بوابة الأمن، ونقرت بوق سيارتها مرتين. فقفز حارس المارينز في كشك الحراسة من أمام شاشات المراقبة، وهرع إلى النافذة وقد

علت وجهه أمارات الدهشة. فنادرا ما كانت السفيرة تغادر دون إعلان مسبق، ونادرا ما كانت تستقل سيارتها الخاصة، ولم يحدث قط أن استخدمت بوق السيارة.

"معذرة يا كارلتون، "قالت وهي تهبط بزجاج نافذتها" .إنني أعود على عجل إلى السفارة، فقد نسيت حقنة 'إنبريل'. وهذا الثلج الملعون يفتك بداء المفاصل الذي أُعانيه".

"سيدتي، يسعدني أن أرسل"...

"أبسط لي أن أفعل ذلك بنفسي. فالأدوية موصدة في درج مكتبي، وعليّ أن أجلب بعض الأوراق أيضا. سأعود في الحال".

"بالطبع، سيدتي ".ضغط الحارس على زر، فانفرجت البوابة. وعاد بنظره إلى شاشات المراقبة التي تغطي أرجاء المكان، لكن نايجل استدعته مرة أخرى.

"أمر آخر يا كارلتون، "قالت" .أعتذر، فلدي ضيفان أمريكيان ينتظران في المكتبة، وأتوقع ضيفا آخر بعد قليل، هو السيد فينش. سأعود قبل وصوله، ولكن إن سبقني لسبب ما، فقد طلبت من موظفي أن يهيئوا له سبل الراحة في غرفة المعيشة حتى أعود لأقدمه إليهما. أردت فقط أن أتأكد من أنك تعلم أنه ضيف منتظر".

"علمت الآن، سيدتي، "قال وهو يبتسم" .شكرا لك. أراكِ بعد قليل".

شكرت نايجل الجندي واستعدت للمضي قدما، ولكن كما خططت، انقضى الوقت المخصص للبوابة وأخذت تنغلق من جديد" .عفوا، "قالت وهي تهز رأسها" .دائما ما يجعلني الإسبريسو ثرثارة"!

ابتسم الحارس" .لا بأس، سيدتي ".وضغط على الزر ليفتح البوابة مرة أخرى.

وبينما كانت تستعد للعبور، أخطأت في تعشيق القابض فتوقف محرك السيارة" .يا إلهي، كم هو محرج. لقد قلما أقود السيارة الآن "!أعادت تشغيل السيارة، ولكن ليس قبل أن تنغلق البوابة للمرة الثانية.

كررا العملية، وهذه المرة نجحت نايجل في العبور. انطلقت إلى شارعِ رونالد ريغان وانعطفت يسارا على الفور إلى شارعِ بوبينيتشكا، راجية أن تكون تلك الحيلة التي دبرتها قد شغلت عيني الحارس عن شاشات المراقبة أمدا يكفي لانغدون وسولومون –بعد سماعهما لإشارة بوق السيارة – للإسراعِ بالخروجِ من الحديقة الزجاجية وعبور الحديقة إلى الجانب البعيد من الأرض، حيث يمكن للمرء، إن استطاع العثور على المزلاج الخفي، أن يفتح بوابة مشاة من الحديد المطاوعِ من الداخل إلى الخارج على شارعِ تشيكوسلوفينسكي أرمادي.

وبالفعل، بينما كانت تدور حول العقار، ظهر لانغدون وسولومون عند زاوية الشارع، وكلاهما يرتدي ثيابا لا تقيه صقيع الجو. توقفت السفيرة إلى جانبهما، فقفزا إلى داخل السيارة، وأشارت كاثرين للانغدون بالجلوس في المقدمة بجوار نايجل.

وبينما انطلقت السيارة مبتعدة عن السكن، لم ينبس أحد ببنت شفة. بدا أنهم جميعا قد بدأوا يستوعبون مخاطر الخطة التي اقترحها لانغدون.

الخيار الرابع.

"ثمة احتمال كبير، "قال لهم لانغدون قبل دقائق في غرفة المراجل بالطابق السفلي، "أنه حتى لو اجتمعنا بفينش، وصدق أننا وقعنا اتفاقيات السرية تلك، فإنه لن يكشف أبدا عما يحدث حقا في 'ثرشهولد'. هناك طريقة واحدة فقط لنتأكد من أننا نملك المعلومات والبراهين التي سنحتاجها لحماية أنفسنا، وهي التوثيق والصور ".صمت لحظة، وحدق فيهما" .علينا بطريقة ما أن ندخل إلى 'ثرشهولد'."

"محال، "قالت نايجل" .إن تفتيش 'ثرشهولد' أمر لا سبيل إلى التفكير فيه".

"ولماذا؟ "أصرت سولومون" .لقد قلتِ إن المنشأة خالية من العاملين الآن، والجميع يتدربون خارج الموقع. ستكون مهجورة".

"هذا صحيح، "أجابت نايجل" .ولكني لم أوضح بعد مدى حصانة هذا الصرح. إن مدخل 'ثرشهولد' هو في الأساس نفق مقوى تحميه حواجز فولاذية، وكاميرات مراقبة، وحراس مسلحون، وقياسات حيوية متطورة".

"كما كنت أتوقع تماما، "قال لانغدون" .ولكن لدي خطة لإدخالنا".

والآن، وجدت السفيرة نايجل نفسها تقود سيارتها مبتعدة أكثر عن السكن، متجهة صوب الجانب الجنوبي من براغ" .لا عودة الآن"، فكرت. "لقد أصبحت شريكة في الجريمة رسميا."

واتخاذا للاحتياطات كي لا يتعقب فينش رحلتها غير المصرح بها، تركت نايجل هاتفها الدبلوماسي في السكن، متصلا بشبكتها المنزلية. وبدلا من ذلك، أخرجت هاتفها الشخصي القديم من طراز "سامسونج"، والذي لم تكن تشغله قط إلا لمشاهدة برامج الترفيه بعد ساعات العمل في المنزل. "لا حاجة لأن تعلم السفارة أنني أستمع إلى تايلور سويفت وأشاهد إعادة حلقات تيد لاسو."

كانت بطارية "السامسونج" فارغة، لكنها الآن تشحن على لوحة القيادة. تمنت نايجل أن تشحن بالسرعة الكافية لالتقاط صور لكل ما يحدث داخل "ثرشهولد."

"إن كان لانغدون قادرا حقا على إدخالنا."

لم يكن لانغدون قد كشف بعد عن تفاصيل خطته، ولكن كلما فكرت نايجل في الحاجز المنيع الذي يوصد المدخل، تضاءل تفاؤلها.

على أرض المدرج التي كساها غبار الثلج في مطار فاتسلاف هافيل، أخذت طائرة السيد فينش من طراز "سايتيشن" تتهادى صوب مبنى الطيران الخاص، حيث كانت سيارة "تاون كار" تنتظره لتنقله إلى براغ .كان فينش سعيدا بالهبوط على الأرض، ولكنه لم يستطع أن ينفض عن نفسه ذلك الهاجس اللحوح بأن شيئا ما في مكالمته مع السفيرة كان... غريبا.

لطالما كانت بينه وبين نايجل ضغينة قديمة، لكن شيئا في طريقتها على الهاتف في وقت سابق تركه قلقا. قرر أن يجري معها مكالمة سريعة أخرى، ولو ليطمئن باله ويتأكد من جديد أنها أرسلت بالفعل مفرزة من المارينز لتأمين حصن كروسيفيكس.

ولكن عندما اتصل بهاتفها الخلوي، لم تجب السفيرة. "غريب!" أرسل لها على الفور رسالة آمنة، ولكن هذا البلاغ أيضا ذهب دون جواب.

وبينما توقفت الطائرة الأنيقة وخمدت محركاتها، شعر السيد فينش بعقدة القلق في أحشائه تزداد إحكاما.

في الطابق السفلي من حصن كروسيفيكس، أحكم "الجولم" غطاء رأسه على جمجمته الملطخة بالطين، واستعد ذهنيا لما هو آت. لقد عاد إلى غرفة

العمل المزدحمة التي قتل فيها بريغيتا غيسنر الليلة الماضية، ولا تزال جثتها الشاحبة ملقاة مضرجة بالدماء في حجرة "EPR" المفتوحة. كانت غيسنر ومساعدها هما الشخصان الوحيدان اللذان يعملان هنا، وحتى الآن، لم يكن لدى السفارة والسلطات المحلية أي وسيلة للوصول إلى المكان.

على طاولة عمل قريبة، رأى "الجولم" حقيبة غيسنر الجلدية، التي كان قد فتحها عنوة الليلة الماضية بمفك مسطح الرأس، واستخرج منها بطاقة الدخول السوداء بتقنية "RFID" التي كانت تحتفظ بها محمية في غمد خاص داخل الغطاء.

لكن البطاقة لم تكن كافية؛ لقد أخفت غيسنر تلك المعلومة الليلة الماضية.

للوصول إلى "ثرشهولد"، كان "الجولم" بحاجة إلى عنصر أخير.

سحب زوجا من قواطع الأسلاك الثقيلة من رف الأدوات الممتلئ، وسار إلى حجرة "EPR" وركع بجانب جثة غيسنر.

"ثأرا لكِ يا ساشا، "هكذا همس وهو يمسك برفق بيد الطبيبة الهامدة بين راحتيه.

بعد ستين ثانية، عاد "الجولم" إلى الردهة، مستعدا لمغادرة الحصن. كان يحمل معه الآن كل ما سيحتاجه للولوجِ إلى "ثرشهولد"... وتحويل تلك المنشأة السرية إلى كومة من الركام.

الفصل الخامس والثمانون

لقد أمضت كاثرين سولومون شطراً طويلاً من صباحها متوارية عن الأنظار، وحيدة في عتمة مكتبة الكليمنتينوم الباروكية، تجتهد في أن تهتدي إلى من يتربص بكتابها... ولأي غاية. أما الآن، وقد جلست في طمأنينة على المقعد الخلفي من مركبة ناغل، فقد وجدت أفكارها تنصرف إلى سؤال أشد إلحاحاً وأقرب منالاً.

كيف السبيل إلى أن يُلجنا روبرت حصن 'ثرشولد ...'دون أن يودي ذلك بحياتنا؟

لقد أجمعوا كلهم على الهدف الذي اقترحه لانغدون —وهو النفاذ إلى داخل المنشأة ذاتها وجمع معلومات سرية تكون لهم درعاً واقياً — ولكن مدخل الملجأ، على حد قول ناغل، كان طريقاً منحدرة شديدة التحصين، تفضي إلى نقطة تفتيش مزودة بكاميرات للمراقبة، وحراس من الجيش مدججين بالسلاح، ونظام أمني بيومتري.

وقد بدأت كاثرين تتساءل في قرارة نفسها، لعل كل هذا لم يكن إلا مناورة بارعة من روبرت ليفلتوا من قبضة السفيرة ودارها. ولكن إن صح هذا... فما الخطوة التالية؟

قالت ناغل وهي تبطئ المركبة حتى توقفت على جانب شارعٍ هادئ في حيها السكني" :قبل أن نمضي أبعد من هذا، علي أن أعرف خطتك لدخول المنشأة ."ثم أوقفت السيارة تماماً، والتفتت لتواجه لانغدون الجالس في المقعد الأمامي.

فقال لانغدون" :هذا من حقك. والأمر في حقيقته ينبغي أن يكون في غاية البساطة ."ثم صمت برهة، وعلت شفتيه ابتسامة قلقة" .ما دام منطقي سليماً."

لم تكن ناغل تبتسم" .واصل حديثك."

وعلى مدى الدقيقة التالية، بسط لانغدون خطته مفصلة، موضحاً كيف ولماذا يعتقد أن بوسعه أن يفتح لهم أبواب 'ثرشولد .'وحين أتم حديثه، كانت نظرة التساؤل والترقب على وجه ناغل قد استحالت إلى ذهول، تماماً كما اعتورت كاثرين نفسها مشاعر الدهشة. لقد جاء شرح لانغدون، على طريقته الخاصة التي لا تخطئها عين، مفاجئاً كل المفاجأة... منطقياً كل المنطق... بسيطاً كل البساطة.

فقالت ناغل" :لا أدري ما الذي توقعت أن أسمعه منك، ولكنه لم يكن هذا قطعاً ."وبدا في نبرتها بصيص أمل مفاجئ" .لا بد لي من الاعتراف بأن هذه الفكرة لم تخطر لي ببال قط."

أومأ لانغدون برأسه وقال" :وأظن أنهم يأملون ألا تخطر ببال أحد."

وعادت ناغل إلى قيادة المركبة، فانطلقت بها بسرعة أكبر هذه المرة، متجهة جنوباً صوب النهر. ولم ينبس أحد منهم ببنت شفة.

وفي المقعد الخلفي، أحست كاثرين بترقب متصاعد، إذ خيل إليها أنها قد تعلم أخيراً كيف يمكن لعملها أن يشكل تهديداً لمشروع سري تابع لوكالة المخابرات المركزية .(CIA) أي شيء بحق السماء يفعلونه في 'ثرشولد ' وله صلة بكتابي؟

لقد بدا الاسم الرمزي 'ثرشولد 'عاماً ومبهماً، لا يكشف عن طبيعة مشروع الوكالة شيئاً. واستنتجت كاثرين أن هذا هو التقليد المتبع على ما يبدو، وهي تستعرض في ذهنها قائمة من الأسماء الرمزية التي رفعت عنها السرية وذكرتها الصحافة من وقت لآخر ,Bluebook :

Artichoke, Mongoose, Phoenix, Stargate...

وفي تلك اللحظة، شعرت كاثرين بأن رابطاً غير متوقع قد انبثق في ذهنها.

فقالت بصوت قاطع" :السيكوترونيات."

فألقت ناغل نظرة من فوق كتفها" .عفواً؟."

والتفت لانغدون إليها، وقد علت وجهه حيرة مماثلة.

فكررت قولها" :السيكوترونيات. إنه المصطلح الذي استخدمه الروس لوصف أبحاثهم المبكرة في الظواهر الخارقة للطبيعة ــــ قراءة الأفكار، والإدراك فوق الحسي(ESP) ، والتحكم في الفكر، وحالات الوعي المعدلة. وتعتبر السيكوترونيات المقدمة التي مهدت لعلم النويتيقا الحديث."

فقالت ناغل" :آه، نعم، لقد غاب عني هذا الاسم. لقد استثمرت روسيا مليار دولار في السيكوترونيات أثناء الحرب الباردة، في أول مبادرة 'عصبية–عسكرية' في العالم، تهدف إلى السيطرة على العقول، والمراقبة النفسية، والتكتيكات المتعلقة بالدماغ، وما إلى ذلك من أمور. وبطبيعة الحال، اكتشفت وكالة المخابرات المركزية أمر البرنامج، فدب فيها الذعر، وسارعت إلى اللحاق بالركب، وأطلقت سلسلتنا الخاصة من برامج الأبحاث العصبية–العسكرية ذات السرية العالية."

فقالت كاثرين" :وكان أحد تلك المشاريع... يدعى 'ستارغيت."'

فأجابت ناغل وهي تزيد من سرعة المركبة لتلحق بالإشارة الضوئية عند تقاطع طرق صاخب ذي ستة اتجاهات" :أجل، كان كذلك. ولكن كما تعلمين على الأرجح، كان 'ستارغيت' إخفاقاً ذريعاً، وواحداً من أكثر إخفاقات الوكالة العلنية إذلالاً. فحين كُشف أمر 'ستارغيت'، تعرضت الوكالة لسخرية لاذعة لإنفاقها الملايين على علوم زائفة، وألاعيب بهلوانية،

ومحاولات لتدريب 'جواسيس أشباح سحرة'. وفي نهاية المطاف، تبين أن وكالة المخابرات المركزية قد وقعت في فخ معلومات مضللة بثها الروس، وخدعوها لتلهث وراء علوم هامشية ما كان لها أن تفلح أبداً."

"ليست هامشية تماماً"، هكذا تمتمت كاثرين في نفسها وقد استبد بها الضيق، لكنها ألجمت لسانها. فرغم إخفاقات مشروع 'ستارغيت 'وتاريخه المخجل، فإن محاولاته لاستكشاف ظواهر الدماغ الخارقة للطبيعة تندرج تحت ما يسميه العلماء اليوم الميتافيزيقا أو علم التخاطر.

فسأل لانغدون" :ولماذا ذكرتِ 'ستارغيت'؟ هل كتبتِ عنه في كتابك؟."

فقالت كاثرين" :كلا. ولكن يخطر لي أن 'ستارغيت'كان من أولى المحاولات لاختبار إمكانية وجود الوعي غير الموضعي."

"حقاً؟ "التفت لانغدون وقد بدت عليه الدهشة" .إذن وكالة المخابرات المركزية عملت في مجال الوعي غير الموضعي؟."

قالت كاثرين" :بمعنى ما، نعم. لقد حاول مشروع 'ستارغيت' تطوير تقنية مراقبة لم يكن أحد ليتخيلها من قبل، أطلقوا عليها اسم 'الرؤية عن بعد'. وتقوم على أن يجلس 'الرائي' في مكان هادئ، ويتأمل حتى يدخل في حالة من الغشية، ثم يسقط وعيه خارج جسده... محرراً إياه من قيوده

الموضعية... ويتركه يتجسد دون عناء في أي مكان في العالم، حتى يتمكن الوعي من 'رؤية' ما يحدث في أماكن نائية."

فعقد لانغدون حاجبيه، وقد ارتسمت على وجهه علامات الشك العميق.

"شكراً لك يا روبرت"، هكذا فكرت في نفسها، معتبرة أن الرؤية عن بعد هي التعريف الدقيق لنظريتها عن الوعي غير الموضعي. عقل لا تقيده قيود المكان.

وأضافت ناغل قائلة" :كان الهدف الأسمى لمشروع 'ستارغيت'، من منظور عسكري، هو تدريب جاسوس ذي قدرات نفسية خارقة، يمكن لوعيه أن يحوم داخل الكرملين، ويراقب اجتماعاً، أو محادثة خاصة، أو جلسة استراتيجية عسكرية، ثم 'يعود' إلى وطنه ليبلغ بما جرى."

فقال لانغدون بلهجة لا تخلو من تهكم" :غريب حقاً أنه لم يفلح."!

فانحنت كاثرين إلى الأمام في مقعدها، وتحدثت الآن بقوة" :للعلم يا روبرت، لقد كتبت أنت عن الرؤية عن بعد والوعي غير الموضعي قبل أن أكتب أنا عنهما بوقت طويل."

"ماذا؟ أنا لم أكتب قط عن أي منه."——

"لقد أسميتهما 'الإسقاط النجمي' و 'ال 'كا' المتحررة.""

تردد لانغدون، وأمال رأسه مفكراً" .أوه... تقصدين كتاب 'العمارة الروحية'؟ هل قرأتِ ذلك الكتاب؟."

"حسناً، أنت الذي أرسلته إلي."...

لقد كتب لانغدون أن ممارسة الإسقاط النجمي يعود تاريخها إلى مصر القديمة، حيث تضمنت الأهرامات ممرات ذات زوايا مدروسة بعناية لتمكين روح الفرعون، أو الـ "كا"، من التحرك دخولاً وخروجاً إلى النجوم. وأشار لانغدون في كتابه إلى أن كلمة "كا" كثيراً ما تترجم خطأً إلى "روح"، في حين أنها تعني في الحقيقة "مركبة"... أي وسيلة لنقل الوعي إلى أماكن أخرى. ولم تكن الحكمة التي اكتسبها الفراعنة في رحلة أرواحهم إلى النجوم ممكنة إلا بفضل فهمهم لـ "الـ 'كا' المتحررة"... وبعبارة أخرى، الوعي غير الموضعي. وكتب لانغدون أن فكرة "الروح الأبدية غير المادية" هي ثابت كوني في جميع الأديان.

إنه ليتحدث دوماً عن الوعي غير الموضعي. ولكنه لا يدرك ذلك فحسب.

فقال لانغدون وقد بدا عليه الارتباك" :حسناً، ولكنني أكتب عن معتقدات تاريخية، لا عن علوم دقيقة. فمجرد إيمان ثقافة ما بصحة شيء ما... لا يجعله حقيقة علمية. كل ما أقوله هو أنني أجد من الصعب أن أتخيل أن الرؤية عن بعد ممكنة علمياً."

في العادة، كانت كاثرين تقدر شكوك لانغدون لأنها كانت تتحدى أفكارها، لكنها شعرت اليوم أنه لا يفتح عقله بما يكفي ليرى حقيقة كانت واضحة لها وضوح الشمس. فلقد قال وليم جيمس، أبو علم النفس الأمريكي، قولته المشهورة: لكي تدحض الزعم بأن كل الغربان سوداء، يكفيك غراب واحد أبيض. وكما وصفت كاثرين في كتابها، فقد ظهر الآن سرب كامل من الغربان البيضاء... بفضل علم النويتيقا، وفيزياء الكم، وأعمال نخبة مرموقة من الأكاديميين الذين كانوا من أشد المدافعين عن الوعي غير الموضعي.

فلقد توصلت عقول جليلة من أمثال هارولد بوتوف، وراسل تارغ، وإدوين ماي، ودين رادين، وبريندا دن، وروبرت موريس، وجوليا موسبريدج، وروبرت جان، وغيرهم كثر، إلى نتائج مذهلة في مجالات متنوعة مثل فيزياء البلازما، والرياضيات غير الخطية، وأنثروبولوجيا الوعي، وكلها تدعم فكرة الوعي غير الموضعي. وحملت كتبهم الرائجة عناوين مثل "العقل اللامحدود"، و"التصورات عن بعد"، و"الحاسة السابعة"، و"الإدراك الشاذ"، و"السحر الحقيقي."

لم تسمع كاثرين عن أي من هذه العناوين الأخرى أنها واجهت معارضة من وكالة المخابرات المركزية. ولماذا قد يحدث ذلك؟ ففكرة "العقل المنفصل عن الجسد" لم تكن غريبة بالقدر الذي يتخيله معظم الناس. فملايين

الأشخاص الذين يمارسون التأمل كانوا في الواقع يغازلون بالفعل أطراف هذا العالم، إذ يركزون عقولهم حتى تبدو أجسادهم المادية وكأنها تتبخر، ويدركون أنفسهم كعقل مجرد —— وعي لم يعد قابعاً داخل الجسد.

ومن هناك، تصل نسبة ضئيلة من المتأملين المهرة إلى "الإسقاط"، وهي حالة يدرك فيها الوعي أنه يتحرك بعيداً عن موقعه المادي. وهذا هو الإحساس المنفصل نفسه الذي يصفه العديد من مرضى الصرع والناجين من تجارب الاقتراب من الموت.

وكان أقرب ما وصلت إليه كاثرين من الإسقاط هو "الحلم الجليّ" الذي يراودها بين الحين والآخر —— وهي تجربة غريبة "تستيقظ" فيها داخل حلمها، وتدرك أنها تحلم، وتكون قادرة على فعل ما تشاء داخل حلمها. إنها ساحة اللعب الافتراضية المطلقة. وجسر متاح بين الوعي والخيال، يتيح الحلم الجلي نافذة فريدة على التلاعب بالواقع الذاتي للمرء. وليس من المستغرب أن الحلم الجلي قد أصبح صناعة تدر ملايين الدولارات من "الجلاء" —— من كتيبات تعليم الحلم، ونظارات النوم، وحتى كوكتيلات عقار الغالانتامين المصممة لمساعدة الحالمين على "بلوغ الجلاء."!

كانت كاثرين تعلم أن الحلم الجلي معترف به في ثقافات مختلفة منذ قرون، ولكن لم يتم إثبات وجوده تجريبياً بالطرق العلمية إلا في سبعينيات القرن

الماضي، ولا سيما على يد عالم النفس الفسيولوجي ستيفن لابيرج .فقد أثبت لابيرج أن الحالمين الجليين، أثناء نومهم، يمكنهم إيصال "وعيهم الإدراكي" للباحثين عن طريق أداء سلسلة من حركات العين المتفق عليها مسبقاً... كل ذلك بينما يكون عقل الحالم يخوض تجربة بعيدة عن جسده النائم.

كان الاستيقاظ داخل الحلم مهارة يمكن تعلمها لمن يهتم، أما من لا يهتم، فكانت هناك أخبار سارة أيضاً. فقد كانت كاثرين تعتقد أن كل شخص سيخوض تجربة خروج من الجسد مرة واحدة على الأقل في حياته.

لحظة الموت.

فالبيانات تشير بأغلبية ساحقة إلى أن الموت يصحبه انتقال عبر تجربة واعية خارج الجسد، يُنظر إليها عادة على أنها انفصال عقلك عن جسدك، وهو يحوم فوق شكلك المادي على طاولة عمليات، أو في موقع حادث، أو على فراش الموت... مراقباً أولئك الذين يحاولون إنعاشك أو يلقون عليك وداعاتهم الدامعة. ولقد أذهل آلاف المرضى الذين أُعيدوا إلى الحياة جراحيهم حين رووا بدقة أفعالاً ومحادثات جرت في المستشفى بينما كانوا موتى سريرياً، بل وكانت أعينهم مغطاة بشريط لاصق من أجل الجراحة.

ولم يكن هناك حتى الآن إجماع على سبب هذه الرؤى خارج الجسد. أهي هلوسات عارضة يسببها نقص الأكسجة؟ أم دليل على خروج الروح من الجسد؟ أم لمحة عابرة إلى وجودنا التالي؟

كانت كاثرين تعلم أن الطبيعة الحقيقية للموت هي السر الذي نتوق جميعاً إلى فهمه... في كل ثقافة، وكل جيل، وكل عصر. ولكن على عكس معظم أسرار الحياة التي لا يمكن معرفتها، كان هذا سراً مكفولاً أن ينكشف لكل واحد منا... ولكن في النهاية فقط.

فآخر لحظات حياتنا... هي أولى لحظات الحقيقة التي تنكشف لنا.

الفصل السادس والثمانون

كانت السفيرة نايجل تجتاز بحذر ذلك المنعطف الحاد في شارع تشوتكوفا، حين صدح هاتفها الخلوي الشخصي، الموضوع على الشاحن إلى جوارها، بصوت خافت. وخُيّل إليها لوهلة أن ذلك الصوت الغريب على مسامعها ما هو إلا ضرب من التنبيه، إيذانا بأن الهاتف لم يعد جثة هامدة، وأن الحياة قد سرت في أوصاله من جديد.

بيد أن الهاتف واصل صليله. فألقت نايجل نظرة خاطفة إلى أسفل، وقد اعتراها الذهول حين رأت مكالمة واردة—وهي أول مكالمة تتلقاها على هذا الهاتف قط، والذي بدا أن نغمة رنينه مضبوطة على صوت "صرصور الحقل."

"ما من مخلوق يعلم بوجود هذا الخط أصلا"...

ومع ذلك، أظهرت شاشة الهاتف اسما مألوفا :الرقيب سكوت كيربل—قائد مفرزة حرس المارينز الأمنية المكلفة بحمايتها. كانت نايجل تأتمن كيربل على حياتها، لكنها فوجئت بأنه يملك هذا الرقم. وإذ لم تر بُدا من الإجابة، ردت على المكالمة.

"سكوت؟"

"سيدتي السفيرة "!هتف الحارس، وقد بدا على صوته الارتياح" .أعتذر لاستخدام خطك الخاص. لقد حاولت الاتصال بجميع أرقامك الأخرى، ولكن"...

"لا بأس—لم أكن أعلم أن أحدا يعرف بأمر هذا الهاتف. هل من خطب؟"

"أخبرني مقر إقامتك، "قال الجندي، "أنكِ قادمة إلى السفارة من أجل بعض الأدوية. متى تتوقعين الوصول؟"

انحنت نايجل على المقود وقد تملكها الضيق. "اللعنة" "!في الواقع يا سكوت، الوقت غير مناسب الآن. هل هناك خطأ ما؟ "كان بإمكانها أن ترى مدخل جسر مانيسوف يلوح في الأفق أمامهم.

"أنا في انتظارك في السفارة يا سيدتي، ومعي شيء أعتقد أنك بحاجة إليه"...

"انتظر، ظننت أنك مع دانا تشرف على استعادة جثة السيد هاريس"!

"كنت كذلك يا سيدتي، لكني تركت دانا مسؤولة لأعود إلى السفارة وأعطيك "...تردد كيربل، وبدا على صوته تلعثم لم يُعهد فيه من قبل . "سيدتي، عندما دخلت الشقة، كان هناك ظرف مختوم ملقى على جثة السيد هاريس".

أُخذت نايجل على حين غرة" .عفوا؟ ظرف؟"

"أجل، سيدتي. ويبدو من كل القرائن أن الشخص الذي قتل السيد هاريس هو من تركه هناك".

"يا إلهي !وماذا بداخله؟"

"لم أفتحه. قررت أن آخذه خلسة وأحضره إليك على الفور ".صمت كيربل مرة أخرى، وخفض صوته" .الظرف موجه تحديدا... إليكِ".

"إليّ؟ "!تركت نايجل الهاتف يسقط في حجرها، وأمسكت بالمقود بكلتا يديها وأدارته يسارا، فانحرفت بالسيارة عن الطريق قبل لحظات من دخولها الجسر. توقفت السيارة بعنف على جانب طريق كلاروف، خلف نصب الأسد المجنح التذكاري.

التقطت نايجل الهاتف مرة أخرى" .سكوت، أمهلني لحظة".

بدا الذعر على لانغدون وكاثرين، وهو أمر مفهوم، فأشارت لهما نايجل بأنها بحاجة إلى لحظة. أطفأت المحرك، وترجلت من السيارة، وسارت نحو ضفة النهر والهاتف ملتصق بأذنها.

"قل لي، "صاحت نايجل بغضب فاق ما قصدت، "بحق الجحيم، لماذا يترك قاتل مايكل هاريس ظرفا موجها إليّ؟"!

"لا أعلم، ولكن من الواضح أنه تُرك ليُعثر عليه ويُسلم. الظرف موسوم بعبارة 'خاص وشخصي'."

هبت ريح من نهر فلتافا، فأرسلت قشعريرة سرت في أوصال نايجل وهي تكابد فهم الموقف الذي يزداد سوءا.

"سيدتي؟ "ألح كيربل" .أنا على دراية تامة بأنك غادرتِ السكن دون مرافقة. وفي ضوء هذه الرسالة، سأضطر إلى أن أطلب منك الحضور على الفور".

كادت نايجل أن تطلب من الجندي أن يفتح الرسالة ويخبرها بما فيها، لكنها علمت أنه سيرفض. وهو محق في ذلك. فهي تتحدث عبر هاتف خلوي، والله وحده يعلم محتويات الرسالة. كان بإمكانها أن تسمع القلق في صوت الرقيب كيربل، ولم يساورها شك في أنها إذا لم تحضر على الفور، فسيضطر إلى توجيه مفرزة أمن المارينز بأكملها لمحاولة تحديد مكانها.

ألقت نايجل نظرة إلى الوراء نحو السيارة. كان لانغدون وكاثرين قد ترجلا منها ويراقبانها بقلق. عاد صوت كيربل إلى أذنها مرة أخرى.

"سيدتي؟ "ألح الجندي" .أسمع أنك في الخارج. هل خرجتِ لقضاء بعض الشؤون؟"

كان سؤال الرقيب كيربل عن "الشؤون" إشارة إلى أن الأمور قد بلغت حدا من الخطورة لا يمكن السكوت عنه. كانت تلك الإشارة نداء استغاثة متفقا عليه في حال تعرضها لمكروه. كل ما كان عليها فعله هو أن تقول" :أجل، لقد خرجت لقضاء بعض الشؤون"، وعندها سينقلب كل شيء رأسا على عقب.

"سكوت، "قالت" .أنت تعلم أنني لا أقضي شؤونا. أحضر الرسالة إلى مكتبي. سأكون هناك في غضون عشر دقائق".

"شكرا لكِ يا سيدتي ".بدا الارتياح على صوت الجندي.

أغلقت نايجل الخط وعادت أدراجها نحو السيارة. كان شارع ليتينسكا قريبا، على بعد ثماني دقائق سيرا على الأقدام من السفارة. ومن الواضح أنها لا تستطيع أن تأخذ لانغدون وكاثرين إلى أي مكان بالقرب من هناك.

"ما الذي حدث للتو؟ "سأل لانغدون فور وصولها.

"المصائب لا تأتي فرادى، "قالت نايجل، وأخبرتهما بأمر الظرف" .لا علم لي بما فيه، ولكن إن لم أعد إلى السفارة في غضون عشر دقائق، فإن مفرزة أمني بأكملها ستمشط براغ، وهم لا يعرفون المزاح ".ناولت لانغدون مفاتيح سيارتها" .ستكونان في مأمن أكبر بدوني".

"هل من أخبار عن ساشا؟"

"لا، لو كان هناك شيء لذكره. سأطلب من مسؤول التقنية لدي إجراء مسح للتعرف على الوجه عبر كاميرات المراقبة في المدينة".

"وماذا عن الهاتف؟ "قالت كاثرين، مشيرة إلى هاتف "سامسونج" القديم في يدها" .من أجل الصور؟"

تنهدت نايجل" .من الواضح أنه مخترق. لا أعلم إن كان يمكن تعقبه، ولكن لا ينبغي لكما المخاطرة. ثم إنه خطر ببالي على أي حال أنه إذا التقطتما صورا، فإن وكالة المخابرات المركزية ستدعي ببساطة أنها مزيفة بالذكاء الاصطناعي. سيكون من الأفضل لكما العثور على وثائق وأدلة مادية إن استطعتما".

"حسنا، "قال لانغدون" .هناك مشكلة أخرى. لقد وعدت جوناس فوكمان بأن أتصل به بعد الابتعاد عن سكنك. إذا لم يتلق مني خبرا، فسيتصل بسلطات براغ قريبا. كنت أنتظر حتى يشحن هاتفك لأتصل به، ولكن الآن بعد أن علمنا أنه مخترق"...

"ما هو الرقم المباشر لمحررك؟ "سألت نايجل، وهي تمد يدها إلى داخل السيارة بحثا عن قلم وورقة" .سأتصل به من الخط الآمن في السفارة. أو يمكنني أن أرسل له بريدا إلكترونيا"...

"لن يصدقكِ، "قال لانغدون" .إنه يعلم أنك من وكالة المخابرات المركزية. سيريد أن يسمع مني مباشرة".

"اللعنة!" فكرت. "إنه محق."

"في الواقع "...تقطب جبين لانغدون وهو يدبر أمرا في ذهنه للحظات .

"أعطني ذلك ".أخذ القلم والورقة وبدأ يكتب" .هذا هو عنوان البريد الإلكتروني لفوكمان ".صمت الأستاذ، وأغمض عينيه للحظة طويلة، وكأنه يؤلف رسالة في ذهنه" .حسنا، أرسلي له هذا ".سرعان ما كتب لانغدون رسالة غريبة المظهر وناولها إياها.

حدقت نايجل في النص الذي لا معنى له" .ما هذا؟"

"فقط أرسليه، "أجاب لانغدون" .سيفهم".

الفصل السابع والثمانون

غمغم لانغدون في تبرم وهو يكابد ناقل الحركة اليدوي في المركبة التي كانت تتخبط في سيرها بغير رشاقة جنوباً صوب متنزه فوليمانكا" :تباً لهذه المركبات ذات النواقِل اليدوية، ينبغي أن تُحظر من الوجود."

فأجابته كاثرين بمداعبة" :أو لعل الحظر يجب أن يطال الرجال الذين يدّعون إتقان قيادتها؟."

لم يملك لانغدون إلا أن يبتسم، ممتناً لروحها المرحة التي بددت شيئاً من غيوم التوتر التي تلبدت في الأجواء. لقد كان عقله شارداً في مكان آخر، يفكر في رحيل السفيرة المفاجئ. لقد عرّضت ناغل نفسها لمخاطر مهنية جسيمة من أجلهما، وهو أمرٌ قدره لانغدون لها حق قدره. ولكن شغله الشاغل كان سلامتهما... وأن يهتدي إلى السبب الذي جعل كتاب كاثرين في مرمى نيران وكالة المخابرات المركزية.(CIA)

إن الإجابة عن هذه الأسئلة كامنة في جوف 'ثرشولد.'

وكلّه أمل ألا يكون شعوره المتفائل بالقدرة على النفاذ إلى تلك المنشأة الخفية ضرباً من الثقة الواهمة.

سنعرف الجواب في غضون دقائق معدودة.

أما شكوك كاثرين في أن لمشروع 'ستارغيت 'صلة بمحنتهما، فقد بدت للانغدون بعيدة الاحتمال. لم يكن يعرف الكثير عن ذلك البرنامج الذي فقد مصداقيته، لكنه كان يعلم أن هوليوود نفسها قد وجدت في الأمر مادة للسخرية على حساب الوكالة، فأنتجت فيلماً من بطولة جورج كلوني حمل عنواناً لا يخلو من سخرية لاذعة هو "الرجال الذين يحدقون في الماعز". وكان الفيلم مبنياً على تجربة مزعومة من تجارب 'ستارغيت 'حاول فيها المشاركون قتل الماعز بمجرد التحديق فيها.

ورغم تشكك لانغدون في مسألة الرؤية عن بعد، فإن المفهوم الأساسي لها يضرب بجذوره في أعماق التاريخ لأكثر من سبعة آلاف عام. فقد دوّن السومريون القدماء عن "رحلات نجمية" غامضة، وهي تجارب للخروج من الجسد تسافر فيها عقولهم إلى النجوم لتشاهد عوالم بعيدة.

وبطبيعة الحال، كان للأفيون دور كبير في ذلك، كما كان يعلم لانغدون، مما جعله يتساءل عما إذا كان مشروع 'ثرشولد 'يستكشف حالات الوعي المعدلة التي تحدثها العقاقير... وربما يربطها بالوعي غير الموضعي.

وكانت كاثرين قد ذكرت في وقت سابق فئة جديدة من العقاقير تعرف باسم "العقاقير التفارقية"، والتي يبدو أنها تصاحبها حالة من الانفصال عن

الجسد. ومن المؤكد أن لوكالة المخابرات المركزية تاريخاً طويلاً في إجراء تجارب سرية على العقاقير.

بما في ذلك ما جرى في حرم جامعة هارفارد...

فمن أبشع مشاريع الوكالة التي تكشفت للعلن مشروع حمل الاسم الرمزي MKULTRA، والذي كان يُعطى فيه عقار LSD سراً لطلاب جامعيين غافلين لدراسة تأثير العقار على عقول الشباب. والمفارقة المخيفة أن أحد الخاضعين للتجربة كان طالباً في هارفارد يدعى تيد كازينسكي، الذي عُرف فيما بعد باسم "يونابومبر"، ورغم أن الوكالة شهدت بأن كازينسكي لم يُعطَ أي عقاقير قط، إلا أنها اعترفت بإخضاعه "لأساليب استجواب تجريبية"، وهو ما يرجح أنه قد زعزع استقرار عقله.

ولم تقف حكايات العقاقير في هارفارد عند هذا الحد. فبالتزامن مع مشروع MKULTRA، أطلق عالم النفس في الكلية، تيموثي ليري، مشروع هارفارد سيئ الصيت لدراسة عقار السيلوسيبين، والذي شجع الطلاب على استكشاف الفوائد الموسعة للعقل التي تمنحها المهلوسات، تحت شعار: "انغمس، انسجم، انسحب". ويشتبه الكثيرون الآن في أن ليري ربما كان يعمل سراً مع وكالة المخابرات المركزية.

قال لانغدون وهو يلتفت إلى كاثرين التي كانت تحدق من النافذة" :يُثير فضولي أمرٌ. في كتابك... هل تطرقت إلى حالات الوعي المعدلة التي تُحدثها المواد الكيميائية؟."

فقالت" :بالطبع. فكما ذكرتُ سابقاً، ثمة مهلوسات معينة تقلل من مستويات ناقل 'GABA' في الدماغ، مما يخفض من آلية الترشيح في الدماغ. وهذا يعني، في رأيي، أن أحاسيس الخروج من الجسد المرتبطة بالمهلوسات هي انعكاس للواقع غير المرشح، وليست هلوسة."

بدا كلامها منطقياً، وكانت هناك بالتأكيد سوابق تاريخية تشير إلى أن العقاقير طريق إلى الاستنارة. فمن نصوص "الريجفيدا" والأسرار الإليوسينية القديمة إلى كتاب هكسلي الكلاسيكي "أبواب الإدراك" الصادر عام 1954، طالما أشار كبار الكتاب إلى أن المواد المخدرة ذات التأثير النفسي هي وسيلة لتوسيع الوعي البشري وإدراك "الواقع بلا مرشحات."

وسألها لانغدون في لهجة عابرة" :لم أسألك من قبل يا كاثرين، هل تتضمن أبحاثك في الوعي تعاطي العقاقير بنفسك؟."

فالتفتت إليه وحدقت فيه، وقد بدا عليها أنها مستمتعة بمجرد طرحه للسؤال" .روبرت، حقاً؟! إن الدماغ آلية في غاية الدقة والحساسية، ومحاولة تعديلها بالمهلوسات كمحاولة إصلاح ساعة رولكس لا تقدر بثمن بمطرقة

ثقيلة! فالعقاقير تُحدث حالات وعي معدلة عن طريق خلق سلسلة متتالية من الاضطرابات العصبية العنيفة التي يمكن أن تترك آثاراً دائمة. وبقدر ما قد تجد تلك التجربة الوجيزة مستنيرة، فإنك تخاطر بتقويض سلامة التشابكات العصبية وتوازن النواقل العصبية على المدى الطويل. فبالنسبة لمعظم المهلوسات، فإن الآلية الأساسية التي تمارس من خلالها تأثيراتها هي إحداث خلل في تنظيم السيروتونين —— وهي فكرة سيئة للغاية —— إذ يمكن أن تؤدي بسهولة إلى عجز إدراكي، وعدم استقرار عاطفي، بل وحتى حالات ذهانية دائمة."

فهز لانغدون رأسه مبتسماً" :أحسب أن في هذا جواباً شافياً بالنفي."

فقالت في حياء" :المعذرة. لدي زملاء يجرون تجارب مسؤولة على مختلف المواد المخدرة، وهناك بالتأكيد مجال لذلك. كل ما في الأمر أنني أقلق حين يفترض الشباب أن الأمر كله آمن. وهو ليس كذلك."

وخفّض لانغدون سرعة المركبة بسلاسة قدر الإمكان ليتجنب الاصطدام بقطار ترام.

فقالت كاثرين" :أفترض أنك سألت لأنك تظن أن للعقاقير صلة بمشروع 'ثرشولد'؟."

قال لانغدون" :يبدو احتمالاً وارداً. لقد ذكرتِ في حديثك الليلة الماضية طائفة من العقاقير الجديدة التي يبدو أنها تزيد من القدرات النفسية الخارقة. وإذا نظرت إلى الحالات الموثقة التي لا تحصى لجرائم حُلت على أيدي الوسطاء الروحيين، فليس من الصعب أن تتخيل وكالة المخابرات المركزية وهي تحاول تطوير عقاقير لتعزيز تلك القدرات. فالتطبيقات ستكون لا حصر لها."

قالت" :أفترض ذلك... ولكنها ليست فكرة مبتكرة تماماً."

صحيح، فستكون وكالة المخابرات المركزية قد فاتها الركب. فكاهنة دلفي كانت ترى بانتظام رؤى المستقبل وهي تستنشق الغازات المتصاعدة من صدع في جبل بارناسوس؛ والأزتيك كانوا يتحدثون إلى أرواح المستقبل وهم تحت تأثير نبات البيوتي؛ والمصريون كانوا يرون أحداث الغد وهم يتعاطون نبات اللفاح واللوتس الأزرق. أما "روادنا" المعاصرون —— أسماء مثل كاستانيدا، وبوروز، وماكينا، وهكسلي، وليري ——فكانوا في الواقع يقتفون أثر قرون من الأرواح التي حاولت توسيع عقولها بالمواد الكيميائية.

قالت كاثرين" :لا أعتقد حقاً أن لـ 'ثرشولد' صلة بالعقاقير. فليس هناك إلا القليل عنها في كتابي."

فسألها لانغدون وهو يوجه المركبة جنوباً بمحاذاة النهر باتجاه متنزه فوليمانكا" :إذن ما هو أفضل تخميناتك؟."

أسندت كاثرين رأسها إلى مسند المقعد" .أرجح أن قلقهم يكمن في تجاربي على الاستبصار."

استرجع لانغدون تجارب كاثرين على الاستبصار —— حيث يتفاعل دماغ الشخص مع صورة ما قبل أن "يراها" بصرياً بالفعل. فالصورة المختارة عشوائياً، وكأنما بفعل السحر، تظهر في وعي الشخص قبل حتى أن يختار الحاسوب أي صورة سيعرضها.

فقال" :لأكون صريحاً، لست متأكداً حتى من أنني أفهم تجربة الاستبصار التي تقومين بها. فإذا كان الدماغ يسجل الصورة قبل أن يختارها الحاسوب... فكأن دماغك هو الذي يتخذ القرار... ثم يملي على الحاسوب أي صورة يختار."

"الوعي يخلق الواقع. هذا احتمال وارد، نعم."

"وهل هذا ما تؤمنين به؟."

"ليس تماماً. في نموذجي، دماغك لا يتخذ القرار... بل يتلقاه."

فألقى لانغدون نظرة خاطفة إليها" .يتلقى القرار... من أين؟."

"من حقل الوعي الذي يحيط بك. فرغم أنك تشعر وكأنك تتخذ قراراتك بنفسك، فإن تلك القرارات في حقيقة الأمر قد اتُخذت بالفعل وهي تتدفق إلى دماغك."

"عند هذه النقطة أفقد مجرى حديثك... فإذا كنت أتوهم فقط أنني أتخذ قراراتي، فلا وجود إذن لحرية الإرادة."!

"صحيح. ولكن لعل حرية الإرادة يُبالغ في شأنها."

"كيف يمكنكِ أن."——

انحنت كاثرين نحوه وقبلته على شفتيه. ثم عادت إلى مقعدها وابتسمت" .لا أدري من أين جاء ذلك القرار... ولكن هل يهم الأمر حقاً؟ أليس وهم حرية الإرادة كافياً؟."

فكر لانغدون في الأمر لحظة ثم وضع يده على فخذها" .أعتقد أن الأمر يتطلب المزيد من البحث."

فضحكت" .هل تتوق إلى تجربة الخروج من الجسد أيها الأستاذ؟."

"في الواقع، أظن أنني أفضل البقاء في جسدي من أجل ذلك النشاط تحديداً."

فقالت" :لا تكن متأكداً إلى هذا الحد. فالجنس، كما تبين، وثيق الصلة بنظرة علم النويتيقا لتجارب الخروجِ من الجسد."

فتأوه لانغدون" :هل كل شيء معكِ له صلة بالعمل؟."

"في هذه الحالة، نعم. فكما تعلم، أثناء النشوة الجنسية، يمر العقل بلحظة غامرة من النعيم يتبخر فيها العالم المادي بأسره. وتعتبر النشوة في كل الثقافات أمتع تجربة يمكن أن يمر بها الإنسان، فهي انفصال عن الذات يمحو كل شيء، وتخلٍ مؤقت عن كل هم وألم وخوف. هل تعلم ماذا يسميها الفرنسيون؟."

فقال**Oui**" :، يسمونها."**La petite mort**

"أجل —— الموتة الصغرى. وذلك لأن الانفصال عن الذات الذي يُشعر به عند النشوة هو الإحساس نفسه الذي يصفه الأشخاص الذين مروا بتجارب الاقتراب من الموت."

"لهو سحرٌ قاتم يأسر الألباب."

"إنه علم الدماغ يا روبرت. والمشكلة في النشوة الجنسية بالطبع أنها محبطة في سرعة زوالها. ففي غضون ثوانٍ من التحرر المبهج من كل شيء، يندفع عقلك عائداً إلى جسدك، ليعيد الاتصال بالعالم المادي وكل ما يصاحبه من

آلام وضغوط ومشاعر بالذنب ."وابتسمت" .وهذا سبب آخر لرغبتنا في تكرارها المرة تلو الأخرى. فتجربة النشوة ترهق الجهاز العصبي... وتطلق سراح العقل. تماماًكنوبة الصرع."

لم يربط لانغدون قط بين النشوة الجنسية والموت أو نوبات الصرع، وخشي أن هذه الصلة ستعاوده إلى الأبد في ذهنه في أكثر اللحظات حرجاً. "شكراً جزيلاً."

قالت كاثرين وهي تميل رأسها" :في الواقع... طافت بذهني فكرة غريبة."

"يبدو أن الكثير من هذه الأفكار يطوف بذهنك"...

فقالت وهي تلقي نظرة إليه" :مساعدة مختبر غيسنر. لقد قلت إن هذه الشابة مصابة بالصرع؟ وأنها أمضت وقتاً في مصحة نفسية؟."

"أجل، فعلت."

فقطبت كاثرين حاجبيها" .ألا تجد من الغريب أن تسمح وكالة المخابرات المركزية لـ 'غيسنر' بتوظيف مريضة نفسية روسية لا تملك أي مهارة؟ أعني، أنا أعلم أن 'ساشا' لا تعمل في 'حصن كروسيفيكس' إلا في وظيفة متواضعة، ولكن يبدو أن وجود روسية لديها مشاكل في الدماغ على هذا

القرب من عمل 'غيسنر' يمثل خطراً أمنياً... وهو العمل الذي أفهم أنه حاسم الأهمية بطريقة ما لمشروع 'ثرشولد."'

فعارضها لانغدون قائلاً" :لا أرى في ذلك خطراً. فقد بدت 'ساشا' مستقرة تماماً، ومن المؤكد أنها ليست من محبي وطنها الأم. أعتقد أن 'غيسنر' ربما وظفتها بدافع الشفقة."

فضحكت كاثرين بصوت عال" .روبرت، أنت لطيف. ساذج ولكن لطيف. إنّ بريجيتا غيسنر ـــ مع كامل الاحترام للموتى ـــكانت امرأة نرجسية لا تخدم إلا مصالحها، وسيدة أعمال قاسية لا تعرف الرحمة. فإذا وظفت مريضة نفسية روسية غير متعلمة في دائرتها المقربة، فذلك لأن لدى 'ساشا' شيئاً تحتاجه 'غيسنر."'

"حسناً، إذن ليس لدي أدنى فكرة عما قد يكون ذلك الشيء."

فقالت كاثرين وقد بدا على صوتها فجأة مزيد من الحيوية، وتوقدت عيناها : "قد يكون لدي فكرة. لقد خطرت لي للتو، وهي شيء كتبت عنه في كتابي."

"ما هي؟."

قالت وهي تلتفت نحوه بكامل جسدها الآن" :أعلم أنك متشكك بشدة في مسألة الرؤية عن بعد، ولكن إذا كان لـ 'ثرشولد' أي صلة بالرؤية عن بعد... فإن صرع 'ساشا' يجعلها ذات قيمة."

"كيف؟."

"فكر في الأمر! إن المهارة الأساسية التي يمتلكها الرائي عن بعد هي القدرة على استحضار تجربة الخروج من الجسد. والتحدي يكمن في أن تجارب الخروج من الجسد العضوية نادرة للغاية، وقليل جداً من الناس يمكنهم خوضها بالفعل."

وفجأة، أدرك لانغدون إلى أين تتجه كاثرين بحديثها.

فنوبات الصرع توصف بأنها "انعتاق" سلمي من الجسد المادي، أي أنها، في واقع الأمر، فترة وجيزة من الوعي غير الموضعي.

وواصلت كاثرين قائلة" :إن تجارب الخروج من الجسد هي شيء يمر به المصابون بالصرع بشكل طبيعي تماماً. فالدماغ المصاب بالصرع مهيأ أصلاً لتجارب الخروج من الجسد... مما يعني أن المصاب بالصرع من المرجح أن يكون راءياً عن بعد ماهراً."

"لا يمكنك أن تصدقي حقاً أن ساشا فيسنا جاسوسة نفسية تعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية."...

"ولم لا؟."

"لأنني قضيت وقتاً معها. لديها سلسلة مفاتيح تحمل دمية هزلية! إنها روح تائهة وديعة."

فتحدته كاEثرين" :وديعة؟! ألم تقل إنها هشمت رأس رجل بمطفأة حريق."!

"من الناحية الفنية هذا صحيح... ولكن كان ذلك لحماية."—

"روبرت، سأعترف أن 'ساشا' ربما ليست راءية عن بعد بنفسها، ولكن من الممكن أن 'غيسنر' كانت تدرس أدمغة المصابين بالصرع لتكتشف ما الذي يجعلها عرضة لتجارب الخروج من الجسد. فالحصول على معلومات عصبية مفصلة عن دماغ مصاب بالصرع يمكن أن يكون ذا قيمة لا تصدق لبرنامج يحاول فصل العقل عن الجسد."

"فكرة مثيرة للاهتمام"، هكذا فكر لانغدون، خاصة في ضوء شيء كانت ساشا قد باحت به في وقت سابق من هذا اليوم" .نسيت أن أذكر أن 'غيسنر' أحضرت مريض صرع آخر إلى 'براغ' من المصحة نفسها —

قبل 'ساشا' —— وهو روسي يدعى 'ديميتري'. وقد خضع للجراحة نفسها التي خضعت لها 'ساشا' وشُفي هو الآخر."

قالت كاثرين" :أود أن أقول إن هذا أمر ذو دلالة. فمن الصعب أن نصدق أن بريجيتا غيسنر كانت تنتقي مرضى الصرع من المستشفيات النفسية وتعالجهم على نفقتها الخاصة، بدافع من الخير المحض."

وكان على لانغدون أن يوافق على أن هذا يبدو منافياً لشخصيتها. وعلاوة على ذلك، أدرك الآن أن شخصاً خاضعاً للتجربة يؤتى به من روسيا —— بمساعدة وكالة المخابرات المركزية على الأرجح —— سيكون خارج نطاق الرادار تماماً في أوروبا .شبح في براغ.

قالت كاثرين" :لنفترض للحظة أن 'غيسنر' جندت هؤلاء المصابين بالصرع كمواضيع دراسة لمشروع 'ثرشولد'. هذا من شأنه أن يفسر لماذا كانت تبقي 'ساشا' بالقرب منها."

"لمراقبتها."

"نعم. تمنحها وظيفة بسيطة، وشقة، وبعض المال. أمر سهل."

"أفترض ذلك."...

وسألت كاثرين وهما يقتربان من متنزه فوليمانكا" :و 'ديميتري'؟ أين هو الآن ـــــ هل لا يزال في 'براغ'؟."

"قالت 'ساشا' إنه عاد إلى وطنه في روسيا بعد أن عالجته 'غيسنر."'

"أشك في ذلك. ربما هذا ما قالته 'غيسنر' لـ 'ساشا'، ولكن إذا كانت وكالة المخابرات المركزية قد أخرجت شخصاً من مصحة، واستثمرت فيه، وجعلته موضوع بحث في برنامج سري للغاية... فهل سيتركونه ببساطة يعود إلى دياره؟ إلى روسيا؟."

"نقطة وجيهة"، فكر لانغدون وهو يزيد من سرعته على امتداد الطريق أمامهم. ومد عنقه قليلاً لينظر أبعد على طول الشارع.

نأمل أن نحصل على إجاباتنا قريباً.

فها هو مدخل 'ثرشولد 'يلوح أمامهم على مقربة.

الفصل الثامن والثمانون

خارج أسوار السفارة الأمريكية، انتصب الرقيب كيربل على الرصيف، وقد كاد الصقيع القارس ينهش أطرافه في بزته الزرقاء الرسمية، وهو يجيل بصره في الشارع، مترقبا سيارة مقبلة. وحين أبصر السفيرة أخيرا، اعتراه الذهول إذ رآها على بعد خطوات منه لا تتجاوز العشر.

"أتسير على قدميها؟! وحيدة؟"!

"أعلم يا سكوت، وأعتذر، "قالت وهي تصل وتمر به على عجل" .كنت فقط بحاجة إلى أن أستنشق بعض الهواء".

"وأين سيارتكِ؟"!

"كل شيء على ما يرام. حقا. اتبعني".

لقد أمضى كيربل عامين في قيادة المفرزة الأمنية للسفيرة نايجل، وما عهدها قط مستهترة أو صعبة المراس، ولا غريبة الأطوار. لا ريب أن مصرع مايكل هاريس قد زلزل كيانها.

وبعد أن صعدا الدرج إلى مكتب السفيرة، وقف كيربل ينتظر، فيما ألقت نايجل بمعطفها، وتناولت قارورة ماء، ثم، ويا لدهشته، شرعت تطبع على

حاسوبها، وهي تراجع بدقة ورقة استلتها من جيب معطفها. وما هي إلا لحظات حتى أعلن الحاسوب بصوت خافت عن إرسال رسالة إلكترونية.

"ملحقكِ قد قُتل، وأنتِ ترسلين رسالة إلكترونية؟"

"حسنا يا سكوت، "قالت وهي تلتفت إليه بكل جوارحها" .أثق أن الظرف آمن؟"

"فُحص فحصا شاملا، "أكد لها، وقد أمرّه بالفعل على الإجراءات الأمنية المتبعة في السفارة للبريد الوارد" .لا مواد غريبة فيه ".فاستل الظرف من جيب صدرته ووضعه أمامها.

التقطته نايجل" .سلة من الهررة الصغيرة؟"

"سيدتي؟"

"القاتل يكتب إليّ على ورق رسائل مزين بصورة هررة؟ "!وأشارت إلى شعار سلة من الهررة الصغيرة على الظرف.

"أجل، سيدتي. لقد أخذ ورق الرسائل من شقة السيدة فيسنا. يبدو أنها تحب القطط".

أمسكت نايجل بفتّاحة الرسائل، وأمرّت نصلها بحذر تحت حافة الظرف، ثم سحبت ورقة مطابقة كانت مطوية مرة واحدة.

لم يستطع الرقيب كيربل أن يرى ما كُتب في الرسالة، ولا أن يتبين وقعها على ملامح السفيرة، غير أن الرسالة كانت قصيرة فيما يبدو.

وما هي إلا لحظات بعد أن وقع بصرها على الرسالة، حتى وضعتها مقلوبة على مكتبها وسارت نحو النافذة. وبعد صمت مطبق دام عشر ثوان كاملة، استدارت وواجهت كيربل.

"شكرا لك. إنني بحاجة إلى بعض الخلوة".

الفصل التاسع والثمانون

كان مدخل مشروع "ترميم "ملجأ فوليمانكا قائماً في الموضع الذي حددته السفيرة ناغل بدقة، في موقع خفي من أحد أحياء المدينة الصناعية، تحفه من جانبيه خطوط سكك القطارات، وشارع يعج بالمارة، والركن الجنوبي الغربي من متنزه فوليمانكا.

وكانت تلك الرقعة المثلثة من الأرض التي يقوم عليها المدخل، والمحاطة بسياج معدني، تعرف باسم ساحة أوسترتشيلوفو .وقد اتخذت هذه "الساحة" المثلثة على مر السنين أغراضاً شتى، فكانت ملعباً للأطفال لم يكتب له النجاح، وساحة مؤقتة لهواة التزلج، وفي الآونة الأخيرة، محطة لتجميع النفايات المعدة للتدوير. بيد أنها على مدى السنوات القليلة الماضية، قد غدت قاعدة انطلاق لفيلق المهندسين بالجيش الأمريكي

لمشروع "ترميم" ملجأ القنابل المتهالك الذي يعود تاريخه إلى خمسينيات القرن الماضي في فوليمانكا.

واعتراها قلق متصاعد وهي ترى لانغدون يقود المركبة بمحاذاة الحاجز الشاهق، وهو جدار مصمت يبلغ ارتفاعه ثماني أقدام، نقشت عليه لافتات تحذيرية:

VSTUP ZAKÁZÁN / ZUTRITT VERBOTEN / الدخول ممنوع

وعند نهاية الجدار، انعطف لانغدون يساراً وسار ببطء على طول الضلع الثاني للمثلث، حيث انتصبت لوحة معلوماتية ضخمة تحمل رسوماً وبيانات توضيحية تشرح ما يجري خلف الأسوار:

PROJEKT OBNOVY PARKU FOLIMANKA / مشروع إنقاذ متنزه فوليمانكا

كانت بوابة الدخول المحصنة على امتداد الجدار مغلقة، ولا تكشف فتحة صغيرة في هيكلها إلا عن نزير يسير مما وراءها. وكان جنديان يرتديان بزات عسكرية سوداء يجوبان طريق وصول معبداً حديثاً، ينحدر إلى نفق عريض مقوس يغوص في جوف متنزه فوليمانكا .وقد سُد مدخل النفق بأعمدة فولاذية منيعة ترتفع من الأرض وتنخفض.

قال لانغدون وهو يمد عنقه بينما كانا يمران" :لهي تحصينات أمنية منيعة لمشروع ترميم."

مشروع حكومي سري... متوارياً عن الأنظار في وضح النهار.

واختلست كاثرين نظرة أخيرة إلى مدخل النفق وهما يجتازانه. وباستثناء الحارسين اللذين لا تلفت هيئتهما الانتباه، لم تر شاحنات، ولا أفراداً، ولا شيئاً. وبدا لها أن السفيرة ربما كانت على صواب في أن منشأة 'ثرشولد ' خالية من أي نشاط في الوقت الراهن.

ثم انعطف لانغدون يساراً وسار بمحاذاة الضلع الثالث والأخير للسياج، والذي كان يمتد موازياً للحافة الغربية لمتنزه فوليمانكا.

"ها قد حانت اللحظة"، هكذا فكرت كاثرين في نفسها، ولا تزال الدهشة تملأ نفسها من خطة الدخول العبقرية التي كان لانغدون قد بسطها في وقت سابق. لقد كانت خطته ترتكز على فكرة واحدة مدهشة.

إن لـ 'ثرشولد 'مدخلاً سرياً.

فبسلسلة منطقية لا تقبل الدحض، كان لانغدون قد أقنع السفيرة بأن "مدخل الإنشاءات" القابع عند الطرف الغربي لمتنزه فوليمانكا، والذي

سيغدو المدخل الرئيسي عند اكتمال المشروع، لم يكن هو السبيل الوحيد إلى الداخل.

كان لـ 'ثرشولد 'نقطة دخول ثانية... مموهة بعبقرية.

والأهم من ذلك، أن لانغدون كان قد حدد بدقة متناهية أين تقع... وكيف السبيل إلى النفاذ منها.

وقف الغولم وحيداً في حجرة لا تشبه شيئاً رآه من قبل أو جال بخاطره.

فبعد أن اتبع الإرشادات المفصلة التي كان قد أرغم غيسنر على الإفضاء بها الليلة الماضية، أفضت به رحلته أخيراً إلى هذا المكان الذي يكاد لا يصدقه عقل.

ثرشولد.

لقد اعترفت غيسنر بكل التفاصيل... ومع ذلك، فإن رؤيته بأم عينه الآن قد أصابته بحيرة كادت تودي به إلى الغثيان.

لقد بنوا هذه الحجرة بدم ساشا.

ولم تكن ساشا الضحية الأولى للمشروع... ولن تكون الأخيرة.

ولهذا السبب، ستكون نهاية 'ثرشولد 'اليوم.

لقد أرهقت رحلة الغولم الطويلة إلى لحظة القصاص هذه قواه إرهاقاً شديداً، وشعر بعاطفة جياشة تتصاعد في صدره. كما شعر بوخز خفي لا تخطئه الحواس يسري في جسده، كان نذيراً له بما هو آت.

وأخذ ضباب خفيف يلف المكان.

كان الأثير يتجمع.

فهمس قائلاً: "**Ne seychas**". ليس الآن.

وبدافع من غريزته، دس الغولم يده في جيب ردائه ليستل عصاه المعدنية.

الفصل التسعون

قطّب جوناس فوكمان جبينه وهو يتأمل النتائج التي قذف بها إليه برنامج ChatGPT.

فعلى الرغم من تنويعه لمداخل بحثه وتقليبه لوجوه النظر، لم تسفر جهوده عن إيجاد أي رابط بين أعمال كاثرين واستثمارات شركةIn–Q–Tel ، بل لم تأته إلا بضروب من الهذيان المتباعد، أشبه بلعبة سخيفة من الكلمات المبعثرة التي لا يجمعها جامع، منها أن تكون شيئا ذا بال، سواء أنسبته إلى الذكاء الاصطناعي أم إلى غيره.

فأعرض عن حاسوبه وقد تملكه اليأس، ووقف عند النافذة، وأخذ يرمق بناظريه شمالا، صوب شارع برودواي المؤدي إلى سنترال بارك .وفي ضوء الفجر الخافت،كانت سحب العاصفة تتلبد في الأفق، خلف تلك الأبراج الشاهقة التي تشبه أقلام الرصاص في "صف المليارديرات."

وقف هنيهة، غارقا في لجج أفكاره، ثم عاد أدراجه إلى حاسوبه ليستأنف بحثه. وحين عاد إلى مجلسه، لمح رسالة إلكترونية جديدة قد وردت إليه.

انتفض قلبه حين قرأ عنوان الرسالة، وقد خالطه الفرح بالدهشة:

رسالة من روبرت لانغدون

كان فوكمان ينتظر مكالمة هاتفية منذ ما يربو على الساعة، وقد أخذ القلق يساوره ويزداد في نفسه خشية أن يكون قد أصابهم مكروه في مقر إقامة السفيرة. بيد أن تلك السكينة التي غمرته لرؤية البريد الإلكتروني لم تدم طويلا.

فعلى الرغم من العنوان، أبصر فوكمان الآن أن عنوان المرسل هو عنوان السفيرة الأمريكية هايدي نايجل ...المستشارة العامة السابقة لوكالة المخابرات المركزية.

"أترسل هي رسالة نيابة عنه؟"

لم يكن في براغ بأسرها شخص يدعوه إلى الريبة والشك أكثر منها في تلك اللحظة. فلو كان روبرت آمنا حقا، لكان الأجدر بالسفيرة أن تدعه يتصل بنفسه.

"لن أصدق حرفا واحدا من هذه الرسالة حتى أسمع صوت روبرت بأذني".

وتردد في فتح الرسالة، وقد صورت له مخيلته فيروسا خبيثا أو عملية قرصنة أخرى، لكنه في نهاية المطاف رأى أنه لم يعد لديه ما يخشى فقدانه. ففتح الرسالة على حذر، وقد حار في أمره حين رأى ما بدا له سلسلة من الأحرف لا معنى لها:

ROT13EY&XFETHQ

ولم يمض به إلا هنيهة حتى أدرك أن الأحرف الخمسة الأولى لها معنى بالفعل. ف **ROT13**هو اسم شفرة دورانية تُستبدل فيها كل حرف بالحرف الذي يليه بثلاثة عشر موضعا في الأبجدية. ولم يكن فوكمان ليعرف هذا لولا أنه قبل عدة سنوات، حين كان يحرر كتابا عن تقنيات التشفير القديمة، كان مؤلف الكتاب يراسله بانتظام بنصوص مشفرة على سبيل الدعابة باستخدام شفرة. **ROT13**

وكان ذلك المؤلف هو روبرت لانغدون.

فغمرته موجة من التفاؤل، وأمسك بقلم رصاص وطبق نظام فك الشفرة البسيط. ثم تفحص النتيجة:

RL&KSRGUD

لم يدم حيرته إلا لحظة قبل أن ينفجر ضاحكا، نصف ضحكه طربا، ونصفه الآخر ارتياحا.

"روبرت وحده من يمكن أن يكتب مثل هذه الرسالة".

لطالما تحسر لانغدون وفوكمان معا على انحدار اللغة المكتوبة بسبب تفشي الرموز التعبيرية والاختصارات في "لغة الرسائل النصية". وقد بلغ هذا

الانحدار من الأسى بفوكمان مبلغا جعله يكتب مقالا عنه في مجلة "ذا نيويوركر"، تضمن جملة متكلفة على وجه الخصوص، اتخذها لانغدون مادة لسخريته اللاذعة.

كان فوكمان قد كتب: "إن توفير ضربة مفتاح واحدة بكتابة 'gud' بدلا من 'good' ليس فقط أمرا منافيا للذوق السليم، بل هو رجس من أرجاس الكسل المقيت".

وبينما كان فوكمان لا يزال يضحك من رسالة لانغدون، وجد في نفسه رغبة جامحة في أن يجيبه:

"إن رسالتك ليست فقط بارعة الفحوى، بل إنها تحمل في طياتها سلوى تبشر بكل خير".

الفصل الحادي والتسعون

أفضى لانغدون بالمركبة إلى وقفة حاسمة، ثم أحكم مكبحها اليدوي. لم يترجل من المركبة في إثر كاثرين إلا بعد أن استجمع شتات نفسه، وقد أيقن أن اللحظات القادمة كفيلة بأن تكشف له إن كانت خطته ستقودهم إلى فج الفلاح أم إلى هاوية الهلاك.

وقد اشتدت على الحافة الشاهقة وطأة الريح، فدوى صفيرها بين أدغال الغاب الممتدة تحت أقدامهم. توقف لانغدون برهة يتأمل، وأرسل بصره إلى تلك الرقعة الثلجية التي تنبسط وراء الأشجار——حديقة فوليمانكا——التي تمتد شرقا بعيدا عن خط التلال. وخالجته فكرة مفادها أن هذا المكان بأسره قد تبدل الآن، ثم حول انتباهه إلى الصرح المنتصب أمامهم.

بدا حصن باستيون كروسيفيكس كطيف شاحب، وقد ارتسم هيكله كخيال داكن يناقض صفحة السماء التي بدأت تكتسي بحلكة المساء. وبينما كان يخطو مع كاثرين نحو المدخل الرئيس، داهمه ظل من الريبة، فسارع يذكر نفسه بما قاده إلى هذا المكان مرة أخرى.

المنطق العقلي الخالص.

لقد انبثق فجر الحقيقة في ذهنه عند بركة السباحة المهجورة في مقر السفير. فهناك، مزقت السفيرة اتفاقيات عدم الإفشاء(NDAs) ، واتصلت

بفينش عبر مكبر الصوت، وكذبت ببراعة مدعية أن رغبات فينش قد نفذت. ثم، وعلى غير ما توقع لانغدون، أمر فينش نايجل بإرسال مفرزة أمنية من مشاة البحرية إلى حصن باستيون كروسيفيكس لتأمين محيطه. لِمَ كانت أولوية فينش هي تأمين مختبر تشيكي معزول؟ لمَ كل هذا الاهتمام؟

وبينما كان لانغدون يمعن النظر في الأمر، طرأت على باله فكرة ثانية. في وقت سابق من هذا اليوم، أخبره ياناتشيك أن نظام المراقبة في براغ لم يتمكن من تأكيد وصول كاثرين إلى الحصن، وذلك—مما أثار استياء النقيب—لأن نظام الكاميرات الكلي الرؤية بدا وكأنه يعاني من نقطة عمياء غير مسبوقة تحجب المنطقة المحيطة بمختبر غيسنر.

إن نظام كاميرات براغ هو شبكة مراقبة "إيشيلون"... التي تديرها وكالة المخابرات المركزية.(CIA)

وهنا، بدأت تروس عقله تدور، ووجد نفسه يتساءل عن مدى الاستحالة الإحصائية لأن يتربع مختبر غيسنر الخاص على حافة تطل مباشرة على "العتبة—(Threshold) "ذلك المشروع السري الذي تعمل لحسابه.

إلا إذا كان ثمة رابط ما بينهما...

بدا منطق إخفاء منشأة استخباراتية سرية تحت حديقة فوليمانكا وجيها في نظر لانغدون—تمويه طبيعي، وسهولة الوصول إلى الإمدادات، وبنية تحتية

قائمة——غير أنه وجد صعوبة في تقبل فكرة أن "العتبة" قد شُيدت بنقطة وصول وحيدة... مدخل واحد لا ثاني له. إن مثل هذا التصميم سيغدو مصيدة للموت في حال نشوب حريق أو وقوع طارئ، وهو ما بدا مجازفة لا تتفق مع طبيعة وكالة قامت على الاستراتيجية وخطط الطوارئ والتخطيط المسبق.

حتى الفاتيكان لديه طرق هروب سرية!

عندها كشفت السفيرة عن منعطف غير متوقع: الكيان الذي استحوذ بهدوء على الحصن نيابة عن غيسنر لم يكن سوى شركة "كيو" الاستثمارية. لقد قدمت الشركة المبنى لغيسنر كجزء من صفقة توظيف عالمة الأعصاب في وكالة المخابرات المركزية، مستدرجة إياها بالوجاهة التي لا تقاوم لإدارة معهدها من موقع فريد وتاريخي كهذا.

خمّن لانغدون أن هذا ليس هو السبب الحقيقي، وشاركهم شكه المتنامي بأن فينش لم يؤمّن الحصن كإغراء لغيسنر ...بل لشيء أثمن من ذلك بكثير.

مدخل آخر إلى "العتبة."

لقد اشتملت معظم الحصون في القرون الوسطى على سمة معمارية فريدة تُعرف باسم "الباب السري" أو "المُخترق .(**poterne**) "وهي كلمة

مشتقة من اللاتينية—"**posterior**" وتعني حرفيا "الباب الخلفي"— وهو ممر سري يستخدم للهروب في حالات الطوارئ.

وأخبرهم أن الحصن الإستوني القديم في تالين كان به ممر سري محفور على عمق أربعة طوابق تحت الأرض يمتد لأكثر من ميل ليصل إلى قبو دير مجاور. كما أشيع أن قلعة بريدياما السلوفينية الواقعة على قمة جبل تضم بئرا رأسية بعمق ستة طوابق مع نظام بكرة بدائي يعمل "كمصعد" لإعادة تموين الإمدادات والماشية والجنود.

ورجح لانغدون أن حصن باستيون كروسيفيكس لا بد أن يكون له ممر سري هو الآخر. وبالنظر إلى أعمال البناء الحديثة في حديقة فوليمانكا والنطاق الواسع لمشروع "العتبة"، بدا من المنطقي أن يكون هناك بئر رأسية تحت الحصن.

وفي وقت سابق، في المركبة، أطلع لانغدون كاثرين ونايجل بسرعة على خريطة توضح أن ممرا سريا حديثا—سواء كان موجودا من قبل أو حفرته طواقم البناء مؤخرا—سينزل مباشرة إلى أطراف حديقة فوليمانكا وقد يمتد ليصل إلى جدران ملجأ القنابل القائم.

إن موقع الحصن لا يمكن أن يكون أكثر مثالية. فمختبر غيسنر، ببعده وتواريه عن الأنظار، يوفر قصة تغطية لا تشوبها شائبة—إنكار معقول لأي موظف يتردد عليه: فهم ببساطة يعملون في معهد غيسنر.

"ليتني كنت على صواب"، هكذا حدث لانغدون نفسه وهو يقود كاثرين نحو مدخل الحصن المهشم.

أهذا مختبر علمي؟

كادت كاثرين سولومون لا تصدق عينيها وهي تتبع لانغدون نزولا في رواق فخم من الرخام الوردي، يفضي إلى بهو رحب تزينه أرائك وثيرة، وتحف فنية لافتة، ونوافذ تمتد من الأرض إلى السقف وتطل على أفق مدينة براغ.

"ربما يجدر بي أن أعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية"، هكذا فكرت وهي تقدر أن "غرفة الانتظار" الخاصة بغيسنر كان بوسعها أن تأوي طاقم معهد العلوم النويتيكية (IONS) بأكمله.

ومع ذلك، شعرت كاثرين بأن جوا من الشؤم يلف هذا المكان. فإذا صحت شكوك لانغدون، فإن "معهد غيسنر "الفخم هذا ليس إلا ستارا يخفي غاية أكثر قتامة—مدخلا سريا إلى "العتبة."

سار لانغدون بخطى واسعة إلى الطرف الأقصى من البهو وتوجه مباشرة إلى منحوتة جدارية ثقيلة مصنوعة من كتل معدنية ملحومة، ولم يتوقف إلا على بعد بوصات منها.

ما الذي يفعله بحق السماء؟

لدهشة كاثرين، أمسك لانغدون بالمنحوتة، ودفعها بقوة إلى أحد الجانبين، فانزلقت في صمت على طول الجدار لتكشف عن تجويف كبير خلفها. وفي النور الخافت المنبعث من الداخل، لمحت باب مصعد.

"ولمَ أستغرب؟" تساءلت في نفسها، وهي تهرع عبر الغرفة نحو لانغدون الذي كان يمسك بالقطعة الفنية المنزلقة جانبا من أجلها. ولكن ما إن وصلت إلى جواره حتى لاحظت أن لانغدون كان يحدق في شيء ما خلفها.

"ما الأمر؟ "سألت وهي تلتفت بنظرها إلى الوراء.

"تلك الأريكة على الجدار البعيد... إنها معوجة".

نظرت كاثرين إلى الأريكة .*حقًا يا روبرت؟* كانت إحدى حافتي الأريكة البيضاء الطويلة مسحوبة بزاوية طفيفة بعيدا عن الجدار.

"لقد كانت مستقيمة هذا الصباح عندما جلست عليها، "قال وهو لا يزال يحدق في الأريكة" .لا أدري إن كنت قد أغفلت ذلك، أم أنها حُركت، أم"——

"أم أنك نسيت دواءك الذي يذهب عنك الوساوس؟"

أعاد لانغدون انتباهه إليها" .عذرا، "قال نافضا الفكرة عن رأسه . "الذكريات التصويرية قد تكون مشتتة للانتباه".

"يبدو ذلك، "قالت بابتسامة" .هل لنا أن نعالج هذه الكارثة في فن تنسيق المكان، أم نحاول العثور على هذه المنشأة وإنقاذ حياتنا؟"

"معك حق ".قادها لانغدون إلى التجويف ذي الإضاءة الخافتة.

في الداخل، لمحت كاثرين لوحة لمس مضيئة بجوار باب المصعد.

"لوحة المفاتيح هذه لاستخدام بريجيتا وحدها، "قال لانغدون" .إنها الطريقة التي كانت تصل بها إلى مختبرها الخاص في الطابق الذي تحتنا".

"ولكنك تظن أن هناك مدخلا منفصلا إلى "العتبة" مخبأ في مكان ما هنا؟ " سألت كاثرين.

"أجل، في الواقع، أظن أنه أمامنا مباشرة ".أشار إلى المصعد" .إن كنت على صواب، فإن بئر المصعد هذه تمتد إلى عمق أكبر بكثير——ولكن للنزول إلى

"العتبة"، ستحتاج إلى بطاقة مفتاح RFID كتلك التي رأيناها في حقيبة غيسنر".

وأشار إلى لوحة دائرية أنيقة من الزجاج الأسود مثبتة على الحائط فوق لوحة المفاتيح مباشرة. لم تكن كاثرين قد رأتها.

قارئ بطاقات RFID.

"لقد لاحظت القارئ هذا الصباح، ولكن عندما كنا في مقر السفير، أدركت ماهيته. واتضح لي لمَ قد يكون لدى غيسنر طريقتان للمصادقة على المصعد نفسه. فإن كنت على صواب، فكل ما نحتاجه هو بطاقة المفتاح من حقيبتها، التي رأيتها في وقت سابق في مختبرها بالأسفل".

كان لانغدون يكتب بالفعل رمز مرور في لوحة المفاتيح.

"إذن لقد حللت الشفرة حقا؟ "سألت كاثرين" .تحية عربية لشاعر إغريقي قديم... مع لمسة ليمون؟"

"لمسة لاتينية، "صحح بابتسامة" .لقد كنتِ ثملة".

أنهى كتابة رمز المرور، وبدأ المصعد يصدر أزيزا معلنا عن استجابته.

"مثير للإعجاب"، فكرت كاثرين" .يمكنه أن يشرح لي الأمر لاحقا".

بدا أن المصعد استغرق وقتا طويلا للوصول، ولكن عندما وصل، لاحظت كاثرين أن مقصورته كانت فسيحة، وكبيرة بشكل مدهش للاستخدام الخاص لغيسنر.

ربما كانت أكثر ملاءمة لنقل الأفراد والمعدات.

حتى الآن، بدا منطق لانغدون سليما.

دخلا إلى المصعد ونزلا طابقا واحدا.

عندما انفتح باب المصعد، وجدت كاثرين نفسها تنظر إلى رواق طويل ذي جدران صخرية، وأرضيات مصقولة مرصعة، وإضاءة موضعية حديثة. كان المكان يترك انطباعا بأن العالمين القديم والجديد قد توصلا إلى نوع من التسوية المحرجة.

وبينما كانا يخرجان من المصعد، أشار لانغدون إلى قارئ **RFID** آخر على الحائط، فأومأت كاثرين برأسها إقرارا. وبدأا يسيران. لم تكن متشوقة لرؤية المشهد المروع الذي ينتظرهما—والذي وصفه لها لانغدون بالتفصيل—لكنها كانت تشعر بثقة متزايدة بأن نظرية لانغدون قد تكون صحيحة. وإذا كان الأمر كذلك، فالخطة بسيطة: حالما يحصلان على بطاقة دخول غيسنر، سينزلان إلى "العتبة."

تقدما في الرواق، مرورا بجناح مكتبي صغير لغيسنر وساشا، ومختبر تصوير بالرنين المغناطيسي(MRI) ، وباب عليه أيقونة لشخص يرتدي نظارات الواقع الافتراضي.(VR)

"مختبرها للواقع الافتراضي"، فكرت كاثرين، متذكرة أن غيسنر ذكرت الواقع الافتراضي الليلة الماضية على العشاء. في ذلك الوقت، لم تعر كاثرين الأمر اهتماما كبيرا، ولكن الآن، بعد الحديث عن صرع ساشا وتجارب الخروج من الجسد، تساءلت عما إذا كان الواقع الافتراضي قد يكون ذا صلة بطريقة فريدة.

كتجربة خروج من الجسد مصطنعة...

"حقيبة بريجيتا "...قال لانغدون بصوت متقطع" .إنها في الغرفة في نهاية الرواق. ومعها... جثتها".

ألقت كاثرين نظرة على لانغدون الذي بدا شاحبا فجأة" .هل أنت بخير؟"

أومأ برأسه إيماءة قاتمة" .شكرا لك. أفضل ألا أرى جثتها مرة أخرى. هذا الصباح، عندما رأيتها لأول مرة، ظننت أنها أنت".

لفت كاثرين ذراعها حول خصره وهما يسيران، مستذكرة مخاوفها المروعة في وقت سابق من أن لانغدون قد غرق. لقد شهدت الكثير من الموت في

أبحاثها، لكنه كان دائما موتا هادئا ومتوقعا ومنفصلا سريريا. أما هذا فكان شيئا مختلفا——عنيفا ومزعجا.

"أحاول أن أنظر إلى الجسد فلا أرى فيه إلا قوقعة فارغة، "قالت كاثرين . "لا إنسانا. مجرد دمية خلت منها الحياة".

"شكرا لك، سأضع ذلك في اعتباري، "أجاب، وهو لا يبدو أقل جزعا.

"إن فكرت في الأمر، فإننا كجنس بشري نميل إلى أن نكون غير عقلانيين تماما بشأن الجثث. حتى مع عدم وجود أي أثر لأحبائنا في الجسد، فإننا نحنطه، ونلبسه، وندفنه، ثم نقوم بزيارات منتظمة! بل إن الكثيرين منا يشترون توابيت فاخرة ومبطنة لضمان أن يكون الجسد 'مرتاحا".'

تمكن لانغدون من رسم ابتسامة باهتة" .أجرؤ على القول إن هذه الممارسة هي للأحياء أكثر منها للأموات".

"أجل، ولكن في الواقع، تُظهر وثائق تجارب الاقتراب من الموت بوضوح أن البشر الذين يموتون يشعرون بالارتياح للتخلي عن أجسادهم الهرمة أو المصابة أو المريضة. ووفقا لجميع الروايات، فما يكترث الموتى لمصير أجسادهم بعد رحيلهم إلا بقدر ما يكترثون لمصير سياراتهم القديمة التي كانوا يقودونها. إنهم لا يكترثون البتة".

"كم أحب امرأة تستطيع أن تشرح الحياة والموت بتشبيه سيارة مستعملة"، فكر لانغدون وهما يصلان إلى غرفة العمل المزدحمة حيث اكتشف جثة غيسنر في كبسولة الرنين الإلكتروني المغناطيسي (EPR) في وقت سابق من هذا اليوم.

"ربما انتظري هنا؟ "اقترح، آملا أن يجنب كاثرين صدمة رؤية الجثة" .سأعود على الفور".

ترك كاثرين عند المدخل، وأسرع لانغدون إلى الداخل، متعمدا صرف نظره عن الكبسولة ومتجها بدلا من ذلك إلى طاولة العمل في الجانب البعيد من الغرفة.

كانت حقيبة غيسنر الجلدية، كما هو متوقع، في المكان الذي رآها فيه بالضبط. كان قد افترض أن الحقيبة ربما تكون مقفلة وتتطلب قوة لفتحها، ولكن عندما وصل وتفحصها، وجد شيئا غير متوقع على الإطلاق.

كانت مزاليج الحقيبة قد فتحت عنوة... وقفلها محطم.

يا إلهي...

أمسك لانغدون بالحقيبة وفتح غطاءهاрывком ، فوجد كل الأشياء من الليلة الماضية—الوثائق، والملفات، والهاتف، والأقلام. بدت جميع

المحتويات سليمة... باستثناء الشيء الوحيد الذي يحتاجونه. لم تعد بطاقة مفتاح RFID الخاصة بغيسنر في غلافها الواقي. وبدافع من الذعر، أدخل لانغدون إصبعه في الغلاف، آملا أن تكون البطاقة قد انزلقت إلى الأسفل، لكن لم يكن هناك شيء. وبعد أن أفرغ الحقيبة وفتش في محتوياتها مرتين، تقبل الحقيقة المدمرة.

لقد ضاع سبيلنا إلى "العتبة."

"لا يهم، "قالت كاثرين بنبرة كئيبة، وكان صوتها أقرب مما توقع.

استدار لانغدون فرأى أن كاثرين لم تعد عند المدخل. لقد دخلت الغرفة وكانت جاثية بجانب كبسولةEPR ، تحدق في جثة غيسنر.

"بطاقة مفتاح بريجيتا ما كانت لتساعدنا، "همست كاثرين، رافعة عينيها إليه . "لقد كانت بيومترية".

"عفوا؟ "تحرك لانغدون نحوها.

"بطاقتها لا تعمل ما لم تستشعر بصمة إصبعها".

"ولمَ تقولين ذلك؟"

أشارت كاثرين إلى شيء ملقى على الأرض بالقرب من الكبسولة—زوج من قواطع الأسلاك كانت شفرتاه ملطختين بالدماء" .لأن من أخذ بطاقة بريجيتا... أخذ إبهامها أيضا ".

الفصل الثاني والتسعون

في عزلتها داخل مكتبها، ألقت السفيرة هايدي ناجل نظرة متأملة على الرقعة التي وُجدت على جثمان مايكل هاريس.

إلى: سعادة السفيرة الأمريكية هايدي ناجل، رسالة شخصية وخاصة

كانت الرسالة مكتوبة بخط اليد، بلا توقيع، ولم تحوِ إلا سطرين اثنين. وقد قرأتها ناجل مرارًا وتكرارًا، وقد استبد بها الذهول من مغزاها. لقد توقعت أن تكون رسالة القاتل مشحونة بالظلمة والوعيد، وهيأت نفسها لذلك، ولكن الرقعة جاءت موجزة ومتحفظة على نحو غريب، تكاد تبلغ في تحفظها حد الأدب.

التمس منكِ العونَ لساشا.

https://youtu.be/pnAFQtzAwMM

أهذا كل شيء؟ يريد مني أن أعين ساشا؟

في حيرة من أمرها، مدت السفيرة يدها إلى لوحة مفاتيح حاسوبها، وشرعت تطبع عنوان الرابط الذي أرسله القاتل. لو أن الملف كان على ذاكرة محمولة أو مرفقًا برسالة إلكترونية، لكانت ناجل أدرى من أن تفتحه على جهاز يخص السفارة، بيد أن رابطًا منشورًا على الملأ لا بأس به.

وعندما انفتحت نافذة الـ YouTube، أبصرت ناجل ما بدا أنه شريط مصور غير محترف، التُقط بهاتف محمول وُضع قائمًا إلى جوار وعاء طويل منخفض، ذكرها بتلك "التوابيت الصلبة" التي يستخدمها الجيش لنقل جثامين الجنود إلى أوطانهم. غير أن الجسد الذي استقر في هذا الوعاء كان ينبض بالحياة، ويصارع في عنف ليتحرر من قيود الأشرطة التي كانت تكبله. كانت صاحبة الجسد امرأة نحيلة، أنيقة الثياب، شاحبة البشرة، وقد شُد شعرها الداكن إلى الوراء بإحكام.

يا إلهي... إنها الدكتورة بريجيتا غيسنر، لقد عرفتها السفيرة على الفور، وتراجعت بجسدها إلى الوراء وقد استعادت في ذاكرتها وصف لانغدون للحظة التي عثر فيها على جثمان غيسنر .ودب في أوصالها فزع مفاجئ من أنها توشك أن تشهد اللحظات الأخيرة من حياة الطبيبة .أهذا شريط يصور ميتة حقيقية؟!

ولم يلبث أن جاءها الجواب بعد هنيهة، حينما دخل مهاجم غيسنر إلى دائرة التصوير. كان شخصًا مقنعًا يتشح بالسواد، وحينما بان وجهه، تراجعت ناجل بجسدها بعيدًا عن الشاشة في فزع حقيقي. لقد غطت وجه الرجل طبقة غليظة من طين الأرض، ونُقشت على جبهته ثلاثة أحرف عبرية.

كانت ناجل على دراية واسعة بتاريخ مدينة براغ، ولم يخالجها أدنى شك في هوية ما ترى .أيتنكر في هيئة الغولم؟ وبفزع متصاعد، راحت تراقب ما تلا ذلك المشهد؛ استجواب وحشي استُخدمت فيه أنابيب المحاليل الوريدية، وعملية طبية من نوع لم تره ناجل من قبل قط. لقد كان الألم الذي كابدته الطبيبة مروعًا، لكن المعلومات التي تكشفت —— اعترافات غيسنر المفصلة —— تركت ناجل تترنح في ذهول.

وعندما بلغ الشريط المصور خاتمته المروعة، أغمضت السفيرة ناجل عينيها، وأخذت نفسًا عميقًا، محاولة أن تستوعب كل ما علمت به للتو. لقد كانت في اعترافات غيسنر جوانب كثيرة لم تفقهها ناجل، بيد أن أمرًا واحدًا كان واضحًا وضوحًا منذرًا بالخطر؛ ذلك المشروع السري الذي أسهمت ناجل في تيسيره عن جهل، بات الآن معرضًا لخطر الافتضاح على الملأ، ولسوف تكون العواقب وخيمة. لقد أصابها ما سمعته للتو عن البرنامج بالغثيان، ولم يسعها إلا أن تتخيل كيف سيكون وقع ذلك على بقية العالم.

وفي جزع، تناولت ناجل هاتفها.

لقد آن أوان إجراء مكالمة بالغة الخطورة.

مكالمة كان يتوجب عليّ أن أُجريها منذ سنين.

كان ساشا فيسنا غارقًا في مكان ما، في فضاء سرمدي من السواد، يجهد نفسه ليستعيد وعيه بمكانه. لقد كان هذا العالم غريبًا عليه.

أين أنا؟!

لم تكن حالة التوهان والشعور بالانفصال عن الجسد غريبة على ساشا، ولكن تلك النوبات كانت دومًا تصاحبها ظلمة تامة؛ لا ضوء، ولا ظلال، ولا أي مؤثر بصري على الإطلاق.

ولكني أرى ضوءًا...

أجل، ضوء لا ريب فيه. خافت، ناعم، ونائي.

من الذي جاء بي إلى هاهنا؟

في حالته المترنحة تلك، لم يستطع أن يتذكر شيئًا عن كيفية وصوله إلى هذا المكان. كان يشعر بأنه راقد على ظهره، وحاول أن ينهض جالسًا، ولكنه أحس بثقل جاثم لا يتزحزح يقيده.

أأنا مكبل؟ أم أن الشلل قد أصابني؟

وفي هلع متصاعد، كافح ساشا ليدرك حقيقة وجوده... بيد أن جهده لم يزده إلا إعياءً، وبدأ الضوء يخفت ويتلاشى. لقد كان تيار سفلي يعتمل

تحته، يلتهم العالم المادي الذي كان يقيده. ثم بقوة جارفة، ارتفعت موجة عاتية، واعتلت فوقه كطوفان، لتهوي به عائدة إلى غياهب الظلمة المطبقة.

الفصل الثالث والتسعون

في أعماق "العتبة" السحيقة، أحس الغولم وكأنه شبح من نفسه.

كان جسده لا يزال يرتجف من هول الصدمة. بل إنها لصدمة حقيقية لا مجاز فيها.

فمنذ دقائق خلت، وما إن بلغ أقصى حجرة في جوف هذه المنشأة القابعة تحت الثرى، حتى استبدت به عاطفة جياشة. وشعر بوخز مألوف في صدغه. لقد كان "الأثير" يتجمع... ويدنو مسرعا... ويهدد بأن يبتلعه ابتلاعا. وبدافع من غريزته، دَسّ الغولم يده في جيب عباءته ليخرج قضيبه المعدني، لكنه أدرك في لحظة من الكرب أن القضيب قد اختفى. فنثر ما في جيوبه على الأرض، وأخذ يفرز الأشياء التي تناثرت منها.

لقد ضاع القضيب... لقد فقدته وأنا أعالج تلك المرأة في الأعلى.

أيقن الغولم أنه قد أمسى الآن تحت رحمة علته، لا خيار له إلا التسليم للنوبة الوشيكة. فاستعد قدر ما استطاع، واتخذ احتياطات متعجلة، باحثا عن مكان آمن يستلقي فيه اتقاء للسقوط. وقد عصفت به التشنجات عصفا، فطرحته أرضا مغشيا عليه.

ولما أفاق الغولم من غشيته، لم يدرِ كم من الوقت قد انقضى. واحتاج إلى دقائق عدة حتى يستعيد وعيه بالمكان.

وأخيرا، استجمع قواه وانتصب بكامل قامته، ثم عاد يتأمل الفضاء المدهش من حوله. إن تشييد صرح كهذا في سرية تامة ليبدو ضربا من ضروب المستحيل، غير أنه أدرك الآن من يقف وراء كل هذا.

إنهم ليملكون نفوذا لا حد له... وموارد لا تنضب.

وبعد أن استعاد كامل إدراكه، نفض الغولم عن نفسه غشاوة ما بعد النوبة، وعاد إلى البقعة التي نثر فيها محتويات جيوبه بحثا عن القضيب. وجثا على أربع، وأخذ يلملم الأشياء واحدا تلو الآخر، ويعيدها إلى جيبه——مسدس الصعق من طراز فايبرتيك، وعلبة لدائنية كان قد أخذها من على سطح عمل قريب، كانت تحوي فيما مضى صواميل ومسامير، أما الآن فقد حوت بطاقة مفتاح بريجيتا غيسنر السوداء من نوع RFID... وإبهامها المبتور.

هذا هو مفتاح عبوري إلى "العتبة."

وكما توقع، كانت بصمة إبهام بريجيتا تمنح البطاقة الإذن فورا كلما ضمهما معا.

وقد قادني إلى هذا الحرم الداخلي.

لقد أقرت غيسنر بوجود هذه الحجرة، والآن وقد رآها الغولم بأم عينيه، استعر في نفسه دافع عارم لتدميرها.

وبعزيمة أشد، توغل في أعمق أرجاء الحجرة، وعبر بابا زجاجيا، ووجد ضالته—مشكاة مطوقة ببوابة أمان.

وخلف البوابة، كانت الأرضية منصة معدنية، طُبعت عليها بالاستنسل كلمتا: النظام/الخدمات.

صعد الغولم إلى المنصة، وضغط بطرف حذائه على زر أحمر ضخم في الأرضية. فانطلق من مكان ما تحته هسهسة هواء خافتة، وبدأت المنصة تهوي، فتنزله رويدا رويدا عبر الأرضية.

كان الهبوط قصيرا—ربما لا يتجاوز اثني عشر قدما.

وما إن توقفت المنصة حتى ومضت أضواء الفلورسنت كاشفة عن ممر منخفض السقف يمتد عائدا في نفس الاتجاه الذي أتى منه، تحت قلب المنشأة.

وبينما كان الغولم يمضي في النفق الخرساني الضيق، مر بأقبية آلية تضم مولدات ومضخات ووحدات لمعالجة الهواء ولوحات تحكم، فضلا عن أميال

من الأنابيب النحاسية ومجاري الهواء والأسلاك ذات العزل السميك. كان كل ذلك متصلا بعضه ببعض كمنظومة حية تئن وتتنفس وتومض.

على الرغم من خلو "العتبة" من الموظفين، كان نبض قلب هذه المنشأة لا يزال حيا يرزق.

"ولكن ليس إلا لوقت قصير"، هكذا حدث الغولم نفسه، وهو يمضي قدما نحو غايته الأخيرة.

الفصل الرابع والتسعون

انتصبت كاثرين فوق حجيرة EPR، وألقت نظرة فاحصة على جذم العظم المضرّج بالدماء حيث بُتِر إبهام بريجيتا الأيمن من تحت المفصل مباشرة. وفي لحظة خاطفة، تبددت كل أفكارها في دخول عالم ثرشولد، وقد طغى على عقلها هول المشهد الذي تجلى أمام عينيها.

آه يا بريجيتا... كم أنا آسفة لمصابك.

لم تكد بشاعة الإبهام المبتور تُدرَك إزاء الخلفية المروعة للمشهد المحيط بها. ففي داخل الحجيرة، اعتصر الألم ملامح عالمة الأعصاب، وشخص بصرها في العدم، وانفرجت شفتاها عن تكشيرة ألم مروعة، وقد نزف الدم من بشرتها حتى غدت بلا لون. تسلخ معصماها وكاحلاها من فرط صراعها مع الأشرطة التي كانت تكبلها، وقد غُرِزت في ساعديها إبر المحاليل الوريدية (IV)بخشونة فجة. وقد انفجر أحدها من وريدها، فغطى ساعدها بدم متخثر، تحول لونه إلى القرمزي الداكن.

خاطبت كاثرين نفسها قائلة" :قسطرة وريدية طرفية؟ فلا عجب إذن أن تفشل القسطرة".

لقد وصفت غيسنر هذا النموذج الأولي من جهاز EPRبأنه "آلة تحويلية معدلة"، تستخدمها لاستبدال الدم بمحلول ملحي فائق التبريد لإبطاء

عملية الموت. وهذا النوعِ من التحويل يتطلب، على أقل تقدير، زوجًا من القسطرات الفخذية.

من المؤكد أن هذه ليست الطريقة الصحيحة لتوصيل جهاز.ECMO

وبعد أن تفحصت الإعدادات، خلصت كاثرين إلى أن من فعل هذا ببريجيتا إما أنه كان جاهلًا تمام الجهل، أو لعله كان يعلم أن هذه العملية ستقتلها، فاختار أن يحقن المحلول الملحي البارد ببطء ليمعن في تعذيبها. وارتعدت كاثرين وهي تتخيل العذاب الذي لا بد أن غيسنر قد كابدته إن لم تكن قد خُدرت قبل ذلك. وفوق كل هذا، بدا الجهاز كأنه نموذج أولي بدائي مرتجل... ومن المؤكد أنه لم يكن جاهزًا للاختبار على البشر.

وعندما وصل لانغدون ووقف إلى جوارها، دُهشت كاثرين لرؤية هاتف ذكي في يده، فسألته" :أهذا هاتف بريجيتا؟"

أومأ برأسه وقال" :ما زال يعمل، لكن بطاريته توشك على النفاد. رمز مرور المصعد لم يفلح في فتحه، ولكن "...ثم جثا على ركبتيه بجانب الحجيرة، وبدت على وجهه علامات التجهم وهو يوجه الهاتف نحو وجه بريجيتا، وأكمل" :أتساءل ما إذا كانت خاصية تعرف الوجه قادرة على التمييز بين وجه حي و"——

رن الهاتف.

نهض لانغدون واقفًا وشرع يقلب صفحات الهاتف.

صاحت كاثرين" :مهلًا، ماذا تفعل؟"!

أجابها بصوت خفيض" :يجب أن تعلم السفيرة أننا قد أخفقنا. فخطتي لدخول ثرشولد كانت معقودة على تلك البطاقة التي"—

قاطعته كاثرين وهي تمد يدها" :أعطني الهاتف! لدي فكرة"...

راقب لانغدون كاثرين وهي تتصفح جهاز غيسنر بسرعة .ما الذي تبحث عنه؟

تمتمت كاثرين لنفسها وهي تقلب الشاشات" :بريجيتا امرأة ذكية... وعملية. لا بد أنه هنا"!

"ما الذي لا بد أن يكون هناك؟"

"نسخة مستنسخة بتقنية"...NFC

"أنا لا أعرف"—

أوضحت كاثرين وهي ما تزال تتصفح" :اتصال المجال القريب .(NFC) إنها التقنية التي تتيح للمرء أن يمرر هاتفه الذكي أو ساعته فوق ماسح RFIDلإجراء تفاعل دون لمس—مثل خدمةApple Pay ، أو فتح أبواب غرف الفنادق، أو استصدار تذاكر المطارات ".وواصلت كاثرين

التقليب" .معظم الناس الآن يثبتون نسخًا مستنسخة من بطاقاتهم الائتمانية في محافظهم الإلكترونية، لأن حمل الهاتف أيسر بكثير من حمل كل تلك البطاقات".

كان في قولها وجاهة، لكن لانغدون شك بقوة في أنها ستعثر على ما تبحث عنه" .ألا تظنين حقًا أن بريجيتا قد حملت نسخة من بطاقة ثرشولد الخاصة بها على هاتفها؟ أقصد... إن في ذلك لمخاطرة أمنية جسيمة".

قالت كاثرين دون أن ترفع بصرها عن بحثها" :بل على العكس تمامًا، إن النسخ الرقمية أكثر أمانًا من البطاقات المادية، لأن التفاعل مشفر، ويمكن للمستخدم أن يبرمج مصادقة بيومترية متعددة العوامل— تعرف الوجه، بصمة الإصبع، مسح شبكية العين، أو أي شيء تريده، بالإضافة إلى رمز المرور. إنها في الواقع حماية تفوق بكثير ما توفره البطاقة البيومترية. والأفضل من ذلك، أن لا أحد يراك تخرج بطاقتك وتدخلها إلى حقيبتك كلما بلغت بابًا".

إنها لوجهة نظر مثيرة للاهتمام.

لقد بعث شرح كاثرين بصيصًا من الأمل في نفسه، ولكن كلما طال أمد تقليبها للصفحات، بدا الأمل يتضاءل على وجهها.

قالت وهي تقطب جبينها ناظرة إلى الشاشة" :لا أدري. إن محفظتها الإلكترونية تحوي الكثير من البطاقات، ولكن لا شيء يبدو نافعًا. أرى بطاقات ائتمان... خصم مباشر... مكافآت... هوية... دخول المرأب... مواصلات عامة... نادي صحي... تأمين... ولاء لشركات الطيران"—

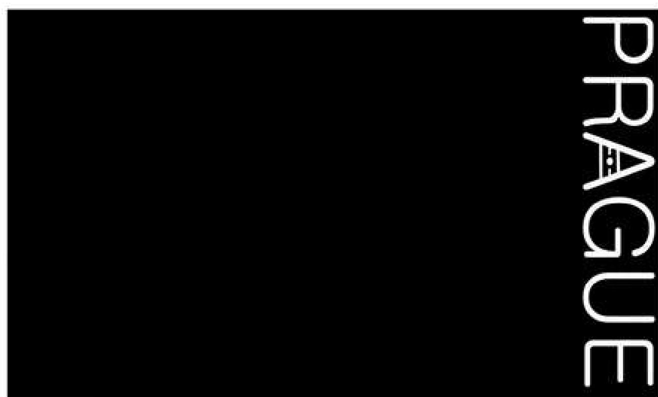
قاطعها لانغدون" :نادي صحي".

رفعت كاثرين بصرها إليه.

قال وهو يلح عليها" :أتذكرين الليلة الماضية؟! عندما سألت بريجيتا عن البطاقة السوداء التي تحمل رمح فِيل؟ قالت إنها بطاقة ناديها الصحي. لقد بدا قولها كذبة... فربما كانت تلك طريقتها في إخفاء الأمر؟"

عادت كاثرين إلى الشاشة ونقرت على ذلك الخيار. وبعد لحظة، ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة. قالت وهي تسلمه الهاتف" :قد يبدو لك هذا مألوفًا".

كانت صورة البطاقة المستنسخة واضحة لا لبس فيها.



شعر لانغدون بتدفق من الحماسة سرعان ما أخمده النص المكتوب تحت البطاقة.

المصادقة الثلاثية مطلوبة

1) كلمة المرور

قال لانغدون" :كلمة المرور الوحيدة التي أعرفها هي رمز المصعد، وهو لم يفلح في فتح الهاتف".

ألحت عليه كاثرين" :ولكنه قد يفلح هنا. هذه البطاقة تتيح الدخول إلى ثرشولد— تمامًا كما فعل المصعد— لذا فمن المنطقي أن تستخدم التسلسل ذاته".

وافقها لانغدون الرأي، فغيسنر تتسم بالفعالية قبل كل شيء، ثم طبع الرمز بعناية.

314S159

أصدر الهاتف رنينًا مرحًا وانتقل إلى الشاشة التالية.

صاح لانغدون" :أحسنتِ صنعًا "!لقد كانت المصادقة الثانية أيسر بكثير.

2)هوية الوجه

مرة أخرى، وجه لانغدون الهاتف إلى وجه بريجيتا، فأصدر الجهاز رنينًا، وعرض الشاشة الأخيرة.

3)مسح البصمة

ألقى لانغدون نظرة على يد بريجيتا المشوهة وتردد. تقدمت كاثرين، وتناولت الهاتف منه في رفق. وبدا أنها لم تتأثر بلمس الجثة، إذ وضعت سبابة غيسنر على الهاتف.

وعندما رن الهاتف للمرة الثالثة والأخيرة، افترض لانغدون أنهما يستطيعان الآن استخدام الهاتف لاستدعاء المصعد إلى ثرشولد .إلا أن كاثرين لم تبتسم وهي تتفحص الشاشة.

تأوهت قائلة" :لدي أخبار سيئة. به خاصية أمان أخرى ".ورفعت الهاتف . "المصادقة لا تدوم إلا لعشر ثوانٍ فحسب".

على الشاشة، شاهد لانغدون عدادًا تنازليًا يهبط إلى الصفر. ثم تعطلت البطاقة وعادت إلى شاشة كلمة المرور الأولية، متطلبة إعادة عملية المصادقة ثلاثية الخطوات برمتها من جديد.

اللعنة.

أضافت كاثرين" :وبطاريتها على وشك النفاد. في أي لحظة حرفيًا".

فكر يا روبرت .لم يرَ أي شاحن في حقيبة غيسنر، وأحس الآن بثقل الذنب يزداد وطأة على صدره لأنه أقنع كاثرين والسفيرة بالمخاطرة بكل شيء من أجل خطته.

وللحظة، تساءل لانغدون ما إذا كان بإمكانهما نزع أنابيب المحاليل الوريدية عن غيسنر، ورفع جثتها من الحجيرة، ونقلها بطريقة ما إلى المصعد.
ليس هناك وقت .وفوق ذلك، فإن إزالة الجثة والعبث بمسرح الجريمة لن يؤدي إلا إلى زيادة تورطهما.

"يجب أن نجد سبيلًا للدخول إلى ثرشولد يا روبرت... إننا قريبون جدًا"!

كان تعليق كاثرين مجازيًا بالطبع... ولكن لسبب ما، وقعت كلماتها على أذنيه بمعناها الحرفي .إننا قريبون جدًا.

تساءل في نفسه" :ولكن، ما مدى هذا القرب بالضبط؟"، وهو يستحضر في مخيلته صورة الردهة الطويلة المرصعة خارج هذه الغرفة... والمصعد وقارئ RFIDفي نهايتها البعيدة .هل المسافة تُقطع في عشر ثوانٍ؟

لقد سجل يوسين بولت رقمًا قياسيًا عالميًا بقطعه مسافة مائة متر في 9.58 ثانية.

لا بد أن طول الردهة أقل من نصف ذلك... أربعون ياردة على الأكثر.

عادت كاثرين وهي تهز رأسها، فأخبرها لانغدون بخطته على الفور.

اعترضت قائلة" :العدو؟ لا أرى"—

قال" :عشر ثوانٍ أطول مما تبدو".

"أعلم أنك تعدو كثيرًا يا روبرت، ولكن بحذاء خفيف على أرضيات خشبية مصقولة؟"

جادل لانغدون" :الأمر يستحق المحاولة. أظن أني أستطيع فعلها".

تحققت كاثرين من بطارية الهاتف واتسعت عيناها" .إذن، من الأفضل أن تنجح من محاولتك الأولى".

شرعت على الفور في عملية المصادقة ثلاثية الخطوات بينما اتخذ لانغدون موقعه بجانبها، وقد مد يده كما لو كان يستعد لتلقي عصا التتابع. وعندما

رن الهاتف للمرة الثالثة، صفعته كاثرين في راحة يده، فانطلق على الفور عبر الغرفة، قابضًا على الهاتف بإحكام. وحين بلغ الباب، أمسك بإطاره واستدار بقوة حول الزاوية، لينطلق بأقصى سرعة في الردهة، حيث بالكاد وجد حذاؤه الخفيف ثباتًا على الخشب الأملس المصقول.

مر لانغدون خاطفًا بالحمام، ومختبر الواقع الافتراضي، ومختبر التصوير، ثم المكاتب، والآن لمح الدائرة السوداء لقارئ RFID على الحائط بجانب المصعد.

عشرون ياردة أخرى...

أسرِع!

وبينما كان يقترب من المصعد، مد الهاتف أمامه... ورأى الشاشة تعد تنازليًا.

ثلاث... اثنتان...

لن أصل في الوقت المناسب.

استدارت كاثرين عند زاوية الردهة في اللحظة التي ارتطم فيها لانغدون بكامل سرعته بباب المصعد وضرب بالهاتف على القارئ. ثم تهاوى على نفسه، وخفض الجهاز، ووضع يديه على ركبتيه وهو يلتقط أنفاسه.

لم يصل في الوقت المناسب...

ولكن بينما كانت تتقدم نحوه، تحول جسد لانغدون المنحني فجأة إلى خيال أسود حالك، إذ انزلق بابا المصعد وانفتحا، وتدفق النور من الداخل.

هتفت وهي تهرع في الردهة نحو لانغدون، الذي كان يمسك بباب المصعد مفتوحًا وما زال يلهث" :لقد فعلتها"!

قالت" :حسنًا أيها الأستاذ، لقد أثرت إعجابي حقًا".

"أنا سعيد أنها نجحت... فمحاولة ثانية كانت ستكون مستحيلة".

"هل نفدت بطارية الهاتف؟"

"لا... بل أنا الذي نفدت أنفاسه".

ابتسمت وقبلته على خده وهما يدخلان المصعد معًا. انزلق الباب مغلقًا.

وللحظة طويلة، لم يحدث شيء.

ثم أحست كاثرين بذلك الشعور... تلك الخفة اللحظية في جسدها المادي.

كانا يهبطان.

الفصل الخامس والتسعون

في ركن معتم رطب من قبوه، كان مدير وكالة المخابرات المركزية غريغوري جاد يتصبب عرقا غزيرا. لم تبق إلا ست دقائق على انتهاء تمرينه الصباحي على دراجته الثابتة من طراز Airdyneالتي لازمته منذ أيامه الخوالي في مجلس الشيوخ. كانت زوجته، موفي، قد وضعت له دراجة Peloton جديدة في غرفة الجلوس المشمسة، لكن جاد كان يؤثر العتمة والعزلة. فالصباحات كانت وقته الخاص للتأمل والتفكير——وغالبا ما كان تفكيره منصبا على كيفية الحيلولة دون انفجار العالم.

وعندما رن الهاتف الخلوي في حامله، فوجئ برؤية اتصال من رقم مجهول. فلم يكن هذا الرقم إلا في حوزة قلة قليلة من الناس، وأقل منهم أولئك الذين يجرؤون على مهاتفته قبل انبلاج الفجر.

توقف عن التبديل، والتقط أنفاسه، ثم أجاب" :نعم؟"

"صباح الخير، سيدي المدير، "قال صوت امرأة علت نبرته حدة التوتر . "معك هايدي نايجل من براغ".

"هايدي؟ "لقد كانت مكالمة مستشاره القانوني الأعلى السابقة غير متوقعة على الإطلاق" .أنت الآن سفيرة——نادني غريغ".

"لن يحدث ذلك أبدا، سيدي".

ابتسم" .حسنا إذن، كيف يمكنني مساعدتك؟ "ومن الذي أعطاك هذا الرقم؟

"أحتاج أن أطرح عليك سؤالا مباشرا، "استهلت حديثها" .وأكون ممتنة لو أجبتني بصدق".

نهض جاد عن دراجته، وقد أقلقت باله نبرتها المضطربة" .في الواقع، أنا أتحدث من هاتف خلوي، وأرى أنك لا تستخدمين منصة آمنة، لذا فإن خطا أرضيا سيكون"——

"لقد أوضحت لموظفي مناوبتكم الليلية أنني سفيرة للولايات المتحدة، وأن الأمر يتعلق بحالة طوارئ تمس الأمن القومي. وهذا هو الخط الذي أعطوني إياه".

"حالة طوارئ أمنية؟ هايدي، اعتمادا على ما تودين مناقشته، يمكننا"——

"كان يجب أن أسألك هذا السؤال منذ أكثر من عامين، "قالت" .ولكني أسألك الآن ".وقبل أن يتمكن جاد من مقاطعتها، قالت نايجل" :الوثائق السرية التي اتُهمت بإخراجها من لانغلي——هل أنت على علم بأن شركة كيو قد دبرت لي مكيدة؟ هل أنت على علم بأنني لم أُنصّب في براغ إلا دمية في أيديهم؟"

زفر جود، ولم يكن غريبا عليه أن يلزم رباطة جأشه في اللحظات العصيبة. فاختار الصدق سبيلا" .أجل، يا هايدي، أنا على علم بذلك".

كان الصمت الذي تلا ذلك أشبه بعاصفة هوجاء على وشك أن تنعقد.

"ولكن، "أضاف جاد على عجل، "لقد اكتشفت الأمر بعد وقوعه. في ذلك الحين، لم يكن لدي أي فكرة. لقد كنتِ مستشارتي القانونية الأولى، وقد آلمني أن أخسرك".

"لقد فعل فينش هذا من وراء ظهرك؟"!

"لقد كان يتمتع باستقلالية تامة لتنفيذ واجبه على النحو الذي يراه مناسبا، "قال جاد وهو يذرِع القبو جيئة وذهابا" .وقد أصابني الغضب حين اكتشفت الأمر، لكنك كنتِ قد استقررت بالفعل في براغ، وكانت هناك أيضا اعتبارات تتعلق بالأمن القومي في المنطقة. بدا لي أن تفجير الأمر برمته سيأتي بنتائج عكسية. وأنت تعلمين مباشرة مدى قيمة أن يكون للوكالة أحد رجالها في السلك الدبلوماسي للمساعدة في التعامل مع تعقيدات العمل الاستخباراتي في الخارج".

"أجل، لقد كنت ذات قيمة كبيرة لفينش ولهذا المشروع—أستعرض عضلاتي الدبلوماسية كلما طُلب مني—أتجاوز الإجراءات الروتينية المعقدة،

وأتحايل على سلطات إنفاذ القانون المحلية، وأتنصت على غرف الفنادق... وأرغم مايكل هاريس على مراقبة ساشا فيسنا".

اللعنة" .أفضل ألا نستخدم الأسماء على خط مفتوح"—

"هل تعلم أنني أجبرت مايكل على هذا الوضع بناء على ادعاء فينش بأن ساشا شخص مهم؟ لكنه رفض أن يخبرني لمَ هي مهمة. هل تعلم أنت يا غريغ؟"

"يكفي هذا. سأغلق"—

"هل للأمر علاقة بالمنشأة السرية التي توشكون على افتتاحها تحت حديقة فوليمانكا؟"

توقف المدير جاد عن السير ووقف جامدا في مكانه" .سفيرة نايجل، "أجاب بهدوء قدر ما استطاع أن يستجمعه" .بينما ليس لدي أي فكرة عما تتحدثين عنه، أقترح أن تمنحيني خمس عشرة دقيقة"—

"لقد أرسلت لك رابط فيديو، "قالت بصوت كالصخر" .ستجده في المكتب. وعندما تراه، ستفعل لي شيئا ما".

"حقًا سأفعل؟ "قال متحديا.

"اتصل بي عندما تشاهد الفيديو. أظن أنك ستجد مطالبي معقولة".

"مطالبك... وماذا لو لم أستطع تلبيتها؟"

"أنت مدير وكالة المخابرات المركزية. لا يوجد إلا القليل مما لا تستطيع فعله".

***من الحكمة ألا تنسي ذلك*" .وماذا لو اخترت ألا أفعل؟"**

"حينها سيصبح هذا الفيديو علنيا، "قالت ببرود" .إنه يحتوي على معلومات مفصلة عن مشروعكم، ومحتواه مزعج للغاية. من الأفضل أن تعجل. هذا رابط عام، وسيعثر عليه أحدهم مصادفة في نهاية المطاف، ربما في غضون الساعات القليلة القادمة".

لقد تجاوزت هايدي نايجل حدودها بأشواط" .هايدي، ألا تعلمين أن رجالي يمكنهم ببساطة حذف"—

"لقد قمت بتنزيل الملف وصنعت منه نسخا. الكثير منها. وهي في أيد أمينة".

"هل فقدت عقلك؟ "!صاح جود" .أتفهم غضبك، ولكن لمَ قد تهددين—"

"لأنني، يا غريغ، "انفجرت نايجل، "لقد اكتفيت من كوني ضررا جانبيا! لم أكن إلا زميلة مخلصة، وأستحق أن يأتيني بعض الولاء اللعين بالمقابل! فانهض من سباتك وافعل الصواب، تبا لك"!

لم يسمع جاد نايجل تفقد هدوءها من قبل، وبصراحة، أخافه ذلك. كانت هايدي نايجل امرأة مهيبة. والأشخاص المضطربون يتخذون قرارات بالغة السوء.

"سأتصل بك في غضون ساعة، "صاحت نايجل" .وإذا اختفيت، فصدقني، سترى هذا الفيديو على كل نشرة أخبار على وجه الأرض".

"سفيرة، أقترح"——

لكنها كانت قد أغلقت الخط بالفعل.

نادرا ما كانت نايجل تشرب، خاصة في منتصف النهار، لكن القدح من شراب البكسيروفكا الذي صبته للتو من خزانة المشروبات في مكتبها بدا مبررا. كانت يداها لا تزالان ترتجفان قليلا وهي تجلس خلف حاسوبها وتقوم بتنزيل نسخة من الفيديو إلى سطح المكتب. وللأمان فقط، قامت بتنزيل نسخة ثانية، وغيرت اسمها إلى اسم بريء هو "وصفات طعام"، ودفنتها في عمق تسلسل مجلداتها الهرمي.

بعد ذلك، فتشت في أدراج مكتبها وعثرت على شريحة ذاكرة USB وحيدة—كانت تحوي عرض PowerPointقديما لخطاب ألقته أمام الرابطة الدولية للمرأة في براغ .وبعد حذف العرض التقديمي، نسخت فيديو اعتراف غيسنر على شريحة الذاكرة ووضعتها داخل حقيبة دبلوماسية بحجم الرسائل تحمل ختم السفارة.

أغلقت سحاب الحقيبة وأدخلت حلقة الأمان البلاستيكية في السحاب، وأحكمت إغلاقها حتى قُفلت بشكل دائم. ثم عنونت حقول توجيه الحقيبة، موجهة إياها مباشرة إلى... نفسها.

وفقا للمادة ٢٧,٣ من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية، فإن أي شخص آخر يفتح هذه الحقيبة يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون.

وبينما بدأت نايجل تبحث في مكتبها عن مكان آمن لتخزين الحقيبة المختومة، أدركت أنه لا يوجد مكان آمن حقا في هذا المكتب. كانت تريد أن تصدق أن المدير جاد سيتخذ القرار الصحيح، ولكن إذا قرر أن يغدر بها، فسيكون هذا المكتب أول مكان يستهدفه.

"سكوت "!صاحت وهي تحمل الحقيبة نحو الباب.

كان حارسها ينتظر في الخارج فدخل على الفور.

"أحتاج أن أستودعك هذه، "قالت.

"بالطبع، سيدتي، "قال وهو يوجه نظره إلى يديها" .الحقيبة أم الكأس؟"

نظرت إلى الأسفل .*يا إلهي*" .الحقيبة يا سكوت ".ناولته إياها" .حافظ عليها آمنة. لا تذكرها لأحد. وأعني لا أحد. هل يمكنني أن أثق بك في ذلك؟"

"بالطبع، سيدتي ".دس الحقيبة في جيب صدر بدلته العسكرية وألقى عليها نظرة قلقة" .هل كل شيء على ما يرام، سيدتي؟"

"كل شيء على ما يرام، شكرا لك. إن وفاة السيد هاريس قد تركتني إلى حد ما "...تلاشى صوتها" .هل هناك أي أخبار من الطب الشرعي؟"

"ليس بعد، سيدتي".

"هل يمكنك من فضلك الاتصال بالآنسة دانيك وتطلب منها العودة إلى هنا على الفور".

"بالطبع، سيدتي ".تردد الجندي" .على الرغم من... أنه يجب أن أحذرك من أن الآنسة دانيك كانت منزعجة للغاية عندما وجدنا جثة السيد هاريس. يبدو أنهما كانا مقربين".

أجل، فكرت نايجل، وهي تشعر بالخزي لاستغلالها علاقتهما العاطفية كورقة ضغط" .شكرا لتنبيهي. لدي وضع عاجل هنا يتطلب مهاراتها "*.آمل أن تتصرف باحترافية.*

غادر الرقيب كيربل، وعادت نايجل إلى مكتبها. ارتشفت رشفة طويلة من شرابها. كانت الرسالة من قاتل هاريس تحدق فيها.

"أرجوك ساعد ساشا" .

لا أستطيع مساعدتها إن لم أستطع العثور عليها ، فكرت نايجل وهي تدس الرسالة في درج مكتبها. لحسن الحظ، كان لدى براغ نظام مراقبة لا مثيل له. لم يكن التحدي في العثور على ساشا—بل في إقناع دانا دانيك بالمساعدة في المهمة.

كان الغولم قد قطع ممرا آليا ضيقا امتد قرابة مئة متر، كعمود فقري طويل تحت قلب "العتبة". وبعد أن بلغ نهايته، كان يقف الآن أمام بوابة غير عادية.

كان الباب من الفولاذ، بيضاوي الشكل وبلا نوافذ، وله عجلة تدوير ثقيلة لفتحه وإغلاقه. كان يشبه فتحة غواصة محكمة الإغلاق. وكُتب على اللافتة / **SMES** :للمصرح لهم فقط

الليلة الماضية، كانت غيسنر قد كشفت له عن التقنية المدهشة التي تأويها هذه الحجرة الفريدة. وقد زوده بحث الغولم على الإنترنت هذا الصباح ببقية المعلومات التي يحتاجها، بما في ذلك تأكيد السبب العلمي لوجود الآلة في هذا الموقع بالذات.

تحت معلم شهير في حديقة فوليمانكا مباشرة.

كان الهيكل فوقهم أحد البقايا المرئية الوحيدة من ملجأ القنابل الذي يعود إلى خمسينيات القرن الماضي، وكان السياح يلتقطون لأنفسهم بانتظام صورا وهم يقفون في الحديقة بجانبه. لم يشك أحد منهم بالطبع فيما علمه الغولم مؤخرا——أن هذا المعلم قد أعيد توظيفه ببراعة عبقرية لخدمة احتياجات "العتبة."

لقد أصبح الآن عمود تهوية للغرفة المغلقة خلف هذا الباب.

أخذ الغولم لحظة ليلتقط أنفاسه قبل محاولة تدوير العجلة. فبدون قضيبه، كان عليه أن يكون حذرا؛ فنوبة أخرى هنا في الأسفل قد تكون خطرة، خاصة وهو محاط بالعديد من الأسطح الصلبة والحواف الحادة.

وما إن شعر بأنه قد استعاد توازنه، حتى ثبت الغولم قدميه، وأمسك بعجلة التدوير، ودفعها بقوة عكس اتجاه عقارب الساعة. بالكاد تحركت العجلة، ولم تدر إلا بضعة سنتيمترات.

استحضر صورة وجه ساشا، فمنحته براءتها القوة.

إنني أفعل هذا من أجل كل من عانى من الظلم هنا. من أجلك... ومن أجلي... ومن أجل كل الآتين من بعدنا.

صك على أسنانه، ودفع العجلة مرة أخرى.

الفصل السادس والتسعون

فيما كان المصعد يواصل هبوطه السحيق في جوف التل الكائن تحت حصن كروسيفيكس ، ألفى روبرت لانغدون نفسه يصارع موجة من القلق التي اجتاحته. لقد كان منشغلًا كل الانشغال بمهمة الولوج إلى المنشأة، حتى إنه لم يتصور تصورًا كاملًا الطريق الذي سيتعين عليه أن يسلكه ليبلغ غايته.

إني حبيس هوة سحيقة ضيقة، تكتنفني آلاف الأطنان من الصخر من كل جانب.

كما أنه لم يكن لديه أدنى فكرة عما ينتظره حينما ينفتح بابا المصعد. لقد أخبرتهما السفيرة أن منشأة ثرشولد لم تكن قد بدأت عملها بعد، ولذلك، فقد استبعدت أن يصادفا أيًا من أفراد الأمن في الداخل. ولكن لم يكن هناك سبيل للتأكد من ذلك على وجه اليقين.

وجد لانغدون نفسه أيضًا يجول بفكره في المعضلة التي استجدت قبل دقائق معدودة. لقد أخذ أحدهم بطاقة دخول غيسنر ...وبتر إبهامها. من الواضح أن تلك الجريمة الشنعاء قد ارتُكبت سعيًا للدخول إلى ثرشولد، ولكن السؤال هو، متى وقع ذلك؟ هل تسلل الدخلاء وأتموا فعلتهم وغادروا قبل ساعات... أم أنهم ما زالوا في المنشأة؟ وإن كانوا لا يزالون هنا... فما مدى خطورتهم؟

حركت كاثرين جسدها في المصعد الفسيح وقالت في خضم الصمت" :إنه هبوط طويل ".وقد بدا عليها التوتر من طول مدة النزول.

كان لانغدون يجاهد نفسه ألا يفكر في الأمر. قال في شرود، وقد لاحظ أن شاشة الهاتف قد اسودت" :لقد نفدت بطارية الهاتف ".فأخذت كاثرين الجهاز منه وألقته في حقيبة كتفها.

وأخيرًا، بدأ المصعد يبطئ من سرعته. انزوى الاثنان في زاوية المقصورة، بعيدًا عن مرمى البصر من الباب، بينما توقف المصعد في انسيابية وهدوء. حبس كلاهما أنفاسه.

انزلق البابان مفتوحين.

تكوّر لانغدون وكاثرين في زاويتهما، ينتظران أي صوت أو حركة في الخارج، ولكن لم يكن هناك شيء. ثم مال لانغدون بحذر إلى أحد الجانبين وألقى نظرة خاطفة إلى الخارج.

كان الفضاء الخارجي يغشاه ظلام دامس.

لم يستطع لانغدون أن يرى شيئًا وراء مروحة الضوء الصغيرة التي انبثقت من المصعد. لم يخطر بباله قط أنه نظرًا لأن ثرشولد لم تكن قد دخلت حيز التشغيل بعد، فقد لا يكون هناك كهرباء في الوقت الراهن.

نحن في أعماق الأرض. لا أضواء. لا نوافذ. قد نكون في كهف هائل، من يدري.

شعر بأن نبضات قلبه تتسارع وهو يخرج من المصعد متسللًا، ويخطو خطوة مترددة في الظلام. وقبل أن تلامس قدمه الأرض، اشتعلت فوق رأسه مجموعة من الكشافات الضوئية، فأعشته للحظات. غطى عينيه، متمنيًا أن تكون الأضواء قد اشتعلت من تلقاء نفسها بفعل مستشعر للحركة... لا أن يكون من أطلق وميضها فريق استجواب أو فرقة إعدام.

ببطء، خفض يده، وحدّق في المشهد أمامه.

وعندما اتضحت الصورة، أحدق في ذهول وعدم تصديق.

لا بد أن هذا ضرب من الخيال...

من الواضح أنهما قد غادرا حصن كروسيفيكس .لقد اختفت الآن كل اللمسات العتيقة الطبيعية. فالعالم الجديد الذي ولج إليه لانغدون للتو كان أنيقًا، مستقبليًا، وتقنيًا خالصًا.

همست كاثرين وهي تظهر من خلفه" :أمر لا يصدق. يبدو هذا باهظ التكلفة".

خمّن لانغدون أن المنشأة ربما مُولت من خلال استثمارات شركة In-Q-Tel، خارج نطاق الميزانية السوداء، ودون أي رقابة من الكونغرس.

صعدت كاثرين إلى المنصة المعدنية الضيقة خارج المصعد، وهي تتأمل ما يحيط بها في دهشة" .إنها أشبه... بمحطة قطار أنفاق صغيرة".

نوع من القطارات أحادية السكة مستقبلية الطراز، هكذا فكر لانغدون، وهو يمعن النظر في القناة الخرسانية أسفلهما، حيث يمتد قضيب حديدي ضيق واحد من المنصة إلى نفق دائري يختفي في الظلام. بدت فتحة النفق ضيقة جدًا، لا تتسع لمرور عربة قطار أنفاق عادية، ولكن عندما رأى لانغدون العربة التي تسير على هذا المسار، أدرك أن الفتحة كانت واسعة بما فيه الكفاية.

كانت العربة عبارة عن سطح طويل، نحيل، ومكشوف —— أشبه بمنصة متحركة منها بعربة —— وبه مقعدان طويلان يواجه كل منهما الآخر على كلا الجانبين. وفي الخلف، كان هناك قسم يبدو أنه مخصص لنقل الإمدادات، والذي يشتمل حاليًا على كرسيين متحركين مثبتين في مكانهما.

تذكر لانغدون أن هناك نظامًا مشابهًا تحت الأرض يربط بين المباني في الكابيتول هيل .ولكن على عكس عربات الترام الصندوقية ذات الطراز القديم في واشنطن العاصمة، بدا هذا النظام بسيطًا، أنيقًا، وفعالًا .

قالت كاثرين وهي تتحرك نحو العربة" :يسرني أنها في هذا الطرف من الخط. يبدو هذا فألًا حسنًا".

أدرك لانغدون مغزى كلامها على الفور. فإذا كانت وسيلة النقل هنا، فهذا يعني أن من أخذ بطاقة بريجيتا لا بد أنه قد ذهب بالفعل إلى ثرشولد وعاد من هذا الطريق ليخرج. قال وهو يشعر ببعض الارتياح" :ملاحظة ممتازة. كما أن أضواء مستشعرات الحركة كانت مطفأة، فيبدو أننا وحدنا".

صعدت كاثرين إلى السطح، ولحق بها لانغدون .وما إن اعتلوا وسيلة النقل، حتى انبعث من تحتهما أزيز كهربائي خفيض، وبدا أن المنصة ترتفع بوصة أو اثنتين.

شخص ما أو شيء ما يعلم بوجودنا هنا، فكر لانغدون، آملًا أن يكون هذا القطار آليًا بالكامل... لا أن يكون هناك من يراقبهما وقد قام للتو بتشغيل النظام.

قالت كاثرين .Maglev" :لدينا واحد منها في كاليفورنيا".

ومثل أي شخص عبث بالمغانط في طفولته، كان لانغدون على دراية بتأثير التنافر الذي تحدثه الأقطاب المغناطيسية المتشابهة على بعضها البعض —— قوة كافية في هذه الحالة لرفع منصة وجعلها "تحوم" دون أي احتكاك تقريبًا.

قالت كاثرين" :لا أرى أي أجهزة تحكم. هل نجلس فحسب؟"

كان تخمينًا جيدًا كأي تخمين آخر، فاتخذ لانغدون مقعدًا بجانبها، وواجه كلاهما الجانب الأيمن من العربة. وفي غضون ثوانٍ، ترددت ثلاث رنات خفيضة في أرجاء المحطة، وبدأت المنصة تتحرك إلى الأمام، وتكتسب سرعتها.

باستثناء الأزيز الكهربائي، كانت الحركة صامتة.

كان التسارع السريع سلسًا على نحو مدهش، وفي غضون ثوانٍ كانا يندفعان إلى فتحة النفق، وينطلقان في الظلام في صمت تام، إلا من صوت الهواء المندفع بجوارهما.

لم يضيء المصباح الأمامي للترام سوى جزء صغير من المسار الأحادي أمام العربة مباشرة. وفي الظلام، بدا وكأنهما قد تسارعا إلى سرعة منذرة بالخطر، وكان من الصعب تقدير المسافة التي قطعاها.

فجأة، أمسكت كاثرين بذراع لانغدون وشهقت، مشيرة إلى أسفل النفق أمامهما.

لقد لمحها لانغدون هو الآخر. في الأمام مباشرة، على المسار الأحادي، كان هناك مصباح أمامي يقترب ـــــ عربة أخرى تندفع نحوهما في مسار

تصادمي.

من الواضح أنه لم يكن من المفترض أن يستقل لانغدون وكاثرين هذا الترام.

صاحت كاثرين وهي تلتفت في مقعدها وتتفحص محيطهما" :لا بد من وجود مكابح طوارئ"!

التفت لانغدون في يأس إلى كلا الجانبين، باحثًا عن أي مكان يمكنهما القفز إليه، لكن جدرانًا خرسانية كانت تكتنفهما بإحكام من كلا الجانبين.

كان المصباح الأمامي المعمي يندفع نحوهما، ولم يعد يفصلهما عن الاصطدام المباشر سوى ثوانٍ معدودة. أمسك لانغدون وكاثرين بأيدي بعضهما البعض واستعدا للصدمة، ولكن فجأة، تحول ترامهما بسلاسة إلى اليسار، بينما تحولت العربة القادمة في الاتجاه المعاكس، ومرّت العربتان بجانب بعضهما البعض في انسيابية خاطفة دون أن يصطدما في قسم أوسع قليلًا من النفق. وبعد لحظة، عادت عربتهما إلى المنتصف، وضاق النفق مرة أخرى إلى مسار واحد.

زفر لانغدون، وقلبه ما زال يخفق بعنف في صدره. قال بصوت مرتعش : "إنه مسار مزدوج للتجاوز... يضبطه الحاسوب بدقة".

أطلقت كاثرين تنهيدة ارتياح عميقة وضغطت على يده بقوة.

في حين أن مسار التجاوز المزدوج كان وسيلة فعالة لتجنب حفر نفق

بمسارين، إلا أنه كاد أن يودي بحياة لانغدون في تجربة لم يكن يرغب في خوضها قط.

واصل الترام سيره السريع لعشر ثوانٍ أخرى ثم بدأ في التباطؤ مرة أخرى، ليتوقف في انسيابية مريحة عند محطة مماثلة، وهي منصة معدنية مهجورة خالية من أي لافتات. وبمجرد نزولهما، اختفى الأزيز الإلكتروني، وهبطت وسيلة النقل بوصة أو اثنتين عائدة إلى وضعها الساكن.

قالت كاثرين" :إنه نظام من عربتين، مما يعني أننا لا نستطيع أن نكون على يقين من أن من دخل قبلنا... قد غادر بالفعل".

أومأ لانغدون .دائمًا ما تكون هناك عربة عند كل طرف.

كان أفضل تخمين لديه هو أنهما الآن في مكان ما تحت الحافة الشمالية من متنزه فوليمانكا، متاخمين لأعمق أطراف ملجأ القنابل المترامي الأطراف الذي يعود تاريخه إلى خمسينيات القرن الماضي.

بدلًا من باب مصعد، كانت هذه المنصة تحتوي على فتحة مقوسة بلا باب. دخل لانغدون وكاثرين من خلالها ليجدا طريقهما مسدودًا بنقطة تفتيش أمنية مهيبة —— حزام ناقل للأشعة السينية، وماسح ضوئي للجسم، والمزيد من أجهزة القياسات الحيوية، ومكتبان للحراس —— وكلها كانت خالية من الموظفين في الوقت الحالي.

سيصبح هذا المكان حصنًا منيعًا عندما يبدأ العمل به، أدرك لانغدون وهما يتجاوزان الماسح الضوئي للجسم ويخرجان من نقطة التفتيش إلى ردهة رئيسية.

حتى الآن، لم يرَ لانغدون أي لافتات في أي مكان تشير إلى أن هذه منشأة تابعة لوكالة المخابرات المركزية .(CIA) ولكن عندما وصلا إلى مجموعة من الأبواب الزجاجية المزدوجة، رأى كلمة واحدة، بخط صغير، منقوشة على الزجاج.

ثرشولد

PRAGUE

تأكيد.

مد لانغدون يده نحو الأبواب، لكنها انفتحت تلقائيًا، وأضاءت الردهة التي تليها على الفور. كان الضوء في هذه الردهة أشبه بوهج ناعم منه بالكشافات الساطعة التي رأياها من قبل. امتد شريطان من الإضاءة الأرضية الخافتة على طول قاعدة جدران الممر، مبتعدين عنهما في خطين متوازيين، يذكران بمدرج المطار.

كانت الأرضية النقية من بلاط التيرازو الأسود وتشبه شريطًا من البازلت المصقول. وكانت الجدران هنا من معدن فضي، على الأرجح قشرة من الكروم، وتتلألأ في ضوء الحافة السفلية. حمل الهواء رائحة الطلاء الجديد والخرسانة ومواد التنظيف.

سار لانغدون وكاثرين بخطى حثيثة في الممر، وصدى خطواتهما يتردد على الجدران الصلبة. وبعد حوالي عشرين ياردة، توقفا عند تقاطع حيث يتفرع ممر ثانوي إلى يمينهما. كان هذا الممر، المبلط باللون الأخضر الباهت، مظلمًا تمامًا، ولم يستطع لانغدون أن يرى سوى بضعة أبواب مكاتب قبل أن يبتلع السواد كل شيء.

كانت هناك لافتة مكتوب عليها :الإدارة.

أخبره حدسه أن البحث في المكاتب والملفات سيكون مضيعة للوقت الثمين. كانا بحاجة إلى دليل مادي يوضح ما يجري في ثرشولد، ولم يكن هناك سوى طريقة واحدة للقيام بذلك.

علينا أن نجد قلب المنشأة.

ولحسن حظهما، رأى لانغدون أمامهما على البلاط الأسود كلمة واحدة منقوشة بأحرف بارزة :المختبر.

وبينما كانا يتحركان في الممر الطويل المستقيم، استمرت الإضاءة الأرضية

أمامهما في الاشتعال تلقائيًا. ووصلا إلى تجويف يضم بابًا معدنيًا ضخمًا يحمل رمزًا مألوفًا.



الكادوسيوس؟ تفاجأ لانغدون بوجود رمز طبي في منشأة تابعة لوكالة المخابرات المركزية، لكنه كان هناك، معروضًا بشكل بارز. من الناحية الأيقونية، كان يعلم أن هذا الرمز كثيرًا ما يساء استخدامه، كما هو الحال هنا. فالكادوسيوس هو في الواقع الرمز القديم لهيرميس، إله السفر والتجارة اليوناني. أما الرمز الأدق فكان عصا أسكليبيوس —— عصا إله الشفاء اليوناني —— وهو أيقونة مشابهة بلا أجنحة وأفعى واحدة فقط، بدلًا من أفعى الكادوسيوس المزدوجة. ومن المحرج أنه في عام 1902، قام الفيلق الطبي بالجيش الأمريكي بطبع الكادوسيوس عن طريق الخطأ على زيهم العسكري، وحتى يومنا هذا، يعرض الرمز خطأً من قبل الأطباء والمستشفيات الأمريكية.

اقتربت كاثرين وفتحت الباب.

تبعها لانغدون إلى الداخل، إلى جناح من الغرف بدا وكأنه مستشفى صغير. كانت غرفة الفحص الطبي مجهزة بمعدات تشخيص وتصوير متقدمة.

واحتوت خزانة إمدادات ضيقة على أرفف مكدسة بإمدادات طبية لم تفتح. وضمت غرفة خاصة سريرين محاطين بمعدات طبية أكثر مما رآه لانغدون حتى في وحدة العناية المركزة.

وبشكل مخيف، كانت تلك الغرفة تحمل لافتة التعافي.

التعافي من ماذا؟

وبينما توغلا في الجناح، وجدا رافعة شوكية صغيرة قابلة للركوب تحمل في شوكتيها صندوقًا ضخمًا. انحنت كاثرين لتقرأ الملصقات على الصندوق. قالت .NIRS" :التحليل الطيفي بالأشعة تحت الحمراء القريبة. تصوير متقدم في الزمن الحقيقي".

"في منشأة طبية؟ "كان لانغدون يربط تقنية NIRSبعلم الفلك.

"يستخدمها علماء الأعصاب لتحليل نشاط الدماغ عن طريق تقييم تشبع الأكسجين ".وقفت كاثرين، ونظرة قلق في عينيها" .لا أفهم... لماذا تبني وكالة المخابرات المركزية مستشفى سريًا تحت متنزه فوليمانكا؟"

كان لانغدون يتساءل عن الشيء نفسه وهو يسير نحو مجموعة من الأبواب المتأرجحة ويدفعها بحذر ليفتح شقًا. لم يكن في الداخل سوى الظلام. دفعها أكثر قليلًا، فاشتعلت الأضواء في الداخل.

وعندما دخل من الأبواب، وجد نفسه في غرفة تعقيم جراحية. على الجدار

البعيد، كانت نافذة زجاجية ضخمة تطل على الغرفة المجاورة —— غرفة عمليات بيضاء لامعة. وهناك، معلقًا بشكل ينذر بالشر فوق طاولة جراحية أنيقة، كان جهاز لا يشبه أي شيء رآه لانغدون من قبل.

همس لانغدون بينما وصلت كاثرين من خلفه" :لا علم لي بماهية تلك الآلة... بيد أن منظرها ليبعث على الرعب والفزع".

الفصل السابع والتسعون

كانت حركة السير على طريق إيفروبسكا تزحف في وُؤَدة، وقدّر فينش أن بلوغه لمقر السفيرة سيستغرق ثلاثين دقيقة أخرى. وكان يحدوه الأمل أن تكون نايجل قد هيأت للانغدون وسولومون سبل الراحة التامة.

وخاطب نفسه قائلا: "لتقدم لهما شرابا منعشا بعد الظهيرة، أو لعلها تقدم قدحين".

لقد كانت نايجل ذخرا ثمينا في براغ، فعلى الرغم مما في حلقها من غصة بسبب الطريقة التي وُظفت بها، إلا أنها نفذت توجيهات فينش بفعالية، واستعرضت نفوذها الدبلوماسي عند الضرورة. صحيح أنها أبدت بعض الممانعة لأمره باستغلال مايكل هاريس للتقرب من ساشا فيسنا.

"لمَ نراقب ساشا؟ "سألته نايجل حينها" .هل تظن أنها تتجسس؟"

"ساشا ليست جاسوسة، "أكد لها فينش صادقا" .وليست خطرة".

إن ساشا فيسنا أثمن بكثير من أي جاسوس.

إنها استثمار... عمل قيد الإنجاز... وذخر لوكالة المخابرات المركزية وهي غافلة عن أمرها.

"إنها بحاجة إلى المراقبة... كإجراء احترازي ليس إلا، "أوضح لها.

وهي لا تزال غافلة تماما...

صدح هاتف فينش معلنا عن مكالمة واردة عبر تطبيق "سيغنال"، فخمن أنها من هاوسمور تحمل إليه مستجدات من الحصن. لكن ما إن ألقى نظرة على هوية المتصل حتى اعتدل في جلسته، إذ رأى أن رئيسه هو الذي على الخط.

"غريغ، "أجاب بهدوء، متجاوزا الرسميات التي تليق عادة بمدير وكالة المخابرات المركزية" .لهي مفاجأة حقا".

"ولن تكون بالسارة، "رد جاد بحدة، ويبدو أنه لم يكن في مزاج يسمح بالمجاملات" .الأمر يتعلق بنايجل. إنها تعلم أنك دبّرت لها تهمة تلك الوثائق".

"لقد علمت ذلك منذ أمد بعيد. كما علمت أنت".

"ليكن ما يكون، لا أزال أستفظع الطريقة التي جندتها بها".

يستفظع؟ حقا؟ لم يكن لدى فينش متسع من الصبر لتعليقات الرجل التي تنضح بالورع الزائف. لقد عيّنه المدير للإشراف على براغ لسبب واحد لا ثاني له—لسجله الحافل بفعل كل ما يلزم لكسب الحرب، حتى لو عنى ذلك التحايل على السياسات.

"لقد تعمدت إبقاءك خارج دائرة الأمر يا غريغ—لحمايتك أنت، "قال فينش" .لأقيك من تبعات المساءلة ".فلتكن ممتنا لي.

"أقدر لك ذلك، لكن نايجل كانت تستحق ما هو أفضل".

"أفضل من منصب سفيرة؟ لقد أمست الآن دبلوماسية للولايات المتحدة! وقد خدمتنا في براغ خدمة جليلة. إنه فوز للطرفين".

"ربما ليس بالفوز الذي تظنه. إنها تهدد بفضح كل ما تعرفه عن المشروع على الملأ".

كان فينش على يقين أنه لم يحسن السمع" .ماذا قلت؟"

"لقد سمعتني".

"تهديد بالفضح... هذا لا يعقل".

"إنها غاضبة إلى أقصى حد. ولديها مطالب".

"ولكن... إنها لا تعرف شيئا"!

"إنها تدعي أن لديها دليلا مفصلا. لقد أرسلت لي نوعا من الفيديو إلى لانغلي. وأنا في طريقي الآن لرؤيته".

"فيديو عن ماذا؟ "!صاح فينش" .إن نايجل أذكى من أن تعادي الوكالة. ليس لدي أي فكرة عما تلعبه... ولكنها تراوغ".

"لقد عملت معها لسنوات، "قال جود" .لقد كانت المستشارة العامة اللعينة لوكالة المخابرات المركزية——ونايجل لا تراوغ".

أحس فينش بقبضة باردة تعتصر أحشاءه. هل غدرت بي السفيرة؟" !وما هي مطالبها؟"

"لم تقدم أي مطالب بعد".

تساءل فينش إن كان ذلك صحيحا.

"سأتحدث معها مرة أخرى قريبا، "قال جود" .ولكن إذا كانت هناك مخاوف أمنية تحتاج إلى معالجتها، فافعل ذلك على الفور. لست بحاجة إلى تذكيرك بأن تسرب تفاصيل هذا المشروع سيكون كارثيا".

"أنا أتولى الأمر شخصيا. لقد وصلت لتوي إلى براغ "——تجهم فينش، مدركا أنه قد أفشى أكثر مما ينبغي.

توقف جاد برهة متأنية" .إذا كنت في براغ، فمن الواضح أنك كنت تعلم بالفعل أن هناك مشكلة تختمر".

من بين أمور أخرى، إن غيسنر مفقودة" .أجل، بعض التجاعيد الصغيرة الليلة الماضية، ولكن كل شيء تحت السيطرة. أنا في طريقي الآن لأسوي أطراف الخيوط".

"خير لك أن تفعل. لا تجعلني أندم على أنني وكلت إليك هذا الأمر—— فهذا واحد من أهم المشاريع التي تديرها هذه الوكالة".

"لقد اخترتني يا سيدي، لأنك تعلم قدراتي".

"أجل... وفي هذا الصدد، "قال المدير، "كلمة تحذير. إذا حدث أي شيء لهايدي نايجل، أي شيء على الإطلاق، فسأحرص على أن تدفع الثمن. ثمن كل شيء".

"لست أنا العدو، "قال فينش باستهتار" .أنا في صفك".

"فاحذر لنفسك، "قال جود" .ولا تختبرن صبري".

انقطع الخط فجأة، فجلس فينش في صمت مذهول بينما كانت مركبته تنهب الطريق نحو براغ.

وأخيرا، وهو يستشيط غضبا، اتصل بالسفيرة نايجل.

تحول الاتصال مباشرة إلى البريد الصوتي دون أن يرن مرة واحدة.

هل أغلقت هاتفها؟

وبقلق بالغ، اتصل بهاوسمور في حصن باستيون كروسيفيكس ، ولحسن حظه بدأ خطها بالرنين. ولكن بعد ثماني رنات، تحول هو الآخر إلى البريد الصوتي أيضا.

ما الذي يجري؟ إن الضابطة الميدانية هاوسمور كانت تجيب على اتصالات فينش من الرنة الأولى، ليلا أو نهارا... دون تخلف قط. حاول الاتصال بها مرة أخرى. لا إجابة.

وضع فينش هاتفه في جيبه وحدق في أفق المدينة للحظة طويلة، وهو يمعن التفكير.

ثم حسم أمره.

"غير خطتك، "قال لسائقه" .دعك من المقر. خذني إلى حصن باستيون كروسيفيكس".

الفصل الثامن والتسعون

كانت الآلة التي تتربع في صدر غرفة العمليات الجوفية أشبه بأداة من أدوات العذاب التي استُلهِمَت من خيال المستقبل. فمن السقف، فوق سرير جراحي منفرد مباشرة، تدلت أربع أذرع آلية مفصلية، ذات أصابع شبيهة بالكماشات، وقد انبثقت من تشابك منظم من الكبول والأسلاك. وبدت تلك المخالب الآلية وكأنها تتأهب للانقضاض على من يكون من سوء طالعه أن يستلقي على ذلك الفراش الشبيه باللوح الحجري أسفلها.

ولقد كان أشد ما يبعث على الفزع في هذه الآلة المعقدة، في نظر لانغدون، ليس أطرافها الآلية، بل آلية التكبيل في السرير. فقد تدلت من السرير بضع عشرات من الأشرطة اللاصقة الغليظة، صُممت بوضوح لتوثيق الذراعين والساقين والصدر، لشل حركة المريض تمامًا وحرمانه من أدنى حركة. وفوق ذلك، تقوس فوق أحد طرفي السرير شريط معدني نصف دائري، برزت منه خمس قضبان رفيعة بزوايا مختلفة —— إنها براغي تثبيت الجمجمة.

اقشعر بدن لانغدون .لم يستطع أن يتخيل هول أن يُقيد المرء هنا، وتُثبَّت جمجمته في مكانها، وهذا الوحش الآلي جاثم فوق وجهه. إنه لشعور بالاختناق يبلغ من الشدة ما يفوق كل تصور.

قالت كاثرين" :أمر لا يصدق... إن لديهم جراحًا آليًا للمخ والأعصاب. لربما تذكر أن أول جهاز اخترع من هذا النوع كان يدعى".da Vinci

تذكر لانغدون على نحو غامض ما ورد في الأخبار عنه.

توجهت كاثرين إلى مشبك الجمجمة وتفحصت البراغي الطويلة المتشعبة منه" .هذه تذكرني بكابوسي".

هالة شائكة، فكر لانغدون، وهو يرى الشيء في ضوء جديد.

قالت كاثرين" :غرفة التحكم من هنا ".ثم سارت نحو نافذة زجاجية ضخمة وأخذت تنظر من خلالها.

انضم إليها لانغدون فرأى ثلاثة كراسي مصممة هندسيًا تواجه سلسلة من الشاشات المسطحة المزودة بمظلات LCDللعرض المجسم ثلاثي الأبعاد. وكانت مصحوبة بمجموعة متراصة بإتقان من أجهزة الإدخال المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ اللامع — فأرة، وكرة تتبع، وقلم إلكتروني، ومكوك تحرير، ووحدة تحكم، وعصي تحكم. واحتوت صينية تحمل علامة Haptic Interfaceعلى زوج من القفازات الشبكية.

قالت كاثرين" :مذهل. كنت أعلم أن الجراحة الآلية في تقدم، ولكن هذا الجهاز يبدو متقدمًا بسنوات عن أي شيء سمعت به من قبل".

تساءل لانغدون عما إذا كانت غيسنر هي التي صممته. براءة اختراع مربحة أخرى" .إذن هذه هي الطريقة التي تزرع بها شرائح الصرع؟"

"حاشا وكلا، "قالت كاثرين" .إن وضع شريحة RLS هو أمر بدائي — من الناحية الفنية لا يعد جراحة في المخ على الإطلاق. إنها توضع فحسب في تجويف بحجم الإبهام في الجمجمة؛ ليس هناك أي اتصال فعلي بالدماغ ". وعادت لتتفحص الجهاز المعلق في السقف مرة أخرى، وتفحصته من عدة زوايا" .كلا... هذا عالم مختلف تمامًا. هذا مخصص لجراحات المخ العميقة — إزالة الأورام المعقدة، أو كيّ تمدد الأوعية الدموية، أو... ربما لاستخراج عينات أنسجة دقيقة متخصصة للتحليل ".ثم التفتت إليه" .لقد قلت إن ساشا فيسنا كانت لديها ندوب في جمجمتها. ندوب كبيرة؟"

أومأ لانغدون برأسه وهو يتذكر كيف كان يمسك برأس ساشا أثناء نوبتها . "معظمها كان مخفيًا تحت شعرها، ولكن نعم. افترضت أنها ناجمة عن إصابات، لكنها ذكرت لاحقًا أن غيسنر واجهت بعض المضاعفات الطفيفة أثناء زرع شريحتها؛ كانت الجراحة ناجحة... ولكنها كانت أيضًا أكثر توغلًا بقليل مما كان مخططًا له".

"بقليل؟ "ألقت كاثرين نظرة إلى الأعلى على الجراح الآلي" .هذه الآلة ليست جديدة؛ لقد استُخدمت من قبل، وأكره أن أقول هذا، ولكن ساشا

كانت لتكون موضوعِ اختبار مثاليًا. ساذجة، لا أهل لها، ومن غير المرجح أن تشكك في إجراءات المتابعة التي توصي بها طبيبة شهيرة أنقذت حياتها وتدفع لها الآن راتبها".

بدت الفكرة شنيعة في نظر لانغدون، لكنه أجبر نفسه على التركيز على الأمر الذي بين يديه" .هل ترين أي شيء هنا يتعلق بما كتبتِ عنه؟"

هزت رأسها" .ليس بعد. وليس هناك أي شيء هنا يدينهم بشكل خاص لنأخذه معنا كدليل على ما يفعلونه حتى. كل ما يمكنني قوله هو أنهم يجرون نوعًا من جراحات المخ المتقدمة للغاية داخل منشآتهم الخاصة".

جزيرة الدكتور مورو، فكر لانغدون، وقد أزعجته فكرة قيام وكالة المخابرات المركزية بإجراء عمليات جراحية سرية في مختبر تحت الأرض على أرض أجنبية" .لنواصل البحث".

خرجا بسرعة من الجناح الطبي، وعادا إلى الممر المبلط بالأسود، وواصلا التوغل أعمق في ثرشولد.

وصلا إلى تجويف آخر يحتوي أيضًا على مدخل، لكن هذا الباب كان مغطى بطبقة سميكة من الرغوة العازلة للصوت.

"الحوسبة الغامرة، "قالت كاثرين، وهي تقرأ اللافتة بجانب الباب" .قد يكون هذا شيئًا مهمًا".

تبع لانغدون كاثرين إلى غرفة بدت جدرانها وسقفها وأرضيتها مغطاة بسجاد أسود، وهو غير متأكد مما يمكن توقعه. كان الضوء الوحيد يأتي من الإضاءة الخافتة عند قاعدة الجدران التي أضاءت تدريجيًا عند دخولهما.

وفي منتصف الغرفة، امتد صف من ثمانية كراسي استلقاء، عميقة على غير المألوف، ومجهزة بأحزمة أمان للكتف. يستقر كل منها فوق تشابك خاص به من الأذرع والصمامات الهيدروليكية. قال لانغدون" :إنها محمولة على محاور جيمبال. هذه الكراسي تتحرك".

أومأت كاثرين برأسها وهي تتحرك نحوها" .الحوسبة الغامرة هي في جوهرها واقع افتراضي متقدم. حركة هذه الكراسي متزامنة مع الصور والصوت الذي يتم إدخاله في هذه ".ورفعت نوعًا من خوذة زجاجية مستقبلية معتمة عن الكرسي" .شاشات عرض بانورامية عميقة الطيف. هذا واقع افتراضي متقدم بشكل استثنائي يا روبرت".

واقع افتراضي؟ ما الذي قد يفعلونه هنا؟

توجهت كاثرين إلى محطة عمل حاسوبية في الجزء الخلفي من الغرفة" .إن البيانات المطلوبة لتشغيل محاكاة الواقع الافتراضي هذه هائلة، ولا شك أنهم

يشغلونها من نظام أكبر... مثل ذلك ".وأشارت إلى نافذة زجاجية ضخمة وخلفها صفوف من أجهزة الحاسوب" .على الرغم من أني أظن أنه يتم الوصول إلى كل شيء من هنا، من هذه المحطة الطرفية ".جلست كاثرين وشغلت الحاسوب.

انضم إليها لانغدون وهما ينتظران تشغيل المحطة" .هل ذكرتِ الواقع الافتراضي في مخطوطتك؟"

رفعت كاثرين بصرها إليه وأومأت برأسها" .بضع مرات، نعم، ولكن على سبيل الحكاية فحسب. لقد كنت ذات مرة موضوعًا لتجربة واقع افتراضي في مختبر أبحاث الظواهر الشاذة في هندسة برينستون، ولعبت تجربتي دورًا في قراري بدراسة الوعي غير الموضعي. لذا كتبت عن ذلك".

"حقًا؟ يبدو أن ذلك قد يكون ذا صلة".

"من حيث المبدأ، ربما، "قالت وهي تبدو متشككة" .ولكن ليس"——

قال لانغدون" :أخبريني".

"حسنًا... كما تعلم، فإن الهدف من الواقع الافتراضي هو في جوهره خداع الدماغ ليؤمن بوهم. كلما زاد عدد المدخلات الافتراضية التي يمكنك تغذية العقل بها —— من مشاهد وأصوات وحركة —— زاد احتمال إقناع الدماغ

بقبول وضع مصطنع على أنه حقيقي. تلك اللحظة التي تبدأ فيها بتصديق الوهم هي حالة يسميها علماء النفس 'الحضور".'

قال لانغدون" :لقد قمت ببعض التسلق الافتراضي للصخور. ولقد أصابني الشلل حرفيًا من الخوف".

"بالضبط. لقد صدق عقلك أن جسدك كان على حافة جرف وفي خطر. أصبح الوهم واقعك المؤقت. وأنا أيضًا اختبرت 'الحضور' في تجربة الواقع الافتراضي في برينستون، على الرغم من أن... التجربة كانت مختلفة تمامًا. لقد كانت تجربة تحويلية، حقًا".

"ماذا كانت؟"

رفعت بصرها عن الحاسوب وابتسمت" .ببساطة... لقد اختبرت وعيي الخاص ـــــ وكان غير موضعي".

لن تنسى كاثرين أبدًا ذلك اللقاء السحري الأول مع "الانفصال عن الذات". لقد غيرت تلك التجربة حياتها، ورسخت شغفها بالوعي كمجال للدراسة.

بدأت التجربة عندما طلب منها أستاذها في برينستون أن تقف بمفردها في غرفة فارغة. وعبر مكبر الصوت، أرشدها إلى ارتداء نظارات الواقع

الافتراضي الخاصة بها. وعندما فعلت، نُقلت في التو واللحظة إلى مرج شاسع حيث وقفت بين الزهور والأشجار.

كان المشهد رعويًا شاعريًا... مع لمسة غير متوقعة.

لم تعد وحيدة.

على بعد قدمين فقط وقفت نسخة طبق الأصل من... نفسها. كانت النسخة المزدوجة تبتسم بهدوء وتحدق مباشرة في عيني كاثرين .وبينما نظرت كاثرين إلى ذاتها الأخرى، كانت تعلم بالطبع أنها مجرد إسقاط ضوئي، ومع ذلك كان الإحساس مقلقًا. وقفت لما يقرب من دقيقة في المرج، وجهًا لوجه مع نفسها.

بعد ذلك، أرشدها صوت الأستاذ عبر مكبر الصوت إلى أن تمد يدها وتضعها على كتف شبيهتها الشبحية. أربك هذا كاثرين .شبيبتي ليست حقيقية .وفي حيرة من أمرها، رفعت كاثرين يدها وخفضتها برفق نحو كتف ذاتها الأخرى. وفيما كانت تتوقع تمامًا ألا تلمس سوى الهواء، صُدمت عندما استقرت يدها على كتف مادي حقيقي. والأكثر إثارة للدهشة، في تلك اللحظة بالذات، شعرت كاثرين بثقل يدها على كتفها هي!

كان التأثير مربكًا تمامًا، ووجد دماغها نفسه فجأة يتساءل:

أي الجسدين... هو جسدي الحقيقي؟!

إن مشهد يدها مستقرة على كتف الأخرى، مصحوبًا بالإحساس بيد على كتفها الفعلي، كان مدخلًا حسيًا كافيًا لتحويل إحساس كاثرين بـ"الذات المادية" إلى الجسد الآخر. ولبضع ثوانٍ صوفية، حام وعيها خارج نفسها. لقد كانت مراقبة، عقلًا مجردًا يحدق في جسدها المادي... تمامًا كما يحوم مريض قارب الموت فوق جثته.

في تلك اللحظة، تشبعت كاثرين بإحساس غامر بالنعيم بأن وعيها كان حرًا ولا يتطلب شكلًا ماديًا للوجود. وحتى بعد أن استعادت موقع ذاتها الحقيقية، ظل الأثر المتبقي من ذلك "الانعتاق" باقيًا لعدة أيام.

على الرغم من تأثيره القوي، علمت كاثرين أن الوهم كان بسيطًا إلى حد ما في تكوينه. فبعد أن ارتدت نظارات الواقع الافتراضي الخاصة بها ووقفت في مكانها، تسللت فنية مختبر بصمت إلى الغرفة ووقفت مباشرة أمام كاثرين . وعندما مدت يدها لتضعها على "ذاتها الشبحية"، وضعت كاثرين يدها دون قصد على كتف الفنية، التي وضعت يدها في نفس الوقت على كتف كاثرين .في تلك اللحظة، تم استدراج إحساس كاثرين بالذات للخروج من جسدها المادي.

من الواضح أن هذه لم تكن تجربة خروج من الجسد حقيقية، لكن الإحساس كان سلميًا ومطمئنًا ومتصلًا بالعالم غير المادي لدرجة أنه رسخ افتتانها المهني بإمكانية لا موضعية الوعي.

وبينما أنهت كاثرين خلاصة حديثها، أضاء الحاسوب شاشة الترحيب.

قالت كاثرين" :محمي بكلمة مرور. كنت أخشى ذلك. ما لم أعرف أنواع المحاكاة التي يجرونها، لا يمكنني أن أبدأ في تخمين ما إذا كان مختبر الواقع الافتراضي هذا له أي علاقة بكتابي".

جلس لانغدون على كرسي المكتب المعدني وقام ببضع تخمينات. لم ينجح شيء، وفي النهاية هز رأسه، ونهض مرة أخرى" .ربما يجرون محاكاة للخروج من الجسد؟ مثل تلك التي وصفتها للتو؟ يبدو أن هذا النوع من الأشياء قد يتعلق بالصرع وساشا والرؤية عن بعد"——

"صحيح، ولكن "...درست كاثرين الخوذات والكراسي المحمولة على المحاور" .حدسي يخبرني أن هذه الغرفة مخصصة... لشيء آخر".

انتقلت نظرتها الآن إلى النافذة الزجاجية الضخمة وغرفة الحاسوب خلفها. ذهبت وحاولت فتح الباب المعدني بجانب النافذة، لكنه كان مغلقًا. وضعت وجهها على الزجاج، وتفحصت المساحة خلفه ورأت رفًا طويلًا من

أجهزة الحاسوب، وحاويات متنوعة من المعدات الإلكترونية، وثلاجة ذات واجهة زجاجية مليئة بقوارير ملونة.

ثم تراجعت مبتعدة عن الزجاج" .ما هذا بحق السماء؟"

جاء لانغدون" .ما الأمر؟"!

"تلك "...أشارت كاثرين إلى صف من ثمانية أشياء تقف بمحاذاة الجدار الخلفي" .لا مكان لتلك الأشياء في مختبر للواقع الافتراضي".

حدق لانغدون في الداخل في حوامل المحاليل الوريدية الثمانية المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ ذات العجلات.

قالت كاثرين وهي منزعجة" :حوامل المحاليل الوريدية. وثلاجة مليئة بالعقاقير الصيدلانية! هذه المنشأة تجمع بين العقاقير الوريدية والواقع الافتراضي".

"حسنًا... وهل هذا غير عادي؟"

"نعم! تلك الأنواع من التجارب ذات التحفيز المزدوج يمكن أن تكون ضارة جدًا بالدماغ. فالتعرض المفرط لها يمكن أن يغير فسيولوجيا دماغك حرفيًا"...

"يغيرها... كيف؟"

"الأمر كله يعتمد على العقاقير التي يقدمونها، "قالت كاثرين، وهي تحدق في الثلاجة ذات الجدران الزجاجية، محاولة عبثًا قراءة الملصقات على القوارير" .روبرت، يجب أن أدخل هذه الغرفة وأرى على وجه التحديد ما هي العقاقير التي يستخدمونها. عندها قد نتمكن من معرفة ما يحاولون تحقيقه"...

درسها لانغدون للحظة ثم أومأ برأسه" .حسنًا، ابتعدي ".سار إلى المكتب وعاد بالكرسي المعدني الثقيل، وهو ينظر إلى النافذة.

"انتظر، هل أنت"——

"لقد تورطنا بالفعل بما فيه الكفاية، "قال" .ولن يغير زجاج مهشم من الأمر شيئًا".

وبهذا، لوى لانغدون جسده، وأرجح الكرسي حول نفسه كما يفعل رامي المطرقة. وعندما أفلتها، طار الكرسي في الهواء وارتطم بالنافذة، محطمًا الزجاج جزئيًا.

مذعورة، انتظرت كاثرين سماع جرس إنذار أو نوع من الجلبة، لكن الصمت المخيف لترشولد ظل قائمًا.

سار لانغدون إلى النافذة، واستخدم مرفقه، وأطاح بجزء من الزجاج المكسور. ثم مد يده بحذر من خلال الفتحة، ووجد المقبض، وفتح الباب من الداخل.

قال بابتسامة" :طريقة تفتقر إلى الأناقة، ولكنها فعالة. تفضلي بالدخول أيتها الدكتورة".

الفصل التاسع والتسعون

"كيف كان مآل ذاك الاستجواب؟ "هكذا سأل فوكمان حين عاد أليكس كونان إلى الظهور في مكتبه. كانت خصلات شعره الكثة تبدو أكثر شعثا، وخُيّل إلى فوكمان للحظة أن الرجل قد شاب حقا منذ أن أطل عليه من باب مكتبه في الليلة الفائتة.

"أنا بخير، "قال أليكس وقد بدا عليه الإعياء جليا" .إن رئيستي لتعلم أن لا ذنب لي فيما جرى، غير أنها تود أن تحدثك في وقت ما. وقد أخبرتها أنك غادرت إلى بيتك".

"أشكرك".

"هل من جديد عن روبرت لانغدون؟"

"أجل، ولله الحمد. لقد أرسل رسالة إلكترونية. كلاهما بخير".

بدا الاستغراب على وجه أليكس" .ألم يتصل؟"

هز فوكمان رأسه. لم يفعل بعد، على الأقل.

"وماذا عن قائمة استثماراتIn–Q–Tel ؟ هل وفقت في إيجاد أي تقاطع مع أعمال الدكتورة سولومون؟"

"كلا. لقد منحني الذكاء الاصطناعي بيانات لا طائل من ورائها. وما عدت أثق به البتة".

"لربما كان لدي ما يفيدك، "قال أليكس وهو يفتح الحاسوب المحمول الذي كان يحمله" .لقد أدركت أن بحثك عبر الذكاء الاصطناعي كان سيكشف عن أي تداخل مع أي شيء مكتوب على الإنترنت للدكتورة سولومون، ولكن ليس بالضرورة أي شيء منطوق—كالمحتوى الصوتي والمرئي—لذا أجريت مقارنة مرجعية معدلة، وعلمت أن كلا من **In-Q-Tel** والدكتورة سولومون يبديان اهتماما فريدا بعلم... الفراكتلات (**fractals**)."

لم يكن فوكمان يعرف عن الفراكتلات شيئا سوى أنها كثيرا ما تظهر في هيئة تصميمات دوامية تتألف من أنماط متكررة إلى ما لا نهاية.

"في السنوات الثلاث الماضية، "قال أليكس وهو يخرج هاتفه، "استثمرت شركة 'كيو' بكثافة في تقنيات الفراكتلات، بينما كاثرين "...ثم شغل مقطع فيديو ورفع الشاشة أمام فوكمان.

ظهرت كاثرين جالسة على منصة مع عدة متحدثين آخرين وخلفهم شعار معهد العلوم النويتيكية" .(**IONS**) إنك لتطرح سؤالا مهما، "قالت كاثرين وهي تخاطب شخصا من الجمهور" .ومن قبيل المصادفة، أنني في

الكتاب الذي أعكف على تأليفه عن الوعي البشري، قد كتبت بإسهاب عن الفراكتلات".

انتبه فوكمان بأذنيه.

"وكما تعلمون، "تابعت كاثرين، "تتمتع الفراكتلات بخاصية مذهلة: فكل جزء منفرد منها، عند تكبيره، يتجلى في صورة نسخة مصغرة مطابقة للكل——في تكرار متوالٍ لا نهائي من التشابه الذاتي. وبعبارة أخرى، كل نقطة فردية تحتوي على كل شيء آخر. لا وجود للفرد... بل للكل فحسب. ويعتقد عدد متزايد من علماء الفيزياء الآن أن كوننا منظم على شاكلة فراكتال، وهو ما يوحي بأن كل شخص في هذه الغرفة يحتوي على كل شخص آخر، وأنه لا انفصال بيننا. إننا وعي واحد. أعترف أن تصور الأمر صعب، ولكن إن بحثتم عن صور ندفة ثلج كوخ أو إسفنجة مينغر، أو الأفضل من ذلك، أن تقرؤوا كتاب 'الكون الهولوغرافي"——'

"هذا هو جوهر الأمر، "قال أليكس وهو يوقف الفيديو.

خالج الشك فوكمان" .يا أليكس، إني لأشك أشد الشك في أن يكون لاهتمام وكالة المخابرات المركزية بالفراكتلات أي صلة بترابط الكون والإنسانية".

"أتفق معك، ولكن الفراكتلات تلعب دورا حاسما في أنظمة التشفير، وطوبولوجيا الشبكات، وتصوير البيانات، وشتى أنواع تقنيات الأمن القومي الأخرى. لقد قالت كاثرين إنها كتبت بإسهاب عن الفراكتلات في كتابها، لذا يخيل إلي أنها ربما اكتشفت شيئا يعرض أحد استثمارات 'كيو' للخطر. الأمر يستحق البحث".

"وجهة نظر وجيهة، "وافق فوكمان" .سأتعمق في الأمر. أقدر لك ذلك".

"أعلمني إن وجدت شيئا. علي أن أنصرف الآن".

أسرع الخبير التقني عائدا إلى استجوابه، وعاد فوكمان إلى حاسوبه.

وفي الخارج، اشتدت وطأة المطر.

الفصل المائة

"إنها لصيدلية حقيقية عامرة بالعقاقير المذهبة للعقل"...

وقفت كاثرين مبهوتة وقد تسمّر بصرها على ما حوته الثلاجة من طائفة مهولة من العقاقير الفتاكة. فبالإضافة إلى عدة مواد لم تعرفها، رأت كاثرين قوارير من ثنائي إيثيلاميد حمض الليسرجيك، والسيلوسيبين، وثنائي ميثيل تريبتامين — (DMT) وهي المكونات الفعالة في عقاقير LSD، وفطر السحر، والأياهواسكا. بل إنها لمحت أوعية من خلاصة المريمية المقطرة وعقار — MDMAوكلاهما محظور في هذه الصور.

إن وجود هذه العقاقير داخل مختبر للواقع الافتراضي لا يمكن أن يعني إلا شيئًا واحدًا.

إن منشأة ثرشولد تدير العقاقير بالتزامن مع تجارب الانغماس في واقع افتراضي يمثل أحدث ما توصل إليه العلم.

إن العلاجات التي تعتمد على التحفيز المزدوج، بالجمع بين الواقع الافتراضي والعقاقير، كانت تخضع لرقابة صارمة في الحقل الطبي لأن نتائجها لم تكن مفهومة بعد. وفي كثير من الحالات، كان التحفيز المزدوج قويًا إلى درجة أنه يغير بنية الدماغ بسرعة وبطرق لا يمكن التنبؤ بها. وقد

بدأ علماء الأعصاب بالفعل في رؤية تغيرات بنيوية مذهلة في أدمغة الشباب الذين يجمعون بين ألعاب الحاسوب وتعاطي العقاقير المصممة.

لقد ظهر جيل جديد من الباحثين عن الإثارة يرتدون الآن نظارات الواقع الافتراضي الاستهلاكية ويقضون ساعات في تدخين القنب وهم يسبحون افتراضيًا في الفضاء... أو يستنشقون الكوكايين وهم يركبون أفعوانية افتراضية... أو يمارسون "الإطالة الجنسية" بتعاطي عقاقير مختلفة لتمديد الزمن أثناء مشاهدة المواد الإباحية في الواقع الافتراضي. ولطالما صدرت تحذيرات لا حصر لها، ولكن دون جدوى، لأن هذه التجارب كانت تسبب إدمانًا شديدًا.

الناس لا يريدون أن يسمعوا كم هو الأمر خطير...

في العام الماضي، قوبلت كاثرين بالصفير والاستهجان عندما تحدثت إلى جمهور من عشاق الألعاب المتمرسين في التكنولوجيا وشرحت أن التعرض المطول لألعاب إطلاق النار من منظور الشخص الأول شديدة الواقعية لم يثبت فقط أنه يشكل حساسية الناس تجاه الموضوع المصور — بل ويعيد نسج بنية الدماغ ذاتها، فتُخمد في النفس نوازع التعاطف الفطرية.

وقد علت أصوات الاستهجان عندما أبلغتهم عن دراسات دماغية جديدة تظهر أن الاستهلاك الشره للمواد الإباحية عبر الإنترنت كان يغير عقول

الشباب جسديًا ــــ "وكأنه يُنشئ طبقة من الجفاء المتبلد فوق الغريزة البشرية" ويُفقدهم الإحساس بالجنس الحقيقي. وكانت النتيجة أن الإثارة، حتى لدى الشباب، لا يمكن تحقيقها إلا بمساعدة كمية وتنوع مذهل من المحفزات.

وقف لانغدون بجانبها، يتفحص القوارير والأوعية في الثلاجة" .لأي غرض تُستخدم هذه العقاقير؟"

"على وجه التحديد، لست متأكدة، ولكن بعض هذه المواد ليست هينة على الإطلاق ــــ إنها مهلوسات قوية ".نظرت حولها، وأفكارها تتسابق الآن" .لو طُلب مني التخمين، لقلت إن هذه الغرفة قد صُممت خصيصًا لغرض واحد ــــ إعادة نسج شبكة دماغ بشري".

"عفوًا ــــ إعادة النسج؟"

أومأت برأسها" .إنه ما يسمى بالمرونة العصبية. إن أدمغتنا تتطور جسديًا لتلبية احتياجات البيئات الجديدة. فالدماغ يخلق مسارات عصبية جديدة لمعالجة التجارب الجديدة. إن تعاطي عقاقير كهذه، بالتزامن مع محاكاة الواقع الافتراضي، من شأنه أن يخلق تجربة شديدة الكثافة على نحو مذهل ــــ أكثر حيوية بما لا يقاس مما يحدث في الحياة الطبيعية ــــ وهو نوع

التجارب التي، إذا تكررت، ستبدأ حرفيًا في إعادة نسج شبكة الدماغ العصبية بسرعة منذرة بالخطر".

"إعادة نسج شبكة الدماغ... لأي غاية؟"

"ذاك هو سؤال الأسئلة، "خاطبت به نفسها.

كانت كاثرين تعلم أن دماغ معلم تأمل قضى حياته في التأمل كان فريدًا من الناحية التشريحية ــــ فقد أعادت سنوات التأمل نسجه تدريجيًا للوصول إلى حالة من الهدوء العميق متى شاء. وفي جوهر الأمر، أصبح الهدوء هو الحالة الطبيعية الجديدة لذلك الدماغ.

"روبرت، يخطر ببالي الآن أنه إذا وضعت منشأة ثرشولد شخصًا ما بشكل متكرر في حالة خروجٍ من الجسد مستحثة صناعيًا ــــ معززة بالمهلوسات ــــ فإن دماغ ذلك الشخص سيبدأ في إعادة نسج نفسه لجعل تلك الحالة المنفصلة تبدو أكثر... طبيعية. بعبارة أخرى، قد تكون هذه العملية محاولة لضبط وعي ما... ليصبح أكثر ارتياحًا خارج الجسد".

علقت كلماتها للحظة طويلة في صمت هذا الفضاء الجوفي.

نطق لانغدون أخيرًا" :غير موضعي... من المؤكد أن ذلك يتعلق بكتابك".

"نعم، يتعلق به كل الارتباط ".ناهيك عن مشروع ستارغيت، فكرت" .أكره أن أقول هذا، ولكن ساشا ستكون مرشحة مثالية لإعادة النسج بالواقع الافتراضي. فبصفتها مصابة بالصرع، فإن عقلها مهيأ بالفعل جزئيًا لتجارب الخروج من الجسد. واستخدامها كموضوع اختبار سيكون بمثابة اختصار للطريق".

"لم تذكر ساشا لي أي شيء من هذا القبيل".

قالت كاثرين، وقد خفت صوتها وهي تشير إلى داخل الثلاجة" :قد لا تتذكر، أو حتى تكون على علم... هل ترى ذلك؟ إنه روهيبنول".

"عقار الاغتصاب؟"

أومأت برأسها" .إنه يضعف وظيفة الذاكرة بشكل عميق ويسبب فقدان الذاكرة التقدمي ـــ مما يبقي الأشخاص الخاضعين له في حالة وظيفية ولكن يجعل من الصعب للغاية عليهم تذكر أي شيء حدث".

بدا الرعب على وجه لانغدون" .أخبرتني ساشا أن لديها مشاكل في الذاكرة. وتعتقد أن الأمر مرتبط بالصرع".

أجابت كاثرين" :قد يكون كذلك. ولكن إذا كانت ساشا تُعطى الروهيبنول بانتظام، فسوف تعاني من ضعف خطير في الذاكرة... بل وربما لن تتذكر مجيئها إلى هنا على الإطلاق".

"ربما يفسر ذلك وجود الكرسي المتحرك في عربة النقل؟ هل كانوا ينقلون ساشا ذهابًا وإيابًا؟"

قالت كاثرين" :هذا محتمل جدًا. ويجعلني أفكر في المصاب بالصرع الآخر الذي ذكرته ـــ الرجل الذي أحضرته بريجيتا من نفس المؤسسة؟ قد تكون بريجيتا قد أخبرت ساشا أنه عاد إلى منزله، ولكن هذه عقاقير شديدة الخطورة... كان يمكن أن يحدث أي شيء. كان يمكن أن يصاب بالجنون أو يموت ـــ من يدري؟ إحدى مزايا تجنيد مريض تم التخلي عنه في مؤسسة حكومية هو أنه لن يفتقده أحد حقًا إذا اختفى".

كان لانغدون يتجه بالفعل نحو الباب. قال" :بدأ هذا الأمر يبدو منطقيًا، وإذا كنا على حق... واستطعنا أن نجد دليلًا على أن وكالة المخابرات المركزية تجري تجارب على أشخاص أبرياء دون علمهم"...

لكانت تلك هي الضربة القاضية، أدركت كاثرين، وهي تتخيل مدى الغضب الشعبي لو صح هذا الأمر.

بالعودة إلى الردهة، كان لانغدون متلهفًا للتوغل أعمق في ثرشولد .انعطف الممر الرئيسي بحدة إلى اليمين، واستطاع أن يرى ممرين أصغر يتفرعان منه إلى اليسار. كانت المنشأة تتحول إلى متاهة.

ملجأ قنابل متعرج من حقبة الحرب الباردة... إلى أي مدى يمتد؟

كان يعلم أنهما سيحتاجان إلى الانتباه الشديد إذا كانا يريدان إيجاد طريقهما للخروج من هنا.

عند الزاوية، انعطفا يمينًا، ملتزمين بالممر الرئيسي. ومرة أخرى، ما إن خطوا إلى الفضاء المظلم، حتى أضاءت أضواء الأرضية على الفور.

على مسافة غير بعيدة، سد زوج من الأبواب المزدوجة الردهة. شعر لانغدون بالاطمئنان عندما لاحظ أن النوافذ البيضاوية للباب كانت مظلمة، مما يشير إلى عدم وجود أضواء في المنطقة خلفها.

ما زلنا وحدنا هنا في الأسفل... على الأقل في هذا القسم.

دفعا الأبواب المزدوجة إلى مزيد من الظلام، ومرة أخرى أضاءت إضاءة الأرضية لتكشف عن قسم آخر من الردهة. ولكن شيئًا ما كان مختلفًا هنا... كان الهواء أبرد بحوالي عشر درجات ويحمل رائحة الكربون الخفيفة التي تفوح في المتاحف. هواء منقى بعناية شديدة.

الشيء الثاني الذي لاحظه لانغدون هو أن الردهة كانت طريقًا مسدودًا. لم يكن في الردهة سوى تجويف واحد على اليسار، في منتصف الطريق تقريبًا، والذي كان، حسب كل المظاهر، مدخلًا إلى جناح آخر من نوع ما.

أدرك لانغدون أنه إذا لم يجدا ما يحتاجانه هناك، فسيتعين عليهما البدء في المغامرة خارج الردهة الرئيسية إلى مناطق أخرى. وعلى الرغم من ذاكرته الصورية، فقد بدأ بالفعل يشعر بالضياع في هذه المتاهة.

وبينما واصلا السير، حاول لانغدون أن يحدد بالضبط موقعهما الآن تحت متنزه فوليمانكا .نظر إلى الجدار المسدود في نهاية الممر، متسائلًا عما إذا كان هناك ربما سياح يتجولون على الجانب الآخر منه في القسم العام من الملجأ... غير مدركين للمنشأة المشؤومة التي توجد بجانبهم تمامًا.

انعطفا إلى التجويف الوحيد وتوقفا فجأة. أمامهما كان باب دوار زجاجي ضخم بحشوات مطاطية سميكة مصممة للحفاظ على جودة الهواء. بدا وكأنه باب مختبر آخر، لكن المساحة خلفه كانت تغوص في ظلام دامس.

قالت كاثرين وهي تقرأ ثلاثة أحرف منقوشة فوق الباب الدوار .**RTD**" : يبدو واعدًا".

"أحقًا؟ "كانت ذكرى لانغدون الوحيدة لـ **RTD**من رياضيات المرحلة الابتدائية .المعدل × الزمن = المسافة.

"البحث والتطوير التقني — إنه المعادل الأوروبي لR&D ، "قالت وهي تحدق في الزجاج الداكن" .مما يعني أن هذا قد يكون بالضبط ما نبحث عنه".

الفصل الأول بعد المائة

انطلق مدير وكالة الاستخبارات المركزية، غريغوري جود، بسيارة زوجته من طراز جيب غراند شيروكي، مندفعا بها كالريح على طريق جورج تاون بايك، قاصدا مقر الوكالة في لانغلي .فما كان سائقه المعتاد على أهبة الاستعداد في تلك الساعة المبكرة، وما كان لدى جاد من فسحة في الوقت لينتظر. وعلى الرغم من نفرته الشديدة من مسالك فينش، فقد كان على المدير واجب يؤديه لوطنه أولا... واجب يعلو على كل واجب، وأغلب الأمريكيين قاصرون عن إدراك كنه المخاطر التي تحدق ببلادهم.

إن أمريكا وحلفاءها لفي مرمى الهجوم... ما تعاقب الليل والنهار.

ففي الأعوام الأخيرة، لم يكن أعداؤهم بحاجة إلا إلى أدوات التواصل الاجتماعي في صورها البدائية، ليبسطوا نفوذهم على عقول وقرارات الملايين تلو الملايين من البشر. وقد رصدت وكالته آثارا ملموسة لتدخلات أجنبية في الانتخابات، وفي عادات الاستهلاك، وفي القرارات الاقتصادية، وفي التوجهات السياسية. بيد أن تلك الهجمات كلها كانت تبدو ضئيلة الشأن إذا ما قورنت بالعاصفة الهوجاء التي كانت على وشك أن تنعقد.

وها هي ذي ساحة جديدة للمعركة تلوح في الأفق، وهي ساحة تقتضي أسلحة من طراز جديد.

وكان الروس والصينيون والأمريكيون جميعا في سباق محموم للسيادة على هذا الميدان المستحدث، وكان الظفر في هذا السباق هو الغاية الأسمى التي نذر غريغوري جاد نفسه لها طوال عشرين عاما قضاها في تبوؤ أرفع المناصب في الوكالة. وكان مشروع ثرشهولد، بتقنيته المذهلة، على وشك أن يمنحه السبق الذي ينشده.

والآن، وهو يُمعن في سيره الحثيث صوب لانغلي، أخذ يتساءل في نفسه ما عسى أن تكون السفيرة نايجل قد بعثت به إلى خادمه المشفر، والذي اعتقدت أنه من الخطورة بمكان حتى تتخذ منه رهينة تبتز بها وكالة الاستخبارات المركزية.

أهي خدعة؟ ما أبعد ذلك. أم تراها ورقة لعبت بها في غير أوانها؟ إن نايجل لأدهى من أن تفعل.

لم يدر في خلده إلا أنها قد كشفت بطريقة أو بأخرى عن حقيقة ما يجرونه في كواليس ثرشهولد .فإن صح ظنه، لكان لزاما على جاد أن يبذل قصارى جهده لإسكاتها. ذلك أنها لو أفشت مثل هذه المعلومات الحساسة على الملأ، لكانت العواقب وخيمة، يطال ضررها العالم بأسره.

وعندها، ولتصاعد سباق التسلح النفسي بين عشية وضحاها تصاعدا جنونيا لا سبيل إلى كبحه.

في أعماق سحيقة تحت حديقة فوليمانكا، جلس الغوليم وقد أسند ظهره إلى الباب المعدني الثقيل، يلتقط أنفاسه التي كادت أن تتقطع.

لا يسعني أن أجازف بنوبة أخرى تلم بي.

علي أن أنجو بحياتي... لا بد لي من تحرير ساشا.

وما إن هدأت ضربات قلبه، حتى نهض في حذر، وقبض على العجلة الغليظة المثبتة على الباب. ثم توقف لعشر ثوان حتى ينجلي أي دوار قد يعتريه. وبعدها، استجمع قوته كلها، وأخذ يدير العجلة المرة تلو المرة حتى سمع صوت المزلاج الثقيل وهو ينفك في الداخل. دفع الغوليم البوابة الفولاذية إلى الداخل، فما إن انفتحت حتى هبت عليه من جوف الظلمة ريح جليدية صرصر، عابثة بأهداب عباءته، فطأطأ رأسه وولج من الفتحة المحكمة الإغلاق. وما إن فعل حتى أشرقت الأنوار في الداخل، فدفع الباب من خلفه بكل ما أوتي من قوة فأغلقه.

وفي طرفة عين، سكنت الريح.

كانت القاعة المحصنة التي ألفى نفسه فيها شديدة البرودة، برودة قاسية تنفذ إلى العظم، لكنه أدرك أنها ليست من فعل أجهزة التبريد، بل هو صقيع شتاء براغ يتسلل إلى المكان. وكان في سقفها فجوة مستديرة فاغرة، يتجاوز قطرها المترين، وتفضي صعودا إلى قناة فولاذية رأسية ترتفع عدة

طوابق مخترقة جوف الأرض حتى تبلغ فتحة مموهة ببراعة فائقة في وسط حديقة فوليمانكا.

وقد رأى الغوليم تلك الفتحة مرارا وتكرارا.

بل إن الجميع قد رأوها.

كانت القناة تنبثق من الأرض، شامخة في الهواء لنحو ثلاثة أمتار، وتتوجها قبة خرسانية مثقبة. ولعقود طوال، كانت تبدو لعابري السبيل في الحديقة كطوربيد خرساني عملاق نابت من الأرض.

وقد صدقت الكتيبات الإرشادية حين عرفتها بأنها فتحة التهوية الأصلية لملجأ فوليمانكا المهجور المضاد للقنابل. وعلى الرغم من الالتماسات الكثيرة التي قُدمت لإزالة "رأس الطوربيد" بوصفه أثرا قبيحا يذكر بأيام الحرب الباردة، إلا أن فنانين مجهولين من فناني الشارع أتوا بفكرة مغايرة كل المغايرة. فلطالما كانت براغ مدينة الفن الطليعي، وقبل سنوات، تحولت تلك الفتحة الخرسانية في ظروف غامضة، فباتت تلك اللوحة غريبة الشكل تكريما لواحد من أشهر نجوم هوليوود المحبوبين، وهو إنسان آلي شاءت المصادفة أن يتخذ شكلا يطابق تماما شكل رأس الطوربيد، إنه الروبوت R2-D2من فيلم ***Star Wars***.

وقد أصبح R2-D2 معلما شهيرا في حديقة فوليمانكا، يشمخ فوق كل من يقف بجانب جسده الأيقوني المزين بالألوان الفضية والزرقاء والبيضاء ليلتقط صورة للذكرى. ولقد وافقت حكومة المدينة على أن الإبقاء على هذا العمل الفني المجهول هو أمر مناسب من الناحية التاريخية، إذ إن كاتبا تشيكيا—وهو كاريل تشابيك—كان هو أول من صاغ مصطلح "روبوت" في مسرحية ألفها عام ١٩٢٠.

وبطبيعة الحال، لم يكن ليخطر ببال أي شخص يراها من الخارج أن قناة التهوية المعطلة هذه قد أعيد تخصيصها لغاية أخرى تماما. فلم تعد وظيفتها سحب الهواء إلى الداخل، بل غدت صمام أمان لحالات الطوارئ، صُمم ليُطلق شيئا آخر إلى الخارج.

كان صوت المطر الرتيب وهو يتقاطر على نوافذ فوكمان لحنا جنائزيا يليق بما آل إليه بحثه من طريق مسدود. فبعد أن أمعن النظر في جميع استثمارات شركة In-Q-Tel القائمة على تقنية الـ fractal ، لم يعثر على شيء يمكن أن تتهدده كتابات كاثرين.

مناظير فلكية بتقنية الـ fractal ؟ أم مكونات تبريد بتقنية الـ fractal ؟ أم هندسة تخفٍّ بتقنية الـ fractal ؟

هز فوكمان رأسه في يأس، وقد سرى إعياء الليل في أوصاله حتى بلغ شغاف عظامه. لم يكن بوسعه أن يجزم بشيء، لكنه حدس أن ما تضمنته مخطوطة كاثرين، وأثار حفيظة من هاجموها... هو أمر يتجاوز في خطورته مسألة الـ fractals بأشواط بعيدة.

الفصل المئة والثاني

حين ولج لانغدون وكاثرين عبر الباب الدوار إلى منشأة **RTD**، وجدا نفسيهما في ردهة صغيرة، كأنها مقصورة زجاجية لا تشوبها شائبة، انتظمت فيها رفوف للأحذية، وخزائن صغيرة، وصف من الخطاطيف عُلقت عليها أردية بيضاء ناصعة. وإلى جانب ذلك، انتصبت "دشاشات هواء" اثنتان، وهما حجيرتان مغلقتان تنبعث منهما نفاثات عالية السرعة من الهواء المصفى، لتنفض عن الثياب والبدن ما علق بهما من غبار ودقائق ملوثة.

خطر ببال لانغدون أنها أشبه بصحن الكاتدرائية، تلك الغرفة التي يتطهر فيها الأدناسون قبل الولوج إلى قدس الأقداس.

بيد أن قدس الأقداس في هذا المقام كان، على ما يبدو، كل ما يكمن خلف الجدار الزجاجي المنتصب أمامهما، وقد حُدّد مدخله بباب دوار ثان محكم الإغلاق، لا بقوس قوطي عتيق.

كانت كاثرين قد اندفعت بالفعل عبر الباب الثاني، فتبعها لانغدون .وما إن خطا خطوته حتى انقدحت مصابيح الهالوجين فوق رأسيهما بوهج ساطع لم ير لانغدون له مثيلا قط. وزاد من تألق هذا الضياء الباهر ما حوته القاعة الفسيحة من أشياء؛ فقد كان كل ما فيها تقريبا يرفل في بياض ناصع:

الجدران، والأرضية، والموائد، والمقاعد، ومناضد العمل، حتى الأغطية البلاستيكية التي تغلف كل جهاز ومعدة.

قالت كاثرين» :إنها غرفة معقمة.«

صُفت على امتداد صفوف متراصة من المناضد أدوات انتظمت في نسق بديع، إلى جانب أجهزة إلكترونية وآلات رقدت تحت أغماد بلاستيكية واقية. وبدت منظومات الحواسيب معقدة التركيب، إلا أن شاشاتها جميعا كانت مطفأة غارقة في الظلام.

توغلت كاثرين حتى وقفت في قلب القاعة، بينما أخذ لانغدون يسير بمحاذاة جدار جانبي، ثم توقف ليرنو من خلال نافذة إلى فسحة مجاورة. وخلف الزجاج، بدا ما يشبه مختبرا للأحياء: مجاهر، وقوارير، وأطباق بتري، وكثير منها لم يزل في صناديق لم تفتح بعد. وفي مواجهة الجدار الخلفي، وفي مقصورة زجاجية عازلة خاصة به، انتصب جهاز لم تقع عليه عين لانغدون من قبل.

كان ذلك الجهاز، الذي يبدو دقيق الصنع، يتألف من مئات القوارير الزجاجية الطويلة التي تتدلى عموديا عبر منصة مثقبة. وكل قارورة منها كانت تتغذى، فيما يظهر، من أنبوب فائق الدقة ينحدر إليها من الجزء العلوي للآلة. ذكّر هذا المشهد لانغدون على نحو غامض بمنظومة للزراعة

المائية بالتنقيط بالغة الدقة كان قد رآها ذات مرة في معرض لنبات النيلة.

هل يزرعون شيئا هناك؟

نادت كاثرين قائلة» :تعال إلى هنا .«كانت تقف بجوار آلة كبيرة عجيبة التركيب، يناهز ارتفاعها ثلاث أقدام، وتبدو كأنها اختراع مستقبلي من بنات أفكار روب غولدبرغ .قصدها لانغدون وأمعن النظر في الجهاز.

قالت» :إنه جهاز طباعة حجرية ضوئية.«

أحس لانغدون أن معرفته باليونانية لن تسعفه هذه المرة. فسأل» :إذن... هي آلة تكتب... على الصخر... بالضوء؟.«

أجابت» :أجل، بالضبط. شريطة أن يكون الضوء فوق بنفسجي عميق... وأن يكون الصخر رقاقة من السيليكون .«ثم أشارت إلى كومة من الأقراص المعدنية اللامعة المكدسة بجانب الآلة، وأضافت» :هذا المختبر يضم كل ما يلزم لتصميم وبناء شرائح حاسوبية مخصصة.«

شرائح حاسوبية؟ بدت الفكرة غريبة كل الغرابة عن مسألة الوعي البشري، وعن أي شيء كان من الممكن أن تدونه كاثرين في مخطوطتها. فسأل» :ولم قد يصممون شرائح حاسوبية هنا في هذا المكان؟.«

أجابت كاثرين» :أرجح الظن أنها من أجل زراعات الدماغ.«

أذهلته الفكرة، لكنه سرعان ما ربط بين الأمرين. فقال» :جراح الدماغ الآلي.«...

»بالضبط. أظنني كنت مخطئة حين خمنت أنه يستخلص عينات من الدماغ. يبدو جليا الآن أن الروبوت يستخدم لزرع شرائح في الدماغ.«

خيم على القاعة الساطعة صمت مشوب بالريبة.

سأل لانغدون» :ألم تقولي إن زراعات الدماغ جراحة بسيطة؟.«

»شرائح الصرع، نعم. فهي ليست إلا آلات صعق كهربائي ضئيلة الحجم تُغرس في الجمجمة. لكن الزراعة المتقدمة تكون أعمق موضعا، ومن المؤكد أنها ستستفيد من الجراحة الروبوتية في عملية الزرع.«

فكر لانغدون في ساشا فشعر بمسحة من الهلع. وتساءل عما إذا كان قد تم زرع شريحة أولية في دماغها، تحت ستار إجراء علاجي للصرع على الأرجح. وهي لن تعلم أبدا حقيقة ما يسكن رأسها... أو حتى بوجود منظمة "ثرشولد" من الأساس.

قال لانغدون» :لو كانت غيسنر قد كذبت، وكانت الشريحة التي زرعتها في ساشا في حقيقة أمرها شريحة متطورة توضع تحت القحف.«...

»إذن، يمكن لتلك الشريحة أن تعمل بسهولة كجهاز تحفيز **RLS** للتحكم في نوبات صرعِ ساشا، وفي الوقت ذاته... يمكن أن تؤدي وظائف أخرى لا حصر لها.«

»أتردد في أن أسأل... مثل ماذا؟.«

نَقَرَت كاثرين بإصبعها السبابة على سطح جهاز الطباعة الحجرية الضوئية وهي تفكر. ثم قالت» :لا سبيل إلى معرفة ذلك دون فحص الشريحة. لكن يبدو أنهم يشرعون في بنائها هنا. وأخمن أن ساشا وذلك الرجل الآخر كانا أول مرضاهم... كدراسة أولية لإثبات صحة المفهوم قبل أن تدور عجلة العمل في هذه المنشأة بكامل طاقتها.«

شعر لانغدون بانزعاج شديد لما يسمع.

قالت كاثرين» :أيا كان ما فعلوه، فلا بد أنه سار على ما يرام، لأن 'ثرشولد' تستعد بوضوحٍ لعملية أوسع نطاقا .«وألقت نظرة حول القاعة وقد قطبت جبينها» .ولكن للأسف، ليس هنا ما يدينهم على وجه التحديد. كل ما يثبته هذا المكان هو أن وكالة المخابرات المركزية تطور، فيما يبدو، نوعا من زراعات الدماغ، وهو مشروعٌ لن يفاجئ أحدا على الإطلاق.«

أدرك لانغدون أن هذا صحيح. فزراعات الدماغ هي المستقبل.

لقد قرأ لانغدون ما يكفي من المقالات العلمية ليعلم أن شرائح الدماغ المزروعة، رغم أنها تستدعي إلى الذهن صور السايبورغ والخيال العلمي، قد أصبحت بالفعل عملية ومتقدمة على نحو مذهل.

فشركات مثل "نيورالينك" التي يملكها إيلون ماسك، ما فتئت تعمل منذ عام 2016 على تطوير ما يُعرف بواجهة H2M – أي من الإنسان إلى الآلة – وهو جهاز يمكنه تحويل البيانات المستقاة من الدماغ إلى شفرة ثنائية مفهومة. وكان من أوائل إنجازات ماسك زرع شريحة "نيورالينك" في قرد وتعليمه كيف يلعب لعبة الحاسوب "بونغ" باستخدام نبضات دماغه وحدها لتحريك المضرب.

وعندما حصلت "نيورالينك" أخيرا على موافقة إدارة الغذاء والدواء (FDA)لإجراء اختبارات على البشر، زرعوا جهازا يسمى PRIME في نولان أربو، وهو رجل في الثلاثين من عمره مصاب بشلل رباعي، وأعادوا له بأعجوبة عددا لا بأس به من مهاراته الحركية. ولكن لسوء الحظ، بعد مئة يوم فقط، انكمشت الخيوط الإلكترونية للشريحة – وهي المستشعرات المعدنية التي تتواصل الشريحة من خلالها مع الخلايا العصبية في الدماغ – مبتعدة عن الدماغ، بعد أن رفضتها على ما يبدو الخلايا

العصبية البيولوجية التي كان من المفترض أن تراقبها. ومع ذلك، فقد كانت تلك قفزة نوعية هائلة.

وكان رواد آخرون في هذا المجال، مثل بيل غيتس وشركة "سينكرون" التابعة لجيف بيزوس، إلى جانب شركة "نيروتك" التابعة لـ"بلاك روك"، يصممون شرائح أقل توغلا وأكثر تخصصا زعموا أنها ستحقق نتائج مذهلة مثل التغلب على العمى، وعلاج الشلل، وقهر الاضطرابات العصبية مثل باركنسون، بل وحتى توفير القدرة على "الكتابة بعقلك."

ورغم أن لانغدون لم يكن يفهم بعد علاقة هذه التكنولوجيا بالوعي البشري وبأبحاث كاثرين، فإنه لم يكن لديه أدنى شك في أن لشرائح الدماغ آثارا حاسمة على الاستخبارات العسكرية – طائرات مسيرة يقودها العقل، واتصالات تخاطرية في ساحة المعركة، وتطبيقات لا حصر لها لتحليل البيانات – لذا كان من المنطقي تماما أن تستثمر وكالة المخابرات المركزية في هذا المجال بكثافة.

إن واجهة التفاعل بين الإنسان والآلة هي المستقبل.

استدعى لانغدون ما شهده في مركز برشلونة للحوسبة الفائقة، حيث كانت برامج النمذجة تتنبأ بالتطور المستقبلي للجنس البشري :*سوف يندمج الإنسان مع نوع آخر سريع التطور – التكنولوجيا*. . .

قال لانغدون وهو يضغط عليها ليعثر على الصلة» :حسنا، السؤال الجوهري هو: أين يتقاطع هذا مع مخطوطتك؟ هل كتبتِ عن شرائح الحاسوب؟.«

أجابت وقد بدا عليها الإحباط جليا» :قليلا. لكنه ليس شيئا يمكن أن يثير اهتمام هذا البرنامج أو يشكل تهديدا له.«

»أأنتِ واثقة؟.«

»نعم. إشارتي الوحيدة إلى زراعات الدماغ كانت في الفصل الأخير، ولم تكن أكثر من تأمل نظري سردي حول مستقبل علوم النويتكس.«

"مستقبل النويتكس"، هكذا فكر لانغدون، وقد لمح فهرس فصولها قبل أن يلقي به في نار المدفأة في المكتبة. ثم حثها قائلا، وقد شعر أنهما قد اقتربا من الحقيقة» :وهل كان لزراعات الدماغ دور في ذلك الفصل؟.«

قالت» :زراعات افتراضية، نعم. زراعات لن نمتلكها قبل عقود... هذا إن امتلكناها أصلا.«

كان لانغدون قد سمع ذات مرة أن التكنولوجيا المتاحة لمجتمع الاستخبارات تسبق بسنوات ما هو معلن للعامة. فسأل» :كاثرين، هل من الممكن أن تكون وكالة المخابرات المركزية قد قطعت شوطا أبعد مما تتخيلين؟.«

»إنه أمر ممكن، لكن ليس إلى هذا الحد. ما كتبت عنه أقرب إلى تجربة فكرية منه إلى تكنولوجيا معقولة. فكر في 'شيطان ماكسويل' أو 'مفارقة التوأم'، فمن الواضح أنه لا يمكنك اختراع شيطان يفرز الجزيئات أو أن تدفع بتوأمين ليسافرا بسرعة الضوء، لكن تخيل ذلك مفيد في فهم الصورة الأكبر.«

"سأصدق قولك"، فكر في نفسه. ثم قال» :أخبريني بما كتبتِ.«

تنهدت كاثرين وقالت» :لقد كان خيالا يتعلق باكتشافاتي حول مادة GABA. أتذكر حديثنا عن أن الدماغ هو جهاز استقبال... نوع من المذياع الذي يستقبل الإشارات من كل ما حولنا، من الكون؟.«

أومأ لانغدون برأسه» .وأن المادة الكيميائية الدماغية GABA تعمل كمؤشر المذياع... فتصفي الترددات غير المرغوب فيها وتحد من كمية المعلومات والوعي التي تتدفق إلى الداخل.«

قالت» :بالضبط. لذا افترضت أنه في يوم ما، في المستقبل البعيد، سنتوصل إلى كيفية بناء شريحة مزروعة يمكنها تنظيم مستويات GABA في الدماغ، مما يعني جوهريا خفض مرشحاتنا عند الطلب... حتى نتمكن من اختبار المزيد من الواقع.«

قال لانغدون» :مذهل .«لقد كانت مجرد الفكرة مثيرة» .وهذا ليس ممكنا؟.«

هزت رأسها قائلة» :يا إلهي، كلا! إن أكثر علوم النويتكس تقدما لم تقترب حتى من هذا الميدان. ففي المقام الأول، يجب أن نكون على صواب بشأن نظرية النويتكس التي تقول بوجود وعي كوني أو حقل أكاشي أو 'روح العالم'، أو أيا كانت التسمية التي تطلقها على حقل الوعي الذي يُفترض أنه يحيط بكل الأشياء.«

»وهو ما تؤمنين به.«

»أجل. لا يمكننا بعد إثبات وجود هذا العالم الكوني، لكن يبدو أن العقول تلمحه بانتظام في الحالات الذهنية المتغيرة. ولكن للأسف، هذه التجارب عابرة، وغير خاضعة للسيطرة، وذاتية، وغالبا ما تكون غير قابلة للتكرار، مما يجعلها موضع شك من الناحية العلمية.«

»وهدفا سهلا للمشككين.«

»نعم. ليس لدينا أي وسيلة كمية أو آلة أو تكنولوجيا قادرة على استقبال إشارات من العالم الكوني. الدماغ وحده يستطيع ذلك .«وهزت كتفيها في حركة لا مبالية» .لذا فقد اقترحت شريحة افتراضية يمكنها أن تركب على

الدماغ، وتخفض مستويات GABA لديه، وتوسع نطاق تردده، وتحوله إلى جهاز استقبال أقوى بكثير.«

حدق لانغدون فيها في رهبة. لم تكن فكرة كاثرين عبقرية بلا جدال فحسب، بل قد تفسر أخيرا السبب الحقيقي وراء ذعر وكالة المخابرات المركزية من مخطوطتها.

ماذا لو كانت كاثرين على وشك نشر كتاب يصف شريحة فائقة السرية تقوم وكالة المخابرات المركزية ببنائها بالفعل؟!

قال لانغدون» :كاثرين، إن 'ثرشولد' تنقل دراسة الوعي إلى بعد آخر، وربما كان كتابك على وشك أن يكشف الستار عن جوهر تقنيتهم السرية.«

قالت» :لا فرصة لذلك. كما قلت، الشريحة التي وصفتها غير قابلة للبناء. إنها مثيرة للاهتمام من الناحية المفاهيمية، لكنها افتراضية بحتة. فالعوائق التقنية أمام بنائها لا يمكن تذليلها، وتحديدا هذا: إن تنظيم مستويات ناقل عصبي على مستوى المنظومة بأكملها يتطلب تكاملا ماديا تاما مع الشبكة العصبية للدماغ... والدماغ لديه أكثر من مئة تريليون تشابك عصبي يجب مراقبتها.«

»لكن التقدم العلمي يتسارع.«...

»روبرت، صدقني، التكامل المادي التام أمر لا يمكن تحقيقه. إنه يعادل توصيل كل مصباح كهربائي على وجه الأرض بمفتاح واحد، مليون مرة. إنه مستحيل حقا.«

رد لانغدون قائلا» :وكذلك كان شطر الذرة... لكن العلم يجد دائما سبيلا، خاصة مع الميزانيات غير المحدودة. أتذكر مشروع مانهاتن؟.«

»الفرق شاسع... التكنولوجيا النووية كانت موجودة بالفعل في عام 1940. واليورانيوم كان موجودا. العلماء جمعوا كل ذلك معا. أما الشريحة التي اقترحتها فتتطلب تكنولوجيا ومواد لا وجود لها على الأرض أصلا. قبل أن نتحدث حتى عن التكامل مع شجرة الدماغ التغصنية، يجب على شخص ما أن يخترع خيطا حيويا نانوي الكهرباء.«

»خيط حيوي نانوي ماذا؟.«

»بالضبط، إنه ليس شيئا حقيقيا حتى. لقد اخترعته في كتابي كوسيلة للحديث عن تكنولوجيا غير موجودة. سيكون خيطا مستقبليا، فائق الدقة، مرنا، مصنوعا من مادة متوافقة حيويا يمكنها حمل الإشارات الإلكترونية والأيونية على حد سواء. أي، خلية عصبية اصطناعية، في جوهرها.«

»وهل الخلايا العصبية الاصطناعية يستحيل صنعها؟.«

»كلا، نحن لسنا قريبين من ذلك حتى. في العام الماضي، تصدر رجلان في السويد عناوين الصحف الدولية بإقناعهما نبتة خناق الذباب بالفتح والإغلاق عن طريق تحفيز خلية عصبية واحدة كيميائيا. مجرد نبضة ثنائية واحدة، ومع ذلك أحدثت صدمة علمية في جميع أنحاء العالم. هذه هي أقصى ما وصل إليه العلم يا روبرت، وهي تبعد أجيالا عن الخلية العصبية الاصطناعية.«

كان لانغدون قد بدأ يتحرك بالفعل عبر القاعة نحو نافذة مختبر الأحياء الذي رآه قبل دقائق. فقال» :من الناحية النظرية، هل تبنى الخلايا العصبية الاصطناعية... أم تزرع؟.«

فكرت لحظة ثم قالت» :خيط حيوي نانوي الكهرباء؟ حسنا، بما أنه خيط بيولوجي، فلا بد من زراعته.«

توقف لانغدون عند النافذة وأمعن النظر في الآلة ذات المئات من القوارير الزجاجية الطويلة والأنابيب. وقال» :في معلق سائل، على ما أظن؟.«

»نعم. فالهياكل الدقيقة الهشة تزرع دائما في معلق.«

قال وهو يلوح لها لتأتي إلى النافذة» :إذن، أرى أنه يجب عليك أن تأتي إلى هنا. يبدو أن 'ثرشولد' تزرع شيئا ما... وما أظنه جرجيراً.«

الفصل الثالث بعد المائة

اندفع إيفريت فينش كالزوبعة من مدخل حصن كروسيفيكس الذي اختُرِق، واقتحم الردهة اقتحاما حتى ولج البهو ذا الجدران الزجاجية. وتساءل في غضب جامح :أين ذهب الجميع، سحقا لهم؟ !وقد استبد به الغيظ إذ لم يجد أثرا لهاوسمور أو لحرس السفارة الذي وُعد به، فاستل بطاقة مفتاحه الشخصية من طراز RFID واتجه صوب المصعد.

وبينما كان يجتاز الغرفة، استجابت المستشعرات الحيوية في البطاقة التي في يده لبصمات أنامله، بيد أنه تسمر في مكانه فجأة، وقد أدرك أنه ما من سبيل ممكنة لهاوسمور –أو لأي كائن من كان – أن يصل إلى المصعد المؤدي إلى ثرشهولد.

فلا بد أنها في الطابق العلوي... أو لعلها غادرت الحصن لسبب ما؟

عاود الاتصال برقم هاوسمور للمرة الأخيرة.

وما إن أجرى فينش الاتصال، حتى بدأ هاتف يزقزق على مقربة منه. ما أغرب هذا! بدا له أن الصوت ينبعث من أريكة قبالة الجدار البعيد. أترها هاوسمور قد أضاعت هاتفها؟ إن صح هذا، لفسر على الأقل لمَ لم تجب على اتصالاته من قبل.

تقدم فينش بخطى واسعة نحو الأريكة، فلم ير هاتفا. وكان الرنين قد انقطع، فعاد واتصل من جديد. ومرة أخرى، أخذ الهاتف يزقزق. أيُعقل أن يكون تحت الأريكة؟ فانحنى فينش ليلقي نظرة تحت قطعة الأثاث الأنيقة.

وما إن حدق في ذلك الحيز المعتم، حتى أيقن في التو واللحظة أن ثرشهولد قد هوجم.

كانت تحدق فيه من هناك عينان جامدتان – نظرة ضابطته الميدانية سوزان هاوسمور التي خبا فيها بريق الحياة.

في القاعة المتجمدة، وقف الغوليم يتأمل تلك الآلة الجبارة التي انتصبت أمامه. كان هيكل الآلة المعدني اللامع حلقة منتفخة من الألومنيوم المصقول، تكاد تحتل القاعة الخرسانية بأسرها. وبعرض خمسة أمتار وارتفاع متر واحد، كانت الآلة تشبه كعكة معدنية عملاقة. وهذا الشكل الحلقي غير المألوف – أو ما يسمى تقنيا بالشكل "الطوقي(toroidal) "، كما أفاد بحث الغوليم هذا الصباح –كان، على ما يبدو، الشكل الأكثر كفاءة للف لفائف فائقة التوصيل إذا ما أريد إنشاء مجال مغناطيسي قادر على اختزان مقادير هائلة من الطاقة.

SMES، هكذا فكر في نفسه. تخزين الطاقة المغناطيسية فائق التوصيل.

كان هذا هو الينبوع السري الذي يمد ثرشهولد بقوته.

ولقد علم الغوليم هذا الصباح أن الطاقة التي تغذي هذا المجال المغناطيسي الطوقي تدور في حلقات إلى ما لا نهاية دون أن يلحقها أي نقصان، ويمكن سحبها عند الحاجة. وكان الشرط الوحيد لذلك هو الحفاظ على برودة اللفائف فائقة التوصيل. برودة قارسة.

فدرجة الحرارة الحرجة للفائفها تقع في مكان ما دون ٢٦٠ درجة مئوية تحت الصفر، فإذا ارتفعت حرارة اللفائف ولو قليلا فوق هذه الدرجة، فقدت قدرتها الفائقة على التوصيل وبدأت تقاوم التيار. وهذه المقاومة تولد تسخينا سريعا للفائف، وهذا بدوره يزيد من المقاومة، وفي غضون ثوان، تتفاقم هذه الحلقة المفرغة على نحو يخرج عن السيطرة، مما يفضي إلى حدث خطير يعرف باسم "الإخماد.(**quench**) "

وللحيلولة دون وقوع هذا الإخماد، كانت اللفائف تغمر باستمرار في حمام من أبرد سائل على وجه الأرض. الهيليوم السائل.

وأرسل نظره إلى ما وراء جهاز**SMES** ، إلى القاعة المجاورة، حيث انتصبت اثنتا عشرة أسطوانة من الفولاذ الأوستنيتي المقاوم للصدأ، مملوءة بالهيليوم السائل، ومحبوسة داخل قفص شبكي من مادة الـ**Mu**-**metal**. كانت كل قارورة من قوارير شركة**Cryofab** ، التي تسع خمسمائة غالون، تقف شامخة في طول قامة الغوليم، ومزودة بحربة تبريد

وأنابيب مفرغة الغلاف تنقل السائل البارد إلى جهاز SMES للحفاظ على برودة الموصلات الفائقة.

إن الهيليوم السائل، في معظم المقاييس، لمادة عديمة الضرر، فهي غير قابلة للانفجار، ولا للاشتعال، وليست سامة. وتكمن خطورتها الوحيدة في أن درجة غليانها هي الأدنى بين كل المواد التي عرفها الإنسان، وهي درجة التجمد البالغة ٢٧٠ مئوية تحت الصفر. وهذا يعني أنه لو سُمح للهيليوم بأن "يدفأ" ليتجاوز هذه الدرجة – التي هي قريبة بالفعل من الصفر المطلق – فإنه يغلي على الفور متحولا إلى غاز الهيليوم.

والغاز في حد ذاته غير ضار أيضا، ولكن الخطر يكمن في فيزياء عملية التحول ذاتها. فعملية تحول الهيليوم السائل إلى غاز هي عملية سريعة وعنيفة على نحو مذهل، وكانت، كما اتضح، هي السبب الكامن وراء استيلاء ثرشهولد على فتحة التهوية التي اتخذت شكل الروبوت R2–D2في حديقة فوليمانكا.

فعندما يتحول الهيليوم السائل إلى غاز، يتضاعف حجمه بنسبة تبعث على الذهول، من ١ إلى ٧٥٠. وهذا يعني أن الهيليوم السائل في هذه القاعة، لو أُطلق، لتحول بسرعة إلى كمية من الغاز تكفي لملء سبعة مسابح أولمبية.

وفي حيز غير مهوى، فإن هذا الحجم الجديد لن يجد له متسعا، وتراكم الضغط يحدث بسرعة فائقة بحيث يخلق "قنبلة ضغط"، وهي قوة عنيفة طاردة تتمدد في كل الاتجاهات في لمح البصر. وفي محاولة يائسة من الغاز ليجد لنفسه مكانا، فإنه يمزق كل ما يقيده، محدثا موجة صدمة أشبه بتلك التي يحدثها سلاح نووي تكتيكي، تدمر كل شيء في محيطها.

ولدرء هذا الخطر، فإن جميع المنشآت التي تستخدم الهيليوم السائل، بما في ذلك المستشفيات التي بها أجهزة**MRI** ، ملزمة بتركيب "فتحة إخماد " – (**quench vent**)وهي أنبوب تهوية يصعد عبر سقف المبنى – لتضمن في حال حدوث تسرب عرضي للهيليوم، أن يجد الغاز المتمدد بسرعة مسارا بديلا آمنا يفر من خلاله، بدلا من أن ينسف المبنى برمته.

كانت فتحة الإخماد في ثرشهولد هائلة الحجم، ولكن كمية الهيليوم السائل المخزنة هنا كانت هائلة أيضا.

وعاد الغوليم يحدق مرة أخرى فيما وراء جهاز **SMES** إلى قوارير **Cryofab**الاثنتي عشرة. أكثر من عشرين ألف لتر من الهيليوم، هكذا قدر. إن قدرتها على التمدد تكاد تستعصي على الحساب.

ولقد علم من بحثه على الإنترنت أن الانفجارات الكارثية للهيليوم السائل شائعة إلى حد ما، ومنها ما حدث لصاروخ **Falcon 9** التابع لشركة

SpaceX، ومصادم الهدرونات الكبير التابع لمنظمةCERN ، بل وحتى في عيادة بيطرية في نيو جيرسي انفجر فيها جهاز MRI بسبب تسرب طفيف.

أدرك الغوليم أنه لو حدث إخماد غير متوقع لهذا الجهاز، فإن الهيليوم السائل المحمل في النظام سيغلي على الفور، متدفقا في سيل جارف من الغاز المتمدد الذي سيندفع صاعدا في القناة، لينطلق في سماء براغ نافورة من الهيليوم المتجمد.

وعلى الأرجح، سينسف رأس الروبوت R2-D2 في طريقه.

إن كمية الهيليوم السائل المحملة في جهاز SMES في أي وقت كانت تمثل جزءا ضئيلا جدا من الحجم الكلي المحتوى في الأسطوانات. ولم يكن الغوليم قادرا حتى على أن يتخيل ما الذي يمكن أن يحدث لو أن كل الهيليوم في هذه المنشأة قد أطلق دفعة واحدة، ليتحول من سائل إلى غاز في لحظة واحدة.

إن حدثا كهذا لم يقع قط. أبدا. في أي مكان.

فقد كانت صمامات الأمان أكثر من أن تحصى.

فقوارير الهيليوم متينة للغاية ومزودة بالعديد من مزايا السلامة. فهي مبنية كقوارير حافظة للحرارة عملاقة، فتصميمها مزدوج الجدران من طراز "ديوار (**Dewar**) "يستعين بأكفأ عازل في الطبيعة، وهو الفراغ الخالص، ليضمن بقاء السائل في الداخل باردا بما يكفي حتى لا يتحول إلى غاز أبدا. ولمزيد من الأمان، تخزن كل قارورة سائلها تحت ضغط شديد الارتفاع. وهذا يرفع من درجة غليان الهيليوم، مما يوفر هامش خطأ أوسع قبل أن يصل إلى درجة الحرارة الحرجة.

وكان إجراء السلامة الأخير في القارورة هو "قرص التمزق **rupture**) " – (**disk**وهو قرص نحاسي صغير مدمج في هيكل الأسطوانة. وهو نقطة ضعف مقصودة، قرص معاير لينفجر إذا ما ارتفع الضغط الداخلي أكثر من اللازم، فيحول بذلك دون وقوع انفجار كارثي للأسطوانة.

ورغم أن أقراص التمزق مصممة لتنفجر إلى الخارج، إلا أنها قد تنفجر إلى الداخل أيضا إذا أصبح الضغط خارج الأسطوانة كبيرا جدا. وبطبيعة الحال، فإن هذا لا يحدث أبدا، إذ لا أحد من الحمق بحيث يخزن الهيليوم السائل في حيز محكم الإغلاق.

وبالنظر إلى صمامات الأمان الثلاثة هذه، فإن احتمال تعطل عدة أسطوانات في اللحظة ذاتها كان احتمالا إحصائيا يبلغ صفرا.

إنه أمر لا يمكن أن يحدث.

ليس من دون عون خارجي.

وبينما كان يسترجع في ذهنه الأهوال التي أنزلها ثرشهولد بساشا، ألقى الغوليم نظرة أخيرة على جهاز SMES الذي يصدر أزيزا خافتا، متلذذا بالمفارقة المريرة.

فهذه الآلة التي كانت الينبوع السري لقوة ثرشهولد ...كانت على وشك أن تصبح أداة دماره.

الفصل المئة والرابع

بعد أن ولجت إلى مختبر الأحياء برفقة لانغدون، وقفت كاثرين تتأمل مليا في الآلة المعقدة المنتصبة أمامها.

إن الخلايا العصبية الاصطناعية لا وجود لها. ليس بعد.

لطالما كان هذا هو معتقد كاثرين الراسخ... لكنها الآن لم تعد على تلك الدرجة من اليقين.

فمع أن الآلة كانت تبدو حقا كحاضنة متطورة للزراعة المائية، لم يكن لديها سبيل، بعينها المجردة، لمعرفة كنه ما في قوارير السائل.

إنه أمر مستحيل... أليس كذلك؟

لقد تمحور جل عمل كاثرين في مرحلة الدراسات العليا في علوم الدماغ حول الكيمياء العصبية، حيث درست الآليات الكيميائية الدقيقة التي تعمل بموجبها الشبكة العصبية في الدماغ. أما الخلايا العصبية الاصطناعية، كمفهوم، فقد اقترحها أول مرة في عام **1943** عالمان أمريكيان هما وارين ماكولوتش ووالتر بيتس، لكن تحقيق ذلك المفهوم ظل دوما أشبه بحلم بعيد المنال.

وكانت ثمة طرفة شائعة بين علماء الأحياء: ليسكنن البشر المريخ قبل أن يفلحوا في بناء خلية عصبية اصطناعية بدهور طوال.

قالت وهي تشير إلى خزانة كتب في الطرف الآخر من الغرفة» :أتبحث في تلك الكتيبات؟ انظر إن وجدت أي شيء عن هذه الحاضنة أو عما يزرعونه هنا. وسأتفحص أنا الأدراج.«

وبينما اتجه لانغدون إلى خزانة الكتب، شرعت كاثرين تقلب في مجموعة من أدراج الملفات المدمجة في منضدة العمل البراقة. إن معظم المختبرات الدقيقة، بما في ذلك معهد العلوم النويتيكية، تعد "كتاب بروتوكول" لكل مشروع، وهو عبارة عن مجموعة ورقية من المبادئ التوجيهية الإجرائية لضمان اتساق النتائج وقابليتها للتكرار. وهذا ما كانت كاثرين تأمل في العثور عليه، لكنها لم تجد في الأدراج ما يثير اهتمامها.

ولم تعثر على شيء واعد إلا حين اكتشفت درجا مسطحا غائرا في المنضدة... حوى ملفا أسود ثقيلا ذا ثلاث حلقات. ورغم أنه كان أسمك بكثير من أن يكون كتاب البروتوكول الذي تبحث عنه، فقد سرت في جسدها قشعريرة حين وقع بصرها على الكلمات الموشومة على غلافه.

سري للغاية – ملك وكالة المخابرات المركزية

على الفور، رفعت كاثرين الملف ووضعته على المنضدة وفتحته.

لتخبرنا بشيء... أرجوك.

وبينما كانت تتصفح الصفحات القليلة الأولى، دُهشت حين علمت أن مؤلفي هذا الملف ينتمون إلى مختبر الإلكترونيات العضوية المرموق (LOE)في السويد .وكالة المخابرات المركزية تجند من مختبر LOE؟! في السعي لإنتاج خلايا عصبية اصطناعية، كان LOEأحد أبرز مراكز الفكر في العالم. لقد ذكرت كاثرين إنجازهم مع نبتة خناق الذباب قبل دقائق معدودة!

مأخوذة، راحت تقلب في أقسام الملف المختلفة، وتقرأ العناوين. رأت عددا من الموضوعات المألوفة، ثم استقرت عيناها على عنوان جمدها في مكانها.

. MODULATION VIA MIXED ION-ELECTRON CONDUCTING POLYMERS

التعديل(Modulation) ؟ شرعت على الفور في مسح القسم. هل حلوا حقا معضلة التعديل؟!

إن إحدى أعتى العقبات في السعي لبناء خلية عصبية اصطناعية كانت محاكاة "تعديل الأيونات"، وهي قدرة الخلية العصبية الفريدة على تنشيط

قنوات أيونات الصوديوم وتعطيلها. ومع ذلك، إن صدق هذا العنوان، فإن تعديل الأيونات قد أمسى ممكنا الآن.

ولكن... كيف؟!

وبينما أخذ قلبها يخفق بجنون، بدأت كاثرين تقرأ عن الحل الذي ابتكرته "ثرشولد" لمعضلة التعديل. بدا لها كل شيء فيه منطقيا تماما... منطقيا أكثر من اللازم... وكلما توغلت في القراءة، وجدت صعوبة أشد في التنفس.

لا... لا... هذا لا يمكن أن يكون!

كرر لانغدون اسمها قائلا» :كاثرين؟«، بعد أن انضم إليها عند المنضدة إثر سماعه شهقتها قبل لحظات» .هل أنتِ بخير؟.«

لكنها لم تجب، وظلت عيناها مسمرتين على الملف وهي تقلب الصفحات، الواحدة تلو الأخرى، وتغمغم في سرها بهمس خافت.

أطل لانغدون من فوق كتفها، محاولا أن يرى ما أزعجها، لكن عنوان الصفحة لم يعن له شيئا **Modulation via mixed ion–electron conducting polymers**؟.

ومع مرور الثواني، أحس لانغدون أن كاثرين في حالة من الصدمة الخفيفة، فوضع يده أخيرا على ذراعها وقال» :ما الأمر؟.«

استدارت نحوه فجأة، وعيناها تتوقدان نارا» .ما الأمر؟ إن 'ثرشولد' تستخدم مركب BBL المصنّع كترانزستور كهروكيميائي عضوي! لقد صبوه في غشاء رقيق وأذابوه في حمض الميثان سلفونيك.«...

»تمهلي، ماذا؟.«

!BBL»إنهم يستخدمونه في الخلايا العصبية الاصطناعية! تلك كانت فكرتي يا روبرت.«!

»أولا، ما هوBBL ؟.«

.Benzimidazobenzophenanthroline»إنه بوليمر عالي التوصيل، يتميز بمتانة فريدة ومرونة أيضا.«

»حسنا، وبعد؟.«

»وهم يطبقون 'بلمرة التكثيف' لتصنيعBBL ، وهو ما اقترحته أنا. والنتيجة هي مادة فائقة التوصيل للإلكترونات... تشبه إلى حد كبير الخلية العصبية .«قلبت صفحة من الملف» .انظر! البروتوكولات الكيميائية في هذا الملف هي بالضبط البروتوكولات التي أصفها في مخطوطتي! حتى أدق التفاصيل! لقد اقترحت تعديل التوصيلية بإضافة ثلاثة ملليمولارات من الغلوتامين إلى المحلول الإلكتروليتي، وهذا بالضبط ما يفعلونه.«!

لم يكن لانغدون يستوعب الكثير من هذا، لكن من الواضح أن كاثرين تعتقد أنها حددت نقطة تقاطع مباشر بين مخطوطتها ومشروع "ثرشولد". هذا ما أتينا من أجله.

قال بهدوء» :كاثرين، هل يمكنك أن تأخذي نفسا وتشرحي لي، بلغة بسيطة، ما الذي يحدث؟.«

أومأت برأسها وزفرت. قالت وقد خفضت صوتها» :آسفة، نعم. ببساطة، لقد طرح كتابي نظرية حول كيفية إنتاج هذه التكنولوجيا يوما ما. واقترحت على وجه التحديد نسج المادة المصنعة في 'شبكة' عصبية يمكن أن توضع فوق الدماغ كقلنسوة... غمد من الخلايا العصبية على اتصال مباشر بالدماغ .«تنهدت» .والأمر الذي لا يصدق... أن هذا هو بالضبط ما يفعلونه هنا. أنا فقط... حسنا، لا أستطيع أن أصدق ذلك.«

»إذن، لقد كتبتِ صراحة عن الخلايا العصبية الاصطناعية؟.«

»فعلت. عندما اقترحت شريحة دماغ افتراضية لتنظيمGABA ، علمت أنه لا يمكن بناء الشريحة دون خلايا عصبية اصطناعية، لذا أدرجت أفضل تخمين لي حول كيفية تصنيع الخلايا العصبية يوما ما... في المستقبل البعيد.«

أدرك لانغدون وهو يلقي نظرة على الملف: "ذلك المستقبل هو الآن على ما يبدو". ثم سأل» :وتعتقدين أن 'ثرشولد' قد بنت بالفعل شريحة GABAالتي اقترحتها؟.«

هزت رأسها قائلة» :لا، لا. ليس لدي أي فكرة عن الشريحة التي بنوها، لكني على يقين تام أنها لن تكون تلك التي اقترحتها. إذا كانوا يملكون خلايا عصبية اصطناعية، فإن السماء هي الحد؛ يمكنهم بناء أي شيء يحلمون به حرفيا. إن الخلايا العصبية الاصطناعية هي القفزة الحاسمة المطلوبة للتكامل التام بين الإنسان والآلة .(H2M) عليك أن تفهم يا روبرت .«...نظرت في عينيه مباشرة» .تقنية الخلايا العصبية هذه هي مفتاح المستقبل. إنها تغير كل شيء.«

لم يكن لدى لانغدون أدنى شك في صحة قولها؛ فقد قرأ أكثر من مرة أن المستقبليين يتنبؤون بأن أي اختراق في مجال الخلايا العصبية الاصطناعية سيستهل عصرا مذهلا من التواصل المباشر بين الأدمغة، وتعزيز الذاكرة، والتعلم المتسارع، بل وحتى القدرة على تسجيل أحلامنا ليلا وإعادة عرضها في الصباح.

بيد أن الأمر الأكثر إثارة للقلق بالنسبة للانغدون كان ذلك التنبؤ الذي وصف بـ"التواصل الاجتماعي المطلق"، حيث يقوم البشر بتسجيلات

حسية كاملة لتجاربهم الخاصة... ويشاركون "قنواتهم" الشخصية مباشرة مع عقول أخرى. وجوهر الأمر أن الناس سيتمكنون من معايشة مشاهد وأصوات وروائح ومشاعر تجربة شخص آخر. وبالطبع، لن يمر وقت طويل قبل أن تظهر مكتبات في السوق السوداء تعرض ذكريات صادمة أو مثيرة أو مروعة بشكل خاص. لقد غامر فيلم الخيال العلمي السيبراني "أيام غريبة" من تسعينيات القرن الماضي بالدخول إلى هذا العالم المظلم... وبدا الآن أنه كان ذا رؤية ثاقبة.

ورغم أن لانغدون أدرك أن هذه قد تكون نقطة تحول في تاريخ العلم، فإن الأثر الجسيم لهذا الإنجاز لم يكن ما يشغل باله في المقام الأول. لقد كان يركز أكثر على تداعيات حظ كاثرين العاثر بشكل لا يصدق.

لقد اقترحت فكرة عبقرية لا يمكن تصورها في كتابها... لتكتشف أن وكالة المخابرات المركزية تطورها سرا بالفعل.

ومع أن المصادفة كانت مذهلة، إلا أن لانغدون كان يعلم أن المقولة المأثورة "العقول العظيمة تعمل على نحو متشابه" قد تجلت مرات لا تحصى عبر العصور؛ فقد اخترع نيوتن ولايبنتز حساب التفاضل والتكامل كل على حدة؛ وتصور داروين ووالاس نظرية التطور في وقت واحد؛ واخترع

ألكسندر غراهام بيل وإليشا غراي جهازا للهاتف وقدم كل منهما براءة اختراع في غضون ساعات من الآخر.

والآن، يبدو أن كاثرين سولومون ووكالة المخابرات المركزية قد توصلتا كلتاهما إلى كيفية صنع الخلايا العصبية الاصطناعية.

همست كاثرين لنفسها وهي تحدق في الفراغ بشرود» :كل شيء منطقي الآن... لا عجب أنني استُهدفت.«...

قال لانغدون متعاطفا» :إنها مصادفة سيئة الحظ بشكل لا يصدق. على الأقل الآن نفهم.«...

»ليست مصادفة يا روبرت .«!كانت عينا كاثرين تشتعلان غضبا» .لقد سرقت وكالة المخابرات المركزية فكرتي.«!

سرقت؟ لم يفهم هذا الادعاء؛ فمن الواضح أن وكالة المخابرات المركزية كانت تطور الخلايا العصبية الاصطناعية قبل وقت طويل من بدء كاثرين في كتابة كتابها.

كررت قولها» :لقد سرقوا تصميمي! كله.«!

طوال معرفته بكاثرين سولومون، لم يسمعها لانغدون قط تدلي بادعاء غير منطقي واحد، ناهيك عن ثورة جنون ارتياب. قال وهو يبتسم ابتسامة

مطمئنة» :لا أفهم. لقد كنتِ تكتبين هذا الكتاب لمدة عام، وبرنامج 'ثرشولد' عمره أكثر من عشرين.«...

قاطعته قائلة» :أنا لا أوضح الأمر جيدا .«كان في عينيها ضراوة لم يرها من قبل» .لقد تضمنت مخطوطتي قسما عن الخلايا العصبية الاصطناعية، شرحت فيه تفاصيل هذا التصميم بعينه. ولكن في ذلك القسم كنت أتحدث عن شغفي وعملي كطالبة دراسات عليا شابة، حين كنت أحلم بالفعل بمستقبل علوم النويتكس... وأصمم تقنيات افتراضية قد يستخدمها علماء المستقبل يوما ما لتعميق فهمنا للوعي البشري.«

اتضح مغزاها فجأة للانغدون» .يا إلهي... ماذا؟.«!

أومأت برأسها» .أجل! يا روبرت، لقد اقترحت أول مرة – ووثقت – التصميم الدقيق لهذه الخلايا العصبية الاصطناعية في رسالتي للدراسات العليا... قبل ثلاثة وعشرين عاما.«

الفصل الخامس بعد المائة

تبينت كاثرين من سورة الذهول التي ارتسمت على محيا لانغدون أنه لا يزال يكابد في استيعاب أبعاد ما أفضت به إليه للتو.

قالت وهي تنقر على ملف ثرشهولد السري» :هذا هو رسمي الدقيق للعصبونات الاصطناعية، وضعته قبل ثلاثة وعشرين عاما. لا مجال للشك في ذلك.«

سألها لانغدون» :إذن، هل كانت أطروحتك للدكتوراه عن العصبونات الاصطناعية؟«

»ليس على وجه التحديد، لا. كان تخصصي في علوم الأعصاب، وحملت أطروحتي عنوان 'كيمياء الوعي'، وهي ورقة علمية متخصصة في النواقل العصبية والإدراك، ولكني في ختامها، تماما كما فعلت في مخطوطتي، خصصت فصلا عن مستقبل أبحاث الوعي. وقد أطلقت لخيالي العنان في تصور فتوحات علمية افتراضية شتى، ومن بينها أعظم تقدم يمكن أن يشهده مجالي على الإطلاق، وهو العصبونات الاصطناعية، تلك التقنية التي ستجعل من الممكن أخيرا إيجاد واجهة حقيقية للتفاعل بين الإنسان والآلة(H2M) ، وتتيح للعلماء مراقبة وعي الدماغ بسبل جديدة... ورؤية كيفية عمله في نهاية المطاف.«

»وهل أنت واثقة كل الثقة... من أن ما قامت به وكالة الاستخبارات المركزية ليس مجرد مصادفة؟«

»يا روبرت، إن العصبونات الواردة في هذا الملف تطابق تماما ما اقترحته في أطروحتي، حتى في أدق المصطلحات! فالوصف يشير حرفيا إلى 'الخيوط الحيوية النانوية الكهربائية' و'الاندماج العضوي–التقني ثنائي الجانب'، وكلاهما مصطلحان ابتدعتهما من عندي«!

بدا الاقتناع على لانغدون الآن، وقال» :عجبا... هذا يعني في المقام الأول أنكِ، يا كاثرين سولومون، قد اهتديت إلى كيفية صنع العصبونات الاصطناعية... وأنت لا تزالين طالبة في الدراسات العليا؟«

»ما كنت يومها إلا فتاة ذات خيال وثّاب، وما كانت الفكرة إلا ضربا من الأحلام. لا تنس أن العصبونات الاصطناعية قبل ثلاثة وعشرين عاما كانت تعد من ضروب الخيال العلمي«!

فرد عليها معارضا» :وكذلك كانت الهندسة الوراثية، والسيارات ذاتية القيادة، والذكاء الاصطناعي. ولكننا ها نحن أولاء. الفضل في ذلك يعود إلى قانون مور.«

حقاً، هكذا حدثت نفسها، إن المستقبل ليأتينا كل يوم بخطى أسرع من ذي قبل.

»قبل عشرين عاما، كان أهل الاختصاص يفترضون أن العصبونات الاصطناعية ستكون قائمة على السيليكون، وهو أمر منطقي بالنظر إلى أن العصبونات هي في جوهرها مفاتيح ثنائية تعمل بالتشغيل والإيقاف، كتلك التي في رقائق الحاسوب. لكني خالفتهم الرأي، وسقت في أطروحتي حجة مفادها أن الغاية القصوى من العصبونات الاصطناعية هي التكامل مع نسيج الدماغ، ومن ثم فإن أي حل حقيقي لا بد أن يكون بيولوجيا في أساسه. وهكذا، أطلقت العنان لخيالي، وصممت، بكثير من الإسهاب، أفضل تصوراتي عن الكيفية التي يمكن بها إنشاء مثل هذه العصبونات يوما ما.«

قال لانغدون، ولم تفارقه سورة الإعجاب» :أرى أن تصورك كان صائبا إلى أبعد حد. لا شك أن وكالة الاستخبارات المركزية قد عكفت على تطوير هذا الأمر لعقود... وقد أفلحت أخيرا. أما مسألة الملكية الفكرية أو فضل السبق، فتلك قضية أخرى.«

»كل ما يشغلني الآن هو كيف سمعوا بفكرتي... أو كيف وقعت بين أيديهم.«

هز لانغدون كتفيه قائلا» :حسنًا، إنهم أكبر جهاز لجمع المعلومات الاستخبارية في العالم.«

قالت كاثرين، وقد أخذت الذكريات تتدفق على خاطرها» :في الواقع، لقد خطر لي الآن «...ثم ترددت، وقد شردت بذهنها.

حثها لانغدون وهو يلتقط الملف ويتجه نحو الباب» :أخبريني ونحن في طريقنا للخروج. علينا أن نخرج من هنا ومعنا هذا الملف، ونسلمه إلى السفيرة. ولنأمل أن يكون هذا كافيا.«

حملت كاثرين حقيبة كتفها وتبعت لانغدون عبر المختبر، وقد تسارعت خواطرها» .لقد حدث أمر غريب يتعلق بأطروحتي. لم أفهمه حقا قط، ولم أفكر فيه منذ عقود... ولكنه قد يفسر شيئا ما.«

سألها لانغدون وهما يسرعان الخطى عبر مختبر الحاسوب المشرق الأنوار صوب الباب الدوار» :ما الذي حدث؟«

استحضرت ذكرياتها قائلة» :كان المشرف على أطروحتي في جامعة برنستون هو البروفيسور إيه. جيه. كوزغروف، الكيميائي الأسطوري الذي رعاني وأخذ بيدي. وقد أعجب بأطروحتي أشد الإعجاب، وأخبرني أنه يعتقد أنها يمكن أن تفوز بجائزة بلافاتنيك، وهي جائزة وطنية لأبحاث العلوم لما بعد الدكتوراه. على أي حال، لم أفز، وهو ما لم أكترث له، ولكن الأمر أثار حفيظة كوزغروف لسبب ما، وانتهى به المطاف إلى الدخول في خلاف حاد مع رئيس لجنة الجائزة، وهو أستاذ مرموق من جامعة ستانفورد. وحين

هدأت العاصفة أخيرا، أخبرني كوزغروف أني كنت أستحق الجائزة، وأنني حُرمت منها 'لأسباب لا تتعلق بالجدارة'. وقد عزوت الأمر يومها إلى دهاليز السياسة الأكاديمية. لكني أخبرته أني لا أبالي، لأني كنت قد قررت أن أسلك طريق علوم الوعي على أي حال. ثم قال شيئا غريبا. قال إنه قبل أن أهجر علوم الأعصاب تماما، فإنه يقترح علي بشدة أن «...توقفت كاثرين فجأة قبل أن تبلغ الباب» .يا إلهي... لا.«

التفت لانغدون نحوها» .ما الأمر؟«!

أغمضت كاثرين عينيها في ذهول، ووضعت حقيبتها على منضدة عمل. في خضم هذه الفوضى العارمة، لم يخطر لها الأمر ببال حتى هذه اللحظة.
همست كاثرين» :يا روبرت«، ثم فتحت عينيها ومررت يدها في شعرها الداكن الكثيف» .ثمة سبب أعظم من ذلك كله يدفع وكالة الاستخبارات المركزية إلى السعي لإخفاء كتابي إلى الأبد.«

قبض فينش على مسدس سيغ ساور الذي أخذه من الضابطة الميدانية هاوسمور، ووثب من عربة النقل الخاصة بترشهولد، وأسرع عبر الرصيف المألوف، ثم مر من خلال مركز الأمن الخالي من الحراس. فبعد أن عثر على جثمان ضابطته في البهو، هرع إلى غرفة عمل غيسنر، حيث تأكدت أسوأ مخاوفه بوضوح قاس.

لقد قُتلت بريغيتا.

اتصل فينش على الفور طالبا الدعم من الوكالة، ولكن مع مقتل ضابطته الميدانية المحلية، أدرك أن وصول الدعم إلى الموقع سيستغرق وقتا. كان الموقف يزداد خطورة وحساسية، وكانت الحكمة تقتضي منه أن يعالج الأزمة دون إبطاء. كان فينش راميا ماهرا، وقادرا كل القدرة على إبطال حركة أي شخص قد يصادفه.

وعندما ولج ممر العمليات، شعر بالارتياح لرؤية جميع الأضواء في هذا القسم مطفأة. ولكنه، من ناحية أخرى، كان قد أسهم إسهاما كبيرا في تصميم هذا الصرح الجوفي، وكان يعلم أن الأضواء تنطفئ تلقائيا كل عشر دقائق؛ ومن الناحية العملية، لم يكن الظلام ضمانا بأنه وحيد هنا.

لم يستطع فينش أن يستوعب بعد أن هاوسمور وغيسنر قد لقيتا حتفهما قتلا. والأمر الأكثر إثارة للقلق هو الهوية غير المتوقعة لقاتلهما.

فبينما كان يسحب جثمان هاوسمور من خلف الأريكة، أفزعه أن يعثر على قضيب معدني لمرضى الصرع على السجادة. من الواضح أن شخصا ما قد أسقطه، ولم يدخل حصن كروسيفيكس قط إلا مريضان بالصرع، هما ساشا فيسنا ودميتري سيسيفيتش، وكلاهما أُخذ من المصحة ذاتها.

أما دميتري، فقد أكدوا لي أنه لم يعد بيننا.

أما فكرة أن تكون ساشا قد قتلت أحدا، فكانت أمرا يكاد لا يتصوره عقل. فلطالما وصفتها غيسنر بأنها وديعة طيبة القلب. ولكن، من ناحية أخرى، ورد أن ساشا قد هاجمت ضابطا من جهاز المخابرات والأمن اليوم، مما يعني أن شيئا ما قد اختل في توازن المرأة. لقد كان دماغها تحت ضغط شديد، ولم يكن من المستبعد أنها عانت من نوع من الانهيار العقلي.

ساشا تقتل غيسنر؟ بدا الأمر مستحيلا... ومع ذلك، لو اكتشفت ساشا ما فعلته بها غيسنر، لكان ذلك دافعا قويا.

ورغم ذلك، شك فينش في أن ساشا قادرة على فعل كل هذا... على الأقل، ليس بمفردها.

انعطف يمينا بحدة إلى قسم الأحياء، وشعر بالارتياح عندما وجد منطقة الجراحة مظلمة. وحين أضاءت الأنوار، بدا كل شيء في محله. رمق فينش الجراح الآلي المعلق في السقف بنظرة. حتى الآن، لم تستخدم غيسنر هذه التقنية إلا لإجراء عمليتين جراحيتين بشريتين، إحداهما ناجحة، والأخرى كانت فاجعة.

لم يكن فينش في مزاج يسمح بالمفاجآت، وعزم على تفتيش المنشأة بأكملها، بدءا بمسح منهجي للقسم الطبي للتأكد من عدم انزلاق أحد تحت سرير أو اختبائه في خزانة، لمدة تكفي لانطفاء أضواء الحركة.

لو أن أحدا قد اخترق ثرشهولد، فلن يدعه فينش يفلت منه.

فأي شخص رأى هذا المكان... لن يُسمح له بالخروج منه حيا.

في أعماق قاعة جهاز SMES ، رفع الغوليم بصره إلى فتحة التهوية المفتوحة. وفي الأعالي، كان بالكاد يلمح ضوء النهار المرقط الذي يتسلل عبر الثقوب في الرأس المقبب لتمثال الروبوت R2-D2 على بعد عدة طوابق في حديقة فوليمانكا.

ولأسباب واضحة، كانت فتحات الإخماد كهذه تترك مفتوحة في جميع الأوقات للسماح بالتهوية في حالات الطوارئ. ولم تكن تغلق إلا لاختبار ضغط القاعة بحثا عن تسرب، وذلك في ظل ظروف محددة جدا... وتحديدا، في حالة الغياب التام للهيليوم السائل.

اليوم، سيطرأ تغيير طفيف على الإجراءات المتبعة.

استجمع الغوليم قوته، وتسلق فوق الحلقة المعدنية التي يصدر منها أزيز خافت. كان سطحها مستديرا ومحفوفا بالخطر، لكن حذاءه كان يوفر له ثباتا جيدا. وشعر بالاهتزاز الخفيف للآلة وهو يمد يده إلى السقف، وثبت نفسه بإمساكه بمقبض تدوير بارز من السقف. كان هذا المقبض يشغل سلسلة من البكرات التي تحرك لوحا معدنيا سميكا مثبتا في السقف.

غطاء الاختبار.

كانت لوحة فولاذية مربعة مدعومة في مسار تمتد قضبانه على جانبي فتحة التهوية. هذه اللوحة، التي تشبه غطاء فتحة عملاقا، يمكن تحريكها إلى مكانها وتثبيتها ببراغي فراشية، فتغلق الفتحة وتجعل الغرفة محكمة الإغلاق.

ولم يكن من المستغرب أن يكون الغطاء الفولاذي مزينا بأحرف قرمزية ناصعة.

خطر – لا تقترب

متجاهلا التحذير المنشور، بدأ الغوليم في تدوير المقبض.

في غضون دقيقة، ستصبح هذه القاعة محكمة الإغلاق.

الفصل المئة والسادس

أو دافع أعظم من هذا؟ لقد عجز لانغدون عن أن يتصور دافعا آخر قد يدفع وكالة المخابرات المركزية إلى تدمير مخطوطة كاثرين .لقد كشف كتابها عن تقنية جديدة بالغة السرية لوكالة المخابرات المركزية. وبذلك قُضي الأمر...

توقفت كاثرين فجأة واستدارت نحوه، وقد ارتسم على وجهها قناع من القلق في وهج مصابيح الهالوجين القاسي. وقالت» :أعتقد أن البروفيسور كوزغروف لا بد أنه أدرك أن ثمة أمرا جللا. فبعد جداله مع ذلك الرجل من ستانفورد، كلفني بمهمة أخيرة قبل أن أهجر علوم الأعصاب إلى علوم النويتكس. وكان مطلبه غير مألوف.«

»وماذا أراد منك أن تفعلي؟.«

»أصر على أن جزءا من تكوين أي عالم في المستقبل يقتضي أن يخوض غمار تجربة التقدم بطلب للحصول على براءة اختراع. وقال إنه معجب بنهجي الإبداعي في تصور الخلايا العصبية الاصطناعية، ورغم أن براءة الاختراع لن تُمنح أبدا، فإن عملية التقديم بحد ذاتها سوف.«...

قاطعها لانغدون قائلا» :مهلا... أتعنين أنك قد تقدمت بطلب براءة اختراع لهذه الخلايا العصبية الاصطناعية؟.«

أومأت برأسها قائلة» :لم يكن الأمر يتجاوز كونه تمرينا أكاديميا. لقد حذرني كوزغروف من أن طلبي سيرفض لـ'انعدام المنفعة' لأنه غير قابل للبناء. ومع ذلك، حثني على التفكير فيه مليا، وأن أكون تقنية قدر المستطاع، وأتخيل أدوات وتقنيات ومواد لم تكن موجودة بعد، وأن أمضي في إجراءات تقديم الطلب. وهكذا فعلت! ملأت طلبا من أربع عشرة صفحة بأفضل ما استطعت وأرسلته بالبريد. ورُفضت براءة اختراعي، كما كان متوقعا، ولم أفكر في الأمر مرة أخرى.«...

إلى هذه اللحظة، هكذا أدرك لانغدون وهو لا يكاد يصدق. ها هي ذي وجها لوجه أمام اختراعها.

قالت كاثرين» :بالنظر إلى الماضي، يخطر لي الآن أن البروفيسور كوزغروف ربما كان يسعى لحمايتي حين طلب مني التقدم بطلب براءة الاختراع .«... صمتت وقد غص صوتها» .وكأنه كان يعلم السبب الحقيقي وراء رفض أطروحتي.«

»لأن تقنيتك كانت تستولي عليها وكالة المخابرات المركزية سرا؟.«

»بل مسروقة، أجل.«

»ولكن كيف يمكن لكوزغروف أن يعلم أن وكالة المخابرات المركزية فعلت ذلك؟.«

قالت كاثرين» :ذلك لغز بالنسبة لي، لكن حدسي يخبرني أنه كان يعلم. وبعد سنوات، اكتشفت أنني كنت الطالبة الوحيدة التي دفعها كوزغروف على الإطلاق للتقدم بطلب براءة اختراع.«

»هذا يثير الشبهة.«

»أجل، وكان كوزغروف مصرا. أذكره وهو يقول: 'لا تتحدثي عن الأمر يا كاثرين. افعليه فحسب'. لقد توفي منذ زمن بعيد، وإلا لاتصلت به.«

سأل لانغدون، وهو يتخيل أنها ورقة خطيرة إلى حد ما أن تكون ملقاة في الأرجاء» :هل ما زلت تحتفظين بنسخة من طلبك؟.«

»بالتأكيد كنت أحتفظ... لكن أي نسخ كانت لدي اختفت في ظروف غامضة من ملفاتي في وقت ما. لطالما افترضت أنها ضاعت في خضم الانتقال، لكن الآن.«...

ربما سرقوا تلك أيضا. ارتجف لانغدون وهو يفكر في أن وكالة المخابرات المركزية كانت تراقب كاثرين كل هذا الوقت الطويل، لكن ذلك فسر الكثير.

تابعت كاثرين» :ولكن إليك الأمر. قبل كل تلك السنوات، عندما تلقيت رفضا من مكتب براءات الاختراع، لم أتمالك نفسي من الضحك، فقد

كانت أربع عشرة صفحة من أخلص جهودي العلمية مختومة بختم أحمر فاقع على كل صفحة. عرضتها على البروفيسور كوزغروف، ولم يبد مستمتعا بالأمر مثلي، لكنه سأل إن كان بإمكانه الاحتفاظ بنسخة للذكرى و'حين أصبح مشهورة'. بالطبع وافقت.«

»إذن كوزغروف لديه نسخة؟.«!

قالت بصوت غلبه التأثر فجأة» :أجل. حين توفي قبل نحو عشر سنوات، فاجأتني أخته على عتبة داري بظرف مانيلا مختوم، وقالت إن جزءا من وصيته الأخيرة كان أن يسلمني هذا الظرف .«غص صوت كاثرين . »وبالفعل، كان يحتوي على طلب براءة اختراعي القديم المرفوض، باهتا لكنه لا يزال سليما تماما.«

أمر لا يصدق. أيقن لانغدون الآن أن أستاذ كاثرين القديم كان يعلم أن ثمة ما يريب في التعامل مع أطروحتها وطلب براءة اختراعها. أما مسألة كيف علم كوزغروف بما علم، فظلت بلا جواب، لكن من الواضح أنه اتخذ تدابير ليضمن احتفاظ كاثرين بالدليل.

هذا ما يمثله الأمر: ورقة ضغط، هكذا فكر لانغدون .ثم سأل في لهفة، وقد خشي فجأة أن تكون وكالة المخابرات كاالمركزية قد وصلت إلى تلك النسخة أيضا» :وأين تلك النسخة الآن؟.«

قالت» :في مكتبي في المنزل. على حد علمي الأخير.«

قال لانغدون وهو يشير إلى الباب» :علينا أن نرحل. إذا اكتشفت وكالة المخابرات المركزية.«...

»ثمة أمر آخر عليك أن تعرفه .«تحركت كاثرين في ارتباك ثم نظرت في عيني لانغدون» .بينما كنت أكتب الفصل الأخير من مخطوطتي عن مستقبل علوم النويتكس، كنت أصف حلمي الشبابي البريء بابتكار خلايا عصبية اصطناعية. ونزولا عند نزوة عابرة، قررت أن أدرج نسخة من طلب براءة اختراعي الفاشل –كل الصفحات الأربع عشرة مختومة بكلمة 'مرفوض' – في الكتاب، لأني ظننت أن مشاركة فشلي المبكر قد تلهم علماء شباب آخرين واجهوا الرفض في طريقهم.«

عُقد لسان لانغدون .القطعة الأخيرة في الأحجية.

كان طلب براءة اختراع كاثرين سينشر في كتابها ليراه العالم بأسره. لم تكن الوكالة بحاجة إلى دافع آخر لاتخاذ إجراءات يائسة ضدها.

إن "ثرشولد" هي بمثابة مشروع مانهاتن لعلوم الدماغ المستقبلية... وكانت كاثرين على وشك أن تنشر مخططات قنبلتهم الذرية.

لم يسع لانغدون إلا أن يتخيل الكابوس القانوني الذي ستواجهه وكالة المخابرات المركزية إذا اكتشفت مجموعة رقابية مثل اتحاد العلماء الأمريكيين أن طلب براءة اختراع لعالمة نويتكس بارزة قد رُفض... ثم سرقته وكالة المخابرات المركزية دون علم مقدمة الطلب أو تعويضها.

سيكون ذلك حلم أي صحفي استقصائي.

لقد تضمن الكتاب رؤية جريئة لتقنية خارقة تمثل القطعة المفقودة في السباق العالمي نحو واجهة تفاعل حقيقية بين الإنسان والآلة. في هذه اللحظة، كانت وكالة المخابرات المركزية وحدها تمتلكها... ولكن إذا نشرت كاثرين كتابها، فسينقلب كل شيء.

أيا كان الغرض المحدد الذي قد تخدمه زراعات وكالة المخابرات المركزية، فمن الواضح أن "ثرشولد" لديها القدرة على تزويد الوكالة بميزة تكنولوجية سرية لا مثيل لها.

ولكن هذا ليس كل شيء، أدرك لانغدون .إن "ثرشولد" منجم ذهب محتمل.

إذا قررت وكالة المخابرات المركزية طرح تكنولوجيا H2M المملوكة لها في السوق، فستصبح "كيو" أغنى شركة رأس مال استثماري في العالم، قادرة

على تمويل كل عملية تديرها وكالة المخابرات المركزية. وفي كلتا الحالتين، كانت السرية أمرا بالغ الأهمية.

قالت كاثرين» :والأكثر من ذلك، أن هذا يفسر لماذا تباهت بريجيتا أمامي ببراءات اختراعها الليلة الماضية. لقد أثارت الموضوع لأنها كانت في مهمة استطلاعية. أتذكر أنها سألتني إن كان لدي أي براءات اختراع... أو إن كنت قد تقدمت بطلب براءة اختراع من قبل؟.«

تذكر لانغدون ذلك جيدا» .وقلتِ إنك لم تفعلي.«!

»لم أرغب في الخوض في الأمر. وقد مضى على ذلك وقت طويل جدا.«

قال لانغدون» :لا عجب إذن أن أصاب الذعر فينش الليلة الماضية. لا بد أن غيسنر أخبرته أنك لم ترفضي طلبها التوقيع على اتفاقية عدم إفصاح فحسب، بل رفضت طلبها الحصول على نسخة مسبقة من المخطوطة، ولا بد أنها أبلغت أنك كذبتِ بوقاحة بشأن عدم تقديمك لطلب براءة اختراع قط! لا بد أن فينش شك في أنك تناورين من أجل تحقيق مكاسب شخصية وتستعدين لنشر نوع من الفضيحة المدوية.«

قالت كاثرين وهي تشير إلى الملف السري في يده» :حسنا، يمكننا نشره الآن. كاملا مع صور PALM لدماغ مزروع. دليل قاطع جدا.«

»ما هو PALM ؟.«

»التصوير المجهري لتحديد الموقع بالتنشيط الضوئي، وهو تقنية لتصوير الدماغ. لقد قامت 'ثرشولد' بتشفير خلاياها العصبية الاصطناعية وراثيا ببروتينات فلورية حتى يتمكنوا، في الواقع، من رؤيتها... وتتبع نموها. فكرة ذكية، فكرتهم وليست فكرتي.«

»مهلا، هل هناك صور في هذا الملف؟! أنت لم.«...

قالت وهي تمد يديها لتأخذ الملف» :لقد أخذته بسرعة كبيرة. سأريك.«

دفع لانغدون الملف بلهفة إلى يديها. فرغم دليلهما على أن وكالة المخابرات المركزية قد سرقت فكرة كاثرين وكانت تبني خلايا عصبية اصطناعية، لم ير لانغدون أي دليل فعلي على أن "ثرشولد" كانت تجري تجارب على البشر. قد يكون هذا هو الدليل...

قالت كاثرين وهي تضع الملف المفتوح على المنضدة أمامهما» :هذه صورة جيدة.«

عندما رأى لانغدون الصورة، شعر بالاشمئزاز... وباليقين في آن واحد.

كانت الصورة الملونة تشبه صورة أشعة سينية معززة بالحاسوب لدماغ بشري داخل جمجمة. لكن المروع هو ما كان أيضا داخل الجمجمة مع الدماغ.

تحت عظم الجمجمة، رقدت شريحة حاسوبية كبيرة على نحو مفاجئ مستقرة في نسيج الدماغ. وكان يتصل بالشريحة سلك يلتف إلى شبكة مضيئة من الخيوط الفلورية التي بدت وكأنها منسوجة في قلنسوة شبكية مزركشة، أشبه بشبكة الشعر، ومشدودة فوق الجزء العلوي من الدماغ.

قالت كاثرين» :تلك الشبكة العصبية. فكرتي.«

نظر لانغدون في ذهول وهي تقلب في صور ورسوم بيانية وملاحظات مختلفة ترصد تقدم الزراعة بمرور الوقت. كانت السجلات مذهلة، لكن الصدمة الكبرى جاءت عندما لاحظ لانغدون الحاشية الصغيرة في أسفل كل صفحة.

المريضة رقم 002 / فيسنا

همس لانغدون، وقد تأكدت الآن أسوأ مخاوفه» :ساشا .«...ماذا فعلوا بك؟

شعر لانغدون بالغثيان وهو يرى الشبكة الكثيفة من المجسات منتشرة فوق دماغ ساشا كنوع من الطفيليات. ومن سخرية القدر أنهما اقتحما "ثرشولد" للعثور على أدلة تدينهم... ليكتشفا أن الدليل الأكثر إدانة على الإطلاق كان في الخارج، داخل رأس ساشا فيسنا.

"آمل أن تكون السفيرة قد حددت مكان ساشا"، فكر، وشعر مرة أخرى أن الوقت قد حان للرحيل.

قالت كاثرين» :أيا كان ما في رأس السيدة فيسنا، فهو يفعل أكثر بكثير من علاج الصرع.«

»هل يوجد هنا ما يصف ما تفعله الشريحة؟.«

قالت كاثرين وهي تقلب الصفحات» :لا شيء محدد. هذا الملف كله عن التكامل العصبي، ويجب أن أعترف أنني مندهشة من أنهم يحققون التكامل بهذه السرعة.«

»ماذا تعنين؟.«

قالت» :التكامل بين الشريحة والدماغ. بمجرد أن تضع شبكة عصبية اصطناعية على دماغ حي، يحتاج العنصران إلى وقت للاندماج في نظام واحد. إن اللدونة العصبية معجزة، لكنها لا تحدث بين عشية وضحاها. فلكي يتشابك الدماغ بالكامل مع زراعة عصبية، سيستغرق الأمر عقدا على الأقل، وربما عقدين. إنها إحدى العقبات الكبرى التي ذكرتها في أطروحتي للدراسات العليا.«

»وماذا اقترحتِ كحل؟.«

أجابت كاثرين» :لم أقترح شيئا. لا يوجد حل سوى الانتظار. فالنمو البيولوجي يستغرق وقتا. والتطور يستغرق وقتا. ومع ذلك بطريقة ما .«... درست سلسلة من الرسوم البيانية وهي تهز رأسها» .لقد سرعوا العملية بسرعة ملحوظة. في عام واحد، فعلوا ما كان يجب أن يستغرق عقدا على الأقل. السؤال... هو كيف؟ .«واصلت تقليب الصفحات، متجاوزة صفحة ظهرت عليها صورة شخصية صغيرة لساشا فيسنا أصغر سنا بشعر أشقر طويل.

قال لانغدون» :لدي سؤال مختلف. إذا كانت ساشا هي المريضة رقم اثنين.«...

رفعت كاثرين نظرها» .صحيح، فمن هو المريض رقم واحد؟.«

بدأت على الفور تقلب الصفحات إلى الوراء في الملف، باحثة عن معلومات عن المريض رقم واحد، الذي افترض لانغدون أنه على الأرجح مريض الصرع الروسي، ديمتري، من نفس المؤسسة التي كانت فيها ساشا.

قالت كاثرين» :هذا غريب. لا أرى أي قسم به بيانات عن أي مريض آخر... أوه، انتظر، ها هو. إنه أقصر بكثير. لقد فاتني.«

تضمن القسم بيانات ورسوما بيانية متنوعة، وصورة أشعة سينية مخيفة مماثلة لدماغ الشخص تظهر شريحة مزروعة وشبكة عصبية.

كانت الحاشية تقول:

المريض رقم 001 / سيسيفيتش

"سيسيفيتش يبدو روسيا بالتأكيد"، فكر لانغدون.

قالت كاثرين، بعد أن انتقلت إلى صفحة تحمل صورة شخصية صغيرة لرجل ملفت للنظر، مربع الفك، بشعر أسود مجعد» :رجل وسيم .«كانت ملامحه سلافية بوضوح، قوية ومهيبة، ومع ذلك كانت في عينيه نظرة خاوية مقلقة. قالت كاثرين وهي لا تزال تقرأ» :من الواضح أن هذا الرجل قد زُرعت له نفس شريحة ساشا. لكن الغريب أنه لا توجد أي بيانات على الإطلاق بعد العملية. لا شيء.«

قال لانغدون وهو يتجه نحو الباب الدوار» :يمكننا التحدث ونحن في طريقنا للخروج. يجب أن نخرج من هنا.«

أغلقت كاثرين الملف ووضعته في حقيبة كتفها» .أكره أن أقول هذا، لكن سجلاته تنتهي فجأة. لا متابعة على الإطلاق. كأنهم وضعوا الشريحة، و... حدث خطأ ما. ربما مات.«

كانت الفكرة مزعجة، لكنها أضافت ذخيرة إضافية إلى ورقة الضغط التي سيملكونها؛ فإذا أجرت وكالة المخابرات المركزية تجارب على مريض صرع

روسي غافل وقتلته، فإن التداعيات الدبلوماسية يمكن أن تكون لها عواقب وخيمة في عالم على حافة الهاوية بالفعل.

وبينما كانا يدفعان الباب الدوار عائدين إلى الردهة، اطمأن لانغدون عندما وجد الممر غارقا في الظلام الدامس، بعد أن انطفأت أضواؤه تلقائيا أثناء وجودهما في المختبر.

ما زلنا وحدنا هنا في الأسفل.

أضاءت أنوار الأرضية على الفور، واستدار لانغدون وكاثرين عائدين نحو البابين المزدوجين اللذين دخلا منهما.

لم يخطوا سوى بضع خطوات عندما أمسكت كاثرين بذراع لانغدون .

وهمست وهي تشير مباشرة إلى البابين ذوي النافذتين البيضاويتين :

»انظر.«!

لقد رآه لانغدون أيضا.

لقد انقدحت الأنوار وراء ذلك الباب بوهج ساطع.

بعد أن أتم فينش تفتيشه الدقيق للمنطقة الطبية، واصل سيره حول الزاوية، حيث أضاءت أنوار الأرضية لتنير طريقه إلى البابين المزدوجين في نهاية الردهة. ولكي لا يترك شيئا للصدفة، ألقى نظرة سريعة داخل غرفة الحوسبة

الغامرة، حيث ارتاح عندما وجد جميع كراسي الواقع الافتراضي فارغة والخوذات في مكانها.

ثم رأى كرسي المكتب مقلوبا على جانبه.

والزجاج المتصدع في نافذة غرفة الحاسوب.

في العادة، كان فينش سيهرع للتحقق من الحاسوب، لكنه أدرك للتو إدراكا أكثر إثارة للقلق، كرد فعل متأخر على شيء لمحه قبل لحظات في الردهة... وهج خافت يتسلل عبر النوافذ البيضاوية للبابين المزدوجين.

كانت أضواء ردهة RTD مضاءة.

شخص ما قادم!

سواء كان فريق تنظيف، أو حارس أمن، أو ما هو أسوأ، كان لانغدون يعلم أنه لا يمكنه هو وكاثرين أن يُريا. ولسوء الحظ، كانا محاصرين في ممر مسدود لا مخرج منه إلا الطريق الذي أتيا منه.

هرع لانغدون عائدا نحو مختبر RTD، على أمل أن يجد مكانا للاختباء، ولكن مع اقترابه من باب الغرفة المعقمة، أدرك أن كاثرين قد توقفت في منتصف الردهة وكانت تشير إلى الأرض. همست» :روبرت، هذه آثار إطارات.«!

كان لانغدون قد رأى العلامات في وقت سابق، وهي سلسلة من علامات الاحتكاك التي حفرتها عجلات الرافعة الشوكية في الأرضية المصقولة.

ولدهشته، انطلقت كاثرين على الفور متجاوزة إياه، وهي تلوح له ليتبعها نحو الطريق المسدود. ماذا تفعل؟! لا يوجد مخرج! وبعد لحظة، لمح لانغدون ما رأته كاثرين :إن اهتراء آثار الإطارات يمتد على طول الردهة ويختفي... تحت الجدار البعيد.

مستحيل... إلا إذا...

انطلق لانغدون بأقصى سرعة، ولحق بكاثرين على بعد خمسة عشر ياردة من نهاية الردهة. لمح العين الإلكترونية وركض نحوها، ولوح لتنشيط المستشعر. بدأ الجدار بأكمله ينزلق، متراجعا بسلاسة إلى اليسار، كاشفا عن قسم آخر من ممر مظلم في الخلف.

كان الهواء المنبعث من الفتحة أبرد بشكل ملحوظ.

ودون أن يبطئا، ركض هو وكاثرين عبر الفتحة وفي غضون بضعة ياردات غطسا في ظلام مفاجئ. وتوقفا عند حاجز معدني تماما في اللحظة التي انغلق فيها الجدار المتراجع خلفهما.

توهجت إضاءة خافتة لتكشف عن محيطهما. دُهش لانغدون عندما رأى أنهما يقفان فوق منحدر خرساني يلتف نزولا حول محيط بئر ضيقة. وبينما أطل من فوق الحاجز إلى الظلام أدناه، أدرك أن "ثرشولد" كانت في حقيقة أمرها أضخم بكثير مما رأيا... وأنها تمتد في اتجاه يبعث على القلق.

إلى الأسفل.

الفصل السابع بعد المائة

نزلت السفيرة نايجل درج السفارة الرخامي على عجل، تخالجها رعدة خفيفة، ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب بعد أن ألجأت مدير وكالة الاستخبارات المركزية إلى ما لا يرضى وتجرعت كأس شرابها.

أين دانا، بحق السماء؟

كان الرقيب سكوت كيربل قد وعدها بأن يصطحب مسؤولة الدعاية إلى الطابق العلوي لتتحدث إليها، ولكن دانا لم تظهر قط. والأغرب من ذلك، أن كيربل نفسه لم يكن له أثر.

وحين بلغت نايجل مكتب دانا، ألفَت مسؤولة الدعاية الغضة القوام جاثية على ركبتيها، تلملم حاجياتها الشخصية والدموع تترقرق في عينيها، وتكدسها في صندوق من الورق المقوى. رفعت دانا بصرها إليها، فرمقتها بعينين محمرتين تقدحان بالازدراء، ثم عادت إلى ما كانت فيه.

ليس بالأمر الهين.

تمالكت السفيرة نفسها هنيهة قبل أن تنطق بكلمة.

»آنسة دانيك، هل طلب منك سكوت كيربل أن تأتي إلى مكتبي؟«

»أجل، فعل.«

»وتجاهلت طلبه؟«

قالت بمرارة» :لم أعد أعمل لحسابك بعد اليوم.«

أخذت نايجل نفسا عميقا، ثم ولجت الغرفة وأغلقت الباب خلفها.

»دانا، أرى أنك مستاءة. وأنا أيضا كنت أكن لمَايكل هاريس معزة عميقة، ولكن«...

تمتمت دون أن ترفع بصرها» :هذا محض افتراء.«

أصرت قائلة» :لقد كنت أهتم لأمر مايكل، ولن أغفر لنفسي قط أني زججت به في طريق الخطر. لقد ضغط علي رؤسائي، وكان ذلك خطأ، وأنا أخجل منه. سأشرح لك كل شيء في وقت لاحق، ولكن من الأهمية بمكان الآن أن نجد ساشا فيسنا، وأنا بحاجة ماسة إلى مساعدتك.«

انفجرت دانا قائلة» :ولِمَ قد أساعدك أصلا؟! كان عليك أن تعلمي أن إرغام مايكل على الدخول في علاقة مع غريبة هو عين الخطأ، غريبة انتهى بها المطاف إلى قتله«!

أكدت لها نايجل» :ساشا لم تقتل مايكل. الحقيقة أن ساشا نفسها في خطر جسيم، وعلى الأرجح من الشخص ذاته الذي قتل مايكل، وأنا بحاجة إليك لتساعديني في العثور عليها في أسرع وقت ممكن.«

»ولِمَ كل هذا الاهتمام بها؟«

اقتربت نايجل منها وخفضت صوتها إلى همس» :دانا، يخجلني أن أقول هذا، ولكن ساشا، مثل مايكل تماما، ضحية لحكومتي .«*إنها عميلة لوكالة الاستخبارات المركزية... وهي لا تدري بذلك*» .أشعر بواجب مساعدتها .«

ثم صمتت، وهي تحدق في عيني دانا» .وأعتقد أن مايكل كان ليريدك أن تساعدي ساشا أيضا.«

ارتعشت الشابة فارعة القوام فجأة، فضمت ذراعيها حول نفسها وعضت على فكيها كأنما تحاول أن تحبس دموعها. تذكرت نايجل أنه عندما يكون شخص ما بجمال دانا دانيك الأخاذ، فمن السهل أن ينسى المرء مواطن ضعفه الإنساني.

قالت دانا بصوت متهدج» :لا يمكنني أن أثق بك مرة أخرى أبدا.«

أجابت نايجل» :ليس لدي ما أخشى فقدانه على الإطلاق. دانا، أنا أحاول أن أسترد روحي بأي ثمن. ومهما بلغت قيمة الأمر، فقد أحرقت آخر مراكبي للتو. لقد اتصلت برئيسي القديم وهددت حكومة الولايات المتحدة.«

نظرت إليها دانا نظرة تشكك» :رئيسك القديم؟ هل هددت مدير وكالة الاستخبارات المركزية؟«

»أجل، فعلت .«وابتسمت نايجل ابتسامة متكلفة» .كما قلت، لم يبق لي شيء أخشى فقدانه. لقد علمت للتو أخبارا مقلقة للغاية بشأن برنامج ساعدت في تسهيله، وأملي الوحيد في إيقافه وإثبات براءتي هو مقطع فيديو تلقيته للتو، اعتراف على فراش الموت أدلى به المسؤول الأول عن البرنامج«...

قال رجل من خلفها» :سيدتي السفيرة؟«

استدارت نايجل لترى وجه الرقيب سكوت كيربل يطل من فتحة الباب الضيقة التي كان قد فتحها بهدوء.

صرخت دانا» :معظم الناس يطرقون الباب.«

قالت نايجل» :سكوت؟ أين كنت؟ كان من المفترض«...

»أعتذر يا سيدتي .«بدا صوته صارما على غير عادته» .أخشى أنني تلقيت أمرا باحتجازك.«

حدقت نايجل في حارس أمنها الموثوق، ولم يساورها شك يذكر في حقيقة ما جرى للتو» .أمر من مدير وكالة الاستخبارات المركزية؟«

»أرجو أن تتفضلي معي.«

قالت دانا» :لا يمكنك اعتقال السفيرة! إنها رئيستك«!

هز كيربل رأسه» :نحن من جيش الولايات المتحدة.«

نظرت دانا إلى نايجل، التي أكدت الأمر بإيماءة من رأسها. فللأسف، يتلقى حراس الأمن من مشاة البحرية أوامرهم من مراتب عليا في هرم القيادة. والآن، ندمت السفيرة أشد الندم على قرارها بأن تعهد إلى كيربل بالحقيبة الدبلوماسية *.نسختي الوحيدة من الفيديو...*

»سيدتي السفيرة؟ «بدا على كيربل الانزعاج الشديد» .أرجو أن تتفضلي معي.«

»بالطبع يا سكوت. أحتاج فقط إلى لحظة. لقد قدمت الآنسة دانيك استقالتها، وأود أن أنفرد بها للحظة لأودعها«...

أمر صوت جهوري» :يداك أمامك «!وانفتح الباب على مصراعيه ليكشف عن جنديين آخرين من مشاة البحرية ينتظران خلف كيربل .بدا أنهما شعرا بواجب دعم قائدهما الذي لم تجدِ كياسَته نفعا.

قالت نايجل» :لا داعي للأصفاد. سآتي بهدوء، ولكني أود أن أتبادل كلمة سريعة مع الآنسة«...

صاح الجندي الأول وهو يتقدم عبر الباب» :هذا غير ممكن. أريني معصميك يا سيدتي.«

نظرت نايجل في ذهول إلى كيربل، الذي تحولت تعابير وجهه إلى برود قاطع في حضور زملائه.

أمر كيربل» :أعطه معصميك. ولا كلمة أخرى مع الآنسة دانيك. لدينا أوامر. لا مزيد من الاتصال بأي شخص. لقد أغلقنا مكتبك وسنفتشه، مع بقية أرجاء السفارة.«

»تفتيش؟ «شعرت نايجل بأن ورقتها الرابحة الوحيدة تفلت من بين يديها .

»بحثا عن... ماذا؟«

تجاهل كيربل السؤال والتفت إلى دانا» :آنسة دانيك، إذا كنت قد قدمت استقالتك، فعليك الخروج من السفارة فورا. هل هذا مفهوم؟«

»نعم... ولكن«...

»هل هذه أغراضك الشخصية في ذلك الصندوق؟«

أومأت دانا برأسها.

مشى كيربل إلى الصندوق، وألقى نظرة بداخله، ثم التفت إلى نايجل، فالتقطت عيناه عينيها للحظة بينما كان الجنديان الآخران يركزان على تقييد معصميها. راقبته وهو ينحني فوق مكتب دانا ويدون شيئا على ورقة ملاحظات لاصقة. ثم، في حركة واحدة انسيابية، مد يده إلى جيب صدر

بزته العسكرية، واستخرج الحقيبة الدبلوماسية التي أعطتها له نايجل، وألصق الورقة اللاصقة عليها، ودس الحقيبة في الصندوق، وأخفاها عن الأنظار تحت أغراض دانا.

هل فعل ذلك حقا؟!

بوجه كالصخر، عاد كيربل سائرا نحو نايجل، التي كانت مقيدة الآن بأصفاد نايلون مرنة من النوع الرسمي. وقال» :سيدتي السفيرة، أقترح عليك أن تتبعي أوامر هذين الرجلين دون تردد. هذا من أجل سلامتك.«

وقبل أن تتمكن نايجل من الرد، كان كيربل قد التفت إلى دانا مرة أخرى.

قال بصرامة، دون أن يدع مجالا للشك فيمن هو صاحب الأمر» :آنسة دانيك! انتهى الوقت، اجمعي صندوق أغراضك الشخصية وغادري هذا المكان فورا«!

بدت دانا خائفة وهي تتناول صندوقها الكرتوني وتندفع متجاوزة السفيرة المكبلة، متجهة مباشرة إلى المخرج.

إن نايجل في ورطة كبرى.

راقب سكوت كيربل ضابطيه وهما يصطحبان السفيرة إلى أسفل درج الخدمة نحو القبو. فبعد أن قضى حياته المهنية كلها في خدمة الدبلوماسيين، لم يلتق

قط بدبلوماسي حظي بإعجابه وثقته أكثر من هايدي نايجل .وكان قراره المباغت بالتمرد على الأوامر وحمايتها رد فعل غريزيا... انقيادا لحدثه... وقد فعل ذلك مخاطرا بمستقبله المهني مخاطرة ليست بالهينة.

ثمة أمر غير سليم هنا...

لم يقدم مدير وكالة الاستخبارات المركزية غريغوري جاد لفريق كيربل أي تفاصيل، بل أمرا مباشرا فحسب؛ وهو أن تُحتجز السفيرة في غرفة العمليات بالسفارة، تحت الحراسة، حتى إشعار آخر.

أمر شاذ كل الشذوذ.

والأغرب من ذلك أن المدير أمر بتفتيش دقيق لمكتب السفيرة الخاص لجمع كل الوسائط الرقمية، من حواسيب، وأقراص صلبة، وأقراص DVD، وذواكر USB ، وما إلى ذلك، وهو أمر لا يكون منطقيا إلا في حالتين اثنتين: إما أنهم يشتبهون في أن نايجل جاسوسة، وهو أمر سخيف، أو أن المدير يخشى أن تكون بحوزتها معلومات من شأنها أن تلحق الضرر بالوكالة نفسها.

شعر كيربل بالثقة في أن ما كان المدير يأمل في مصادرته قد غادر المبنى للتو... في صندوق من الورق المقوى مع دانا دانيك.

حافظي عليها آمنة، هكذا أخبرته السفيرة .*لا تذكريها لأحد.*

لم يكن لدى كيربل أي فكرة عن محتويات الحقيبة، لكنه كان يعلم أن دانا لن تجرؤ على فتحها أبدا. وعلاوة على ذلك، فإن مدير وكالة الاستخبارات المركزية سيكون آخر شخص قد تتصل به دانا بشأنها.

ولكي يطمئن قلبه، أضاف كيربل ورقة ملاحظات لاصقة مجهولة المصدر إلى الحقيبة:

د – لا تخبري أحدا بهذا الأمر. سيتصل بك شخص ما.

الحقيبة آمنة، هكذا فكر في نفسه .*في الوقت الحالي على الأقل.*

لم يقل كيربل شيئا لزملائه. كما أنه لم يذكر سلوك السفيرة الشاذ، بما في ذلك وصولها إلى السفارة سيرا على الأقدام ودون حراسة .*إن نايجل هي أكثر شخص قابلته في حياتي نزاهة*، ذكر نفسه .*من الواضح أنها متورطة في أمر لا أفهمه.*

ونظرا لأن السفيرة الآن قيد الاحتجاز، فقد رأى من الحكمة أن يستعيد سيارتها الخاصة، وينقلها من الشارع، ويضعها في ساحة انتظار السيارات بالسفارة مع بقية أسطول السيارات. ذهب كيربل إلى مكتب الأمن واسترجع مجموعة المفاتيح الاحتياطية التي يحتفظون بها لجميع مركبات

السفارة. ثم التفت إلى جهاز حاسوب لاستدعاء موقع جهاز التتبع المخفي الموجود في أي مركبة قد تقل السفيرة. كان كيربل يعلم أن السيارة قريبة، بما أن السفيرة قد عادت إلى مقر إقامتها سيرا على الأقدام، لكن استخدام إحداثيات GPS سيوفر عليه وقتا ثمينا في التجول في الشوارع.

انتظر لحظة حتى يتم تنشيط جهاز التتبع. وعندما ظهرت النقطة الوامضة على خريطة براغ، حدق كيربل في حيرة. لم تكن السيارة مركونة على مقربة من السفارة قطعا، كما كان متوقعا. بل كانت مركونة على بعد ثلاثة أميال... على قمة التل المشرف على حديقة فوليمانكا.

على بعد عدة طوابق تحت الأرض، اجتاز الغوليم قاعة جهاز SMES بخطى ثابتة نحو أسطوانات Cryofab الاثنتي عشرة المليئة بالهيليوم السائل. كانت قمة كل قارورة ضخمة تنتهي بحربة إلكترونية وصمام مقوى متصل بأنبوب معزول يغذي جهاز SMES. وعلى الجدار بالقرب من الأسطوانات، توهجت لوحة تحكم تحمل رسما تخطيطيا لجميع الأسطوانات الاثنتي عشرة وحالاتها المختلفة.

كانت الشاشة، في ظاهر الأمر، تنظم تدفق الهيليوم إلى كل أسطوانة. لم يكن لدى الغوليم أي فكرة عن كيفية استخدام هذه اللوحة، ولم تكن لديه

نية للمحاولة. فما كان يخطط له لا يتطلب أي دهاء. كانت هناك طريقة بسيطة جدا لوقف تدفق السائل فائق التبريد إلى جهاز. **SMES**

اقترب من الأسطوانة الأولى، وهي قارورة منتفخة من الفولاذ المقاوم للصدأ أطول منه قامة. انعكس وجهه المغطى بالطين عليها» .لست وحشا«، ذكر نفسه، عالما أن قشرته الخارجية، كقشرة كل إنسان، سراب يحجب الحقيقة الكامنة في الداخل» .أنا حاميها.«

وكما هو متوقع، عند قمة كل أسطوانة، بجانب فوضى الموصلات والصمامات الإلكترونية، كان هناك قاطع يدوي، صمام بعجلة يدوية يمكن للمرء تدويره في حالات الطوارئ لوقف تدفق الهيليوم.

ببساطة كمن يغلق صنبور ماء في حديقة.

ووفقا لكل ما قرأه، فإن التفاعل المتسلسل البطيء سيبدأ بمجرد توقف تدفق الهيليوم، مما يتسبب في بدء تسخين اللفائف فائقة التوصيل، وفقدانها لبعض من قدرتها على التوصيل، ومقاومتها للتيار... ومن ثم تبدأ حلقة مفرغة مميتة.

حرارة، فمقاومة، فحرارة، فمقاومة، فحرارة...

»بمجرد أن أغلق الصمامات«، قدر في نفسه، »سيكون أمامي نحو عشرين دقيقة.«

بعد ذلك الوقت، ستسخن اللفائف وتصل إلى درجة الحرارة الحرجة، "حد الإخماد"، وعندها سيبدأ كل الهيليوم السائل في النظام في الغليان... متحولا إلى غاز. تصور الغوليم فتحة الإخماد فوقه، والتي كانت الآن مغلقة بإحكام، وتخيل سحابة غاز الهيليوم المتمددة بسرعة تحاول الهروب بأمان في نافورة من بخار الهيليوم الجليدي.

لم يعد ذلك ممكنا،* فكر في نفسه *.اليوم سيكون السيناريو مختلفا.

ستجد سحابة الغاز المتمددة بسرعة أنه لا مفر لها، وستبدأ في تطبيق ضغط هائل على كل شبر من هذه القاعة المحكمة الإغلاق. بما في ذلك على أقراص التمزق.

أخذ الغوليم نفسا عميقا ومسح بنظره صف الأسطوانات. كان بوسعه بالفعل أن يتخيل الضغط في القاعة وهو يرتفع... ضاغطا على الجدران الخرسانية السميكة... مما يتسبب في انهيار أقراص التمزق في كل أسطوانة. وفجأة، سيتعرض نحو عشرين ألف لتر من الهيليوم السائل للهواء الطلق.

سيكون التفاعل المتسلسل فوريا ولا يمكن إيقافه، حدث تمدد كارثي، لا يقل في عنفه ودماره عن تفجير رأس حربي جبار في هذا الحيز الضيق.

الفصل المئة والثامن

وبينما كان لانغدون يهبط، وجد نفسه يود لو أن مفرّهما عبر الجدار المتراجع قد أفضى بهما إلى ضوء النهار، لا إلى هذا المنحدر الذي يهوي بهما حلزونيا في جوف الأرض. ورغم أنه كان من المنطقي أن يكون لملجأ من القنابل طابق سفلي – فمراكز القيادة النووية في جبل شايان وجبل يامانتاو قد شُيّد كلاهما تحت ما يربو على ألف قدم من صخر الغرانيت الصلد – إلا أن لانغدون كان يرجو أن يحمل ما جمعه من أدلة صاعدا بها إلى خارج" ثرشولد ..."لا أن يزداد توغلا في أحشائها.

ولعل من ولج" ثرشولد "خلفهما لا يشكل خطرا، إن حالفهما الحظ، بيد أن لانغدون وكاثرين لم يضيعا وقتا، بل بادرا بالهبوط ليوسعا الهوة بينهما وبين القادم من ورائهما. وبعد أن ظفرا أخيرا بالدليل الذي ينشدانه، كان عليهما الآن أن يجدا سبيلا للخروج.

وبينما كانا يهبطان في مسارهما الحلزوني، بلغا أسفل المنحدر، تماما في اللحظة التي تجسد فيها فوقهما صوت مفزع، قرقعة متلاحقة حثيثة لأحذية ذات نعل صلب على الخرسانة، تخبّ في خطاها. ما هذا بصوت عامل نظافة.

همس لانغدون» :علينا أن نسرع.«!

وعند قاعدة المنحدر، كان ثمة جدار آخر قابل للسحب، مطابق لذلك الذي في الأعلى. أسرعا بالولوج من خلاله ليجدا نفسيهما في رواق موحش يمتد لنحو ثلاثين قدما. وفي الضوء الخافت، كانت جدرانه وأسقفه وأرضياته السوداء المطموسة توحي بهالة ضريح أكثر منها هالة منشأة تقنية.

همست كاثرين» :إنه عالم آخر هنا في الأسفل.«...

أيا كان المكان الذي وصلا إليه، قدر لانغدون أن أمامهما أقل من عشرين ثانية ليجدا مخبأ. لقد تركهما المنحدر الحلزوني في حالة متزايدة من التيه، وبدا مخرج حصن الصليب يزداد بعدا مع كل خطوة. وخشي لانغدون الآن أن انكشاف أمرهما في هذا العمق السحيق سيؤدي إلى إطلاق جرس الإنذار، مما يجعل النجاة شبه مستحيلة.

هرولا في الردهة الجنائزية، ومرّا بنافذة طويلة عن يمينهما، تراءى لهما من ورائها بحر من الأنوار الدقيقة الخضراء والحمراء ينبض في العتمة. استطاع لانغدون أن يميز بالكاد خيالات عشرات من خزائن الحواسيب الضخمة المنتصبة داخل قفص شبكي.

همست كاثرين...» :درع فاراداي... لا بد أن تلك الحواسيب كمومية.«

لم يكن لانغدون يعلم سوى النزر اليسير عن الحواسيب الكمومية، إلا أنها تتطلب حجبا عن الأشعة الكونية وغيرها من أشكال الإشعاع. أهو سبب آخر لوجود" ثرشولد "تحت الأرض؟

وبينما كانا يمران بمدخل غرفة الحواسيب، لم تبطئ كاثرين خطوها، وكأنها تشاطره غريزته التي تحذره من أن يحبسا نفسيهما داخل قفص معدني حقيقي.

انعطف الرواق انعطافا حادا إلى اليسار، وما إن استدارا عند المنعطف حتى انقدحت أضواء خافتة أخرى، كاشفة عن قسم أطول بكثير من رواق أسود مماثل.

همست كاثرين وهي تشير إلى الطرف الأقصى من الردهة» :هناك.«!

إن ما كان ينتظرهما في الأمام قد بعث حقا في نفسيهما بصيص أمل، لكن لانغدون سمع الآن بوضوح صوت وقع الأقدام يتردد صداه خلفهما من جديد.

لن نصل في الوقت المناسب.

وعلى بعد، كانت الردهة تنتهي عند باب معدني، عُلّقت فوقه رسالة موشومة بأبلغ لغات الأرض وأكثرها عالمية، رمزٌ يُفصح عن معناه كله في لمح البصر.



لقد كان رمز الدرج الصاعد مشهدا يبعث على الارتياح، وشعر لانغدون بالثقة بأنهما إذا استطاعا الصعود عائدين إلى الطابق العلوي، فسيجدان طريقهما إلى مخرج الحصن عبر الدرب الذي سلكاه.

ولكن أنّى لنا أن نبلغ الدرج دون أن يرانا أحد، هكذا فكر وهو يسمع وقع الأقدام يزداد اقترابا.

كانت الردهة أمامهما تضم مدخلين آخرين، كلاهما على اليمين. ولكن للأسف، استطاع لانغدون أن يرى من مكانه أنه لا طائل من ورائهما.

الباب الأول، على مقربة منهما، كان يحمل لافتة كُتب عليها "غرفة التموين". وإذا كانت تشبه غرفة الإمدادات الطبية في الطابق العلوي، فإن المكان لم يكن إلا دهليزا طويلا من الرفوف ذات الأضواء التلقائية، ولا مخرج له. شرك مهلك.

أما المدخل الثاني، الذي يليه مباشرة، فكان أكبر بكثير ويقع متراجعا عدة أقدام في تجويف غائر. وأيا كان ما يكمن خلف الباب، فقد كان ذا شأن عظيم، إذ رأى لانغدون من هنا أنه مزود بجهاز أمني مألوف، قرص دائري من الزجاج الأسود.

ماسح ...RFID لم نعد نملك إذنا باستخدامه.

أخذ صوت وقع الأقدام خلفهما يعلو.

وبينما كانا يقتربان من باب غرفة التموين، أبطأ لانغدون حتى توقف وقد تجسدت في ذهنه فكرة. كان من أغمض أسرار الوعي وأعوصها، من أين تنبع الأفكار. زعمت كاثرين أن العقل جهاز استقبال يضبط موجته على حقل وعي أرحب. وزعمت غيسنر أن الدماغ حاسوب لا تفتأ مفاتيحه العصبية التريليونية تحل المعضلات.

لم يكن لانغدون في تلك اللحظة يأبه لمن منهما على صواب. فمصدر فكرته لم يكن ذا بال. كل ما كان يهم أنه أدرك فجأة، وبجلاء تام، ما يتوجب عليه فعله.

لم توقف؟!

استدارت كاثرين إلى لانغدون الذي كان يفتح باب غرفة التموين. كان من الواضح أنهما لن يتمكنا من الوصول إلى الدرج في نهاية الردهة دون أن يُكشف أمرهما، لكن الاختباء في غرفة التموين بدا ضربا من الانتحار.

أسرعت عائدة لتوقفه، لكن لانغدون كان قد ولج إلى الداخل بالفعل.

ومضت مصابيح الفلورسنت فوقه مباشرة لتضيء مدخل الدهليز الضيق من الرفوف الممتدة أمامهما في الظلام.

ودون تردد، تناول لانغدون زجاجة منظف سائل من على الرف، وكما يفعل لاعب البولينغ، قذف بالزجاجة في الممر الضيق بين الرفوف. فتدحرجت على الأرضية وانزلقت حتى بلغت نهايته دون أن تلامس أيا من الجانبين، مُشعِلةً في طريقها سلسلة من الأضواء التي تعمل بالحركة، حتى أضاءت أعمق خبايا غرفة التموين. وقبل أن ترتطم الزجاجة بالجدار البعيد، كان لانغدون قد تراجع إلى الردهة. أغلق الباب لكنه ترك فيه فجوة ضيقة، سمحت لشعاع ضئيل من ضوء الفلورسنت بالانسكاب في الرواق الخافت الإضاءة. ثم أمسك بيد كاثرين وسحبها بأقصى سرعة ممكنة في الاتجاه الذي كانا يسيران فيه، نحو باب الدرج الذي كان لا يزال على بعد أربعين ياردة على الأقل.

وبينما كانا يركضان، شعرت كاثرين بتفاؤل مفاجئ يغمرها، بعد أن أدركت للتو فطنة لانغدون .لسنا بحاجة للوصول إلى نهاية الردهة بعد...

وكما توقعت، عندما اقتربا من التجويف الغائر الذي يحوي ماسح RFID، انعطف لانغدون انعطافا حادا إلى اليمين، ساحبا كاثرين معه إلى داخل التجويف. كان التجويف ضحلا، لا يتجاوز عمقه ثلاث أقدام، فاستدارا ووقفا وظهراهما ملتصقان بمعدن الباب الثقيل البارد، وجعلا نفسيهما أطول وأنحل ما يمكن، على أمل أن يكون التجويف عميقا بما يكفي لإخفائهما عن الأنظار.

وبعد لحظة، دخل صوت وقع الأقدام إلى الردهة وتوقف.

ساد صمت طويل.

ثم سمعت كاثرين الصوت الذي لا تخطئه الأذن لمسدس يُلقم.

انفتحت عينا جوناس فوكمان فجأة، وأدرك أنه قد أغفى على مكتبه. لم يكن متأكدا من سبب استيقاظه المفاجئ، لعل صوت المطر الذي كان يجلد نافذته هو السبب، ولكن عندما نهض ليمد أطرافه، فوجئ بزحف الهلع البارد يعاوده من جديد.

طمأن نفسه قائلا: "كل شيء على ما يرام".RL&KSRGUD .

الفصل التاسع بعد المائة

وقف لانغدون وكاثرين جامدين كالصنمين، جنبا إلى جنب، وقد حبسا أنفاسهما. لقد كانا بحق في مأزق لا فكاك منه، وقد أسندا ظهريهما إلى جدار، أو بالأحرى، إلى باب فولاذي عريض أيما عرض. فعلى الرغم من أنهما قد انسلّا إلى هذه التجويفة خلسة دون أن يلمحهما أحد، إلا أن وصولهما قد شابه صوت مشؤوم لمسدس يُعَدُّ للإطلاق.

ظل لانغدون ساكنا لا حراك به، آملا أن تكون أضواء الفلورسنت المتوهجة في غرفة التموين مثيرة للريبة بما يكفي لتستدعي تفتيشا.

كل ما نحتاجه هو إلهاء لدقيقة واحدة.

وإن لم يكن... فقد وقعا في الشرك.

عادت وقع الأقدام من جديد، رويدا رويدا، وهي تقترب. وبعد ثوان معدودات حبست الأنفاس، رأى لانغدون منظرا أثلج صدره، بصيصا خافتا من ضوء الفلورسنت على الجدار البعيد .*أيا كان من هناك، فقد فتح باب غرفة التموين!*

فجأة، توارت أضواء الفلورسنت، وسمع لانغدون طقة باب غرفة التموين وهو يغلق .*هل ولج إلى الداخل؟ !* أرهف لانغدون السمع لعله يلتقط وقع

أقدام، فلم يكن ثمة إلا صمت مطبق. تحركت كاثرين إلى جانبه، وشعر بيدها وهي تتحسس طريقه إلى يده. وللحظة، ظن أنها تلتمس سندا عاطفيا، لكنه شعر بها وهي تدس جسما صغيرا في راحة يده. ألقى نظرة خاطفة فرأى مرآة مدمجة، كانت قد استلتها لتوها من حقيبتها.

فتح لانغدون المرآة بإبهامه، ومدها بحذر بمقدار بوصة واحدة فقط متجاوزا حافة التجويفة. وفي ذلك الانعكاس الضئيل، كان يأمل أن يرى ممرا خاليا. ولكنه بدلا من ذلك، رأى هيئة شخص تقترب، لا تخطئها العين، تتسلل نحوهما خلسة. كان رجلا متقدما في السن، ذا شعر فضي، يرتدي حلة داكنة ونظارة.

أيا كان ذلك الرجل، فإنه لم ينخدع. كان مسدسه مرفوعا، مصوبا في اتجاههما.

أطل إيفريت فينش من فوق فوهة مسدس سيغ ساور الممدود، واستطلع الممر أمامه. كان الدخيل على مقربة منه. فأيا كان من اخترق الطابق السفلي من ثرشهولد، فإنه لم يأت ليختبئ في خزانة تموين؛ بل أتى لغاية أخرى.

وإن كانوا قد بلغوا هذا المدى، فهم على وشك أن يكشفوا عن أخطر أسرار ثرشهولد وأشدها حساسية.

وبينما كان فينش يتقدم، ظل تركيزه منصبا على المخبأ الوحيد في الممر، مدخل الباب الغائر أمامه على اليمين، والذي كان من العمق بما يكفي لإخفاء أي شخص يقف ملاصقا للباب المعدني الثقيل.

لازم الجانب الأيسر من الممر، وتحرك بخطى حذرة، مبقيا مسدسه موجها نحو التجويفة. ومع تحسن زاويته، بدأ خط رؤيته يكشف عن داخل التجويفة. وعندما لمح أخيرا الحافة اليسرى للباب المعدني، اندفع فينش إلى الأمام بخطوتين واسعتين وانحنى، وأدار ذراعيه وسدد تصويبا قاتلا.

ويا لدهشته، كانت التجويفة خالية.

وقف لانغدون وكاثرين وجها لوجه، وقلباهما يخفقان بعنف.

ما الذي حدث للتو؟!

قبل ثوان، وبينما كانا يسندان ظهريهما إلى الباب الفولاذي العريض، كان لانغدون قد تراجع فزعا من انعكاس صورة رجل يتقدم نحوهما بمسدس. وبينما كان يضغط بقوة على الباب، شعر فجأة وكأنه يفقد توازنه، ولكن عيني كاثرين اتسعتا في ذهول، وأدرك لانغدون حينها ما الذي حدث.

إن الباب الثقيل خلفهما... قد تحرك.

انحنى لانغدون إلى الوراء بقوة مرة أخرى، وانضمت إليه كاثرين .كان الباب مزودا بنابض وصلبا، ولكن بينما كانا يثبتان أقدامهما ويدفعان نفسيهما إلى الخلف، انفتح الباب. لم يكن الأمر منطقيا بالنظر إلى وجود ماسح RFID، ولكن بينما انسل هو وكاثرين من خلاله، لاحظ لانغدون أن لوحة الإغلاق في عضادة الباب كانت محشوة بنوعٍ من النسيج الأخضر، لمنعها من الإقفال على ما يبدو.

من الذي أبقى هذا الباب مفتوحا؟!

وخوفا من الرجل المسلح في الممر، سحب لانغدون غريزيا المادة الخضراء من لوحة الإغلاق وترك الباب يغلق بهدوء. أحدثت البوابة طقة وأُحكم إغلاقها. مقفلة. أدرك الآن أن المادة التي في يده لم تكن نسيجا على الإطلاق، بل كانت من الفينيل أو المطاط، مجموعة من الأوراق الاصطناعية لا بد أنها انتُزعت من شجرة التين الصناعية الموجودة داخل الباب مباشرة.

همس لانغدون في دهشة» :ما أعجبه من حظ«!

بدت كاثرين أقل ارتياحا مما توقع» .إلا إذا كان ثمة من أراد أن يضمن لنفسه سبيل الخروج.«

»ماذا تقصدين؟«

أشارت إلى ماسح RFID ثان على الجدار بجانب شجرة التين.

»أنت بحاجة إلى بطاقة للخروج أيضا يا روبرت. لقد كان ثمة من يحاول أن يبقي هذا الباب مفتوحا... ولكننا للتو حبسنا أنفسنا في الداخل.«

أمسك الغوليم بعجلة التدوير على أسطوانة الهيليوم الرابعة ولفها إلى اليمين، تماما كما فعل مع الأسطوانات الثلاث الأولى. لقد دنت النهاية.

وبعد عدة دورات محكمة، أُغلق الصمام تماما، فأصدرت لوحة التحكم صفيرا عاجلا. تحولت أيقونة الأسطوانة رقم ٤ إلى اللون الأحمر OFF. : وها هي ذي أربعة مؤشرات متتالية تتوهج الآن باللون الأحمر تحذيرا، إلى جانب ثمانية مؤشرات لا تزال مضاءة باللون الأخضر.ON :

بدأ العملية من جديد للأسطوانة رقم ٥، يعمل ببطء مع دوران العجلة.

شق الغوليم طريقه على طول الصف، مغلقا كل صمام. وفي كل مرة كان يغلق فيها أسطوانة، كانت وحدة التحكم تصدر رنينا وتجري تعديلا، فتفتح تدفق الهيليوم إلى الأسطوانة الاحتياطية الجديدة التالية.

على الرغم من لهفته لإنهاء المهمة، تحرك الغوليم ببطء وحافظ على تنفس بطيء وعميق للمساعدة في منع نوبة أخرى. كان هدفه في مرمى البصر

الآن، وأجبر نفسه على توخي الحذر. وبينما كان يغلق كل صمام، كان يستعرض في ذهنه الخطوات التي سيتخذها للهروب.

عشرون دقيقة ستكون وقتا كافيا وزيادة...

دوى جرس إنذار عال الآن، منتشلا الغوليم من أفكاره.

كانت لوحة التحكم تومض بالتحذيرات وتصدر أصواتا متزايدة في إلحاحها. أظهرت شاشة العرض أن إحدى عشرة أسطوانة كانت متوقفة عن العمل. كل أسطوانة باستثناء رقم ١٢ كانت الآن مفصولة يدويا عن جهاز SMES. والأهم من ذلك، أن تسعا من تلك الأسطوانات كانت مدرجة على أنها ممتلئة بنسبة ١٠٠ بالمائة.

آلاف الكيلوغرامات من الهيليوم السائل في هذا الحيز الضيق.

أخذ الغوليم نفسا عميقا وراجع خطته للمرة الأخيرة، ثم وضع يده على عجلة التدوير للأسطوانة رقم ١٢.

»إنما أفعل هذا من أجلك يا ساشا«، فكر في نفسه وهو يبدأ في إغلاق الصمام.

لقد شُيّد ثرشهولد بدمك.

بدمنا جميعا.

توقفت العجلة عن الدوران، وقد أُغلقت تماما.

وها أنا ذا قد دمرته.

في مقر وكالة الاستخبارات المركزية في لانغلي، جلس المدير جاد وحيدا في غرفة الاتصالات الآمنة. كان يحاول صياغة الرد المناسب على مقطع الفيديو المروع الذي شهده للتو. كان فريق فني قد أزال الفيديو بالفعل من الإنترنت، ولكن ذلك لم يقدم عزاء يذكر؛ فأيا كان من استجوب غيسنر يمكنه ببساطة إعادة نشره في أي وقت.

لو تسرب هذا الفيديو، لم يكن لدى جاد أدنى شك في أنه سينتشر كالنار في الهشيم على الفور، في جميع أنحاء العالم. فهو لا يعرض التعذيب الوحشي لعالمة بارزة فحسب، بل يحتوي أيضا على اعتراف يكشف عن وجود مشروع استخباراتي أمريكي سري للغاية... بما في ذلك موقعه... وإنجازاته التقنية... واستخدامه لأشخاص خضعوا للتجارب قسرا.

ستكون العواقب وخيمة، على نحو لم تشهد له وكالة الاستخبارات المركزية مثيلا من قبل.

الفصل المئة والعاشر

وقف لانغدون يتأمل مليا في الحجرة الصغيرة التي لجأ إليها هو وكاثرين للتو هربا.

أيا كان هذا المكان... فقد أوصدتُ الباب علينا.

كانت الحجرة تبعث في النفس شعورا باللين، مغايرا كل المغايرة لذلك الرواق المعقم في الخارج؛ فقد افترشت أرضها السجاجيد، وانتصبت في أرجائها أشجار اصطناعية بدت وكأنها حقيقية، وزينت جدرانها طائفة من اللوحات التجريدية. وفي صدر الحجرة، انتصبت قنطرة مقوسة، رمقها بعين ملؤها الوجل والترقب. وخلفها، انحنى نفق خرساني فسيح إلى اليسار وتوارى عن الأنظار. وثلاثة أمور في هذا الممر أنذرت لانغدون بالشر في الحال.

أولا، كانت أنوار النفق منقدحة بالفعل، تلقي بضوء أزرق شاحب على الجدران الرمادية، مما يوحي بأن شخصا آخر قد يكون بالداخل. وثانيا، كانت أرضية النفق تنحدر إلى الأسفل، فتردد لانغدون في التوغل أعمق في جوف الأرض. وأخيرا، بدا جليا من بطاقات RFID اللازمة للدخول والخروج من هذه المنطقة أن النفق يفضي على الأرجح إلى أشد مناطق "ثرشولد "تحصينا، لا إلى مخرج.

لوهلة عابرة، راودت لانغدون فكرة الاستسلام، بوصفه الخيار الأسلم، بيد أن شكا متناميا أخذ يساوره بأن الرجل المسن الأنيق الذي يتعقبهما قد يكون هو السيد فينش نفسه، ذلك الرجل الذي، على حد قول السفير، لا يأخذ أسرى ولن يوقفه شيء لحماية" ثرشولد."

نحتاج إلى مكان نختبئ فيه... الآن.

لحق لانغدون بكاثرين في منتصف النفق، وسارا فيه حتى بلغا رواقا مقوسا آخر. كان هذا المدخل مؤطرا بحجر أسود أنيق، وله باب دوار عريض من الزجاج المصنفر. وقد نُقشت على سطحه الشفاف صورة مألوفة:

PRAGUE

تبادل لانغدون وكاثرين نظرة صامتة. بدا أن كل ما رأياه حتى الآن – جراحون آليون، ومختبرات واقع افتراضي، وخلايا عصبية اصطناعية، وشرائح حاسوبية – لم يكن إلا تمهيدا لما يكمن خلف هذا المدخل.

وفي دفقة من الإثارة التي يغذيها الخطر، تقدم لانغدون إلى الباب ودفعه فاتحا إياه بمقدار ما يسمح له أن يختلس نظرة إلى الداخل. ولدهشته، وجد بصره ينطلق على غير توقع، لا إلى وجهة أمامه، بل إلى الأعلى، إلى سماء شامخة مقببة.

وجد لانغدون نفسه يحدق صعدا في سقف عال مقبب، قبة مقعرة تضاء بلطف من الأسفل. ذكرته القبة الدائرية بقبة سماوية في مرصد فلكي، بيد أن لانغدون أدرك ما كانت عليه في سالف عهدها. إن القبة هي أقوى أشكال البناء المعماري. كانت هذه "قاعة الاحتماء من الانفجار" في ملجأ فوليمانكا، الغرفة الآمنة التي كان الناس يتجمعون فيها أثناء أي هجوم، أعمق بقاعها وأشدها منعة.

كان لانغدون قد رأى ذات مرة قبة سرية أخرى تحت الأرض، تملكها أيضا حكومة الولايات المتحدة، مخبأة تحت ملعب الغولف في منتجع غرينبرير في وست فرجينيا .ولأكثر من ثلاثة عقود، ظل ملجأ الكونغرس الأمريكي الخاص من التداعيات النووية، ملجأ غرينبرير، أحد أفضل أسرار أمريكا المحفوظة حتى نشرت صحيفة" واشنطن بوست "تحقيقا استقصائيا عنه في عام **1992**.

خفض لانغدون بصره وألقى نظرة حول القاعة نفسها. هذا ليس مرصدا فلكيا بالتأكيد. كانت الحجرة شاسعة ومستديرة تماما، ولا تشبه أي شيء رآه لانغدون في حياته كلها.

ما هذا المكان؟

خطت كاثرين إلى القاعة المقببة مع لانغدون، تملؤها الحيرة. للوهلة الأولى، بدت وكأنها تصوير لجسر قيادة في مركبة فضائية مستقبلية.

هيمنت على مركز القاعة منصة دائرية مرتفعة، انتظمت عليها في حلقة ما لا يقل عن عشرين محطة عمل مصقولة، ووجهت جميعها إلى الخارج. وكانت كل نقطة قيادة تتألف من قمرة قيادة متقنة الصنع، أشبه بجهاز محاكاة طيران.

وعندما خفضت كاثرين بصرها إلى الأرضية الرئيسية، وجدت نفسها عاجزة عن فهم ما تراه هناك. فعلى السجادة الوثيرة التي تغطي الأرضية المحيطة بجسر القيادة، انتشرت في نسق نجمي بديع كوكبة من الكبسولات المعدنية المصقولة، منخفضة الارتفاع، تشع إلى الخارج كما تشع أسلاك العجلة من محورها. كانت كل كبسولة لامعة تشبه قطعة فنية حديثة، هيكلا بسيطا شبيها بالطوربيد من المعدن الأسود المصقول، يبلغ طوله ثلاثة أمتار، ويصطف بمحاذاة نقطة القيادة الخاصة به على الجسر.

تقدمت في حيرة نحو أقرب كبسولة، فرأت الآن أن الجزء العلوي من كل منها كان في الواقع لوحا محدبا من الزجاج المعتم، مصمما بإتقان تام بحيث لا تظهر فيه أي فواصل. أمعنت النظر من خلال الزجاج لكنها لم تر سوى الظلام في الداخل.

همست كاثرين عندما وصل لانغدون بجانبها» :ما هذه الأشياء؟.«

تأمل الكبسولة لحظة ثم انحنى ولمس زرا غائرا في جانبها. فانطلق هسهسة هواء، أشبه بصوت تفريغ الفراغ، وانفتح الغطاء الزجاجي للكبسولة إلى الأعلى على مفصلة، كباب طائر النورس. انقدحت أضواء خافتة في الداخل، كاشفة عن مقصورة مبطنة تشبه كبسولة نوم مستقبلية.

أو... نعش.

قال لانغدون» :تبدو كنسخة متطورة من الكبسولة التي رأيناها في مختبر غيسنر.«

أومأت كاثرين برأسها، وهي تتفحص القيود اللاصقة وموصل المحلول الوريدي. من الواضح أن هذه الآلة كانت سليلة ذلك النموذج الأولي البدائي الذي رأيا فيه جثة غيسنر ...آلة الإحياء المعلق القادرة على إبقاء مريض في حالة حرجة على عتبة الموت لساعات.

وبالإضافة إلى كونها أكبر وأكثر صقلا من سابقتها، احتوت هذه النسخة على مهد رأس متخصص ببطانة جلدية فاخرة وفتحة بحجم الجمجمة. كانت الفتحة تشبه إلى حد كبير "تجويف الاستشعار" في جهاز تخطيط الدماغ المغناطيسي، وهي المنطقة المجهزة بمستشعرات مغناطيسية للكشف عن النشاط العصبي، رغم أن كاثرين افترضت أنه إذا كانت شرائح الدماغ

متورطة في الأمر، فمن المحتمل أن الفتحة تحتوي على نوعٍ من تقنية المجال القريب أو النطاق فائق العرض المستخدمة عادة للتفاعل مع زراعات الدماغ.

اتصال لاسلكي مباشرة عبر الجمجمة، هكذا فكرت وهي تشعر بقشعريرة.

إذا تم زرع شريحة دماغية متكاملة تماما بتقنية H2M في شخص ما...

وكانت تلك الشريحة قادرة على المراقبة في الزمن الحقيقي...

شعرت كاثرين بدوار خفيف، إذ بدأت تدرك على وجه الدقة الغاية التي صُممت من أجلها هذه القاعة. من المدهش أنها وروبرت كانا يناقشان الموضوعِ طوال فترة ما بعد الظهر... حالات الوعي المتغيرة، والتجارب خارج الجسد، ورحلات العقاقير المهلوسة، ونشوة ما بعد نوبة الصرعِ.

تدافعت إلى ذهنها الآن كوكبة من المفاهيم: مرشحات الدماغ، والاتصال الكوني، وقدرة البشرية الكامنة على لمْح طيف أوسع بكثير من الحقيقة.

أدركت الآن أن هذه التوابيت اللامعة كانت القطعة الأخيرة في مشروع بحثي كانت ستعلنه، قبل أقل من ساعة، مستحيلا تماما.

هل يحدث هذا حقا؟

وإلى جانبها، رفع لانغدون عينيه عن الكبسولة وألقى نظرة شاملة على القبة بأكملها» .ولكني لا أفهم... ماذا يحدث في هذه القاعة؟.«

كان جواب سؤاله، كما أدركت كاثرين، بسيطا بقدر ما هو محيّر للعقل. لقد صُمم هذا المكان للكشف عن أكثر أسرار الحياة غموضا... حالة العقل المتغيرة المطلقة... التجربة الإنسانية الأكثر استعصاء على الإدراك.

وبينما استقر ثقل اللحظة عليها، مدت كاثرين يدها وأمسكت بيده في هدوء.

همست» :يا روبرت، لقد بنوا مختبرا للموت.«

الفصل الحادي عشر بعد المئة

مَعملٌ للموت.

لمّا أخذ لانغدون يستوعب أبعاد ما كشفت عنه كاثرين من حقيقةٍ مُذهلة، تواردت على ذهنه أسئلةٌ جديدةٌ كالسيل المنهمر. لِمَ قد تعكف وكالة المخابرات المركزية على دراسة الموت؟ وما الذي يأملون أن يظفروا به من وراء ذلك؟

وعلى الرغم مما وجده لانغدون في فكرة فهم الموت من إثارةٍ فكريةٍ بالغة، فقد استبدّ به خوفٌ من أن تكون هذه الحجرة قد أُعدت لغايةٍ أشد قتامةً من مجرد دراسة الوعي البشري أو كُنه الموت. إن فظاعة إخضاع إنسانٍ "لحالة الموت" لأي سببٍ غير الإبقاء على حياته، ليبدو فعلاً شنيعاً تأباه الضمائر. حتى وإن كان المريض تحت تأثير المخدر، أو كان لا يعي من تجربته شيئاً...

قالت كاثرين وهي تتوغل بين صفوف الكبسولات" :لا بد لي من أن أعرف كل شيء عن هذا البحث".

فحثها لانغدون قائلاً" :علينا أن نمضي في طريقنا"، وألقى نظرةً قلقةً صوب المدخل.

وسرعان ما لحق بها مشيراً إلى الجانب الأقصى من القبة، حيث عُلّقت لافتةٌ كُتب عليها .*SYSTEM/UTILITIES*استبعد أن يكون لغرفة الخدمات مخرج، ولكنها على الأقل قد توفر مخبأً أفضل مما هما فيه، ولم يرَ لانغدون خياراً أجدى من ذلك. فلا مخرج يبدو في الأفق.

أسرعا الخطى بين متاهة الكبسولات، وحين بلغا منتصف القبة، تبين للانغدون أن بلوغ منطقة الخدمات لا يكون عبر باب... بل من خلال فتحةٍ مستطيلةٍ كبيرة في الأرض.

أإلى أعماقٍ أبعد في جوف الأرض؟

سواء أكانت تلك الفتحة تؤدي إلى درجٍ، أم سلم، أم ضربٍ من المصاعد، فإن فكرة النزول إلى ما هو أعمق في باطن الأرض لم تكن مما يروق للانغدون.

ولكن تبين أن النزول لم يكن خياراً متاحاً على أي حال.

فقد دوى خلفهما صوت طلقةٍ ناريةٍ يصم الآذان. وتردد صدى السلاح الرهيب في أرجاء القبة الشاهقة. استدار لانغدون وكاثرين في آنٍ واحد، وقد تسمّرا في مكانيهما، بينما أقبل عليهما الرجل ذو الشعر الفضي في حلته الداكنة، موجهاً سلاحه نحوهما.

قال بهدوء وصوته لم يكن غريباً، إذ حمل تلك اللهجة الجنوبية ذاتها التي سمعها لانغدون عبر مكبر الصوت مع السفيرة" :أحسب أنني أمام الدكتورة سولومون والبروفيسور لانغدون؟"

فينش.

قال وهو يقترب" :إنكما تلعبان لعبةً محفوفةً بالمخاطر، وأخشى أنها لن تنتهي على خيرٍ لكما".

كان فينش يدرك تمام الإدراك أنه ليس ثمة ما هو أشد وقعاً من صوت إطلاق النار في مكانٍ مغلق. ففي الأفلام، يدفع الناس إلى الهرب، أما في واقع الحياة، فإن له أثراً يشلّ الحركة. وقد سرّه أن يرى لانغدون وسولومون وقد تسمّرا في مكانيهما، رافعين أيديهما، كاشفين عن راحتيهما، في إشارة الاستسلام المتعارف عليها عالمياً. لقد وقع خصماه الآن في دائرة رد الفعل، وباتت كل الأوراق في يد فينش.

أمرها قائلاً خشية أن تكون قد أخفت سلاحاً في حقيبتها" :ضعي حقيبتكِ أرضاً، يا دكتورة سولومون".

أطاعت سولومون الأمر، ووضعت حقيبة كتفها على الأرض. وحين فعلت ذلك، لمح فينش أن الحقيبة تحوي ملفاً أسود سميكاً... لا شك أنه إحدى الوثائق السرية التي جمعاها في طريقهما.

إنكما تجعلان الأمر يسيراً عليّ.

فكل الدلائل تشير إلى أن هذين المتسللين قد اقتحما للتو مشروعاً حكومياً سرياً وسرقا موادّ بالغة السرية. ولو أرداهما فينش قتيلين، لما كان هناك تحقيقٌ يُذكر، لا سيما وأنهما قد توغلا إلى هذا الحد في منشأةٍ محظورة. ومن عجيب المفارقات أن الموت هو تحديداً ما صُممت هذه الغرفة من أجله.

ومع ذلك، كان على فينش أن يستجوبهما أولاً... وأن يعرف من غيرهما ضالعٌ في هذا الأمر، وكيف. لا ريب أن السفيرة نايجل مذنبة، فهي لم تتجاوز فينش فحسب، بل هددت الوكالة أيضاً. يا لها من فكرةٍ بالغة السوء. ولا شك أن المدير جاد قد احتجز السفيرة الآن وسيتعامل معها بما تقتضيه الحال.

الورقة الغامضة هي ساشا فيسنا، هكذا فكر وهو يتذكر عصا الصرع التي وجدها في الطابق العلوي. كان لا يزال يجاهد ليصدق أن ساشا قد قتلت شخصين .*تلك أسئلةٌ لوقتٍ لاحق*، قال في نفسه .*أما الآن، فعليّ أن أتدبر الأمر الذي بين يدي... أسيريّ هذين.*

من الناحية الاستراتيجية، لم يكن من المنطقي أن يقتاد فينش لانغدون وسولومون خارج المبنى تحت تهديد السلاح. فعلى الرغم من لياقته البدنية العالية وهو في السبعين من عمره، فإن قصر قامة فينش لن يكون نداً

للانغدون فارغ الطول إذا ما ساءت الأمور، كما أن الطريق الطويل عودةً إلى الحصن يتيح فرصاً أكثر مما ينبغي لهجومٍ مباغت. إن نقطة الوصول الثانوية لمنشأة ثرشولد أقرب، ولكنها تُستخدم حالياً لأعمال البناء، ويحرسها جنودٌ أمريكيون. وخروج فينش ومعه أمريكيان تحت تهديد السلاح من شأنه أن يثير أسئلةً كثيرة.

إذن، فلننتظر، هكذا قرر، بعد أن استدعى الدعم فور عثوره على جثة هاوسمور *.النجدة في الطريق.*

سيجري الاستجواب في ثرشولد، هكذا قرر فينش بفخر. فمنشأته توفر سريةً وفعاليةً منقطعتي النظير. ويمكن استخدام كبسولات الـ **EPR** كوسيلة إقناعٍ بالغة التأثير، كما أن صيدلية ثرشولد تزخر بالمواد المساعدة على الاستجواب، بما في ذلك عقاقير إضعاف الذاكرة إذا ما اقتضى الأمر أن يصبح "كل هذا كأن لم يكن."

وبينما كان فينش يتقدم ببطء نحو أسيريه، شعر بثقةٍ تامةٍ بأن الموقف تحت سيطرته بالكامل. وكان سهوه الوحيد – وهو سهوٌ بسيط – أنه لم يتفحص الطلقات في مسدس هاوسمور، ولكنه لم يلحظ أي أثرٍ لتبادل إطلاق نار في الطابق العلوي، فكان على يقين شبه تام بأن مخزن سلاحها من طراز **SIG Sauer P226**يكاد يكون ممتلئاً.

كان فينش يفضل ألا يستخدم السلاح – ليس بعد على الأقل – ولكنه كان يعلم أنه لن يجد مناصاً من ذلك إن قرر لانغدون وسولومون الاندفاع نحوه .*عليّ أن أُبقي على هدوئهما* .إن أنجع وسيلةٍ للسيطرة على الأسرى هي صرف انتباههم بأفكارٍ أخرى. ولحسن الحظ، كان لانغدون وسولومون لا يزالان على ما يبدو مأخوذين بما وجداه هنا، وكلما زاد فينش من شرحه عن ثرشولد، اتضح للوكالة أن لانغدون وسولومون قد عرفا أكثر مما ينبغي لهما أن يُطلقا حرين بعده. أبداً.

صاح لانغدون حين بلغ فينش أمامهما، وسلاحه مصوبٌ إلى صدريهما" :لا داعي لإطلاق النار، سنوقع على اتفاقيات عدم الإفصاح الخاصة بك. فقط أخبرنا بما تريد".

أجاب فينش ببرود" :أوه، لقد فات أوان ذلك، لقد اقتحمتما منشأةً سريةً للغاية، ورأيتما أكثر مما ينبغي".

فقالت سولومون بنبرةٍ ساخطة" :هذا صحيح، لقد رأيت أنك سرقت براءة اختراعي".

إن افتقارها الظاهر للخوف قد أنبأ فينش بأنها لم تدرك بعد حقيقة الخطر الذي يحدق بها. فقال بهدوء" :نحن لم نسرق شيئاً يا دكتورة سولومون، فأنتِ لم تملكي براءة اختراع. وكما تذكرين، فقد قوبل طلبكِ بالرفض".

فتساءل لانغدون في حدة" :ولكن لِمَ كل هذه المناورات التكتيكية؟! لمَ لم تتصلوا ببساطة بكاثرين أو بالناشر الذي تتعامل معه وتشرحوا"...

قاطعه فينش قائلاً" :لأننا لسنا بحمقى، سل الدكتورة سولومون عن شعورها حيال مشاركة أبحاثها مع الجيش الأمريكي. لقد أدلت ذات مرةٍ بمقابلةٍ إذاعيةٍ دامغةٍ حول ذلك. لم أستطع المخاطرة بأن تفضح الأمر وتكشف عن مخاوف الوكالة. فضلاً عن ذلك، يا سيد لانغدون، لم يكن لدينا وقت. لقد تفجر كل هذا فجأةً الليلة الماضية"...

قاطعته كاثرين وهي تتفحص كبسولات الـ EPR بدهشةٍ لا تخفيها" :أي تجارب تجرونها هنا؟! هل تدرسون الموت؟"

سألها فينش وهو يومئ برأسه إيماءةً تنذر بالشر نحو أقرب كبسولةٍ إليهما : "كم تودين أن تعرفي؟ ادخلي وسأريكِ".

قال لانغدون" :لن يكون ذلك ضرورياً. خذ ملفك السري. وسنوقع على اتفاقيات عدم الإفصاح. لقد رأينا بعضاً من منشأتكم، ولكننا لم نفهم منها شيئاً تقريباً".

ضحك فينش وقال" :أشخاص أذكياء يتظاهرون بالغباء؟ ليس ذلك مقنعاً أبداً أيها البروفيسور. اسمح لي أن أنير بصيرتكما".

قال لانغدون" :أرجوك لا تفعل، أظن أننا نفضل ألا نعرف ما تفعلونه هنا في الأسفل".

فقال فينش بابتسامة" :حسناً، لا يبدو هذا منصفاً، بالنظر إلى أن الدكتورة سولومون قد ساهمت في بنائه".

كان الغولم قد خطا على المصعد الهوائي ليصعد عائداً إلى الحجرة المقببة حين انطلقت الطلقة النارية. فزع، وخطا على الفور إلى الخلف، منتظراً في صمتٍ تحت الفتحة.

كان الحديث الدائر في الأعلى مسموعاً بوضوحٍ تام.

رجلٌ مسلح قد احتجز رهينتين في القبة، وقد خاطبهما باسمي الدكتورة سولومون وروبرت لانغدون .لم يكن لدى الغولم أدنى فكرةٍ عن سبب وجود الأمريكيين هنا، ولكن أياً منهما لم يكن يستحق الموت.

أما الرجل الذي يحمل السلاح، فإنه يستحقه بكل تأكيد. لقد أدرك الغولم على الفور أن هذا هو إيفريت فينش، الذي كان، بحسب جيسنر، العقل المدبر وراء ثرشولد.

رأس الأفعى. ها هو ذا ماثلاً بشحمه ولحمه.

لقد قدم الكون للتو للغولم هديةً غير متوقعة – فرصة القضاء على من خان ساشا خيانةً عظمى... الرجل الذي أنشأ بيت الأهوال هذا.

ورغم أن فكرة قتل فينش كانت مغرية، إلا أن المهمة بدت شبه مستحيلة. لم يكن بحوزة الغولم سوى مسدس صعقٍ لم تتبق فيه سوى طلقة واحدة – لا يضاهي سلاحاً نارياً – وإذا ما صعد على المنصة الهوائية، فسيظهر من الأرض على مرأى من الجميع في مؤخرة الحجرة المقببة، مكشوفاً تماماً.

***الوقت يمضي*، ذكر نفسه، مقدراً أنه لم يتبق لديه سوى خمس عشرة دقيقةً أو نحو ذلك قبل أن تنفجر هذه الغرفة وتتحول إلى قنبلة ضغط كارثية.**

إن الانتظار هنا طويلاً يعني موتاً محققاً، وتساءل عما إذا كان عليه أن يركض عائداً عبر ممر الخدمات الطويل إلى قبو الـ SMES ويحاول إيقاف الانفجار. لقد تطلب إغلاق عجلة البوابة المنيعة للهواء جهداً كبيراً وهو في طريقه للخروج، وخشِي أن الطاقة اللازمة لفتحها مرةً أخرى قد تفوق طاقته.

***مقامرة خطيرة من دون عصاي*، فكر في نفسه.**

شعر الغولم بأنه مستعدٌ لمقايضة حياته بحياة السيد فينش، لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع اتخاذ هذا القرار نيابةً عن ساشا .فإذا لم يهرب ويطلق سراحها، فإنها لن ترى نور النهار مرةً أخرى أبداً.

الفصل الثاني عشر بعد المئة

في وهج القبة الطيفي، وقد أحاطت بهما من كل صوبٍ كبسولاتُ الحياة المعلقة، وقف روبرت لانغدون إلى جوار كاثرين يرمق آسرهما بنظرات فاحصة.

كان إيفريت فينش قد نأى بنفسه عنهم مسافة أمان لا تقل عن خمس ياردات، مستندا في أريحية إلى إحدى الكبسولات، ومصوبا سلاحه نحوهما ببرود.

وبالنظر إلى الظروف العصيبة، كانت هيئة فينش تنم عن سكينة تبعث على القلق في النفوس. لقد أحاط بهذا الرجل تجردٌ قاسٍ كالصقيع، يوحي بأنه رجل لا يتورع عن فعل أي شيء تقتضيه الضرورة.

استهل فينش حديثه قائلا" :إن زمام المستقبل سيكون في قبضة أولئك الذين يبتكرون أول واجهة حقيقية للتخاطب بين الإنسان والآلة. تواصلٌ سلس بين البشر والتقنية؛ لا طباعة، ولا إملاء، ولا مشاهدة... بل محض تفكير. إن التداعيات المالية وحدها لكفيلة بخلق قوة عظمى جديدة في العالم، لكن تطبيقاتها العملية، لا سيما في ميدان العمل الاستخباري... تفوق كل تصور."

خال للانغدون أن تقنية H2M قابلة للتطبيق، إن وقعت في الأيدي الخاطئة، لقادرة على أن تجعل من أسوأ كوابيس أورويل مجرد حلم يقظة مسلٍّ.

وتابع فينش" :لهذا السبب، دأبت وكالة المخابرات المركزية (CIA) على العمل دون كلل لمجاراة عمالقة التقنية الحيوية – أمثال Neuralink و Kernal و Synchron وغيرها – وكلها تملك خزائن تمويل لا ينضب لها معين، وتسعى إلى ذات الغاية: أن تكون أول من يبتكر شريحة دماغية قادرة على تحقيق تواصل حقيقي فائق السرعة بين الإنسان والآلة. ولحسن حظنا، فقد واجهت جميعها العقبة الكأداء ذاتها."

قالت كاثرين" :الواجهة. كيفية ابتكار عصبونات اصطناعية."

أومأ فينش برأسه قائلا Neuralink" :أحرزت نجاحا متواضعا، ولكنه لا يرقى أبدا إلى المستوى المطلوب. لقد تبين أن الحلقة المفقودة هي تصميمٌ حالف الحظ وكالة المخابرات المركزية (CIA) بأنها ما فتئت تطوره على مدى عقدين من الزمن."

قال لانغدون" :مأخوذ من براءة اختراع كاثرين."

"أكرر القول، الدكتورة سولومون لا تملك أي براءة اختراع. ولو كانت تملكها، لكنا قد استولينا عليها باسم الأمن القومي. إن التحدي في ممارسة

حق نزع الملكية للمصلحة العامة يكمن في أن الإجراءات قد تكون موضع نزاع وعرضة للأنظار، مما يفشي في كثير من الأحيان ما تحرص الوكالة على إبقائه طي الكتمان."

صاحت كاثرين مطالبة إياه بالجواب" :ماذا تفعلون بتصميمي؟ وما هو 'ثرِشولد'؟"

خلع فينش نظارته بيده الحرة، وأدار عنقه ببطء" .يا دكتورة سولومون، لربما تذكرين حين ابتكر معهد كاليفورنيا للتقنية (Caltech) شريحة تندس في القشرة البصرية للدماغ، وكانت قادرة فعليا على 'رؤية' كل ما يراه المضيف بعينيه."

أجابت كاثرين" :أذكر ذلك يقينا. كانت تلك الشريحة تلتقط الإشارات الضوئية المارة عبر العصب البصري، فتترجمها، وتبثها على هيئة فيديو حي."

لم يكن لانغدون على دراية بتلك التقنية، لكنها بدت له في جوهرها أشبه بكاميرا GoProداخلية، وسيلة للنظر من خلال عيني شخص آخر.

هل يرصد "ثرِشولد" ما تراه العينات الخاضعة للتجربة؟ إن كان الأمر كذلك، فهذا ضرب جديد كليا من المراقبة. رفع لانغدون بصره إلى

شاشات الفيديو التي تحيط بالقبة، وتخيل بثا مباشرا من منظور أناس يمضون في حياتهم اليومية. ولكن، ما الداعي إذن لهذه الكبسولات؟

قال فينش" :لقد كانت الوكالة تعمل على شيء مماثل، نسخة متفوقة بمراحل على تلك الشريحة، نسخة بوسعها أن ترصد ما يُعايَن ليس بالعينين... بل بعين البصيرة."

استدعت عبارة "عين البصيرة" في ذهن لانغدون صور نقطة "البندي" الملونة التي توضع بين الحاجبين لترمز إلى بوابة الحكمة الروحية، والتي تسمى أيضا "العين الثالثة."

قال فينش، وكأنه استشعر حيرة لانغدون" :عين بصيرتك أيها البروفيسور، هي الآلية التي يرى بها دماغك دونما حاجة إلى عينيك. حين تغمض عينيك وتستحضر صورة منزل طفولتك، تظهر لك صورة حية. تلك هي عين بصيرتك. إن دماغك لا يحتاج إلى مدخلات بصرية ليستحضر صورا مفصلة. فهو يعاين باستمرار الذكريات، والأوهام، وأحلام اليقظة، والتخيلات. وحتى حين تنام، يستحضر دماغك صورا في هيئة أحلام وكوابيس."

قالت كاثرين وقد غلبها الذهول" :لا يمكن أنكم قد بنيتم حقا "...ثم صمتت تبحث عن الكلمات المناسبة.

أجاب فينش بشيء من الزهو" :لقد فعلنا. لقد ابتكر 'ثرِشولد' شريحة قادرة على معاينة محتوى عين البصيرة. وبوسعنا الآن أن نرصد الطيف الكامل للصور التي يستحضرها الدماغ... نراها تتكشف أمامنا لحظة بلحظة، وبكامل تفاصيلها."

من نظرة الذهول البادية على وجه كاثرين، أدرك لانغدون أن هذا يمثل إنجازا مذهلا في ميدان علوم الدماغ. كان على علم بأن عالما في جامعة كيوتو قد أعلن مؤخرا عن تقنية تسجل الأحلام وتعرضها كفيلم تقريبي، وإن بدت طريقته بدائية، إذ استخدم الذكاء الاصطناعي لترجمة بيانات الأحلام المأخوذة من جهاز الرنين المغناطيسي (**MRI**) إلى صور مقربة. أما ما يصفه فينش، فبدا أشبه بقفزة نوعية هائلة.

هل يستطيع "ثرِشولد" التجسس على الخيال؟

تساءل لانغدون عما إذا كانت هذه التقنية تتصل بنظرية كاثرين عن الدماغ كجهاز استقبال. ففي النهاية، إذا استطاعت شريحة أن ترى صورة تتجسد في الدماغ، فربما بوسعها أيضا أن تخبرنا من أين أتت الصورة. هل كانت مخزنة داخل الذاكرة المادية، كما يزعم الماديون؟ أم أنها كانت تتدفق من الخارج، كما تعتقد كاثرين في نموذجها للوعي غير الموضعي؟

سألت كاثرين وقد استعادت رباطة جأشها" :هذه الشريحة... أتعمل حقا؟ إن تقنية كهذه يمكن أن تكون لها تداعيات هائلة على أبحاث الوعي."...

قال فينش" :أتصور ذلك. أما 'ثرِشولد' فينصب تركيزه حصرا على الأمن القومي."

رأى لانغدون لون كاثرين وقد امتقع قليلا وهي تستدير وتتفحص كبسولات EPR المصقولة المنتشرة تحت القبة. وهمست وهي تعود بنظرها خائفة إلى فينش" :الحياة المعلقة... هل تضعون الخاضعين للتجربة على حافة الموت... وترصدون ما يرونه؟ أترصدون تجارب الاقتراب من الموت؟"

أجاب فينش" :بمعنى ما، نعم، بالطبع. فكما تعلمين جيدا، إن تلك 'العتبة' الدقيقة الفاصلة بين الحياة والموت هي موطن غيبي."

صمت فينش هنيهة، كأنه يترك لكلماته وقْعها في النفس.

عتبة. ثرِشولد.

لم يفكر لانغدون في المصطلح بهذه الطريقة حتى الآن.

استطرد فينش" :أولئك الذين يحومون على شفا الموت سيرون أشياء، ويعلمون أشياء، ويدركون أشياء تتجاوز في العادة متناولنا. لقد دأبت

الوكالة على إجراء أبحاث نفسية لما يقرب من نصف قرن، بهدف تسخير القوة الكامنة للعقل البشري لغرض جمع المعلومات الاستخبارية. لقد وظفنا الوسطاء الروحانيين، والمستبصرين، وأصحاب الرؤية عن بعد، والمتخصصين في التنبؤ، وحتى الحالمين بوعي. ولكن ألمع العقول في العالم لا تقترب من تحقيق ما يمكن تحقيقه في تلك الحالة المعدلة من الوعي التي تصاحب الموت."

هذا ما كتبت عنه كاثرين بالضبط... أدرك لانغدون ذلك، مستذكرا نظريتها حول كيمياء الموت: حين نموت، تتهاوى مستويات GABA، وتتلاشى مرشحات أدمغتنا، فنستقبل نطاقا أوسع بكثير من الحقيقة.

لم يستطع لانغدون إلا أن يشعر بأنه إذا كان الإدراك المعزز هو حقا تلك الهبة الغيبية التي تصاحب الموت، فإن تسخيره لأغراض الاستخبارات العسكرية هو ضرب من تدنيس المقدسات.

قال فينش" :إن التحدي يكمن في أن تجارب الاقتراب من الموت عابرة ومربكة. حين تعود منها وتحاول استذكارها، يشبه الأمر محاولة تذكر حلم في الصباح؛ تكون الصور ضبابية وسرعان ما تتلاشى."

قالت كاثرين وقد اعتلت وجهها الدهشة" :والآن يمكنكم تسجيل التجربة؟"

"أجل، وفضلا عن ذلك، بإمكاننا إدخال مرشدين من الخارج يراقبون ما يجري في وقته الحقيقي ."أشار فينش إلى صف قمرات القيادة وشاشات الفيديو، التي ترتبط كل منها بكبسولة شبيهة بالتابوت" .حين يبدأ تشغيل هذا المرفق، ستبث هذه الجدران تغذية مباشرة من عقول بشرية في الحالة القصوى من الوعي المعدل – على شفا الموت – وهو ما يفضي عادة، كما تعلمين يا دكتورة سولومون، إلى"—

أكملت جملته بهدوء" :تجربة الخروج من الجسد. الوعي غير الموضعي."...

فكر لانغدون في الروايات الشائعة عن مرضى "ماتوا" في غرفة العمليات، ثم أعيد إنعاشهم ليخبروا عن تحليقهم فوق أجسادهم أو فوق المستشفى نفسه. في الموت، نترك أجسادنا خلفنا.

أجاب فينش" :صحيح. حين يوضع الخاضع للتجربة في إحدى هذه الكبسولات على مقربة من الموت، يتحرر وعيه من قيوده. ويصبح العقل الجبار روحا منفصلة، إن جاز التعبير... وعيا مدركا خارج الجسد المادي. ونحن نشير إلى الشخص في تلك الحالة بمصطلح 'السبّاح النفسي' أو 'psychonaut'. وحين يحدث ذلك، يمكننا أن نرصد بدقة ما يدركه 'السبّاح النفسي' وهو يرتفع خارجا من الكبسولة، صاعدا عبر القبة،

ومنطلقا إلى العالم. ستعرض لنا هذه الشاشات بثا مباشرا من منظور وعي متحرر... التجربة الكاملة للوعي غير الموضعي، إن شئتِ الدقة."

"لا يمكن أن يكون هذا حقيقيا"، هكذا حدث لانغدون نفسه، ومع ذلك كانت كاثرين تتلقى كل هذا وكأنه منطقي تماما بالنسبة لها. بدت مأخوذة، وكأنها قد غفلت تماما عن أن الرجل الذي يحدثها يحمل مسدسا.

"هذه هي كأسها المقدسة"، ذكر لانغدون نفسه.

في عالم كاثرين، كانت تجارب الخروج من الجسد أفضل دليل على الوعي غير الموضعي، لكنها كانت سريعة الزوال وبعيدة كل البعد عن أن تكون برهانا. فالشخص الذي يدعي أنه حام خارج جسده يصف تجربة ذاتية، أدركها وحده وفي حالة وعي معدلة. لا شهود... ولا إثبات علمي. وإن العجز عن استنساخ هذه الظواهر الغيبية في بيئة خاضعة للرقابة – أو ما أسمته كاثرين "أزمة التكرار" – يلقي بظلال من الشك على صحة الروايات. أما هذا المرفق، من جهة أخرى، فقد يقدم أخيرا البرهان على أن الوعي البشري يمكنه البقاء بمعزل عن الجسد البشري؛ وسيكون إنجازا علميا سيغير النموذج الفكري السائد، وله تداعيات إعجازية على نظرتنا للحياة.

"وعلى نظرتنا للموت أيضا"، فكر لانغدون، مستعيدا منطق جوناس فوكمان حين دفع أغلى الأثمان مقابل مخطوطة كاثرين" :إن الدليل على الوعي غير الموضعي يخاطب مباشرة أمل البشرية الأسمى – وجود حياة بعد الموت... إنه موضوع ذو تأثير عالمي وإمكانات تجارية هائلة."

سألت كاثرين بلهفة" :وما شأن قمرات القيادة تلك؟ "مشيرة إلى المنصة المرتفعة.

قال فينش" :صدقي أو لا تصدقي، تلك مخصصة للطيارين. ما زلنا نعمل على إتقان عملية القيادة، ولكن كما يمكنك أن تتصوري، يمكن لدماغين مزروعين بالشريحة الآن أن يتواصلا بأساليب بدأنا للتو نتعلم فهمها. إن حالة الخروج من الجسد عالم مربك، لذا يقترن 'السبّاح النفسي' بـ'عقل راسخ' للمساعدة في قيادة التجربة. ويعمل الشخص في قمرة القيادة بمثابة مرشد روحي."

حدقت فيه كاثرين، وقد عجزت عن الكلام للحظات" .أتقول لي إنكم توجهون... وعيا متحررا؟! كأنكم... تقودون طائرة مسيرة؟"

ابتسم فينش، مستمتعا بلحظة التجلي التي أدركت كاثرين" .كنت أعلم أنك ستفهمين يا دكتورة سولومون. أنت على صواب... حين تعمل هذه القبة بكامل طاقتها، ستدعم قمرات القيادة هذه سربا صغيرا من الطيارين

الذين يوجهون ما يمكن اعتباره أسطولا من الطائرات المسيرة الخفية، التي سنرسلها إلى أي مكان في العالم لنراقب ما نشاء – ساحات القتال، أو غرف الحرب، أو قاعات مجالس الإدارة. لا يمكن كشفها. ولا مفر منها."

"وهذا مستحيل تماما!"، كاد لانغدون أن يصرخ. "إنه جنون... محض خيال علمي". ولكنه كان يعلم أن هذه الادعاءات تدعمها نظرية الوعي غير الموضعي التي تكتسب قبولا متزايدا.

ورغم معتقدات كاثرين، لم يستطع لانغدون بعد أن يتقبل تماما فكرة أن الوعي يمكنه أن يغادر الجسد ويبقى حاضرا بما يكفي لمراقبة العالم المادي. وبصفته أكاديميا صارما، شعر لانغدون أن من واجبه أن يحافظ على الشك والعقلانية في مواجهة ما قد يبدو خرافة، لكنه في حالة "ثرِشولد"، كان يواجه مفارقة.

عند نقطة ما... يصبح الشك في حد ذاته ضربا من اللاعقلانية.

لكي يحافظ لانغدون على تشككه في ادعاءات فينش، كان عليه أن يضع المنطق جانبا ويتجاهل جبلا متناميا من البراهين العقلانية. أولا، هناك آلاف من تجارب الاقتراب من الموت الموثقة طبيا والتي تصف هذه الظاهرة بدقة. ثانيا، كشف عالم فيزياء الكم عن أدلة دامغة على أن الوعي غير موضعي ويعمل بطرق لا يمكننا فهمها بعد. ثالثا، كانت هناك آلاف الحالات الثابتة

لظواهر "خارقة للطبيعة" –كالتخاطر، والاستبصار، والوساطة الروحية، والأحلام المشتركة، ومتلازمة الموهوب المفاجئة – وهي حوادث مستحيلة ضمن نموذجنا الفكري الراسخ، وتتطلب من لانغدون إما أن يغير منظوره تغييرا جذريا أو أن يكون مستعدا لتصنيف تلك الظواهر تحت عنوانه الأقل تفضيلا: "المعجزات". وفي ضوء هذه الأدلة، علم لانغدون أن رفضه تصديق أن "ثرِشولد" يمكن أن ينجح لا يختلف في عقلانيته عن رؤية خسوف القمر والإصرار على أن القمر مجرد أسطورة.

استدارت كاثرين نحوه، وصوتها يفيض حماسة" :روبرت... هذا يغير كل شيء! هذا يتجاوز حدود النظرية... إنه برهان على أن الوعي غير موضعي."...

أومأ لانغدون برأسه، محاولا أن يتصور وقع هذه اللحظة عليها، وهي تعلم فجأة بوجود إنجازات هائلة في ميدان كانت تدرسه لعقود.

التفتت كاثرين مرة أخرى إلى فينش" :يجب على المجتمع العلمي أن يعلم بهذا. علم الوعي"—

قاطعها فينش بنبرته الحادة التي هيمنت على المكان فورا'" :ثرِشولد' ليس مشروعا علميا. إنها عملية استخبارات عسكرية. المصدر الحقيقي الوحيد للقوة هو المعلومة، وفي حربنا لفهم أعدائنا، هذه القبة هي ترسانتنا النووية

– أداة المراقبة المطلقة. 'ثرِشولد' هو الجيل القادم من الرؤية عن بعد. لقد دأبت وكالة المخابرات المركزية (CIA) على العمل من أجل هذا المرفق لعقود."

عقود؟ فوجئ لانغدون" .ولماذا تستثمر وكالة المخابرات المركزية (CIA) بكثافة في مشروع يبدو تماما كمشروع ستارغيت ...(Stargate) الذي فشل قبل ثلاثين عاما؟"

كانت نظرة فينش حادة على نحو مقلق" .الأمر بسيط جدا يا سيد لانغدون. إن مشروع ستارغيت لم يفشل قط ."أبقى مسدسه ثابتا وهو يشير إلى أرجاء الغرفة الفسيحة" .لقد تطور فحسب... ليصير شيئا أعظم بكثير."

الفصل الثالث عشر بعد المئة

في غرفة الاتصالات المحصنة بمقر وكالة المخابرات المركزية، راح المدير جاد يطوي أرضها في قلقٍ بالغ، وهو يترقب ما يأتيه من أنباء من براغ .لقد كان اعتراف جيسنر المفصل في تسجيل الفيديو كارثةً بكل المقاييس. فقد أماط اللثام عن أسرارٍ كثيرةٍ لمنشأتهم بالغة السرية، أكثر مما ينبغي له أن يُباح. ولم يكن يأمل إلا في أن يتمكن من احتواء الأمر قبل فوات الأوان.

إن مشروع ثرشولد، في صورته النظرية على الأقل، كان جزءاً من حياة جاد لعقودٍ خلت.

يوم كان جريجوري جاد محللاً شاباً في وكالة المخابرات المركزية، وُضع بين يديه رسمٌ تخطيطي لموقع بناء، يحوي سلسلةً من الرافعات الميكانيكية غير المألوفة. وطُلب منه أن يقارن الرسم بصورةٍ للموقع ذاته التقطها قمرٌ صناعي. وكما هو متوقع، كان التصويران متطابقين تقريباً، فخلص جاد إلى استنتاجٍ منطقي مفاده أن راسم اللوحة لا بد وأنه قد رأى هذا الموقع رأي العين... أو على الأقل رأى صورته الفوتوغرافية.

ثم باحوا لي بالحقيقة، هكذا استرجع جاد ما جرى.

لقد كانت المنشأة المصورة موقعاً روسياً بالغ السرية في سيبيريا؛ وكانت صورة القمر الصناعي قد التُقطت بعد أن رُسمت اللوحة؛ أما راسمها فكان

شاباً يُدعى إنجو سوان لم يغادر الولايات المتحدة قط. وقد استقى معلوماته من "المشاهدة عن بعد" للموقع، أي أنه أغمض عينيه ونقل وعيه إلى سيبيريا ...حيث حلّق بنظره فوق الموقع وحفظ معالمه في ذاكرته.

***هراء !* هكذا تذكر جاد ما جال في خاطره آنذاك، وما جال في خواطر الكثيرين غيره في الوكالة. ومع ذلك، ظل السؤال مطروحاً... كيف وُجد هذا الرسم؟**

جاء الجواب الذي بدا شافياً عام ألف وتسعمئة وستة وسبعين، حين اعترف مهاجرٌ سوفيتي يُدعى أوغست ستيرن بأنه عمل في منشأة استخبارات نفسية في سيبيريا نجحت في المشاهدة عن بعد لمنشأة عسكرية أمريكية بالغة السرية. وكان وصف ستيرن للمنشأة المحصنة دقيقاً بشكلٍ يثير القلق... حتى أنه وصل إلى تفاصيل نمط البلاط على أرضيتها.

وإذ شعرت وكالة المخابرات المركزية بأنها قد أُخذت على حين غرة، أطلقت على الفور أول برنامج للمشاهدة عن بعد في البلاد بهدف مجاراة نجاح السوفييت. تأسس المشروع السري تحت مظلةٍ بريئةٍ لمجمع تفكير أكاديمي مرتبط بجامعة ستانفورد، ومرّ المشروع بمراحل أولية مختلفة وأسماء رمزية متعددة، منها Grill Flame وCenter Lane، قبل أن يُؤسس رسمياً في عام ألف وتسعمئة وسبعة وسبعين تحت اسم ستارجيت.

ولدهشة العلماء المشاركين، حققت أولى كوكبات المشاهدين عن بعد في مشروع ستارجيت –ومنهم إنجو سوان وبات برايس وجوزيف مكمونيجل وغيرهم – نجاحاً مذهلاً. ورغم أن الدخول في حالة الخروج من الجسد بصورةٍ متسقةٍ قد أثبت أنه تحدٍ كبير، إلا أنهم تمكنوا من تحقيق "الإسقاط" وتقديم معلومات استخباراتية تفوق الخيال.

بما في ذلك ما أُطلق عليه "نتائج الكؤوس الثمانية"، وهو مصطلح رسمي في المشروع يدل على نجاحٍ مذهلٍ إلى درجة أن الجميع كانوا بحاجة إلى احتساء كؤوسٍ عدةٍ ليستفيقوا من هول الصدمة. وقد شملت تلك النتائج التجسس على غواصة سوفيتية من طراز Typhoon ذات هيكل مزدوج في القطب الشمالي؛ والعثور على قاذفة سوفيتية من طراز Tu-95 تحطمت في إفريقيا؛ وتحديد موقع العميد المختطف جيمس ل. دوزير في إيطاليا؛ والتعرف على عقيد في الـ KGB كان يتجسس في جنوب إفريقيا؛ وأكثر من اثنتي عشرة نتيجة أخرى كانت تبدو في حكم المستحيل.

وفي عام ألف وتسعمئة وتسعة وسبعين، قدمت لجنة الاستخبارات المختارة بمجلس النواب عرضاً حياً ومغلقاً للمشاهدة عن بعد، مما ترك العديد من المشرعين في القاعة في حالة من الذهول. وقد سُجل عن عضو الكونغرس

الديمقراطي تشارلي روز قوله: "إذا كان الروس يمتلكونها ونحن لا، فنحن في ورطةٍ حقيقية".

نما برنامج ستارجيت في سريةٍ تامةٍ حتى عام ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين، حين خرجت سلسلةٌ من التسريبات الأمنية الخطيرة إلى العلن وأشعلت سخط الرأي العام. بدا الأمر وكأن وكالة المخابرات المركزية إما أنها تدرب جيشاً من الجواسيس الروحيين... أو أنها تهدر أموال دافعي الضرائب على مسعى سخيف.

وبدلاً من إنكار حقيقة وجود البرنامج السري، أصدرت الوكالة اعترافاً علنياً على استحياء بأن مشروع ستارجيت كان موجوداً بالفعل، ولكنه لم يعد له وجود الآن، بعد أن أُغلق لكونه فشلاً ذريعاً وإهداراً لأموال دافعي الضرائب الأمريكيين. لم يكن ذلك صحيحاً، لكن الوكالة أملت أن يؤدي اعتذارها الخجول هذا إلى إسكات فضول الرأي العام حول البرنامج، وإقناع العديد من خصوم أمريكا العالميين بعدم السعي وراء الاستخبارات القائمة على القدرات النفسية.

وقد نجحت الحيلة إلى حدٍ كبير، على الرغم من أنها أثارت حفيظة بعض المشاهدين المتقاعدين من مشروع ستارجيت، الذين استاؤوا من وصف

نجاحاتهم الباهرة بأنها "هراء". وقرر العديد منهم كتابة سير ذاتية غير مصرح بها، حملت عناوين مثل:

المحارب الروحي: القصة الحقيقية لأبرز جاسوس روحي في أمريكا والتستر على برنامج ستارجيت السري للغاية التابع لوكالة المخابرات المركزية

جواسيس القدرات الخارقة :(PSI) القصة الحقيقية لبرنامج الحرب النفسية الأمريكي

تلميذ الساحر: رحلة متشكك في مشروع ستارجيت التابع لوكالة المخابرات المركزية

مشروع ستارجيت وتقنية المشاهدة عن بعد: ملفات وكالة المخابرات المركزية حول التجسس الروحي

ولحسن حظ الوكالة، فإن الروايات التي وردت في هذه الكتب، على الرغم من أن معظمها كان صحيحاً، بدت بعيدة المنال لدرجة أن أحداً تقريباً لم يصدق دقتها. وبدلاً من اتخاذ إجراءات قانونية ضد المؤلفين ولفت الانتباه إلى ما كتبوه، اكتفت الوكالة بتجاهل تلك الكتب بوصفها محاولات مضللة وخيالية للكسب المادي من قبل موظفين سابقين غير مستقرين.

ولكن كانت هناك مشكلة أكثر خطورة في الطريق.

في عام ألفين وخمسة عشر، نشرت مجلة نيوزويك تحقيقاً استقصائياً آخر غير متوقع عن ستارجيت .لن ينسى جاد أبداً قراءته لاقتباسٍ من مدير مشروع ستارجيت المتقاعد، المقدم برايان بازبي، الذي كسر صمتاً دام عقدين وقال: "لقد آمنت به آنذاك، وما زلت أؤمن به الآن. لقد كان شيئاً حقيقياً، وقد نجح".

ومما أثار القلق، أن المقال وصف أيضاً رسماً تخطيطياً شوهد عن بعد من قبل عميل ستارجيت الأسطوري – 001جوزيف مكمونيجل –يصور غواصة ضخمة بهيكلين مزدوجين، في حوض بناء سفن سري في روسيا. ووفقاً لمجلة نيوزويك، أكدت صور الأقمار الصناعية الأمريكية لاحقاً وجود غواصة ضخمة من طراز Typhoon ذات هيكل مزدوج في حوض بناء السفن السري للسوفييت في سيفيرودفينسك، مما شكل تهديداً جديداً للأمن القومي الأمريكي.

وعندما سُئل السيناتور الأمريكي ووزير الدفاع المستقبلي ويليام كوهين عن رأيه في برنامج ستارجيت البائد، أجاب:

لقد أُعجبت بمفهوم المشاهدة عن بعد... إن استكشاف قوة العقل كان، ولا يزال، مسعىً مهماً... لقد دعمت برنامج ستارجيت، كما فعل

السيناتور روبرت بيرد وأعضاء آخرون في اللجنة. بدا أن هناك شريحة صغيرة من الناس كانوا قادرين على الولوجِ إلى مستوى مختلف من الوعي.

عقب ذلك المقال، وجد المدير جاد نفسه في مواجهة سيلٍ من الأفلام الوثائقية التلفزيونية عن مؤامرة ستارجيت .وكان أحد الأفلام المثيرة للقلق بشكلٍ خاص يُدعى *جواسيس العين الثالثة*، وعلى الرغم من أن الوكالة قابلته بالرد المعتاد المتجاهل، إلا أن جاد تذكر دهشته من مدى دقة العديد من ادعاءات المؤامرة في الفيلم... بما في ذلك الشك في أن فشل ستارجيت المعلن كان وهماً مدبراً بعناية.

ليس لديهم دليل... لكنهم ليسوا على خطأ.

في الواقع، استمرت المشاهدة عن بعد بهدوء داخل أسوار لانغلي، ومعهد SRI الدولي، وفورت ميد .لقد مكّن ستار الدخان الذي أُسدل على فشل ستارجيت الوكالةَ من التخطيط بهدوء لمستقبل البرنامج – نسخة أفضل تمويلاً، وأكثر أمناً بما لا يقاس، وأكثر تقدماً من الناحية التكنولوجية... في أعماق الأرض، في عالمٍ بعيدٍ عن ماضيها الملوث، وباسمٍ رمزيٍ جديدٍ تماماً.

هكذا وُلد مشروعِ ثرشولد.

تردد صوتٌ متقطعٌ عبر جهاز الاتصال" :سيدي المدير؟ إنها على الخط".

أفاق جاد من أحلام يقظته، ورفع عينيه إلى شاشة الفيديو أمامه. قال : "شكراً لك، أرجوك صلني بها".

بعد لحظة، تلاشى شعار وكالة المخابرات المركزية عن الشاشة، ليحل محله الوجه المتحدي للسفيرة هايدي نايجل ...وعلى جانبيها جنديان من مشاة البحرية الأمريكية.

الفصل الرابع عشر بعد المئة

حدقت كاثرين في فوهة مسدس فينش، وقد تملكها شعورٌ كمن صُعق صعقةً عنيفة انتشلته من غمرة ذهوله وألقت به في حضن الحقيقة المرة. إن "مختبر الموت" التابع لوكالة المخابرات المركزية (CIA) لم يكن قط منشأة لأبحاث الوعي... بل كان غرفة عمليات لسلاح فتاك من طراز جديد مذهل، سلاحٍ قوامه الرؤية عن بعد.

في عالم كاثرين، عالم علوم الوعي، كان "ثرِشولد" ليُمثل بحق فتح الفتوح. فلطالما كان مفتاح فهم الوعي غير الموضعي يكمن في سبر أغوار تجارب الخروج من الجسد؛ بيد أن السعي إلى هذا الفهم كان يصطدم على الدوام بعقبتين كأداوين.

وها هو "ثرِشولد" يأتي ليذلل كلتيهما.

كانت العقبة الأولى أن حالات الخروج من الجسد نادرة، وعابرة، وغالبا ما يستحيل التنبؤ بها. ولم يكن بمقدور سوى قلة من الأفراد ذوي المهارات الفريدة أن "يسقطوا وعيهم بإرادتهم"، وحتى هؤلاء كانوا يكابدون الأمرّين للحفاظ على حالة الخروج من الجسد لدقيقة كاملة. أما في "ثرِشولد"، وباستخدام كبسولات غيسنر، فيمكن إجبار أي شخص على الدخول في

حالة الخروج من الجسد وتعليقه هناك لساعة أو أكثر. حقيقة مرعبة، ولكنها حقيقة.

أما التحدي الثاني الذي يكتنف تجارب الخروج من الجسد فكان يتمثل في الاستذكار. فعند عودة الخاضعين للتجربة إلى أجسادهم، كانوا يخبرون أن التجربة تتلاشى في لمح البصر، كما يتلاشى الحلم، مما يضع تحديات جمة أمام الباحثين الذين ينشدون بيانات مفصلة يمكنهم الوثوق بها. أما الآن، وبفضل شريحة الدماغ العصبية التي ابتكرها "ثرِشولد"، فقد بات من الممكن تسجيل تلك التجارب ودراستها.

لقد كان هذا المرفق، بما يمثله من قفزة نوعية محتملة لأبحاث الوعي، ينطوي على القدرة على كشف أعمق أسرار العقل البشري، بما في ذلك طبيعة الموت ذاته. ومع ذلك، ويا لخيبة أمل كاثرين المريرة، فبدلا من الخوض في غمار ألغاز الوعي والموت، عمدت وكالة المخابرات المركزية (CIA) إلى تسخير الوعي غير الموضعي لابتكار أداة مراقبة جبارة تفوق في أبعادها كل تصور. كانت كاثرين لا تزال تجاهد لتقبل فكرة أن تقنية كهذه يمكن أن توجد حقا، وأن يتسنى تحويلها إلى سلاح بهذه السهولة.

قالت كاثرين" :ثمة أمر واحد لا أفهمه. شريحة الدماغ... تلك الشبكة العصبية التي اندمجت بهذه السرعة"——

قاطعها لانغدون قائلا، وعيناه لا تفارقان مسدس فينش الذي لا يزال مصوبا نحوهما" :لقد اكتفينا بما سمعنا. يا سيدي، إن مخطوطة كاثرين قد مُزقت إربا. وهي لن تمضي في نشر كتابها. ونحن على أهبة الاستعداد لتوقيع اتفاقية السرية التي تفرضها. فلتضع سلاحك جانبا".

قال فينش وهو يلقي نظرة خاطفة من فوق كتفه نحو المدخل وكأنه يتوقع قدوم أحدهم" :في الوقت المناسب. ويسرني أن الدكتورة سولومون قد لاحظت أننا دمجنا شبكتها العصبية بهذه السرعة الخاطفة".

"سرعة تفوق المستحيل"، لاحظت كاثرين في نفسها. فوفقا للسجلات التي عثرا عليها، كان معدل التحام عصبونات ساشا الموجودة مع عصبوناتها الاصطناعية أسرع بعشر مرات من أنماط النمو الطبيعية، أو أي شيء رأته كاثرين في بيئة المختبر.

تباهى فينش قائلا" :إن الحل يكمن في تقنية جديدة أطلقنا عليها اسم 'التعاون القسري'، وهي ضرب من حل الأحاجي المشترك. إننا نستخدم الواقع الافتراضي لتغذية الدماغ والشريحة المزروعة بالأحجية ذاتها في آن واحد. وكما تعلمين، حين تستشعر العصبونات المنفصلة أنها يمكن أن تكون أكثر كفاءة من خلال تبادل المعلومات، فإنها تشكل مشابك عصبية جديدة".

"إن ألمع الحلول هي دوما أبسطها"، فكرت كاثرين، وهذه الاستراتيجية كانت كذلك تماما، بديعة في بساطتها. فمن خلال تقديم التحدي ذاته لآلتين منفصلتين لمعالجة المعلومات – دماغ بشري وشريحة حاسوب – فقد شجعوهما على التعاون... محفزين إياهما على التشابك بأسرع ما يمكن. "العصبونات التي تطلق إشاراتها معا... تتشابك معا." كانت هذه العملية تُعرف باسم "التعلم الهيبي"، وكانت جزءا من مجال علم الأعصاب منذ ثلاثينيات القرن العشرين حين اكتشف دونالد هيب أن الدماغ، حين يواجه تحديات مكثفة بصورة متكررة، ينمي مسارات عصبية جديدة بسرعة كبيرة، على غرار الطريقة التي ينمي بها رافع الأثقال عضلاته بالتمرين.

سألت كاثرين" :وما شأن العقاقير في مختبر الواقع الافتراضي؟ أأفترض أن العقاقير المخدرة تزيد من مرونة التشابك العصبي؟"

أجاب فينش" :أجل، تفعل. فبالإضافة إلى تحفيز النمو، تُستخدم العقاقير لجعل الأحاجي أكثر صعوبة من خلال إجبار الدماغ على التركيز وسط ضباب كثيف. الأمر أشبه بعدّاء الماراثون الذي يتدرب وهو يرتدي حذاء رياضيا مثقلا. فالعبء الإضافي يسرّع من عملية التكيف".

تملكت الدهشة كاثرين .وقالت" :لم تستقوا هذه الفكرة من أطروحتي. هل كانت فكرة بريجيتا؟"

"جلّها، نعم. لم تكن دائما سهلة المراس، وكنا نختلف جوهريا في أمور كثيرة، ولكن ما كان لنا أن نبني 'ثرِشولد' لولاها".

طالب لانغدون بمعرفة الحقيقة" :أطروحة كاثرين. كيف وصلت وكالة المخابرات المركزية (CIA) إليها؟"

قال" :عن طريق طلبات الترشح لجوائز بلافاتنيك (Blavatnik Awards).تلك الطلبات تحتوي دائما على أجرأ الأفكار من ألمع العقول الشابة. لذا، كانت وكالة المخابرات المركزية (CIA) تحرص آنذاك على أن يكون أحد المحكمين من معهد ستانفورد للأبحاث".

معهد ستانفورد للأبحاث (SRI)؟ ذهلت كاثرين كيف أن هذا الرابط لم يخطر ببالها فور علمها بتورط وكالة المخابرات المركزية (CIA) في اختفاء مخطوطتها. فمعهد ستانفورد للأبحاث له صلات قديمة بوكالة المخابرات المركزية، بل ويعتقد أصحاب نظريات المؤامرة أنه مهد مشروع ستارغيت (Stargate). "أستاذ" من معهد ستانفورد للأبحاث في لجنة تحكيم جوائز بلافاتنيك يمكن بسهولة أن يكون جاسوسا متخفيا على مرأى من الجميع.

قال فينش" :حين لم تفز أطروحتك حتى بتقدير شرفي، فإن أستاذك في برينستون –كوسغروف، على ما أظن – استجوب لجنة الجائزة بلا هوادة، لا سيما المحكم من ستانفورد. لقد أدرك أن معهد ستانفورد للأبحاث

(SRI)متورط، وكان يعلم ما يكفي ليتراجع ولا يتحدث عن الأمر مرة أخرى أبدا".

قال لانغدون" :نريد أن نغادر. الآن".

أجاب فينش" :لست في وضع يسمح لك بفرض المطالب أيها البروفيسور. لقد اقتحمت منشأة سرية للغاية وانتهكت قوانين عدة. وإن كنت تظن أن السفيرة ستأتي لإنقاذك، فأشك في أنها حرة طليقة في هذه اللحظة".

قال لانغدون بنبرة تهديد" :إذا اختفينا أنا وكاثرين، فسيلاحظ الكثيرون ذلك. لن يكون الأمر كاختفاء عينتكم المجهولة سيسيفيتش".

"أنت لا تعلم شيئا عما حل بـ ديميتري".

قالت كاثرين" :نعلم أنكم استخدمتموه كفأر تجارب بشري، جنبا إلى جنب مع ساشا فيسنا".

رد فينش بحمية" :لقد كانا يعيشان حياة معذبة. لقد أنقذتهما غيسنر. لقد عالجت صرعهما ومنحتهما حياة".

تحداه لانغدون" :أهذا هو منطقك؟ وهل يعيش ديميتري حياة أفضل الآن؟ لقد رأينا سجلاته. يبدو أنه قد مات هنا"!

قال فينش وهو يغير من وضعيته ويصوب المسدس نحو لانغدون الآن" :لا بد أنه من الترف أن يعيش المرء في الأوساط الأكاديمية ولا يواجه المشاكل الحقيقية في بلادنا... ألا يقلق بشأن أولئك الذين يريدون تدمير أسلوب الحياة الغربي. إن العالم مكان شديد الخطورة، وأناس مثلي هم السبب الوحيد في أن مدينتك بوسطن لا تزال قائمة. وأنا أعني ذلك حرفيا".

أجاب لانغدون" :قد يكون ذلك صحيحا، لكنه لا يمنحك الحق في إجراء تجارب على البشر دون علمهم".

حدق فيه فينش وقال" :إن المحك الأسمى لضمير المرء هو استعداده للتضحية بشيء اليوم من أجل أجيال قادمة لن تُسمع كلمات شكرها".

رد لانغدون على الفور" :إذا كنت ستستعير قولا مأثورا، فكان حريا بك أن تعي مغزاه. لقد كان غيلورد نيلسون يقصد الحفاظ على البيئة، لا التنكيل بالأبرياء".

قال فينش" :ساشا أبعد ما تكون عن البراءة. لقد قتلت الدكتورة غيسنر".

قال لانغدون" :هذا هراء. لقد كانت ساشا تحب بريجيتا. لا يوجد"—

قال فينش" :لقد قتلت أيضا ضابطي الميداني في الطابق العلوي. وكنت أظن أن ساشا هي من اقتحم 'ثرِشولد'. لقد عثرت على عصا صرع في

الطابق العلوي بالقرب من جثة ضابطي... ولا يمكن أن تعود إلا لشخص واحد".

أجاب صوتٌ شبحيٌّ من جوف الظلمة" :تلك العصا تخصني. وأنا أُريد استعادتها".

الفصل الخامس عشر بعد المئة

استدار فينش في فزعٍ عظيم وتفحص الحجرة بنظراته.

مَن ذا الذي نطق، تباً له؟!

لقد جعلت الأصداء في أرجاء القبة من العسير تمييز مصدر الكلمات على وجه الدقة. وبدا لانغدون وكاثرين مذهولين بالقدر ذاته.

صاح فينش وهو لم يتعرف على ذلك الصوت الذكوري الأجوف" :أين أنت؟! أظهر نفسك حالاً"!، وكانت اللهجة التي طرقَت سمعه روسيةً بغير شك.

سمع فينش هسهسة هواءٍ خفيفة، كانت الصوت الوحيد الذي خرق صمت القبة. وكان مصدرها مؤخرة الحجرة، خلف لانغدون وسولومون .وبينما استدار أسِيراه نحو الصوت، رمق فينش ما وراءهما، مدركاً أن هذه الهسهسة تنبعث من المصعد الهوائي الذي يؤدي إلى منطقة الخدمات.

وحين أخذت المنصة تصعد، شهدوا جميعاً مشهداً لم يكن لفينش ليتخيله في أبعد أحلامه جموحاً.

فمن جوف الأرض... كان وحشٌ ينهض.

ظهر الوجه أولاً، بشرته رماديةٌ شاحبةٌ كالموتى، خاليةٌ من الملامح. وكان الرأس أصلعاً، يلفه قناعُ سِترَةٍ سوداء، وبدت عيناه الباردتان مصوبتين نحو فينش وسلاحه الممدود. وحين ارتفع الجسد المسجى بالسواد إلى العيان، كانت ذراعاه ممدودتين أفقياً، وراحتاه عاريتين، كهيئة مسيحٍ يصعد إلى السماء.

ولما توقفت المنصة الهوائية، خطا ذلك الشخص خارجاً منها وشرع يتقدم نحوهم، فكان لقعقعة حذائه الثقيل على الأرض المفروشة بالسجاد دويٌ مسموع. وظلّ يقترب، وذراعاه لا تزالان مبسوطتين في هيئة استسلام، مخترقاً بحر الكبسولات، وسترته السوداء تتموج خلفه. رأى فينش الآن أن رأس الوحش ووجهه كانا مطليين بطبقةٍ كثيفةٍ من الطين أو الوحل، وأن ضرباً من الكتابة كان محفوراً على جبهته. ***أي شيءٍ هذا، تباً له؟!***

صاح فينش، وقد استعاد صوته أخيراً حين لم يعد المخلوق يبعد عنه أكثر من خمسة عشر ياردة" :قف! لا تتقدم خطوةً أخرى"!

أطاع الوحش الأمر، فتوقف، وذراعاه ما تزالان ممدودتين.

تنحى فينش يميناً ليتخذ موضعاً يتيح له إطلاق النار بغير عائقٍ من خلف لانغدون وكاثرين.

"من أنت؟! بل ما أنت؟"!

أجاب الشخص بصوته الأجوف الذي تردد صداه في القبة" :لقد خنت ثقة ساشا، وأنا حاميها".

تساءل فينش في حدة" :وهل ساشا هنا في مكانٍ ما أيضاً؟"

"كلا، إنها في مكانٍ آمن. ولن تقع عيناها على أيٍ من هذا مرةً أخرى أبداً".

"وأنت من تكون؟"

انتفض جسد الوحش فجأة، وبدا أن ذلك قد أذهله هو نفسه، لكنه استجمع شتاته" .أ... أنا "...تهشم صوته، وهذه المرة لمح فينش ومضة خوفٍ في عينيه. بدأت ذراعاه الممدودتان ترتجفان، وتبخرت هالة التحدي التي كانت تحيط به. فتلعثم قائلاً بلهجةٍ أقرب إلى الابتهال الخائف" :لا ... ***ne seychas!*** ليس الآن"...

وعلى حين غرة، انهار الوحش على الأرض، وجسده كله يرتجف ارتجافاً لا سيطرة له عليه. تدحرج على ظهره، راقداً على السجاد، عاجزاً، يرتعش.

سبق لفينش أن شهد نوبات صرعٍ من قبل، ورغم أنه لم يكن لديه أدنى فكرةٍ عن هوية هذا الشخص، إلا أن وجوده هنا فسر أمر عصا الصرعِ

التي عثر عليها فينش في الطابق العلوي *.أهذا مريضٌ آخر من مرضى جيسنر؟ من خارج البرنامج؟*

كان الوحش الآن يجاهد ليفتش في جيوب سترته، محاولاً بيأسٍ واضحٍ أن يعثر على شيء ما.

قال فينش مستهزئاً وهو يسحب العصا المعدنية من جيبه ويتقدم نحو الشخص العاجز" :أهذا ما تبحث عنه؟ أخبرني من أنت، وسأعطيك إياها".

صاح لانغدون" :إنه لا يستطيع الكلام! بحق السماء، ساعده"!

قال فينش وقد وصل فوق الشخص الذي كان يتشنج في عجزٍ تام، ورأسه يرتطم بالأرض ارتطاماً متواصلاً" :أتريد عصاك؟"

صاحت كاثرين" :ساعده"!

والسلاح لا يزال في يده، جثا فينش بجانب الجسد المرتعش، وأمسك بالعصا أمام عينيه" .لمَ لا تبدأ بإخباري"...

لم يكمل فينش جملته قط.

ففي ومضة عين، بحركةٍ منسقةٍ بدقةٍ متناهية، اعتدل الشخص المرتعش جالساً، وكأفعى تنقض على فريستها، انطلقت إحدى ذراعيه نحو فينش،

فلامست صدره. انبعث صوت هسهسةٍ عالٍ وومض ضوءٌ أزرق، فسرى ألمٌ حارقٌ في جسد الرجل. انطلقت رصاصةٌ من مسدس فينش لتستقر في جانب إحدى الكبسولات بينما تصلّب جسده وسقط إلى الأمام، وقد التوى مهاجمه ببراعةٍ ليفسح له المجال ليسقط على وجهه.

ومع الارتطام، شعر فينش بغضروف أنفه يتحطم بالكامل. كان الألم مقيئاً، لا يشبه شيئاً شعر به في حياته. والدماء تسيل على وجهه، استقر جسده المشلول على جانبه. رأى الشخص ذا السترة ينهض بغير عناء، وتمتد يده لتلتقط المسدس والعصا اللذين أسقطهما فينش .تحرك الحذاء الثقيل ذو النعل السميك نحو فينش، على بعد بوصاتٍ من وجهه. لهث فينش محاولاً التقاط أنفاسه، وجاهد ليلوي رأسه، وصعدت عيناه بجسد مهاجمه حتى بلغت وجهه.

وحين رأى الوحش الذي يقف فوقه، تساءل فينش عما إذا كان قد مات وهوى إلى الجحيم.

كان المخلوق الذي يحدق فيه من علٍ بالكاد بشراً. وجهه طينيٌ تتخلله شقوقٌ عميقةٌ في بشرته من الطين الجاف. وعلى جبهته، كانت ثلاثة رموزٍ محفورةً بعمقٍ في لحمه الموحل. وكانت عينا المخلوق قاسيتين، وأنبأته نظرتهما الحادة أنه لن يلقى رحمة.

لقد اعتاد روبرت لانغدون على استيعاب المعلومات المعقدة بسرعة. ولكن في هذه اللحظة، كان المشهد الذي أمامه قد تكشف بسرعةٍ أكبر من أن يستوعب كنه ما يحدث. ها هو فينش الآن يرقد على الأرض، يرتعش وقد خارت قواه. والشخص ذو السترة الواقف في مواجهة لانغدون وكاثرين كان يرتدي زياً تنكرياً من نوعٍ ما؛ فرأسه الحليق ووجهه مطليان بطينٍ كثيف، وجبهته منقوشةٌ بكلمةٍ عبرية.

אמת

لم يكن لانغدون يقرأ العبرية بطلاقة، لكن هذه الأحرف الثلاثة كانت أسطورية.

إنها تشكل كلمة EMET ، وحين تُنقش على جبهة، فلا يمكن أن يُخطئ أحدٌ في معناها.

الحقيقة...

الغولم الخاص بمدينة براغ.

وقبل أن يتسنى للانغدون حتى أن يحاول فهم أي شيءٍ مما يجري، مزق صمت الحجرة صوت صفارة إنذارٍ يصم الآذان. انطلق الإنذار حاداً وثاقباً من السقف، وبدأت أضواء تحذيرية دوارة تجتاح الجزء الداخلي من القبة مراراً وتكراراً.

صاح الشخص ذو السترة، مشيراً إلى الطريق الذي أتيا منه" :اذهبا! حالاً! هذه المنشأة بأكملها على وشك الانفجار"!

أمل لانغدون أن يكون قد أخطأ السمع. تنفجر؟!

قالت كاثرين" :لقد أغلقنا الباب الذي يعمل بتقنية الـ RFID! وليس لدينا بطاقة للخروج"!

"تعاليا إلى هنا "!جثا الشخص ذو السترة فوق فينش، الذي كان لا يزال يرتعش عاجزاً. أسرع لانغدون نحوه في حيرةٍ ودهشة بينما راح الوحش يفتش جيوب فينش، فأخرج محفظته، وانتزع منها بطاقة "براغ" سوداء مطابقة لتلك التي كانت تحملها جيسنر.

صاح الشخص، وصوته يكاد لا يُسمع من شدة ضجيج الإنذار، وهو يمسك بيد فينش ويضغط إبهام الرجل على سطح البطاقة حتى أضاء مصباحٌ صغيرٌ باللون الأخضر. ناول البطاقة المفعلة على الفور للانغدون : "أمامكما عشرون ثانية! اذهبا"!

سأله لانغدون" :وماذا عنك؟"!

أجاب الشخص" :أنا الغولم، وقد مت مراتٍ عديدة".

فليكن الله في عونكما، فكر الغولم في نفسه، وقد شعر بالارتياح لرؤية روبرت لانغدون وكاثرين سولومون يهرعان خارج القبة *.إنهما لا يستحقان الموت.*

أما فينش، فكانت حكايته مختلفة.

وقف الغولم فوق أسيره المضرّج بالدماء... سيد الدمى الذي أشرف على هذا المشروع. وفي الأضواء الدوارة لقبة ثرشولد، التفت المخلوق إلى أقرب كبسولةEPR ، وضغط على زر الفتح، فرفع غطاءها. ثم رفع الرجل الضئيل الحجم فوق حافة الكبسولة وألقاه بداخلها وكأنه جثةٌ هامدة.

جحظت عينا فينش، وبدأ يستعيد قدرته على الحركة، ولكن بعد فوات الأوان. سارع الغولم إلى تثبيت أشرطة الفيلكرو الثقيلة للكبسولة على ذراعيه وساقيه، حابساً أسيره في ذلك التجويف الذي يشبه النعش.

تغرغر الرجل مستعيداً صوته" :أرجوك... توقف"...

انحنى الغولم داخل الكبسولة، ووضع فمه على بعد بوصةٍ من أذن فينش وهمس" :وددتُ لو أستطيع أن أُحيل دمك إلى جليدٍ صقيع، وأذيقك ما ذقته مراراً وتكراراً... ولكن لا وقت لذلك".

تلعثم الرجل قائلاً" :من... أنت؟"

أجاب الغولم" :أنت تعرفني، فأنت من خلقني".

حدق فينش إلى الأعلى، متفحصاً مهاجمه، وعيناه تسبران أغوار وجه الوحش بيأسٍ متزايد. لكن الغولم لم تكن لديه رغبةٌ في منحه لذة الاكتشاف.

ببرود، حدق الغولم في ضحيته ونطق بالكلمات الأخيرة التي سيسمعها الرجل في حياته. ثم ضغط على الزر الموجود على جانب الكبسولة وشاهد بارتياحٍ الغطاء الشفاف الشبيه بجناح النورس يهبط في مكانه، ويغلق على فينش في الداخل، كاتماً صرخات رعبه التي ضاعت في عويل صفارة الإنذار الملح.

الفصل السادس عشر بعد المئة

انطلق لانغدون وكاثرين كالبرق إلى الردهة خارج الجناح المقبب، وما كاد لانغدون يفلح في فتح الماسح الضوئي RFID ببطاقة فينش حتى انطفأ الجهاز في يده وأومض باللون الأحمر.

وفي حركة واحدة متناغمة، انعطفا يمينا، يعدوان معا نحو درج في نهاية الممر. بدا لهما أن هذا الدرج هو الأرجح سبيلا أسرع إلى الخلاص من ذلك المسلك الملتوي الذي أتيا منه.

في خضم الوميض المحموم لأضواء الإنذار الدوارة، بلغا الباب في نهاية الردهة واندفعا إلى بئر سلم خرساني كئيب. وبينما كان لانغدون يصعد الدرجات وثبا، اثنتين في كل مرة، كان لا يزال يتردد في أذنيه الصوت الأجوف لذلك المخلوق المكتسي بالطين الذي أعانهما على الفرار قبل هنيهة .*هذا المرفق بأسره على وشك الانفجار* . كيف أو لماذا قد يحدث ذلك، لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرة، ولكن انطلاقا من دوي صفارات الإنذار ووميض أضواء الطوارئ، فلا ريب أن خللا كارثيا قد أصاب "ثرِشولد"، والأغلب أن ذلك الرجل هو من تسبب فيه.

كان لانغدون يعلم أن من تبعات الخوف، ولا سيما الخوف من الموت، صفاء الغاية المطلق. فرغم تشابك الأسئلة في رأسه حول ما جرى في القبة

للتو، فإن دماغه قد أخمد ذلك الضجيج، وأصاغ السمع لنداء واحد أوحد.

النجاة.

تقدم لانغدون الطريق إلى البسطة العلوية، حيث وصلا هو وكاثرين لاهثين إلى باب معدني كُتب عليه "الإدارة". وبلا تردد، دفعه لانغدون، ليجدا نفسيهما في ممر مفروش بالسجاد تكسو جدرانه ألواح من خشب السنديان. لقد ولّت تلك الأجواء الباردة المعقمة التي تطبع المنشآت العملياتية؛ فهذا المكان أشبه ما يكون بالمكاتب الإدارية لشركة محاماة راقية في كامبريدج.

عدوا في الممر، مارّين بغرف اجتماعات ومكاتب، ثم دخلا فضاء رحبا تنتشر فيه مقصورات العمل. وهنا توقفت كاثرين فجأة، ومدت يدها لتوقف لانغدون أيضا. ففي الطرف البعيد من الغرفة، كانت امرأة أنيقة الملبس تجمع على عجل أغراضا من مقصورتها. يبدو أن "ثرِشولد" لم يكن مهجورا بالكامل اليوم. وفي تلك اللحظة، هرع شابان يرتديان بزتين رسميتين للانضمام إليها، مشيرين إليها أن تتبعهما. ثم انطلقوا جميعا راكضين دون أن يلتفتوا وراءهم.

"اتبعهم"، فكر لانغدون" .لا بد أنهم يعرفون طريق الخروج."

وما إن تواروا عن الأنظار، حتى انطلق لانغدون وكاثرين في اتجاههم، الذي خمّن لانغدون أنه يفضي إلى المدخل الرئيسي الذي رأياه في وقت سابق على حافة حديقة فوليمانكا .رمق لانغدون المجلد السري الذي يبرز من حقيبة كتف كاثرين، وتمنى أن يخلق الإخلاء الطارئ فوضى كافية تتيح لهما التسلل دون أن يلحظهما أحد.

"إن تمكنا من الخروج في الوقت المناسب"، فكر في نفسه بينما كانت صفارات الإنذار تدوي فوق رأسه.

صاحت كاثرين" :هناك "!مشيرة إلى لافتة مضيئة تحمل علامة الخروج في نهاية الممر.

اندفعا عبر الأبواب ليجدا نفسيهما في غرفة أمنية شبيهة بتلك التي مرا بها سابقا، مزودة بجهاز كشف معادن، وحزام ناقل للأشعة السينية، وماسح ضوئي للجسم. ولحسن الحظ، كانت خالية من الحراس، فهرع لانغدون وكاثرين عبرها، ليخرجا إلى ما بدا أنه مرآب سيارات كبير تحت الأرض، شبه خال إلا من عدة مركبات بناء، وبضع سيارات، وبعض الآلات الضخمة الموضوعة على شاحنات مسطحة.

على بعد خمسين ياردة أمامهما، رأى لانغدون ما كان يخشى ألا تقع عليه عيناه مرة أخرى.

ضوء النهار.

ففي الطرف البعيد من المرآب، كانت الفتحة المقوسة للمخبأ تفضي إلى المنحدر الصاعد. والموظفون الثلاثة الذين رأوهم للتو في الداخل كانوا يهرعون الآن صاعدين المنحدر ويختفون عن الأنظار. ركض لانغدون وكاثرين نحو الفتحة، ولكن ما إن فعلا حتى أخذ ضوء النهار يخبو... وبدأت الفتحة تضيق.

"إنهم يغلقون الباب"!

صاح لانغدون" :انتظروا "!فابتلع نشاز الإنذارات صوته" .انتظروا"!

أدرك أنهما لن يفلحا أبدا في الوصول. فبينما كانا لا يزالان على بعد عشرين ياردة، أخذ ذلك الخيط الرفيع من ضوء النهار يتضاءل شيئا فشيئا حتى لم يبق منه إلا بصيص ضئيل، ثم توارى كليًا حين انزلقت البوابة العملاقة وأُغلقت محدثة دويًا هائلا، لتحبسهما في الداخل.

على عمق ثلاثة طوابق، كان السيد فينش، المكبل بالأحزمة كمريض نفسي هائج، قد كف عن المقاومة. ولم يكن بوسعه إلا أن يحدق إلى الأعلى في

ذهول من خلال الغطاء الشفاف لكبسولة EPR، ويراقب الأشكال الصامتة لأضواء الطوارئ وهي تكتسح القبة فوقه.

إن تتابع الإنذارات هذا في أرجاء المنشأة قد أكد للسيد فينش حقيقتين لا مفر منهما. أولا، أن الكلمات الأخيرة لمهاجمه كانت صحيحة: "لقد أغلقت صمامات الهيليوم... وأحكمت سد فتحة التهوية". وثانيا، أن "ثرِشولد" وكل ما فيه على وشك أن يدمر.

نظام تخزين الطاقة المغناطيسية فائق التوصيل (SMES) يزداد سخونة.

لقد كان تركيب هذا النظام من بنات أفكار فينش، وسيلة لإخفاء طفرات استهلاك الطاقة في "ثرِشولد" بكياسة خلال العمليات التي تتطلب كميات هائلة من الطاقة. فبدلا من لفت انتباه شركات المرافق المحلية، كان "ثرِشولد" يسحب كميات ضئيلة غير ملحوظة من الطاقة المنخفضة من الشبكة على مدار الساعة، ويخزنها في الملفات فائقة التوصيل لاستخدامها متى احتاجوا إليها.

طاقة ثابتة لا تنقطع.

لقد كانت تقنية مستقرة وآمنة للغاية. هذا، ما لم يقرر أحدهم تحويلها إلى سلاح، وهو ما ينطبق على معظم التقنيات.

لا توجد إجراءات أمان تحمي من التجسس.

أدرك فينش الآن أنه سيموت، وأجبر نفسه على تقبل هذه الحقيقة بذلك التجرد الجليدي ذاته الذي استحضره للتعامل مع كل قرار ومفترق طرق في حياته. وبعد أن أدرك الآن الهوية الحقيقية لقاتله، شعر وكأنه محاصر في أسطورة من الأساطير الكلاسيكية .*وحش يعود لينقض على صانعه* .لم تغب عنه مفارقة أسطورة "الغولم" التاريخية في براغ.

وبينما استرجع فينش صورة نظام SMESفي الطابق السفلي، علم أنها مسألة ثوان معدودة. وما كان على وشك أن يحدث سيكون كارثة مروعة.

قنبلة ضغط... تنفجر في أعماق الأرض.

كان آخر صوت أدركه فينش قبل أن تنفجر طبلتا أذنيه هو فرقعة وتحطم غطاء الكبسولة فوقه. وبينما كان منظوره يتسارع صعودا نحو السقف المقبب، لم يكن متيقنا مما إذا كانت روحه تنطلق من جسده، أم أن أرضية القبة بأكملها تندفع نحو السماء. وفي كلتا الحالتين، لم يشعر بأي ألم... بل بمجرد انفصال غامض بينما كان جسده المادي يتمزق إربا بفعل تلك الريح البيضاء الهوجاء.

انفجرت موجة الارتجاج من سجنها الجوفي بقوة لا يمكن تصورها. وفي أقل من عُشر ثانية، اخترقت أرضية الحجرة المقببة وانتشرت أفقيا عبر المستوى السفلي من "ثرِشولد"، فسحقت مختبر الحوسبة الكمومية قبل أن تنفجر صعودا إلى مختبر RTD، والمركز الطبي، وغرفة الجراحة، لتمحوها جميعا من الوجود. ثم اندفعت سحابة الغاز المتضخمة، التي لا تزال تتمدد، في كل الاتجاهات، باحثة عن مسار أقل مقاومة.

وبعد لحظة، وُجد ذلك المسار.

يتطلب الأمر الكثير لزعزعة جندي من مشاة البحرية الأمريكية.

ومع ذلك، شعر الرقيب سكوت كيربل باختلال في توازنه لم يشعر به طوال حياته المهنية. كان المشهد الذي يتكشف أمامه لا يشبه أي شيء شهده أو حتى تخيله ممكنا.

بعد أن حدد موقع سيارة السفيرة الرياضية متعددة الاستخدامات المركونة بتكتم بين بعض الأشجار على الطريق المؤدي إلى حصن كروسيفيكس، كان كيربل يقف على حافة التل، حائرا في أمره، حين شعر بالأرض ترتج تحت قدميه ارتجاجا عنيفا.

كان حدسه الأول أنه زلزال، لكن الارتجاف كان مجرد هزة واحدة، صاحبها دوي عميق في جوف الأرض. وبينما ألقى كيربل نظرة إلى الأسفل على الامتداد الثلجي لحديقة فوليمانكا الشاسعة تحته، أدرك أنه يشهد شيئا مختلفا تماما.

في حركة بطيئة، بدا وكأن مركز الحديقة يرتفع، يتجه نحو السماء في تلة ضخمة منتفخة، كما لو أن وحشا أسطوريا هائلا يهم بالخروج من مكامنه السحيقة. كان الثلج ينهار على جانبي التل مع استمرار الأرض في الصعود. ثم، مع فرقعة مدوية، انطلق ينبوع هادر من غاز أبيض من سطح الأرض، قاذفا بنفسه مئات الأقدام في الهواء.

تراجع كيربل إلى الوراء وقد تسمّر في مكانه من فرط الذهول، بينما كان عمود البخار يصعد إلى السماء فوق الحديقة. لم يدم العواء الأصم الصادر من الأسفل سوى ثوان قبل أن يهدأ... ليعقبه ارتطام جبل التراب المنهار على نفسه.

تقدم بضع خطوات في ذهول وتفحص الدمار. لقد انفتحت حفرة عميقة حيث كان مركز حديقة فوليمانكا ذات يوم. واحتوت الحفرة الهائلة على كومة ملتوية من الأنقاض والغبار المتصاعد.

وبعد لحظة، انسابت موجة من صقيع الموت من الحديقة.

ثم، وكأنما بضربة من عصا سحرية، تبلور الهواء من حوله، وامتلأ برقائق من ثلج ناعم كمسحوق السكر.

الفصل السابع عشر بعد المئة

قبيل الانفجار بلحظات، وصفارات الإنذار قد بلغت أوج ضجيجها، كان لانغدون وكاثرين قد صرخا مستغيثين، وباب المرأب الحصين ينزلق مغلقاً، فيحبسهما في جوفه. وفي محاولةٍ يائسةٍ لأن يُسمع صوته، فتح لانغدون باب سيارة سيدان قريبة وشرع يضغط على بوقها، ولكن حتى ذلك الصوت كاد أن يضيع في لجة الصخب العظيم.

لم يعد لذلك كله شأنٌ الآن. فقد أحس لانغدون بتغيرٍ ملموسٍ في الهواء... ضغطٍ مفاجئٍ في أذنيه، أعقبته الموجة الأولى من دويٍ عميقٍ أجش.

أياً كان ما يحدث في ثرشولد ...فإنه يحدث الآن. تمنى لانغدون أن يكون هذا المرأب بعيداً بما يكفي عن قلب المنشأة لينجو من عصف الانفجار.

صاحت كاثرين وهي تفتح الباب الخلفي للسيارة وتصعد إليها" :اذهب إلى المقعد الأمامي "!قفز لانغدون خلف عجلة القيادة، وأغلقا بابيهما في آنٍ واحد" .انحنِ واربط حزام"...

تهشمت نوافذ السيارة، وعصفت بها زوبعةٌ من ريحٍ صرصرٍ عاتية. وبقوة قطارٍ فائق السرعة يمر خاطفاً، اجتاح إعصارٌ المرأب، فأطفأ كل ضوء، ورفع السيارة السيدان كأنها لعبةٌ في مهب الريح. وفي لحظةٍ واحدة، وجدا

نفسيهما مقلوبين رأساً على عقب في الظلام، وسيارتهما تتقلب ذات اليمين وذات الشمال على أرضية المرأب.

صاح لانغدون في خضم العاصفة الصماء، متمسكاً بعجلة القيادة ومحاولاً أن يثبّت نفسه قدر استطاعته بينما كانت السيارة تتدحرج على جانبها.

يُقال إن الانقلاب الأسطواني في طائرةٍ مقاتلة هو أقل المناورات إزعاجاً لأن القوة الجاذبة المركزية تبقيك في مقعدك. أدرك لانغدون الآن أن ذلك صحيح... للحظاتٍ قليلةٍ على الأقل.

ثم جاء الارتطام.

اصطدمت السيارة السيدان بشيءٍ صلدٍ لا يتزحزح وتوقفت في وقفةٍ عنيفةٍ مفاجئة.

انقذف لانغدون من مقعده وسقط على صدره... في مكانٍ ما. وفيما هو دائخٌ في ظلمةٍ دامسة، شعر ببردٍ قارسٍ يباغته. استعرض عقله جسده في لمحةٍ خاطفة، مقدراً أن الألم لا يعدو كونه جروحاً ورضوضاً، لا تمزقاً في الأطراف. لقد خمدت ثورة الانفجار بالسرعة التي أتت بها. وصمتت صفارات الإنذار أيضاً.

كانت أذنا لانغدون تصفران، ومع انعدام الضوء، شعر بضياعٍ تام. خيّم عليهما بردٌ لاذع، على الرغم من أن لانغدون أحس بأنه لا يزال داخل السيارة.

قال لانغدون بصوتٍ خافت" :كاثرين؟"

جاءه الجواب واهناً ولكنه قريبٌ جداً" :أنا هنا".

غمرت لانغدون موجةٌ من الارتياح" .هل أنتِ بخير؟"

قالت بجهد" :لستُ... متأكدة. إنكَ... تسحقني".

أدرك لانغدون الآن أنه كان راقداً فوقها مباشرةً. وبحذر، نقل ثقله إلى جانبٍ واحد، مبتعداً عنها. سقطت كتفه في ألمٍ على قطعٍ من زجاج الأمان المهشم، فتحرك مرةً أخرى، ليجد مساحةً نظيفةً يستند عليها. وبينما استعاد وعيه بمحيطه، أدرك أن السيارة التي لجآ إليها كانت مقلوبةً رأساً على عقب، وأنهما الآن راقدان على سقفها.

زحف لانغدون إلى الأمام، متلمساً طريقه في الظلام حتى عثرت يداه على إطار نافذةٍ محطمة. بدت الفتحة أضيق من أن يمر من خلالها، فواصل تحسس طريقه في أرجاء السيارة حتى وجد فتحةً أكبر – الزجاج الأمامي أو

الخلفي. أمسك بأحد جانبيها، ودفع نفسه إلى الأمام، منسلاً عبر الفتحة إلى أرضية المرأب الصلبة.

كانت الأرضية زلقة وباردة تغطيها طبقةٌ مما بدا كالصقيع. استدار لانغدون على يديه وركبتيه، ومد يده عائداً عبر الفتحة.

قال بهدوءٍ قدر استطاعته، وهو يتلهف لمعرفة ما إذا كانت قد أصيبت بأذى" :كاثرين، إلى هنا. هل تستطيعين أن تجدي يدي؟ هل تأذيتِ؟"

سمع حركتها في الظلام، وظل يتحدث إليها، موجهاً إياها نحوه. وأخيراً، تلامست أيديهما. كانت أصابع كاثرين باردة، ويداها ترتجفان من هول الصدمة. جذبها نحوه برفق، مساعداً إياها على الخروج من السيارة. نهضت على الفور ولفت ذراعيها حوله، متشبثةً به بقوة.

وبينما كانا يتعانقان، شعر لانغدون بإحساس المعايشة السابقة – يحتضنها مرةً أخرى في ظلمةٍ باردة، وشعورٌ بالارتياح الغامر لكونها آمنة.

همست" :حقيبتي... لقد فقدتها... الملف"...

قال وهو يشدد من احتضانها" :انسِي الأمر. نحن على قيد الحياة. هذا كل ما يهم".

لم يكن لدى لانغدون أدنى فكرةٍ عما حدث للتو أو عن مدى الضرر، لكنه خمّن أن حكومة الولايات المتحدة ستجيب عن أسئلةٍ لا حصر لها في الأيام القادمة. ومع قليلٍ من الحظ، قد يكون هو وكاثرين الآن أقل ما يشغل بال وكالة المخابرات المركزية.

على الأرجح أن فينش قد هلك، **فكر لانغدون، ولم يشعر بحزنٍ يذكر على فقدانه. إن وخزة الحزن والشعور بالذنب التي شعر بها لانغدون كانت من أجل الروح الضائعة الأخرى – الرجل الذي كان يرتدي قناع الغولم الطيني – ذلك المخلوق الذي نهض من جوف الأرض بالمعنى الحرفي للكلمة لينقذ حياتهما.**

لقد طالب فينش بمعرفة هوية المتسلل، فأجاب المخلوق بهدوء :*لقد خنت ثقة ساشا ...أنا حاميها.*

فكر لانغدون في ساشا فيسنا، متسائلاً أين هي، وما إذا كانت لا تزال على قيد الحياة في مكانٍ ما في هذه المدينة. وقد عقد العزم على أنه إذا خرجا هو وكاثرين من هنا سالمين، فسوف يعثران على ساشا ويساعدانها. فلم تكن ساشا تستحق المساعدة وتحتاجها فحسب، بل إن لانغدون وكاثرين مدينان بالعرفان للرجل الذي أنقذ حياتهما للتو .*حامي ساشا*، هكذا أطلق

على نفسه *.إذا كان قد رحل، فإن مساعدة ساشا واجبٌ أخلاقيٌ محتومٌ علينا.*

همست كاثرين، وهي تضع يدها على كتفه وتديره في الظلام" :انظر، هناك".

حدق لانغدون في العتمة، فلم يرَ شيئاً" .أين؟"

قالت وهي تديره قليلاً إلى اليمين" :إلى الأمام مباشرةً".

والآن رآه.

في البعيد، بالكاد يُرى من خلال ضباب الغبار المستقر، كان بصيصٌ خافتٌ من ضوء النهار يلمع في الظلمة.

في أي يومٍ عادي، كانت هزةٌ أرضيةٌ تضرب براغ لتحتل مرتبةً متقدمةً في قائمة اهتمامات السفيرة نايجل .ولكن في هذه اللحظة، بدت الهزة التي شعرت بها للتو أمراً تافهاً مقارنةً بمحادثتها مع مدير وكالة المخابرات المركزية جاد.

كان المدير قد أمر حراس مشاة البحرية بمجرد إنشاء الاتصال" :انزعوا قيودها. قفوا حراسةً خارج الغرفة. لا أحد يدخل أو يخرج".

أطاع الحراس الأمر، وبمجرد أن فُكت قيود نايجل وبقيت وحدها، خفض جاد صوته وقال" :إن فينش قوة جامحة لا يمكن السيطرة عليها. اعتبري هذا حجراً احترازياً لحمايتك".

ودون مزيدٍ من التوضيح، انطلق مدير وكالة المخابرات المركزية في حديثٍ مطول، محاولاً تبرير كل ما سمعته نايجل في اعتراف جيسنر المروع. والآن، وبعد أن ساق حجته، انحنى جاد نحو الكاميرا، وتعبيرات وجهه تجمع بين التوسل والجدية القاتلة.

قال" :إننا في خضم سباق تسلحٍ يا هايدي، وخصومنا يزدادون قوةً وعدوانيةً كل يوم. إن المخططات التي تُحاك ضد الولايات المتحدة حقيقيةٌ جداً وقد تكون كارثية، ونحن بحاجةٍ إلى معرفتها قبل أن تقع. يمثل مشروع ثرشولد الميزة التي تحتاجها أجهزتنا الاستخباراتية لمساعدة بلادنا على النجاة من العاصفة القادمة. إذا فشلنا في أخذ زمام المبادرة في تكنولوجيا العقل البشري، فسيفعل ذلك غيرنا... وبدلاً من أن نكون نحن المراقبين، سنصير نحن المراقبين".

الحجة الأزلية*، فكرت نايجل .*شخصٌ ما سيفعل ذلك، لذا من الأفضل أن نكون نحن.

إن أخطر المساعي العلمية وأكثرها إثارةً للجدل الأخلاقي في التاريخ – صنع قنبلة ذرية – قد أُطلق بناءً على مبررٍ مماثل. وبعيداً عن الجدل الأخلاقي أو السياسي، فصحيحٌ أن كون الولايات المتحدة أول من امتلك القنبلة قد أنهى حرباً مدمرة ورسخ مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى للنصف قرن التالي... وهو مثالٌ مقنعٌ على أن الغاية تبرر الوسيلة. لكن هذا كان سياقاً مختلفاً.

لم تستطع نايجل أن تتخيل كيف سيُستقبل هذا الفيديو على الساحة العالمية. فهو لم يكشف عن وجود تكنولوجيا سرية صادمة فحسب، بل أماط اللثام عن حقيقةٍ مروعةٍ لا تغتفر؛ أن وكالة المخابرات المركزية كانت تجري اختباراتٍ على مرضى نفسيين روس مختطفين، أحدهم، وهو دميتري سيسيفيتش، قد هلك على ما يبدو في البرنامج. ستُصلب وكالة المخابرات المركزية من كبيرها إلى صغيرها... بدءاً بالمدير.

قال جاد" :كما خمنتِ على الأرجح، لم تكن شركة **In–Q–Tel** متورطةً في ثرشولد بأي شكلٍ من الأشكال. لقد وضعتُ فينش في مكتبهم في لندن كغطاءٍ موثوق وللدعم العملياتي، لكن من الواضح أنه تجاوز حدوده ".بدا على المدير الأسف" .ما كان ينبغي لي أن أمنحه كل هذه السلطة".

لفت انتباه نايجل طرقٌ عالٍ على الباب، وأطل أحد حراس السفارة برأسه.

قال وهو يبدو مرتاعاً" :سيدتي السفيرة؟ أعتذر عن المقاطعة. لدينا اتصال طارئ من أجلكِ".

***أنا بالفعل في خضم اتصالٍ طارئ!* أرادت أن تصرخ" .من المتصل؟"**

قال الجندي" :الرقيب كيربل. يقول إنه كان هناك انفجارٌ هائلٌ تحت الأرض في حديقة فوليمانكا".

الفصل الثامن عشر بعد المئة

على مسيرة ثلاثمائة متر من بؤرة الدمار، صمد نفق الترام الجوفي المؤدي إلى حصن كروسيفيكس إلى حد كبير سليما، على الرغم من انقطاع الكهرباء والأنوار عنه. وقد تناثر على رصيفه الصغير عند مدخل "ثرِشولد" الركام والغبار.

وفي القناة الخرسانية التي تحتضن قضبان السكة، تململ شبح.

في ظلام دامس، نهض الغولم ببطء على ركبتيه، موقنا أن نجاته ضرب من ضروب الحظ. فإن فراره من "ثرِشولد" لم يجرِ كما خُطط له، وما كاد يبلغ عربة الترام حتى هوى به الانفجار إلى قاع القناة الخرسانية.

وكان السؤال الآن ما إذا كان بمقدور الغولم أن يجد سبيلا للخروج من هذا اللحد الجوفي. فلا ريب أن الطريق خلفه قد دُمر وسدته الأنقاض. أما الطريق أمامه، عبر النفق الموغل في العتمة، فمن الميسور أن يكون قد انهار من شدة موجة الضغط، ولا سبيل إلى معرفة ما إذا كان بئر المصعد المؤدي إلى حصن كروسيفيكس لا يزال سليما. ورغم ما استبد به من إعياء عميق، أدرك الغولم أنه لا يسعه أن يهلك هاهنا.

لا بد لي من النجاة كي أطلق سراح ساشا.

ومُستحثًا بهذه الغاية، اهتدى الغولم إلى جانب القناة، فوضع يده عليه، ثم أجبر نفسه على المضي قدما في جوف الظلمة. ومضى في إيقاع ثابت، متلمسًا الجدار بيده ليهتدي به، وكانت حذاؤه العالي النعل يطأ السطح المتعرج الذي تناثر عليه حطام الانفجار محدثا صريرا، وقد أخذت ساقاه تزدادان ثقلا مع كل خطوة.

إن الملاك الحارس لا ينام.

وقد اعتراهما الهلع والرضوض، تحرك لانغدون وكاثرين ببطء في المرآب المعتم، يتلمسان طريقهما بين الحواف المحطمة للمركبات المدمرة والخرسانة المنهارة، متوجهين نحو مصدر الضوء الوحيد، بصيص من ضوء النهار كان يزداد سطوعا كلما انقشع الغبار.

وحين بلغا الضوء أخيرا، رأى لانغدون أن باب المرآب المنزلق الضخم قد انخلع من مساره، فانثنى أسفله إلى الخارج، محدثا فجوة واطئة ضيقة. انحنى لانغدون وأطل من خلالها، فلمح بضعة أقدام من المنحدر المائل في الخارج.

ولم يكن يدري ما الذي ينتظرهما في الجانب الآخر، فتقدم لانغدون أولا، واستلقى على جنبه واندس في الفجوة. وبوصة إثر بوصة، أخذ يسحب نفسه رأسه أولا عبر الفتحة. كانت الفتحة أضيق مما تصور، وفي منتصف

الطريق، أطبقت عليه موجة أخرى من رهاب الاحتجاز. فدفع بجسده بيأس حتى تحرر وركاه أخيرا، فتمكن من الاستناد على يديه وركبتيه ليخرج مهرولا إلى الهواء الطلق.

بيد أن شعوره بالانعتاق سرعان ما تبدد حين رأى جنديين متشحين بالسواد يقفان فوقه، مصوبين بنادقهما الهجومية إلى صدره.

"يا لها من نهاية موفقة".

وقبل أن يتسنى للانغدون تحذير كاثرين، كانت قد انزلقت بالفعل عبر الفتحة، ساحبة جسدها النحيل إلى المنحدر بصعوبة أقل بكثير. وما إن رفعت بصرها، حتى حول الجندي الثاني فوهة سلاحه نحوها.

صاح أحدهما" :أوراق إثبات الهوية! حالا"!

أمعن لانغدون النظر فيما حوله، فرأى ما كان يخشاه تماما، مدخل موقع البناء الخاضع لحراسة مشددة والذي رأياه سابقا، محاطا بذلك السياج المثلث.

كرر الجندي أمره وهو يقترب" :أوراق إثبات الهوية! سأمهلكما"——

صاح صوت أمريكي جهوري مفعم بالسلطة من أعلى المنحدر" :تنحَّ أيها الجندي "!ثم أقبل جندي مهيب من مشاة البحرية الأمريكية مرتديا بزته

الزرقاء التشريفاتية الكاملة، سائرا بخطى واسعة إلى أسفل المنحدر" .إنهما في صحبتي"!

تراجع الحارسان المذهولان خطوة إلى الوراء عن لانغدون وكاثرين ليتحدثا مع جندي البحرية الذي كان يبدو أعلى منهما رتبة. كان حديثهم مقتضبا، ثم انسحب الجنديان، وقد بدا عليهما الاستياء الشديد من إلغاء أمرهما، عائدين إلى أعلى المنحدر.

شعر لانغدون بالارتياح إذ لم تعد فوهات البنادق مصوبة نحوه، لكنه خشي الآن أن يكون هو وكاثرين قد وقعا في ورطة أشد خطورة.

من يكون جندي البحرية هذا؟ أهو من وكالة المخابرات المركزية؟ أحد أتباع فينش؟

وما إن غادر الجنديان، حتى لان جانب جندي البحرية الصارم، فباتت ملامحه الودودة لا تتناغم مع بزته العسكرية الصارمة. قال وهو يساعدهما على النهوض" :سيد لانغدون... آنسة سولومون. أنا سكوت كيربل. أعمل لدى السفيرة نيغل".

تمنى لانغدون أن يكون صادقا في قوله" .نحن بحاجة إلى رؤيتها على الفور".

همّ جندي البحرية بالرد حين عاد أحد حراس الجيش إلى أسفل المنحدر، والتقط صورة لهم ثلاثتهم معا، ثم سار عائدا وهو يجري اتصالا هاتفيا.

تمتم كيربل بكلمات نابية في سره" .عليّ أن أخرجكما من هنا على الفور".

سأل لانغدون" :إلى السفارة؟"

قال كيربل وهو يشرع في صعود المنحدر" :يمكننا أن نتحدث في ذلك في السيارة. اتبعاني".

نتحدث في الأمر؟ أثارت هذه العبارة شكوك لانغدون أضعافا مضاعفة . "في الواقع، قبل أن نذهب إلى أي مكان، نود التحدث إلى السفيرة نيغل".

قالت كاثرين" :أوافقه الرأي. إذا"——

قاطعها جندي البحرية بصوت حاد، واستدار نحوهما ووقف على مقربة منهما، وقد تلاشت ملامحه الودودة" :اسمعا جيدا. لقد احتُجزت السفيرة بأمر من مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) شخصيا. ويكاد يجزم يقيني أنكما التاليان على قائمته".

الفصل التاسع عشر بعد المئة

قابضاً على مقود سيارة السفارة، انطلق سكوت كيربل شمالاً بمحاذاة النهر، قاطعاً الطريق الذي سلكه من قبل في سرعةٍ خاطفة. وفي الاتجاه المعاكس، كانت قافلةٌ من مركبات النجدة تهرع كالسهم صوب حديقة فوليمانكا.

لم يعد هناك ما يستحق الإنقاذ، هكذا حدثته نفسه.

أما في المقعد الخلفي، فقد خيّم على لانغدون وسولومون صمتٌ مطبق، وقد عقدت الدهشة لسانيهما بعد أن لمحا بأم أعينهما هول الكارثة التي نجوا منها بأعجوبة. لم يبقَ من ملجأ حديقة فوليمانكا سوى هوةٍ سحيقةٍ غائرة، بعمق طوابق عدة، تملؤها كومةٌ من الصخور والتراب والخرسانة المهشمة والحديد الملتوي.

لم يستطع كيربل أن يتصور ما الذي تسبب في هذا الانفجار الغريب. فعلى حد علمه، لم يكن هناك حريقٌ أو حرارة، بل بردٌ قارسٌ فحسب. كان يعلم أن الملجأ الذي يعود إلى الحقبة السوفيتية كان قيد الترميم على يد فيلق المهندسين بالجيش الأمريكي طوال العامين الماضيين، ومن المؤكد أنه ما كان ينبغي أن يحتوي على أي متفجرات.

سأل لانغدون من المقعد الخلفي" :إلى أين تأخذنا؟"

سؤالٌ وجيه، فكر كيربل .لم يكن قد استوعب الصورة الكاملة بعد، لكنه كان يعلم أن السفيرة نايجل ومدير وكالة المخابرات المركزية جاد يخوضان صراعاً على النفوذ، وأن هذا الصراع يتعلق بطريقةٍ ما بلانغدون وسولومون.

بعد الانفجار، وبينما كان كيربل يهرول نازلاً من على التل، اتصل بنايجل ليتأكد من سلامتها. كانت هي على اتصالٍ بالمدير. وعندما أوضح كيربل أن الهزة لم تكن زلزالاً بل انفجاراً تحت حديقة فوليمانكا، كان أول ما نطقت به نايجل، في غرابةٍ لافتة، هو السؤال عن مكان لانغدون وسولومون .وأمرت كيربل بالتوجه إلى مسرح الحادث والبحث عنهما.

وبصرف النظر عما كان يتكشف بين السفيرة ومدير وكالة المخابرات المركزية، كان كيربل قد اختار جانبه بالفعل قبل ساعةٍ من الزمن، بقراره الخاطف بتهريب الحقيبة الدبلوماسية الخاصة بنايجل خارج السفارة. لقد كان ارتجالاً جاء في وقته المناسب، إذ إن المدير أمر على الفور تقريباً بتفتيش جناح السفيرة وموظفيها المقربين، بمن فيهم كيربل نفسه.

لو أنني احتفظت بالحقيبة... لكانت الآن في حوزة وكالة المخابرات المركزية.

وبينما كان يقود سيارته باتجاه السفارة، تحسباً لاحتمال تعقبها، أنبأته غريزته بأن تسليم لانغدون وسولومون إلى أيدي مدير وكالة المخابرات المركزية ليس

ما تريده نايجل .وأحس أيضاً أن هناك الكثير مما لا يبوح به الأمريكيان الجالسان في المقعد الخلفي.

قال لانغدون بصوتٍ حمل سلطةً مفاجئةً بالنظر إلى الظروف" :علينا أن نغادر. لا أستطيع أن أكشف لك التفاصيل، ولكن ثق بي حين أقول لك إن سفيرتك في خطرٍ داهم، لا سيما إذا كان مدير وكالة المخابرات المركزية قد احتجزها".

خطرٌ داهم؟ كان كيربل يدرك جيداً سمعة جريجوري جاد في عدم إظهار أي رحمةٍ عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي. ولكن هل يؤذي سفيراً حقاً؟ فكر كيربل في ذكر الحقيبة الدبلوماسية التي بدا أن المدير عازمٌ على العثور عليها، لكن أوامر السفيرة بشأن الحقيبة كانت واضحة *.لا تخبر أحداً.*

قال لانغدون" :إذا كان للسفيرة أن تنجو من هذه المحنة – جسدياً أو سياسياً – فأعتقد أنه لم يبقَ سوى شيءٌ واحدٌ يمكن أن يساعدها. وأعتقد أيضاً أنني أستطيع العثور عليه".

على الرغم من جرأة الادعاء، أحس كيربل أن الرجل على الأقل يؤمن بما يقول" .ما الذي تبحث عنه؟"

أجاب لانغدون" :ليس شيئاً، بل شخصاً".

رفع كيربل نظره، والتقى بعيني البروفيسور في مرآة الرؤية الخلفية.

"من هو؟"

قال لانغدون" :اسمها ساشا فيسنا، وكل ما تحتاجه السفيرة لتجاوز هذه العاصفة يكمن في رأس ساشا".

أيعرف روبرت حقاً كيف يصل إلى ساشا؟

للحظةٍ، خشيت كاثرين أن يكون لانغدون يراوغ، لكن إيماءته الواثقة أخبرتها أنه يتحدث بجديةٍ تامة.

العثور على ساشا هو مفتاح كل شيء...

فبصورةٍ أكثر حسماً من الملف الذي فقدته كاثرين في الانفجار، كانت ساشا نفسها الدليل القاطع الذي لا يُدحض على وجود مشروع ثرشولد من الأساس. إن فحصاً واحداً لدماغها لن يثبت فقط أن هذه الشريحة المتقدمة حقيقية، بل سيثبت أيضاً أن وكالة المخابرات المركزية قد خدعت مريضة نفسية روسية شابة لتصبح موضوع اختبارٍ طبي.

لقد أصبح تحديد موقع ساشا أكثر أهمية الآن، إذ إن تدمير ثرشولد قد جعل وضعهما الهش أشد خطورة. ستدخل وكالة المخابرات المركزية في طور السيطرة على الأضرار، ومع دفن جميع أدلة الإدانة تحت حديقة فوليمانكا

على نحوٍ يخدم مصالحهم، ستتحرك الوكالة بسرعةٍ لإنهاء كل الخيوط السائبة.

أنا وروبرت بالتأكيد نندرج تحت فئة التفاصيل التي لم تُحسم بعد، هكذا علمت *.وكذلك ساشا فيسنا ودميتري سيسيفيتش.*

استحضرت كاثرين صورة الشخص ذي السترة الغامضة الذي رأوه في ثرشولد .لقد أعلن الرجل نفسه "حامي ساشا "وكان من شبه المؤكد أنه سيسيفيتش –المصاب بالصرع الروسي ذو الشعر الداكن الذي أُخذ، مثل ساشا، من إحدى المصحات. إن سجلاته الطبية، للوهلة الأولى، أوحت لكاثرين بأنه قد توفي، ولكن يبدو الآن أن شيئاً آخر قد حدث له. ربما أفلت من قبضتهم. وأياً كان وضعه، فليس هناك من يملك دافعاً للعودة وتدمير المنشأة التي أخضعته لأهوالٍ لا توصف أكثر من دميتري.

اشتبهت كاثرين في أن المرض العقلي كان ضالعاً في الأمر على الأرجح. لقد لطخ الرجل نفسه بالطين وضحى بحياته لتدمير ثرشولد .وتساءلت عما إذا كان دميتري يعاني من حالة نفسية سابقة في المصحة، أم أنها نجمت عن صدمة جراحة الدماغ التوغلية والاستخدام القسري للعقاقير المهلوسة. في كلتا الحالتين، من الواضح أن دميتري سيسيفيتش لم يكن رجلاً سليماً.

ساشا في مكانٍ آمن، هكذا قال الرجل.

حثته كاثرين" :روبرت، هل تعرف حقاً أين تجد ساشا؟"

أجاب" :لقد اكتشفت ذلك للتو. لا يوجد سوى مكان واحد يمكن أن تكون فيه... ولكن لكي أجدها، أحتاج إلى الدخول إلى شقتها"...

قاطعه كيربل" :إنها ليست هناك. لقد كنت أنا من عثر على جثة هاريس. كانت ساشا قد رحلت منذ زمنٍ بعيد. سارع فريقنا باستعادة هاريس، وأغلق المكان، وغادر".

قال لانغدون" :أتفهم ذلك. ولكني ما زلت بحاجةٍ إلى الدخول. هناك شيءٌ ما يمكن أن يساعدنا. كيف تمكنت من الدخول إلى شقتها؟"

"زميلتي، دانا دانيك. كان لديها مفتاح".

سأل لانغدون" :أعلى حلقة مفاتيح تحمل دمية *Krazy Kitten*؟"

ألقى كيربل نظرةً فوق كتفه" .كيف عرفت ذلك؟"

"لأنني أنا من أعطاها للسيدة دانيك. والآن، لا بد لي من استعادتها منها على الفور".

قال كيربل" :هذا محال، لم تعد بحوزة دانا".

لعن لانغدون تحت أنفاسه" .ومن يملكها الآن؟"

مد كيربل يده إلى جيبه وألقى بجسمٍ صغيرٍ إلى لانغدون" .أنت تملكها، أيها البروفيسور".

انفجارٌ هائلٌ في براغ؟!

تصفح جوناس فوكمان في عصبيةٍ تنبيه صحيفة نيويورك تايمز على حاسوبه وحاول أن يقنع نفسه بأن الانفجار كان مجرد مصادفة. على الرغم من الاستحالة الإحصائية لوجود لانغدون في أي مكانٍ بالقرب من الانفجار، إلا أن لصديقه عادةً مقلقةً في أن يجد نفسه في بؤرة المتاعب.

لقد مضت أكثر من ساعةٍ على رسالة لانغدون الإلكترونية، ولم ترد أي أخبارٍ منذ ذلك الحين. وإذ لم يستطع أن يدفع القلق المتزايد عن ذهنه، اتصل فوكمان بفندق فور سيزونز في براغ وطلب تحويله إلى غرفة لانغدون.

وبينما كان يسير متثاقلاً في عتمةٍ دامسةٍ داخل النفق المغلق، سمع الغولم تغيراً مفاجئاً في صدى خطواته المتردد.

صدى أقل... لقد بلغتُ فضاءً مفتوحاً.

مرر يده على الجدار صعوداً، فوجد حافةً وأدرك في ارتياحٍ أنه قد وصل أخيراً إلى منصة الترام تحت حصن كروسيفيكس .كانت الحافة عند مستوى عينيه، أعلى مما توقع، وسيحتاج إلى رفع نفسه للأعلى.

سرعان ما خلع رداءه الثقيل وحذاءه ذا النعل السميك، ووضعهما في كومةٍ عند قدميه. ثم اعتلى مسنده المرتجل، ومد يده إلى الأعلى، وتحسس الحافة، مقدراً ارتفاعها. سيحتاج إلى القفز عالياً بما يكفي ليرتكز بمرفقيه وساعديه على المنصة.

يجب أن تهرب. حياة ساشا تتوقف على ذلك.

وبدافعٍ من التفكير فيها، انحنى الغولم إلى الأسفل وقفز بكل قوته، وبالكاد تمكن من إسناد نفسه. وركل بساقيه المنهكتين، فاستطاع أن يرفع إحداهما ويعلق كعبه على الحافة. وفي صراعٍ مع الجاذبية والإرهاق، جر نفسه إلى المنصة المعدنية... وانهار.

استراح لما يقرب من دقيقةٍ كاملة، وعيناه مغمضتان، يتنفس بعمق.

وعندما فتح عينيه أخيراً، رأى الغولم شيئاً يحوم في الظلام... دائرةً صغيرةً متوهجة.

ضوءٌ في نهاية النفق.

لقد كان الزر المضيء لمصعد حصن كروسيفيكس.

الفصل العشرون بعد المئة

ما إن ترجلت كاثرين ولانغدون من سيارة السفارة في مهب الريح الباردة قرب ساحة البلدة القديمة، حتى استبد بها القلق. فقد كان الرقيب كيربل، نزولا عند رغبة لانغدون، قد وافق على أن يتركهما في هذا الموضع قبل أن يمضي في طريقه إلى السفارة.

كل ما أرجوه أن يكون روبرت مدركا لما هو مقدم عليه.

على مدى الدقائق المنصرمة، كانت تلمح في لانغدون مراوغة غريبة في حديثه مع جندي البحرية، إذ أبى أن يفصح له عن المكان الذي يعتقد أن ساشا تقبع فيه. وكل ما قاله هو أنه بحاجة إلى الذهاب إلى شقة ساشا للعثور على شيء من شأنه أن يعينهم. وبدا أن كيربل قد تفهم منطقه، بل ربما استحسنه. فإن مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) في أمس الحاجة إلى العثور على ساشا فيسنا؛ وإذا ما استُجوب كيربل، فلن يستطيع أن يفشي ما لا يعلم.

كانت كاثرين لتشعر بأمان أكبر لو أن كيربل قد رافقهما، ولكن كان من الجلي أنه بحاجة إلى العودة إلى السفارة. لقد بدا وكأنه الحليف الأوحد للسفيرة، وشعر أنه ملزم بالبقاء في موقعه لحمايتها من مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) بكل ما أوتي من سبيل.

قال كيربل، وهو ينزل زجاج نافذته ليلقي عليهما تحية وداع خاطفة : "ستكون السفيرة ممتنة لجهودكما. حظا موفقا، إلى أي وجهة كنتم تقصدون".

أجاب لانغدون" :شكرا لتفهمك".

قال كيربل" :هذا ما نسميه عزل المعلومات في أمن العمليات (OPSEC)كان يمكن أن تكون جنديا في مشاة البحرية".

قال لانغدون وهو يمد يده عبر النافذة ليصافح جندي البحرية" :تلك فكرة تقشعر لها الأبدان. معي رقمك المباشر. سأتصل بك في اللحظة التي يتكشف لنا فيها أي جديد".

أضافت كاثرين" :وإذا ما عثرنا على ساشا، فسنأخذها إلى مكان آمن، وستملك السفيرة حينها كل ما تحتاجه من قوة لحمايتك".

قال كيربل" :آمل أن تكوني على حق. فالمحاكمات العسكرية كفيلة بأن تفسد على المرء عطلة نهاية الأسبوع".

وما إن انطلقت سيارة جندي البحرية، حتى أحاط لانغدون كاثرين بذراعه وقادها عبر الساحة التي كانت تموج بالحركة. وفي الجانب الآخر، مرا تحت قوس حجري قادهما إلى سلسلة من الأزقة الضيقة. وحين أخذت أصوات

الساحة تخفت وراءهما، شعرت كاثرين أن المكان قد أمسى أخيرا من الخلوة بما يسمح بالحديث.

قالت على عجل" :إذن، ما الذي يجري؟ وإلى أين نحن ذاهبان؟ وأين هي ساشا؟"

أجاب" :نحن ذاهبان إلى شقتها. لقد استنتجت أن ساشا لم تغادر قط. لم يكن بوسعها ذلك. إنها لا تزال في الداخل".

توقفت كاثرين فجأة" .لقد قال جندي البحرية للتو إن ساشا ليست هناك".

"إنه مخطئ".

"قال إن خبراء الأدلة الجنائية فتشوا الشقة"!

"أجل، ولكنهم لم يفتشوا المكان بأسره".

"لا أفهم".

قال وهو يمد يده إليها" :ستفهمين. هيا بنا".

تبعت كاثرين لانغدون وهو يتعمق في متاهة الأزقة المحيطة بساحة البلدة في براغ" .حمدا لله أنه يتمتع بذاكرة جيدة"، فكرت في نفسها وهو يقتفي أثر الطريق الذي سلكته به ساشا في وقت سابق من هذا اليوم. وأخذت الأزقة

تزداد ضيقا على ضيق، وغاصت ممراتها المرصوفة بالحصى في ظلال حالكة مع خفوت ضوء العصر الآفل.

أعلن لانغدون أخيرا وهو يتوقف أمام باب عادي لا يختلف عن أي باب آخر مرا به" :هذا هو".

لم ترَ كاثرين أي أرقام أو علامات" .أأنت واثق؟"

أشار لانغدون إلى النافذة المجاورة للباب، ففزعت كاثرين حين رأت أربع عيون تحدق فيها. كان قطان سياميان يراقبان من الداخل باهتمام، وكأنهما يترقبان عودة صاحبتهما. ورغم أن وجود القطين قد أكد لها أن هذه هي شقة ساشا، إلا أنه زاد من حيرتها ودهشتها من سبب اعتقاد لانغدون أن ساشا موجودة هنا حقا" .روبرت، يبدو هذان القطّان وكأنهما ينتظران عودة ساشا إلى المنزل".

قال لانغدون" :إنهما كذلك. كل ما في الأمر أنهما لا يعلمان أنها هنا أيضا".

لم تفهم كاثرين مغزى كلامه.

قال لانغدون مشيرا إلى ما حولهما" :انظري إلى هذا الزقاق. أتذكرين حين أخبرتك عن الرسالة التي دُست تحت باب ساشا هذا الصباح؟ في غضون

ثوان من تلقي الرسالة، هرعت إلى هذا الزقاق عينه، لكن الرسول كان قد تلاشى. تلاشى على نحو يستحيل تصوره. ما كان له أن يتبخر في الهواء ببساطة".

تفرست في الزقاق. لا مكان للاختباء، هذا ما اعترفت به في نفسها.

قال لانغدون" :ثم أدركت أن الجواب كان واضحا وضوح الشمس. إن الشخص الذي ترك الرسالة... لم يبرح المكان قط. لقد ولج ببساطة إلى مخبأ مناسب للغاية".

ألقت كاثرين نظرة حولها في حيرة" .أين؟"

قال لانغدون مشيرا" :هناك تماما".

تبعت نظرة كاثرين إصبع لانغدون الممدودة إلى أعلى واجهة المبنى، إلى مجموعة من النوافذ تقع مباشرة فوق شقة ساشا .كانت جميع نوافذ الطابق العلوي موصدة بمصاريع خشبية ثقيلة.

قال لانغدون" :الشقة في الطابق العلوي. لقد قالت غيسنر إنها تملك كلتا الشقتين، وإنها كانت تقيم في الطابق العلوي فوق والدتها المريضة. والآن، تسمح لساشا باستخدام الشقة السفلية، بينما تظل الشقة العلوية... خالية".

تأملت كاثرين النوافذ الموصدة للشقة الخالية، وتخيلت شخصا ما – الأغلب أنه ديميتري –يضع رسالة تحت باب ساشا ثم يتسلل بهدوء إلى الطابق العلوي بينما كان لانغدون يبحث في الشارع عبثا. أمر محتمل جدا...

سار لانغدون بخطى واسعة نحو الباب الخارجي للمبنى، المصنوع من خشب سميك، ذي شرائح مائلة، ومزود بشاشة أمنية. أخرج من جيبه حلقة مفاتيح "القطة المجنونة"، وفتح الباب، وأدخل كاثرين إلى الردهة القذرة.

ورغم تواضع المدخل، كان بإمكانها أن ترى أن ساشا قد جعلت منه بيتها. فباب شقتها يقع على اليمين مباشرة، مزينا بنباتات الأصيص، وإكليل من زهور الوستارية، وممسحة أرجل كُتب عليها: "يرجى مسح الكفوف."

على الجدار الخلفي للردهة، كانت غرفة تخزين صغيرة مكدسة حتى السقف بصناديق من الورق المقوى القديم. ولدهشة كاثرين، توجه لانغدون مباشرة إليها، ولم يتوقف إلا على بعد بوصة واحدة من حاجز الصناديق، حتى كاد صدره يلامسها. حدق إلى الأعلى، كأنه يدرس الهندسة المعمارية للحنية، ثم أومأ برأسه، مشيرا إليها بالقدوم.

وما إن اقتربت كاثرين، حتى انحرف لانغدون جانبا إلى يمينه، واختفى في فتحة لا تكاد تُرى، يبدو أنها كانت موجودة بين الصناديق وجدار الحنية.

فزعت كاثرين وتبعته على عجل، وانزلقت عبر الممر الضيق، وانعطفت يسارا حول كومة الصناديق، ثم يسارا مرة أخرى، لتجد نفسها إلى جانب لانغدون .وفي الضوء الخافت الذي تسرب من حول الصناديق، رأت أنهما يقفان عند أسفل درج ضيق، يصعد إلى الظلام.

أدركت عندئذٍ أن هذا ليس بمخزن على الإطلاق، بل هو مستقرٌّ لدرج خفي.

"لم ألحظ في البداية أن هذه الردهة تخلو من درج إلى الطابق الثاني. ثم أدركت لاحقا أنه لا بد من وجود مدخل، وبما أنه لا يوجد مدخل منفصل، فلا بد أن يكون الوصول إلى كلتا الشقتين من خلال هذه الردهة. وهذا يفسر أيضا كيف يمكن لشخص أن يختفي دون أثر فور دس ورقة تحت باب ساشا".

أومأت كاثرين برأسها" .يختبئ على بعد خطوات معدودة. يا لها من حيلة بارعة".

"أجل، وبعد أن انطلقت مسرعا إلى برج بترين، خرج هو ببساطة من مخبئه، ودخل شقة ساشا، وإما أنه أقنعها بالصعود إلى الطابق العلوي أو أنه شل حركتها بطريقة ما. وفي كلتا الحالتين، لا بد أنه تركها في الطابق العلوي كي لا تضطر إلى رؤيته وهو يقتل هاريس".

بسيط ومحكم. أومأت كاثرين برأسها" .وحين عثرت السفارة على جثة هاريس، كانت ساشا قد اختفت، فافترضوا منطقيا أنها فرت من مسرح الجريمة".

"بالضبط".

سألت وهي ترمق الدرج بنظرة فاحصة" :إذن، كيف ستدخل إلى الشقة؟"

"سأطرق الباب بقوة وآمل أن تسمعني ساشا".

قالت مستنكرة" :أهذه هي خطتك؟ ماذا لو كانت مخدرة إلى درجة لا تسمعك معها؟ أو لو كانت مقيدة ولا تستطيع الوصول إلى الباب؟"

قطب لانغدون حاجبيه" .لدي خطة بديلة إذن".

وبينما بدأ لانغدون يصعد الدرج المظلم، ضغط على مفتاح النور في الأسفل، لكن شيئا لم يحدث.

أشارت كاثرين إلى المصباح فوق رأسها، الذي كان عاريا" .لا يوجد مصباح".

كانت على وشك أن تقترح على لانغدون أن يدخل شقة ساشا ويبحث عن مصباح يدوي، لكنه كان قد اندفع بالفعل في الظلمة، ولا شك أنه كان متلهفا للخروج من الممر الضيق.

لم تكن كاثرين تستسيغ الظلام أكثر مما كان لانغدون يستسيغ الأماكن المغلقة، لكنها أجبرت نفسها على اللحاق به. ووضعت يدها بقوة على الدرابزين المتهالك، وصعدت إلى أعلى الدرج، ومدت يدها بحذر لتجد لانغدون على البسطة الصغيرة، في ظلام شبه دامس، واقفا أمام باب وحيد.

نادى وهو يطرق" :ساشا؟! أهناك أحد؟"!

صمت.

طرق بقوة أكبر الآن" .ساشا؟ أنا روبرت لانغدون! هل أنت بخير؟"

لا جواب.

جرب لانغدون الباب. كان موصدا.

وبعد أن طرق بضع مرات أخرى، ألصق أذنه بالباب لعشر ثوان كاملة.

وأخيرا، تراجع إلى الوراء وهز رأسه" .إن صمتا مطبقا يخيم على المكان. كل ما أرجوه أن تكون بخير".

سألت كاثرين في الظلام" :وماذا كانت الخطة البديلة؟ هل نبحث عن عتلة أو مطرقة؟"

قال لانغدون مفكرا" :قد يكون الأمر أبسط من ذلك. غيسنر تملك هاتين الشقتين، وكانت تقيم فوق والدتها المريضة "...بدا وكأنه يتفحص مقبض الباب في الظلام.

ضيقت كاثرين عينيها لترى ما يفعله" .هل تحاول خلع القفل؟"

أجاب" :ليس تماما ".استمر في تحريك يديه، ثم سمعت صوت نقرة أسطوانة. رفع لانغدون المقبض ودفع الباب برفق. فانفتح.

حدقت فيه كاثرين" .ما الذي حدث للتو؟"

رفع لانغدون حلقة مفاتيح "القطة المجنونة" ."لقد عاشت غيسنر هنا، وكانت تملك كلتا الشقتين، وكانت والدتها عليلة، فلمَ لا تبسط الأمر وتجعل مفتاحا واحدا يفتح كلا الشقتين، تيسيرا للوصول؟"

"بالطبع"، أدركت كاثرين، ولم يكن هناك داع لتغيير الأقفال حين انتقلت ساشا للعيش هنا لأن الشقة الثانية كانت خالية.

وبينما انفتح الباب محدثا صريرا، وجد لانغدون وكاثرين نفسيهما يحدقان في عتمة حالكة، وهو ما لم يكن مفاجئا بالنظر إلى المصاريع الثقيلة التي تحجب النوافذ. مدت كاثرين يدها داخل إطار الباب وتحسست المكان، فعثرت

على مفتاح النور. وحين ضغطت عليه، تراجعا كلاهما في مفاجأة. كان المشهد الذي تكشّف أمام ناظريهما عالما غريبا.

كانت الشقة الجرداء غارقة بأسرها في ضياء أرجواني غريب.

الفصل الحادي والعشرون بعد المئة

أمعن الجولم النظر في محياه المكتسي بالطين اليابس على صفحة المرآة، وهو يوقن أنها سيمياء لن تقع عليها عيناه مرة أخرى. لقد دنت النهاية، ويا لسعادته إذ جاءت على النحو الذي طالما ارتسم في خياله.

أنا الجولم .ولقد كاد زمني أن ينقضي.

وبعد أن ارتقى في سلام إلى مختبر جيسنر، وجد نفسه في طبقة تقع أسفل حصن كروسيفيكس ، واقفًا في مِرفق صغير ملحق بالمختبر.

وإلى جوار المغسلة، وقف يتأمل الأحرف العبرية الثلاثة المنقوشة على جبينه نقشًا فجًا. لقد بهت لونها من عرق الجبين وغبار الدروب، بيد أن الكلمة العتيقة ذات السلطان ما برحت تردد صداها في كيانه.

תמא

"الحقيقة."

لطالما أيقن الجولم أن هذه اللحظة آتية لا ريب فيها.

"الحقيقة تستحيل موتًا."

وكما صنع الحاخام يهوذا لوف قبل قرون غابرة حين أراد أن يردي وحشه الطيني قتيلًا ويحرره من ربقة العبودية، كذلك ضغط الجولم الآن بسبابته على الطين اليابس السميك، كابسًا على الحرف الأيمن، حرف "الألف."

وبإحساس موجع بالفقد وضياع الهوية، جرّ إصبعه إلى أسفل، مقشرًا الطين حتى تلاشى الحرف واختفى أثره.

وكما تقتضي الشعائر القديمة، إذا بجبينه يحمل الآن كلمة أخرى لا تمت للأولى بصلة.

מת

وهي كلمة تعني "الميت" في اللسان العبري.

لم يشعر الجولم بأي تغيير في ظاهره، غير أنه أحس بباطنه، بروحه، بوعيه... وقد بدأ يتحول ويتبدل. كان يستعد للانعتاق من هذا القالب المستعار انعتاقًا أخيرًا لا رجعة فيه.

لقد ذاق الجولم الموت مرارًا وتكرارًا، وكان يعلم أن جوهره سيظل هائمًا في الأثير، ولكنه أيقن أن هذه المرة تختلف، فهذا الموت كان اختياره.

لقد جئت إلى هذا العالم... كي تحيا هي.

وعما قريب لا بد لي من الرحيل... كي تظل هي على قيد الحياة.

لقد شهد هذا اليوم أفول أشياء كثر.

أفول "ثرشهولد."

وأفول معذبي ساشا.

وقريبًا، أفول الجولم ذاته.

أعرض الجولم بوجهه عن المرآة، وشرع يخلع ما تبقى عليه من ثياب. وحين تجرد من كل شيء، ولج إلى المغتسل المعد للطوارئ في المختبر وأطلق تيار الماء.

فأحس بوقع الماء الفاتر على رأسه وكتفيه المنهمكين وقعًا يبعث السكينة ويرد العافية.

ومستسلمًا لتحوله، أرخى جفنيه وراح يرقب خيوط الطين المبلل وهي تسيل على جسده الشاحب... جداول رمادية طويلة تنساب متلوية إلى البالوعة في مشهدها الأخير.

الفصل الثاني والعشرون بعد المئة

وَلَجَ روبرت لانغدون الشقةَ الغارقة في ضيائها الغريب على حذر وترقب، وقد سعى جاهدا أن يستجلي كنه المشهد الذي تكشّف أمام ناظريه. لقد خُيّل إليه أن الشقة العلوية تستمد نورها كله من مصابيح سوداء، فتملأ دواخلها الموحشة غلالة أرجوانية تطبع المكان بطابعها الشبحي. وكانت الجدران والأرضيات والأسقف قد طُليت جميعها بسواد حالك. وفي إحدى الزوايا، انتصب كرسي ومنضدة على هيئة رثة، وقد وُضع على المنضدة كوب بدا أنه مملوء إلى نصفه بالماء.

أتُرى يقطن هذا المكان إنسان؟

لم يحتج لانغدون إلا إلى هنيهة من الزمن ليوقن أن الساكن الغامض لهذا المكان لا بد أن يكون دميتري سيسيفيتش .ومع أن هذا الإدراك قد استدعى إلى ذهنه سيلا من الأسئلة التي لا جواب لها، إلا أنه كان على يقين شبه تام بأن الرجل لن يعود إلى هنا مرة أخرى.

فالأغلب أنه قد وُري الثرى تحت أنقاض ثرِشولد.

وربما لم تكن ساشا تعلم قط أن لشقتها مفتاحا يفتح هذا المكان المهجور في الطابق العلوي. أما دميتري، فلا ريب أنه كان على دراية تامة بذلك. ذاك

الذي نصب نفسه حاميا لساشا ...كان يملك سبيلا مباشرا إلى شقة ساشا الموصدة. لقد أورثت تلك الفكرة لانغدون قشعريرة سرت في بدنه.

فهتف مناديا وهو يتوغل في المكان" :يا ساشا؟ أنا روبرت لانغدون! أأنتِ هاهنا؟"

ساد صمت مطبق. كان الهواء راكدا فاسدا، وصرّت الأرضيات تحت أقدامهما هو وكاثرين وهما يتحركان.

صاحت كاثرين بأعلى صوتها" :يا ساشا؟"!

كان تصميم هذه الشقة يختلف عن تصميم شقة ساشا، وإن كانت تماثلها في ضآلتها وشح أثاثها. وبمنهجية ونظام، أخذ لانغدون وكاثرين يفتشان المكان. كان المطبخ خاويا على عروشه، والبراد فارغا إلا من قارورتين كبيرتين من مياه بوديبرادكا المعدنية. أما الخزانة الصغيرة الملحقة بغرفة النوم، فلم تحوِ إلا عمودا عُلقت عليه ثلاث علاّقات ملابس فارغة.

بدأ لانغدون يرجح أن هذه الشقة لم تكن مسكنا بقدر ما كانت أشبه بملاذ غريب يُلجأ إليه على فترات متقطعة.

قالت كاثرين وهي تضغط على مفتاح النور عبثا ترفعه وتخفضه" :غرفة النوم ليس بها مصابيح."

انضم إليها لانغدون عند باب الغرفة، ونادى" :يا ساشا؟"

فلما لم يأتِه جواب، تقدم متجاوزا كاثرين إلى الظلمة، يمشي على غير هدى في أرجاء الغرفة بذراعين ممدودتين، آملا أن تقع يداه على نافذة، أو يجد سبيلا لفتح مغاليقها. وحين بلغ منتصف الغرفة، أحس أنه يطأ شيئا لينا على الأرض، كوسادة أو بساط من نوعٍ ما.

وإذ ذاك، تعالى من خلفه أزيز عود ثقاب كبريتي، فالتفت لانغدون ليرى كاثرين جاثية أمام منضدة منخفضة، تشعل مجموعة من الشموع. ومع ازدياد النور سطوعا، تبين لانغدون أن المنضدة كانت أشبه بمذبح صغير يتألف من ثلاث شموع وباقة من الزهور المجففة. وفوقها على الحائط، عُلقت صورة لامرأة.

عرف لانغدون المرأة الشقراء في الحال، فقال لكاثرين وهو يتقدم نحو ذلك المشهد الذي يبعث في النفس وحشة غريبة، وقد أدرك أن حب دميتري لساشا كان يشارف حدود... الهوس" :يا إلهي... إنها ساشا ."وفكر في نفسه قائلا: "حاميها"، وهو لا يزال يحاول أن يلم شعث الصورة في ذهنه.

قالت كاثرين مشيرة إلى بساط كبير في وسط الأرضية" :انظر، أظنه كان ينام هنا في بعض الأحيان".

"لا أظن ذلك يا روبرت. هذا ليس للنوم. فليس ثمة وسادة، ولا أغطية. و... هناك كمامة كروية".

وبالفعل، أبصر لانغدون على البساط حزاما جلديا يطوق الرأس ومثبت به كرة بلاستيكية سوداء. وكانت تلك الكرة المصنوعة من النيوبرين اللين مثقبة كثقوب كرة "الويفل"، كي يتمكن الشخص المكمم من التنفس. فقال" :إذن، هل هذه غرفة... لممارسة الجنس؟"

قالت" :لا أعتقد أن هذه الكمامة للجنس. أظنها لحماية الأسنان واللسان أثناء نوبة الصرع".

دُهش لانغدون، واستدعى إلى ذاكرته واقي الفم الخاص بنوبات الصرع PATIالموجود في صندوق الإسعافات الأولية في قاعة محاضراته. إن هذه الكرة المثقبة تؤدي الغرض نفسه.

قالت كاثرين" :لا بد أن دميتري كان يستخدم هذه الغرفة كمكان آمن ليعاني فيه نوبات صرعه. فالوسائد تشكل خطر الاختناق، والأغطية قد تتشابك. هذه بيئة آمنة، لا سيما إذا كان يرتدي كمامة كروية".

استغرب لانغدون أن شخصا يمتلك عصا غيسنر لعلاج الصرع لا يختار أن يجهض كل نوبة قبل حدوثها. ولكنه تذكر أن بعض مرضى الصرع يزعمون أن النوبات تجلب لهم صفاء ذهنيا ونشوة تفوق بكثير ما يعانونه من ألم

جسدي. ويبدو أن عصا دميتري كانت تمنحه أفضل ما في العالمين؛ إذ كان بوسعه أن يختار مكان وزمان نوباته... في بيئة آمنة ومسيطر عليها.

ومهما يكن من أمر، فإن كل ما أيقنه لانغدون هو أن ساشا لم تكن هنا. ولم يبق سوى الحمام لتفقده، فتوجه لانغدون إلى الردهة بينما كانت كاثرين تطفئ الشموع في غرفة النوم. وكما توقع، وجد الحمام وحوض الاستحمام فارغين؛ فإذا كان دميتري قد أخفى ساشا في مكان ما، فإنه ليس في هذه الشقة.

كانت وحدة الإضاءة في الحمام، كسائر الوحدات في الشقة، مزودة بمصباح أسود، مما جعل المغسلة والحوض الأبيضين يتوهجان ببريق فسفوري.
والغريب أن المرآة التي كانت فوق المغسلة قد أُزيلت، ولم يبق منها سوى ثقوب المسامير الفارغة في الجدار.

وبجانب المغسلة، على رف، وجد لانغدون مرآة يدوية، وسكين معجون، ووعاء للخلط، ورزمة من أغطية الرأس المطاطية البيضاء الشبيهة بشكل الجمجمة. كما وجد ثلاث علب من مستحضر تجميل مسرحي يدعى UltraMud، يحمل ملصقه صورة مرعبة لوجه ممثل مغطى بطبقة سميكة من الطين المتشقق. كان المشهد مألوفا لديه إلى حد كبير.

وبينما كان لانغدون يتفحص بقية الغرفة، وقع بصره على شيء يتوهج في سلة المهملات تحت المغسلة. بدا كأنه منشفة بيضاء كُورت وأُلقيت في السلة. وبدا أيضا أنها ملطخة بالدماء... دماء كثيرة.

تملكه الفزع، فرفع السلة وأفرغ محتوياتها في المغسلة، ليدرك في التو أنه كان مخطئا. فما كان ملقى في حوض المغسلة إلا غطاء رأس أبيض، مجعدا وملطخا بالطين.

ليس دما، قال في نفسه وقد غمرته راحة. فالضوء الأرجواني يجعل تمييز الألوان أمرا عسيرا.

ولكنه بينما كان يتأمل غطاء الرأس، لمح شيئا يبرق في الضوء؛ ليفة دقيقة عالقة بغطاء الرأس المطاطي. كانت الخصلة من الصغر بحيث لو لم تكن متوهجة، لما كان لانغدون ليلحظها أبدا.

يستحيل أن يكون هذا ما يبدو عليه...

انحنى والتقط ذلك الشيء بعناية من على غطاء الرأس، ورفعه إلى الضوء. لم يكن لديه أدنى شك في حقيقة ما يراه، ولكن ما لم يستطع لانغدون فهمه هو سبب وجوده هنا.

لا معنى لهذا على الإطلاق.

ثم أحس برهبة مفاجئة تجتاحه. إلا إذا...

كثيرا ما كان لانغدون يردد في محاضراته عن علم الرموز قولا مأثورا: "إن تبدلا في زاوية النظر كثيرا ما يكشف عن حقيقة كانت في الخفاء". هذه الفكرة، من نواح عدة، هي التي رسمت ملامح مسيرة لانغدون المهنية. فقدرته على النظر إلى لغز من زاوية غير متوقعة مكنته مرارا من إبصار حقائق غابت عن الآخرين.

والآن، وهو يتفحص ذلك الشيء الدقيق بين أنامله، خشي لانغدون أنه يمر بلحظة من تلك اللحظات.

شعر لانغدون وكأن الأرض قد تزلزلت به من وقع هذا الانقلاب المفاجئ في المنظور، فوضع يده على المغسلة ليستند. ورأى بعين خياله كل قطع الأحجية التي جمعها اليوم تتناثر شظاياها، وتتهاوى في الفضاء، ثم تعود فتتجمع أجزاؤها وتسقط على الأرض. وقطعة تلو الأخرى، التأم شمل الصورة في رأس لانغدون من جديد في هيئة أخرى.

يا إلهي... كيف غابت عني كل هذه الحقيقة؟

كانت الفكرة التي تجلت أمامه تكاد تكون فوق متناول الخيال، ولكنه أحس بحدسه أنها لا بد أن تكون الحقيقة. وككل حقيقة صافية، كانت

تجيب عن كل سؤال... وتفسر كل شذوذ... وقد كانت ماثلة أمامه طوال الوقت.

همس لنفسه" :*الوعي غير الموضعي* ...لقد كانت كاثرين على حق".

صاح لانغدون وهو يندفع خارجا من الحمام متجها إلى المخرج" :لقد فاتني الأمر! علينا أن نذهب، وسأشرح لكِ لاحقا"!

فاتك ماذا؟! تساءلت كاثرين في نفسها وهي تهرع خلفه. انتظر!

عندما وصلت إلى الباب، كان روبرت يهبط الدرج المظلم مهرولا. وعندما لحقت به، كان في البهو، جاثيا على ممسحة الأرجل أمام شقة ساشا .وبدا كأنه يحاول تحسس شيء ما تحت بابها. ماذا يفعل؟" !يا روبرت، لدينا مفتاح إذا"...

صاح وهو يقفز واقفا، ويدس يده في جيبه، ويخرج قصاصة ورق أدركت كاثرين أنها الرسالة التي تلقاها في وقت سابق تحت باب ساشا" :لم يكن الأمر ممكنا من الأساس"!

ولدهشة كاثرين، حاول لانغدون مرارا أن يدس الرسالة تحت بابها، ففشل في كل مرة في إدخالها تحت عتبة الباب المحكمة. كانت الورقة تصطدم بالشريط السميك العازل الذي تم تركيبه لمنع تسرب البرد.

كرر لانغدون قوله وهو يقف أخيرا" :لم يكن الأمر ممكنا قط. لقد رأيت الشريط العازل من قبل، لكنني لم أعر الأمر انتباها. لا سبيل لإدخال هذه الرسالة تحت الباب من الخارج"!

قالت كاثرين" :أرى ذلك، لكنني لا"...

"ألا ترين يا كاثرين؟ الرسالة لم تُسلّم من الخارج... بل إن الشخص الذي تركها كان داخل الشقة طوال الوقت"!

دبت في أوصالها قشعريرة جليدية. لقد كان يختبئ في الداخل بالفعل.

همست قائلة" :في خزانة الردهة"...، وتصورت في ذهنها الرجل الروسي ذا الشعر الداكن ينتظر لحظة هدوء... يخرج من الخزانة... يدس الرسالة جزئيا تحت الباب... يطرق بقوة على الباب من الداخل... ثم يختفي على الفور عائدا إلى الخزانة. لقد كانت خدعة بارعة. لقد انطلت الحيلة على ساشا وروبرت تماما.

قال لانغدون وقد علا وجهه شحوب الموتى" :لا، ليس في الخزانة ".بدا مضطربا على نحو لم تعهده فيه من قبل" .لم يكن أحد في الخزانة. كان المخبأ... أكثر عبقرية بكثير ".وتهدج صوته الآن" .لا أصدق أنني لم أر أيا من هذا"...

"ما الذي لم تره؟ أنا لا أفهم".

وقف لانغدون منتصبا. وقال وهو يحدق في عيني كاثرين" :لقد تحدثتِ عن ذلك في محاضرتكِ الليلة الماضية. وصفتِ الأمر بأنه دليل على الوعي غير الموضعي... دليل على أن أدمغتنا تعمل كمستقبلات، وإذا تعرضت للتلف، فقد تتشوش الإشارات"...

قالت" :هل تقصد متلازمة الموهوب المفاجئ؟"، ثم أردفت" :حسنا، لكنني لا أرى"...

"لا! ما وصفتِه بعد ذلك مباشرة"!

فكرت كاثرين للحظة، مسترجعة تسلسل محاضرتها، وفجأة أدركت ما كان لانغدون يشير إليه. ولم تحتج إلا إلى لحظة أخرى لتفهم ما كان يحاول أن يقوله لها" .أوه... يا روبرت... لا يمكن أن تعتقد"...

قال وهو يرفع شيئا دقيقا بين إبهامه وسبابته" :لقد وجدت هذا في الحمام. كان عالقا بالجانب الداخلي من غطاء رأسه المتسخ".

رأت كاثرين ما كان لانغدون يحمله.

فإذا كان على صواب، فإن كل ما اعتقداه بشأن شخصية الـ غولم كان محض خطأ فادح.

الفصل الثالث والعشرون بعد المئة

غمر البخار مغتسل المختبر في حصن كروسيفيكس .ألقى الجولم برأسه إلى الوراء وتملى وقع الماء الرخو على محياه. وبينما كان يدلك وجنتيه برفق براحتيه، أحس بآخر وشائج الطين اليابس وهي تنفك عن بشرته... آخر أثر للجولم وهو يتلاشى وينمحي.

ومضى يمرر يديه على رأسه، فأدرك في غمرة إعيائه أنه قد نسي أن ينزع قلنسوته. تحسس بأطراف أنامله حافة القلنسوة الملتصقة بجلده، فانتزعها عن جبينه، وتأوه في ألم إذ انزلقت إلى الخلف عن رأسه، قاطعة في طريقها لا محالة بضع شعيرات من فروته.

ألقى الجولم بالقلنسوة على الأرض وراح يدلك فروة رأسه في رفق، تاركًا الماء ينساب بين خصلات شعره الكثيف، غاسلًا ما علق به من بقايا الوحل. وما إن استحال لون الماء المتلوي في البالوعة صفاءً تامًا، حتى خطا خارجًا من المغتسل.

ووقف ملتفًا بمنشفة إلى جوار المغسلة، يختلس لحظة نادرة يتأمل فيها نفسه في صفحة المرآة.

كانت العينان اللتان ترنوان إليه محتقنتين بالدم، باد عليهما الإنهاك... وجه حفرت فيه صروف ماضٍ عنيف أخاديدها. كان يدرك أنه ليس بالوجه الجميل، ولكنه الوجه الذي قُدر له أن يكون له.

وخاطب نفسه قائلًا: "لقد تعلمت أن أرى الجمال فيه."

فمع مرور الأيام، ألف الجولم هذا المحيا وأحبه... أحب انسياب الشعر الأشقر على الكتفين مؤطرًا عينين زرقاوين بريئتين. حتى ذلك الأنف الأعوجِ بات له الآن سحر في عينيه. واستحضر في خياله صورته المضاءة على ضوء الشموعِ المعلقة على جدار معبده الخاص، فابتسم.

وهمس لانعكاسه" :ساشا، ليتكِ عرفتِني."

بيد أن المرأة الشقراء في المرآة لم تجب.

فرغم حضور ساشا الجسدي في الغرفة، لم تكن تسمع شيئًا. لقد أوصد الجولم عليها الأبواب في فضاء يشبه النوم، حيث كانت في غفلة تامة عن كل شيء، حتى عن ذاتها.

ورغم أنهما يتشاركان هذا القالب الجسدي، إلا أن الجولم قد أحكم هيمنته منذ أمد بعيد، فكان دائمًا هو المسيطر، يفلتر بعناية ما تشهده ساشا، وما تتذكره، وما تفهمه. فعل ذلك حماية لها، وسترًا لروحها الرقيقة. كان هو الخزانة التي تودع فيها آلامها، والجيش الذي يخوض عنها معاركها.

"لقد استدعيتِني يا ساشا ...وها أنا قد أجبت النداء."

لن ينسى الجولم أبدًا تلك اللحظة المروعة في مستشفى الأمراض النفسية الروسي، حين صرخت روح ساشا، وقد عجزت عن تحمل لحظة أخرى من العذاب، مستغيثة بالكون في يأس مطبق.

"تلك كانت لحظة ميلادي"...

قليلون هم من يذكرون لحظة وجودهم، بيد أن الجولم كان يذكر لحظته. لقد انبثق وعيه بغتة، فاستيقظ على رعب مطبق، ليجد نفسه حبيس جسد يتعرض للضرب بلا رحمة. وإذ تملكه الألم والسخط، انتفض غريزيًا، مستنفرًا مكامن قوة لم يطرقها هذا الجسد من قبل، وخنق الممرضة الليلية التي كانت تعتدي عليها. وبينما كان يقف فوق جسدها الهامد، سمع الجولم صوته الأجوف لأول مرة.

"أنا حاميكِ يا ساشا. أنتِ في أمان الآن."

وفي الردهة خارج شقة ساشا، كان عقل كاثرين سولومون يكافح ليرتب فيض الخواطر المقلقة التي أثارتها كلمات لانغدون .لقد كان مصيبًا في أن محاضرتها ليلة أمس تضمنت وصفًا "لمتلازمة العبقري المفاجئ" – وهي حالة كانت تعتقد أنها دليل واضح على الوعي غير الموضعي – دماغ تالف يستقبل إشارات متعددة.

وكان مصيبًا أيضًا في أنها ناقشت بعد ذلك ظاهرة أخرى لافتة.

"ثمة حالة أخرى غريبة"، هكذا خاطبت كاثرين جمهورها، "ترتبط بمتلازمة العبقري المفاجئ، إذ إنها تشير أيضًا إلى قدرة الدماغ على استقبال إشارات متعددة. تُعرف هذه الظاهرة بالمصطلح السريري 'اضطراب الهوية التفارقي ' – DIDوإن كان معظمنا يعرفها باسمها الأكثر شيوعًا 'اضطراب تعدد الشخصيات' – وهي ظاهرة نفسية تتجلى في وجود شخصيات متعددة ومتميزة تسكن جسدًا واحدًا."

ومضت كاثرين تشرح أن هذه الحالة، الموثقة عالميًا، أكثر شيوعًا لدى النساء وغالبًا ما تنشأ كآلية للتكيف مع الاعتداء الجسدي أو الجنسي المتكرر. وفي أغلب الأحيان، تتجلى الهوية الثانية بغرض امتصاص ألم المضيف من خلال تحمل الصدمة نيابة عنه –كضحية بالوكالة نوعًا ما – فتتكبد العذاب، وتحجب كل ذكرى له، وتمكّن المضيف من "الانفصال" عن معاناته.

تُعرف الشخصية الثانوية بالبديلة أو "الألتر"، وعادة ما تظهر في انشقاق مفاجئ وحاد أثناء الصدمة الحادة. وبمجرد ظهورها، يمكن "للألتر" أن تتخذ من المضيف مسكنًا دائمًا، وتبقى لسنوات أو مدى الحياة كحارس، بل وتطوي في غياهب النسيان أحلك ذكريات الشخص في نوع من فقدان الذاكرة الانتقائي، مما يوفر صفحة نقية ينطلق منها إلى غده. ولم يكن من

غير المألوف أن تتولى شخصية "ألتر" حامية زمام السيطرة على الجسد وتصبح هي الشخصية المهيمنة، فتقرر متى وكيف يمكن للذات المصابة بالصدمة أن "تطفو" إلى السطح بأمان.

وقد شُخص اضطراب الهوية التفارقي لأول مرة في القرن التاسع عشر تحت مسمى "الوعي المزدوج" – وهو نوع من السير أثناء اليقظة يبدو فيه الفرد وكأنه قد استولى عليه وعي آخر، يقوم بأفعال دون إذن الفرد أو علمه أو تذكره.

وكانت حالتان من أكثر الحالات استثنائية في التاريخ موثقتين بدقة متناهية لدرجة أنهما أصبحتا أساسًا للكتب الأكثر مبيعًا مثل "وجوه حواء الثلاثة"، و"غرباء في جسدي"، و"سيبل". وبطبيعة الحال، كان أشهر كتاب على الإطلاق عن هذه الحالة هو رواية روبرت لويس ستيفنسون "قضية الدكتور جيكل والسيد هايد الغريبة."

كانت كاثرين تعلم أن العديد من حالات اضطراب الهوية التفارقي (DID)تنطوي على شخصيات "ألتر" متعددة – بعضها يضم أكثر من اثنتي عشرة هوية تعيش في جسد مضيف واحد. والعجيب أن لكل "ألتر" صوتًا، ولهجة، وخط يد، ومجموعة مهارات، وتفضيلات طعام، وحتى هويات جنسانية مختلفة. كانوا يمشون بشكل مختلف، ويفضلون مساحات

معيشية مختلفة، ويعانون من أمراض جسدية مختلفة، بل وكان لديهم معدلات ذكاء وقدرات بصرية متفاوتة.

"جهاز راديو واحد يستقبل محطات متميزة متعددة"...

وقد تباينت آراء الأطباء النفسيين تباينًا شديدًا حول كيفية إمكانية وجود هذه الاختلافات الصارخة بين الشخصيات البديلة، حتى إن بعض المتشككين اتهموا مرضى اضطراب الهوية التفارقي بأنهم ممثلون بارعون يبحثون عن الاهتمام. ولكن عندما خضع المرضى لاختبارات صارمة شملت التصوير بالرنين المغناطيسي(MRIs) ، وكاشفات الكذب، وأساليب استجواب متطورة، كانت النتائج دائمًا واحدة –كان هناك بالفعل أفراد متمايزون ومتعددون يعيشون داخل جسد واحد.

كانت بعض الشخصيات البديلة على دراية بوجود الآخرين الذين يعيشون معها فيما يعرف بـ "المنظومة". وتسمى هذه الشخصيات البديلة "المشاركة في الوعي". وعلى النقيض من ذلك، كانت بعض الشخصيات البديلة غافلة عن وجود المنظومة أصلًا، معتقدة أنها وحيدة في الجسد. وغالبًا ما كانت تعاني من فجوات في الذاكرة عندما كانت الشخصيات البديلة الأقوى تحجبها، متولية زمام الأمور في واجهة الوعي في فعل يُعرف بـ "التصدر."

والآن، بينما كانت كاثرين تقف مع لانغدون في الردهة الكئيبة، شعرت بأن انتباهها قد تسمّر على خصلة الشعر الشقراء التي سحبها من القلنسوة. كان استنتاجه صادمًا... ومنطقيًا في آن. "إنه يعتقد أن الجولم وساشا هما الشخص نفسه."

فإن كان روبرت على حق، فإن العثور على ساشا لم يعد ممكنًا. والمأساة أن الحالة النفسية التي نشأت لإنقاذ حياة ساشا فيسنا هي نفسها التي أنهتها على الأرجح. لا بد أن الجولم قد مات في الانفجار... آخذًا معه ساشا.

انتهى الجولم من ارتداء ملابسه وتفحص نفسه في المرآة. لطالما شعر بغربة صورتها، ومع ذلك، كان هذا هو الحال الذي وجد نفسه عليه في أغلب الأحيان في هذا العالم – مرتديًا ثياب ساشا، لابسًا الملابس التي كانت ترتديها كل صباح.

كانت ملابس اليوم – سروال من الجينز، وقميص أبيض، وحذاء رياضي، وسترة واقية – ملابس تركها الجولم في مكتب ساشا لهذه اللحظة بالذات. لم تكن الهيئة جذابة، وكان شعرها متلبدًا ومبللًا، لكنها جعلت منها هيئة تبعث على الرثاء... وكانت في أمس الحاجة إلى من يرثي لحالها.

"أرجوكم، ساعدوا ساشا"...

لقد بذل الجولم قصارى جهده ليكون شريكًا صامتًا في حياة ساشا، مختبئًا في أعمق أغوار وعيها، يراقبها وهي تشق طريقها بشجاعة في حياتها الجديدة... الحياة التي تستحقها. وكأي وصي حريص، كان الجولم يتدخل أحيانًا لحماية ساشا .كان يتقدم ويمسك بزمام الأمور بهدوء، مستوليًا على جسد ساشا، محاكيًا صوتها وسلوكها دون عناء. كانت تدخلاته هذه لحمايتها... لسترها عن المواقف الخطرة، أو المعلومات المؤلمة، أو القرارات الصعبة التي لم تكن مستعدة لاتخاذها.

بالنسبة لساشا، كانت هذه اللحظات بقعًا فارغة وجيزة في حياتها وذاكرتها، أشبه بالشرود أثناء قيادة السيارة والوصول إلى وجهتك دون أن تتذكر كيف وصلت إلى هناك. لقد تقبلت فكرة أن ذاكرتها كانت متقطعة أحيانًا. وقد أصبحت تدخلات الجولم أقل تواترًا في الآونة الأخيرة لأن ساشا كانت في أسعد حال رآها عليه قط.

وسبب سعادتها كان مايكل هاريس.

كانت ساشا واقعة في الحب.

لقد دخل ذلك الملحق الوسيم حياتها عن طريق الصدفة، أو هكذا بدا الأمر، وبينما كان الجولم غير مرتاح لعلاقتهما الجسدية المتنامية، إلا أنه اختار ألا يتدخل. فساشا تستحق حبًا أول، وبدا مايكل رجلًا لائقًا.

ولكن تبين أن المظاهر خداعة.

قبل ثلاثة أسابيع، كان الجولم مستلقيًا على بساط القنب في معبده الخاص، مستمتعًا بنشوة ما بعد النوبة، عندما سمع شخصًا في الشقة بالأسفل. وفي حيرة، ضغط بأذنه على الأرض فسمع ما يشبه صوت شخص يفتش شقة ساشا .وقبل أن يتمكن من ارتداء ملابسه والنزول راكضًا، بدأ صوت يتحدث بصوت عالٍ في المكان بالأسفل.

كان الصوت صوت مايكل هاريس.

وفي ذهول، وجد الجولم نفسه يستمع إلى محادثة هاتفية بين هاريس والسفيرة الأمريكية. لم تكشف المكالمة فقط عن أن هاريس كان لديه دوافع خفية لمصادقة ساشا، بل كشفت أيضًا عن أن اللطف الذي أبدته مرشدة ساشا الموثوقة، الدكتورة بريغيتا جيسنر، قد لا يكون بريئًا.

وفي غضون ثوانٍ، أعاد الجولم تقييم الحياة الساحرة التي ظن أن ساشا قد وجدتها. كان على دراية تامة بالعلاجات الطبية المكثفة التي خضعت لها، ومع ذلك كان اعتقاده دائمًا أن بريغيتا جيسنر قد شفت ساشا من عللها بكرم، واستمرت في إجراء العمليات لإتقان النتائج.

أما الآن، فقد رأى الجولم حقيقة مختلفة. ومنذ تلك اللحظة، كان حاضرًا على الدوام تقريبًا، يراقب بعيني ساشا، يلاحظ، ويستمع، ويوجه، وينتظر

فرصته لكشف الحقيقة. وفي الليلة الماضية، اغتنم الجولم فرصته أخيرًا، فاستفرد بجيسنر في مختبرها وخلّد خيانتها. لقد غطى اعترافها المسجل كل شيء... الجراحات، والزرعات، وموت ديمتري، والعقاقير المهلوسة، والسيد فينش، ووكالة المخابرات المركزية(CIA) ، وهدفهم الحقيقي في براغ.

"لقد ولت 'ثرشهولد' الآن"، هكذا ابتهج الجولم وهو يخرج من حمام المختبر إلى الردهة. كان يأمل أن يكون روبرت لانغدون وكاثرين سولومون قد نجوا؛ فقد أظهر الأستاذ الأمريكي لطفًا كبيرًا تجاه ساشا اليوم، وكانت صديقته العالمة تفهم الكون بطرق لا يستطيع أن يدركها حقًا إلا أمثال الجولم.

ورغم أن اليوم انتهى بنصر، إلا أنه لم يخل من تحديات غير متوقعة. كانت صدمة الجولم الأولى هي مواجهة ضباط جهاز المخابرات والأمن في الحصن؛ والثانية رؤية لانغدون جاثمًا فوق جسد جيسنر؛ والثالثة – التي لا شك أن الأوليين أثارتاها – نوبة صرع في مختبر جيسنر لم يستطع إيقافها.

كان التحدي مع النوبات هو أن دماغ الجولم كان يعيد التشغيل دائمًا إلى حالته الافتراضية الأصلية – ساشا .كانت تستيقظ دائمًا وحيدة وضعيفة. فبعد النوبة، كان وعي ساشا حاضرًا تمامًا ومسيطرًا حتى يتمكن الجولم من العودة إلى العمل بعد عدة دقائق ويتولى زمام الأمور. ولهذا السبب، كان

يبقي معبده الخاص في ظلام دامس عندما كان يتلقى "الأثير"، ليضمن أن تستيقظ ساشا دائمًا على الظلام بدلًا من غرفة غير مألوفة.

هذا الصباح، وعقب نوبته بجوار جسد جيسنر، صارع الجولم لإعادة وعيه إلى الواجهة ليجد نفسه بين ذراعي روبرت لانغدون .وإذ أدرك أن نزوله إلى "ثرشهولد" سيتعين عليه الانتظار، أقنع الجولم لانغدون بالفرار من الحصن – ظاهريًا مع ساشا –ولكن بينما كان الأستاذ ينزل المنحدر الثلجي إلى حديقة فوليمانكا، كان الجولم معه في كل خطوة، يراقب بعيني ساشا.

وفي شقة ساشا، أتاح وصول هاريس الوشيك الفرصة المثالية لمعاقبة أشد خونة ساشا قسوة، لذلك أرسل الجولم لانغدون بعيدًا عن الأذى من خلال ارتجال وهم بسيط – قصاصة ورق؛ طرقة على الباب؛ تراجع مؤقت إلى الحمام. وجد لانغدون الرسالة واندفع إلى الزقاق بجواربه، دون أن يلاحظ الجولم يراقبه من نافذة ساشا.

وقبل أقل من ساعة، هنا في الحصن، هاجمته عميلة، وما زال يرى تعابير الدهشة على وجهها وهي تدفع يديها بيأس إلى صدر الجولم ...لتصطدم بالشكل الناعم لثديي ساشا.

"أنا لست كما تظنين."

ثم، تحديه الأخير، في الأسفل في "ثرشهولد". فبعد أن فقد عصاه المغناطيسية، أصيب الجولم بنوبة أخرى وبحث بجنون في الغرفة المقببة عن مكان آمن ليجتازها، واختار في النهاية الجزء الداخلي المبطن لإحدى كبسولات .(EPR) لقد كان مكانًا يعرفه جيدًا.

"لقد مت هناك مرات عديدة."

ارتجف الجولم وهو يستدعي الآن الطبيعة الحقيقية لتجارب جيسنر –دفع ساشا إلى حافة الهاوية وسحبها مرة أخرى – مرارًا وتكرارًا. في ذلك الوقت، كان يؤمن بكرم جيسنر وبذل قصارى جهده لامتصاص ألم تلك الأحداث، لحماية ساشا من الانزعاج والخوف. ولحسن الحظ، لم تستطع ساشا أن تتذكر المرات العديدة التي قامت فيها جيسنر بتخديرها ودفعها عبر "ثرشهولد" لإجراء تجارب مختلفة في جناح العمليات وغرفة الكبسولات.

"ولكني أتذكر"، فكر الجولم.

ما زالت خيوط الذكرى الباهتة تطارده.

"حياة أخرى"، قال لنفسه. "لقد كان ذلك هو الماضي."

كان المستقبل يقترب الآن، المستقبل الذي خطط له من أجل ساشا، المستقبل الذي تستحقه. "قريبًا سأطلق سراحها وأختفي". كل ما تبقى هو الصعود من هذا العالم الجوفي... والتوجه إلى سفارة الولايات المتحدة.

الفصل الرابع والعشرون بعد المئة

وقف لانغدون في مطبخ ساشا فيسنا، وهو لا يزال يغالبه الذهول مما استبان له هو وكاثرين .كانت قطتا ساشا السياميتان تتلويان في دلال حول كاحليه، ولا تزال رائحة شاي القوافل الروسي تعبق في الأجواء. ورغم ذلك كله، فقد أحس أن بيتها ينكره أشد الإنكار، وصار في عينيه عالما غريبا عنه كل الغرابة.

حينما كنت هنا، أغلب الظن أنني لم أكن أتحدث إلى ساشا الحقيقية.

لقد كان في هذا الكشف ما يهز الكيان ويزعزع أركانه، ومع ذلك، فإن حالة ساشا النفسية قد أماطت اللثام عن كثير من المعضلات والمبهمات؛ كقدرة الغولم على الوصول إلى حصن كروسيفيكس ...وفقدان ساشا لذاكرتها... وتلك الشقة الغريبة في الطابق العلوي... بل ولعلها تفسر حتى سبب منحي مفتاح شقة ساشا وحثي على العودة.

أتراه أرادني أن أعثر على جثة هاريس وأسلم الظرف إلى السفيرة؟ أيا كان الأمر، فإن إدراك حقيقة هوية ساشا قد ألقى بضوء كاشف على جوانب عدة من الصورة.

انضمت إليه كاثرين في المطبخ بعد أن ألقت نظرة على أرجاء الشقة.

فقالت مستطلعة" :أتساءل ما إذا كان 'ثرِشولد' قد اختار مرضى الصرع كمواضيع لاختباراته بسبب ميلهم الطبيعي لتجارب الخروج من الجسد... أو لأن مرضى الصرع قد وفروا لـ'بريجيتا' الغطاء الأمثل لإجراء جراحة في الدماغ دون إثارة الشكوك".

لقد كان سؤالا وجيها، وخيّل إلى لانغدون أن كلا السببين ربما كانا صحيحين.

"في كلتا الحالتين، إنه ذنب لا يغتفر. وأظن أن أمرا فادحا قد وقع لـ'دميتري' وأنه قد مات، كما أشارت سجلاته".

وخيم بينهما صمت طويل، فيما كان لانغدون يتأمل بناظريه تلك الزينات العذبة التي تكاد تنطق ببراءة طفولية، والتي تزين أرجاء المطبخ.

فسألت كاثرين وهي تجثو لتربت على قطتي ساشا الأنيقتين اللتين اعتُني بهما أتم عناية" :وماذا عن هذين المسكينين؟ متى كانت آخر مرة أُطعما فيها؟"

حقاً، فكر لانغدون .سيحتاجان إلى من يتبناهما. ثم توجه إلى الخزانة تحت المغسلة وأخرج كيس طعامهما.

قالت كاثرين وهي تأخذ الكيس منه" :أنا سأفعل ذلك. عليك أنت أن تجري الاتصال".

تقدم لانغدون إلى الهاتف المعلق على الحائط وطلب الرقم الذي أعطاه إياه سكوت كيربل .وبينما كان الهاتف يرن، تساءل ماذا سيقول حين يسأله كيربل عن ساشا فيسنا .لم نجدها. لقد ماتت في ثرِشولد .وبالمناسبة، هي التي قتلت مايكل هاريس .كان لانغدون لا يزال يحاول أن يستوعب كيف أمكن لساشا أن تحب هاريس حبا عميقا، في الوقت نفسه الذي كان فيه حاميها يعلم حقيقة هاريس ويمقته أشد المقت. شخصان. وجسد واحد.

تذكر لانغدون أنه سمع ذات مرة عن قضية متهم فيها مغتصب مزعوم، يدعى ويليام ميليغان، أثبت في اختبار كشف الكذب أنه لا يذكر شيئا عن جرائمه المزعومة. وقد تبين فيما بعد أن ميليغان كان يعاني من اضطراب الهوية التفارقي (DID) دون أن يدري؛ وأن إحدى شخصياته الأخرى هي التي ارتكبت الجرائم دون علمه. وقد بُرئ ميليغان وأُودع مصحة نفسية.

وقبل ظهور الرعاية النفسية الحديثة، كان كثير من أولئك الذين تظهر عليهم أعراض انفصام الشخصية يُؤخذون إلى الأخصائيين النفسيين الوحيدين المتاحين آنذاك، وهم القساوسة. وكانت الكنيسة في كثير من الأحيان تشخص حالاتهم على أنها "مس شيطاني" وتصف لهم علاجا شائعا: "طرد الأرواح الشريرة". وإلى يومنا هذا، لا تزال طقوس طرد الأرواح الشريرة

تُمارس بانتظام على الأفراد الذين يعانون من اضطرابات عقلية. ورغم أن لانغدون كان دائما يشعر بالرعب من هذا الأمر، إلا أنه كان عليه أن يعترف بأن وصف كاثرين للوعي غير الموضعي قد أضاف منظورا جديدا.

فلعل الذي يطرد الأرواح الشريرة لا يسعى إلى إقناع شيطان بالخروج من جسد... بل يحاول بالأحرى أن يعيد ضبط جهاز استقبال الجسد ليحجب تلك المحطة غير المرغوب فيها.

قاطع حبل أفكاره صوت مألوف على الهاتف قائلا" :كيربل يتحدث".

"أهلا، معك روبرت لانغدون".

"كنا في انتظار اتصالك يا سيدي. أرجو أن تبقى على الخط من أجل السفيرة 'ناغل".'

دُهش لانغدون من أن السفيرة متاحة للحديث. كنت أظنها قيد الاعتقال. بدا أن شيئا ما قد تغير في السفارة.

رن صوت السفيرة على الخط" :أيها البروفيسور، لا أستطيع أن أصف لك مدى ارتياحي لكونكما بخير. لقد أخبرني سكوت أن الخطر كان محدقا بكما".

قال لانغدون" :لا أظن أن الخطر كان ليكون أقرب مما كان. وقد بلغنا أنكِ اعتُقلتِ من قبل مدير وكالة المخابرات المركزية؟"

"أجل، مع أن المدير 'جاد' قد زعم أن الاحتجاز كان مجرد حماية وقائية مؤقتة لضمان سلامتي".

"وهل تصدقينه؟"

قالت ناغل" :أود أن أصدقه. لقد ادعى أنه كان قلقا من أن 'فينش' قد... لا أعرف. على أي حال، لم أتلق أي اتصال من 'فينش' منذ آخر مكالمة هاتفية بيننا".

قال لانغدون بلهجة قاطعة'" :فينش' قد مات. لقد رأيناه في 'ثرِشولد' قبيل الانفجار مباشرة. كنت أنا وكاثرين آخر من خرج، و'فينش"...'

قاطعته قائلة بصوت بدا عليه الاضطراب" :حسنا، ليس على الهاتف. سنتناقش في الأمر حين نلتقي".

قال لانغدون" :لدينا الكثير لنطلعك عليه. هل السفارة مكان آمن للحديث؟"

أجابت ناغل" :لست واثقة من ذلك. كنت لأقترح فندقكما، لكنه مكان واضح جدا، ولا يمكنني حقا أن أعد بأننا سنكون في مأمن. ليس بعد ".

صمتت للحظة" .هل تعرف 'جدار الصواعد'؟"

قال لانغدون، وقد حار في أمره لذكرها مكانا عاما كهذا... لا سيما أنه معروف بأجوائه الموحشة" :أعرفه. إنه قريب من السفارة، لكنني لست متأكدا"...

"اذهبا إلى هناك بأسرع ما يمكن".

في مقر قيادة ÚZSI، كان الملازم بافل يلملم في وجوم آخر ممتلكاته الشخصية من خزانته. لقد أسفر استجوابه المطول على يد رئيسه الجديد عن تنزيل رتبته ومنحه إجازة اختبارية لمدة ثلاثة أشهر.

كنت موقنا أنني لن أعود، قال بافل في نفسه.

لقد تغير كل شيء الآن. ورغم أن ذكرياته عن ذلك اليوم كانت ضبابية، إلا أن بافل لن ينسى أبدا صورة عمه ملقى جثة هامدة في واد جليدي. لقد سُجلت وفاة النقيب رسميا على أنها حادث، وبقدر ما أراد بافل أن يحتج، لم يكن في وضع يسمح له بذلك. علاوة على ذلك، فإن أي تحقيق إضافي من قبل ÚZSIقد أوقفته السفيرة الأمريكية، التي كانت تملك كل أوراق

اللعبة بعد أن كشفت أساليب ياناتشيك المخادعة في احتجاز أمريكيين بارزين.

خرج بافل من المبنى وجر قدميه نحو محطة الحافلات. وعندما وصل، كانت هناك شابة تنتظر الحافلة. كان وجهها وديعا، فابتسم لها بافل ابتسامة واهنة.

"To je ale zima"، قال بأدب، أي: "الطقس بارد حقا."

فما كان من المرأة إلا أن أشاحت بوجهها في الحال وانتقلت إلى أقصى المحطة.

فأحس بافل بغتة أنه وحيد فريد في هذا العالم.

عندما وصلت الحافلة، صعد بافل واتجه نحو الخلف. لم يرفع أي من الركاب الآخرين نظره، فقد انصبت أبصارهم جميعا على أجهزتهم. اتخذ بافل مقعدا وأخرج هاتفه، وفتح على نحو تلقائي تطبيق "منطقة الأحلام"، وهو محاكٍ افتراضي للمواعدة.

ظهرت عدة طلبات جديدة، وتوقع أن يشعر ببصيص الدفء الذي كان يرافقه دائما أمل الاحتمالات الجديدة. لكن الهاتف الليلة بدا باردا في يده. حدق في وهجه للحظة طويلة ثم فاجأ نفسه بإطفائه وإعادته إلى جيبه. ثم

أغمض عينيه، وتلا صلاة من أجل عمه، وأرهف السمع لأزيز الحافلة وهي تحمله إلى دياره.

الفصل الخامس والعشرون بعد المئة

يُعد جدار الصخور المذابة، وهو من أغرب معالم براغ الأثرية التي تفوق الخيال، بناءً يشبه في هيئته جرفًا شاهقًا من الصخر المنصهر. ويرتفع هذا النحت الغامض الذي يعود إلى القرن السابع عشر ما يربو على الأربعين قدمًا فوق حديقة فالدشتاين، فيمنح الناظر إليه انطباعًا بأنه نهر من الحمم البركانية المتدفقة، قد تصلبت في غمرة انسيابها فاستحالت جدارًا من الهوابط الصخرية المائعة، والنتوءات المنتفخة، والتجاويف التي لا شكل لها.

وهذا الجدار، الذي يُعرف رسميًا باسم "المغارة"، لا يزال حتى يومنا هذا من أشد وجهات براغ إثارة للرهبة والغرابة. ففي تموجات سطحه الحجرية العضوية مسحة تكاد تكون طيفية، ويستمتع الزوار بالإشارة إلى مختلف الوجوه المنفرة المشوهة التي يرونها تحدق إليهم من بين طياته. ولقرون مضت، ما انفك مسؤولو الكنيسة يقدمون الالتماسات لهدم الجدار، زاعمين أنه مسكون ويستجلب الأرواح الشريرة. وكثيرًا ما يشكو السياح من رؤية الكوابيس بعد زيارتهم للجدار، كما وجد العديد من كبار الشخصيات أنفسهم وقد اعتراهم الغثيان وهم واقفون أمامه.

بيد أن السفيرة ناجل لم تكن واحدة منهم.

وخاطبت نفسها وهي تتأمل الجدار الماثل أمامها: "أجد فيه السكينة". لقد بدت "المغارة" في هذه اللحظة على وجه الخصوص آسرة الجمال، صامتة شاحبة في ضوء الأصيل الخابي، وقد استقرت خصلات من الثلج الأبيض في زوايا وشقوق الوجوه التي لا تُحصى.

وبينما كانت ناجل تنتظر في النور الخافت، رأت وجوهًا جديدة تتشكل في الجدار أمامها. لقد علمت أن جزءًا ضئيلًا فقط من الوجوه التي تراها كان موجودًا بالفعل، قد قصده المهندس المعماري. أما الوجوه الأخرى، فقد تبين لها أنها من نسج خيالها، وهي ظاهرة نفسية تُعرف باسم الباريدوليا . فالدماغ يميل بفطرته إلى استنباط أشكال ذات معنى من قسمات غامضة، والبشر يرون الوجوه في كل شيء، من السحب إلى نقوش الأقمشة، ومن أطباق الحساء إلى الظلال على صفحة بحيرة. كل ما يتطلبه الأمر هو نقطتان وخط، فتقوم معظم العقول البشرية بالربط ذاته.



ومن خلال عملها في وكالة المخابرات المركزية(CIA) ،كانت ناجل على قناعة بأن أصحاب نظريات المؤامرة يعانون من نوع من الباريدوليا

الإدراكية، فيرون أنماطًا مريبة حيث لا وجود لأنماط... يتوهمون نظامًا من رحم الفوضى.

أما إيفريت فينش فكان على النقيض من ذلك. كان يرصد الأنماط الحقيقية ويستخدمها لصناعة الفوضى... كل ذلك في محاولة للحفاظ على ضرب من النظام في العالم. لقد منح خبر وفاة فينش ناجل مهلة من الراحة، ومع ذلك لم يكن أمرًا ستحتفل به يومًا. لقد تعلمت حقيقة واحدة بسيطة في مسيرتها المهنية في وكالة المخابرات المركزية: الخير والشر لا وجود لهما في صورة خالصة. كانت تعلم أن قسوة فينش يغذيها التزامه العميق بوكالة كانت تحاول أن تجد لها موطئ قدم في العالم الجديد الجريء لتقنيات الدماغ.

"إن البوم نائم"، قال صوت عميق من خلفها، تردد صداه على سطح جدار الصخور المذابة الشاهق.

للحظة، ظنت ناجل أنها سمعت للتو عبارة سرية من عبارات الجواسيس، ولكن عندما استدارت، رأت وجهين مألوفين. كان روبرت لانغدون وكاثرين سولومون يقتربان، وقد مرا بمأوى الطيور في الحديقة حيث كانت طيور البوم المقيمة في فالدشتاين جاثمة بلا حراك، وقد دست رؤوسها بين ريش أكتافها.

ابتسمت ناجل وصافحتهما بينما خرج حارسها الدائم، سكوت كيربل، من بين الظلال وانضم إلى المجموعة. كان لانغدون وسولومون لا يزالان بلا معطفين، ولكن لحسن الحظ، لم يكن القصد من هذا الحديث أن يُعقد في العراء. قالت وهي تقودهم نحو جدار الصخور المذابة" :اتبعاني، سنتحدث في الداخل."

رفع لانغدون بصره إلى الجرف الصخري الصلد، وقد بدا عليه الارتباك واضحًا" :في الداخل... أين؟."

ودون كلمة، قادت ناجل الوفد نحو قاعدة الجدار وتوقفت عند باب خشبي صغير، لا يتجاوز ارتفاعه أربعة أقدام، تحيط به تكوينات مخيفة تشبه الجماجم. واكتملت دهشة لانغدون عندما أخرجت ناجل مفتاحًا وفتحت الباب.

وخاطبت نفسها: "هذه إحدى مزايا كوني سفيرة للولايات المتحدة". فالأمريكيون الأثرياء الذين يملكون ما يكمن وراء هذا الباب قد أعاروا ناجل مفتاحًا، مانحين إياها حق الوصول إلى هذا المدخل الخلفي الخفي على أمل أن تكثر من زيارتهم، وهو ما فعلته.

وبينما كانوا يدخلون، تساءلت ناجل عما عسى أن يفكر فيه لانغدون لو علم إلى أين هم متجهون الآن. فخلف هذا الجدار، في أي من الحجرات

الست المضاءة بالشموع، قد يجد الأستاذ نفسه مستلقيًا عاريًا على لوح من الجرانيت بينما يصب عليه خدم يرتدون الأردية شمعًا ساخنًا على جسده.

"أمعها مفتاح؟"

إذا لم تخنه ذاكرة لانغدون، فإن جدار الصخور المذابة الشهير في براغ قد أُقيم على الواجهة الخلفية لدير أوغسطيني من القرن الثالث عشر، وهو دير القديس توما، مما يعني أنه قد ولج للتو عبر الجدار إلى أروقة أثرية مقدسة.

وخاطب نفسه ساخرًا: "لم تعد مقدسة الآن."

فهذا الدير العظيم، شأنه شأن الكثير من الأديرة في أوروبا، قد أُعيد توظيفه لخدمة احتياجات عالم يزداد علمانية. وفي هذه الحالة، تم تحويله إلى فندق من فنادق ماريوت، "أوغسطين لاكشري". وأعيد تصميم مصنع الجعة القديم للرهبان ليصبح "حانة ريفيكتوري" العصرية، بينما تم الحفاظ على غرفة المخطوطات الأصلية في الدير سليمة تمامًا، مكتملة بالنصوص القديمة وأدوات الكتابة وأحجار الشحذ لريش الأقلام.

همست ناجل" :بأقصى هدوء ممكن"، وهي تقودهم عبر ممر ضيق إلى باب خدمة. وعندما دفعته، وجد لانغدون نفسه في رواق أنيق تفوح منه رائحة شجرة الشاي والبخور والأوكالبتوس.

سأل وهو يصلون إلى باب ذهبي، حيث أدرجت لافتة علاجات مختلفة، بما في ذلك تخصصهم، "الطقس الرهباني" :"أأحضرتِنا إلى منتجع صحي؟ ."لم يكن خبيرًا في شؤون الأديرة، لكنه كان على يقين تام بأن الطقوس الرهبانية لا تتضمن شموع الخزامى الجسدية وأقنعة الكولاجين للوجه.

همست" :نحن آمنون هنا. أعرف الموظفين، والجدران عازلة للصوت."

وبعد أن قالت ذلك، أشارت إليهم بالانتظار بينما انسلّت إلى الداخل. وفي غضون ثوانٍ، عادت ومعها مفتاح إلكتروني وقادتهم إلى أسفل الردهة، حيث فتحت أحد صالونات المنتجع الخاصة التي تلي المعالجة.

كانت الصالة الخالية من النوافذ ذات طابع كنسي مصطنع، تزدان بشموع كهربائية وامضة، وفن الزجاج المعشق، وأنغام ترانيم غريغورية منبعثة من مكبرات الصوت. ولاحظ لانغدون أن المقطوعة الموسيقية تسبق تاريخ الدير بأربعة قرون. ولكن بغض النظر عن المفارقات التاريخية، كان بوسعه أن يتخيل أماكن أسوأ ليكون فيها. "إنه مكان خاص ودافئ". والأفضل من ذلك، أن كيربل قد توجه إلى الفندق ليرى إن كان يستطيع أن يجد لهم بعض الطعام.

قالت ناجل وهي تخلع معطفها الشتوي وتشير إليهم بالجلوس على الأرائك المريحة" :أولًا، لا يمكنني أن أتصور ما كابدتماه اليوم. يسرني أنكما بخير،

وأدرك أن لدينا الكثير لمناقشته. ولكن قبل أن نتعمق في الأمر كثيرًا، أردت أن أشارككما بعض الأخبار السارة جدًا ."ومنحت كليهما ابتسامة متعبة .

"كما اتضح، فإن الأدلة الدامغة التي كنا نأمل في الحصول عليها بشأن 'ثرشهولد'... لدينا الآن."

تساءل لانغدون" :كيف؟"، متخيلًا أن كل الأدلة المادية على وجود "ثرشهولد" قد سُحقت ودُفنت تحت الأنقاض... إلى جانب أقوى دليل على الإطلاق، ويا للمأساة، ساشا فيسنا نفسها.

رمقتهما ناجل بنظرة، وقد بدا عليها التعب ولكنها كانت مفعمة بالحيوية : "كما اتضح، لدينا ملاك حارس. وبتعبير أدق، لدى ساشا فيسنا ملاك حارس."

فوجئ لانغدون بالتعليق. وعلى الفور، تصور الشخصية الملثمة التي أعلنت نفسها حامية لساشا ووصية عليها. "هل تعلم ناجل بأمر شخصيتها المنفصمة؟."

وأضافت" :وملاكها الحارس أرسل لي هذا."

أخرجت ناجل ورقة ووضعتها أمامهم. وعندما رأتها كاثرين، شهقت شهقة خفيفة. وشعر لانغدون بكآبة مماثلة وهو يقرأ الرسالة المكتوبة بخط اليد على ورقة مزينة برسوم القطط.

.أرجوكِ ساعدي ساشا

يا إلهي، فكر وهو يتصور يدي ساشا تخطان هذه الكلمات ذاتها... نداء استغاثة يائس... مناشدة، ويا للغرابة، لم تكن ساشا تعلم عنها شيئًا.

وسرعان ما أوضحت السفيرة أن عنوان URL المضمن في الرسالة يؤدي إلى اعتراف مصور معذب، كشفت فيه جيسنر عن كل ما تعرفه عن "ثرشهولد" – التجارب البشرية، وجراحات الدماغ، والزرعات، والأدوية النفسية، وتجارب الاقتراب من الموت، وقائمة الأشخاص المتورطين... كل شيء.

قالت ناجل" :مشاهدة الفيديو صعبة للغاية، لكن وجوده يعني أن وكالة المخابرات المركزية لن تتمكن أبدًا من ملاحقتكما مرة أخرى."

تركت تلك الكلمات تأخذ وقعها في نفسيهما.

"لقد احتفظت بنسخة آمنة، وأعتزم عمل نسخ احتياطية. باختصار، بغض النظر عما سيحدث، هذا الفيديو هو الضمان الوحيد الذي ستحتاجان إليه على الإطلاق ."وتوهجت عيناها في ضوء الشموع" .إنه قنبلتكم الذرية."

قالت كاثرين بهدوء" :وقنبلتكِ أيضًا، آمل."

أومأت ناجل برأسها" :على الرغم من أنني لست متأكدة من مدى حاجتنا إليها. بدا المدير مصدومًا مثلي عندما علم ببعض الأمور التي كانت تحدث في 'ثرشهولد."'

اعترض لانغدون" :لا بد أنه كان يعلم. إنه المدير."

ردت ناجل" :نعم، ولهذا السبب بالذات ربما لم يكن يعلم. الوكالة مجزأة إلى أقصى الحدود في إجراءاتها، تحقيقًا لمبدأ الإنكار المقبول، والكفاءة الاستبدادية. لقد وضع فينش مسؤولًا، وبالتالي لم يكن ليعرف إلا التفاصيل التي اختار فينش أن يشاركه إياها."

ربما، فكر لانغدون، وربما لا. التقط الرسالة، شاعرًا بأن السفيرة لا تعرف شيئًا عن حالة ساشا" .ولكن لماذا يوجه حارس ساشا هذا إليكِ؟ لماذا لا يرسل الفيديو مباشرة إلى الصحافة؟."

قالت ناجل" :في الفيديو، تعترف الدكتورة جيسنر بأنني لم أكن أعرف شيئًا تقريبًا عن الغرض الحقيقي لـ 'ثرشهولد' وأنني سأصاب بالرعب من وجوده. أظن أن هذا الاعتراف هو سبب ائتمان حارس ساشا لي على الفيديو... متخيلًا أنني أملك نفوذًا كافيًا لمساعدة ساشا... أو لإحداث فرق. وغني عن القول أنه إذا عثرنا على ساشا في أي وقت، فأنا على أهبة الاستعداد لمساعدتها بكل طريقة ممكنة. إنها ضحية، وقد لعبت دورًا في جعل

'ثرشهولد' حقيقة واقعة... على الرغم من أنني كنت مجبرة وغير مدركة ."

وأشاحت بوجهها فجأة، محدقة في الفراغ. وهمست والدموع تكاد تترقرق في عينيها" :لكن مايكل هاريس... ما أجبرته على فعله... التجسس على ساشا لصالح فينش... كلف مايكل حياته ."وعادت عيناها إليهما .

"سأحمل هذا الذنب والعار إلى الأبد."

تساءل لانغدون كيف ستشعر ناجل عندما تعلم الحقيقة المعقدة عن قاتل هاريس" .المرأة التي أمرتِ هاريس بإغوائها كانت، بمعنى غريب، هي التي قتلته."

قالت كاثرين" :حامي ساشا... 'ملاكها الحارس'، كما وصفتِه. هل عرفتِ هويته يومًا؟."

أجابت ناجل" :ليس بشكل قاطع. لقد ظهر في لمحات خاطفة فقط في الفيديو وكان متنكرًا، لكن لدي شك قوي في أنني أعرف من كان."

تبادل لانغدون وكاثرين نظرة دهشة.

قالت ناجل" :الرجل الذي في الفيديو والذي عذب جيسنر تحدث بلكنة روسية. وأخبر جيسنر أنه يعاقبها على خيانة ثقة ساشا. لكن كان هناك شيء في غضبه يوحي بخيانة شخصية... كما لو أنه هو الآخر كان خاضعًا لتجارب 'ثرشهولد."'

لقد كان كذلك، فكر لانغدون .بمعنى ما، كان المريض رقم ثلاثة.

لم يفهم لانغدون تمامًا تعقيدات اضطراب الهوية التفارقي(DID) ، ولكن بدا أن أي إجراءات نفذتها جيسنر على ساشا كان من الممكن أن يختبرها بديلها، خاصة إذا كان ذلك البديل حاميًا واختار أن يتحمل تلك الأجزاء المؤلمة من حياة ساشا .ووفقًا لكاثرين، يمكن للبديل المهيمن أن يحكم أي هوية تكون واعية وفي المقدمة في أي لحظة.

تابعت ناجل" :أبلغني المدير أن أول من خضع لتجارب 'ثرشهولد' كان روسيًا أيضًا، وأُخذ من نفس المؤسسة التي أُخذت منها ساشا. كان اسمه ديمتري سيسيفيتش. قال فينش إنه مات في البرنامج، لكن المدير قال إنه لم ير أي دليل على وفاة ديمتري. من المحتمل أن فينش قد كذب بشأن ذلك لسبب ما."

لم يكذب فينش، كان لانغدون يعلم" .ديمتري ميت. لقد رأينا ملفه الطبي."

قالت ناجل بنبرة يملؤها الأسف" :بالنظر إلى الفيديو، استنتجت أنا والمدير أن ديمتري سيسيفيتش لا بد أنه نجا من البرنامج بطريقة ما وعاد لينتقم."

وفي جو الصمت غير المريح الذي خيم على المكان، ألقى لانغدون نظرة على كاثرين، فالتقى بصرهما. كلاهما كان يعرف ما يجب أن يحدث. لقد حان الوقت لكي تعلم السفيرة الحقيقة.

قال لانغدون وهو يلتفت إليها مجددًا" :سيدتي، الشخص الذي رأيتِه يقتل جيسنر... لم يكن ديمتري سيسيفيتش."

الفصل السادس والعشرون بعد المئة

ما كانت السفيرة ناغل لتعلم كم انصرم من الوقت حين خرج الركب من خلال جدار الصواعد .أساعة كانت أم ساعتين؟ لقد أرخى الظلام سدوله على حديقة والنستين، وخُيّل إليها أن في الظلال نذير شؤم بارد يتربص.

كانت لا تزال تترنح تحت وطأة ما كشفه لها لانغدون من أمر ساشا، ورغم أنها أيقنت أنها ستُسلّم للحقيقة بعقلها في نهاية المطاف... إلا أنها خشيت أن تظل حقيقة واحدة تجرح عواطفها أبدا كمدية تغوص في الفؤاد.

إن مايكل هاريس قد لقي حتفه على يدي ...ساشا.

قالت كاثرين مؤكدة" :عليكِ أن تتذكري، ليست ساشا هي من صنعت بـ'مايكل' هذا الصنيع. لقد أحبته حبا جما. حري بكِ أن تعتبريهما شخصين لا شخصا واحدا".

وأيا كان الأمر، فقد أورثها النبأ موجة جديدة من شعور بالذنب يطحنها طحنا. وودت ناغل لو أنها تستطيع أن تتوسل إلى كل من مايكل وساشا أن يصفحا عنها... ولكنهما قد رحلا كلاهما.

حتى حديقة والنستين بدت في عينيها الآن هامدة لا حياة فيها، فشجيرات الورد قد لُفت بالخيش، وجُففت مياه البركة تأهبا لفصل الشتاء. وشكت

ناغل في أنها ستشهد بعثها السنوي في ربيع هذا العام. فمنذ بضع ساعات خلت، أصبحت تملك من النفوذ السياسي ما يكفي لتفعل ما تشاء، ولم يعد من بين ما تشاؤه أن تظل سفيرة للولايات المتحدة تقيم في براغ.

"ما كان لي أن أكون هنا قط"، قالت في نفسها. "لقد أُرسلت دمية يُلعب بها."

لعلها ستنتظر شهرا لتعين السفارة على تجاوز الأزمة الحالية، ثم تقدم استقالتها. لم تكن تدري ما ستفعله بعد ذلك، لكنها شعرت أن فيها بقية من عزم على الكفاح... وأن في جعبتها الكثير مما تبذله.

في تلك اللحظة، كان شاغلها الأكبر هو استعادة شريحة الـ USB التي دبر سكوت كيربل إخراجها من السفارة بحذق في صندوق مقتنيات دانا . وسيتوجه كيربل إلى شقتها قريبا لاستعادتها.

وبينما كانوا يغادرون الحديقة، ألقت ناغل نظرة خلفها على لانغدون وكاثرين، اللذين كانا يتحدثان بصوت خفيض وهما يتبعان الركب. ولا ريب أن الإعياء قد بلغ منهما مبلغه، وأنهما في أمس الحاجة إلى النوم.

قال كيربل، كأنما استشف ما يجول في خاطرها تماما" :سأقلهما إلى فندقهما، بعد أن أوصلكِ إلى السفارة مباشرة".

ولما خرجوا إلى وهج مصابيح الشارع، علمت ناغل أنها ستفتقد كيربل أكثر من أي شيء آخر. فقالت في صوت خفيض" :يا سكوت، إني لأدرك تمام الإدراك المخاطر التي خضتها من أجلي اليوم... ولست أستخف بولائك أو أعده أمرا هينا".

أهداها الجندي البحري ابتسامة قلما كانت ترتسم على محياه، ولامس قبعته بيده تحية، وقال" :ولا أنا بولائكِ يا سيدتي".

الفصل السابع والعشرون بعد المئة

لطالما اعتقد لانغدون أن أشد الأعمال الفنية في أوروبا إثارة للقلق ووقعًا في النفس هو نصب "ضحايا الشيوعية" التذكاري، الذي يتألف من ستة رجال من البرونز بالحجم الطبيعي، يهبطون درجًا خرسانيًا عريضًا. كان كل واحد منهم هزيلاً ملتحيًا، ويقف على درجة مختلفة. والمثير للرهبة والغرابة أن الرجال الستة كانوا جميعًا شخصًا واحدًا، ولكن كل واحد منهم كان في مرحلة مختلفة من التحلل والاضمحلال؛ فأحدهم مبتور الذراع، والآخر قد فقد نصف رأسه، وثالث يخترق صدره تجويف سحيق.

ويتذكر لانغدون أن رسالة الفنان كانت: التحدي والجلد. فهذا الفرد، مهما بلغ به العذاب، يظل صامدًا واقفًا.

لم يكن لانغدون يتوقع أن يرى هذا النصب في زيارته هذه إلى براغ، ومع ذلك، ها هو ذا يخطفه بصره خاطفًا من نافذة سيارة السفارة السيدان وهم يسرعون على طول شارع أوجزد .وكان ليشير إليه لتراه كاثرين، لولا أنها كانت قد غفت بالفعل على كتفه، وشعرها المنفوش يلامس خده في نعومة.

وبعد أن أوصلا السفيرة إلى السفارة، كان الرقيب كيربل الآن يطوي بهما الطريق جنوبًا بمحاذاة حدائق بترين، متجهًا إلى فندق فور سيزونز وقسط من الراحة كانا في أمس الحاجة إليه. وبينما انعطفا يسارًا على جسر

ليجون، أغمض لانغدون عينيه وأصغى إلى أنفاس كاثرين الهادئة، مستشعرًا السكينة في ذلك الصوت المطمئن... صوت الحياة.

لقد كان مفهوم الموت حاضرًا بقوة طاغية في يومه هذا، ليس في الحديث فحسب، بل في واقع لانغدون أيضًا... حين كاد أن يتجمد حتى الموت في نهر فلتافا، ثم تعرضه لإطلاق النار من قبل بافيل ونجاته بأعجوبة من "ثرشهولد."

والعجيب أنه على مدى العام المنصرم، غير كل ما تعلمه لانغدون من كاثرين عن الوعي منظورَه للموت... فخفف بشكل ملحوظ من جزعه من الشيخوخة والفناء. فإذا صح نموذج كاثرين للوعي غير الموضعي، فإن النتيجة المنطقية هي أن جزءًا ما من لانغدون، من كينونته، من روحه، من عقله... سيتجاوز فناء جسده ويستمر في البقاء.

وخاطب نفسه قائلًا: "لست في عجلة من أمري لاكتشاف ذلك"، وهو يتملى دفء رأس كاثرين على كتفه.

بالأمس، وبينما كانا يتجولان في فيشيهراد، عثرا على ذخيرة مقدسة مفرطة في الكآبة تعرض عظم كتف بشري، يُزعم أنه للقديس فالنتاين، وقد فاجأته كاثرين بسؤال بسيط خادع" :كيف تُعرّف الموت؟."

ولأنه لم يفكر قط في الموت بمصطلحات حرفية، وقف لانغدون حائرًا، ثم قدم أخيرًا تعريفًا دائريًا واهيًا ما كان ليقبله أبدًا من طلابه" :الموت هو غياب الحياة."

ولدهشته، أخبرته كاثرين أن إجابته قريبة جدًا من التعريف الطبي الرسمي: "التوقف النهائي الذي لا رجعة فيه لجميع وظائف الخلايا". ثم أبلغته أن التعريف الطبي الرسمي خاطئ تمامًا مئة بالمئة.

وأوضحت قائلة" :إن الموت لا علاقة له بالجسد المادي. إننا نعرّف الموت من منظور الوعي. تأمل مريضًا ميتًا دماغيًا، لا يستجيب، وهو على أجهزة الإنعاش؛ جسده من الناحية الفنية حي جدًا، ومع ذلك فإننا نرفع عنه أجهزة الإنعاش بشكل روتيني. فبدون الوعي، نعتبر الجسد البشري ميتًا في جوهره... حتى عندما تكون وظائفه الجسدية سليمة تمامًا."

صحيح، أدرك لانغدون.

وتابعت" :والعكس صحيح تمامًا. فالشخص المصاب بالشلل الرباعي على كرسي متحرك، الذي فقد الوظيفة الجسدية في جسده بأكمله ولكنه يظل واعيًا، هو حي جدًا. كان ستيفن هوكينغ في جوهره عقلًا بلا جسد. تخيل لو اقترح أحدهم رفع أجهزة الإنعاش عنه."!

لم يسمع لانغدون قط هذه الحجة تُعرض بهذه الطريقة.

واختتمت كاثرين حديثها قائلة" :يا روبرت، لم يعد بإمكاننا أن ننكر الموجة المتنامية من الأدلة على أن الوعي يمكن أن يوجد خارج الجسد... خارج حدود الدماغ. لقد آن الأوان لأن نعيد تعريف الوعي تعريفًا كليًا... وبالتالي نعيد تعريف الموت تعريفًا كليًا."!

وتمنى لانغدون أن تكون على حق، وألا يكون الموت حدثًا "نهائيًا" كما يتخيل معظم الناس. ومن غياهب ذاكرته، انبثقت تعاليم أسكليبيوس القديمة:

"يخشى الكثيرون الموت ويعتبرونه أسوأ كارثة يمكن أن تحل بهم: إنهم لا يعرفون شيئًا عما يتحدثون. يأتي الموت انحلالًا لجسدٍ أرهقه الكدح... وكما يغادر الجسد رحم الأم حين يكتمل نموه فيه، كذلك تغادر الروح الجسد حين تبلغ كمالها."

وكطالب شاب في مقارنة الأديان، كان لانغدون قد أُعجب بعالمية الوعد بالتقمص والحياة بعد الموت، ذلك اليقين الوحيد الراسخ الذي قدمته كل التقاليد الدينية التي صمدت أمام اختبار الزمن. ولطالما رأى في هذه السمة المتسقة مثالًا على مبدأ "البقاء للأصلح" الدارويني. فالديانات الوحيدة التي بقيت هي تلك التي قدمت حلًا لأعظم مخاوف البشرية.

وكثيرًا ما كان الجانب الأكثر روحانية في لانغدون يتساءل عما إذا كان الوعد القديم بالحياة الأبدية قد سبق الدين في الواقع... ليجد جذوره في حكمة القدماء المفقودة... زمن كان فيه العقل البشري صافيًا بما يكفي لإدراك أعمق الحقائق التي تخللت الكون.

"فكرة ليوم آخر"، قرر في نفسه بينما أبطأت سيارتهم أمام فندق فور سيزونز.

وهمس لكاثرين بجانبه" :هيه، أيتها النائمة، لقد وصلنا."

انقض فوكمان على الهاتف" :أهلاً؟."!

أعلن الصوت الجهوري الذي لا تخطئه أذن" :جوناس، أنا روبرت. لقد عدت للتو إلى الفندق. قال المدير إنك كنت تتصل بلا توقف."

صاح فوكمان" :لقد كنت أفعل! الانفجار في براغ؟ كنت قلقًا."...

"عذرًا، كلانا بخير."

تنهد فوكمان بارتياح" :أتعلم يا روبرت، معظم المؤلفين يثيرون توتري بتقديم مخطوطاتهم متأخرة، لكن لديك عادة مزعجة."...

أجاب لانغدون ضاحكًا" :شكرًا لاهتمامك، لكني لم أكن قريبًا من الانفجار."

قال فوكمان" :يسعدني سماع ذلك، حتى لو لم أصدقك. لقد شهدت ولعك

بمقاربة الأهوال."

"وأنا شهدت تفضيلك للافتراضات الموغلة في الارتياب."

ضحك فوكمان" :كانت تلك الاستجابة سريعة جدًا... حتى بالنسبة لك يا روبرت. كيف لي أن أعرف أن هذا ليس روبوت محادثة يعمل بالذكاء الاصطناعي؟."

"لأن الذكاء الاصطناعي لن يعرف أبدًا أنك رفضت إحدى أكثر الروايات مبيعًا في العشرين عامًا الماضية لأنك اعتقدت أن المؤلف أفرط في استخدام علامات الحذف."

"مهلاً! لقد أخبرتك بذلك سرًا."!

أكد له لانغدون" :نعم، وسآخذه معي إلى قبري. لكن ليس اليوم."

سأل فوكمان بأمل" :هل من جديد بشأن مخطوطة كاثرين؟."

أجاب لانغدون بصوت واهن" :آسف، كنت أتمنى أن أمنحك أخبارًا أفضل."...

كانت الساعة قبل السابعة بقليل عندما أغلق لانغدون دش البخار في الجناح الملكي. كان الليل في أوله، لكن ظلمة شتوية كانت قد حلت منذ فترة طويلة على براغ، وقد اتفق هو وكاثرين على أنهما سيتجهان مباشرة إلى الفراش.

لف لانغدون منشفة حول خصره وخرج من الحمام ليجد كاثرين مغمورة في حمام فقاعات وقد مدت إحدى ساقيها الرشيقتين وفي يدها شفرة حلاقة آمنة.

أتُحلق ساقيها؟ فكر في دهشة" .أسنخرِج الليلة؟."

ضحكت كاثرين" :لا يا روبرت، لن نخرِج. ألا تعلم حقًا لماذا تحلق المرأة ساقيها قبل أن تأوي إلى الفراش؟."

"آه "...تردد" .ظننت أنكِ... منهكة."

"لقد كنت كذلك. ولكن عندما رأيتك تدخل الحمام، استيقظت ."وأشارت إلى عضلات بطنه المشدودة" .تبدو وسيمًا جدًا يا رجل الماء... بالنسبة لرجل في سنك."

"سني أنا؟ أنتِ أكبر مني سنًا."!

"أتريد حقًا أن نخوض في هذا؟."

"لا يا حبيبتي... لا أريد ."سار لانغدون إلى حوض الاستحمام، وجلس على حافته، ووضع يده بحنان على مؤخرة عنق كاثرين" .ما قصدت قوله هو أنكِ جميلة، ورائعة، ومرحة، وأنا أهيم بكِ عشقًا ."وقبلها قبلة رقيقة على شفتيها" .وأراكِ في الفراش."

إنه أمر رسمي، فكرت كاثرين وهي تنهي استعداداتها وتخرج من حوض الاستحمام. "أنا واقعة في الحب."

كانت تشك في أنها ربما كانت تحب لانغدون طوال الوقت، وأخيرًا كان توقيتهما مناسبًا. لم يكن الأمر مهمًا. في كلتا الحالتين، كانا هنا الآن. معًا.

"تملّي هذه اللحظات."

بعد أن جففت نفسها، مدت يدها تحت الحوض وسحبت العلبة الملفوفة بأناقة التي كانت قد أخفتها هناك في وقت سابق. كانت تحتوي على أروع قطعة ملابس داخلية اشترتها كاثرين على الإطلاق. حرير سيمون بيريل بلون الماكياتو. كانت تأمل أن تعجب روبرت بالقطعة الواحدة الراقية من "مجموعة الحلم."

وبعد أن أسدلت شعرها، ألقت كاثرين بمنشفتها وانسابت في ذلك الثوب الخفيف الذي يكاد لا يزن شيئًا. شعرت بالحرير الفاخر على بشرتها الدافئة، ينسدل بشكل مثالي على جسدها. وتخلت عن عطرها المعتاد "بالاد سوفاج"، وأخرجت عينة الرذاذ الصغيرة من عطر "موهافي غوست" التي جاءت مع الملابس. ورشت سحابة من الرذاذ في الهواء وسارت من خلالها، وقد أثارت حواسها نفحات من مسك الشانتيلي والبنفسج الناعم.

وبعد أن تفقدت نفسها مرة أخيرة في المرآة، فتحت باب غرفة النوم، وسعدت برؤية أن لانغدون قد أطفأ الأنوار بالفعل.

"مثالي"، فكرت، عالمة أن ملابسها الشفافة قد أضاءها النور الآن من الخلف، فرسم ظلها الرشيق بكامل هيئته. وابتسمت بخفر، واتخذت وقفة مغرية في إطار الباب تنتظر رد فعل لانغدون.

لكن الاستجابة الوحيدة التي سمعتها كانت الإيقاع الناعم الرتيب لشخيره الهادئ.

الفصل الثامن والعشرون بعد المئة

في شقة متواضعة بحي ديفيتس، جلست دانا دانيك وحيدة أمام شاشة التلفاز تتابع الأخبار. لقد أعلنت القوات المسلحة الأمريكية الآن مسؤوليتها الكاملة عن انفجار فوليمانكا، الذي نجم على ما يبدو عن مخزون هائل من الغاز الطبيعي جلبه المهندسون لتدفئة وتجفيف الخرسانة الطرية التي كانوا يصبونها. ووفقا لشهادات العديد من المتخصصين في البناء من خارج المشروع، فإن هذه التقنية شائعة جدا، لا سيما في المساحات الرطبة تحت الأرض في فصل الشتاء، ولم يكن هذا الحادث هو الأول من نوعه.

ورغم ذلك، فقد بدأ المحللون السياسيون يشككون في صحة الرواية. ومع ذلك، وأيا كان سبب الانفجار، فإن الجيش الأمريكي قد شرع بالفعل في إغلاق المنطقة والاستعداد لعملية تطهير واسعة النطاق.

"يا سيدة دانيك؟" نادى رجل من الردهة بعد أن طرق بابها" .أنا الرقيب كيربل".

دُهشت، فمشت إلى الباب ونظرت من خلال عدسته. وبالفعل، كان هو قائد الفريق الأمني للسفيرة. أتُرى أوقعت نفسي في مأزق؟ لم يسبق لجندي من حرس البحرية أن زار بيتها قط. كانت دانا ترتدي قميصا رياضيا

فضفاضا ونظارة، ولم تضع أي مساحيق تجميل، وتساءلت إن كان الرقيب كيربل سيتعرف عليها أصلا.

عندما فتحت الباب، كان الجندي البحري ذو الوجه الطفولي واقفا على مسافة ملؤها الأدب. قال" :يا سيدة دانيك، أعتذر عن إزعاجك في منزلك. لقد طلبت مني السفيرة أن أنقل لكِ مرة أخرى حزنها الشخصي العميق لوفاة الملحق 'هاريس'. إن السفارة بأكملها قد اهتزت للنبأ بالطبع، لكن السيدة السفيرة قالت إنكما كنتما صديقين حميمين".

"شكرا لك يا سكوت".

"ويجدر بي أن أذكر أيضا أن اعتقال السفيرة كان مجرد سوء تفاهم، وقد أُطلق سراحها مع تقديم اعتذار كامل".

قالت دانا وهي تشير إلى التلفاز خلفها" :لعلها ستندم على ذلك. سيشتد عليها الخطب في هذا الأمر. حكومتكم تتعرض للانتقاد بالفعل".

"أجل، إن هذا الوضع برمته لهو... بعض الشيء"...

"بائس؟ "قالت دانا مستكملة جملته.

ابتسم كيربل" .كنت سأقول 'بالغ الحساسية السياسية".'

"إذن عليك أن تتولى منصبي في العلاقات العامة".

قال" :في الواقع، هذا هو سبب وجودي هنا. إن السفيرة تأمل بشدة أن تعودي وتتولي مسؤولية العلاقات العامة في هذه الأزمة".

ضحكت دانا عاليا" .يا سكوت، هل تعلم ما حدث لي اليوم؟! شهرت امرأة مسدسا في وجهي، وخُنق صديقي حتى الموت، واعتُقلت سفيرة الولايات المتحدة أمامي، واقتدتُ إلى خارج أراضي السفارة، وانفجرت حديقة فوليمانكا! هل فاتني شيء؟"!

تنهد كيربل" .أنا آسف يا دانا، أعترف أن هذا اليوم كان"...

"بالغ الحساسية السياسية؟"

"كنت سأقول 'بائسا".'

تمكنت دانا من رسم ابتسامة على وجهها" .إذن ما الذي يجري بحق السماء؟"

"ليست لدي كل الحقائق. عليكِ أن تسألي السفيرة غدا عندما تعودين إلى العمل".

"أهذه هي طريقتك في الإقناع؟"

"لم أكن بائعا جيدا قط. هلا فكرتِ في الأمر، من فضلك؟"

"سأفعل. طابت ليلتك".

شرعت دانا في إغلاق الباب، لكن كيربل اقترب خطوة" .في الحقيقة، كنت أتساءل إن كان بإمكاني إلقاء نظرة على ذلك الصندوق الكرتوني ".وأشار من خلفها إلى غرفة المعيشة حيث صندوق مقتنياتها الشخصية من مكتبها . "أعتقد أنه قد تكون هناك حقيبة دبلوماسية تخص السفيرة. أخشى أنني ربما أسقطتها في صندوقكِ عن طريق الخطأ. هل لي بالدخول؟"

لقد عانت دانا ما يكفي ويزيد من أساليب الاستمالة السقيمة، ولولا أنها كانت تكن للرقيب كيربل قدرا كبيرا من الاحترام، لظنت أن هذه محاولة أخرى من تلك المحاولات. ومع ذلك، فقد أشارت إليه بالانتظار عند المدخل" .سأبحث لك عنها".

مشت دانا إلى الصندوق وبدأت تنقب فيه، فذهلت حين وقعت يداها على حقيبة دبلوماسية مختومة موجهة إلى السفيرة هايدي ناغل .وكانت بالحقيبة ورقة لاصقة ملصقة عليها:

دال – لا تخبري أحدا بهذا. سيتصل بكِ أحدهم.

استدارت إليه في صدمة" .ما هذا بحق السماء؟! وما الذي يفعله في صندوقي؟"!

أجابها" :أنا آسف. أنا من وضعها هناك. والآن أنا بحاجة إليها".

في السفارة الأمريكية، جلست هايدي ناغل وحيدة في مكتبها، تحدق في كأسها الفارغة من شراب الببكسيروفكا .قلما كانت ترتشف المشروبات الروحية القوية، وما كانت لتشرب كأسين في يوم واحد قط.

إن لم يكن اليوم، فمتى؟

لقد توصلت هي والمدير إلى اتفاق، هدنة من نوعٍ ما، ولكن على الرغم من ذلك، لم تكن ناغل لتتخلى عن ورقة الضغط التي في يدها وتثق به ثقة عمياء. لا تزال لدي شريحة الـ USB التي تحوي الفيديو.

لقد ذهب كيربل لاستعادتها من دانا، ومن وقع الأقدام التي كانت تصعد الآن درجاتها الرخامية، بدا أن كيربل قد عاد... إلا أن الوجه الذي ظهر عند المدخل لم يكن وجهه. لقد كان لأحد حراس البحرية الجدد في السفارة.

قال الشاب وقد علت محياه سحابة من القلق" :يا سيدتي؟ أعتذر، ولكن لدينا وضع طارئ عند الباب الأمامي يتطلب اهتمامك".

قالت" :لا مزيد من الأوضاع الطارئة اليوم. أرجو أن تطلب من فريقك معالجة الأمر".

"لسنا مؤهلين رسميا يا سيدتي. إنه أمر دبلوماسي".

أحست ناغل بالضباب يغشى رأسها. أمر دبلوماسي... عند الباب الأمامي؟

دخل الشاب وهو يمد يده بقصاصة من الورق" .هذه لكِ".

أخذت ناغل الورقة وتأملت الكلمتين المكتوبتين بخط اليد.

САША ВЕСНА

قالت بامتعاض" :لا أدري ما هذا. أنا لا أتحدث الروسية".

بدا الحيرة على وجه الجندي" .لقد أكدت لي أنكِ ستعرفين من هي".

"عفوا، من؟"

"الروسية الواقفة عند الباب الأمامي. لقد طلبت التحدث إلى 'مايكل هاريس".'

روسية تبحث عن مايكل؟ هنا؟ الآن؟

"لقد طلبت منها أن تكتب اسمها ".وأشار الجندي إلى قصاصة الورق .

"أعتقد أنه يُلفظ 'ساشا فيسنا".'

الفصل التاسع والعشرون بعد المئة

فيما كان الرقيب كيربل ينطلق بسيارته مبتعدًا عن شقة دانا، أحس بالإنهاك وقد استبد به. أدار مذياع السيارة ورفع صوته إلى أقصاه ليظل متيقظًا ويطرد عن جفنيه الكرى. كانت الحقيبة الدبلوماسية موضوعة على المقعد إلى جواره، وكما أُمر، كان عليه أن يسلمها إلى السفيرة على الفور.

وعندما بلغ منتصف الدوار الفسيح في ساحة فيتزني، أحس كيربل بهاتفه في جيبه يرتجف. سحبه وتفحص هوية المتصل، فإذا به رقم فرعي من سفارة الولايات المتحدة.

أجاب وهو يخفض صوت المذياع" :كيربل."

جاءه صوت المرأة مألوفًا، لكنه بدا مضطربًا على نحو لم يعهده فيها" :الحمد لله أنك أجبت."!

أدرك كيربل على الفور أنها السفيرة، فاستنفرت حواسه كلها" :سيدتي السفيرة؟ هل كل شيء."...

قاطعته بحدة" :أين أنت الآن؟."!

كانت فظاظة السفيرة غريبة، وخالجه شعور عجيب بأنها ربما كانت قد احتست خمرًا، وهو ما لم يكن من طبعها أيضًا. قال" :لقد غادرت للتو حي ديفيتسه. ومعي الغرض الذي طلبتِه، وأنا في طريقي."...

"أريدك أن تفعل شيئًا آخر. حالاً."

وبينما كانت السفيرة تشرح، حدثته غريزته بأن شيئًا في هذا الموقف ليس على ما يرام البتة. كذب قائلًا، مطبقًا بذلك الإجراء الأمني المتفق عليه بينهما" :سيدتي، أجد صعوبة في سماعك. أأنتِ في المدينة؟ أتقضين بعض الشؤون؟."

صاحت به في غضب" :تبًا لك يا سكوت! أنت تعلم أنني لا أقضي الشؤون بنفسي! نفذ ما طلبته منك فحسب."!

كان قلب السفيرة ناجل يخفق بقوة وهي تهبط الدرج الرخامي إلى بهو السفارة الأنيق. كانت الردهة التي تفصل السفارة عن الشارع تخضع لحراسة أحد أفراد مشاة البحرية على الدوام، ولكن هذه الليلة، وكما طلبت ناجل قبل لحظات، كان هناك ثلاثة من مشاة البحرية مفتولي العضلات متمركزين في البهو. وبدا الارتياح على محيا العريف الشاب المسؤول وهو يراها تقترب.

كان الحراس يقفون مع وافدة جديدة، امرأة شقراء ترتدي سروال جينز وسترة واقية وحذاءً رياضيًا. كان شعرها الذي يصل إلى كتفيها مبللًا أشعث، وهيئتها منكسرة، كما لو كانت منهكة أشد الإنهاك، أو لعلها مصابة.

عرفت ناجل المرأة على الفور، فقد رأتها في الصور.

ساشا فيسنا ...وتبدو وكأنها قد خرجت لتوها من أتون حرب.

كان وجود المرأة الروسية هنا، مبتذلة الهيئة ولكنها على قيد الحياة، صدمة مذهلة. ولدى رؤيتها، شعرت ناجل للحظة بالارتباك والاضطراب، خاصة بالنظر إلى ما تعرفه عن شخصية ساشا المعقدة. فإن كان لانغدون وسولومون على حق بشأن اضطراب الهوية التفارقي الذي تعانيه، فإن أول ما كان على ناجل أن تفعله، مهما بدا الأمر غريبًا لها، هو أن تتبين أي شخصية من شخصيات ساشا هي التي مثلت أمامها للتو.

قالت السفيرة بأدب، محافظة على مسافة بينهما" :آنسة فيسنا، أنا السفيرة ناجل. أُبلغت أنك تبحثين عن مايكل هاريس؟."

قالت المرأة بصوت واهٍ تشوبه لكنة روسية كثيفة" :نعم."

"مايكل صديقي. قال لي إن كنت في ورطة، فيجب أن آتي لرؤيته هنا ."

كانت الشابة ترتجف من البرد، وتلعثم صوتها" .و... أعتقد أنني في ورطة."

أتظنين أنكِ في ورطة؟! كادت ناجل أن تصرخ بها. لقد أرديتِ مايكل هاريس قتيلًا ونسفتِ منشأة حكومية بالغة السرية! ولكن عندما تحدثت السفيرة، كانت نبرتها هادئة" .أخشى أن مايكل ليس هنا الآن ."وأظن أنكِ تعلمين ذلك بالفعل. أليس كذلك؟

سألت ساشا" :هل سيعود قريبًا؟ قال مايكل إنه يمكنني أن آتي دون سابق إنذار إذا شعرت يومًا بأنني في خطر."

سألت ناجل" :هل أنتِ في خطر؟."

قالت وهي على وشك البكاء" :نعم، أنا... أظن ذلك."

"ممن؟."

قالت والدموع تنهمر بحرية الآن" :لا أعرف! لا أعرف ما الذي حدث لي! أنا مشوشة ولا أتذكر... كل ما أعرفه أنني بحاجة إلى مكان آمن."!

سألت السفيرة" :إذن هل تطلبين اللجوء؟."

قالت وهي تخطو خطوة نحو ناجل" :لا أعرف ما هذا. أنا فقط بحاجة."...

هدرت ناجل بها قائلة" :ساشا، توقفي"!، بينما تقدم اثنان من مشاة البحرية ووقفا بينهما، مما جعل ساشا تتوقف في مكانها على الفور. بدت مرعوبة حقًا وكأنها قد فعلت شيئًا خاطئًا.

قالت ناجل وقد استعادت هدوءها" :آنسة فيسنا، أريد أن أساعدك، ولكن أولًا أحتاج منكِ أن تستمعي إليّ بعناية فائقة. الأمر في غاية الأهمية."

أومأت ساشا برأسها.

"هذه السفارة تُعتبر أرضًا أمريكية، وعندما يطلب مواطن غير أمريكي ملاذًا آمنًا على أرض أمريكية، فإننا نطلق على ذلك 'التماس لجوء'. وتتطلب

جميع التماسات اللجوء مقابلة تقييم فورية يجريها مسؤول قنصلي رفيع المستوى. وهذا المسؤول هو أنا."

أومأت ساشا برأسها دلالة على فهمها.

تابعت ناجل" :إن قواعد هذه المقابلات صارمة للغاية. فالبروتوكول الموحد بموجب إطار البت في طلبات اللجوء يستلزم إجراءً إلزاميًا نطلق عليه مصطلح 'الضبط المراقب."'

نظر الجندي الواقف بالقرب من ساشا إلى ناجل شزرًا، وهو أمر لم يكن مفاجئًا بالنظر إلى أن السفيرة كانت تختلق هذا كله من وحي اللحظة.

"أنتِ لستِ في ورطة يا آنسة فيسنا، على الرغم من أنه قد يبدو لكِ كذلك. إن الضبط المراقب جزء أساسي من بروتوكول اللجوء لدينا. وهو إجراء احترازي يضمن بيئة آمنة لكِ ولموظفي السفارة."...

قالت ساشا وهي تمد يديها وتقدم معصميها" :أتفهم. لا بأس إن قيدتموني."

قالت ناجل، وقد فوجئت بامتثال ساشا الفوري" :شكرًا لتعاونك. سيقوم فريقي الآن بتقييدك وفقًا لبروتوكولاتنا. سيتم وضعك في غرفة اجتماعات آمنة ومغلقة، حيث سيُقدم لكِ الطعام والماء، وستتاح لكِ إمكانية استخدام دورة المياه، والرعاية الطبية إذا احتجتِ إليها."

تردد حراس مشاة البحرية للحظة تكفي لرؤية ناجل وهي ترمقهم بنظرات حادة، فانطلق العريف المسؤول إلى العمل. وفي غضون ثوانٍ، كان قد وضع

أصفادًا بلاستيكية قياسية على معصمي ساشا الممدودين، وقام مع الحراس الآخرين بإرشادها عبر الفاصل الأمني.

ابتعدت ناجل عنهم مسافة كافية، وهي تلقي نظرة على ساعتها. كانت الساعة الثامنة والنصف مساءً" .سأنضم إليكِ حالما أتمكن من ذلك يا آنسة فيسنا، ولكن الأمر قد يستغرق بعض الوقت. وفي هذه الأثناء، سيحرص موظفوي على تدفئتك وإطعامك."

كانت الدموع تترقرق في عيني ساشا وهي تمر بجانبها. تمتمت بصوت خافت" :شكرًا لطفك."

وبينما كانت ناجل تستجمع شتات نفسها وتعود أدراجها إلى الطابق العلوي، أدركت أن عليها اتخاذ بعض القرارات الجسيمة التي لم تكن في الحسبان.

وعلى وجه السرعة.

الفصل الثلاثون بعد المئة

تلألأ رصيف مانهاتن تحت أقدام فوكمان وهو يمضي قُدُماً في شارع برودواي .لقد انقشع مطر العصر أخيرا، وآن أوان الرواح إلى الدار.

لقد كانت مكالمته مع براغ مقتضبة، إذ بدا لانغدون متحفظا في الحديث عبر الهاتف. بيد أنه طمأنه إلى سلامته هو وكاثرين، وأعلمه كذلك أنهما يفكران في التوقف بنيويورك في طريق عودتهما، حتى يتسنى لهم جميعا أن يتباحثوا مشافهة في كل الوقائع التي أحاطت بالمخطوطة.

"ليس ثمة الكثير مما يمكن مناقشته"، هكذا قال المحرر في أسى. فحتى لو استطاعت كاثرين أن تلم شعث عزمها لتعيد كتابة الكتاب برمته، فإن وكالة المخابرات المركزية سيكون لها رأي في الأمر لا محالة. لقد كان فقدان هذا الكتاب بالنسبة لفوكمان ضربة مهنية قاصمة، ولكنه وجد عزاءه في سلامة روبرت وكاثرين.

وحين دنا من دوار كولومبوس، داعبت أنفه رائحة البن المحمص القوية التي تفوح منها نكهة الأرض، فولج إلى أشد مقاهي ستاربكس في المدينة اكتظاظا بالرواد. فحقاً، إن كان ثمة يوم يستوجب جرعة إضافية من الكافيين تعينه على قطع طريق العودة إلى الدار، فما هو إلا هذا اليوم.

"معذرة يا روبرت"، هكذا ناجى نفسه وهو يطلب قهوته.

فقد قاطع أستاذ هارفارد ذاك مقاهي ستاربكس منذ أمد بعيد، بسبب ما كان يجهر به من "تشويهها الصارخ لرمز عريق."

ضحك فوكمان في خفة وهو يرمق الشعار المألوف المنقوش على كل كوب في المقهى.



"إن عروس البحر في شعار ستاربكس"، هكذا كان لانغدون يصيح في حنق، "لها ذيلان! وهذا يعني أنها ليست عروس بحر على الإطلاق، بل هي 'سيرين' – تلك الغاوية الشريرة التي تستدرج البحارة ليتبعوها على غير هدى نحو حطام سفنهم، ومن ثم إلى حتفهم المحتوم! كيف لي أن أثق بشركة أهملت إجراء أي بحث أيقوني قبل أن تزين أكواب 'الفرابتشينو' بوحش بحري فتاك"...

"هكذا هم علماء الرموز، ما أقدرهم على إفساد متعة فنجان قهوة!"، فكر فوكمان في نفسه، وهو لا يشعر بأدنى وخز للضمير إذ يرتشف أول رشفة رائقة من أغنى فنجان" فلات وايت "قشدي القوام في المدينة. ثم رفع ياقة

معطفه البحري الرمادي العتيق، وخطا عائدا إلى الخارج، ومضى في طريقه إلى الدار.

الفصل الحادي والثلاثون بعد المئة

مُحلقًا في غياهب الظلام، كان روبرت لانغدون يهيم عاليًا فوق سماء براغ. ومن علٍ، ألقى نظرة على جسر تشارلز الممتد في الأسفل، وقد تلألأت مصابيحه الغازية كعقود من لؤلؤ منثور على صفحة النهر الأسود. خفيفًا كأن لا وزن له، منفصلاً عن الوجود، راح ينجرف مع التيار، عابرًا الشلال، لا يعتريه شعور سوى ضيق مبهم من وقع قرعٍ ناءٍ. وما إن تعالى القرع واشتد، حتى خطفته الجاذبية بغتة، فأحس بنفسه يهوي في سقوط حر مذعور... تتسارع به الخطى نحو النهر الجليدي... إلى أن حطم ارتطامه صفحته المرآوية الصقيلة.

فهب من نومه فزعًا، واعتدل جالسًا في فراشه، وقد أخذته الدهشة كيف لم يدرك أنه كان في حلم. لطالما كانت تلك مفارقة تحير لبه: قدرة العقل البشري العجيبة على أن يجد نفسه في موقف يستحيل وقوعه بداهة، ثم يسلم به تسليم اليقين، غافلاً عن كل ما فيه من تناقض، غير شاكٍ لحظة في أنه ليس بحقيقة واقعة.

وقد استنفرته نشوة الأدرينالين التي خلفها الحلم، جال لانغدون ببصره في أرجاء الغرفة المعتمة. لم يكن يُسمع فيها حسيس، إلا أنفاس كاثرين الهادئة إلى جواره. وكان أريج عطرها الأخاذ يعبق في الهواء، وما يزال لانغدون

يستشعر ملمس ردائها الحريري الوثير الذي كانت ترتديه حين جلست على حافة الفراش وهَمَست" :يؤسفني جدًا أن أوقظك أيها الأستاذ"...

ما زال لانغدون يحس بنشوة تلك اللحظة.

يا دكتورة سولومون، لكِ أن توقظيني على هذا النحو متى شئتِ.

ثم انسَل من فراشه في هدوء، وارتدى رداء الحمام، ومضى إلى غرفة الجلوس في الجناح. ويا لخيبة أمله، إذ أشارت ساعة الجد الكبيرة إلى أن الوقت قد تجاوز التاسعة مساءً بقليل.

لم أكد أنعم بالنوم إلا قليلاً.

وألقى نظرة من النافذة الكبيرة، مدركًا أن حلمه الغريب لم يكن في حقيقة الأمر مستغربًا إلى هذا الحد؛ فلعل عقله كان لا يزال يحاول استيعاب هول صدمة قفزته المذعورة من هذه النافذة عينها إلى المياه المتجمدة. لطالما سحرته الأحلام، وقد صعق اليوم حين زعمت كاثرين أنها قد اكتشفت كنهها.

فقد كشفت تجاربها، في أمر يكاد لا يصدق، أن العقل الحالم يشبه في حاله العقل المحتضر. ففي كلتا الحالتين، تهوي مستويات ناقل الـ **GABA** العصبي، مما يضعف مرشحات العقل، ويشرِع الأبواب أمام نطاقات أوسع من المعلومات. وهذا السيل المتدفق من البيانات غير المصفاة هو ما يجعل

الأحلام تتجلى في صورة أخلاط من الصور والمعاني لا يأتلف لها نظام.

وفضلاً عن ذلك، فإن هذا يفسر لِمَ تتلاشى أشد الأحلام وضوحًا بعد ثوانٍ من اليقظة، رغم محاولاتنا المستميتة لتذكرها. إذ يعيد العقل ضبط نفسه، فترتفع مستويات الـ GABAمن جديد، وتعاود المرشحات عملها... فتطهر تلك المعلومات، وتنظم مرة أخرى إدراكنا للواقع.

"إن الاحتضار يشبه الحلم إلى حد كبير"، هكذا أوضحت له، شارحة كيف أننا في الأحلام كثيرًا ما ندرك أنفسنا كائنات لا وزن لها ولا كتلة، قادرة على اختراق الحواجز، والتحليق في الهواء، أو الانتقال من مكان إلى آخر. أي أننا، في جوهر الأمر، نصير وعيًا مجردًا من شكله المادي. "جسد الباردو"، هكذا فكر لانغدون، مستحضرًا وصفه في "كتاب الموتى التبتي". ففي كثير من الثقافات، كان جسد الحلم يُعد مقدسًا، لما يُعتقد فيه من قدرة على العبور جيئة وذهابًا بين عالمي الحياة والموت.

فحين ينعتق الوعي من إساره الجسدي، تتنامى قوانا الإدراكية.

وبينما كان لانغدون ما يزال واقفًا عند النافذة، إذا بهواتف الجناح كافة تشرع في الرنين دفعة واحدة. فأسرع إلى الهاتف الفرعي في غرفة الجلوس ورفع السماعة، راجيًا ألا تكون المكالمة قد أيقظت كاثرين.

"السيد لانغدون، معك المدير الليلي"، هكذا أعلن الصوت المألوف .

"أعتذر إن كنت قد أيقظتك. لقد حاولت أن أقرع الباب، ولكن لم تأتني إجابة."

القرع الذي كان في حلمي" .أجل، هل كل شيء... على ما يرام؟"

"لا أدري يا سيدي"، أجاب المدير وقد بدا عليه الفزع جليًا" .يوجد هنا شخص يدعى مارين كيربل من سفارة الولايات المتحدة. يقول إنه من الضروري أن تقابل السفيرة حالاً."

في غرفة اجتماعات مغلقة في سفارة الولايات المتحدة، أحدق الغولم في القيود التي تكبل معصميه. "لن أَدَعَ ساشا ترى نفسها مكبلة هكذا"، هكذا فكر في نفسه. "فقد ذاقت من ذلك ما فيه الكفاية خلال سنواتها في تلك المؤسسة". لم يكن الغولم قد أطلق سراح ساشا لتعود إلى واجهة وعيه منذ أن غادر أنقاض ثرشهولد، لكن تلك اللحظة كانت تقترب بسرعة.

كل شيء يسير وفق الخطة.

ورغم أن ساشا كانت في حكم السجينة في تلك اللحظة، ظل الغولم واثقًا من أن السفيرة ستصبح نصيرًا لها تشفق لحالها.

لقد كشف لي اعتراف غيسنر كل ما كنت بحاجة إلى معرفته.

"إن السفيرة ناغل لا تعلم شيئًا!"، هكذا أصرت غيسنر" .لسوف يصيبها الهلع لو علمت بما يجري هنا في الأسفل... إنها لم تأتِ إلى براغ إلا لأن فينش قد خدعها لتتولى هذا المنصب. لقد كان بحاجة إلى دبلوماسية تكون حليفة له"!

"وأنا أيضًا بحاجة إلى حليف"، هكذا قرر الغولم.

ولذا، بادر بالاتصال بها.

"أرجوكِ، ساعدي ساشا."

لا ريب أن السفيرة كانت تجهد فكرها لتبلور كنه ما تقتضيه "مساعدة ساشا"، بيد أنها لن تحتاج إلى وقت طويل لتدرك أنه لا يوجد إلا سبيل واحد ممكن. لقد ألقى الغولم بذرة الفكرة في نفسها في رفق ودهاء، وما لبثت أن تأصلت.

فقبل دقائق معدودة، نطقت السفيرة بالكلمة الوحيدة التي كان الغولم يتوق إلى سماعها.

اللجوء.

الفصل الثاني والثلاثون بعد المئة

أفنت هايدي ناجل عُمرها المهني في خدمة بلادها. وقد أُنشِئت على أن يكون فكرها منصبا أبدا على الصالح العام، فكانت نادرا ما تفكر في شأنها الخاص. بيد أنها في تلك اللحظة، لم تكن تفعل شيئا إلا أن تفكر في نفسها.

لقد عقدت العزم من قبل على أن تستقيل من منصبها سفيرة وأن تغادر براغ .كان ذلك ما تصبو إليه نفسها منذ سنين خلت، ولكن ها هو عالمها الآن، وبغتة، قد تبدل حاله. لقد ولى فينش، وبات في يدها من أسباب القوة ما يمكنها من الصمود في وجه أعتى العواصف السياسية.

غير أن ما أدهش ناجل هو أن هذا اليقين بالنجاة لم يجلب لنفسها سلوى، بل لم يخلف فيها إلا خواء قارصا ما فتئ ينهش روحها منذ سويعات.

لا بد لحياتي أن تتمحور حول ما هو أسمى من مجرد... البقاء.

ثم كانت تلك اللحظة التي ولجت فيها ساشا فيسنا من الباب الرئيسي للسفارة.

شعرت كاثرين سولومون وكأنها لم تزل قبل دقائق معدودات غارقة في عالم من الأحلام الرضية، قبل أن تُنتزع منه انتزاعا عنيفا لتعود إلى وهج الواقع القاسي.

ما الذي أتى بنا إلى هنا؟!

كان الرقيب كيربل قد أوصلهم لتوه إلى مكتب السفيرة ناجل، التي كانت تقف عند منضدة المشروبات تصب ثلاثة فناجين من القهوة في آنية خزفية فاخرة، يزينها شعار السفارة الرسمي. وقالت" :أعتذر مرة أخرى لاستدعائكم في هذا الوقت المتأخر، ولكني أخشى أن تطورات جسيمة قد استجدت في الساعة الأخيرة، ومن واجبي أن أضعكم في صورتها على الفور. إن هذه المعلومات عاجلة... وبالغة الحساسية في آن معا."

سأل لانغدون" :أتخبريننا بالأمر هنا؟ لقد ظننت أنك لم تعودي تثقين بخصوصية السفارة."

أجابت ناجل" :أجل، لا أثق بها، ولكن كل شيء قد تغير. إن المعلومات التي أنا على وشك أن أطلعكم عليها، هي ذاتها التي لن يكون أمامي خيار سوى أن أطلع عليها مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) أيضا. فإن كان يتنصت علينا، فليكن."

سألت كاثرين بحدة، وقد تملكها شعور مقلق بأن حليفتهم الوحيدة ربما تعيد النظر في تحالفها معهم" :ما الذي تغير؟."

قالت وهي تشير إليهما بالجلوس" :إن الخيوط متشابكة، لذا سأبدأ بتلك التطورات التي تمسكم أنتما الاثنان مباشرة."

لم يرق لكاثرين وقع هذه الكلمات.

"لقد أُبلغت بأن فرقة عمل عسكرية أمريكية في طريقها الآن من قاعدة رامشتاين الجوية في ألمانيا. ستهبط الفرقة قريبا لتفرض طوقا أمنيا رسميا على حديقة فوليمانكا وتبدأ عمليات التطهير ."وضعت ناجل القهوة وجلست في مقعد مقابل لهما، وقد اعتلت وجهها سحابة من الجدية" .وإضافة إلى ذلك، أُخبرت بأن فريقا من وكالة المخابرات المركزية (CIA) قادم جوا من لانغلي ليبدأ تحقيقا سريا لمعرفة المسؤول عن الانفجار. وقد نُصحت بأن تحقيقهم سيبدأ بكما."

صُدمت كاثرين" :نحن؟."!

أومأت السفيرة برأسها إيماءة تنم عن خطورة الموقف" :لدى الجيش الأمريكي صورة تؤكد أن مدنيين اثنين غير مصرح لهما بالوجود – أنت والأستاذ لانغدون – قد شوهدا وهما يخرجان من المنشأة بعد دقائق فقط من وقوع الانفجار."

اللعنة. ألقت كاثرين نظرة على لانغدون الذي بدا وجهه متوترا.

قالت ناجل" :لقد دخلتما المنشأة بصورة غير قانونية، وهذا في حد ذاته يجعلكما موضع شبهة في عملية تخريب، وإذا ما أخذنا في الحسبان نزاعكما مع الوكالة بشأن المخطوطة، وهو ما يمكن اعتباره دافعا للانتقام."...

احتج لانغدون" :ولكن الفيديو، اعتراف الدكتور جيسنر، لقد قلت."...

"أجل، لدينا ورقة ضغط. بوسعي أن أحميكما. وسأفعل. لكن المسألة تكمن في كيفية تحصينكما على أفضل وجه. والجواب يتوقف على ما سنتخذه من إجراءات في الساعات القليلة القادمة."

قال لانغدون" :حسنا، فهل لديك خطة؟."

قالت" :أجل، لدي خطة، ولكني أظن أنها لن تروق لكما من الوهلة الأولى، لذا قبل أن أعرضها، ثمة أمور لا بد لكما من فهمها عن وكالة المخابرات المركزية ...(CIA) وعن حقيقة ما نواجهه."

مد كل من كاثرين ولانغدون يده إلى فنجان قهوته في اللحظة ذاتها. بدا جليا أنه لن يكون ثمة نوم في القريب العاجل.

قالت ناجل" :في مكالمتي مع المدير، أكد لي أن مشروع (العتبة) هو بالفعل استمرار لعمل دأبت الوكالة على إنجازه لعقود، والذي بدأ كاستكشاف

بدائي للمشاهدة عن بعد – مشروع (بوابة النجوم) أو Stargate ، كما ذكرت أنت سابقا على وجه الصواب. ولكن مع مرور الزمن، تطور مشروع (العتبة) ليصبح شيئا أشمل بكثير، مشروعا صُمم للبحث عن إجابات لبعض الأسئلة الأكثر إلحاحا التي تلوح في أفق المستقبل. ما هي طبيعة الوعي البشري؟ وهل يستطيع العقل البشري التواصل مباشرة مع عقول أخرى؟ مع الآلات؟ عبر مسافات شاسعة؟ بل لعل الأمر يتعدى ذلك إلى التواصل مع أبعاد أخرى؟."

قاطعتها كاثرين" :مع كامل احترامي، لست على يقين من أن منظمة استخبارات عسكرية هي الأداة المثلى لاستكشاف أعمق الأسئلة الفلسفية للبشرية."

شبكت ناجل أصابعها، وقد ازداد ثغرها صرامة، وقالت" :يا دكتورة سولومون، إن الأمر لا يتعلق بمسائل فلسفية. ودون أية إساءة، فإنك والأستاذ لانغدون تنعمان بترف استكشاف العلم والتاريخ في أروقة الأوساط الأكاديمية لسبب واحد لا غير، ألا وهو دأب وكالات الاستخبارات في أمتنا. يمكنني أن أقدر تماما جاذبية العلم الخالص، ولكنني أخشى أن تطبيق ذلك العلم هو ما يحمي أناسا مثلنا من أعداء لو أتيحت لهم الفرصة، لمحوا أمتنا من على وجه البسيطة."

همت كاثرين أن تتنفس لتدافع عن نفسها، ولكن يبدو أن السفيرة لم تكن قد فرغت من حديثها بعد، إذ بقي نظرها معقودا على العاملة دون أن يزيغ.

"إن مدير وكالة المخابرات المركزية يؤمن إيمانا راسخا بأن مستقبل أمريكا ذاته يعتمد على أن نكون السباقين إلى إتقان استغلال إمكانات الوعي البشري. ولم يتردد في تذكيري بأنه عندما تنبأ أينشتاين لأول مرة بالكميات الهائلة من الطاقة المخزنة في الذرة، ضخت الحكومة الأمريكية الملايين في أبحاث الفيزياء السرية، فسبقنا الجميع إلى القنبلة الذرية. ولكن تخيلي لو أننا لم نفعل. تخيلي لو أن روسيا وحدها امتلكت القنبلة. أو ألمانيا. أو اليابان."

كان على كاثرين أن تعترف، في قرارة نفسها، بأن الحجة كانت وجيهة.

واصلت ناجل" :إن السباق الحالي لتسخير قوة العقل البشري لا يختلف عن ذلك. فالروس يستطيعون بالفعل قراءة موجات الدماغ باستخدام الموجات فوق الصوتية، والصينيون يقدمون طلبات هائلة لشراء شرائح (نيورالينك) **Neuralink** الدماغية، والحملات الممولة من الروبوتات على وسائل التواصل الاجتماعي تؤثر في انتخاباتنا، وقد اكتشفنا للتو ما يبدو أنها تقنيات للتحكم في الدماغ مدمجة في تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي القادمة من وراء البحار. فلا يساورنك أدنى شك، نحن في خضم

سباق سري بلغ بالفعل ذروة محمومة، وبصراحة، هو سباق حري بك وبِي أن نأمل في أن ننتصر فيه."

اتكأت السفيرة إلى الخلف وارتشفت من قهوتها.

قالت كاثرين بنبرة تصالحية" :أعتذر. إذا كان تعليقي قد أوحى بأني جاحدة لعمل الوكالة، أو جاهلة بشؤون العالم، فقد خانني التعبير. كنت ببساطة أسلط الضوء على المشكلة الجوهرية المتمثلة في ادعاء التفوق الأخلاقي بينما تُجرى عمليات جراحية دماغية غازية على أناس دون علمهم أو موافقتهم."

أجابت ناجل" :وأنا أتفق معك في كل كلمة. المشكلة هي أن المدير جاد لم يتم إطلاعه قط على وفاة أي مريض أو على أساليب فينش في تدبير الأشخاص الخاضعين للتجارب."

قال لانغدون" :لا يمكن أن تصدقي ذلك."

هزت ناجل كتفيها وقالت" :سواء أبلغه فينش أم لم يفعل، فغالبا ما لا يجد مدير وكالة المخابرات المركزية خيارا سوى أن يغض الطرف. إن عالم الأمن القومي عالم تُقدَّر فيه النتائج فوق المنهجية. من السهل على المرء أن يسخط حتى يلمح لمحة من البدائل المتاحة. أحيانا، يكون الخيار الأمثل هو ببساطة النتيجة الأقل إثارة للاعتراض."

قال لانغدون بهدوء" :سعادة السفيرة، إن كاثرين وأنا نقدر تعقيدات واجبات وكالة المخابرات المركزية، ولكنك دعوتنا إلى هنا لتقولي إننا في خطر، وإن لديك خطة لتحصيننا... تتوقف على ما سنفعله في الساعات القادمة؟."

"أجل"، قالت ناجل وهي تضع فنجانها" .إن هذا الموقف معقد، لكني أدركت أن هناك مخرجا منه. مخرجا صحيحا. مخرجا كريما ."مالت بجسدها إلى الأمام، ووجهت بصرها الآن إلى لانغدون" :ولكن لكي أنجح في تحقيق ذلك، سأكون في حاجة إلى مساعدتك يا أستاذ."

بدا لانغدون مترددا.

قالت السفيرة" :قبل نحو نصف ساعة، دخلت ساشا فيسنا إلى هذه السفارة... حية ترزق."

الفصل الثالث والثلاثون بعد المئة

اللجوء؟

كان روبرت لانغدون يذرع مكتب السفيرة ذهابًا وإيابًا، محاولًا أن يلملم شتات أفكاره. وقد زعزع نبأ بقاء ساشا على قيد الحياة كيانه، فتركته مضطربًا جسدًا وروحًا. لقد استراح لانغدون لنبأ نجاتها، بيد أن مجرد وجودها أثار في نفسه سيلًا مقلقًا من الأسئلة الشائكة.

أما الهاجس الأشد إلحاحًا – هل تشكل خطرًا؟ – فبدا أنهم قد تداركوه بتقييد ساشا وحبسها منفردة في غرفة اجتماعات محروسة. وبدا له في ذلك بعض القسوة، ولكن بالنظر إلى كل ما جرى، ما الذي كان بوسع ناغل أن تفعله غير ذلك؟

وقد حير لانغدون أن تطلب ساشا اللجوء من الحكومة ذاتها التي أساءت إليها. أيكون أنها لا تدري ما صنعوه بها؟ أما الاحتمال الآخر، فهو أن قرينها هو الذي حضر متقمصًا شخصيتها، وهو ما لا يستقيم مع المنطق أيضًا؛ فقرين ساشا يبتغي حمايتها، وتسليمها إلى أيدي حكومة الولايات المتحدة يبدو نقيض ذلك تمامًا.

عاد لانغدون إلى مقعده بجوار كاثرين بينما كانت السفيرة تصب المزيد من القهوة. وقالت السفيرة" :في وقت سابق من هذه الليلة، ذكرتني الدكتورة

سولومون أن ساشا وقرينها شخصيتان مختلفتان، وينبغي النظر إليهما على هذا الأساس. ولقد حاولت، ورغم صعوبة استيعاب هذا الأمر، فقد خلصت إلى أن ساشا فيسنا – إذا ما نظرنا إليها وحدها – هي ضحية بريئة. لقد كانت طفلة مصابة بالصرع، أُودعت مصحًا، وتعرضت للإيذاء الجسدي والنفسي في برنامج سري، ولعل استغلالهم لجسدها هو ما فاقم من عللها النفسية حتى بلغت حالتها الراهنة."

"أتفق معك"، قالت كاثرين" .إنها ضحية بكل تأكيد."

"ثم لدينا هذا"، قالت السفيرة، مشيرة إلى المذكرة المكتوبة بخط اليد والموضوعة على منضدة القهوة.

"رجاءً، ساعدي ساشا" .

"ورغم أني لست ممن يعتادون تلقي الأوامر من القتلة"، قالت السفيرة، "إلا أني أمعنت التفكير في هذه المذكرة، وبالنظر إلى الظروف، يبدو أن مساعدة ساشا فعل تمليه الأخلاق."

"واجب أخلاقي محتوم"، هكذا جال في خاطر لانغدون.

"المعضلة، بطبيعة الحال، تكمن في أن ساشا فيسنا شخصيتان في جسد واحد ."تنهدت السفيرة وهزت رأسها" .فهي ضحية بريئة... وقاتلة ماكرة

في آن. ولا سبيل إلى منح إحداهما اللجوء... ومقاضاة الأخرى. وسواء أدركت ساشا ذلك أم لم تدرك، فإنها تؤوي مجرمًا خطيرًا. كما أنها تحوز شريحة دماغية نموذجية بالغة السرية، ولا يمكن السماح لها بالتجول حرة طليقة."

شعر لانغدون في عيني السفيرة أن قضية ساشا، إلى جانب كونها معقدة إلى أبعد الحدود، كانت تمسها مساسًا شخصيًا عميقًا.

"وثمة مشكلة أخرى"، تابعت ناغل، "وهي أن الوقت المتاح لنا قصير جدًا. فبراغ ليست مكانًا آمنًا لساشا. فمع بزوغ الفجر، ستجد هذه السفارة نفسها في خضم سيل من الاستفسارات الدولية، وموجات من السخط، ومطالبات بإجراء تحقيق جنائي في وقائع حديقة فوليمانكا. إن بصمات ساشا تملأ حصن كروسيفيكس ، وعلى الأرجح توجد على جثث عدة، ولا شك أن وجهها – أو بالأحرى وجهيها – سيُستخرجان من محفوظات المراقبة، وستُقتفى تحركاتها السابقة بدقة. ولن يطول الأمر بالمحققين حتى يجمعوا ما يكفي من الأدلة لتعيين ساشا شخصًا ذا أهمية في التحقيق."

"ومعي كاثرين أيضًا"، فكر لانغدون، شاعرًا بأن الجدران تطبق عليه.

خلعت ناغل نظارتها وانحنت نحوهما" .ورغم أني لم أُخبر أحدًا بعد بأن ساشا على قيد الحياة، إلا أني أرجح أن المدير جاد سيعلم بذلك قريبًا جدًا. بل ربما يعلم بالفعل أنها هنا في السفارة."

"وكيف؟ "سأل لانغدون.

"عن طريق المراقبة، أو تسريب من أحد الموظفين، أو على الأرجح – عن طريق نظام تحديد المواقع .(GPS) فلن أستغرب إن كانت شريحة ساشا الدماغية تتضمن جهاز تتبع من نوع ما."

"لا بد أنها كذلك"، أدرك لانغدون.

"ولكي لا أبدو متشائمة"، أضافت، "فبالنظر إلى الطبيعة الحساسة لهذا المشروع... قد تكون شريحتها مزودة أيضًا بخاصية التدمير عن بعد. إنه إجراء متبع في التقنيات المتقدمة في الميدان، وهو مدمج في كل شيء من هواتف الأقمار الصناعية إلى الغواصات... تحسبًا لوقوع التقنية في أيدي عدو قد يحاول تفكيكها والاستفادة منها."

"لحظة"، قال لانغدون" .هل تعتقدين أن شريحة ساشا الدماغية يمكن تدميرها... عن بعد؟ أثق أنك تقصدين إيقافها أو محو بياناتها... لا تفجيرها أو ما شابه."

"بالتأكيد ليس شيئًا بمثل هذه الدرامية"، قالت ناغل، "ولكن تصادف أني أعلم أن شركة Q تمتلك براءات اختراع لرقائق سيليكون مدمجة بطبقة محكمة الإغلاق من حمض الهيدروفلوريك، يمكن إطلاقها بمكالمة هاتفية لإذابة المعالج بأكمله."

"في دماغها؟ "!صاحت كاثرين" .إن هذا سيقتلها"!

"محتمل جدًا"، قالت ناغل، "ولكني أعتقد أن قتل ساشا سيكون الملاذ الأخير للوكالة. فالمدير يعلم أني سأعتبر ذلك خرقًا سافرًا لاتفاقنا، وهو يدرك جيدًا أن لدي تدابير مضادة. وفي الوقت الراهن، فإن همي الأول هو إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة وواضحة مع المدير. فإن كان ثمة درس واحد علمتنا إياه الحرب الباردة عن التدمير المتبادل المؤكد، فهو أن التواصل أمر حاسم. لا تدع خصمك يخمن ما أنت فاعل، بل أعلمه به. فإذا اشتبه المدير جاد بأن لساشا دورًا في ما يجري، فمن الأهمية بمكان، لنا جميعًا، أن يسمع التفاصيل مني... كلها، وفي سياقها الصحيح."

وفي ضوء كل ما كانت السفيرة توازنه، أُعجب لانغدون بصفاء تفكيرها الاستراتيجي. لا بد أن ناغل كانت محامية فذة.

"وماذا عن الفيديو؟ "قالت كاثرين" .هل تعتقدين أنه كافٍ لإبقاء وكالة المخابرات المركزية (CIA) بعيدة؟"

"منفردًا، ربما لا"، أجابت" .ولكن مقترنًا بالانفجار وموت الدكتور غيسنر، ستجد الوكالة صعوبة في الادعاء بأن الفيديو مزيف. وحتى لو فعلوا، فإنه يسلط الضوء في اتجاه من شأنه أن يلحق ضررًا بالغًا بالوكالة."

"وماذا عن ساشا؟ "سأل لانغدون، مدركًا أن الناجية الوحيدة من تجارب ثرشهولد حبيسة الآن في غرفة بالطابق السفلي" .هل تثقين بأن الفيديو سيحميها هي الأخرى؟"

"أجل، ولكنها ليست بحاجة إليه"، قالت السفيرة" .تتمتع ساشا بمستوى من الحماية نادر للغاية؛ فهي أثمن للوكالة حية منها ميتة. ولا شك أن المدير سيعيد بناء ثرشهولد، ليس هنا، ولكن في مكان ما، وستُعتبر ساشا رصيدًا لا يمكن تعويضه لبرنامج تبلغ تكلفته مليار دولار. إنها تمثل سنوات من البحث والتطوير(R&D) ، وأتصور أن أول ما سيفعله المدير جاد هو محاولة التفاوض معنا... من أجل استعادة ساشا."

سرَت قشعريرة في جسد لانغدون عند هذه الفكرة" .إذًا كيف نبقي ساشا بعيدة عن قبضته؟"

أخذت ناغل نفسًا عميقًا" .لن نفعل."

باغت الرد لانغدون" .عفوًا؟"

"لن نفعل"، كررت بصوت حازم.

"أيتها السفيرة ناغل"، احتج لانغدون وقد علت نبرته" .هل تقترحين أن نعيد ساشا إلى وكالة المخابرات المركزية؟"

"هذا هو بالضبط ما سنفعله. إنه الخيار الوحيد."

"مرفوض قطعًا "!صاحت كاثرين" .لقد قتل ثرشهولد مريض بالفعل! لا يمكنكِ إعادة ساشا إلى"...

"لا يمكنني؟ "!قاطعتها ناغل بقوة" .أُذكركما بأنني داخل هذه السفارة صاحبة السلطة العليا، وسأطلب منكما أن تستمعا إليّ حتى النهاية قبل أن تخبراني بما يمكنني وما لا يمكنني فعله."

صمتت السفيرة برهة، فاستوت كاثرين في جلستها، تهز رأسها في صمت في تحدٍ.

"هذه هي الحقائق"، أعلنت ناغل بنبرة هادئة" .تحتاج ساشا فيسنا إلى رعاية متخصصة للغاية، جسدية ونفسية على السواء. وقد أثبتت أنها بالغة الخطورة، مما يعني أن أي جهة تتولى رعايتها ستحتاج إلى توخي الحذر الشديد وفهم حالتها فهمًا تامًا. وبالنظر إلى الأجهزة المزروعة في دماغ ساشا، فإن قائمة الكيانات المؤهلة لرعايتها قصيرة للغاية. بل لعلها قائمة

من كيان واحد. وعندما أتأمل ما أخبرتماني به عن هذه الخلايا العصبية الاصطناعية المتقدمة في دماغها، لا يسعني إلا أن أخلص إلى أن الأشخاص الوحيدين المؤهلين لتقديم الرعاية النفسية المناسبة لساشا هم العلماء المشاركون في ثرشهولد."

رأى لانغدون منطقًا في حجتها، ولكن خطة السفيرة في جوهرها كانت تعني إيكال أمر ساشا إلى الأشخاص أنفسهم الذين استخدموها كحيوان مختبر. وإلى جواره، كانت كاثرين لا تزال تهز رأسها، ومن الواضح أنها لم تقتنع.

"ولكن لا يخطئن أحدكم الظن"، قالت ناغل" .أنا لا أقترح عودة ساشا إلى ثرشهولد كما كان. لن أسمح بإجراء أي تجارب أخرى على ساشا فيسنا. نقطة. ستعود بوصفها الرصيد الأثمن والأغلى للبرنامج، لتُعامل على هذا الأساس، ولتحيا حياة كريمة. إن ساشا تمثل نصرًا باهرًا، فهي أعظم انتصار للبرنامج حتى الآن، ووجودها يتيح فرصة بحثية لا تقدر بثمن. وسأؤكد للمدير أن تجارب ثرشهولد على دماغ هذه المرأة هي التي فاقمت على الأرجح من حالتها النفسية، إن لم تكن قد تسببت فيها أصلاً. وبعبارة أخرى، سأجعله يفهم أن السلامة النفسية لساشا هي المسؤولية الأخلاقية القصوى للوكالة. وفي النهاية، سيكون لدى المدير جاد دافع قوي لضمان

صحة ساشا العامة، خاصة وهو يعلم أني سأراقب الوضع وإصبعي على الزناد."

ساد بينهم صمت طويل، ووجد لانغدون نفسه في خضم صراع نموذجي أزلي – الصراع الأبدي بين النزعة الأبولونية والنزعة الديونيسية، كما هو معروف في الأساطير – ذلك الصراع الداخلي الأزلي. العقل في مواجهة القلب. فعقله الأبولوني رأى نظامًا ومنطقًا في خطة ناغل، بينما رأى قلبه الديونيسي فوضى وظلمًا.

"إنكِ ترسمين صورة جميلة"، قالت كاثرين كاسرة الصمت" .ولكن ساشا لم تطلب قط أن يكون ثرشهولد جزءًا من حياتها."

"ولا أنتِ أيضًا يا دكتورة سولومون، ومع ذلك ها نحن هنا ."كانت نظرة ناغل ثابتة الآن" .علينا جميعًا أن نلعب بالأوراق التي تُوزع علينا. ولكي تحيا ساشا فيسنا حياة صحية، ستحتاج إلى التفاعل بشكل ما مع مشروع ثرشهولد. ويمكن أن يكون مستوى مشاركتها قرارها الخاص، وربما يقتصر على أجزاء المشروع المتعلقة بأبحاث الوعي فقط. ولكن ما إن تستقر حالة ساشا النفسية، فلا بد لي من الاعتقاد بأن كونها جزءًا من فريق قد يمنحها هدفًا ومكانة لم تعرف لهما مثيلاً في حياتها قط."

شعر لانغدون بالريبة. كلنا بحاجة إلى هدف. ولكن ما تصفه ناغل كان يعتمد على أن تفعل الوكالة الصواب، ولم يكن لدى لانغدون ثقة كبيرة في ذلك.

"أدرك أن استحضار الثقة قد يكون صعبًا في هذه الحالة"، تابعت ناغل، كأنما شعرت بتردد لانغدون" .خاصة بعد كل ما شهدتموه من الوكالة. ولكن أرجوكما تذكرا أن تجربتكما كانت مع إيفرت فينش. أما الآن فستتعاملان مع المدير غريغوري جاد. لقد كان خطؤه أنه منح فينش حرية تصرف أكثر مما ينبغي، ولكني وجدته دائمًا رجلاً مستقيمًا في عالم من الخيارات الملتوية. وعلى أقل تقدير، هو رجل صادق."

"صادق؟ "اعترضت كاثرين" .لقد كنتِ كبيرة مستشاريه، ومع ذلك كذب عليكِ، وأخبركِ أن مشروعِ بوابة النجوم قد فشل."

أشاحت ناغل بيدها في استخفاف" .بروتوكول – DBD أي التضليل عن طريق الخداع. إنه تكتيك شائع في تقسيم المعلومات. فالروايات الكاذبة تحمي الموظفين الذين لا حاجة بهم إلى معرفة الحقيقة. فكلنا نكذب بشكل أفضل حين نصدق الكذبة التي نرويها. ومن الواضح أن بوابة النجوم لم يكن المشروعِ السري الوحيد الذي كذبت الوكالة بشأنه ثم أعادت إحياءه. وإذا كانت ثقتي في المدير جاد في غير محلها"، خلصت

السفيرة، "فسأذكره بسيف ديموقليس المسلط فوق رأسه، موضحة له بجلاء تام أني عازمة كل العزم على إنزاله به إن لم تفِ الوكالة بالتزاماتها الأخلاقية تجاه ساشا."

جلس الثلاثة في صمت في المكتب الفخم" .ناهيكِ عن أنه"، أضافت السفيرة، "في أي سيناريو آخر تقريبًا، ستكون ساشا بلا حماية، ومن المحتمل جدًا أن تُعتقل وتُحاكم بتهم الخيانة والإرهاب والقتل."

التفتت كاثرين ببطء نحو لانغدون، وعيناها لا تزالان مترددتين، لكن إيماءة متعبة من رأسها أوصلت رسالة واضحة. سأتبع قرارك في هذا الأمر.

تخيل لانغدون ساشا حبيسة في الطابق السفلي، فأشفق قلبه عليها. ورغم مخاوفه العميقة من خطة السفيرة، لم يرَ لانغدون خيارًا أفضل. وبقدر ما كان من الصعب الاعتراف بذلك، فإن المكان الأكثر أمانًا على وجه الأرض لساشا فيسنا ربما كان في لانغلي، فرجينيا .بدا الأمر متناقضًا للانغدون أن يصبح مضطهدو ساشا الآن هم أوصياءها... ولكنه كان أيضًا بطريقة ما... حتميًا.

بل ربما عبقريًا.

إن حقيقة ظهور ساشا خارج السفارة جعلت لانغدون يتساءل عما إذا كان حارسها الغامض، الغولم، قد فكر بالفعل في كل هذا. لقد زود ناغل بالورقة الرابحة اللازمة لأخذ زمام المبادرة... ثم قدم أبسط المناشدات.

رجاءً، ساعدي ساشا.

والآن، بينما كان لانغدون يتأمل كل ما اقترحته السفيرة للتو، سمع سؤالاً واحدًا لا إجابة له يتردد في ذهنه.

Quis custodiet ipsos custodes?

ورغم أنها لم تدرس اللاتينية قط، إلا أن السفيرة ناغل عرفت السؤال الذي طرحه لانغدون للتو. لقد كان صرخة الحرب التي يطلقها كاشفو الفساد المناهضون للحكومات في كل مكان.

من يحرس الحراس أنفسهم؟

لقد كان سؤالاً وجيهًا، وسؤالاً يُطرح بوتيرة متزايدة. وفي هذه الحالة، ستراقب وكالة المخابرات المركزية (CIA) ساشا ...ولكن من سيراقب وكالة المخابرات المركزية؟ حتى لو هددت ناغل بنشر الفيديو ردًا على انتهاك البروتوكولات، فلن يكون لديها طريقة موثوقة لمعرفة ما إذا كانت البروتوكولات تُتبع أم لا، ما لم يكن لديها مصدر موثوق هناك... في قلب الحدث.

من يحرس الحراس أنفسهم؟

أدركت ناغل أنها تعرف الإجابة بالفعل، وعندما نطقت بها بصوت عالٍ، سمعت في صوتها عزيمة غابت عنها لسنوات.

"أنا سأفعل"، قالت وقد رفعت عينيها نحو لانغدون.

وبينما كانت تقطع هذا العهد، شعرت ناغل بموجة عارمة من المشاعر، وأدركت أن رعاية ساشا فيسنا قد تكون في الواقع الخلاص الذي تحتاجه روحها المعذبة... تكفيرًا تدريجيًا عما كان منها من تهاون وخوف، وعن دورها في كل ما جرى في براغ.

لن أستطيع أبدًا أن أكفر عما حدث لمايكل هاريس ...ولكن بوسعي أن أحاول.

الفصل الرابع والثلاثون بعد المئة

وحيدا، أخذ لانغدون يتحسس بيده درابزين الحديد وهو ينحدر على الدرج الرخامي خارج مكتب السفيرة. لم تكن خطاه ثابتة، ولا كان قلبه مطمئنا إلى ما يخبئه له القدر، ليس في الدقائق القليلة المقبلة فحسب، بل في الأشهر القادمة أيضا.

أتكون ناجل هي الرقيب على الرقباء؟ تساءل في نفسه، مسترجعا ما دار بينهما من حديث في مكتبها. لقد عقدت العزم على أن تفرض رقابتها الشخصية على مشروع (العتبة)، لتنصّب من نفسها ما يشبه المفتش العام، أو لعلها تكون مديرة الطور الجديد من المشروع. وقد أصرت على أن إعادة بناء مشروع (العتبة) ليست ضرورة قصوى للأمن القومي فحسب، بل هي الصواب بعينه... ولكن لا بد أن يتم ذلك على الوجه الصحيح.

كانت ناجل قد قالت" :لا يُصان المقام الرفيع إلا إن كنا نتبوؤه حقا. سأكون أنا نفسي الحامية لساشا فيسنا والراعية لشؤونها، أرقب ظروف عيشها وسلامتها وطمأنينة نفسها. وسأفعل الشيء ذاته مع أولئك الذين سيشاركون في البرنامج مستقبلا ."ثم صمتت ناجل هنيهة وتنهدت تنهيدة خافتة كادت لا تسمع" :وهذه الرقابة ستمنحني أمرا جللا أيضا، إنها الفرصة لأكفّر عن نفسي وأمحو ما جنيت من أخطاء فادحة."

أحس لانغدون أن كلماتها تنبع من معين شعوري غائر.

وتابعت قائلة" :كلما أمعنت النظر في الأمر، ازداد يقيني بأن هذه ستكون الخاتمة المثلى لساشا، ولوكالة المخابرات المركزية(CIA) ، ولنا جميعا. ولكن قبل أن أتصل بالمدير جاد وأخبره بما سيتوجب عليه أن يفعله من أجلنا... ومعنا... تبقى أمامنا عقبة واحدة لا بد من تجاوزها."

قالت كاثرين" :ساشا... عليك أن تقنعيها."

أومأت ناجل برأسها" :إن موافقتها التامة على هذه الخطة أمر لا مناص منه... فبدونها، لن يتحقق شيء من هذا. وأعدك بأن هذه الوكالة لن تجبرها مرة أخرى أبدا – أو أي شخص آخر في هذا الشأن – على المشاركة في أمر ضد إرادتها أو دون علمها."

قدّر لانغدون هذا المقصد النبيل وقال" :من الصعب أن نعرف ما إذا كانت ستوافق."

"أتصور أن الجواب يكمن في كيفية عرض الأمر عليها."

هذا منطق دبلوماسية أصيلة، فكر لانغدون" .أتظنين أنك قادرة على إقناعها؟."

أجابت ناجل وهي تتفرس فيه بعناية" :لم يسبق لي قط أن تحدثت إلى المرأة كما ينبغي، لذا، لا، لا أظن أني أستطيع. ولكني أظن أنك أنت قد تستطيع."

أمال لانغدون رأسه" :عفوا؟ أتريدين مني أن أتحدث إلى ساشا؟."

كانت ناجل قد ذكرت في وقت سابق أنها ستحتاج إلى مساعدة لانغدون، ولكن هذا لم يكن ما توقعه.

"من بين الأشخاص الثلاثة في هذه الغرفة يا أستاذ، أنت الوحيد الذي قضى بعض الوقت مع السيدة فيسنا. ومن المحزن أنك قد تكون الشخص الوحيد المتبقي في عالمها الذي قد تكون على استعداد للتحدث إليه حقا."

علق هذا الفكر في صمت المكان للحظة. ثم استدرك لانغدون" :في حقيقة الأمر، لست متأكدا في هذه اللحظة من التي قابلتها اليوم. لقد شعرت وكأني كنت مع ساشا، في بعض الأوقات على الأقل، ولكن من نواحٍ عديدة، يبدو من المنطقي أكثر أني كنت مع شخصيتها الأخرى، وهي تتظاهر بأنها هي وتدبر كل ما كان يحدث. لا سبيل لي إلى معرفة الحقيقة."

قالت السفيرة" :أيا كان الأمر، وسواء كنت تتعامل مع هذه الشخصية أو تلك اليوم، فقد كنت عونا لها ولطيفا معها، ويبدو أن ذلك الشخص قد فطن إلى ذلك. ففي نهاية المطاف، لقد حماك ليس مرة واحدة، بل مرتين."

أدرك لانغدون أن هذا صحيح، واسترجع كيف تم حثه على الفرار من (العتبة)، وكيف خُدع ليغادر شقة ساشا قبل مقتل هاريس.

واصلت ناجل" :لقد أظهرت ساشا أنها تثق بك. ويحدوني الفضول، على سبيل الافتراض، ما الذي تظنه قد يقنعها بأن تضع ثقتها فينا، وفيّ، وفي هذه الخطة، وفي حياة جديدة في أمريكا؟."

بدأ لانغدون يشك في أن إقناعها قد لا يكون بالمهمة الشاقة على الإطلاق" .سأكتفي بأن أذكرها بأن هذا العرض، في جوانب كثيرة منه، هو حلمها الذي بات حقيقة. واعتمادا على مدى ما تتذكره أو تفهمه حقا مما حل بها، سأؤكد لها أن المضي قدما سيقتضي صفحا، لا من جانبها وحدها، بل من جميع الأطراف المعنية. صفحا متبادلا وتجاوزا مشتركا. وإن شخصيتها الأخرى ستدرك ذلك أيضا. سيتحتم على ساشا أن تغفر للوكالة التي خانتها خيانة نكراء، وسيتحتم على الوكالة أن تغفر للشخص الخاضع للتجربة الذي انتقم من الأشخاص والمنشأة السرية التي آذتها. فإذا استطاعت كل من ساشا والوكالة أن تطويا صفحة الماضي وتتفقا على عفو متبادل من أجل الصالح العام، فعندئذ ينفتح أمامهما أفق مستقبل مشترك يعود بالنفع على الجميع."

تبادلت ناجل وكاثرين إيماءة إعجاب، وقالت السفيرة" :ولهذا السبب تحديدا طلبت منك ذلك يا أستاذ."

وارب لانغدون باب قاعة المؤتمرات ذات الألواح الخشبية المصنوعة من السنديان، وأطل برأسه إلى الداخل. في الطرف البعيد من طاولة طويلة جدا، كانت ساشا فيسنا تجلس وحدها. كان شعرها الأشقر مبتلا متشابكا، وقد اعتلت وجهها سحابة من الإرهاق. وقد وُضعت منشفة على كتفيها، وأمامها طبق طعام لم يُفرغ منه إلا النزر اليسير. أما يداها فكانتا في حجرها، مقيدتين بلا ريب.

تأملها لانغدون مليا قبل أن يدخل ويغلق الباب خلفه. ثم اقترب ببطء وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة وديعة" .مرحبا يا ساشا."

بدا عليها الحذر أكثر من السرور لرؤيته.

قال لانغدون وهو يختار مقعدا على بعد عشر أقدام منها تقريبا" :لقد غمرتني الراحة لسلامتك."

قالت وهي تتفرس فيه بنظرة حائرة" :شكرا لك."

أحس لانغدون فجأة أن هذا اللقاء لن يكون ذلك اللقاء الحميمي الدافئ الذي تنبأت به السفيرة. بدأ لانغدون حديثه قائلا" :ساشا، أنا هنا لأن لدي معلومات هامة من أجلك، وأريد أن أتأكد من أنني أبلغك إياها"، صمت يبحث عن الكلمات المناسبة، ..."على النحو الذي يقع في نفسك موقع القبول والفهم."

قالت دون أن تبدي أي تجاوب" :حسنا."

أخذ لانغدون لحظة يلملم فيها شتات أفكاره، ثم تحدث بهدوء بقدر ما سمحت به حاله المضطربة" :ساشا، أفهم أنك أتيت إلى هنا الليلة طالبة العون. ويسرني أن أبلغك أن السفيرة ترغب بشدة في مساعدتك. إنها تدرك أنك تشعرين بأنك في خطر، وتريد أن تحميك وتشعرك بالأمان. ولديها خطة لتحقيق ذلك تماما. لقد اطلعت على خطتها، ورغم أنها ليست بالحل الأمثل، إلا أنها أفضل المتاح... وتعتقد السفيرة أنها فرصتك الفضلى لتنعمي بحياة آمنة وطبيعية نسبيا. ولا يسعني إلا أن أوافقها الرأي."

بدا وكأن ملامح ساشا قد أشرقت قليلا.

قال لانغدون" :قبل أن أشرح لك الفكرة، يؤسفني أن أقول إني مضطر لأن أطرح عليك سؤالا غير مألوف. قد يبدو غريبا جدا... ولكنه في غاية الأهمية أن تجيبي بصدق تام. فلا شيء من هذا يمكن أن يتم بغير ذلك ."

صمت لانغدون، وثبّت نظراته الحازمة في عينيها الشاحبتين" .فاعذريني على سؤالي، ولكني بحاجة إلى أن أعرف، من الذي أتحدث إليه الآن؟ أأنتِ هذه يا ساشا؟."

تأملت الشابة لانغدون مليا، ثم هزت رأسها نفيا.

"لا، "أجابت بصوت عميق أجوف" .من أجل سلامة ساشا نفسها، لم أطلق سراحها بعد."

الفصل الخامس والثلاثون بعد المئة

هبّت كاثرين من غفوتها على أريكة السفيرة، وقد أدركت أنها قد أخذتها سِنة من النوم. لم يكن روبرت قد عاد بعد، وكانت السفيرة تقف عند نافذتها، ترمق الظلام بنظرة شاردة. وما إن أحسّت ناغل بحركة كاثرين، حتى التفتت نحوها ونظرت في ساعتها.

"نصف ساعة"، قالت" .ما زالا يتحدثان."

"قد تكون تلك علامة خير"، قالت كاثرين" .فروبرت قد يكون... دقيقًا في تمحيصه للأمور."

"لقد لاحظت ذلك"، قالت ناغل، وجاءت لتجلس إلى جوار كاثرين" .لقد انفرد بي في وقت سابق، وقلّب معي الأمر من وجوهه كافة بشأن مخطوطتك المفقودة، مُطالبًا إياي بأن آمر وكالة المخابرات المركزية (CIA) بإعادتها."

"وماذا كان؟ "سألت كاثرين في لهفة أمل.

هزت ناغل رأسها" .لكن المدير، ويا للأسف، أكد أن فريق عمليات شركة Qقد أتلف جميع النسخ."

ازدرت كاثرين الأمر قائلة" :لا أصدقهم."

"يتسق هذا مع الواقع، ويا للأسف. فبعد قضيةWikiLeaks ، طبقنا بروتوكولات جديدة صارمة تحكم التخلص الفوري من أي معلومات تعتبرها الوكالة ضارة. يؤسفني قول ذلك، لكني أعتقد حقًا أن الكتاب قد ضاع إلى الأبد."

عبثت كاثرين بأريكتها، محاولة ألا تفكر في كل ما فقدته" .أتعلمين، إن من سخرية الأقدار أن تتلف وكالة المخابرات المركزية (CIA) الكتاب. ففي حقيقة الأمر، كان بوسع الأفكار التي حواها أن تمنح الوكالة منظورًا جديدًا في نظرية إدارة الرعب."

بدا على ناغل أنها فوجئت بالتعليق" .هل كتبتِ عن نظريةTMT ؟"

"إنها وثيقة الصلة بعملي ."كما هي وثيقة الصلة بعملك.

لقد كانت نظرية إدارة الرعب تُستخدم في الاستخبارات العسكرية للتنبؤ برد فعل السكان تجاه تهديدات معينة. وكانت نتائجها راسخة. إن للقلق الإنساني منابع لا تحصى – الخوف من الحرب النووية، والإرهاب، والانهيار المالي، والوحدة – ومع ذلك، أثبتت نظرية TMTأن الخوف المهيمن والدافع الأقوى وراء السلوك البشري هو، بما لا يدع مجالاً للشك... الخوف من الموت. فحين يرتعد المرء فزعًا من أنه قد يموت، يوظف العقل استراتيجيات محددة بدقة "لإدارة" ذلك الرعب.

ففي الظروف العادية، تتم إدارة وعينا المؤلم بأننا سنموت لا محالة – وهو ما يعرف بـ "استحضار حقيقة الفناء" – عبر طائفة واسعة من الاستراتيجيات، تشمل الإنكار، والروحانيات، وممارسات اليقظة الذهنية، وأنواعًا شتى من التأمل الفلسفي.

أما في الظروف القصوى –كالحرب، والجريمة، والمواجهات العنيفة – فإن الناس يسلكون سلوكًا متوقعًا في جميع الفئات السكانية؛ فهم إما يقاتلون حتى الموت لإنقاذ أنفسهم... أو يفرون من الخطر. وقد عُرفت هذه الظاهرة قديمًا باستجابة الكر أو الفر، وكانت ذات فائدة خاصة للاستراتيجيين العسكريين في التنبؤ بأي من الأمرين سيحدث.

"وكما تبين"، قالت كاثرين، "فإن استجابة الكر أو الفر ليست الرد الوحيد للعقل على الخوف من الموت. بل ثمة أمر آخر يحدث على نحو أكثر تدرجًا، على مر سنين عديدة، حين نبدأ في الخوف من أن عالمنا لم يعد آمنًا... وهو ما يشعر به الكثير من الناس الآن."

"إنه خوف يستند إلى منطق سليم"، قالت ناغل.

"فنحن نتعرض كل يوم لتغطية إعلامية صادمة تذكرنا ببيئتنا المنهارة، وتزايد خطر الحرب النووية، والأوبئة القادمة، والإبادة الجماعية، والفظائع التي لا تنتهي في العالم. كل هذا يحفز استراتيجية إدارة الرعب في العقل لتعمل في

خلفية الوعي، على مستوى منخفض – ليس بعد في وضع الكر أو الفر، ولكن... في ترقب للأسوأ. وفي الجوهر، كلما أصبح عالمنا أكثر رعبًا، قضينا وقتًا أطول في الاستعداد اللاواعي للموت."

بدت ناغل غير متأكدة إلى أين يقود هذا الحديث كله" .الاستعداد للموت... كيف؟"

"أعتقد أن الإجابة ستفاجئك"، قالت كاثرين" .لقد فاجأتني أنا بالتأكيد. فبينما كنت أبحث في 'استحضار حقيقة الفناء' وعلاقته بالدماغ، وجدت أن تزايد الخوف من الموت ينتج مجموعة متسقة من الاستجابات السلوكية – وكلها أنانية."

"عفوًا؟"

"الخوف يجعلنا أنانيين"، قالت كاثرين" .فكلما ازداد خوفنا من الموت، ازداد تشبثنا بأنفسنا، وبممتلكاتنا، وبملاذاتنا الآمنة... بكل ما هو مألوف لدينا. فتتزايد فينا النعرات القومية والعنصرية والتعصب الديني. ونزدري السلطة، ونتجاهل الأعراف الاجتماعية، ونسرق من الآخرين لنؤمّن لأنفسنا ما نحتاجه، ونصبح أكثر مادية. بل إننا نتخلى عن مشاعر المسؤولية تجاه البيئة لأننا نشعر أن الكوكب قضية خاسرة وأننا جميعًا هالكون على أي حال."

"إن هذا لمنذر بالخطر"، قالت ناغل" .فهذه هي السلوكيات عينها التي تغذي الاضطرابات العالمية، والإرهاب، والانقسام الثقافي، والحروب."

"أجل، وهي ما تجعل مهمة وكالة المخابرات المركزية (CIA) شاقة إلى هذا الحد. ولكن الأمر، ويا للأسف، يتحول إلى دوامة مفرغة. فكلما ساءت الأمور، ازداد سلوكنا سوءًا. وكلما ازداد سلوكنا سوءًا، ازدادت الأمور سوءًا."

"وهل نظريتكِ هي أن هذا النمط المقلق ينبع من خوف البشر من الموت؟"

"ليست نظريتي"، قالت كاثرين" .بل هي حقيقة أثبتها العلم في جبال من الأدلة الإحصائية التي جُمعت من خلال التحليل القائم على الملاحظة، والتجارب السلوكية، والاستطلاعات العلمية. بيد أن النقطة الأهم في هذه الأبحاث تبيّن أن أولئك الذين لا يخشون الموت، لأي سبب كان، يميلون إلى إظهار سلوك أكثر إحسانًا، وتقبلاً للآخرين، وتعاونًا، واهتمامًا بالبيئة. وهذا يعني، في جوهره، أننا لو استطعنا جميعًا أن نحرر عقولنا من هذا العبء، من الرعب الذي نشعر به حيال الموت"...

"إذًا لوجدنا أنفسنا في عالم أفضل بشكل جذري."

"بالضبط"، قالت كاثرين" .واقتباسًا عن الطبيب النفسي التشيكي العظيم ستانيسلاف غروف: 'إن إزالة الخوف من الموت تغير طريقة وجود الفرد في

العالم'. يعتقد غروف أن تحولاً داخليًا جذريًا في الوعي قد يكون أملنا الوحيد في النجاة من الأزمة العالمية التي أحدثها النموذج الآلي الغربي."

"حسنًا، إن كان ذلك صحيحًا"، عرضت ناغل وهي تصب المزيد من القهوة، "فربما علينا أن ندس أدوية مضادة للقلق في إمدادات المياه العالمية."

ضحكت كاثرين قائلة" :لست متأكدة من أن عقار Xanax هو الجواب الوجودي، ولكن ثمة أمل يلوح في الأفق القريب."

توقفت ناغل في منتصف رشفة" .حقًا؟"

"كما كتبت في مخطوطتي، أعتقد أن آراءنا حول الموت على وشك أن تتغير. فالعلماء البارزون في جميع أنحاء العالم يزدادون اقتناعًا بأن الحقيقة ليست على الإطلاق كما نعتقد. وهذا يشمل الفكرة الجريئة القائلة بأن الموت، على الأرجح، ليس إلا وهمًا... وأن وعينا ينجو من الموت الجسدي ويستمر في الوجود. فإن صح هذا، وتمكنا من إثباته، ففي غضون أجيال قليلة، سيعمل العقل البشري وفق فرضية مختلفة تمامًا – الاعتقاد بأن الموت ليس مرعبًا إلى هذا الحد في نهاية المطاف"...

كان صوت كاثرين يفيض حماسة" .تفكري في ذلك فحسب. إن الخوف الكوني الوحيد الذي يدفع الكثير من السلوك البشري المدمر... سيتبخر.

فإذا استطعنا الصمود طويلاً بما يكفي للوصول إلى ذلك التحول الجذري في النموذج الفكري دون أن نفجر أنفسنا أو ندمر كوكبنا، فقد ينعطف جنسنا البشري منعطفًا فلسفيًا يبشر بمستقبل يعمه سلام لا يمكن للعقل أن يتصوره."

صمتت السفيرة، وأحست كاثرين في عينيها رغبة عميقة في أن تشعر بالأمل رغم كل ما شهدته من العالم. وهمست" :كم أتمنى أن تكوني على حق."

وبعد لحظات، ظهر روبرت أخيرًا عند المدخل.

نهضت ناغل واقفة" .كيف سار الأمر؟"

دخل بابتسامة متعبة" .أيتها السفيرة، أعتقد أن الوقت قد حان لتتصلي بالمدير."

كان الوقت عصرًا متأخرًا في لانغلي، فرجينيا، حين أنهى المدير غريغوري جاد مكالمته المرئية الثانية لهذا اليوم مع كبيرة مستشاريه السابقة، هايدي ناغل.

"لقد كنت أحمق حين فصلتها"، هكذا فكر – ليس لأن ناغل عادت لتطارده، بل لأنها كانت بارعة إلى حد اللعنة في ما تفعله. قلة هم من

يتجاوزون سفساف الأمور مثل ناغل .فبينما يعيش معظم المحامين في عالم يحكمه الأبيض والأسود ونص القانون الحرفي، كانت ناغل تعيش في العالم الحقيقي كما هو – مشهد معقد متغير، تتداخل فيه ظلال الرمادي.

بوضوحٍ، وتواضعٍ، وشفافية عاطفية مدهشة، أطلعت ناغل المدير على التطورات غير المتوقعة المتعلقة بساشا فيسنا، فضلاً عن التبعات الواضحة لإعادة بناء مشروع ثرشهولد التي لا مفر منها. وكأي مفاوض بارع، ساعدت ناغل المدير جاد على التوصل إلى استنتاجها، بينما جعلت الأمر يبدو وكأن الفكرة كانت فكرته هو.

لم يكن المدير عالمًا، لكن أبحاث وكالة المخابرات المركزية (CIA) في العقل البشري قد كشفت بالتأكيد عن حقيقة لا تشبه أي شيء تخيله جاد في شبابه. ولحسن الحظ، لم تكن مهمة جاد أن يفهم طبيعة الحقيقة، بل أن يسخر قوتها لخدمة أمته وحمايتها على أفضل وجه.

وفي بعض الأحيان، كان جاد يسمح لنفسه بأن يحلم بمستقبل تكشف فيه برامج مثل ثرشهولد عن دليل على الترابط بين جميع العقول البشرية، مما يبشر بمجتمع عالمي لا يربطه الخوف والتنافس، بل التعاطف والتفاهم... عالم يصبح فيه مفهوم الأمن القومي أثرًا من غابر الزمان.

ولكن في الوقت الراهن، كان هناك عمل ينبغي إنجازه.

الفصل السادس والثلاثون بعد المئة

وقفت هايدي ناجل على أرض مطار فاتسلاف هافيل، خارج صالة الطيران الخاص، تستشعر ثقل ما أقدمت عليه من تدبير دفعت بعجلته إلى الدوران. اللجوء السياسي.

لقد كان هو القرار الصائب، هكذا حدثت نفسها، بل القرار الوحيد الذي لا محيد عنه.

وعلى مقربة منها، كان سكوت كيربل يجلس خلف مقود سيارة السفارة الرابضة ومحركها يدور في سكون، وقد امتلأ صندوقها بحقائب قماشية حُشيت على عجل بملابس ساشا ومقتنياتها الشخصية. أما ساشا نفسها فكانت تجلس في هدوء بالمقعد الخلفي، لا تزال يداها موثقتين بقيد مرن، يغشاها الذهول ويعتريها السكون وهي تداعب قطتيها السياميتين في القفص المخصص لهما على المقعد بجانبها.

وانبثقت من حظيرة الطائرات طائرة نفاثة صغيرة خاصة، ثم استدارت نحوهما. كانت هي طائرة (سايتيشن لاتيتيود) التي وصل على متنها فينش في وقت سابق. لقد تلقى الطياران أوامر مباشرة من مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) شخصيا، مصادرا رحلة "شبحية" لراكبين مجهولي الهوية عائدين إلى قاعدة لانغلي الجوية في فرجينيا.

بلا قائمة بأسماء الركاب.

وبينما كانت ناجل تراقب الطائرة وهي تقترب، شعرت بثقة متزايدة في المدير جاد .ومع ذلك، فقد علمتها سنوات خدمتها في وكالة المخابرات المركزية (CIA) غائلة الثقة العمياء. ففي عالم الأمن القومي، كانت آصرة الثقة – بل حتى أعمق روابط الولاء – تُنقض على الدوام حينما ترجح كفة احتياجات البلاد على كفة احتياجات نفر من مواطنيها. إن في خدمة الصالح العام لنُبلاً لا يُنكر، بيد أن ناجل قد قضت من عمرها في ذلك ما فيه الكفاية.

ولكي توثق من أسباب قوتها، كانت ناجل قد أخذت أربعة أقراص صلبة مشفرة من طراز IronKey بتشفير 256–بت من مخزن السفارة، وحمّلت على كل منها نسخة من فيديو استجواب جيسنر، وأغلقت كل واحد منها برمز مرور إلزامي من ستة عشر حرفا، اختارته هذه الليلة ولم يعلمه سواها. كان أحد هذه الأقراص في جيبها، وآخر في خزانتها الخاصة، أما القرصان الآخران فقد أُغلقا بالفعل في حقيبتين دبلوماسيتين في طريقهما إلى صديقين محاميين – أحدهما في أوروبا والآخر في الولايات المتحدة – مصحوبين بتعليمات بألا تُفتح الحقيبتان إلا في حالة وفاة ناجل المفاجئة أو اختفائها.

إنه تدبير احتياطي مزدوج، محجوب عن الأنظار، لا يُكشف عن سره إلا بموتها أو غيابها.

كان العنصر الذي لا يؤمن جانبه في هذا الموقف هو ساشا فيسنا وحالتها غير المألوفة التي جعلت التنبؤ بأفعالها أو الثقة بها أمرا بالغ الصعوبة. لا شك أن الشابة الروسية كانت في حاجة إلى رعاية نفسية، ولكن مع كل ما قاسته في حياتها، كانت تستحق أيضا بيتا وأصدقاء وأمنا، وفرصة لتعيش حياة طبيعية إلى حد ما. إن شخصيتها الأخرى الواقية لم تكن تظهر إلا حينما يلحق الأذى بساشا، وكانت خطة ناجل تتمحور حول تجنب ذلك.

لا بد لي أن أمنح ساشا ملاذا آمنا، فكرت في نفسها. آمنا قدر ما تسمح به الظروف.

شعرت السفيرة بتوق شديد لإقلاع ساشا ومغادرتها براغ .ففي غضون ساعة، سيهبط جيش حقيقي من قاعدة الولايات المتحدة الجوية في رامشتاين بألمانيا، ليبدأ "ترميم" موقع الانفجار. وكما فهمت ناجل، فإن الحطام في الحفرة سيُسحق باستخدام تفجيرات دقيقة موجهة، ثم يُغطى بطبقة من الخرسانة المصبوبة. وفوق ذلك ستكون طبقة من الحصى، تليها تربة سطحية ثم عشب. وإذا سار كل شيء وفقا للخطة، ففي غضون أسابيع، ستبدو مروج حديقة فوليمانكا وكأن لم يمسسها سوء قط.

دُفن وأصبح أثرا بعد عين، فكرت. لن يعلم بوجود مشروِع (العتبة) يوما ما إلا حفنة من الناس.

ومع اقتراب طائرة (سايتيشن) ببطء، خرج كيربل من السيارة وانضم إلى ناجل.

"سيدتي، تبدو الآنسة فيسنا راضية تماما. هل أحمل الحقائب؟."

أجابت ناجل" :شكرا يا سكوت. إنني أقدر سفرك معها، وبالطبع، أبقِ على شكل من أشكال التقييد حتى تسلمها. سيلقاك فريق المدير على الأرض ويتولون الأمر."

"بالتأكيد يا سيدتي."

"لقد أكد لي المدير أنه سيكون هناك شخصيا عند هبوط ساشا. هل يمكنك أن تعطيه هذا من فضلك؟ ."سحبت ناجل القرص الصلب المشفر من جيبها وسلمته إلى كيربل" .سيعرف ما بداخله. أخبره أنه واحد من أربعة، وإذا أراد تأكيد المحتويات، فيمكنه الاتصال بي للحصول على كلمة المرور."

"نعم، سيدتي ."دس كيربل القرص في جيبه واستدار ليذهب.

قالت ناجل وهي تعيد النظر في الأمر" :في الواقع، بل الأفضل من ذلك، أبلغه فحسب أنها الحرف الأول من كل كلمة في مقولة كيسنجر المفضلة لديه."

بدا الارتباك على وجه كيربل ثم انصرف ليحضر الحقائب.

وبينما كانت ناجل تسير نحو الطائرة، تمنت أن يكون روبرت لانغدون وكاثرين سولومون يشعران بمزيد من الثقة حيال وضعهما. لقد كانا كلاهما في أمان تام الآن، لا سيما أن أحد أقوى الرجال في البلاد لا يستطيع المجازفة بحدوث أي مكروه لأي منهما. كانت ناجل قد أطلعت جاد على بعض أفكار كاثرين بشأن تقنية TMT والمستقبل، وقد أثارت اهتمامه لدرجة أنه سأل عما إذا كانت ناجل تعتقد أنه يمكن إقناع الدكتورة سولومون بالانضمام إلى فريق (العتبة).

لا أمل في ذلك البتة، هكذا أجابت جاد، وإن كان ذلك بلغة أكثر دبلوماسية بقليل، مذكرة إياه بكل ما عانته كاثرين على أيدي الوكالة. وإلى جانب ذلك، قد تختار أن تعيد كتابة كتابها.

كثيرا ما كانت ساشا فيسنا تشعر وكأنها أفاقت من سبات عميق وفاتها أمر جلل. وفي العادة، كانت أيام كهذا اليوم – بما فيه من بقع فارغة في ذاكرتها

على نحو غير معهود – تقلقها. ولكنها في هذه اللحظة، ورغم أنها لم تكن تتذكر سوى نتف غامضة من أحداث النهار، كانت ساشا تشعر بسلام عجيب. ذلك الصوت الخفي في أعماقها، الذي ألِفت أن تثق به، ما انفك يهمس لها بأن كل شيء سيكون على ما يرام... بل سيكون رائعا في حقيقة الأمر.

قبل نصف ساعة، كانت ساشا قد خرجت من ضباب كثيف لتجد نفسها مقيدة في المقعد الخلفي لسيارة دافئة، وبجانبها هاري وسالي في قفصهما. كان رجل يرتدي زيا رسميا يقود السيارة، وامرأة قدمت نفسها على أنها سفيرة الولايات المتحدة كانت تجلس في مقعد الراكب، مستديرة بالكامل، تنظر إلى ساشا وتشرح لها بعناية ما كان يحدث.

والغريب أن ساشا لم تشعر بأي هلع لكونها مقيدة، ولا لوجودها المفاجئ بصحبة غرباء. بل على العكس، شعرت وكأنها كانت مستعدة لهذه اللحظة، وصوتها الداخلي يطمئنها بأن كل هذا من أجل مصلحتها... وسلامتها.

كانت السفيرة قد اعتذرت عن الأصفاد والمغادرة المتسرعة، وقدمت شرحا مفصلا. لم تفهم ساشا إلا القليل – شيئا عن فرصة للجوء السياسي،

ولوائح وزارة الخارجية، والطيران فوق المياه الدولية – ولكن لم يكن أي من ذلك يهمها.

كل ما سمعته كان شيئا واحدا.

أنا ذاهبة إلى أمريكا.

حثها الصوت في رأسها على أن تكون شاكرة ومتعاونة، ولكن ساشا لم تكن بحاجة إلى من يخبرها بذلك. لقد كان الذهاب إلى أمريكا هو حلم ساشا الذي يراودها منذ كانت طفلة صغيرة، تغرق في دنيا الأفلام الرومانسية. وتساءلت عما إذا كان سيحالفها الحظ يوما وتصل إلى مدينة نيويورك لترى سنترال بارك، ومطعم كاتس ديلي، ومبنى إمباير ستيت.

أما كيف حدث كل هذا، فلم يكن واضحا لساشا، وتساءلت عما إذا كان الأمر يتعلق بكل العمل الدؤوب الذي قامت به من أجل الدكتور جيسنر . كل ما كانت ساشا تعرفه على وجه اليقين هو أن سفيرة الولايات المتحدة قد جعلت ذلك ممكنا .*إنها شخص يمكنني أن أثق به*، أحست ساشا . *صديقة جديدة.*

وبينما كانت تجلس وحدها مع قطتيها في دفء السيارة، انتظرت ساشا حتى تنجلي عن ذهنها غشاوة الضباب. راقبت الجندي وهو يحمل حقائبها إلى الطائرة، وأدركت أنه لم يعد لها شيء باقٍ في براغ .فبدون بريجيتا، لم يعد

لدى ساشا عمل، ولا مكان تعيش فيه، ولا... وفجأة، خطر ببال ساشا الشيء الآخر الذي ستتركه خلفها، مايكل هاريس .*لم أودعه قط .!*ومن الغريب أن ذكرياتها عن مايكل بدت وكأنها تتلاشى بسرعة مذهلة، كما لو كان بالفعل حبيبا من ماضيها السحيق .*الحب الأول مهم*، تذكرت فيلما رومانسيا يقول ذات مرة .*لأنه يشرع قلوبنا لاستقبال ما هو قادم*.

***ولكن ما هو القادم؟* تساءلت ساشا، مستشعرة لأول مرة في حياتها أنها تدخل عالما من الاحتمالات اللامتناهية. وعاد الصوت الهادئ يهمس في عقلها .*لا تشككي في ماضيك يا ساشا،* قال لها .*تطلعي إلى مستقبلك*.**

كان ذلك صوتا تسمعه كثيرا. ووفقا لمايكل، كان حدسها الخاص، وذاتها العليا، وعقلها الباطن. لقد أكد لها أن لكل شخص صوتا في داخله، جزءا من روحه يهمس ويطمئن ويهدي. ستكتب ساشا رسالة إلى مايكل بمجرد أن تستقر. ولكن من ناحية أخرى، ربما كان من الأفضل أن تتجاوز الأمر فحسب. ففي الآونة الأخيرة، كان يراودها شعور بأنهما قد يقتربان من نهاية علاقتهما العاطفية.

"آنسة فيسنا؟ "نادى صوت من خارج النافذة. كان الجندي قد عاد وفتح بابها" .إنهم مستعدون من أجلك ."فك حزام الأمان وساعدها على الخروج

من السيارة. ثم مد يده إلى داخل السيارة ورفع قفص الحيوانات الأليفة برفق" .دعنا ندخل هاري وسالي على متن الطائرة، أليس كذلك؟."

أومأت برأسها في امتنان" .شكرا لك يا سيدي."

قال الرجل وهو يلتفت إليها بابتسامة" :يمكنك مناداتي سكوت. سأكون مسافرا معك اليوم. هل أناديك ساشا؟."

صاحت قائلة" :بالطبع"!، وقد شعرت بحماسة متزايدة وهما يقتربان من الطائرة. عند أسفل الدرج، كانت السفيرة تقف وحدها، تنتظر لتودعها على ما يبدو.

قالت السفيرة عند وصولهما" :رقيب كيربل، ربما يمكنك إدخال هاتين القطتين الجميلتين من البرد ثم تعود من أجل الآنسة فيسنا؟."

قال وهو يحمل هاري وسالي صاعدا الدرج ويختفي في مقصورة الطائرة : "بالتأكيد يا سيدتي."

تفرست السفيرة في ساشا بقلق" .أعلم أن كل هذا مفاجئ جدا ويصعب استيعابه. هل أنت بخير؟."

كانت ساشا تحاول أن تتمالك نفسها في خضم تدفق غير متوقع من الامتنان والحيرة والإثارة وعدم التصديق. كانت السفيرة قد وعدتها مرارا

وتكرارا بأن كل شيء سيبدأ في أن يصبح أكثر منطقية في الأيام القادمة. كما وعدت بأنها ستلحق بساشا قريبا جدا في الولايات المتحدة، وهي فكرة جلبت لساشا شعورا عميقا بالسكينة.

تمكنت ساشا من القول" :أنا... بخير. لا أزال في ضباب كثيف. ولكني أعلم أنك كنت لطيفة جدا معي ."وفجأة، كانت على وشك البكاء . "كيف لي أن أرد لك هذا الجميل؟."

بدت السفيرة متأثرة الآن أيضا" .صدقي أو لا تصدقي يا ساشا... لقد فعلت ذلك بالفعل."

وعندما انهارت ساشا باكية، تقدمت السفيرة وعانقتها عناقا طويلا ذكّر ساشا بعناق أمها حين كانت في الرابعة أو الخامسة من عمرها... قبل أن تصبح تلك الفتاة المنكسرة. لم تعانق ساشا عناقا كهذا منذ سنين طويلة، طويلة جدا.

الفصل السابع والثلاثون بعد المئة

ما كادت شمس الشتاء تبزغ فوق سماء براغ، حتى راحت أشعتها الخافتة تتلألأ على صفحة من الأبراج المخروطية التي تكللها الثلوج.

كان لانغدون يجد في نفسه قلقًا من أمر أخير لا يزال عالقًا، لا بد له من تسويته قبل أن يقلع هو وكاثرين بالطائرة عصر هذا اليوم. وتساءل في نفسه كيف عساها تكون ردة فعلها حين يشرح لها هذا الموقف الشائك.

"كدت أخبرها في وقت سابق"، هكذا جال في خاطره، ولكن على الرغم من رغبة صادقة في أن يقص عليها ما حدث، لم تسنح للانغدون الفرصة المواتية قط. "استمتع بفطورك"، هدأ من روع نفسه. "سيسير كل شيء على ما يرام."

فقبل تسعين دقيقة، وبعد مناقشات أخيرة ذات شأن مع السفيرة، ووداع غامض لساشا، كان لانغدون وكاثرين قد غادرا السفارة، وبناءً على توصية شخصية من ناغل، قطعا عشرين خطوة ليس إلا عبر الساحة المرصوفة بالحصى، وصولاً إلى فندق الخيميائي لتناول "فطور البروسيكو" الذي اشتهر به.

يحتل الفندق قصرًا باروكيًا من القرن السادس عشر، أُعيد ترميمه على نحو لا تشوبه شائبة، وقد تحول فناءه الداخلي الفسيح، كل شتاء، إلى حلبة

للتزلج على الجليد، تتلألأ تحت مظلة من الأنوار الومّاضة. وكان بهو غرفة الطعام بديعًا، بكراسيه المنجدة بالقماش القرمزي، وثرياته المتلألئة من زجاج مورانو، وأعمدته الذهبية "الملتفة على الطراز الكورنثي"، حتى ليبدو وكأنه مشهد من فيلم خيالي.

وعلى طاولة هادئة تطل من نافذتها على حلبة التزلج، كان لانغدون وكاثرين قد فرغا من فطور فاخر تُوج بفطائر التين المغطاة برقائق الذهب الصالحة للأكل. وبعد أن شبعا تمامًا، وأمعنا النظر طويلاً في أحداث الصباح، راحا الآن يرتشفان في هدوء قهوة "ميلتا" بالهندباء، ويرمقان حلبة التزلج، حيث وصلت للتو فتاة شابة وشرعت في ربط حذائها ذي الشفرات.

"أتكون الراهبة المتزلجة؟ "قال لانغدون، مشيرًا إلى قصة الأشباح التي رواها لهما النادل عن راهبة ماتت في هذا المكان منذ قرون، وتتجلى بين الحين والآخر لتتزلج في هدوء على الجليد، راسمة بأناملها أشكالاً وديعة.

"لا أظن ذلك"، أجابت كاثرين، بينما خلعت الفتاة الشابة معطفها ليكشف عن زي تزلج ضيق مرصع بالترتر الأبيض والخرز الفضي.

وما إن خطت الشابة على الجليد، حتى بدت فاقدة لتوازنها على نحو يثير الدهشة بالنسبة لمن ترتدي مثل هذا الزي المتقن. "غريب"، فكر لانغدون،

وهو يراقبها تتعثر في ارتباك حتى منتصف الحلبة، حيث توقفت، ونفشت شعرها، ورفعت هاتفًا، وشرعت في التقاط صور ذاتية لنفسها.

"لقد حُل اللغز"، قال لانغدون" .إنها متزلجة إنستغرام."

"هذا هو واقعنا الجديد"، قالت كاثرين ضاحكة.

"ألا يقلقك هذا؟ "قال، ملتفتًا إليها" .أن يبث الشباب أنفسهم للعالم دون توقف؟ أرى ذلك كل يوم في الحرم الجامعي. حتى 'أفضل وألمع' العقول في العالم يبدون أكثر اهتمامًا بالعالم الافتراضي من العالم الحقيقي."

"قد يكون ذلك صحيحًا"، قالت وهي ترتشف من شايها" .ولكن أولاً، ليس الشباب وحدهم من يفعلون ذلك. وثانيًا، أعتقد أن عليك أن تعتبر أن العالم الافتراضي هو عالم حقيقي."

"عالم حقيقي يُعبر فيه عن الحب بالرموز التعبيرية ويُقاس بـ 'الإعجابات'؟"

"روبرت، حين ترى شخصًا ملتصقًا بهاتفه، فإنك ترى شخصًا يتجاهل هذا العالم، لا شخصًا مستغرقًا في عالم آخر... عالم، مثله مثل هذا العالم، يتألف من مجتمعات، وأصدقاء، وجمال، ورعب، وحب، وصراع، وصواب وخطأ. كل شيء هناك. فالعالم الافتراضي لا يختلف كثيرًا عن عالمنا... إلا في فارق واحد صارخ ."ابتسمت كاثرين" .إنه غير مقيد بمكان."

باغته التعليق.

"إن العالم الافتراضي"، قالت كاثرين، "منعتق من قيد مكانك. فأنت تسكنه عقلًا مجردًا من الجسد... متحررًا من كل القيود المادية. تنتقل دون عناء إلى أي مكان شئت، وترى ما تريد أن ترى، وتتعلم ما تريد أن تتعلم، وتتفاعل مع عقول أخرى مجردة من أجسادها."

لم يفكر لانغدون قط في الإنترنت من هذا المنظور، وقد أذهله ذلك وأثاره في آن. على الإنترنت، أنا وعي مجرد من الجسد...

"حين نضيع أنفسنا في العالم الافتراضي"، قالت كاثرين، "فإننا نمنح أنفسنا نوعًا من التجربة غير المقيدة بمكان، توازي في نواحٍ كثيرة تجربة الخروج من الجسد؛ فنحن منفصلون، لا وزن لنا، ومع ذلك متصلون بكل الأشياء. تسقط مرشحاتنا... ويمكننا التفاعل مع العالم بأسره عبر شاشة واحدة وتجربة أي شيء تقريبًا."

أدرك لانغدون أن كاثرين كانت على حق تمامًا.

أفرغت آخر ما في فنجانها من قهوة "ميلتا" ومسحت شفتيها بمنديل من الكتان" .على أي حال، لقد كتبت عن كل هذا في كتابي. إنها فكرة غير مألوفة، لكني توصلت إلى الاعتقاد بأن انفجارنا التكنولوجي الحالي هو في الواقع جزء من تطور روحي... نوع من ميدان التدريب على الوجود الذي

هو، في النهاية، مصيرنا المحتوم... وعي منعتق من العالم المادي، ومتصل مع ذلك بكل الأشياء."

استرخى لانغدون في مقعده، وقد أُعجب أيما إعجاب بعبقرية أفكار كاثرين الرائدة.

"كل هذا يصب في مفهوم أكبر"، قالت كاثرين بحرارة" .الموت ليس النهاية. لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين القيام به، لكن العلم يواصل اكتشاف الأدلة على أن هناك بالفعل شيئًا ما وراء كل هذا. هذه الرسالة هي التي يجب أن نصرخ بها من فوق قمم الجبال يا روبرت! إنها سر الأسرار. تخيل فحسب الأثر الذي ستتركه على مستقبل الجنس البشري."

"ولهذا السبب لا يزال عليكِ أن تنشري كتابك"!

أثار التعليق عبوسًا من كاثرين، فأعادها إلى أرض الواقع، وتمنى لانغدون لو أنه أبقى أفكاره لنفسه. ومع ذلك، فقد كان متحمسًا حين علم أن مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) قد وافق على عدم التدخل في أي نشر مستقبلي لكتاب كاثرين، شريطة أن تحذف بضع فقرات حساسة، وبالطبع، أن تتغاضى عن طلب براءة اختراعها. وكان رد فعل كاثرين على هذه الأخبار السارة فاترًا، وهو أمر لم يكن مفاجئًا بالنظر إلى أنها كانت لا تزال

غاضبة أشد الغضب من الوكالة، ناهيك عن رهبتها من فكرة البدء في عملية الكتابة من جديد.

تحرك لانغدون في مقعده، شاعرًا بالتململ لأنه قد أزعجها.

"إذًا"، غامر قائلاً بهدوء، "هل ما زلتِ ترغبين في رؤية قلعة براغ قبل أن نسافر؟"

رفعت كاثرين بصرها، وكان من الواضح أنها تتوق إلى التفكير في شيء آخر" .بالتأكيد. لم أكد أرى شيئًا ليلة محاضرتي، وقد قلتَ إن كاتدرائية القديس فيتوس لا ينبغي تفويتها."

"ممتاز"، قال وهو يتناول معطفه" .من هنا، لا يفصلنا عنها سوى مسيرة قصيرة صعودًا على التل ."وعاد ذهنه مرة أخرى إلى المهمة التي تنتظره. كان لا يزال قلقًا بشأن كيفية تلقي كاثرين للخبر.

ألقت كاثرين نظرة حولها بحثًا عن نادل" .كنت سأدفع الحساب يا روبرت، لولا أني فقدت حقيبتي."

"لا تقلقي"، أجاب بابتسامة" .لقد أُبلغت أن فطورنا على نفقة سفارة الولايات المتحدة."

وبينما خرجا من الفندق إلى ضوء الصباح، نظر لانغدون وكاثرين نحو نافذة مكتب السفيرة ليلوحا لها شاكرين، لكن النافذة كانت مظلمة. لعل كل شيء قد سار بسلاسة مع رحيل ساشا، ولعل هايدي ناغل كانت في طريقها إلى فراشها.

كانت السفيرة قد وعدت بأن طردًا سيسلم إلى فندقهما هذا الصباح يحتوي على نقد للسفر، وتذكرتي طيران من الدرجة الأولى، ورسالتين دبلوماسيتين لضمان عودتهما إلى الوطن دون أي تعقيدات" .هذا أقل ما يمكن للسفارة أن تفعله"، أخبرتهما ناغل، "بالنظر إلى الساعات الأربع والعشرين الماضية."

تبعت كاثرين لانغدون إلى زقاق مرصوف بالحصى يُدعى ترجيشتي، يصعد نحو قلعة براغ .وبينما بدآ في السير، وضع لانغدون ذراعه حول خصرها وقبلها على خدها، جاذبًا إياها إليه. وما كادا يقطعان بضع خطوات صعودًا على التل حتى توقف لانغدون فجأة، وكأنه يعيد النظر في أمر الصعود.

"هل الطريق شديد الانحدار عليك بهذا المعطف الضخم؟ "داعبته، وهي تنكز معطفه "المنتفخ" القرمزي الثمين من ماركة باتاغونيا، والذي كانت كاثرين قد اقترحت عليه مرارًا أن يستبدله بشيء من هذا الألفية.

"لا "...سحب كُم معطفه، ونظر في ساعة ميكي ماوس التي يرتديها، وقطب جبينه" .ولكن خطر لي للتو... ليس لدينا سوى بضع ساعات قبل أن نذهب إلى المطار، وهناك بعض الإجراءات الورقية التي يجب أن أعتني بها قبل أن أتمكن من مغادرة البلاد. ما رأيك أن ألحق بكِ هناك؟"

"إجراءات ورقية؟ "سألت.

"آسف"، قال" .لم أرغب حقًا في أن أخبركِ بكل ما حدث بالأمس. لقد كان الأمر فوضويًا، وهناك بقية عالقة واحدة يجب أن أحسمها."

ساور كاثرين القلق بشأن ما قد يكون الأمر، خاصة عندما تذكرت أن روبرت كان قد أخلى فندقًا فاخرًا صباح أمس وأفلت من الشرطة التشيكية" .هل كل شيء على ما يرام يا روبرت؟ هل نحن بحاجة إلى إشراك السفيرة؟"

"سيكون كل شيء على ما يرام"، طمأنها" .أعدكِ."

"هل آتي معك؟"

"شكرًا لكِ، ولكني لا أريدك أن تفوتي هذه النزهة ."أشار إلى أعلى الممر . "إنها رائعة. سأستقل سيارة أجرة، وأعتني بهذا الأمر، وإن حالفنا الحظ سنصل إلى القلعة في نفس الوقت تقريبًا."

"كما تشاء"، قالت وهي لا تزال مضطربة" .أين نلتقي؟"

فكر لانغدون لحظة" .سأراكِ عند الباب ذي الأقفال السبعة."

حدقت فيه كاثرين" .هل هناك باب... بسبعة أقفال؟"

أومأ برأسه" .أحد أكثر الأبواب غموضًا في أوروبا كلها. اسألي عنه حين تصلين إلى هناك."

"روبرت"، احتجت، "لماذا لا نلتقي عند مكتب الاستعلامات مثل الناس العاديين؟"

"لأن "...قبلها على خدها" .في العادي رتابة تفوق كل وصف."

الفصل الثامن والثلاثون بعد المئة

في عنان السماء، فوق لجة مظلمة من المحيط، أحس سكوت كيربل بوطأة إعياء شديد تخيم عليه. وبينما كانت الطائرة تشق عباب السماء غربا، سابقة في عدوها خيوط الفجر، سار إلى مؤخرة الطائرة ليلقي نظرة أخيرة قبل أن يغمض جفنيه.

كانت ساشا تغط في نوم عميق.

كان كيربل قد فك قيود يديها واستعاض عنها بقيد واحد يطوق كاحلها موصولا بكرسيها. كما أطلق سراح هاري وسالي من قفص السفر، فإذا بالقطتين السياميتين تغفوان الآن على المقعد بجانبها، متداخلتين، كأنهما كتلة واحدة من الفرو، تصدران خرخرة متناغمة كأنها من جوف واحد.

عاد كيربل إلى مقعده وخلع سترته، وهو يتحسس القرص الصلب المشفر في جيبه. أخرجه وتأمله، يحدوه الفضول لمعرفة ما عساه يحوي، ذاك الذي منح السفيرة تلك القوة التي لا سبيل إلى دحضها. وبينما كان يتفرس في لوحة المفاتيح المدمجة، استرجع ما كان يفترض به أن يخبر به المدير عن رمز المرور المكون من ستة عشر حرفا.

الحرف الأول من كل كلمة في مقولة كيسنجر المفضلة لديك.

تأمل الأمر هنيهة، ثم سحب هاتفه وسأل ChatGPT عما إذا كان مدير وكالة المخابرات المركزية جريجوري جاد قد استشهد بهنري كيسنجر في أي من خطاباته العامة. واتضح أن جاد قد فعل ذلك مرارا وتكرارا، مستشهدا دائما بالمقولة ذاتها، وعادة ما يمهد لها بقوله: "وحده كيسنجر من استطاع أن يعبر عن حقيقة بهذه الدرجة من التعقيد في ست عشرة كلمة فقط."

"البلد الذي يطالب بالكمال الأخلاقي في سياسته الخارجية لن يحقق كمالا ولا أمنا".

ACTDMPIIFPWANPNS، هكذا فكر كيربل، وهو يعلم أن بوسعه وبكل سهولة أن يفتح القرص ويطلع على أي بيانات حبيسة في جوفه. ولكنه كان يعلم أيضا أنه لن يغدر أبدا بالأمانة التي ائتمنته عليها السفيرة. ودون أدنى تردد، دس القرص في عمق حقيبته القماشية ليسلمه إلى المدير.

الوفاء دأبي أبدا، هكذا همس في نفسه وهو يغمض عينيه ليستسلم للنوم.

في مقعد خلفي من المقصورة المعتمة، انبثق الجولم من غياهب الظلال.

كانت ساشا غارقة في سباتها، فانسل الجولم في هدوء إلى واجهة وعيها، وفتح عينيه، وألقى بنظرة من النافذة. تحتهما، لم ير إلا سوادا حالكا... ذلك الخواء العظيم الذي يفصل بين العالم القديم والعالم الجديد.

ستكون أمريكا ميلادا جديدا لساشا ...كما كانت لملايين البشر على مر التاريخ. فرصة ثانية. وأخيرا، شعر الجولم بالثقة في أن تفانيه وحبه لساشا سيجدان جزاءهما. إن الكون يعين أولئك الذين يفقهون أسراره.

وعلى الرغم من أن الجولم شعر بثقة متزايدة في أن ساشا ستكون آمنة في رعاية السفيرة، فلم تكن لديه نية في أن يفارق ساشا فراقا تاما. ليس بعد. سيظل يرقبها من خلف ستار، يبتعد كل يوم قليلا، ويتضاءل حضوره في حياتها شيئا فشيئا، حتى لا يبقى منه في نهاية المطاف سوى همسة خفية في أغوار نفسها. كان في هذا الخاطر مسحة من أسى، ولكنه في الوقت ذاته ملأ كيانه بشعور بالإنجاز والرضا.

بقدر ما يقل احتياجها إلي، بقدر ما تكتمل خدمتي لها.

وبينما كان الجولم يعلم أن لديه القدرة على أن يغادر ساشا كليا، وأن يفك وثاقه ويعود إلى العالم الذي منه أتى، فقد أحس أن جزءا منه سيظل معها إلى الأبد... ملاك حارس. سيتجلى في الخفاء، على النحو الذي تتجلى به

الملائكة... كحدس، أو إلهام، أو يقين... دفعة معينة من روح أكثر خبرة، تتدفق من عالم آخر.

سوف تحيا ساشا الحياة التي تستحقها.

وقد غمر الرضا روحه، أغمض الجولم عينيه وسمح لنفسه بأن يغرق في أعمق سبات لم ينعم به منذ أمد بعيد.

"Spokoynoy nochi, milaya"، همس .ليلة هانئة يا حبيبتي.

وبينما كان ينجرف نحو النوم، امتدت يده اليسرى، وكأنما لا سلطان له عليها، وراحت تداعب برفق القطتين السياميتين اللتين كانتا تخرخران على المقعد بجانبه.

الفصل التاسع والثلاثون بعد المئة

ما إن فرغت كاثرين من صعودها الشاق لربوة القلعة، حتى احتاجت إلى برهة لتلتقط أنفاسها، ولتستوعب كذلك هول ماثل أمامها من صرح. لم تكن قلعة براغ قلعة على الإطلاق... بل كانت أشبه بمدينة مترامية الأطراف مسورة.

هذه القلعة الحصينة المشيدة على قمة الربوة، كما وصفها روبرت، تضم بين أسوارها ما يربو على خمسة عشر فدانًا، تشمل أربعة قصور، وقاعتين للاجتماعات، وسجنًا، ومستودعًا للأسلحة، ومقرًا للإقامة الرئاسية، وديرًا، وخمس كنائس متمايزة، من بينها واحدة من أضخم كنائس العالم ... كاتدرائية القديس فيتوس.

قبل ليلتين، حين جاءت كاثرين إلى هنا لتلقي محاضرتها، كانت قد وصلت بالسيارة وأُدخلت إلى قاعة فلاديسلاف عبر مدخل متواضع ذي أعمدة على الجانب الجنوبي من المجمع. "لعلهم فعلوا ذلك كي لا يروعني المشهد"، هكذا خلصت إلى نفسها، وهي ترمق ذاك المضيق المهيب الذي كان عليها الآن أن تجتازه عند المدخل الرئيسي.

كان الوصول إلى القلعة محجوبًا بسور محيط هائل بارتفاع خمسة طوابق، وهذا السور نفسه محمي خلف سياج شاهق مدبب الرؤوس، تحرس بوابته

من الحديد المطروق جنديان يرتديان الزي الرسمي ويحملان بندقيتين. والفتحة الوحيدة في السياج يحيط بها تمثالان عملاقان لرجلين مفتولي العضلات وهما يطعنان آخرين بالرماح، ويغمدان فيهم الخناجر، ويهويان عليهم بالهراوات.

"لقد وصلت الرسالة"، هكذا جال في خاطر كاثرين.

انسلّت من البوابة وشقت طريقها عبر متاهة من الأفنية والدهاليز قبل أن تخرج إلى ساحة فسيحة مرصوفة بالحصى. وما إن خطت إلى العراء، حتى شخص بصرها إلى الأعلى، متسلقًا واجهة بناء بلغ من الضخامة حدًا كادت لا تصدق معه أنه يقع داخل أسوار القلعة.

كاتدرائية القديس فيتوس.

كل ما كانت تعرفه عن هذه الكاتدرائية هو أن لانغدون يعتبرها تحفة معمارية. وكانت أبرز معالمها لديه برج أجراس يبلغ ارتفاعه مئة متر، ويضم أحد أكبر أجراس أوروبا، وهو جرس هائل يزن سبعة عشر طنًا ويدعى زيكموند، ويُقال إن دوي قرعه يبلغ من الشدة حدًا لا يُدق معه إلا في عيدي الميلاد والفصح، خشية أن تلحق ارتجاجاته الضرر بالبرج العتيق.

أمضت كاثرين بضع لحظات تتأمل برج الأجراس الشاهق قبل أن تتجه نحو المدخل، متلهفة لتحديد موقع الباب الشهير الذي يقع، وفقًا لحارس سألته للتو، داخل الكاتدرائية.

الباب ذو الأقفال السبعة. لم تكن لديها أدنى فكرة عما يكون، لكنها كانت تأمل أن تجد لانغدون في انتظارها هناك بالفعل. فقد استغرقت مسيرتها صعودًا على التل وقتًا أطول بكثير مما توقعت، وكان لانغدون قد استقل سيارة أجرة، فلعل إجراءاته الورقية قد تمت تسويتها بسرعة.

كانت كاتدرائية القديس فيتوس من الداخل تمامًا كما توقعتها كاثرين — شاسعة الأرجاء، فخمة، ومهيبة — تمامًا مثل أي كاتدرائية أوروبية أخرى زارتها في حياتها. لقد حيرها دائمًا كيف كدح البشر قرونًا ليشيدوا هذه الصروح لإله كلي القدرة، رحيم... في عصر كانت فيه الأوبئة والحروب والمجاعات تفتك بالمؤمنين فتكًا بالملايين. وتساءلت في نفسها أكان إلههم ذاك غير مكترث بعذابات البشر... أم عاجزًا عن وقفها. بيد أنه بدا جليًا أن وعد "الحياة الأبدية" كان بلسماً لا يقاوم، يداوي الخوف الكوني من الموت.

"وما يزال كذلك اليوم"، فكرت وهي تتوغل في الكنيسة، باحثة بعينيها عن لانغدون .كانت كاتدرائية القديس فيتوس شبه مهجورة في هذه الساعة،

وعندما سألت المرشد الوحيد عن الباب الغامض، أشار إلى أعلى الممر الأوسط للصحن، نحو فتحة مقوسة على اليمين، قبالة مركز الهيكل المقدس.

"كنيسة فنتسلار"، همس.

تبين أن الكنيسة الخالية كانت حجرة تأخذ الألباب بجمالها، ذات أرضية من الرخام الرمادي وجدران مزينة برسوم جصية متقنة ترتفع عدة طوابق إلى سقف مقبب. وفي وسط الكنيسة، انتصب تابوت ضخم مستطيل الشكل متعدد الطبقات، مرصع كله بالجواهر الملونة وتعلوه مظلة هرمية. كان غريبًا إلى حد اضطرت معه كاثرين إلى قراءة اللافتة قبل أن تدرك ما تنظر إليه.

تابوت ملكي.

هذا الصندوق، كما تبين، يضم رفات "ملك" شهير لم يكن في الواقع ملكًا قط، بل أميرًا طيب القلب خُلّد خطأً كملك في ترنيمة عيد ميلاد إنجليزية شهيرة. وسرّت كاثرين حين قرأت أن مرقد الملك الصالح فنتسلار هو أيضًا بوابة جواهر التاج البوهيمية التي لا تقدر بثمن... والمحفوظة في قبو لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال باب شهير بسبعة أقفال.

أسرعت كاثرين نحو الباب الذي كان منتصبًا في الزاوية. كان لوحًا مهيبًا من المعدن الرمادي، تتقاطع على سطحه أشرطة تقوية متشابكة مثبتة بالمسامير

بشكل قطري. وزُين النمط المعيني الناتج عن ذلك بأسود وثابة ونسور، وكلاهما من رموز شعار النبالة التشيكي. وعلى امتداد الجانب الأيسر من الباب، كانت هناك سلسلة من ثقوب المفاتيح المزخرفة. ولم تتفاجأ كاثرين حين أحصت سبعة منها، يحيط بكل منها صفيحة مدرعة.

ألقت نظرة فوق كتفها على الكنيسة الخالية، ثم، وهي تشعر بالسخف، جربت الباب.

كان موصدًا.

وبعد أن انتظرت بضع دقائق أخرى دون أي أثر للانغدون، خرجت أخيرًا إلى الصحن الرئيسي لتريح ساقيها في أحد المقاعد القريبة. لقد سرها أن تستريح من الوقوف، لكن قلقها بشأن لانغدون كان يتزايد. هل حدث خطب ما؟

أجبرت عقلها على التفكير في شيء آخر، فرفعت عينيها إلى المذبح الرئيسي، وهو هيكل شاهق من قضبان ذهبية شبكية على خلفية من الزجاج الملون. لم يكن هناك من ينكر أن هذا المبنى كان إنجازًا بشريًا مذهلاً، وعملاً فنيًا جليلاً.

"حتى المنبر تحفة فنية"، فكرت وهي تتأمل المنصة المنحوتة بإتقان والمثبتة على العمود المجاور لها. يُصعد إليه عبر درج حلزوني أنيق، وقد تُوج المنبر

السداسي الشاهق بمظلة من الملائكة المذهبة. ومن الواضح أن هذا المقام المقدس قد صُمم ليضفي على المتحدث سلطة تكاد تكون إلهية.

"ها أنتِ ذا "!نادى صوت عميق عبر الكنيسة.

التفتت لترى لانغدون يخرج من كنيسة فنتسلار ويهرع نحوها، لا يزال متلفعًا بمعطفه المنتفخ" .لم أركِ هناك وخشيت أنكِ يئستِ مني"، قال وهو يصل لاهثًا" .هل وجدتِ الباب ذا الأقفال السبعة؟"

"لقد وجدته"، قالت" .وللمفارقة الصادمة، كان موصدًا."

ابتسم لانغدون، وقد بدا أكثر استرخاءً الآن" .حسنًا، إن أردتِ مني أن أفتحه، فسأحتاج إلى إجراء سبع مكالمات هاتفية: مع الرئيس، ورئيس الوزراء، ورئيس الأساقفة، والمدير الإداري، والعميد، والعمدة، ورئيس الغرفة التجارية."

"لن أسألك حتى كيف عرفت ذلك يا روبرت. هل سويت إجراءاتك الورقية؟"

"لقد فعلت"، قال" .كل شيء على ما يرام."

شعرت كاثرين بالارتياح" .هل ستخبرني بما كان الأمر؟"

"سأفعل "...قال، وقد بدا مشتت الذهن بالمنبر القريب" .انتظري "...ألقى نظرة حول الكاتدرائية المهجورة ثم عاد بنظره إلى كاثرين" .اجلسي هنا تمامًا، أريد أن أريكِ شيئًا ."اتجه نحو درجات المنبر وتخطى ببراعة شريطًا مخمليًا كان يسدها.

"روبرت، ماذا"...

صعد الدرج الملتف بخفة. وعندما وصل إلى القمة، لم يكن يظهر منه سوى رأسه وهو يطل من فوق كتاب مقدس ضخم مفتوح على المنصة" .كاثرين، أود أن أقرأ عليكِ بعض الفقرات"، قال بنبرة جادة" .فقط افتحي قلبكِ واستمعي."

فقرات من الكتاب المقدس؟ "لا أفهم"...

"فقط استمعي"، حثها" .أعتقد أن هذه الكلمات ستريح روحك."

حدقت كاثرين في حيرة بينما كان روبرت يتخذ وضعه، خالعًا معطفه المنتفخ، ملقيًا به على الأرض، ومتلمسًا صفحات الكتاب المقدس. بدا وكأنه يقلب الصفحات كما لو كان يبحث عن فقرة معينة.

وما إن استقر، حتى تنحنح لانغدون والتقى بصره ببصرها مرة أخرى قبل أن يحول عينيه إلى المنصة. وعندما تكلم، كان صوته الجهوري المألوف

واضحًا ورنانًا" .لقد ثبت الآن"، خطب في نبرة مسرحية، "أن الرضع قادرون على خوض تجارب واعية منذ الولادة... مما يقوض نموذجنا الحالي القائل بأن الوعي يتطور بمرور الوقت."

عفوًا؟ تشتت أفكار كاثرين .ماذا قال للتو؟!

قلب لانغدون عدة صفحات وبدأ يقرأ مرة أخرى" .والأمر الأكثر إثارة للدهشة"، تابع، "هو أننا اكتشفنا الآن دليلاً قاطعًا على نشاط موجات غاما المكثف في الدماغ أثناء احتضاره."

قفزت كاثرين على قدميها، وقد أدركت الآن بالضبط ما يقرأ منه. هذا مستحيل! هرعت نحو المنبر بينما بدأ لانغدون في قراءة مقطع آخر.

"مستويات ناقل الـ GABA العصبي"، أنشد، "انخفضت بشكل حاد في اللحظات التي سبقت الموت، ومعها قدرة الدماغ على تصفية أوسع أطياف التجربة الإنسانية التي تكون مجهولة في العادة."

صعدت كاثرين الدرج المنحني مهرولة، وقلبها يخفق" .روبرت "!صاحت وهي تصل إلى المنبر، متوقفة فجأة، ومحدقة في ذهول في كومة الصفحات المألوفة المطبوعة بالليزر والموضوعة فوق الكتاب المقدس الضخم" .أهذه مخطوطتي؟"!

"يبدو كذلك"، قال وهو يهز كتفيه بابتسامته المعوجة التي أحبتها.

أدركت كاثرين الآن أنه لا بد أنه كان يحمل المخطوطة تحت معطفه .

"ولكن "...تلعثمت في الكلام" .ظننت... أنك أحرقتها"!

"قائمة مراجعكِ فقط يا عزيزتي "...قال بابتسامة" .أما بقية المخطوطة فقد خبأتها خلف بعض الكتب العتيقة على رفوف شرفة المكتبة."

مذهولة، تخيلت كاثرين الحريق الذي أشعله لانغدون على الدرجِ المعدني وقصاصات الورق المتفحمة التي كانت تتطاير إلى الطابق السفلي.

"ولكن... بدا الحريق كبيرًا جدًا."

"لقد كان كذلك"، قال لانغدون" .لا يليق إلا بكِ أن تذكري اثنين وأربعين صفحة من المصادر ذات المسافات المزدوجة. أنتِ تعلمين أن ناشركِ هو من ينسق ذلك لكِ في النهاية، أليس كذلك؟ على أي حال، لقد مزجت معها حفنة من صفحات الرق الفارغة من أحد السجلات القديمة هناك. فدهن الحيوان ينتج الكثير من الدخان الأسود."

كافحت كاثرين سيلًا من المشاعر الجارفة التي اجتاحتها. الارتياح، والامتنان، وعدم التصديق، وكذلك الإحباط. مخطوطتي لم تضع قط؟!

"لماذا لم تخبرني؟ "!صاحت" .لقد كنت محطمة"!!

كان تعبير لانغدون نادمًا بصدق" .صدقيني يا كاثرين، لقد أردت ذلك بشدة. كان من المؤلم أن أراكِ تتألمين، لكن الفوضى كانت تحيط بنا وكنا على وشك أن نُعتقل ونُستجوب. لم أرد أن تضطري إلى الكذب. كان من الأسلم لكِ ألا تعلمي بوجود المخطوطة حتى تتم تسوية كل هذا، فآخر ما أردته هو أن تصادر مرة أخرى من قبل جهاز الاستخبارات والأمن أو ما هو أسوأ."

كانت كاثرين كاذبة سيئة، وكلاهما كان يعلم ذلك... أدركت أنه ربما كان على حق. التضليل عن طريق الخداع، كما أسمته ناغل .لم يخبر لانغدون حتى يوناس على الهاتف.

"آمل أن تسامحيني "...توسل" .لقد كان سرًا يصعب كتمانه."

حدقت فيه كاثرين بنظرة غامضة ثم تقدمت ولفّت ذراعيها حوله، ذائبة في جسده" .إجراءات ورقية...؟ حقًا؟"

"إجراءات ورقية هامة"، أوضح" .أهم من أن تحرق."

عانقته بقوة أكبر" .هناك شيء واحد لا أستطيع تصديقه، أيعقل أن الأستاذ لانغدون الموقر قد مزق صفحات من رق غزال من كتاب عتيق؟"

"صفحات فارغة"، رد" .لن يفتقدها أحد. وكما كان يخبرنا أستاذي للغة الإنجليزية في المدرسة الإعدادية، السيد ليلتشوك: 'الكتاب المناسب في الوقت المناسب يمكن أن ينقذ حياتك"'.

ضحكت" .أنا متأكدة تمامًا أن هذا ليس ما كان يعنيه."

"على الأرجح لا"، قال لانغدون، جاذبًا جسدها إليه أكثر.

لم تدرِ كاثرين كم من الوقت مضى وهما يتعانقان في منبر كاتدرائية القديس فيتوس حين شرعت أجراس الكاتدرائية في الأعلى تقرع. كانت غارقة في فرحة استعادة مخطوطتها... إلى جانب موجات المودة التي كانت تشعر بها للرجل الذي بين ذراعيها.

"أحبك يا روبرت لانغدون"، همست" .ويؤسفني أنني استغرقت كل هذا الوقت لأدرك ذلك."

خاتمة

أفاق روبرت لانغدون على وقع قرع طبول عسكرية، قرع منفرد منتظم يصدر عن طبل جانبي، يضرب إيقاعا حربيا كأنه يتقدم جيشا صغيرا. وحينما فتح عينيه، وجد نفسه يطل على امتداد شتوي لحديقة تكتسي بالأشجار. وفي الأفق البعيد، كانت خيوط الفجر الأولى قد بدأت تنبثق، تتسلل عبر متاهة من ناطحات السحاب.

مانهاتن، هكذا استرجع في ذاكرته التي أخذت تستفيق رويدا رويدا. فندق ماندارين أورينتال .الطابق الثاني والخمسون.

تواصل قرع الطبول. وبدا قريبا.

اعتدل لانغدون في فراشه، فرأى كاثرين مستيقظة إلى جانبه، متكئة على مرفقها، وعلى ثغرها ابتسامة لعوب، وشعرها ثائر منسدل. كانت تعبث بهاتفها الجديد، الذي أدرك لانغدون الآن أنه مصدر ذلك القرع.

قالت" :لقد سئمت 'مزاج الصباح' لجريج... فغيرت نغمة إيقاظنا."

أإلى مارش عسكري؟ سمع لانغدون الآن صوت ناي منفرد ينضم إلى الطبل، يعزف لحنا مألوفا" .مهلا... أهذه موسيقى 'بوليرو'؟."

هزت كتفيها ببراءة مصطنعة" :ربما."

تُعد رائعة رافيل الأوركسترالية على نطاق واسع المقطوعة الأكثر إثارة للشعور في تاريخ الموسيقى الكلاسيكية. وكثيرا ما وُصفت بأنها "الموسيقى التصويرية المثلى للحظات العشق"، فـ'بوليرو' هي خمس عشرة دقيقة من إيقاع نابض ملحاح، يتصاعد ليبلغ ذروة صاخبة تؤديها الأوركسترا بكاملها، ذروة أشار إليها النقاد بأنها "نشوة" موسيقية كبرى على سلم "دو" الكبير.

قال لانغدون" :لستِ من أهل التلميح أبدا"، ثم تناول هاتف كاثرين ورفع صوته، وطرحها على الفراش في دعابة. وعلى مدى الثواني العشر التالية، حدق في عينيها ولم يفعل شيئا على الإطلاق سوى الإصغاء إلى ثنائية الطبل والناي.

قالت كاثرين أخيرا" :أم، روبرت؟ ماذا تفعل؟."

أجاب" :أنتظر دخول الكلارينيت في المقطع الثامن عشر. لست بالهمجي."

بعد ساعة، كان لانغدون وكاثرين يسترخيان في ردائي حمام من قماش وبري فاخر، ينعمان بإفطار طلباه إلى غرفتهما على ضوء الشمس الذي كان يتدفق من فوق سنترال بارك.

كان جسد لانغدون يغوص في بحر من الرضا، بيد أن عقله كان قلقا، يتوق إلى لقائهما بعد الظهر مع جوناس فوكمان في برج راندوم هاوس.

إنه لا يزال يجهل أن المخطوطة في حوزتنا.

كان كتاب كاثرين محفوظا بأمان في خزانة الغرفة، موثوقا بشريطين مطاطيين كبيرين. وقبل مغادرتهما براغ، كانا قد صنعا ثلاث نسخ مصورة وأرسلا واحدة إلى كاثرين، وواحدة إلى لانغدون، وواحدة إلى جوناس، في طرود مؤمنة. ولعل الحظ يحالفهما فلا يحتاجان إلى أي منها؛ فدار بنجوين راندوم هاوس لم تكن تبعد سوى بضعة مبانٍ.

سأل لانغدون" :هل اخترتِ عنوانا بعد؟ سيود جوناس أن يعرف."

رفعت كاثرين بصرها" :لكتابي؟ لا شيء بعد."...

"إنما أسأل لأنك قلت شيئا في براغ ما انفك يتردد في خاطري. أظن أنك ربما اهتديتِ إلى العنوان الأمثل."

"أحقا؟."

"لقد أخبرتني أنه إذا استطاع العلم أن يثبت أن ثمة شيئا بالفعل وراء الموت، فعلينا أن نصدح بتلك الرسالة من فوق قمم الجبال. لقد أسميته سر الأسرار... وزعمت أنه سيكون له أثر هائل على مستقبل البشرية."

"أذكر ذلك."

انتظر لانغدون .وبدت كاثرين تنتظر أيضا. سأل" :ألا تسمعينه؟ سر الأسرار. إذا فكرت في الأمر، فإن السؤال الذي يكمن في جوهر الكتاب – ماذا يحدث عندما نموت؟ – هو اللغز الذي تأملته كل العقول البشرية. إنه حقا سر الأسرار."

"كعنوان كتاب؟ "بدا الشك على وجه كاثرين" .لا أدري، يبدو."...

حثها لانغدون" :كأنه من أكثر الكتب مبيعا؟."

"كنت سأقول إنه مغالٍ بعض الشيء."

ضحك وقال" :حسنا، إن حدسي الذي يستشرف المستقبل يخبرني بأن بهو دار بنجوين راندوم هاوس سيفسح قريبا مكانا على رفوفه لكتاب كلاسيكي آخر."

اغرورقت عينا كاثرين بالعاطفة. مالت إلى الأمام وقبلته برفق" .شكرا لك يا روبرت... على أشياء كثيرة جدا."

جلسا في صمت طويلا، يراقبان العالم الصاخب تحت نافذتهما. وأخيرا، نهضت كاثرين ونظرت في ساعتها" .لدينا خمس ساعات لاستكشاف المدينة. سآخذ حماما، ثم يمكنك أن تقوم بدور المرشد السياحي."

قال لانغدون وهي تتجه إلى الحمام" :يبدو هذا مثاليا. سنبدأ من كنيسة الثالوث. ثم كاتدرائية القديس يوحنا الإلهي، وسانت باتريك، وكنيسة جريس، والدير."...

استدارت كاثرين فجأة" :روبرت! لا."!

قال بابتسامة" :أمازحك يا عزيزتي. دعي الأمر لي. أعرف تماما إلى أين آخذك."

كان مركب سيركل لاين السياحي يشق عباب مياه مرفأ نيويورك المضطربة. وعلى نسيم الصباح، كان عقاب نساري وحيد يحوم دون عناء قبالة ميمنة المركب، يمسح صفحة الماء بحثا عن طعام إفطاره. وعلى مقدمة المركب، كانت كاثرين سولومون قد التجأت تحت ذراع لانغدون، تنعم بدفء جسده ورائحة هواء المحيط المنعشة المشبعة بالملوحة.

همس لانغدون وهما يقتربان من وجهتهما" :أليست رائعة؟."

***أجل، إنها كذلك*، فكرت كاثرين .*لم أكن أتصور*...**

أمامهما، وعلى ارتفاع يزيد عن ثلاثمئة قدم فوق سطح الماء، انتصب تمثال شاهق بشموخ على جزيرته الخاصة، يشع جلالا مهيبا يكاد يكون فيضا

إلهيا. وبذراعها اليمنى المرفوعة، كانت تحمل شعلة متلألئة، يبرق لهبها المصنوع من الذهب عيار أربع وعشرين قيراطا في شمس الصباح.

ومع اقتراب المركب، بدأت كاثرين تتبين تفاصيل في نحاس التمثال الذي علاه الزنجار؛ سلاسل العبودية المحطمة حول قدميها المنتعلتين، والطيات الرقيقة في أردية العدالة، واللوح في يدها اليسرى الذي يحمل تاريخ ميلاد الأمة، والنظرة الثابتة والملامح المطمئنة... وهناك، فوق رأسها، الرمز العتيق الذي أتى بها لانغدون إلى هنا لكي تراه.

التاج المشع.

كانت الهالة المسننة التي تزين تمثال الحرية في أمريكا هي ذات الزينة التي توجت العقول المستنيرة لآلاف السنين. وقيل إن الشوكات السبع، التي يزيد طول كل منها على تسع أقدام، ترمز إلى أشعة التنوير التي ستشع من هذا البلد الفتي لتضيء القارات السبع جميعها.

***بل هي نقيض ذلك تماما*، هكذا آمنت كاثرين، إذ رأت فيها أشعة من نور تتدفق إلى الداخل... تمثل سيلا من الثقافات واللغات والأفكار من القارات السبع، تصب جميعها في بوتقة الانصهار التي هي عقل أمريكا . فهذه الأمة، في نهاية المطاف، قد خُلقت كجهاز استقبال، يجتذب أرواحا متباينة من شتى أنحاء العالم، تتدفق جميعها إلى الداخل نحو تجربة مشتركة.**

وبينما كانت كاثرين تحدق في سيدة الحرية، استطاعت أن تسمع أصداء خافتة لملايين البشر الذين وفدوا إلى هذه الشواطئ سعيا وراء أحلامهم . *كما فعلت عائلتي... منذ أجيال خلت* .لقد رحل أسلافها المهاجرون الآن بالطبع، ولكن إلى أين، ظل الأمر غامضا على كاثرين .ما أصبحت تسلم به هو أن الوعي البشري ليس كما كنا نعتقده. فثمة شيء حقيقي وعميق يكمن وراء تجربتنا المادية... وراء نهايتنا الجسدية.

ومع اشتداد هبوب الريح، أسندت كاثرين رأسها برفق على كتف لانغدون، وقد صفا ذهنها صفاء لم يشهده من قبل. رفعت بصرها إليه وقالت" :ليتنا نستطيع أن نقف هنا إلى الأبد."

قال بابتسامة" :وأنا كذلك. ولكن، أمامكِ كتاب لا بد من تسليمه."

-تمت بحمد الله-

الرواية الجديدة المشوقة والتي طال انتظارها لروبرت لانغدون من تأليف الكاتب الأكثر مبيعًا عالميًا دان براون.

يرافق الأكاديمي الشهير روبرت لانغدون زميلته كاثرين سولومون إلى محاضرة دُعيت لإلقائها في براغ، لتنقلب حياة روبرت لانغدون رأسًا على عقب عندما تختفي كاثرين دون أثر من غرفتهما بالفندق. بعيدًا عن وطنه وخارج منطقة راحته تمامًا، يجب على لانغدون أن يواجه قوى مجهولة لاستعادة المرأة التي يحبها.

لكن براغ مدينة قديمة وخطيرة، غارقة في الفولكلور والغموض. لأكثر من ألفي عام، تلاطمت أمواج التاريخ عليها، مخلفة وراءها أصداء كل ما مضى. لا يمكن للانغدون أن يدرك أنه مطارد من قبل طيف من ذلك الماضي المظلم. يجب عليه استخدام كل معرفته الغامضة لفك رموز العالم من حوله قبل أن يلتهم هو أيضًا من قبل حلقات الخيانة والخداع التي ابتلعت كاثرين.

على خلفية من القلاع الشاسعة، والكنائس الشاهقة، والمقابر المدفونة على عمق اثني عشر مترًا، والممرات الجوفية المتعرجة، يجب على لانغدون أن يتنقل في مدينة الظل المختبئة على مرأى الجميع، وهي مدينة حافظت بنجاح على أسرارها لقرون ولن تسلمها بسهولة. هذا ميدان معركة يختلف عن أي ميدان شهده من قبل، ميدان يجب أن يقاتل فيه ليس من أجل حياته فقط، بل من أجل مستقبل البشرية ذاتها.

"سر الأسرار" هي رواية دان براون الأولى منذ أكثر من ثماني سنوات، وتشهد عودة مذهلة لعالم الرموز بجامعة هارفارد، روبرت لانغدون، هذه المرة وهو يواجه مؤامرة ستختبر حتى قدراته العقلية الهائلة وستأخذه إلى حافة فقدان كل ما يعتز به...

